

نصوص
في علوم القرآن

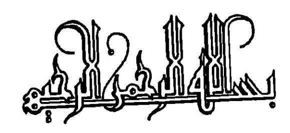
تأليف

السيد علي الموسوي الدارابي

المجلد الثالث
(جمع القرآن)

بإشراف
مدير قسم القرآن
الأستاذ العلامة محمد واعظ زاده الخراساني




بسم الله الرحمن الرحيم

نصوص في علوم القرآن

تأليف

السيد علي الموسوي الدارابي

المجلد الثالث

(جمع القرآن)

بإشراف

مدير قسم القرآن

الأستاذ العلامة محمد واعظ زاده الخراساني

موسوي دارابي، علي، ١٣٣٤ -
نصوص في علوم القرآن / تأليف علي الموسوي الدارابي: بإشراف محمد واعظزاده الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٩ق. = ١٣٨٦ش.
ج.
ISBN set 978-964-444-380-0
ISBN 978-964-444-957-4 (ج٣)
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي
كتابنامه
١.قرآن - - علوم قرآني. ٢. قرآن - - وحي. الف. واعظزاده خراساني، ١٣٠٤ - ، . ب. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ج. عنوان.
BP ٦٩ / ٥ / م ٨ ن ٦ ٢٩٧/١٥
كتابخانهٔ ملى ايران ٢٤١٢٩-٧٩م



نصوص في علوم القرآن

المجلّد الثالث

(جمع القرآن)

السيّد علي الموسوي الدارابي
بإشراف الأستاذ محمّد واعظزاده الخراساني

الطبعة الثالثة ١٤٣٢ق / ١٣٩٠ش
١٠٠٠ نسخة / الثمن: ١٤٥٠٠٠ ريال
الطباعة: دقت

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩

www.islamic-rf.ir: E-mail: info @islamic-rf.ir

الفهرس العام

الباب الثّاني: «كيفيّة جمع القرآن و ترتيبه» وفيه فصول :

تصدير

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

نحمد الله ونشكره على أن سهّل لنا الطّريق إلى جمع ما أمكن من النّصوص بشأن نزول القرآن، و تقديمها من قبلُ في مجلّدين إلى دارسي علوم القرآن. وقد بدأنا الآن بنصوص في جمع القرآن، وصيانته من التّحريف في مجلّدين آخرين، ذاكرين في أوّلهما ـ وهو المجلّد الثّالث من الكتاب ـ ما جاء بشأن كتابة القرآن و كُتّابه و حُفّاظه من الصّحابة، و يتخلّل ذلك بحث حول أُمّيّة النّبيّ صلوات الله عليه وآله.

وقد خصّصنا المجلّد الرّابع بنصوصٍ كثيرةٍ عن القدماء و المتأخّرين من علماء الأُمّة سنّةً وشيعةً، ومن المحدّثين والمتكلّمين والمفسّرين، جاءت بشأن صيانة القرآن الكريم من التّحريف، و دحض ما أُثير حوله من الشّكوك والشّبهات الّتي نشأ قسمٌ منها من الرّوايات المتشتّة ضعفاً وقوّةً ـ بل المتعارضة أحياناً ـ في كيفيّة جمع القرآن ومراحله، ونشأ قسمٌ آخر من الخلط بين جمع القرآن في الصّدور وبين جمعه في المصاحف، أي بين حُفّاظ القرآن وبين جامعيه في الصُّحُف، أو بين النّصّ القرآنيّ وبين تفسيره و تأويله، أو بين القراءة المشهورة والمتواترة، وبين القراءات غير المتواترة أو الشّاذّة.

وهذه النّقطة هي الّتي ألجأتنا إلى تقديم هذه المقدّمة، تمهيداً لعرض هذه النّصوص وتقريبها إلى أذهان القرّاء ليدرسوها حقّ دراستها، ويضعوها مواضعها.

ونشير هنا إلى أنّهم قد اتّفقوا على أنّ النّبيّ ﷺ كان يهتمّ بكتابة ما نزل من القرآن، وكان له كُتّاب في مكّة والمدينة كتبوه في الأُدُم وكِسَر الأكتاف و نحوها. وبإزاء ذلك كان ﷺ يهتمّ بحفظ القرآن في الصّدور أيضاً، فكان محفوظاً عند جماعة من القُرّاء، وإنّ

كثيراً منهم ـ سبعمائة أو أقلّ ـ قد قُتلوا في حرب اليمامة. وبعد هذا الاتّفاق نقول:

أوّلاً ـ تتفاوت النّصوص في أوّل جامع للقرآن في كتاب واحد، على نحوين:

النّحو الأوّل ـ مفاده أنّ أبا بكر استدعىٰ زيد بن ثابت بعد معركة اليمامة الّتي قُتل فيها عدد من قرّاء القرآن وحفظته، وطلب إليه أن يقوم بجمعه من مظانّه المتفرّقة، وهذا نصّ الرّواية:

«حدّثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد، حدّثنا ابن شهاب عن عُبيد بن السَّباق: أنّ زيد بن ثابت‌رضي‌الله‌عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر مَقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطّاب عنده، قال أبو بكررضي‌الله‌عنه: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليَمامة بقُرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يَستحرَّ القتل بالقُرّاء بالمواطن، فيذهب كثيرٌ مِن القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صَدْري لذلك، ورأيت في ذلك الّذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابٌّ عاقِل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فَتَتَبَّع القرآن فاجمَعْه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل مِن الجِبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلتُ: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يُراجعني حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) فتتبّعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخَاف وصُدور الرِّجال...»[1].

وثمّة رواية ثانية عن زيد في هذا الاتّجاه، فإنّه نُسب إليه قوله: «قُبض النّبيّ ولم يكن القرآن جُمع في شيء»[2].

والنّحو الثّاني ـ يقوم على أنّ القرآن قد جُمع في عهد النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله؛ إذ روي عن زيد بن ثابت أيضاً أنّه قال: كنّا عند رسول الله نؤلّف القرآن من الرِّقاع[3]. وروي عن ابن عبّاس قوله: ما ترك النّبيّ إلّا ما بين الدّفّتين[4]، وقوله: ما ترك رسول الله إلّا ما بين هذين

---

١ ـ صحيح البخاريّ ٦: ٢٢٥؛ المصاحف: ٦؛ الكامل ٣: ٥٦.

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٠٢.

٣ ـ المستدرك على الصّحيحين ٢: ٦١١.

٤ ـ صحيح البخاريّ (فضائل القرآن) ٦: ١٠٦.

اللّوحين[١].

وقد ذكرت أسماء من جمعوا القرآن من الصّحابة في عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله، نصّ ابن سعد على ستّة منهم[٢]. وفي رواية البخاريّ أنّ أربعة كلّهم من الأنصار قد جمعوا القرآن آنذاك[٣]. وزاد ابن النّديم في عدّة من جمعوا القرآن في عهد النّبيّ فذكر أسماء ثمانية من الصّحابة، أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤]. وتنصّ إحدى الرّوايات الإماميّة على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليّاً بتأليف القرآن، فألّفه وكتبه.[٥]

والسّؤال الّذي يبرز هنا: هل المراد من جمع القرآن هو جمعه في الصّدور أم جمعه مدوّناً في مُصْحَف واحد؟

يصحّ لغويّاً أن يكون من مصاديق الجمع الحفظ في الصّدور، لكنّ هذا لا يستقيم في صدد القرآن الكريم؛ فإنّ عدد حفظة القرآن لا يُعقَل أن يكون هذا العدد الضّئيل الّذي ذُكر ـ أربعة أو ستّة أو ثمانية ـ؛ ذلك أنّ أخبار واقعة اليَمامة تذهب إلى أنّ مئات من حفظة القرآن وقُرّائه قد قُتلوا فيها، إضافة إلى أعداد الحُفّاظ الّذين لم يشتركوا في هذه الحرب، أو اشتركوا ولم يُقتلوا. وعلى هذا يكون أدنى إلى الواقع أن يكون الجمع المنصوص عليه جمع تأليف وتدوين لا جمع استظهار في الصّدر. وهذا ممّا ارتآه كثير من العلماء والمحدّثين من شتّى المذاهب والمشارب، منهم: أبو القاسم البلخيّ[٦]، والشّريف المرتضى[٧]، والحاكم النّيسابوريّ[٨]، وعبد الرّحمان أبو شامة[٩]، وابن حجر[١٠].

---

١ ـ مسند أحمد ١: ٢٢٠.

٢ ـ الطّبقات الكبرى ٢: ٥٥٥.

٣ ـ صحيح البخاريّ ٦: ٢٣٠.

٤ ـ الفهرست: ٤١.

٥ ـ مناقب آل أبي طالب ٢: ٤٠.

٦ ـ سعد السّعود: ١٩٢.

٧ ـ مجمع البيان ١: ١٥.

٨ ـ المستدرك على الصّحيحين ٢: ٦١١.

٩ ـ المرشد الوجيز: ٧٠.

١٠ ـ فتح الباري ٩: ٨.

ثانياً ـ هناك أُمور توجد في تلك النّصوص وقعت موقع الخلاف وهي :

١ ـ هل جمعه عمر بن الخطّاب مرّة ثانية بعد أبي بكر كما جاء في بعض النّصوص ، وماذا عمل في جمعه هذا؟ فقال بعضهم : إنّ أبا بكر جمعه في مصاحف ، وجعلها عمر في مُصْحَفٍ واحدٍ تركه عند ابنته حَفْصة[1].

٢ ـ قالوا : لأيّ سببٍ خُصَّ زيد بن ثابت بجمع القرآن أوّلاً وأخيراً ، مع أنّه كان شابّاً من الأنصار ، وعبد الله بن مسعود كان من المهاجرين السّابقين ، وقد انتقد عُثمان في تقديم زيد عليه؟

و أجابوا عنه بأنّ زيداً كان كاتب النّبيّ في آخر عهده ، وعَرَض جميع القرآن عليه بعد العرضة الأخيرة ، ولم يكن لابن مسعود هذه الموهبة ، فقد قيل إنّه جمع سبعين سورة فقط ، وزيد جمع القرآن كلّه[2].

وأجابوا عن اعتراض ابن مسعود على عُثمان بأنّه سكت عن عُثمان ورجع عن شكواه ، وامتنع بما جمعه زيد. ومع ذلك اتّخذه الّذين خاصموا عُثمان ومن بعده الحكم الأُمويّ مَثْلبةً لهم .

٣ ـ هل جمع عليّ عليه السلام القرآن؟ قال بعضهم : إنّه جمعه على ترتيب النّزول ، وقال بعضهم : إنّه كان فيه زيادة ، وأنكر ذلك بعض ، وذهب بعض آخر إلى أنّ هذه الزّيادة هي ما ذكره عليه السلام في حواشي المُصْحَف من التّفسير والتّأويل.

ومهما يكن فإنّ الاتّجاه الغالب على نصوص مُصْحَف عليّ أنّه عليه السلام قد كان له مُصْحَف دوّنه ، من ذلك ما أورده عبد الرّزّاق الصّنعانيّ عن عِكرِمة أنّ عليّاً لم يخرج لبيعة أبي بكر ، وقال : إنّي آليتُ حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أرتدي برداء إلّا إلى الصّلاة المكتوبة ، حتّى أجمع القرآن ؛ فإنّي خشيتُ أن يتفلّت القرآن[3]. وثبّت ابن النّديم أنّ مُصْحَف عليّ كان أوّل المصاحف ، فقال : ... فأقسَمَ أن لا يضع رداءه حتّى يجمع القرآن ، فجلس في بيته

---

١ - في هذا الكتاب (نصوص في علوم القرآن) ٣: ١٥٦ و ٢١٠ و ٢٤٤.

٢ - نفس المصدر: ١٧١ و ٢٠٤.

٣ ـ المصنّف ٥: ٤٥٠.

ثلاثة أيّام حتّى جمع القرآن، فهو أوّل مُصْحَف جمع فيه القرآن من قلبه[١].

وورد نظير ذلك عن الزُّهريّ[٢] وابن سيرين[٣]، ومقاتل بن سُلَيمان[٤]، والشّهرستانيّ[٥]، وابن أبي الحديد[٦]، والحَسْكانيّ[٧]، وابن حَجر[٨]، والزُّرقانيّ[٩] وغيرهم. وتؤكّد المصادر الشّيعيّة أيضاً أنّ القرآن قد جمعه الإمام عليّ عليه السلام كاملاً[١٠].

ثالثاً ـ قد تمّ توحيد المصاحف في عهد عُثمان، على أثر ظهور اختلاف القراءات في معسكر المسلمين بأرمينيّة، فقد جُمعت المصاحف المتعدّدة ـ بما تحمل من قراءات متباينة ـ وصير إلى تدوين مُصْحَف واحد على يد زيد بن ثابت وغيره، أرسل عُثمان نُسَخًا منه ـ اختلفوا في عددها ـ إلى عدد من الأقاليم، وقام بإتلاف المصاحف الأُخرى الّتي جمعها من النّاس. وكان القيام بتوحيد المصاحف بمسمع من الصّحابة، ومنهم الإمام عليّ عليه السلام الّذي كان موافقاً على جمع النّاس على مُصْحَف واحد.

وكان الأئمّة من ذرّيّته يلتزمون بما التزم به هو عليه السلام من مراعاة توحيد عموم الأُمّة على مُصْحَف واحد، فكانوا يقرأون هذا المُصْحَف ويدعون النّاس إلى قراءته والعمل به، معلنين قولهم عليهم السلام: «اقرأ كما يقرأ النّاس»[١١].

رابعاً ـ إنّ الخلاف بين الصّحابة في مسألة الخلافة، ثمّ في القضايا السّياسيّة الّتي حدثت بعد قتل عُثمان في خلافة عليّ عليه السلام، قد أثّر في توسيع نطاق الأقاويل بشأن القرآن

---

١ ـ الفهرست: ٤٢.
٢ ـ الطّبقات الكبرى ٢: ٣٣٨.
٣ ـ المُصْحَف: ١٦؛ الصّواعق المُحرقة: ٧٦.
٤ ـ مفاتيح الأسرار ١: ٢٨ نقلاً عن تفسير مقاتل.
٥ ـ نفسه ١: ٤.
٦ ـ شرح نهج البلاغة ١: ٢٧.
٧ ـ شواهد التّنزيل ١: ٣٦.
٨ ـ فتح الباري ٩: ١٢.
٩ ـ مناهل العرفان ١: ٤٤٧.
١٠ ـ الأُصول من الكافي ٢: ٦٣١؛ الاحتجاج ١: ٢٥٧ و...
١١ ـ الأُصول من الكافي ٢: ٦٣٣.

الكريم، وقد احتجّ وانتفع بها كلّ فرقةٍ، كما يأتي عن أُستاذنا آية الله البروجرديّ رحمة الله عليه خلال نصوص صيانة القرآن من التّحريف في المجلّد الرّابع، فلاحظ.

خامساً ـ ماجاء فيها من اختلاف مصاحف الصّحابة ـ إن صحّ ـ فهو ناشئٌ من خطئهم في الكتابة، وهو أمر يقع دائماً حتّى في عصرنا هذا في المصاحف المطبوعة، ولا يضرّ بما كان مجموعاً في صدور الحُفّاظ، وقد انتقل بالسّماع منهم إلى مُصْحَف عُثمان و استمرّت قراءته إلى الآن.

سادساً ـ مسألة اختلاف القراءات قبل جَمع عُثمان وبعده، وأسبابه من أهمّ ما يحوم حول القرآن، وهي أمر واقع أمامنا، وخاض فيها الكبار من علماء الفريقين، واهتمّوا بحلّها، معترفين بأنّها لا تمسّ صيانة القرآن الكريم، ونحن سنتداولها بالبحث في مقدّمة المجلّد الّذي خُصّ بما جاء من النّصوص في القراءات.

سابعاً ـ الاختلاف في ترتيب السُّوَر و كذا عدد ما نزل بمكّة وما نزل بالمدينة ليس اختلافاً في أصل القرآن، و إنّنا نرجّح أنّ التّرتيب الموجود الآن كان معمولاً به في عهد النّبيّ عليه السلام بحجّة عرض القرآن عليه في كلّ عام مرّة، وفي العام الأخير مرّتين، والعرض لا يتيسّر إلّا في الشّيء المرتّب، قال الشّريف المرتضى: إنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعاً مؤلّفاً على ماهو عليه الآن.[1]

وفي الختام نشكر العالم الفاضل أخانا السّيّد عليّ الموسويّ الدّارابيّ على اهتمامه بجمع هذه النّصوص في علوم القرآن، ونشكر أيضاً من أعانه مقابلةً وتصحيحاً وكتابةً وطبعاً، والحمد لله ربّ العالمين وسلامٌ على المرسلين.

مدير قسم القرآن

محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

الثّاني من جمادى الأُولى عام ١٤٢٦هـ

---

١ ـ مجمع البيان ١: ١٩ (المقدّمة ـ الفنّ الخامس).

القسم الثّاني في «جمع القرآن وكتابته»

وفيه عشرة أبواب:

الباب الأوّل: كُتّاب الوحي و حُفّاظه

و فيه فصول:

الفصل الأوّل

نصّ البَلاذُريّ (م: ٢٧٩) في «فتوح البُلدان»

[كُتّاب الوحي]

١ ـ وحدّثني الوليد بن صالح و محمّد بن سعد، قالا: حدّثنا محمّد بن عمر الواقِديّ عن خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جَهْم العَدَويّ قال: دخل الإسلام و في قُريش سبعة عشر رجلاً كلّهم يكتب عمر بن الخطّاب و عليّ بن أبي طالب، و عُثمان بن عَفّان، و أبو عُبَيْدة بن الجَرّاح، وطلحة، و يزيد بن أبي سفيان، و أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة، و حاطب بن عمرو أخو سُهَيل بن عمرو العامريّ من قريش، و أبو سَلَمة بن عبد الأسد المخزوميّ، و أبان بن سعيد بن العاص بن أُميّة، و خالد بن سعيد أخوه، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح العامريّ، و حُوَيطب بن عبد العُزّى العامريّ و أبو سفيان بن حَرْب بن أُميّة، و معاوية بن أبي سُفيان، وجُهَيم بن الصَّلت بن مَخْرَمة بن المُطّلب بن عبد مناف، و من حُلفاء قريش العَلاء بن الحَضرميّ.

٢ ـ وحدّثني الوليد ومحمّد بن سَعْد عن الواقِديّ عن أشياخه، قالوا: أوّل من كتب لرسول الله ﷺ [حين] مقدمه المدينة أُبيّ بن كعب الأنصاريّ وهو أوّل من كتب في آخر الكتاب و كتب فلان، فكان إذا لم يحضر، دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصاريّ فكتب له فكان أُبيّ وزيد يكتبان الوحي بين يديه وكتبه إلى من يكاتب من النّاس و ما يقطع و غير ذلك.

٣ ـ قال الواقِديّ: وأوّل من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ثمّ ارتدّ

و رجع إلى مكّـة و قـال لقـريش: أنـا آتـي بـمثل مـا يأتـي بـه مـحمّد، وكـان يُـمْلِ عليه:﴿الظَّالِمِينَ﴾ فيكتب «الكافرين» يُمْلِ عليه: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيكتب «غَفُورٌ رَحِـيمٌ» و أشباه ذلك، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوحِيَ اِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ اِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللهُ﴾[1] فلمّا كان يوم فتح مكّة أمر رسول الله ﷺ بقتله، فكلّمه فيه عُثمان بن عَفّان و قال أخي من الرّضاع و قد أسلم، فأمر رسول الله ﷺ بتركه، و ولّاه عُثمان مصر. فكتب لرسول الله ﷺ عُثمان بن عَفّان و شُرَحْبيل بن حَسَنة الطّابخيّ من خَنْدف حليف قريش، و يقال: بل هو كِنْديّ، وكتب له جُهَيم بن الصَّلْت بن مَخْزمة، و خالد بن سعيد و أبان بن سعيد بن العاص والعلاء بن الحضرميّ، فلمّا كان عام الفـتح، أسلم معاوية، كتب له أيضًا، و دعاه يومًا وهو يأكل فأبطأ، فقال: لا أشبع الله بطنه فكان يـــقول: لحـقتني دعـوة رسـول الله ﷺ وكـان يأكـل فـي اليـوم سـبع أكـلات و أكـثر و أقلّ. (٤٥٦ـ٤٥٩)

---

١ ـ الأنعام/٩٣.

الفصل الثّاني

نصّ السِّجستانيّ (م: ٣١٦) في «المصاحف»

من كتب الوحي لرسول الله؟

١ ـ...[١] قال: حدّثنا الحسن بن عَفّان قال: حدّثنا يحيى بن عيسى بهذا. حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا محمّد بن قُدامَة قال: حدّثنا جَرير عن الأعمش عن ثابت عن زيد بن ثابت قال: قال النّبيّ ﷺ: أتُحْسنُ السُّريانيّة؟[٢] فإنّها تأتيني كتب، قلت: لا، قال: فتعلّمها، قال: فتعلّمتها في تسعة عشر يومًا.

٢ ـ حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا محمّد بن يحيى قال: حدّثنا أبو صالح، حدّثنا اللّيث عن أبي عُثمان الوليد بن أبي الوليد عن سليمان بن خارجة بن زيد عن خارجة بن زيد قال: دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا: حَدِّثْنَا بعض حديث رسول الله ﷺ فقال: ماذا أُحدّثكم؟ كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي، وكان إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الدّنيا ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الطّعام ذكره معنا، فكلّ هذا أُحدّثكم عنه.

٣ ـ حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد قال: حدّثنا المقرئ قال: حدّثنا اللّيث بن سعد بهذا. حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا يونس بن حبيب قال: حدّثنا أبو داود قال: حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة عن ثابت عن أنس بن مالك: أنّ رجلاً كان يكتب

---

١ ـ إنّما سقط من الأصل ورقةً واحدةً أو ورقتين.

٢ ـ السُّريانيّة: وفي صحيح البخاريّ أنّ رسول الله ﷺ أمره أن يتعلّم كتابة اليهود ليقرأه عليه إذا كتبوا إليه، انظر أيضًا البداية والنّهاية ٥:٣٤٦.

لرسول الله ﷺ، فكان إذا أملى عليه: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب (سميعًا عليمًا) و إذا أملى عليه: ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ كتب (سميعًا بصيرًا). و كان قد قرأ البقرة و آل عمران، و كان من قرأهما قرأ قرآنًا كثيرًا، فتنصّر الرّجل و قال: إنّما كنت أكتب ما شئت عند محمّد، قال: فمات فدُفِن فلفظته الأرض، ثمّ دُفِنَ فلفظته الأرض، فقال أنس: قال أبو طلحة: فأنا رأيته منبوذاً على وجه الأرض. (۷ ـ ۸)

الفصل الثّالث

نصّ القُمّيّ (م: ٣٢٩) في «تفسيره»

١ ـ ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوحِىَ اِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ اِلَيْه شَىْءٌ وَمَنْ قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللهُ﴾[1] فإنّها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، وكان أخا عُثمان من الرّضاعة.

٢ ـ حدّثني أبي عن صَفْوان عن ابن مِسْكان عن أبي بَصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أخو عُثمان من الرّضاعة، أسلم وقدم المدينة، وكان له خطٌّ حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فكان إذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يكتب (سَميعٌ عَليمٌ)، و إذا قال:﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يكتب (بَصِيرٌ)، و يفرّق بين التّاء والياء، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هو واحد، فارتدّ كافرًا و رجع إلى مكّة و قال لقريش: والله ما يدري محمّد ما يقول، أنا أقول مثل ما يقول، فلا ينكر عليَّ ذلك، فأنا أُنزل مثل ما ينزل، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله في ذلك ﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا...﴾. فلمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة أمر بقتله، فجاء به عُثمان قد أخذ بيده و رسول الله في المسجد، فقال: يا رسول الله أُعفُ عنه، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أعاد فسكت، ثمّ أعاد فقال: هو لك، فلمّا مرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل: عيني إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله أن تشير إليّ فأقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة، فكان من الطّلقاء. (١: ٢١٠)

---

١ ـ الأنعام/٩٣.

الفصل الرّابع

نصّ المسعوديّ (م: ٣٤٦) في «التّنبيه والإشراف»

كتاب من حضر من الكُتّاب

كان خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف يكتب بين يديه في سائر ما يعرض من أُموره، والمغيرة بن شُعبة الثّقفيّ والحُصَيْن بن نُمَير يكتبان أيضًا فيما يعرض من حوائجه، و عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزُّهْريّ والعلاء بن عُقْبة يكتبان بين النّاس المداينات و سائر العقود والمعاملات، والزُّبَيْر بن العَوّام وجُهَيم بن الصّلت يكتبان أموال الصّدقات، و حُذَيْفَة بن اليمان يكتب خَرْص الحجاز، و مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوسيّ ـ دَوس بن عُدْثان بن عبد الله بن زَهْران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزْد وكان حليفًا لبني أسد ـ يكتب مغانم رسول الله ﷺ، وكان عليها من قبله، و زيد بن ثابت الأنصاريّ ثمّ الخزرجيّ من بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار يكتب إلى الملوك، و يجيب بحضرة النّبيّ ﷺ، وكان يترجم للنّبيّ ﷺ بالفارسيّة والرّوميّة والقبطيّة والحبشيّة، تعلّم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، وكان حَنْظَلة بن الرّبيع بن صيفيّ الأُسَيِّديّ التَّميميّ يكتب بين يديه ﷺ في هذه الأُمور إذا غاب من سَمَّينا من سائر الكُتّاب، ينوب عنهم في سائر ما ينفرد به كلّ واحد منهم، وكان يُدعى حَنْظَلة الكاتب، وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطّاب بعد أن فتح الله على المسلمين البلاد و تفرّقوا فيها، فصار إلى الرّها من بلاد ديار مُضَر فمات هناك، فَرَثَته امرأة من قومه فقالت:

يا عجب الدَّهرَ لمحزونة ... تبكي على ذي شَيْبة شاحب

إن تسأليني الدَّهرَ ما شفّني أُخبِركِ قيلاً ليس بالكاذب
إنّ سواد الرّأس أودى به حزني على حَنْظَلة الكاتب

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح من بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب، ثمّ لحق بالمشركين بمكّة مرتدًّا، وكتب له شُرَحْبيل بن حَسَنة الطّابخيّ من خندف حليف قريش، ويقال: بل هو كِنْديّ. وكان أبان بن سعيد والعلاء بن الحَضْرميّ ربّما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته بأشهر، وإنّما ذكرنا من أسماء كُتّابه ﷺ من ثبت على كتابته، واتّصلت أيّامه فيها، وطالت مدّته، وصحّت الرّواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكِتاب والكِتابين والثّلاثة، إذ كان لا يستحقّ بذلك أن يُسمّى كاتبًا ويضاف إلى جملة كُتّابه. (٢٤٥-٢٤٦)

الفصل الخامس

نصّ الصَّدوق (م: ٣٨١) في «معاني الأخبار»

[أكان معاوية وابن أبي سَرْح من كُتّاب الوحي؟]

١ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل عن الحِمْيَريّ عن ابن عيسى عن ابن محبوب، عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و معاوية يكتب بين يديه، و أهوى بيده إلى خاصرته بالسّيف: من أدرك هذا يومًا أميرًا فليبقرنّ خاصرته بالسّيف، فرآه رجل ممّن سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يومًا و هو يخطب بالشّام على النّاس، فاخترط سيفه ثمّ مشى إليه، فحال النّاس بينه و بينه، فقالوا: يا عبد الله ما لَك؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أدرك هذا يومًا أميرًا فليبقر خاصرته بالسّيف، قال: فقالوا: أتدري من استعمله؟ قال: لا، قالوا: أميرالمؤمنين عمر، فقال الرّجل: سمعًا و طاعةً لأميرالمؤمنين.

إنّ النّاس يُشبه عليهم أمر معاوية بأن يقولوا: كان كاتب الوحي، وليس ذاك بموجب له فضيلة، و ذلك أنّه قرن في ذلك إلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، فكانا يكتبان له الوحي، و هو الّذي قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللهُ﴾[١]، فكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يُملي عليه: ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيكتب (وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، و يُملي عليه: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيكتب (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، فيقول له النّبيّ صلى الله عليه وآله: هو واحد، فقال عبد الله بن سعد: إنَّ محمّدًا لا يدري ما يقول إنّه يقول، و أنا أقول غير ما يقول، فيقول لي: هو واحد، هو واحد، إن جاز هذا فإنّي سأُنزل مثل ما أنزل الله، فأنزل الله فيه: ﴿وَ مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللهُ﴾.

---

١ ـ الأنعام /٩٣.

فهرب وهجا النّبيّ ﷺ، فقال النّبي ﷺ: من وجد عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ولو كان متعلّقًا بأستار الكعبة فليقتله، و إنّما كان النّبيّ ﷺ يقول له فيما يغيّره: هو واحد، هو واحد، لأنّه لا ينكتب[1] ما يريده عبد الله، إنّما كان ينكتب ما كان يُمليه عليه السلام، فقال: هو واحد غيّرتَ أم لم تُغيّر، لم ينكتب ما تكتبه، بل ينكتب ما أُمليه عن الوحي و جبرئيل عليه السلام يصلحه.

و في ذلك دلالة للنّبيّ ﷺ، و وجه الحكمة في استكتاب النّبيّ ﷺ الوحي معاوية وعبد الله بن سعد وهما عدوّان هو أنّ المشركين قالوا: إنّ محمّدًا يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، و يأتي في كلّ حادثة بآية يزعم أنّها أُنزلت عليه، و سبيل من يضع الكلام في حوادث يحدث في الأوقات أن يغيّر الألفاظ إذا استعيد ذلك الكلام، ولا يأتي به في ثاني الأمر و بعد مرور الأوقات عليه إلّا مغيّرًا عن حاله الأُولى لفظًا ومعنًى، أو دون معنى، فاستعان في كَتْب ما ينزل عليه في الحوادث الواقعة بعدوّين له في دينه عدلين عند أعدائه، ليعلم الكفّار والمشركون أنّ كلامه في ثاني الأمر كلامه في الأوّل غير مغيَّر، ولا مُزال عن جهته، فيكون أبلغ للحجّة عليهم، ولو استعان في ذلك بوليّين مثل سلمان وأبي ذرّ و أشباههما لكان الأمر عند أعدائه غير واقع هذا الموقع، وكانت يتخيّل فيه التّواطئ والتّطابق، فهذا وجه الحكمة في استكتابهما، واضح مبيّن والحمد لله.[2] (٣٤٦ـ٣٤٧)

---

١ ـ كذا في الأصل و الظّاهر «يكتب» في جميع المواضع. (م)

٢ – قال بعض المحقّقين: إنّ معاوية لم يكن كاتب الوحي أصلاً إنّما كان يكتب بعض الرّسائل.

الفصل السّادس

نصّ أبي شامَة (م: ٦٦٥) في «المُرشِد الوَجيز...»

[كتابة القرآن و حُفّاظه]

كان النّبيّ ﷺ كلّما نزل من القرآن شيءٌ أمر بكتابته، و يقول في مفرّقات الآيـات: «ضعوا هذه في سورةٍ كذا». وكان يعرضه على جبرئيل في شهر رمضان في كلّ عام مرّةً، وعرضه عليه عام وفاته مرّتين، وكذلك كان يعرض جبريل على رسول الله ﷺ كلّ عام مرّةً و عَرَض عليه عام وفاته مرّتين.

و حفظه في حياته من أصحابه، وكلّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أقـلّهم بالغون حدّ التَّواتُر، و رخَّص لهم قراءته على سبعة أحرُف توسعةً عليهم.

ومنه ما نسخ لحكمة نسخه، وكلّ ذلك فيه أخبار ثابتة:

ففي جامع التِّرمِذيّ وغيره عن ابن عبّاس عن عُثمان رضي‌الله‌عنهم قال... [و ذكر **كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]**

هذا حديث حسن[١]، و قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشّيخين[٢] و لم يخرجاه.[٣]

و قد ذكر القاضي وغيره له تأويلات سائغة:

منها: أنّه لم يجمعه على جميع الوجوه والأحرف والقراءات الّتي نزل بها، و أخـبر رسول الله ﷺ أنّها كلّها شافٍ كافٍ، إلّا أُولئك النّفر فقط...

---

١ ـ التِّرمِذيّ ١١: ٢٢٥؛ البَيْهَقيّ في السُّنَن الكُبرىٰ ٢: ٤٢؛ أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٥٧؛ أبو داود في سُنَنِه ١: ٢٩٠.

٢ ـ هما: البُخاريّ و مُسلم.

٣ ـ المستدرك، ٢: ٢٣٠.

و منها: أنّه لم يجمع ما نسخ منه و أُزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه و بقي فرض حفظه و تلاوته، إلّا تلك الجماعة...

و منها: أنّه لم يجمع جميع القرآن عن رسول اللهﷺ و يأخذه من فيه تلقّيًا، غير تلك الجماعة، فإنّ أكثرهم أخذوا بعضه عنه، و بعضه عن غيره...

و منها: أنّه لم يجمعه على عهد رسول اللهﷺ ممّن ظهر به و أبدى ذلك من أمره وانتصب لتلقينه، غير تلك الجماعة، مع جواز أن يكون فيهم حُفّاظ لا يعرفهم الرّاوي إذا لم يظهر ذلك منهم[1]...

و منها: أنّه لم يجمعه عنده شيئًا بعد شيءٍ كلّما نزل حتّى تكامل نزوله، إلّا هؤلاء، أي أنّهم كَتَبوه و غيرهم حفظه و ما كتبه، أو كتب بعضًا.

و منها: أنّه لم يذكر أحد عن نفسه أنّه أكمله في حياة النّبيّﷺ سوى هؤلاء الأربعة، لأنّ من أكمله سواهم كان يتوقّع نزول القرآن مادام النّبيّﷺ حيًّا، فقد لا يستجيز النّطق بأنّه أكمله، و استجازه هؤلاء، و مرادهم أنّهم أكملوا الحاصل منه.

و يحتمل أيضًا أن يكون من سواهم لم ينطق بإكماله خوفًا من المراءاة به، و احتياطًا على النّيّات، كما يفعل الصّالحون في كثير من العبادة، و أظهر هؤلاء الأربعة ذلك، لأنّهم أمنوا على أنفسهم، أو لرأي اقتضى ذلك عندهم ... [ثمّ ذكر قول المازِريّ كما سيجيء تفصيله عن ابن حَجَر، فقال:].

و إن لم يكمل القرآن سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون، و ما من شرط كونه متواترًا أن يحفظ الكلُّ الكلَّ، بل الشّيء الكثير إذا روى كلّ جزء منه خلق كثير علم ضرورة و حصل متواترًا.[2]

قلت: وقد سمّى الإمام أبو عُبَيد القاسِم بن سَلّام أهل القرآن من الصَّحابة في أوّل «كتاب القراءات» له، فذكر من المهاجرين أبا بكر و عُمر و عُثمان و عليًّا و طلحة و سعدًا

---

١ ـ انظر: كتاب الانتصار ١:٤٨ ظ.

٢ ـ المعلم ٢:١٤٦ ظ.

وابن مسعود و سالمًا مولى أبي حُذَيفة و حُذَيفة بن اليَمان وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعمرو بن العاص و أبا هُرَيْرة و مُعاوية بن أبي سُفيان وعبد الله بن الزُّبَيْر و عبد الله بن السّائب، قارئ مكّة.

و من الأنصار أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل و أبا الدَّرداء و زيد بن ثابت و مُجَمِّع بن جارية و أنس بن مالك. ومن أزواج النّبيّ ﷺ عائشة و حَفْصَة و أُمّ سَلَمَة.

قال: و بعض ما ذكرنا أكثر في القراءة و أعلى من بعض، و إنّما خصصنا بالتّسمية كلّ من وُصف بالقراءة، و حُكِي عنه منها شيء.

قال الحافظ البَيْهقيّ في «كتاب المدخل»: الرّواية الأُولى أصحّ، ثمّ أسند عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، لا يختلف فيهم: مُعاذ بن جَبَل و أُبيّ بن كعب و زيد و أبو زيد، و اختلفوا في رجلين من ثلاثة، قالوا: عُثمان و أبو الدَّرداء، و قالوا: عُثمان و تميم الدّاريّ، رضي الله عنهم.

و عن الشَّعبيّ قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستّة نفر من الأنصار: أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و مُعاذ بن جَبَل و أبو الدَّرداء و سعد بن عبيد و أبو زيد. و مُجمِّع بن جَارِية قد أخذه إلّا سورتين أو ثلاثًا، قال: ولم يجمعه أحد من الخُلفاء من أصحاب محمّد ﷺ غير عُثمان رضي الله عنهم.

قلت: و قد أشبع القاضي أبو بكر محمّد بن الطّيّب ﵀ في «كتاب الانتصار» الكلام في حَمَلة القرآن في حياة رسول الله ﷺ و أقام أدلّة كثيرة على أنّهم كانوا أضعاف هذه العدّة المذكورة، و أنّ العادة تحيل خلاف ذلك، و يشهد لصحّة ذلك كثرة القُرّاء المقتولين يوم مُسَيْلِمة باليَمامة على ما سيأتي ذكره، و ذلك في أوّل خلافة أبي بكر ﵁، و ما في الصّحيح من قتل سبعين من الأنصار يوم بئر معونة كانوا يسمّون القُرّاء[1]. وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص: جمعت القرآن فقرأته كلّه في ليلة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اقْرأهُ في

١ ـ انظر: البُخاريّ ٥: ١.

شَهْرٍ» الحديث.[١]

وعبدالله بن عمرو غير مذكور في هذه الآثار المتقدّمة فيمن جمع القرآن، فدلّ على أنّها ليست للحصر، و ما كان من ألفاظها للحصر فله تأويل، وليس محمولاً على ظاهره.(٣٣ـ٤٠)

١ ـ انظر: البُخاريّ ٦:١١٤؛ ورواه البَيْهقيّ في شُعَب الإيمان ١:٣٦٠ظ مطوّلاً.

الفصل السّابع

نصّ الزَّركَشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

من جمع القرآن حفظًا من الصَّحابة...

حَفِظه في حياته جماعة من الصَّحابة، وكلّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أقلّهم بالغون حدّ التَّواتُر، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في التِّرمِذيّ والمستدرك وغيرهما من حديث ابن عبّاس قال: كان رسول الله... [وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة].

وفي البُخاريّ عن قَتادَة قال: سألت أنس بن مالك من جمع القرآن... [إلى أن ذكر قول البَيْهَقيّ والشَّعْبيّ والباقِلّانيّ في تأويل الأحاديث السّابقة كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ قال:]

قال الماوَرديّ: وكيف يمكن الإحاطة بأنّه لم يكمله سوى أربعة، والصَّحابة متفرِّقون في البلاد! وإن لم يكمّله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون.

قال الشّيخ: وقد سمّى الإمام أبو عُبَيْد القاسم بن سَلّام القُرّاء من الصَّحابة في أوّل «كتاب القراءات» له، فسمّى عددًا كثيرًا.

قلت: وذكر الحافظ شمس الدّين الذَّهَبيّ[1] في كتاب «معرفة القُرّاء» ما يبيّن ذلك، وأنّ هذا العدد هم الذّين عرضُوه على النّبيّ ﷺ واتّصلت بنا أسانيدهم، وأمّا مَن جمعه منهم، ولم يتّصل بنا فكثير، فقال: ذِكر الّذين عرضوا على النّبيّ ﷺ القرآن وهم سبعة: عُثمان بن عَفّان، وعليّ بن أبي طالب.

---

١ ـ هو الحافظ محمّد بن أحمد بن عُثمان التُّركمانيّ الذَّهَبيّ (٦٧٣ـ٧٤٨).

وقال الشَّعبيّ: لم يجمع القرآن أحد من الخُلفاء الأربعة إلّا عُـثمان، ثـمّ ردّ عـلى الشَّعبيّ قوله: بأنّ عاصمًا قرأ على أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ عن عليّ ـ وأُبيّ بن كعب ـ و هو أقرأ من أبي بكر، و قد قال: يؤُمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله ـ و هو مشكل ـ و عبد الله بن مسعود، وأُبيّ، وزيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعريّ، و أبو الدَّرداء.

قال: و قد جمع القرآن غيرهم من الصَّحابة، كمُعاذ بن جَبَل، و أبي زيد، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، و عَبْدالله بن عُمَر، و عُقْبة بن عامِر؛ ولكن لمْ تتّصل بنا قراءتهم، قال: وقرأ على أُبـيّ جـماعة مـن الصَّـحابة؛ مـنهم أبـو هُـرَيْرة، و ابـن عَـبّاس، وعـبد الله بـن السّائب. (١: ٢٣٣ـ٢٤٣)

الفصل الثّامن

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»

في معرفة حُفّاظه و رواياته

روى البُخاريّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، و سالم، ومُعاذ، و أُبيّ بن كعب»، أي تعلّموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما، واثنان من الأنصار. وسالم هو ابن مَعْقَل مولى أبي حُذَيفة، و مُعاذ هو ابن جَبَل... [**ثمّ ذكر قول الكرمانيّ و رواية البخاريّ عن قَتادة وسؤاله عن أنس، ورواية ثابت البَنانيّ، كما سيجيء عنه في باب الجمع، ثمّ قال:**]

وفيه: مخالفة لحديث قَتادة من وجهين: أحدهما التّصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر ذكر أبي الدّرداء بدل أُبيّ بن كعب، و قد استنكر جماعة من الأئمّة الحصر في الأربعة... [**ثمّ ذكر قول المازِريّ والقُرطُبيّ(في مقتل اليَمامة) و الباقِلّانيّ (في الجواب عن حديث أنس) وابن حَجَر و رواية سعيد بن أبي عَروبة عن قَتادة، كما سيجيء عن ابن حَجَر، ثمّ قال:**]

قلت: لكن أخرج ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمّد بن سيرين قال: مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن، و قُتِل عمر ولم يُجمع القرآن. قال ابن أشتة: قال بعضهم: يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظًا، وقال بعضهم: هو جمع المصاحف.

قال ابن حَجَر: و قد ورد عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النّزول عقب موت

النّبيّ ﷺ أخرجه ابن أبي داود... [ثمّ ذكر رواية النّسائيّ عن عبد الله بن عمر، و رواية ابن أبي داود بسنده عن ابن كعب القُرظيّ، و رواية أُخرى عن الشَّعبيّ، و رواية أبي عُبَيْد (في كتاب قراءات القُرّاء من أصحاب النّبيّ) و أنس، و قول أبي أحمد العسكريّ و قول ابن حَجَر، كما سيجيء عنه في باب الجمع]. (١: ٢٤٤ـ٢٤٩)

الفصل التّاسع

نصّ الزّنجانيّ (م: ١٣٦٠) في «تاريخ القرآن»

في كتابة القرآن حين نزوله بأمره ﷺ و كُتّابه

كان للنّبيّ ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي بالخطّ المـقرّر و هـو النّسـخيّ، وهـم ثـلاثة وأربعون، أشهرهم: الخلفاء الأربعة، و أبوسفيان وابناه: معاوية ويزيد، و سعيد بن العاص[١] و ابناه: أبان و خالد، و زيد بن ثابت، والزُّبَير بن العَوّام، وطَلحة بن عُبَيدالله، و سعد بن أبي وَقّاص، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، و عبد الله بن رواحة، وعبد الله بن سعد بن أبي السَّرح، و أُبيّ بن كعب، و ثابت بن قيس، و حنظلة بن الرّبيع، و شُرَحْبيل بن حَسَنة، والعلاء ابن الحَضْرميّ، و خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شُعْبة، و مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدَّوسيّ، و حُذَيفة بن اليَمان، و حُوَيطب بن عبد العُزّى العـامريّ. وكـان ألزمهم للنّبيّ ﷺ و أكثرهم كتابة له زيد بن ثابت و عليّ بن أبي طـالب عليه السلام ويـظهر مـن الرّوايات أنّه ﷺ كان يهتمّ بكتابة القرآن... **[ثمّ ذكر رواية البخاريّ عن البَراء كما تقدّم عنه، الرّقم ٦]**.

و في قصّة إسلام عمر بن الخطّاب أنّ رجلاً من قريش قال له: أُختك قد صَبأت (أي خرجت عن دينك). فرجع ولطم أُخته لطمة شجّ بها وجهها. فلمّا سكت عنه الغضب نظر فإذا صحيفة في ناحية البيت، فيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلهِ مَا فِـى السَّـمٰوَاتِ

---

١ - ذكر شمس الدّين سامي أنّ سعيد بن العاص كان فصيح اللّسان و جيّد الخطّ، كتب المُصْحَف في عصر عُثمان، و كان أحد الكتبة في عصره، ولد في سنة الهجرة «قاموس الأعلام» حرف السّين، ص ٢٥٧٥.

وَالْاَرْضِ وَ هُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ ـ إلى قوله تعالى ـ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١]. واطّلع على صحيفة أُخرى فوجد فيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ * طهٰ مَا اَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْاٰنَ ـ إلى قوله تعالى ـ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى﴾.[٢] فأسلم بعد ما فهم بلاغة تلك الآيات. كلّ هذه الأحاديث والرّوايات تدلّ على أنّهﷺ اهتمّ بكتابة القرآن، وأنّ القرآن كُتب في عهده وحضرته بكلّ إتقان وضبط. (٢٠ـ٢١)

---

١ ـ الحديد /١ ـ ٨.
٢ ـ طه /١ـ٨.

الفصل العاشر

نصّ أبي زُهرة (م: ١٣٩٥) في «المعجزة الكُبرى»

كتابة القرآن

منذ ابتدأ نزول القرآن الكريم على الرّسول الأمين، و النّبيّ ﷺ يحفظه، و يأمر من حوله ممّن يحسنون الكتابة أن يكتبوه، و قد سُمّي أُولئك الّذين كتبوا القرآن بكُتّاب الوحي، و منهم عبد الله بن مسعود، و عليّ بن أبي طالب، و زيد بن ثابت، و غيرهم كثير ممّن كانوا يحضرون إلى النّبيّ ﷺ غِبَّ نزول الوحي بالقرآن عليه، فيملي عليهم ما نزل، و يُعلِّمنّ ما حفظه، فيحفظه الكثيرون من الصّحابة و خصوصًا من كانوا له (عليه الصّلاة والسّلام) ملازمين، وعلى مقربة منه ﷺ.

وكان نزول القرآن على غير التّرتيب الّذي نقرؤه الآن في السُّوَر الكريمة، بل كان ذلك التّرتيب من بعد النّزول بعمل النّبيّ ﷺ بوحي من الله تعالى، فكان يقول (عليه الصّلاة والسّلام): ضعوا آية كذا في موضع كذا من سورة كذا، فتكون بجوارها متّسقة متلاحقة المعنى مترابطة متناسقة اللّفظ، تلتقي بها كأنّها لقف معها، وكأنّهما كلام واحد قيل في زمن واحد، أحدهما لاحق، والآخر سابق، وكأنّ المتكلّم قالهما في نفس واحد، من غير زمن بينهما يتراخى أو يتباعد، و ذلك من سرّ الإعجاز، ولا غرابة في ذلك، لأنّ القائل واحد، وهو الله سبحانه و تعالى العليم الخبير الّذي لا تجري عليه الأزمان ولا يحدّ قوله بالأوقات والأزمان، لأنّه هو خالق الأزمان والمحيط بكلّ شيء علمًا. ولذلك كان ترتيب القرآن الكريم في كلّ سورة بتنزيل من الله تعالى.

وكان من الصَّحابة من يحفظه كلّه، فكان عبد الله بن مسعود يحفظ المكّيّ، ويحفظ المدنيّ، ولكنّ الرّواة قالوا: إنّه عرض على رسول الله ﷺ المكّيّ فقط. وكذلك جمع أُبيّ المدنيّ، وقالوا: إنّه عرض على النّبيّ ﷺ ما جمعه بعد الهجرة، وأكبر العرض هو عرض زيد ابن ثابت (رضي الله تبارك وتعالى عنه)، فقد كان سنة وفاة النّبيّ ﷺ وقد كان بعد أن قرأالرّسول الأمين على روح القُدُس جبريل القرآن مرتّبًا ذلك التّرتيب الموحى به الّذي نقرأ به القرآن الكريم.

وإنّ النّبيّ ﷺ لم ينتقل إلى الرّفيق الأعلى إلّا وقد جمع القرآن في صَدر طائفة من الصَّحابة، قيل: إنّ عددهم مائة أو يزيدون، ونحن نرى أنّهم كانوا أكثر من ذلك عددًا، فإنّه قتل من القُرّاء في إحدى مواقع الرِّدّة عدد يزيد على السَّبعين، وقيل: على سبعمائة، وربّما كان الأوّل أدقّ، فإذا كان ذلك العدد مقتولاً فالباقي بحمدالله تعالى أكثر، وإن كان قتل سبعين قد هال المؤمن الثّاقب النّظر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وجزاه عن الإسلام خيرًا.

وإذا كان بعض الكاتبين ذكر أنّ الحُفّاظ للقرآن من الصَّحابة أربعة هم: عليّ بن أبي طالب (كرّم الله تعالى وجهه) ومُعاذ بن جَبَل وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت، فذلك ليس من قبيل الإحصاء ولا من قبيل التّعيين العَدديّ فإنّ العدد أكبر من ذلك.

والأمر الآخر الّذي يجب التّنبيه إليه هو أنّ القرآن كلّه كان مكتوبًا عند الصَّحابة، وإذا كان لم يكن كلّه مكتوبًا عند بعضهم، أو عند واحد منهم بعينه، فإنّ ذلك لم يكن منفيًّا عن جميعهم، فهو مكتوب كلّه عند جميعهم، وما ينقص من عند واحد يكمله ما عند الآخرين، وهكذا تضافروا جميعًا على نقله مكتوبًا، وإن تقاصر بعضهم عن كتابته كمّل الآخر، وكان الكمال النّقليّ جماعيًّا وليس آحاديًّا.

وقد يسأل سائل: لماذا كان الجامعون له في الصُّدور كثيرين، وقد حفظوه كاملاً غير منقوص، ولم يوجد من جمعه في السُّطور جمعًا كاملاً؟

ونجيب عن ذلك بجَوابَيْن:

الجواب الأوّل ـ من واقع حياة العرب: فقد كانوا أُمّيّين، والمجيد منهم للكتابة قليل،

و أدوات الكتابة غير موفورة، و ما يكتب عليه غير معدٍّ لها، فكانوا يكتبون على الأديم، وعلى لخاف الأشجار، وعلى العُسُب، وغير ذلك ممّا لا يعدّ للكتابة، فكان الغريب أن تكون كتابةً، فضلاً عن أن تكون كتابة كاملة للقرآن عند الواحد من الصَّحابة، وكتابته كاملة عند الجميع كانت بتوفيق الله تعالى و من عنايته بكتابه الكريم.

والجواب الثّاني ـ أنّ ذلك من عمل الله تعالى، لأنّ الله تعالى العليم الحكيم جعل حفظ القرآن الكريم في الصُّدور ابتداءً وانتهاءً، و في السُّطُور احتياطًا و لتكون كتابته من بعد ذلك صحيحة من كلّ وجوهها، لايعتريها تصحيف ولا تحريف، و إنّ تواتُر القرآن الكريم عن رسول الله يكون كما تلقّاه عن ربّه العليم الحكيم، و التَّواتُر يكون بالتَّلقّي في الصُّدُور لا في السُّطُور، ولا يكون تواتُر في مكتوب إلّا إذا قرئ المكتوب على من أخذ عنه و أجازه، فالمكتوب يحتاج في نقله إلى الإجازة القوليّة، و الإجازة القوليّة لا تحتاج إلى كتابة إلّا بمقدار تسجيل الإجازة.

ترك محمّد رسول الله ﷺ الدُّنيا والأُمّة على بيّنة من أمر القرآن، قد استحفظوه و حفظوه وكتبوه، وحمله رسول الحقيقة أمانة الخليقة، وهو القرآن الحكم في هذا الوجود الإنسانيّ، فماذا كان من بعده. (٢٦ـ٢٩)

الفصل الحادي عشر

نصّ الشّهيد المطهّريّ (م: ١٣٩٩) في «النّبيّ الأُمّيّ»

النّبيّ الأُمّيّ

من الأُمور الواضحة في حياة الرّسول الأكرمﷺ أنّه لم يتعلّم ولم يتَلَمّذ عند أحد، ولم يطّلع على مقالٍ أو كتابٍ. ولم يدّعِ عليه ذلك أيّ مؤرّخ، سواءً كان مسلمًا أو غير مسلم، لا في دور طفولته أو شبابه، ولا بالأحرى في دور الكهولة والشّيخوخة، وهو دور الرّسالة. كما أنّه لم يذكر أحد أو يعرض سندًا يوضّح أنّهﷺ قد قرأ سطرًا واحدًا، أو كتب كلمة واحدة قبل عصر البعثة.

لقد كان العرب آنذاك وبالأخصّ عرب الحجاز أُناسًا أُمّيّين، وكان الّذين يستطيعون القراءة والكتابة يُعَدّون بالأصابع ويشار إليهم بالبنان. فلايمكن والأمر كذلك أن نتصوّر وجود شخص يتقن القراءة والكتابة في هذه البيئة ولايعرف عنه ذلك.

ونحن نعلم ـ وسنوضح بعد هذا ـ أنّ معارضي الرّسول الأكرمﷺ اتّهموه آنذاك بالاستماع إلى الآخرين ونقل تعليماته منهم، ولكنّهم لم يتّهموه مطلقًا بأنّه كان يعرف القراءة والكتابة؛ فهو مثلًا يحتفظ بكتب لديه، يستلّ منها المواضيع ويستفيد منها... وهو اتّهام قريب تصوّره لو كان النّبيّ يلمّ أقلّ إلمام بالقراءة والكتابة.

اعترافات الآخرين

ولم يجد المستشرقون الّذين ينظرون بعين النّقد الدّقيق إلى التّاريخ الإسلاميّ أيّ إشارةٍ إلى وجود معرفةٍ لهﷺ بالقراءة والكتابة، ولذا فقد اعترفوا بعد لأْي بأنّه كان أُمّيًّا

ترعرع في أُمّةٍ أُمّيّةٍ.

يقول **كارليل** في كتابه «الأبطال»: «يجب أن لا ننسى شيئًا، وهو أنّ محمّدًا لم يتلقّ أيّ تعليم لدى أيّ معلّم، فقد كانت صناعة الخطّ قد وجدت حديثًا بين الشّعب العربيّ. وأعتقد أنّ الحقيقة هي أنّ محمّدًا لم يكن يعرف الخطّ والقراءة، ولم يكن يعرف إلّا حياة الصّحراء».

ويقول **ويل ديورانْت** في كتابه «قصّة الحضارة»: «الظّاهر أنّه لم يكن أحد يفكّر في تعليمه (أي تعليم الرّسول الأكرم) القراءة والكتابة، فلم تكن صناعة الكتابة والقراءة ذات أهمّيّة في نظر الأعراب، ولهذا لم يكن يتجاوز الّذين يعرفون القراءة والكتابة السّبعة عشر شخصًا. ولسنا نعلم أنّ محمّدًا قد كتب شيئًا بنفسه، لقد كان له كاتب خاصّ بعد النّبوّة، ومع ذلك فقد جرى على لسانه أعرف الكتب العربيّة وأشهرها، وقد عرف دقائق الأُمور أفضل بكثير من المتعلّمين».

ويقول **جان ديون يورث** في كتابه «الاعتذار إلى محمّد والقرآن»: «وحول التّعليم والتّربية ـ كما هو متداول في العالم ـ يعتقد الجميع أنّ محمّدًا لم يتعلّم ولم يعرف سوى ما كان متداولًا في قبيلته».

ويقول **كونستان ورژيل گيورگيو** في كتابه: «محمّد! النّبيّ الّذي تجب معرفته من جديد»: «مع أنّه كان أُمّيًّا فإنّا نجد الحديث عن القلم والعلم، أي الكتابة والتّكتيب، والتّعلّم والتّعليم في أوائل الآيات النّازلة عليه، ولم يكن في أيّ من الأديان الكبرى اهتمام شامل بالمعرفة، ولا يمكن أن نجد دينًا يحتلّ العلم والمعرفة فيه محلًّا بارزًا كما كان الأمر في الإسلام. ولو كان محمّد عالمًا، لما كان في نزول هذه الآيات عليه في غار حِراء مجال تعجّب؛ لأنّ العالِم يعرف قَدْر العلم، ولكنّه كان أُمّيًّا، ولم يدرس على أيّ معلّم. وأنا بدَوْري أُهنّئ المسلمين على ما لطلب المعرفة من مقامٍ سامٍ في مبدئهم».

ويقول **كوستاف لوبون** في كتابه «الحضارة العربيّة الإسلاميّة»: «المعروف أنّ النّبيّ كان أُمّيًّا، وهو يطابق القياس والقاعدة؛ إذ لو كان من أهل العلم، لكان ارتباط مطالب

القرآن ومواضيعه أفضل ممّا هو عليه الآن، بالإضافة إلى أنّه مطابق للقياس أيضًا، من جهة أنّه لو لم يكن أُمّيًّا، لما استطاع أن يأتي بمذهب جديد وينشره، ذلك أنّ الإنسان الأُمّيّ هو أعلم وأكثر معرفة باحتياجات الجهّال، وهو يستطيع بشكل أفضل أن يسير بهم إلى الصّراط السّويّ. وعلى أيّ حال، وسواء كان أُمّيًّا أم لم يكن، فليس هناك أيّ ريب في كونه يمتلك أرقى عقل وفراسة وذكاء».

ورغم أنّ **كوستاف لوبون** لم يكن يستوعب المفاهيم القرآنيّة من جهة، ورغم أفكاره المادّيّة من جهة أُخرى، ممّا لم يجعله يدرك التّرابط بين الآيات القرآنيّة، ودفعه لأن يطرح كلامًا سخيفًا حول عجز العالم عن معرفة احتياجات الجاهل، وبالتّالي يوجّه الإهانة إلى القرآن والنّبيّ، رغم كلّ هذا فهو يعترف بعدم وجود أيّ سند أو علامة على وجود سابق معرفةٍ لنبيّ الإسلام بالقراءة والكتابة.

والواقع أنّنا لم نكن نهدف من خلال نقل عبارات هؤلاء إلى الاستشهاد بحديثهم، فإنّ المسلمين هم أولى بإظهار النّظر في تاريخ الإسلام من غيرهم، وإنّما كنّا نهدف إلى التّأكيد لكلّ أُولئك الّذين لايمتلكون بأنفسهم مطالعات تاريخيّة، أنّه لو كانت هناك أيّة علامة في هذا المجال، فإنّها لم تكن لتخفى على المؤرّخين الباحثين والنّقّاد من غير المسلمين.

ولقد كان للرّسول الأكرمﷺ لقاء سريع مع راهب يُدعىٰ (بَحيرا)[1] في إحدى فترات استراحته في طريقه من مكّة إلى الشّام بصحبة عمّه أبي طالب. ولقد استأثر هذا اللّقاء السّريع باهتمام المستشرقين، فراحوا يتساءلون: هل تعلّم النّبيّ شيئًا خلال هذا اللّقاء القصير؟ فإذا كانت هذه الحادثة الصّغيرة قد جلبت أنظار المخالفين القُدامى والجدد، فإنّه بالأحرى أن يجلب انتباههم وجود أيّ سند يدلّ على سابق معرفة للرّسول الأكرم بالقراءة والكتابة، وعدم خفاء ذلك عليهم. بل إنّ مثل هذا السّند ـ لو وجد ـ سوف يقع حتمًا

١ـ يشكّك البْرفُسور ماسينيون ـ المستشرق المعروف والمتخصّص في العلوم الإسلاميّة في كتابه: «سلمان الطّاهر» ـ في أصل وجود مثل هذا الشّخص، فضلًا عن لقائه بالنّبيّﷺ ويعتبره شخصيّة أُسطوريّة، فيقول: «وبَحيرا سِرجيوس وتَميم الدّاريّ وغيرهما ممّن جمعهم الرُّواة حول النّبيّ هم أشباح أُسطوريّة لايمكن الحصول على أثر لهم».

تحت مجاهرهم الّتي تكبّره مرّات عديدة.

ولكي نوضّح هذا الأمر ينبغي أن يتناول البحث مجالَين:

الأوّل ـ مجال ماقبل البعثة

الثّاني ـ مجال مابعد البعثة

ويجب أن نركّز في مجال مابعد البعثة في القراءة والكتابة، وسوف نجد أنّ المسلَّم والقطعيّ الّذي يتّفق عليه علماء المسلمين وغيرهم أنّه ﷺ لم تكن له أيّ معرفة بهما قبل البعثة. ولكنّ الأمر ليس كذلك وبهذا المستوى من الوضوح بالنّسبة إلى عصر الرّسالة، فالّذي يقرب من الواقع في هذا العصر أنّه لم يكن يكتب، أمّا عدم قراءته فقد وقع فيه خلاف، ويظهر من بعض الرّوايات الشّيعيّة أنّه ﷺ كان يقرأ في عصر البعثة دون أن يكتب، وإن كانت الرّوايات الشّيعيّة مختلفة وغير متطابقة في ذلك.

ولكنّ الّذي نستفيده من مجموع القرائن والدّلائل هو أنّه ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب حتّى في عصر البعثة.

ولمعرفة عصر ماقبل الرّسالة يلزمنا البحث عن الوضع العامّ للقراءة والكتابة في الجزيرة العربيّة.

ومايستفاد من التّواريخ أنّه إبّان ظهور الإسلام لم يكن هناك سوى أفرادٍ معدودين يعرفون القراءة والكتابة. [ثمّ ذكر قول البَلاذريّ في بدء ورود الخطّ في الحجاز، كما سيأتي في باب رسم الخطّ إن شاء الله تعالى].

هذا ويشير ابن النّديم في الفهرست «الفنّ الأوّل من المقالة الأُولى» إلى كلام البَلاذُريّ الآنف، ثمّ يروي عن ابن عبّاس: أنّ أوّل من تعلّم الخطّ العربيّ هم ثلاثة أشخاص من قبيلة (بولان)، وهي قبيلة من الأنبار، ثمّ تعلّمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وكذلك نجد ابن خَلْدون يذكر بعض الكلام الآنف ويؤيّده في مقدّمته... [ثمّ ذكر قوله حول كُتّاب الوحي كما تقدّم عنه، فقال:]

ثمّ إنّ البَلاذُريّ يذكر اسم امرأة قُرَشيّة واحدة كانت في الجاهليّة المعاصرة لظهور

الإسلام تعرف القراءة والكتابة، وهي (الشّفاء) بنت عبد الله العَدَويّ الّتي أسلمت، وكانت من المهاجرين الأوّلين. ويذكر أيضًا أنّها علّمت حَفْصَة زوجة النّبيّ ﷺ الكتابة، وقد قال لها النّبيّ ﷺ يومًا: «ألا تعلّمين حَفْصَة رقية النّـملة، كما علّمتها الكتابة.

ثمّ يذكر البَلاذُريّ بعض النّساء اللّواتي كنّ يكتبن ويَقرَأْن في العهد الإسلاميّ، أو اللّواتي كنّ يَقرَأْن فقط، فمثلًا حَفْصَة زوجة النّبيّ كانت تقرأ، كذلك ابنة عُقبة بن أبي مُعيط (من النّساء المهاجرات الأُوليات) كانت تكتب، في حين أخبرت ابنة سعد أنّ أباها علّمها الكتابة. وكذلك كانت ابنة المقداد تكتب، أمّا عائشة (زوجة النّبيّ) فكانت تقرأ ولا تكتب، وكذلك أُمّ سَلَمة.

ثمّ يذكر البَلاذُريّ أسماء أُولئك الّذين كانوا يكتبون للنّبيّ ﷺ، ثمّ يؤكّد أنّه لم يتجاوز الّذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة عند ظهور الإسلام الأحد عشر رجلًا من الأوس والخزرج (وهما القبيلتان المعروفتان اللّتان تسكنان المدينة)، ثمّ ذكر أسماءهم بعد ذلك.

ومن كلّ ماسبق نعلم أنّ صناعة الخطّ كانت وردت إلى البيئة الحجازيّة حديثًا، وأنّ الوضع كان بحيث إذا عرف أحدٌ الكتابة أُشير إليه بالبنان، وأنّه لم يتجاوز الّذين يعرفونها ـ سواء في مكّة أو في المدينة ـ عدد الأصابع آنذاك، ولذا نجد التّاريخ قد سجّل أسماءهم. ولو كان رسول الله ﷺ منهم لعُرف بذلك حقًّا، وإذا لم يذكر في عدادهم، فهذا يكشف بوضوح عن أنّه ﷺ لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة.

في عهد الرّسالة وخصوصًا في المدينة

وبملاحظة مجموع القرائن نعرف أنّ الرّسول الأكرم كان كذلك لايعرف القراءة والكتابة حتّى في عصر الرّسالة، وإن كان العلماء المسلمون ـ سواء الشّيعة أو السُّنّة ـ يختلفون في ذلك؛ إذ قد استبعد البعض أن لايكون الوحي قد علّمه كلّ شيء.

وقد جاء في بعض روايات الشّيعة أنّه ﷺ كان يقرأ في عصر الرّسالة، ولكنّه لم يكن

ليكتب[١] ومنها، مارواه الصّدوق في علل الشّرائع عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «كان ممّا منّ الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان يقرأ ولايكتب، فلمّا توجّه أبو سفيان إلى أُحد كتب العبّاس إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلمّا دخلوا المدينة أخبرهم».[٢]

ولكن «سيرة زَيْني دَحلان» تنقل حادثة رسالة العبّاس بشكل يخالف رواية علل الشّرائع، فيقول: «وكتب العبّاس للنّبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بجمعهم وخروجهم...فجاء كتابه للنّبيّ صلى الله عليه وآله وهو بقُباء، وكان العبّاس أرسل الكتاب مع رجل من بني غِفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيّام بلياليها، ففعل ذلك، فلمّا جاء الكتاب فكّ ختمه ودفعه لأُبيّ بن كعب فقرأه عليه، فاستكتم أُبيًّا، ثمّ نزل صلى الله عليه وآله على سعد بن الرّبيع فأخبره بكتاب العبّاس، فقال: والله إنّي لأرجو أن يكون خيرًا، فاستكتمه إيّاه»[٣].

هذا في حين يعتقد البعض أنّه صلى الله عليه وآله كان في عصر الرّسالة يقرأ ويكتب، فيقول السّيّد المرتضى ـ كما ينقله البحار عنه[٤] ـ: قال الشّعبيّ وجماعة من أهل العلم: «ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى كتب وقرأ». ولعلّه هو يؤيّد ذلك بعد أن استند إلى حديث الدّواة والكتف قائلًا: «وقد شهر في الصّحاح والتّواريخ قوله صلى الله عليه وآله: «ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا».

ولكنّ الاستناد إلى حديث الدّواة والكتف ليس صحيحًا، فإنّه ليس بصريح في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب بيده. ولو فرضنا أنّه كان يريد أن يأمر بكتابة شيء مستشهدًا الحاضرين عليه، لكان تعبير: «أكتب لكم كتابًا...» صحيحًا؛ إذ هو من الإسناد المجازيّ ـ كما يصطلح عليه البيانيّون ـ وهو من وجوه الفصاحة الشّائعة في اللّغة العربيّة وغيرها.

١ـ بحار الأنوار ١٦: ١٣٢.

٢ـ نفس المصدر ١٦: ١٣٣، (والرّواية ضعيفة السّند: المترجم).

٣ـ سيرة زَيْني دَحلان ١: ٢٢٩ طبع دار المعرفة ـ بيروت.

٤ـ بحار الأنوار ١٦: ١٣٥.

كُتّاب النّبيّ ﷺ

يستفاد من نصوص التّواريخ القديمة الإسلاميّة المعتبرة أنّ رسول الله ﷺ كان يستكتب كُتّابًا في المدينة، وكان هؤلاء يكتبون الوحي، وحديث النّبيّ، والعقود والمعاملات بين النّاس، والعهود الّتي كان يعطيها الرّسول ﷺ للمشركين وأهل الكتاب، ودفاتر الصّدقات والضّرائب، ودفاتر الغنائم والأخماس، والرّسائل الكثيرة الّتي كان ﷺ يرسلها إلى الأطراف. وها هوالتّاريخ ينقل لنا ـ علاوة على الوحي الإلٰهيّ والأحاديث الشّفهيّة له ﷺ ـ الكثير من عهود النّبيّ ورسائله.

فهذا محمّد بن سعد في كتابه: «الطّبقات الكبرى»[1] يذكر مايقرب من مائة رسالة بمتونها، وبعض هذه الرّسائل مرسل إلى سلاطين العالم وحُكّامه ورؤساء القبائل والأُمراء الخاضعين للرّوم أو الفرس في خَليج فارس وسائر الشّخصيّات، وهي تدعوهم إلى الإسلام، أو تمتلك صفة تعليم عامّ يمكن أن يشكّل أصلًا فقهيًّا وغير ذلك. والكثير من هذه الرّسائل معلوم الكاتب؛ إذ يذكر كاتب رسالة النّبيّ ﷺ اسمه في آخر الرّسالة. ويذكر أنّ أوّل من نشر هذه العادة (أي كتابة اسم الكاتب في آخر الرّسالة) هو أُبيّ بن كعب، الصّحابيّ المعروف.

هذا ولم يكتب النّبيّ بخطّ يده أيًّا من هذه الرّسائل والعهود والدّفاتر، فإنّنا لا نجد موضعًا قيل فيه: إنّ رسول الله ﷺ كتب الرّسالة الفلانيّة بخطّ يده، بل لم ير موضع يكتب فيه رسول الله ﷺ آية قرآنيّة بخطّه، في حين أنّ كُتّاب الوحي كتب كلّ منهم قرآنًا بخطّ يده.

فهل من الممكن أن كان رسول الله ﷺ يعرف الكتابة إلّا أنّه لايكتب قرآنًا أو سورةً منه أو آيةً بخطّ يده... [ثمّ ذكر قول اليعقوبيّ في أسماء كُتّاب الوحي، كما تقدّم عنه]

أمّا المسعوديّ في «التّنبيه والإشراف» فهو يفصّل إلى حدّ ما، فيذكر نوع عمل الكُتّاب، ممّا يوضّح سعة مجال عملهم ووجود نوع من التّنظيم وتقسيم العمل فيما بينهم، فيقول...[وذكر كما تقدّم عنه في باب كُتّاب الوحي، ثمّ قال:].

---

[1] ـ ٢: ٣٠ ـ ٣٨.

ولم يذكر المسعوديّ هنا اسم الإمام عليّ وعبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب من جُملة كتّاب الوحي وكُتّاب العهود الإسلاميّة، وكأنّه أراد أن يذكر الأشخاص الّذين كانوا يقومون بمهمّة أُخرى، بالإضافة إلى كتابة الوحي.

ونحن نعثر في التّواريخ والأحاديث الإسلاميّة على قضايا كثيرة يأتي فيها الكثير من المسلمين القريبين والبعيدين مكانًا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ويطلبون منه النّصيحة، فكان صلّى الله عليه وآله يجيبهم بكلامه الحكيم البليغ. وتؤكّد التّواريخ أنّ تلك الأحاديث كانت تكتب إمّا في المجلس أو بعد ذلك، ولكنّا نلاحظ أنّه صلّى الله عليه وآله لم يكتب سطرًا واحدًا في جواب هؤلاء، ولو كان قد كتب، لاحتفظ به المسلمون وتبرّكوا به، واعتبروه فخرًا لهم ولقبائلهم. وهذا ما نلاحظه في حياة الإمام عليّ عليه السلام. وسائر الأئمّة، حيث احتُفظ بقسم من خطوطهم لمدّة سنين ـ بل قرون ـ في بيوتهم وبيوت شيعتهم، وهناك نُسَخ موجودة لحدّ الآن تنسب إليهم عليهم السلام.

و ما الحادثة المعروفة لزيد بن عليّ بن الحسين ويحيى بن زيد، وكيفيّة الاحتفاظ بالصّحيفة السّجّاديّة إلّا شاهد على هذا المدّعى.

قال محمّد بن إسحاق: كان بمدينة الحديثة رجل يقال له: محمّد بن الحسين، ويعرف بابن أبي بعرة، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة، تحتوي على قطعة من الكتب العربيّة في النّحو واللّغة والأدب والكتب القديمة... فرأيت عجبًا، إلّا أنّ الزّمان قد أخلقها و عمل فيها عملاً أدرسها و أحرفها، وكان على كلّ جزءٍ أو ورقة أو مدرج توقيعٌ بخطوط العلماء واحدًا إثر واحد، فذكر فيه خطّ من هو، وتحت كلّ توقيع توقيع آخر خمسة أو ستّة من شهادات العلماء على خطوط بعضٍ لبعض، ورأيت في جملتها مُصْحَفًا بخطّ خالد ابن أبي الهياج صاحب عليّ عليه السلام ... ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ورأيت عنده أمانات و عهودًا بخطّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبخطّ غيره من كُتّاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

هكذا كانوا يحتفظون بهذه الآثار المباركة وإلى هذا الحدّ، فكيف يمكن أن يكون

الرّسولﷺ قد كتب سطرًا واحدًا على الأقلّ وإلّا أنّه لم يبق، مع عناية المسلمين العجيبة بحفظ الآثار المباركة؟! فمسألة كتابتهﷺ حتّى في عصر الرّسالة منتفية طبق القرائن والأمارات القطعيّة، أمّا مسألة قراءته في عصر البعثة فلايمكن نفيها جزمًا، وإن كنّا لانملك دليلًا قطعيًّا على قراءته فيه، بل أكثر القرائن تخالف ذلك.

صلح الحُدَيبيّة

هناك حوادث وقعت في حياتهﷺ وهي توضح أنّه لم يكن يكتب أويقرأ حتّى في المدينة المنوّرة، ومنها حادثة الحُدَيبيّة المشهورة الّتي امتلكت أهمّيّتها وشهرتها من نتائجها التّاريخيّة. ورغم أنّ النّقول التّاريخيّة والحديثة مختلفة مع بعضها، فإنّها تساعد إلى حدّ كبير على توضيح الأمر...[ثمّ ذكر قصّة صُلح الحُدَيبيّة، وإن شئت فراجع].

ادّعاء غريب

نشرت بعض المجلّات الإيرانيّة[١] قبل أربع سنوات[٢] مقتطفات من محاضرة ألقيت في أحد المؤتمرات الإسلاميّة في الهند حول الموضوع، من قبل الدُّكتور السّيّد عبداللّطيف الحيدراباديّ رئيس معهد الدّراسات الثّقافيّة حول الهند والشّرق الأدنى، ورئيس أكاديميّة الدّراسات الإسلاميّة في حيدراباد، حيث نشرت بعد ذلك باللّغة الإنجليزيّة، وقد ادّعى الدّكتور المذكور أنّ رسول اللهﷺ كان يقرأ ويكتب حتّى قبل عصر الرّسالة!!

وكان نشر هذه المقتطفات سببًا لهياج خاصّ بين القُرّاء الإيرانيّين، فكثرت التّساؤلات والمراجعات حولها آنذاك، فتحدّثت باختصار يومئذٍ. وها أنا أتعرّض بالتّفصيل لما ذكره إشباعًا للتّوق والتّطلّع نحو الحقيقة من جهة، واهتمامًا بالأمر ـ خصوصًا وهو يصدر عن أمثال الدّكتور السّيّد عبد اللّطيف، ويحوي نقاطًا يبعد صدورها عن محقّق فَذّ ـ من جهة أُخرى.

١ـ مجلّة (روشنفكر) العدد ٨، و١٥ من سنة ٦٤م وغيرها.

٢ـ طبعًا من تأليف الكتاب.

إنّه يدّعي:

١ـ أنّ علّة القول بأنّه ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب ناشئة من خطأ المفسّرين في تفسير كلمة «أُمّيّ» الّتي جاءت في سورة الأعراف، حيث يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ...﴾[1].

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ...﴾[2].

فيرى أنّ المفسّرين فَسَّروا الكلمة بـ(الّذي لا يقرأ ولا يكتب) مع أنّها لا تعني ذلك.

٢ـ أنّه توجد في القرآن الكريم آيات أُخرى يفهم منها ـ بصراحة ـ أنّ رسول الله كان يتقن القراءة والكتابة.

٣ـ وأنّ بعض الأحاديث المعتبرة والمنقولات التّاريخيّة أثبتت بصراحة أنّه يحسنهما.

هذه خلاصة المدّعيات المشار إليها، وسنتعرّض لها فيما يلي بالنّقد والتّمحيص.

[تفنيد المدّعى الأوّل]

هل نشأ اعتقاد عدم تعلّم النّبيّ القراءة والكتابة من تفسير كلمة (أُمّيّ)؟ الواقع أنّ الدّكتور المذكور على خطأ في هذا التّصوّر، وذلك:

أوّلًا ـ لأنّ تاريخ العرب ومكّة حال ظهور الإسلام يشهد على عدم تعلّم النّبيّ قطعًا. فقد أوضحنا فيما سبق الوضع الّذي كانت عليه الكتابة والقراءة في البيئة الحجازيّة آنذاك، حيث كانتا محدودتين لا تشملان إلّا بعض الأفراد الّذين حفظ التّاريخ أسماءهم؛ لندرتهم وشهرتهم، في حين لم يذكر النّبيّ فيهم. وعليه فإنّ المسلمين كانوا سيقولون بأُمّيّة محمّد النّبيّ ﷺ حتّى لو لم يخبرهم القرآن بذلك.

وثانيًا ـ فلأنّه توجد في القرآن آية أُخرى لا تقلّ صراحة عن الآيتين السّالفتين

١ـ الأعراف/١٥٧.

٢ـ الأعراف/١٥٨.

(المذكورة فيهما كلمة أُمّيّ)، بحيث أنّ المفسّرين الّذين اختلفوا في مفهوم كلمة (أُمّيّ) لم يختلفوا في أنّ هذه الآية تدلّ على عدم تعلّم النّبيّ القراءة والكتابة، وهي: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] فهي صريحة في أنّ الرّسول ﷺ لم يكن قبل عصر الرّسالة يقرأ أو يكتب، وهذا ما فهمه عموم المفسّرين المسلمين.

وهنا يقول الدّكتور المذكور: إنّ المفسّرين اشتبهوا أيضًا في تفسير الآية، فإنّ الكتاب هنا هو (الكتب المقدّسة) كالتّوراة والإنجيل، فيكون مضمون الآية: إنّك قبل نزول القرآن لم تكن تعرف أيّ كتاب مقدّس؛ لأنّ الكتاب المقدّس لم يكن باللّغة العربيّة، ولو كنت قرأت هذه الكتب لعدّت موضعًا لشكّ المرتابين وتهمتهم.

ولكن هذا الادّعاء مجانب للواقع؛ إذ الكتاب في اللّغة العربيّة[2] يعني مطلق ما هو مكتوب، سواء كان رسالة أو دفترًا مقدّسًا سماويًّا أو غير سماويّ.

وقد تكرّر استعمال هذه اللّفظة في القرآن الكريم في مختلف الكتابات، فتارةً تستعمل في مورد رسالة بين شخصين، كما جاء في قصّة ملكة سبأ: ﴿يَاءَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ...﴾[3]

وأُخرى في مورد الوثيقة الّتي يكتبها طرفان متعاملان، مثل: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾[4].

وثالثة في مورد الألواح الغيبيّة والحقائق الملكوتيّة الّتي لها تعبير عن الحوادث في هذا العالم مثل: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[5].

نعم، إذا أُضيفت كلمة «أهل» إلى «الكتاب»، فإنّهما تشكّلان اصطلاحًا قرآنيًّا خاصًّا، وأنّ المراد هم أتباع الكتب السّماويّة، فتقول الآية القرآنيّة (١٥٣) من سورة

١ـ العنكبوت/٤٨.

٢ـ خلافًا لما يفهم من هذه اللّفظة في الفارسيّة اليوم.

٣ـ النّمل/٢٩ـ٣٠.

٤ـ النّور/٣٣.

٥ـ الأنعام/٥٩.

النّساء: ﴿يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، وقد تكرّرت كلمة «الكتاب» فيها مرّتين: الأُولى ـ يراد منها «الكتاب السّماويّ» بعد إضافة «أهل» إليها، والثّانية ـ يقصد بها كتابة عاديّة.

هذا بالإضافة إلى وجود جملة ﴿وَلَاتَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ الّتي تشكّل قرينة، على أنّ المراد هو أنّك لم تكن تقرأ أو تكتب، ولو كنت تحسنهما لاتّهموك باستقاء المعلومات من مكان آخر، ولكنّهم لم يجدوا مجالًا لهذا الاتّهام.

أمّا لو كان المراد بـ«الكتاب» الكتب المقدّسة المكتوبة باللّغات الأُخرى، فإنّ معنى الآية سوف يكون «وما كنت تقرأ باللّغات الأُخرى أو تكتب بها». ومن الطّبيعيّ بطلانه؛ لأنّ مجرّد قراءة تلك الكتب بتلك اللّغات كانت كافية لإثبات التّهمة، فيكفي أن يكون صلى الله عليه و آله قادرًا على قراءتها بتلك اللّغات وكتابتها من جديد بلغته العربيّة.

نعم، توجد نكتة هنا، يمكنها أن تؤيّد تفسير الدّكتور المذكور، وإن لم يلتفت إليها لاهو ولاسائر المفسّرين، وهي وجود كلمة (تتلو) المأخوذة من مادّة التّلاوة، وهي ـ كما يقول الرّاغب ـ تختصّ بقراءة الآيات المقدّسة، بخلاف كلمة (تقرأ) الأعمّ منها. وعليه فإنّ المراد من الكتاب هنا هو الكتاب المقدّس؛ لاقترانه بكلمة (تتلو).

إلّا أنّ الظّاهر هو أنّ علّة الإتيان بكلمة (تتلو) ناشئة من كون مورد البحث هنا «القرآن»، فجيء بهذه الكلمة تحقيقًا للمشاكلة، وهي من الصّناعات البديعيّة، فيمكنك أن تقول: «أنت تتلو القرآن فعلًا، ولم تكن تتلو قبله أيّ كتابة أُخرى».

آية أُخرى

وتوجد آية أُخرى تشعر بعدم تعلّم الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله وهي الآية (٥٢) من سورة الشّورى: ﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْك رُوحًا مِنْ اَمْرِنَا مَاكُنْتَ تَدْرِى مَاالْكِتَابُ وَلَا الْاِيمَانُ﴾. فهي تؤكّد على أنّه صلى الله عليه و آله لم يكن يعرف الكتابة قبل نزول الوحي، ولم يذكر الدّكتور هذه الآية، ولعلّه لو كان التفت إليها، لعلّق عليها بأنّ المراد هو الكتاب المقدّس المكتوب باللّغات غير العربيّة، ولكنّا نجيبه بنفس الجواب السّابق.

هذا وقد ذكر المفسّرون هنا ـ لعلّةٍ نجهلها ـ أنّ المقصود بالكتاب هنا هو القـرآن، وعلى هذا التّفسير تخرج هذه الآية عن مورد الاستدلال.

وثالثًا ـ فإنّه لم تكن للمفسّرين المسلمين وجهة نظر واحدة في تفسير كلمة «أُمّيّ»، رغم أنّهم اتّفقوا على أنّه ﷺ لم يكن يحسن القراءة والكتابة قبل عصر الرّسالة، لا بـل أجمع عليه علماء الإسلام، وهو بنفسه دليل قاطع على أنّ منشأ اعتقاد المسلمين عدم إتقانه لهما ليس هو تفسير كلمة «أُمّيّ». وعلى أيّ حال فما هو مفهوم كلمة «أُمّيّ»؟

مفهوم كلمة أُمّيّ

للمفسّرين المسلمين في كلمة «أُمّيّ» ثلاثة تفسيرات:

التّفسير الأوّل ـ غير المتعلّم وغير العارف بالخطّ والكتابة. وتؤيّد الأكثريّة هـذا الرّأي أو ترجّحه على الأقلّ، ويقول المؤيّدون: إنّ الكلمة منسوبة إلى «الأُمّ»، فالأُمّيّ هو الّذي بقي من حيث الاطّلاع على الكتابات والمعلومات الإنسانيّة على الحال الّذي ولدته أُمّه فيه. أو هي منسوبة إلى «الأُمّة» فالأُمّيّ من كان على شاكلة أكثريّة النّـاس، وهـي لاتعرف القراءة والكتابة، في حين أنّ الّذين يعرفونها قليلون، وهكذا يقال عن «العامّيّ» الّذي هو على شاكلة عامّة النّاس[1].

وقال البعض: إنّ أحد معاني الأُمّة هي الخلق، فالأُمّيّ هو الّذي بقي عـلى الخـلقة والحالة الأُولى من عدم المعرفة والاطّلاع، وقد استند هذا البـعض إلى بـيت للأعشـى يوضّح هذا المعنى.

وعلى أيّ حالٍ، فسواء كانت مشتقّة من «أُمّ» أو «أُمّة»، وأيًّا كان معنى «الأُمّة» فإنّها تعني غير الكاتب والقارئ.

التّفسير الثّاني ـ من أهل أُمّ القُرىٰ ومؤيّدوا هذا التّفسير يـنسبون «أُمّـيّ» إلى «أُمّ القُرىٰ» وهي مكّة، فقد جاء في سورة الأنعام، الآية/٩٢ قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ

١ـ المفردات في ذيل كلمة (أُمّ) ومجمع البيان ذيل الآية ٧٨ من سورة البقرة.

وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. وقد ذكرت الكتب القديمة هذا الاحتمال، وأيّدته بعض أحاديث الشّيعة وإن لم تكن معتبرة، كما يقال: إنّ للكلمة جذرًا إسرائيليًّا.

وقد ورد هذا الاحتمال بأدلّة:

الأوّل ـ أنّ كلمة «أُمّ القُرىٰ» ليست عَلَمًا خاصًّا بمكّة، وإن شملت مكّة باعتبارها مركزًا لقُرى حولها؛ إذ أنّ أُمّ القُرى يعني مركز القُرىٰ، فكلّ نقطة تشكّل محورًا لنواحي مختلفة يقال لها: أُمّ القُرى. ويفهم من استعمال آخر لها في القرآن الكريم أنّها مجرّد عنوان وصفيّ لا عَلَميّ، فقد جاء في سورة القصص، الآية/٥٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولًا﴾.

فيعلم منه أنّ كلّ مركز ومجمع يسمّىٰ بـ«أُمّ القرى» في لغة القرآن، وحينئذٍ فلا معنى للنّسبة إلى عنوان وصفيّ.

الثّاني ـ أنّ الكلمة أُطلقت في القرآن على أُناسٍ لم يكونوا مكّيّين، كما في سورة آل عمران، الآية/٢٠ إذ يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاَسْلَمْتُمْ﴾. ومنه يعلم أنّ الكلمة في عرف ذلك اليوم وعصر القرآن كانت تطلق على العرب غير التّابعين لكتاب سماويّ.

و علاوة على ما سبق، فإنّ هذه الكلمة أُطلقت على عوامّ اليهود الّذين لم يكونوا يعرفون شيئًا، رغم أنّهم يُعَدّون من أهل الكتاب، كما جاء في سورة البقرة، الآية/٧٨: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَايَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا اَمَانِىَّ﴾. ومن الواضح أنّ اليهود الّذين أسماهم القرآن بـ«الأُمّيّين» لم يكونوا من أهل مكّة، بل كان غالبهم يسكن المدينة وأطرافها.

الثّالث ـ أنّ القواعد الأدبيّة كانت تقتضي أن يقال: قرويّ، لا «أُمّيّ» لو كانت الكلمة مشتقّة من «أُمّ القرى»، حسب قاعدة النّسبة في علم الصّرف، وهي تقرّر أنّه عند النّسبة إلى المضاف والمضاف إليه، وخصوصًا عندما يكون المضاف هو الأب أو الأُمّ أو البنت، هذه النّسبة تكون إلى المضاف إليه لا إلى المضاف، فنقول في النّسبة إلى (أبي طالب): طالبيّ، وأبي حنيفة: حَنَفيّ، وبني تميم: تميميّ.

التّفسير الثّالث: المشركون العرب الّذين لم يكونوا يتّبعون كتابًا سماويًّا. وقد وجدت هذه النّظريّة قديمًا لدى المفسّرين؛ إذ جاء في مجمع البيان في ذيل الآية/ ٢٠ من سورة آل عمران الّتي تجعل الأُمّيّين في قبال أهل الكتاب، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾. وجاء فيه نسبة هذا الرّأي إلى الصّحابيّ الكبير المفسّر عبد الله بن عبّاس، كما نسب هذا الرّأي إلى أبي عُبَيدة في ذيل الآية / ٧٨ من سورة البقرة.

وقد اختار المرحوم الطّبرسيّ صاحب «مجمع البيان» هذا الرّأي، كما نراه في ذيل الآية/٧٥ من آل عمران، وكذا نجده عند الزّمخشريّ في كشّافه عند الحديث عن هذه الآية والآية/٧٥ من سورة آل عمران. كما أنّ الرّازيّ ينقل هذا الاحتمال في ذيل الآية/٧٨ من البقرة، والآية/ ١٢٠ من آل عمران من تفسيره الكبير.

والواقع أنّ هذا المعنى لا يشكّل معنًى مستقلًّا ثالثًا، بمعنى أنّه لا يسمّي كلّ أُناس لا يتّبعون كتابًا سماويًّا بـ«الأُمّيّين» حتّى ولو كانوا عارفين عالمين. وإنّما أُطلقت على المشركين العرب لجهلهم، فمناط الاستعمال فيهم هو جهلهم بالقراءة والكتابة، لا عدم اتّباعهم لكتاب من الكتب السّماويّة.

ولهذا نجد أنّ هذه الكلمة عندما تأتي بصيغة الجمع وتطلق على مشركي العرب، يأتي فيها هذا الاحتمال، أمّا عندما تستعمل بنحو المفرد وتطلق على النّبيّ ﷺ مثلًا، فإنّه لا يحتمل أيّ مفسّر أنّ المقصود هو بيان عدم اتّباعه لأحد الكتب السّماويّة. وإنّما تردّدوا بين احتمالين: عدم اطّلاعه ﷺ على الخطّ، وكونه من أهل مكّة، ولمّا بطل الاحتمال الأخير، فإنّ إطلاق لفظ الأُمّيّ عليه ليس إلّا لعدم تعلّمه ومعرفته بالخطّ والكتابة.

هذا ويوجد هنا احتمال رابع في مفهوم هذه الكلمة، وهو أنّها تستعمل لتبيّن عدم الاطّلاع على متون الكتاب المقدّس، وهو الاحتمال الّذي اخترعه الدّكتور السّيّد عبد اللّطيف، وخلط بينه وبين المعنى الثّالث الّذي ذكرناه، وقلنا: إنّه كان معروفًا لدى قدماء المفسّرين. فهو يقول: «جاءت كلمتا «أُمّيّ» و«أُمّيّين» في مواضع مختلفة من القرآن، لكنّهما كانتا تفسّران دائمًا وفي أيّ موضع بتفسير واحد. فكلمة «أُمّيّ» في اللّغة أصلًا

بمعنى الطّفل الوليد، وإشارة إلى هذه الحالة الحياتيّة عبّر بهذه الكلمة ـ بمعناها الضّمنيّ ـ عن الشّخص الّذي لايعرف القراءة والكتابة.

وكلمة «أُمّيّ» كذلك تأتي بمعنى من كان يعيش في أُمّ القُرى، أي أُمّ المُدُن أو المدينة الرّئيسيّة المركزيّة. وهي صفة أطلقها أعراب زمن النّبيّ على مكّة، فمن كان من أهل مكّة يُدعى بـ«الأُمّيّ».

والمورد الآخر لاستعمال كلمة «أُمّيّ» هو الشّخص الّذي لم يتعرّف على المتون السّاميّة القديمة، وليس من أتباع الدّيانة اليهوديّة أو المسيحيّة، وهم من أُسموا في القرآن باسم «أهل الكتاب». وقد أُطلقت كلمة «الأُمّيّين» في القرآن على العرب قبل الإسلام باعتبار أنّهم لم يتعرّفوا على كتاب مقدّس، ولم يكونوا في زمرة أتباع التّوراة والإنجيل، فكانوا في قبال «أهل الكتاب».

وإذا كانت لكلمة «أُمّيّ» معانٍ مختلفة، فإنّنا نجهل السّرّ الّذي دفع المفسّرين والمترجمين للقرآن ـ مسلمين أو غير مسلمين ـ إلى التّمسّك بالمعنى الابتدائيّ، أي الطّفل الوليد الّذي لايعلم شيئًا، والتّعبير بذلك عن الّذي لايعرف القراءة والكتابة، وبالتّالي عبّروا عن أهل مكّة قبل الإسلام بـ«الأُمّيّين» أو المجموعة الجاهلة؟!»[١].

نقد هذا الكلام

أوّلًا ـ رأينا ـ أنّ المفسّرين الأوائل فسّروا كلمة «أُمّيّ» و «أُمّيّين» بثلاثة تفسيرات، أو قالوا فيها بثلاثة احتمالات، ولم يتمسّكوا ـ خلافًا لمدّعاه ـ بمعنى واحد.

ثانيًا ـ لم يقل أحد: إنّ كلمة «أُمّيّ» هي بمعنى الطّفل الوليد الّذي لا يعلم شيئًا؛ ليكون معناه الضّمنيّ هو الّذي لايستطيع القراءة والكتابة.

والواقع أنّ هذه الكلمة لاتُطلق أساسًا على الوليد، وإنّما على الكبار الّذين بقوا على الحالة الّتي ولدتهم أُمّهاتهم فيها من هذا الجانب، فإطلاقها على الشّخص هو من باب

١ـ نشرة «كانون سردفتران» سنة ١٩٦٤.

العدم والملكة كما يصطلح عليه علماء المنطق، فلايسمّى (أُمّيًّا) إلّا من كان من شأنه التّعلّم ولم يتعلّم، ولذا نجد المَناطِقَة المسلمين يأتون بها في أمثلة (الملكة وعدمها) في كتب المنطق.

ثالثًا ـ أنّ قوله: «والمورد الآخر لاستعمال كلمة «أُمّيّ» هو الشّخص الّذي لم يتعرّف على المتون السّاميّة القديمة...» غير صحيح؛ إذ الّذي يستفاد من أقوال العلماء المفسّرين واللّغويّين هو أنّ هذه الكلمة عند (الجمع) كانت تطلق على المشركين العرب في قبال أهل الكتاب؛ لأنّهم كانوا غالبًا يجهلون القراءة والكتابة، والظّاهر أنّه كان عنوانًا تحقيريًّا أُعطي لهم من قِبَل اليهود والنّصارى.

ولا يمكن أن نفهم أنّ أُناسًا يوسمون بـ (الأُمّيّين) لأنّهم يجهلون لغة كتاب خاصّ، رغم أنّهم يقرأون و يكتبون بلغتهم الخاصّة مثلًا.

إنّ جذر هذه الكلمة ومصدرها على أيّ حال ـ بناء على هذا التّفسير ـ هو كلمة (أُمّ) أو (أُمّة)، وهما تعطيان معنى البقاء على الحالة الأُولى الّتي كان عليها حين الولادة.

أمّا سبب عدم إرجاع هذه الكلمة إلى (أُمّ القُرى) مع أنّهم يذكرون هذا كاحتمال؛ فإنّما هو للإشكالات العديدة الّتي بيّنّاها. وبعد هذا فلامجال لتعجّب هذا العالم الهنديّ.

وممّا يؤيّد هذا المعنى ما نجده لها من استعمالات في الرّوايات وكتب المؤرّخين، بل لم تستعمل فيها إلّا بهذا المعنى، أي (غير المتعلّم).

ففي بحار الأنوار ١٦: ١١٩ جاءت رواية عن النّبيّ ﷺ يقول فيها: نحن أُمّة أُمّيّة لانقرأ ولانكتب».

ويكتب ابن خَلّكان في ج ٤ من تاريخه في ذيل أحوال محمّد بن عبد الملك المعروف بابن الزّيّات وزير المعتصم والمتوكّل: وكان في أوّل مرّة من جملة الكُتّاب، وكان أحمد بن عَمّار بن شاذي البَصْريّ وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العُمّال، فقرأه الوزير عليه، وكان في ذلك الكتاب ذكر (الكلأ)، فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: خليفة أُمّيّ، ووزير

عاميّ، وكان المعتصم ضعيف الكتابة؛ ثمّ قال: أبصروا من بالباب، فوجدوا محمّد بن الزّيّات المذكور فأدخلوه إليه، فقال: ما الكلأ؟ فقال: الكلأ العشب على الإطلاق، فإن كان رطبًا فهو الخلأ، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النّبات... فعلم المعتصم فضله، فاستوزره وحكّمه وبسط يده»[١].

تفنيد المدّعى الثّاني

يدّعي الدّكتور المذكور أنّه يستفاد بصراحة من آيات القرآن أنّ النّبيّ كان يقرأ ويكتب، ومنها الآية/١٦٤ من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

فيقول الدّكتور بهذا الصّدد: «وبناءً على ما صرَّح به القرآن؛ فإنّ أوّل واجبات النّبيّ هو تعليم القرآن لأتباعه؛ ومن المسلّم به أنّ أقلّ مايتطلّب في من يراد له أن يعلّم كتابًا أو محتويات كتاب ما للآخرين هو ـ كما صرّح به القرآن نفسه ـ أن يستطيع استعمال القلم أو قراءة ماكتب بالقلم على الأقلّ».

وهذا الاستدلال عجيب ـ كما يبدو ـ وذلك:

أوّلاً ـ لأنّ ما اتّفق عليه المسلمون ومايريد الدّكتور لينفيه هو أنّ النّبيّ الأكرم قبل الرّسالة لم يكن ليكتب أو يقرأ؛ في حين أنّ أقصى مايتصوّر لهذا الاستدلال من نتيجة هي أنّه كان يحسنهما في عصر الرّسالة، كما اعتقد ذلك السّيّد المرتضى والشّعبيّ وجماعة آخرون، فلايثبت بهذا مدّعى الدّكتور.

وثانيًا ـ لأنّ هذا الاستدلال لا يتمّ حتّى بالنّسبة إلى عصر الرّسالة. وتوضيح الأمر أنّ التّعليمات المعطاة هي على نمطين:

فالنّمط الأوّل: تعليمات من قبيل تعليم الكتابة والقراءة والرّياضيّات و أمثالها،

١ـ وفيات الأعيان ط ١٣١٠.

وفيها يحتاج المعلّم إلى القلم والقرطاس ووسائل التّوضيح والسَّبُّورة وأمثالها، بالإضافة إلى قيام المعلّم بنفس العمل لتحقيق التّعليم المطلوب.

أمّا النّمط الثّاني: من قبيل الحكمة والفلسفة والأخلاق والحلال والحرام وهو عمل الأنبياء، فلا يحتاج مطلقًا إلى قلم وقرطاس ورسم وسَبّورة. ومن هنا رأينا الحكماء المشّائين سمُّوا بذلك لأنّ المعلّم منهم كان يعلّم تلامذته أثناء مشيه، نعم قد يكون من اللّازم للتّلاميذ أن يعرفوا الكتابة ليدوّنوا مايلقى عليهم لئلّا تناله يد النّسيان، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي أصحابه بالضّبط و التّقييد ويقول: «قيّدوا العلم»، وعندما يتساءلون عن كيفيّة تقييده يأمرهم بالكتابة[1].

ويقول: «نضّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها[2]». وهناك حديث يترحّم فيه الرّسول صلى الله عليه وآله على خلفائه، وعندما يتساءل المسلمون عن خلفائه هؤلاء من هم؟ يجيبهم بأنّهم الّذين يأتون من بعده، يأخذون سنّته ويعلّمونها الآخرين[3].
ويقول صلى الله عليه وآله: من حقّ الولد على الوالد أن يحسّن اسمه، وأن يعلّمه الكتابة، وأن يزوّجه إذا بلغ.

وهذا القرآن الكريم يقول بكلّ صراحة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[4]. ولهذا وجدنا المسلمين اتّجهوا لتعلّم الكتابة والقراءة كصناعة مباركة، إطاعة لأوامر قرآنهم ونبيّهم صلى الله عليه وآله، وحفظًا لآثارهم الدّينيّة، وأداءً لحقوق أولادهم وتنظيم أُمور معاشهم. فوجدت في التّاريخ نهضة الحرف والقلم، تلك النّهضة الّتي صنعت من أُناس ـ يعدّ قارئوهم بالأصابع ـ أُناسًا يعبّون العلوم وينشرون القراءة والكتابة، حتّى أنّ البعض منهم تعلّم عدّة لغات، استطاع من خلالها أن يوصل صوت الإسلام ورسالته إلى أنحاء العالم.

١ـ بحار الأنوار ٢: ١٥١.
٢ـ الكافي ١: ٤٠٣.
٣ـ بحار الأنوار ٢: ١٤٤.
٤ـ البقرة/ ٢٨٢.

وكُتُب التّاريخ تحدّثنا أنّ أسرى بَدْر كان بعضهم يُطْلق سراحه لأنّه فقير، في حين كان النّبيّ الأكرم يعقد مع من يعرف منهم الخطّ عقدًا، يقوم كلّ منهم بموجبه بتعليم عشرة من أطفال المدينة القراءة والكتابة ليتحرّروا بعد ذلك[١].

نعم اهتمّ النّبيّ ﷺ إلى هذا الحدّ بإشاعة هذه الصّنعة بين المسلمين واندفاعهم نحو العلم والمعرفة، ولكن كلّ هذا لا يوجب البتّة أن يكون شخص النّبيّ ﷺ محتاجًا إلى الاستفادة في مجال تعليمه وتبليغه من القراءة والكتابة[٢].

يقول السّيّد عبد اللّطيف: «إنّ الله يذكر القلم والكتاب في أوّل سورة قرآنيّة، ألّا يشكّل هذا دليلًا واضحًا وصريحًا على أنّ النّبيّ ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؟...وهل يمكن أن يشوّق النّبيّ ﷺ النّاس إلى العلم والمعرفة والكتابة، وهو لا يعتني بقراءته وكتابته مع أنّه كان في الطّليعة في كلّ المجالات؟

وهذا استدلال عجيب أيضًا...

فطبيعيّ ـ عبر هذه الآيات ـ أن يعلم الله منزلها على عبده لهداية عباده، وأن يعلم النّبيّ الّذي أُنزلت هذه على قلبه المقدّس قيمة الكتابة والقراءة في حياة الإنسان، ولكن هذا لا يشكّل أيّ دليل على أنّ الله تعالى كان يستعمل القراءة والكتابة والقلم والقرطاس، وكذا الرّسول الأكرم ﷺ.

أمّا مسألة: كيف يأمر النّبيّ ﷺ ولا يعمل هو بما يأمر؟ فهي تمامًا مثل التّساؤل القائل: كيف لا يعمل الطّبيب بالنّسخة الّتي يكتبها لمريضه؟ نعم إذا تمرّض الطّبيب عمل بها بعد أن وجدت نفس الضّرورة عنده، بل كان أولى من غيره بالعمل به. ولكن هل يلزمه أن يعمل بما يكتبه لمرضاه حتّى لو لم يكن مريضًا مثلهم؟!

وهنا يجب أن نلاحظ مدى إحساس النّبيّ ﷺ بالضّرورة الّتي يحسّها غيره من حيث الكتابة والقراءة؛ لتشكّل معرفتهم له كمالًا، وفقدانهم لها نقصًا.

١ـ وسائل الشّيعة ٣: ١٣٤.

٢ـ تاريخ الخميس للدّيار بكريّ ١: ٣٩٥، والسّيرة الحلبيّة ٢: ٢٠٤.

إنّ الرّسولﷺ كان طليعيًّا في مجالات العبادة والتّضحية والتّقوى والصّدق والحسن وحسن الخُلْق والشّورى والتّواضع وسائر الأخلاق والآداب الحسنة؛ لأنّها كلّها تعدّ كمالاً له، في حين يعدّ فقدانها نقصًا، ولكن موضوع القراءة والكتابة ليس من هذا القبيل.

إنّ قيمة القراءة والكتابة الأساسيّة لهذه الإنسانيّة تكمن فيما تؤدّيانه من خدمات؛ إذ توصلان الإنسان إلى معرفة مايدور في خلد غيره، وتساعدانه على أن ينقل مايدور في خلده إلى الغير، ذلك أنّ الخطوط رموز وعلامات يتّفق عليها البشر لتفهيم أفكارهم ومقاصدهم، والتّعرّف على الخطوط وسيلة لنقل المعلومات من فرد إلى آخر، وشعب إلى آخر، ونسل إلى آخر وبهذا يحفظ الإنسان معلوماته من الفناء والنّسيان، وعليه فامتلاك القدرة على الكتابة والقراءة هو بمنزلة معرفة لغة ما، وبالمقدار الّذي يتعرّف فيه الإنسان على لغات أكثر فإنّه يمتلك وسائل أكبر لكسب المعلومات الإنسانيّة.

ومن هنا نعرف أنّ معرفة اللّغة والقراءة والكتابة ليست علمًا بالمعنى الواقعيّ، وإن كانت تشكّل مفتاح العلوم، فالعلم هو إدراك إنسانيّ لحقيقة وقانون واقعيّ، وذلك كما ندركه في العلوم الطّبيعيّة والمنطق والرّياضيّات، حيث يكتشف فيها الإنسان روابط واقعيّة تكوينيّة وعلّيّة ومعلوليّة بين الأشياء الخارجيّة أو الذّهنيّة.

أمّا معرفة اللّغة وقواعدها وأمثال ذلك فليست هي بعلم؛ إذ لاتجعلنا ندرك رابطة واقعيّة بين الأشياء، فما هي إلّا سلسلة أُمور وضعيّة تعاقديّة اعتباريّة لاتتجاوز الفرض والاتّفاق، تشكّل معرفتها مفتاحًا للعلم لا نفس العلم.

نعم رُبّما تحدث على صعيد هذه الأُمور الوضعيّة ظواهر واقعيّة من قبيل تطوّر اللّغات وتركيباتها الّتي تعبّر عن تكامل الأفكار وتحدث طبق قانون طبيعيّ. وبالتّالي تكون معرفة مثل هذه القوانين الطّبيعيّة من الفلسفة والعلم. إذن فقيمة القراءة والكتابة تكمن في أن يمتلك الإنسان بيده مفاتيح علوم الآخرين.

ولكن هل ينحصر طريق المعرفة وكسب العلم بهذا السّبيل، أي سبيل امتلاك الإنسان لهذا المفتاح الّذي له فتح مغاليق علوم الآخرين والاستفادة من كنوزها؟ وهل

على النّبيّ أيضًا أن يستفيد من علوم النّاس؟ ولو كان الأمر كذلك فأين نضع النّبوغ والابتكار؟ وأين الإشراق والإلهام؟ وأين التّعلّم المباشر من الطّبيعة؟ إنّ الحقيقة تقول: إنّ التّعلّم عبر الكتابة والقراءة هو من أردأ أساليب التّعلّم؛ لأنّ كتابات البشر تختلط فيها الحقائق بالأوهام، بالإضافة إلى أنّ المتعلّم عبرهما (أي القراءة والكتابة) يمتلك حالة تلقٍّ كامل دون أن يتدخّل ويتفاعل مع عمليّة التّعلّم. وممّا ينقل عن ديكارت الفيلسوف الفَرَنسيّ المعروف أنّه نشر سلسلة مقالات هامّة أدّت إلى أن يذيع صيته في الآفاق ويعجب الجميع بأحاديثه المجدّدة. وكان أحد المعجبين بمقالاته قد ظنّ ـ كما ظنّ الدّكتور السّيّد عبداللّطيف ـ أنّ ديكارت يجلس على كنز من النّسخ والكتب العلميّة فيستقي معلوماته منه، فذهب إلى لقائه وطلب منه أن يريه مكتبته، فذهب به ديكارت إلى مكان كان قد شرّح فيه جثّة عِجْل، وأراه ذلك العِجْل وبادره قائلًا: «هذه مكتبتي، لقد استقيت معلوماتي منها»!وقد كان المرحوم السّيّد جمال‌الدّين الأسداباديّ يقول: «إنّي لأعجب من بعض الأشخاص الّذين يقضون عمرهم وهم يقرأون كتب وكتابات أُناس مثلهم على ضوء مصباح، ألم يخطر في بالهم يومًا أن يطالعوا المصباح نفسه؟ فهم لو تأمّلوا المصباح في إحدى اللّيالي وأغلقوا الكتاب، فسوف يحصلون على معلومات أوفر وأوسع.

نعم ليس هناك من أحد دخل الحياة الدّنيا عالمًا، وكلّ النّاس أوّل الأمر جهّال ثمّ يتعلّمون شيئًا فشيئًا.

وكلّ شخص ـ ما عدا الله تعالى ـ جاهل في ذاته، ثمّ يصبح عالمًا بمقتضى القُوى والأسباب الأُخرى. وكلّ إنسان يحتاج إلى معلّم، أي إلى قوّة تلهمه؛ يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1].

لكنّ الكلام كلّه في المعلّم ومن يجب أن يكون؟

وهل يجب أن يستقي الإنسان معلوماته من إنسان آخر، وحينئذٍ فلا مناص من أن

١ـ الضّحى /٦ـ٨.

يمتلك بيده مفتاح علوم الآخرين، أي القراءة والكتابة؟ أليس في مقدور الإنسان أن يبتكر؟ أليس بقادر على مطالعة كتاب الخلقة والطّبيعة ـ في عزلة عن الآخرين ـ؟ ألا يمتلك سبيل الاتّصال بالغيب والملكوت فيكون الله تعالى معلّمه وهاديه مباشرة؟

إنّ القرآن الكريم يقول عن النّبيّ ﷺ في سورة النّجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[1]. ويقوم الإمام عليّ عليه السلام فيه ﷺ:

«ولقد قرن الله به منذ كان فطيمًا أعظم مَلَك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم»[2].

وللمثنويّ الشّاعر الفارسيّ الكبير أبيات حول الموضوع... [ثمّ ذكر قول ابن خَلْدون في نشوء الخطّ والكتابة، كما سيأتي عنه في باب رسم الخطّ].

مقطع قرآنيّ آخر...

والمقطع القرآنيّ الآخر الّذي يستند إليه الدّكتور المذكور هو الآيتان ٣و٤ من سورة البيّنة حيث يقول: «ومن أشدّ ما يدعو إلى العجب أن لا يلتفت المترجمون والمفسّرون إلى هذه الآية الّتي تصف النّبيّ ﷺ بأنّه ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[3]. ويلاحظ هنا أنّه تعالى لم يقل في هذه الآيات: إنّ الرّسول يقرأ الصُّحُف وهي منشورة أمامه».

ولمعرفة الجواب عن هذا الاستدلال ينبغي معرفة مدلول كلمتَيْ «يتلو» و«صُحُفًا».

أمّا الصّحيفة فهي بمعنى (الورقة)، والصُّحُف جمع صحيفة، فمعنى الآية ـ بالإضافة إلى الجملة الّتي تليها وهي: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[4] ـ هو أنّ النّبيّ ﷺ يقرأ للنّاس أوراقًا طاهرة منزّهة فيها كتابات قيّمة. والمقصود بهذه الصُّحُف تلك الأشياء الّتي كان القرآن الكريم يكتب عليها، فهي تعني إذن أنّ النّبيّ يقرأ القرآن للنّاس.

١ـ النّجم/٣ـ٥.
٢ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.
٣ـ البيّنة/٢.
٤ـ البيّنة/٣.

أمّا كلمة «يتلو» فهي من مادّة (التّلاوة)، ولم نعثر على أيّ مستند يفسّر التّلاوة بالقراءة من ورقة، وإنّما الّذي يستفاد من كلمات اللّغويّين ومراجعة موارد استعمال كلمتَيْ (القراءة) و (التّلاوة) هو أنّه ليس كلّ تكلّم يُسمّى قراءة أو تلاوة، وإنّما التّكلّم بأحدهما إذا كان عن متنٍ، سواءً كان ذلك المتن يقرأ من ورقة أو عن ظهر قلب. فقراءة القرآن هي قراءة وتلاوة، سواء كانت بالنّظر إلى القرآن المطبوع أو عن حفظ مع وجود تفاوت بين هاتين الكلمتين. فالتّلاوة تختصّ بقراءة متن مقدّس، ولكنّ القراءة أعمّ منها، فيصحّ أن تقول: قرأت كتاب المنطق، ولا يصحّ أن تقول: تلوته.

وعلى أيّ حال فإنّ عنصر القراءة من متن مكتوب ليس دخيلًا في مفهوم القراءة ولا مفهوم التّلاوة. وعلى هذا ؛ فإنّ الآية السّابقة لاتقول بأكثر من أنّ النّبيّ ﷺ كان يتلو القرآن المكتوب على صفحات للنّاس.

والواقع أنّ لنا أن نتسائل: لماذا يجب أن نفترض النّبيّ محتاجًا في تلاوة آيات القرآن إلى النّظر إلى مخطوط أمامه؟

إنّنا نعلم أنّ النّبيّ ﷺ كان يحفظ القرآن مثل ما كان يحفظه المئات من المسلمين، ولقد ضمن القرآن له ذلك في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسىٰ﴾[1].

إلى هنا عرفنا أنّه لايستفاد من أيّ من آيات القرآن وبأيّ وجه أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ ويكتب، بل يستفاد منها عكس ذلك. وحتّى لو فرضنا أنّها تفيد أنّه ﷺ كان يقرأ ويكتب، فإنّ ذلك يبقى مرتبطًا بعصر الرّسالة في حين أنّ الدّكتور المذكور يدّعي أنّ رسول الله ﷺ كان يحسنهما قبل رسالته أيضًا.

تفنيد المدّعى الثّالث

يدّعي الدّكتور السيّد عبد اللّطيف أنّه يمكن استفادة مدّعاه من الأحاديث والتّواريخ، ويذكر في هذا الصّدد حادثتين؛

ـــــــــــــــ

١ـ الأعلى/٦.

الحادثة الأُولى: أنّ البخاريّ يذكر ضمن الأخبار المذكورة في كتاب العلم أنّ رسول الله ﷺ أعطى مرّة رسالة سرّيّة لصهره عليّ عليه السلام وأوصاه بالخصوص أن لا يفتحها، وإن كان عليه أن يحفظ اسم من أرسلت إليه فيوصلها إليه. وإذا كان النّبيّ ﷺ يعطي عليًّا رسالة بهذا القدر من السّرّيّة، بحيث لا يعلم بمضمونها حتّى عليّ عليه السلام صهره وموضع ثقته، فمن يستطيع أن يكون كتبها غير شخص النّبيّ ﷺ؟ هذه هي الحادثة الأُولى.

وممّا يؤسف له أن توجد رسالة في صحيح البخاريّ من هذا القبيل، ولكنّها لا تذكر أنّ حامل الرّسالة هو عليّ عليه السلام، وبهذا ينهار استدلال الدّكتور؛ لأنّه يرتكز على شخصيّة عليّ؛ وأنّ إخفاء الرّسالة عنه لا يعني إلّا أن يكون الكاتب هو النّبيّ ﷺ...

يقول البخاريّ: «واحتجّ بعض أهالي الحجاز في المناولة بحديث النّبيّ ﷺ، حيث كتب لأمير السّريّة كتابًا وقال: لا تقرأه حتّى تبلغ مكان كذا وكذا؛ فلمّا بلغ ذلك المكان قرأه على النّاس وأخبرهم بأمر النّبيّ ﷺ»[1].

ولكنّه لا يقول: إنّ أميرهم هو عليّ، ومن مضمون الرّواية يعلم أنّ من كان سيفتحها هو حاملها لا شخص ثالث، كما ظنّ السّيّد عبد اللّطيف.

والّذي ذكره البخاريّ يرتبط بقصّة «بطن النّخلة» الّتي ذكرتها كتب السِّيَر والتّاريخ.

فقد ذكر ابن هِشام[2] تحت عنوان «سريّة عبد الله بن جَحْش»، أنّ حامل الرّسالة هو عبد الله بن جَحْش؛ إذ أمره ﷺ أن يفتحها بعد مسير يومين ثمّ يعمل بمضمونها، وقد نُقِل هذا في بحار الأنوار[3] أيضًا.

ويصرّح الواقديّ في مغازيه: بأنّ كاتب الرّسالة هو أُبيّ بن كعب لا الرّسول ﷺ فيقول: «قالوا: قال عبد الله بن جَحْش: دعاني رسول الله ﷺ حين صلّى العشاء، فقال: وافِ مع الصّبح، معك سلاحك، أبعثك وجهًا. قال: فوافيت الصّبح وعليّ سيفي وقوسي وجَعبتي ومعي دَرْقَتي، فصلّى النّبيّ ﷺ بالنّاس الصّبح ثمّ انصرف، فيجدني قد سبقته

١ـ صحيح البخاريّ باب العلم ١: ٢٥.

٢ـ سيرة ابن هِشام: ١: ٦٠١.

٣ـ بحار الأنوار الباب ٣٨، من الطّبعة القديمة ١٦: ٥٧٥.

واقفًا عند بابه، وأجد نفرًا معي من قريش، فدعا رسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب فدخل عليه، فأمره رسول الله ﷺ وكتب كتابًا، ثمّ دعاني وأعطاني صحيفة من أديم خولانيّ، فقال: قد استعملتك على هؤلاء النّفر، فامضِ حتّى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي، ثمّ امض لما فيه، قلت: يارسول الله أيّ ناحية؟ فقال: اسلك النّجديّة، تئومّ ركيّة. قال: فانطلق حتّى إذا كان ببئر ابن ضميرة، نشر الكتاب وقرأه، فإذا فيه: سِرْ حتّى تأتي بطن النّخلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهنّ أحدًا من أصحابك على المسير معك، وامضِ لأمري فيمن تبعك حتّى تأتي بطن نخلة، فترصّد بها عير قُريشٍ. فلمّا قرأ عليهم الكتاب، قال: لست مستكرهًا منكم أحدًا، فمن كان يريد منكم الشّهادة فليمض لأمر رسول الله ﷺ، ومن أراد الرّجعة، فمن الآن، فقالوا أجمعون: نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك»[١].

والحادثة الثّانية: الّتي يستند إليها هي حادثة الحُدَيبيّة، فيقول: «وكما ينقل البخاريّ وابن هِشام فإنّ النّبيّ أمسك ورقة العهد وكتب بيده».

وجوابه:

أوّلًا ـ أنّ البخاريّ ذكر هذا في إحدى الرّوايات، ولكنّه ذكر في رواية أُخرى مايخالفه. وقد أجمع علماء السّنّة تقريبًا على أنّه، وإن كان ظاهر عبارة البخاريّ يوهم أنّ الرّسول الأكرم ﷺ هو الكاتب، ولكن مقصود الرّاوي لم يكن ذلك.

وهكذا نجد صاحب السّيرة الحلبيّة بعد أن يذكر ـ وفق العادة ـ الحادثة ويؤكّد أنّ النّبيّ الأكرم ﷺ استعان بعليّ لمحو الكلمة، ينقل رواية البخاريّ ويؤكّد أنّ البعض ادّعى أنّ هذا من إعجاز النّبيّ. ولكنّه يعقّب على هذا القول بأنّ البعض قالوا بعدم اعتبار هذه الرّواية بهذا النّحو عند أهل العلم، وأنّ المقصود هو أنّ النّبيّ أمر بالكتابة لا أنّه كتب بنفسه.

أمّا سيرة ابن هِشام فليس فيها ذلك، ونحن لاندري لماذا نسب الدّكتور إليها ذلك؟[٢]

وقد ألمحنا سابقًا إلى أنّ المستفاد من أكثر النّقول التّاريخيّة هو أنّ كلّ ماكتب كان بيد

١ـ مغازي الواقديّ ١: ١٣ ـ ١٤.

٢ـ السّيرة الحلبيّة ٣: ص غ ٢.

عليّ عليه السلام ، نعم يستفاد من عبارة الطّبريّ وابن الأثير أنّ النّبيّ رغم أنّه لم يكن يكتب رفع العهد وكتب الكلمة بيده.

وعلى أيّ فإنّ أقصى ما يثبته هذا الاستدلال هو أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كتب مرّة أو مرّتين في عصر رسالته، في حين أنّ مصبّ بحثنا هو عصر ما قبل الرّسالة.

في مطلع هذا الحديث، قلنا: إنّ أعداء النّبيّ والإسلام آنذاك اتّهموه بالأخذ من أفواه الآخرين، ولكنّهم لم يتّهموه قطّ بأنّه كان يعرف القراءة والكتابة، فكان يستقي من كتب مذخورة لديه.

ويمكن أن ينبري أحد فيقول: إنّهم اتّهموه بذلك أيضًا، كما يعكس ذلك القرآن نفسه حين يقول: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1].

ولكنّ الجواب ـ بالإضافة إلى أنّ اتّهاماتهم كانت تنطلق من تعصّب وشعور بالحقارة، وهو ما يسمّيه القرآن بالظّلم والزّور ـ هو أنّ الآية ليست صريحة في ادّعاء أنّ النّبيّ كان يكتب بنفسه؛ إذ أنّ كلمة الاكتتاب تأتي بمعنى الكتابة، وبمعنى طلب الكتابة، أي الطّلب إلى شخص آخر أن يكتب له. وإنّ ذيل الآية قرينة بأنّ المقصود هو المعنى الثّاني.

فمضمون الآية هو أنّهم قالوا: إنّها أساطير الأوّلين كتبها (أو كتبها الآخرون له)، وهي تقرأ عليه في كلّ بكرة وأصيل.

وقد ذكر الاكتتاب بصيغة الماضي، والإملاء بصيغة المضارع المستمرّ ممّا يعني أنّ تلك الأُمور الّتي اكتتبها سابقًا يتلوها عليه الآخرون العارفون بالقراءة صباحًا ومساءً، فيتعلّم منها ويحفظ.

وإذا افترضنا أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يعرف القراءة، فما الدّاعي إلى قولهم بأنّ الآخرين كانوا يتلونها عليه في كلّ صباح ومساء، فيتعلّم منهم ويحفظ؟ بل كان يمكن أن يكتفوا بالقول: إنّه يراجع ويحفظ.

١ـ الفرقان /٥.

إذن؛ فحتّى الكافرين والّذين اتّهموا النّبيّ ﷺ بشتّى التّهم لم يكونوا يتورّعون عن أيّ منها...فوصفوه بالجنون والسّحر، والسّماع الشّفهيّ من أفواه الآخرين...حتّى هؤلاء لم يكونوا يستطيعون اتّهامه بأنّه يعرف القراءة والكتابة، فيقرأ عليهم محتويات الكتب الأُخرى وينسبها إلى نفسه.

النّتيجة النّهائيّة

إنّه من خلال حكم التّاريخ القطعيّ وبشهادة القرآن وبحكم القرائن التّاريخيّة الكثيرة نعلم أنّ لَوح ضمير النّبيّ كان مبرّءًا من التّعلّم من بشر. إنّه لم يتعلّم إلّا في ظلّ تعليم إلٰهيّ. ولم يَسْتَقِ إلّا من الحقّ ـ تعالى ـ إنّه زَهرة لم ترعَها إلّا يد الواجب جلّ وعلا. وأنّه رغم عدم تعامله مع القلم والقرطاس والحِبْر والقراءة والكتابة، رغم ذلك يقسم كتابه المقدّس بالقلم وآثاره كأمر مقدّس ﴿نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1]. ويؤمر بالقراءة في أوّل رسالة إلٰهيّة إليه وعبّر عن صناعة استعمال القلم بأنّها أعظم نعمة تأتي بعد نعمة الخلق ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾[2].

وهكذا رأينا ذلك الإنسان الّذي لم يمسك بقلم قطّ، رأيناه عند دخوله المدينة يبعث نهضة القلم، رأينا ذلك الإنسان الّذي لم ير معلّمًا قطّ ولم يدخل جامعة أبدًا، يعلّم الإنسانيّة وينشئ الجامعات والجامعات عبر التّاريخ.

وقال الإمام الرّضا عليه السلام ـ في حواره مع أهل الأديان ـ لرأس الجالوت: «وكذلك أمر محمّد ﷺ وما جاء به كلّ رسول بعثه الله، ومن آياته أنّه كان يتيمًا فقيرًا راعيًا أجيرًا، لم يتعلّم كتابًا، ولم يختلف إلى معلّم، ثمّ جاء بالقرآن الّذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفًا حرفًا، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة...»[3].

١ـ القلم / ١.

٢ـ العلق /١.

٣ـ عيون أخبار الرّضا: ١٣٦.

إنّ الظّاهرة الّتي أثارت إعجاب الجميع وكشفت أكثر من غيرها عن عظمة القرآن الكريم، وكونه كتابًا سماويًّا حقًّا هي أنّ هذا الكتاب العظيم بكلّ معارفه، في مجالات المبدأ الأوّل والمعاد وتصوّراته عن الإنسان والأخلاق والقانون والقصص والعبر والمواعظ، وبكلّ جماله وفصاحته، هذا الكتاب جرى على لسان رجل أُمّيّ لم يدخل أيّ جامعة، ولم يقابل أيّ عالم من علماء العالم، ولم يقرأ حتّى كتابًا بسيطًا من كتب عصره.

إنّ الآية والمعجزة الّتي أجراها الله تعالى على يد آخر أنبيائه هي معجزة كتابيّة بلاغيّة حديثيّة، ترتبط بالفكر والإحساس والضّمير، وقد أثبتت هذه المعجزة وهذا الكتاب قدرته المعنويّة الخارقة عبر العصور، فلايبليه الزّمان. لقد جذب الملايين من القلوب، ويجذب كلّ حين بعد أن كان يموج بالطّاقة الحيويّة المحرّكة، فما أكثر العقول الّتي بعثها على التّفكير! وما أكثر القلوب الّتي أفاضها بالذّوق والشّوق المعنويّيْن! وكم غذّى طيور السّحر وإحياءه بالغذاء المعنويّ! وما أكثر الدّموع الّتي أجراها على الخدود حبًّا وخوفًا لله تعالى في أعماق السّحر وأواسط اللّيل! وكم أُطلق من أُمم من عقال الاستعمار والاستبداد والظّلم!

نعم...إنّ العناية الإلهيّة الّتي شاءت أن تثبت إعجاز القرآن أكثر فأكثر أُنزلت هذا القرآن على عبدٍ يتيمٍ راعٍ يجوب الصّحراء، أُمّيّ لم يدخل مكتب تعليم أبدًا. ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]. (٦ ـ ٦٣)

١ـ الحديد/٢١.

الفصل الثّاني عشر

نصّ الدّكتور راميار (م: ١٤٠٥) في «تاريخ القرآن»

كُتّاب الوحي

بذل النّبيّ ﷺ في كتابة الوحي وُسْعه، و حضّ جميع المسلمين على القراءة والكتابة، ولا سيّما في كتابة الوحي، فقد صرف في هذا الأمر بالغ عنايته. و قيل: لم يحسن القراءة والكتابة في أوائل البعثة من قريش سوى سبعة عشر رجلاً[١]، وكان الأمر أشدّ وطأةً في المدينة.[٢] ولكنّ تشجيع الرّسول و تشويقه أدّى إلى أن يبلغ عدد كُتّاب الوحي أكثر من أربعين كاتبًا، إضافة إلى أنّ من كان تعلّم الكتابة لم يحسب في عداد هؤلاء.

و هناك اختلاف كبير في عدد كُتّاب الوحي أيضًا، إذ ذكر الحافظ ابن عَسَاكِر المتوفّى عام(٥٧١) ه، في تاريخ دمشق ٢٣ كاتبًا، و ذكر أبو شامَة في خلاصة هذا الكتاب[٣] اسم ٢٥ كاتبًا[٤]، و ذكر ابن عبد البِرّ نفس هذا العدد أيضًا،[٥] و ذكر الشَّبْرا مَلِّسِيّ المتوفّى عام(١٠٨٧) ه، عددًا يبلغ الأربعين[٦]، كما أنّ الحافظ العراقيّ المتوفّى عام (٨٠٦) ه، قد

---

١ ـ فتوح البُلدان للبَلاذُريّ: ٤٥٧؛ العقد الفريد: ٢: ٣؛ الإسلام والحضارة العربيّة لمحمّد كُرد عليّ: ١٢٤؛ بلوغ الأرَب للآلوسيّ ٣: ٣٧٠، كما ردّ فريق آخر هذا القول، و منهم عزّة دروزة في «عصر النّبيّ محمّد»: ٤٤٨.

٢ ـ ذكر البَلاذُريّ، ١١ رجلاً نقلاً عن الواقديّ، منهم زيد بن ثابت، و لم يذكره في عداد من كان يقرأ و يكتب في الجاهليّة. فتوح البُلدان: ٤٥٩.

٣ ـ قال أبو شامَة في كتاب الرّوضتين ١: ٥، «كان هذا الكتاب، ٨٠٠ جزء في ٨٠ مجلّدًا، فاختصرته و هذّبته وأضفت إليه فوائد كثيرة». انظر كتاب المرشد الوجيز ـ الهامش: ٢ من الصّفحة: ٤٦.

٤ ـ أبو شامَة: ٤٦.

٥ ـ الاستيعاب ـ ترجمة زيد بن ثابت.

٦ ـ حاشية كتاب القضاء على المنهج في فقه الشّافعيّ نقلاً عن الكتّانيّ ١: ١١٥.

ذكر قبله ٤٢ كاتبًا في منظومته[١]، و ذكر برهان الحلبيّ في حواشي الشّفاء ٤٣ كاتبًا[٢]، و روى المجتهد الزّنجانيّ نفس العدد أيضًا.[٣]

ومن المستشرقين الّذين تكلّموا في هذا المضمار «بلاشر» الفرنسيّ، قال: يصل عدد كُتّاب الوحي إلى أربعين كاتبًا[٤]، و قارن «كازانوا» بين خمسة فهارس سَرَدَها ابن سعد والطّبريّ و النَّوَويّ والحلبيّ و ديار بكريّ[٥]، إلّا أنّ ذلك ليس كافيًا برأي «بلاشر»، و ترى أن يضاف إليها فهرس للسّيوطيّ أيضًا[٦]، بيد أنّه يلزم في الحقيقة دراسة مكثّفة في المصادر للبتّ في وجهات النّظر[٧]. و تكمن المسألة الرّئيسيّة لكتابة الوحي في فترة إقامة رسول الله في مكّة، إذ لو قارنّا الآيات المكّيّة والمدنيّة في (١١٤) سورة، (٨٦) سورة نزلت في مكّة، أو في (٦٢٣٦) آية، نجد (١٦٠٠) آية مدنيّة تقريبًا، أي أكثر من ربع الآيات بقليل، ولا يخفى أنّ الآيات المكّيّة أقصر، و لذا نرى حينما نعدّ الألفاظ أنّ أكثر من ثلث القرآن بقليل نزل في المدينة، و أنّ ثلثيه تقريبًا نزل في مكّة. و على ذلك فإنّ خُطُورة كُتّاب الوحي تتّضح أكثر في مكّة، ولا سيّما أنّ النّبيّ كان مدّة نزول الوحي في مكّة معتصمًا بدارالأرقم أو محاصرًا في شِعْب أبي طالب، إضافة إلى أنّ معلوماتنا عن العصر

---

١ ـ التّراتيب الإداريّة للكتّانيّ ١: ١١٦ـ١١٧. و ينبغي أن يكون حسب الظّاهر في نظم الدّرر السّنيّة، حيث يقول:

كُتّابه اثنان وأربعونا — زيد بن ثابت وكان حينا
كاتبه وبعده معاوية — ابن أبي سفيان وكان واعية.

٢ ـ التراتيب الإداريّة للكتّانيّ ١:١١٧.

٣ ـ تاريخ القرآن: ٣٧.

٤ ـ في رحاب القرآن، ١٢ و ٢٧. Blachere: Intro. p.13.N.16

٥ ـ Casanova: Mohammed et la Fin du Monde, Paris 1911-13,p.96SQQ.

٦ ـ في رحاب القرآن ـ الهامش : ١٦ ـ الإتقان ١:٨٨ ـ طبع ١٢٧٨ ـ القاهرة.

٧ ـ راجع جوامع السّيرة لابن حَزْم: ٢٦؛ أنساب الأشراف ١:٢٥٦؛ فتوح البلدان للبَلاذُريّ: ٤٧٨، أو ٤٧٢؛ جهشياريّ: ٩ـ١٢؛ تلقيح الفهوم: ٣٧؛ زاد المعاد ١:٥٩؛ التّهذيب للنّوويّ ١:٢٩؛ ابن سيّد النّاس ٢:٣١٥؛ التّراتيب الإداريّة ١:١١٤ وما بعده، محمّد صلى الله عليه وآله لمحمّد رشيد رضا: ٦٥؛ بحار الأنوار ج١ م ١٩ ف ١٠؛ مجموعة الوثائق السّياسيّة (صفحات متفرّقة)؛ السّيرة الحلبيّة ٣:٣٦٤؛ مناقب ابن شهراشوب ١:١٦٢؛ سنن البيهقيّ ١٠:١٢٤؛ أسد الغابة ٢:٢٦١؛ الإصابة ٢:١٥؛ الاستيعاب ١:٢٦؛ العقد الفريد ٢:١٤٣ و ٣:٥؛ تاريخ اليعقوبيّ ٢:٦٤؛ تاريخ الطّبريّ ١:١٧٨٢ و ٢:٨٣٦؛ تذكرة الحُفّاظ للذّهبيّ؛ أُصول الكافي للكلينيّ؛ الكامل لابن الأثير؛ التّنبيه والإشراف للمسعوديّ: ٢٤٥؛ حياة القلوب للمجلسيّ ٢:٦١٤.

المكّيّ أقلّ بالنّسبة إلى العصر المدنيّ، و بناء على ذلك فإنّ دراسة الرّوايات والأخبار في هذا المضمار أمر عسير، و من الأُمور العسيرة هنا الدّوافع والنّوازع المختلفة ـ و خصوصًا الاتّجاهات العقائديّة والمذهبيّة ـ في تدوين أسماء الأعلام ككُتّاب الوحي. إنّ الرّغبة في سرد الاسم في هذا الفهرس الشّريف ـ ولا سيّما أنّ تاريخ اعتناق الإسلام للأفراد لم يدوّن بصورة دقيقة للجميع على نمط واحد، ولم تعيّن مدّة صحبة كلّ كاتب لرسول الله، والأهمّ من ذلك أنّه لم يميّز بين كُتّاب الوحي و كُتّاب الرّسائل والعهود ـ بعض العوامل الّتي تزيد الطّين بلّة، ولكن رغم هذه العقبات فإنّه لا يمكن العزوف عن البحث و التّحقيق، و أنّ التّحقيق والدّراسة الدّقيقة تحتاج إلى الحصول على مصادر معتبرة. بيد أنّه يمكن العكوف على الدّراسة والتّحقيق بصورة عامّة كما فعل المحدّثون والمؤرّخون طبق اعتناق الصّحابة الإسلام على النّحو التّالي:

كُتّاب العصر المكّيّ

الخلفاء الأربعة و شُرَحبيل بن حَسَنة المتوفّى عام (١٨) هـ و عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح القرشيّ المتوفّى عام (٣٧) هـ و خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة، و طَلحة والزُّبَير المتوفّيان عام (٣٦) هـ و سعد بن أبي وَقّاص المتوفّى عام (٥٥) هـ و عامربن فُهَيرة المتوفّى عام (٤) هـ والعلاء بن الحَضرميّ المتوفّى عام(٢١) هـ و مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوسيّ المتوفّى عام(٤٠) هـ و الأرقم بن أبي الأرقم المتوفّى عام(١١) هـ و حاطب بن عمرو، و حاطب بن أبي بَلْتَعَة المتوفّى عام (٣٠)هـ و مُصعَب بن عُمَير، و عبد الله بن جَحْش المتوفّى عام (٣) هـ وجَهْم بن قَيْس، و سالم مولى أبي حُذَيفة المتوفّى عام(١٢)هـ.

كُتّاب العصر المدنيّ

أصبح عدد كُتّاب هذا العصر أكثر، و قد أنجز مهمّة الكتابة في البداية أُبيّ بن كعب أكثر من غيره، ثمّ زيد بن ثابت، وكان أشدّهم مراسًا و تجربةً، و كملت الكتابة عند أُسراء بدر[١]،

---

١ ـ الرّوض الأُنف للسُّهَيليّ ٥: ٢٤٥.

وكان قد صحب النّبيّ أكثر من أقرانه. أمّا من انضمّ إليهما فهم: عبد الله بن رواحَة المتوفّى عام(٨) هـ، وثابت بن قَيْس المتوفّى عام (١٢) هـ وحنظلة بن الرّبيع الأُسَيِّديّ المتوفّى عام (٤٥) هـ وحُذَيفة بن اليَمان المتوفّى عام (٣٦)هـ والعلاء بن عُقبة، وجهيم بن الصّلت، وعبد الله بن زيد المتوفّى عام(٦٣)هـ ومحمّد بن مَسلمة المتوفّى عام(٤٣)هـ، وحَنْظَلة بن أبي عامر المتوفّى عام(٣)هـ وعبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، وأبو زيد قيس بن السَّكَن، وعُقبة بن عامر المتوفّى عام (٥٨) هـ ومُعاذ بن جَبَل، وأبو أيّوب الأنصاريّ المتوفّى عام(٥٢) هـ والمُغيرة بن شُعْبة المتوفّى عام (٥٠)هـ.

ثمّ انضمّ فريق آخر إليهم وهم: أبان بن سعيد بن العاص (أخو خالد) المتوفّى عام(١٣)هـ وعمروبن العاص المتوفّى عام (٤٣) هـ وخالد بن الوليد المتوفّى عام (٢١) هـ، خلال العام السّابع الهجريّ.

وفي العام الثّامن الهجريّ انضمّ إلى هذا الجمع كما قيل: أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية، وعبد الله بن أرقم المتوفّى عام(٤٤) هـ وحُوَيْطب بن عبد العُزّى المتوفّى عام(٥٤)، خلال فتح مكّة.

وعلى ذلك فإنّ بين أيدينا أسماء خمسة وأربعين صحابيًّا، قيل: إنّهم ساهموا في كتابة الوحي، بيد أنّ هذا يحتاج إلى دراسة أكثر وأدقّ. وهناك من كان يحسن الكتابة، وترك قراءة بعده أيضًا، أو أُثِرَ عنه مُصْحَف، مثل: أنس بن مالك خادم رسول الله، ومنذربن عمرو، وأُسَيْد بن حُضَير، ورافع بن مالك، وأبي عُبَيدة بن الجرّاح، وسعد بن عُبَيْد، وأبي الدَّرداء، إذ لم يذكر له اسم هنا. وكان العَبَادِلة[١] عند وفاة النّبيّ شبّانًا، إذ كان عُمْر عبد الله ابن عمر عشرين عامًا، وعُمْر عبد الله بن عمرو سبعة عشر عامًا، وعُمْر عبد الله بن عبّاس ثلاثة عشر عامًا، وعُمْر عبد الله بن الزُّبَيْر عشرة أعوام، فلا يكون لهم اسم بطبيعة الحال هنا.

---

١ ـ يطلق اسم العَبَادِلة عادة على عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزُّبَيْر وعبد الله بن عمرو بن العاص، ويشمل أحيانًا عبد الله بن مسعود وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن أبي بكر، إلّا أنّه حينما يقال: عبد الله. بصورة مطلقة، فيراد به عبد الله بن مسعود.

وجاء ذكر رجل آخر،حتّى قيل: كان أوّل كاتب للوحي، ألا و هو عبد الله بن سعد بن أبي سَرح، وكان ذا خطّ حسن، وكان يكتب أحيانًا، ثمّ ارتدّ و فرّ من المدينة إلى مكّة. و أخذ يفتخر بنفسه هناك بأنّه كتب أحيانًا «سميع عليم» مكان ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أو «بصير» مكان ﴿خَبِيرٌ﴾ و فيه نزلت الآية/١٠٦ من سورة النّحل، أو الآية/٩٣ من سورة الأنعام[1]. وكان أحد الرّجال السّتّة الّذين أمر النّبيّ بقتلهم يوم فتح مكّة[2]، إلّا أنّ عُثمان أخاه من الرّضاعة أتى به إلى رسول الله ﷺ بعد بضعة أيّام، و ألحف في طلب الأمان له، فسكت رسول الله ﷺ ساعة ثمّ أعطاه الأمان[3]، و حينما خرجا قال لأصحابه: «أما كان فيكم رجل رشيد فيقتله»؟ قال أحد الأنصار: كنّا نصبوا إلى عينيك لتشير إلينا بذلك، قال: «إنّه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين»[4]. و عليه فإنّه كان من الطّلقاء، و قد فعل ما فعل.[5]

و ذكر أبو داود رجلاً آخر من الكُتّاب الخَوَنة أيضًا[6]، إلّا أنّه بقي مجهولاً، وكان مصيره يفرق عن نظيره المتقدّم، و قال فيه: إنّ الأرض لفظته، و نبذ في بقعة منها.

ولم يكن كُتّاب رسول الله على مستوى واحد من الإخلاص والإيمان، فكان منهم مؤمنون متّقون مثل عليّ عليه السلام، إذ كان نقيّ السّريرة، مضحّياً، خالص العقيدة باتّفاقهم، وضحّى بكلّ ما يملك في سبيل الإسلام. كما أنّ خيانة ذلك الرّجل لم تؤثّر في شيء اللّهمّ إلّا أنّه أفصح عن سنخه السّيّئ، فالنّبيّ ـ كما مرّ ـ يعرض ما نزل من القرآن على جبريل الأمين كلّ عام، وكان يحثّ الصّحابة على قراءة ما يحفظونه من القرآن، وكان القرآن وِرد ألسنة المسلمين ليلاً و نهارًا، فأنّى لليل أن يحجب بظلمته نور الشّمس.

و هناك أمر آخر وهو أنّ الكُتّاب لم يكونوا كلّهم بمستوى واحد، فكان بعضهم بارعًا في الكتابة، وكان بعض آخر متهاونًا في هذا الفنّ. كما كان بعض منهم ـ مثل زيد و أُبيّ ـ

---

١ ـ ابن سعد ٣:١/١٧٨.

٢ ـ المصدر السّابق ٢:١/٩٨؛ وسيرة ابن حَزْم: ٢٣٢.

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ١:١٦٣٩.

٤ ـ سنن أبي داود ـ كتاب الحدود: أو كتاب الجهاد: ١١٧؛ وسنن النّسائيّ ـ التّحريم/١٤.

٥ ـ بحار الأنوار ١٩:٣الطّبعة القديمة. وقد أشار المولويّ إلى ذلك في المثنويّ ١:١٩٩ و ١:البيت ٣٣٩٦ و ٣٤١٢.

٦ ـ المصاحف للسّجستانيّ : ٣.

يحسن السُّريانيّة أوالعبريّة، وكان كثير منهم ـ مثل زيد و أُبيّ ـ يشتغل بكتابة الوحـي، و يشتغل آخرون بكتابة الوحي و تنظيم الرّسائل أيضًا.

و من المسلّم أنّ النّبيّ الكريم كان له كتابات كثيرة عدا كتابة الوحي و خصوصًا في السّنوات الأخيرة، مثل: بعث الرّسائل إلى أُمراء الطّوائف و أعـوانـه للـتعبئة للـحروب، و التّقارير الّتي يرسلها هؤلاء، و الخطابات الّتي ترد من الأطراف والأكناف، و تنظيم صور المعاهدات، و جداول الأعمال الّتي أصدرها، والزّكاة و كافّة الصّدقات الّتي عيّنها. فكلّ هذه تنظيمات مطلوبة، أصبحت أساسًا و قاعدة، ثمّ تحوّلت إلى ديوان في عهد الخليفة الثّاني، إلّا أنّ الأمر الرّئيسيّ والأساسيّ كان كتابة الوحي.

وكان المؤازر الّذي حاز قصب السّبق و بَذّ الآخرين في هذا الميدان هو عـليّ عليه السلام و عُثمان، وساهم أُبيّ في هذا العمل أثناء غيابهما، ثمّ تعلّم زيد الكتابة وانضمّ إلى هـذه الجماعة، و قد كان يضاهي الشّباب، وكانت داره قرب دار النّبيّ، فكان تحت الطّلب كلّما احتيج إليه، فلهذا أحضره النّبيّ و أمره بالكتابة. ولقد صرّح الجميع تقريبًا بأنّ عليًّا عليه السلام كان من الكُتّاب الأوائل والدّائمين للوحي[1] وإن لم يأتِ على ذكره بعضهم كابن حَجَر[2]. إنّ هؤلاء الّذين سردوا أسماء كُتّاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا سيّما كُتّاب الوحي، لم يكونوا ـ مع الأسف الشّديد ـ بمعزل عن التّحيّز المذهبيّ و التّولّي لشخص والتّبرّي منه، و ترتكز قوائم الأسماء أحيانًا على التّصنيف السّياسيّ و العقائديّ بصورة واضحة، ولذا تتطلّب دراسة الأسماء دقّةً تاريخيّة متناهيّةً. و من المؤكّد أنّ وجود اسم بعنوان كاتب وحي كان فخرًا عظيمًا، و بناء على هذا فإنّ نيل هذا الفخر و التّرويج له أحيانًا يحظى بأهميّة بالغة، إذ فيه رواية، ولا سيّما أنّه ليس بالضّرورة ذكر اسم النّبيّ صلى الله عليه وآله لكي يحتاط الرّاوي في ذلك. فلا يكاد أحد الصّحابة أن يقول شيئًا في هذا المضمار حتّى يـؤيّد هـذا القـول بـالتّرغيب والتّرهيب، فهو فخر عظيم له و لو كان ينتمي إلى قبيلة عظيمة الشّأن.

---

١ ـ العقد الفريد ٣: ٥؛ بحار الأنوار ١٨: ٢٧٠ الطّبعة الجديدة؛ إعجاز القرآن للرّافعيّ: ٣٥.

٢ ـ بل اعتبر ابن حَجَر في «الإصابة» معاوية من الكُتّاب وسكت الذّهبيّ في «تذكرة الحُفّاظ» والزّركليّ في «الأعلام» عن ذلك أيضًا.

وكان السّاسة الأُمويّون والعبّاسيّون يتشبّثون بهذه المناقب المصطنعة، فهذا أبوسفيان ويزيد ومعاوية الّذين يعدّون من كُتّاب الوحي، لم يألُ أيّ جهد في التّوامر على النّبيّ.

ولا بأس أن نقتبس هنا بضع كلمات من قول كاتب عربيّ، ليس له مُيُول شيعيّة بتاتًا، ألا وهو الدّكتور طه حسين، الأديب المصريّ حيث يقول: «وأبو سفيان هو الّذي قاد قريشًا يوم الخندق، وألّب العرب على النّبيّ وأصحابه، وأغرى اليهود حتّى نقضوا عهدهم مع النّبيّ وأصحابه. وأبو سفيان هو الّذي ظلّ يدبّر مقاومة قريش للنّبيّ وكيدها له ومكرها به حتّى كان عام الفتح، فأسلم حين لم يكن له من الإسلام بدّ. ومهما يَقُل النّاس في معاوية من أنّه كان مقرّبًا إلى النّبيّ بعد إسلامه، ومن أنّه كان من كُتّاب الوحي، ومن أنّه أخلص للإسلام بعد أن ثاب إليه ونصح للنّبيّ وخلفائه الثّلاثة. مهما يَقُل النّاس في معاوية من ذلك فقد كان معاوية هو ابن أبي سفيان، قائد المشركين يوم أُحد ويوم الخندق، وهو ابن هند الّتي أغرت بحمزة حتّى قُتل، ثمّ بقرت بطنه ولاكت كبده، وكادت تُدفع النّبيّ نفسه إلى الجزع على عمّه الكريم. وكان المسلمون يسمّون معاوية وأمثاله من الّذين أسلموا بأخِرة، ومن الّذين عفا النّبيّ عنهم بعد الفتح بالطّلقاء، لقول النّبيّ لهم: «اذهبوا فأنتم الطّلقاء»».[1]

وكان معاوية من كُتّاب الوحي طبعًا، إلّا أنّه لا يمكن البتّ بالقول، إنّه كان كاتبًا للوحي، فقد قال المدائنيّ المتوفّى عام (٢٢٥)هـ. كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب ما كان بين النّبيّ والأعراب.[2] بيد أنّه هناك وثائق تدلّ على أنّ بعض الرّسائل والمواثيق كانت بخطّ معاوية أيضًا[3]، دون ذكر أبي سفيان ويزيد. أمّا عمرو بن العاص وخالد بن الوليد اللّذان اعتنقا الإسلام في الآونة الأخيرة أيضًا، فقد كانا يبعثان

---

١ ـ المجموعة الكاملة لطه حسين، عليّ بن أبي طالب وبنوه ٤:٤٤٢.

٢ ـ شرح المواهب ٣:٣٦٩؛ نسيم الرّياض للشّهاب نقلاً عن الكتّانيّ ١:١٢١ أمّا العلّامة الحلّيّ فقد عدّ زمان إسلام معاوية في «كشف الحقّ ونهج الصّدق» خمسة أشهر قبل وفاة رسول الله.

٣ ـ مجموعة الوثائق السّياسيّة ـ الفهرست المدرج في نهاية الكتاب.

بكثرة في مهمّة[١]، ولم تسنح لهما الفرصة للكتابة.

و من الصّعوبات أيضًا تشابه الأسماء أحيانًا، فيعدّ بعض «الحُصَين بن النُّمَير» من كُتّاب الوحي[٢]، و هناك اسم بهذا الضّبط له شهرة أُخرى في التّاريخ، و هو مسمّى قائد جيش عبيدالله بن زياد، و قد رَمَى الكعبة بالمنجنيق، وكان يسمّى بهذا الاسم أيضًا. ويبدو أنّه هنا تشابه في الاسمين فقط، إذ هو اسم لمسمّيين وليس مسمّى واحدًا.[٣]

و لهذا يجب الاحتراز كثيرًا عند ذكر هذه الأسماء، ولا سيّما أنّه لم يميّز بين مهمّة كتابة الوحي وكتابة الرّسائل والعهود، فذكرا معًا. ولكن ينبغي في الحقيقة القول بالتّمييز بين كُتّاب الوحي أنفسهم أيضًا بعد أن يكون الأمر مبرمًا. و قد مارس بعض الكتابة بأمر رسول الله مثل :عليّ عليه السلام و عُثمان و أُبيّ و زيد و أبي موسى و مُصْعَب و حَنْظَلة بن الرّبيع، ويبدو أنّ بعضًا آخر كتبوا الآيات بدافع شخصيّ و هيام بكتابة الوحي وكون كتابة القرآن يعين على حفظه.

و ورد اسم آخر من الكُتّاب، وهو سعيد بن العاص المتوفّى عام (٥٩) هـ الّذي تَرَعْرَع في حِجر عمر بن الخطّاب، ثمّ عدّ من كُتّاب القرآن في عصر عُثمان و يبدو أنّه كان حين توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله يبلغ التّاسعة من عمره تقريبًا[٤]، و على ذلك لا يمكن عدّه من كُتّاب الوحي. وكان حول حَنْظَلَة بن الرّبيع كلام أيضًا، إذ كان معروفًا بحنظلة الكاتب، و قال بعض: لم يكن كاتبًا قطّ، كانوا يدعونه فيكتب، فجاءت الشّهرة بحنظلة الكاتب من ذلك.[٥]

---

١ ـ مكاتيب الرّسول: ٢٦.

٢ ـ التّنبيه والإشراف للمسعوديّ: ٢٤٥؛ وابن مسكويه في تجارب الأُمم؛ والإصابة؛ و تاريخ اليعقوبيّ. إلّا أنّهم ذكروا الحُصَيْن والمغيرة كثيرًا في المكاتبات الخاصّة؛ الكتّانيّ ١٢٣:١.

٣ ـ إنّ الشّخصيّة التّاريخيّة لهذا الرّجل غير واضحة تمامًا، وقد عرّف ابن قُتَيبة رجلاً كهذا من المنافقين، المعارف: ٣٤٣. و تردّد ابن حَجَر في أصالته، الإصابة ٢١:٢ ـ ٢٢. وذكر ابن حَزْم رجلين بهذا الاسم؛ أحدهما: الحُصَين بن نُمَير بن أُسامة من بني جشبش الّذي كان من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، الجمهرة: ٢٢٨، وقتل سنة (٦٧) هـ مع ابن زياد قرب الكوفة. والثّاني: الحُصَين بن نُمَير بن نائل السّكونيّ، جمهرة الأنساب: ٤٢٩. وعلى أيّ حال فإنّ وجود اسم كهذا بين كُتّاب الوحي يبعث على التّساؤل.

٤ ـ طبقات ابن سعد، ٢٠:٥.

٥ – العقد الفريد ١٤٤:٢ ؛ التّنبيه و الإشراف: ٢٤٦.

أمّا البلاذُريّ فقد نقل عن الواقِديّ قوله: لقد كتب حَنْظَلة مرّةً واحـدةً فـقط بـين يـدي رسول الله[١]، و بهذا اكتسب هذه الشّهرة. . و على أيّ حال فإنّ أكثرما أثر عنه من الكتابة يتعلّق بالرّسائل الّتي كتبها بعد وفاة الرّسول و في عهد الخلفاء.[٢]

ومن المشاكل الأساسيّة الأُخرى أيضًا أنّه حينما يخطأ محدّث أو مؤرّخ في ضبط اسم أو لفظ ما، فإنّ هذا الخطأ يسري إلى الكتب اللّاحقة بشكل مسلسل ومتتابع، و بعد مدّة يصطبغ بصبغة الحقيقة. و تكون هذه الأخطاء مضحكة أحيانًا، فمثلاً أنّ شخصًا قيّد كلمة «سَجَّل» لتأييد قائمة أسماء و تسجيلها، لكي يعلم أنّ الأسماء قد بحثت إلى هنا، و من ثمّ جعلت هذه الكلمة من أسماء الكُتّاب بلفظ «السِّجِل»[٣]. و هذا يـؤيّد وجـوب مراعاة الدّقّة المتناهية عند التّحقيق.

و قد ذكرنا طريقة الكتابة أيضًا، فإنّه كان كلّما تنزل آية دعا النّبيّ ﷺ واحدًا أو أكثر من كُتّاب الوحي و أمره بالكتابة.[٤] وكان كُتّاب الوحي يكتبون الآيات بدقّة و يقرأونـها على النّبيّ ﷺ، وكان يضع إصبعه على الكلمة أحيانًا و يسأل عنها، و يأمر بوضع كلّ آية في الموضع الّذي يعيّنه، وقد رأينا نماذج من ذلك. كما أوعز في أواخـر أيّـامه بـصحّة الكتابة، و وضوح كتابة بعض الحروف، و مدّ الحروف أو همزها أيضًا. وسبق أيضًا أنّـه حينما تدخل قبائل الإسلام يبعث إليـها بـعض أصـحابه ليـعلّموها القـرآن و يـعرّفوها الأحكام، و من الطّبيعيّ أن يصطحب هؤلاء كتابات من آيات القرآن أيضًا. فانتشر خطّ الوحي أيـّما انتشار بحيث أصبح كالمثل الجاري على الألسنة، فلو ألقينا نظرة إلى شعر حَسّان بن ثابت المتوفّى عام(٥٤)هـ، شاعر الرّسول، نرى أنّه ذكر في قصيدته الّتي مدح

---

١ ـ فتوح البُلدان: ٤٥٩؛ المعارف: ٣٠٠.

٢ ـ مجموعة الوثائق السّياسيّة: ٢٩٣ـ٣٠١.

٣ ـ لاحظ «السّنن الكبرى» للبَيْهَقيّ ١٠:١٢٤؛ أُسد الغابة ٢:٢٦١؛ الإصابة ٢:١٥ عن أبي داود والنّسائيّ وابن مَرْدُويه، «مكاتيب الرّسول» للأحمديّ ٢٥؛ مقدّمة «بلاشر» ح١٦، عن كازانوا: ١٠٢، «تاريخ الخميس» للدّيار بكريّ.

٤ ـ انظر البخاريّ: تفسير سورة النّساء/ ١٨؛ فضائل القرآن: ٢ ـ ٣؛ الأحكام: ٣٧؛ والتّرمِذيّ: تفسير سورة النّساء/١٩؛ طبقات ابن سعد ٣: ٢ ـ ٥٩، مسند أحمد ٣:١٢٠ و ٢٤٥ و ٤:٣٨١.

بها الرّسول بعد غزوة بدر لفظ «خطّ وحي» على ورق لطيف[١]، إذ لاشكّ أنّه يريد كتابات الصُّحُف القرآنيّة. ولهذا لم تمضِ على نزول آيات القرآن مدّة حتّى تناقلتها الأفواه و تداولتها الأيدي، فمن لا يحسن القراءة يحفظ بالسّماع و يردّد على الأسماع. و من يتقن الكتابة يكتب نسخة لنفسه تكون معه دائمًا، و من يناط به تعليم القرآن تكون معه نسخة للتّعليم أيضًا. و بين أيدينا أمثلة لذلك منذ بدء الإسلام و دعوة النّبيّ، تحكي انتشار القرآن انتشارًا عظيمًا اعتبارًا من تلك الأيّام الأُولى. و قد روى المحدّثون والمؤرّخون حكاية بأنماط مختلفة، و اخترنا رواية هي من أقدم الرّوايات و أوثقها.

لقد روى ابن إسحاق هذه الرّواية، و يبدو من خلالها صبغة و رونق الجاذبة القرآنيّة رغم طولها و تفصيلها، فتضفي عليها الوثاقة والاعتبار. كما نقلت هذه الرّواية بأشكال أُخرى أيضًا، إلّا أنّ محتواها يدلّل على صحّتها أكثر من غيرها.

أسلم عمر بن الخطّاب بعد إسلام حَمزة ـ عمّ النّبيّ ـ بثلاثة أو أربعة أيّام، في سنة ستّ من المبعث تقريبًا، حوالي سبع سنين بقين للهجرة. وكان عمر بن الخطّاب حينذاك ابن ستّ وعشرين عامًا، وكان رجلاً ذا شكيمة لايُرام ماوراء ظهره، و ممّن عرف بلطف الدّيْدن والعادة في عصره، وكان يتقن آنذاك القراءة والكتابة أيضًا[٢]. وكان عدد المسلمين يومئذٍ بعد مضيّ خمسة أو ستّة أعوام لايزال قليلاً، و هاجر ثلاثة و ثمانون نفرًا من هذا الجمع القليل إلى الحبشة، و تركوا بلدهم و ديارهم إثر التّعذيب والقسوة الّتي لَحِقَتهم من قبل مشركي مكّة و لجأوا إلى النّجاشيّ. و أمّا من بقي منهم وهم تسعة و ثلاثون رجلاً و امرأة واحدة فقد اضطرّوا إلى كتمان دينهم الجديد عن النّاس، و مارسوا طُقُوسهم الدّينيّة بالخفاء، وكانوا يتعلّمون القرآن و يتلونه أحيانًا بعيدًا عن أفراد أُسرهم و أحبّائهم.

وكان النّبيّ ﷺ يومذاك في دار «ابن الأرقم»، ولم يفصح التّاريخ عن أحداث هذا

---

١ ـ ديوان حسّان: ١٥ طبع «هرشفلد». و قد أشرنا فيما سبق أيضًا في الصّفحة ٧٨ إلى أنّ لُبَيدًا قال في معلّقته المكتوبة على صخرة بوضوح: فمَدافعُ الرَّيّانِ عُرِّيَ رَسمُها ✽ خَلَقًا كما ضَمِنَ الوُحيَّ سِلامُها «شرح القصائد السّبع» للأنباريّ: ٥١٩. و يبدو أنّ هذا يفيد نفس المعنى.

٢ ـ طبقات ابن سعد ٣: ١: ١٩٢، والبلاذُريّ: ٥٨٠.

الصّراع الخفيّ في تلك البرهة، فبقيت ـ مع الأسف ـ في طيّ النّسيان إلى يومنا هذا. ولازال التّعقيب والتّنقيب الخفيّ في مكّة متواصلاً، و بذل المهاجرون قصارى جهودهم في الحبشة أيضًا، و لم تألُ قريش جُهداً عن الملاحقة والتّفتيش، و عادوا من بعثتهم إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين بعد اللّتيا والّتي مُخْفِقين، ولم تدّخر وسعًا في مكّة أيضًا في اضطهاد النّبيّ و أتباعه، فازداد صخب قريش ولَغْطها.

وفي ذلك الجوّ المشحون بالفوضىٰ والاضطراب عقد عمر النّيّة ذات يوم على قتل رسول الله ﷺ ليطفئ نار الفتنة و يخمد النّائرة، وكان ذا عزم و حميّة، و ما يدانيه أحد في طول قامته، إذ حينما شيّد مسجد فيما بعد في المدينة، كان رأسه يرتطم بالسّقف عند دخوله. فخرج عمر يومذاك متوشّحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ليفصم النّزاع، فلقيه «نُعَيم بن عبد الله النّحام» أثناء الطّريق، ولمّا رآه نُعَيم مستشاطًا قال له: أين تريد يا عمر و ما بدا لك تصنع؟ فقال: أُريد محمّدًا هذا الصّابئ[١]، الّذي فرّق أمر قريش، و سفّه أحلامها، و عاب دينها، وسبّ آلهتها، فأقتله.

وكان «نُعَيم» قد أسلم، إلّا أنّه استخفى من الآخرين بإسلامه، ولم يعلم أحد أنّه مسلم أيضًا، و أنّه ـ كما قال عمر ـ صابئ. وهنا أحسّ بالخطر، وأنّ هذا الرّجل الممشوق القامة القويّ سيثير الفتنة بأيّ شكل من الأشكال، فقلب «نُعَيم» الأمر بحسن تدبيره رأسًا على عقب، فقال له: لقد غرّتك نفسك من نفسك، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض و قد قتلت محمّدًا؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

لقد كانت صفعة شديدة، فهي تهديد و وعيد من جهة، واستفزاز و إثارة للعصبيّة القوميّة من جهة أُخرى. فقال عمر: و أيّ أهل بيتي؟

قال: خَتَنك و ابن عمّك سعيد بن زيد و أُختك فاطمة[٢] فقد أسلما و تابعا محمّدًا ﷺ

---

١ ـ صبأ: انتقل من دين إلى آخر، و يطلق الصّابئ على من يترك دينه ويدين بدين آخر.

٢ ـ كان سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل أحد الحنفاء الأربعة الّذين كانوا على دين إبراهيم. و هو في الحقيقة حفيد عمّ عمر، فيقال له تسامحًا: ابن عمّ عمر، وكانت عاتكة أُخت سعيد زوج عمر أيضًا. «جمهرة الأنساب» لابن حَزْم: ١٥١؛ وأُسد الغابة ٧٨:٤، و من جهة أُخرى فإنّ لعمر أُختًا لم تسجّل باسم فاطمة، واسمها الأصليّ «أُمَيمَة» وكنيتها أُمّ جَميل.

←

على دينه، فعليك بهما.

إنّ عمر كان يتعقّب النّبيّ والمسلمين في كلّ حدب وصوب، وها هو الآن يرى الإسلام قد تسلّل إلى دار أُخته أيضًا و هو غافل عن ذلك، ففتّ في عضده، و هَدَّ رُكْنه. و ذهب إلى دار أُخته، وكان لا يعلم أيضًا أنّ أخاه زيدًا قد سبقها إلى الإسلام.

وفي أثناء ذلك كان عند سعيد رجل من الصّحابة يسمّى «خَبّاب بن الأرَتّ»[١] منكفئًا إلى تعليم القرآن للزّوجين. وكان «خَبّاب» فيما سبق قيْنًا يعمل السُّيوف[٢]، وكان من أوائل من أعلن إسلامه، إذ قال في تلك الأيّام العصيبة جهرًا و علنًا: إنّي قد أسلمت[٣]، فأحرقوا جلد ظهره بالنّار أثناء التّعذيب[٤]. لقد مرّت أيّام صعبة على المسلمين، وكان وآخرون معه قد عجزوا عن مزاولة العمل، فأمر النّبيّ كلّ رجل من المسلمين أن يعيل نفرًا أو نفرين من إخوانه.

وبينا «خَبّاب» مُنكَبٌّ على تعليم القرآن لسعيد و زوجته[٥]، سمعا و قع أقدام، فصاحا من؟ أجاب القادم: أنا عمر.

هبّ الزّوجان واقفين، و غيّبا خبّابًا في مخدع لهم، و خبّآ الصّحيفة الّتي كانوا يقرأونها في زاوية، ففتح الباب و دخل عمر غاضبًا و بيده السّيف، فقال: ما هذه الهَيْنَمة الّتي سمعت؟

قالا: ما سمعتَ شيئًا.

← «الجمهرة» لابن حزم: ١٥١ ؛ الإصابة ـ ت ـ: ٨٣٧ ـ باب النّساء: وكان اسم بنت عمر فاطمة أيضًا، أصبحت زوجة ابن عمّ عبد الرّحمان بن زيد نفسه. نسب قريش: ٣٥٦ و ٣٦٣. و يمكن هنا أنّه كان اسم أُخت عمر فاطمة ولقبها أُمَيْمَة، أو أنّ الرّاوي قد ذكر اسم البنت بدل الأُخت.

١ ـ طبقات ابن سعد ٣: ١/١١٦.

٢ ـ نسب قريش: ٢٦٥، «الجمهرة» لابن حَزْم: ١٢١ و ما تلاها.

٣ ـ طبقات ابن سعد ٣:١/١٦٦.

٤ ـ سنن ابن ماجة: المقدّمة ـ الباب (١١) ؛ مسند أحمد ٥:١١٠ و ١١١ و ٦:٣٩٥.

٥ ـ الرّوض الأُنف ٣:٢٧٢ ـ ٢٧٣. كان همّ خَبّاب عند سكرة الموت عام (٣٧)هـ، أن تعدّ تركته الضّئيلة أجر إسلامه، طبقات ابن سعد ٣:١/١١٧. في حين أنّ عائد كلّ جنديّ من جنود عبدالله بن سعد بن أبي سَرح قبل سنتين أو ثلاث من ذلك في شمال أفريقيا أيّام عُثمان ثلاثة آلاف مثقال ذهب خالص...

قال: بلى، لقد أُخبرت أنّكما تابعتما محمّدًا على دينه!

قال ذلك و هجم على سعيد، فقامت إليه أُخته فاطمة لتكفّه عن زوجـها، فـضربها فشجّها. فلمّا فعل ذلك قالت له أُخته و ختنه: نعم، قد أسلمنا و آمنّا بالله و رسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلمّا رأى عمر ما بأُخته من الدّم، ولحظ ثبات زوجها، و فـوق ذلك كـلّه إيـمانهما الرّاسخ، تأثّر ولان، وندم على ما صنع فارعوى، و قال لأُخته برفق: ماذاكنتما تقرءان قبل قدومي؟

كانت الصّحيفة أخفتها أُخته إمّا تحت فخذها فعثر عليها أثناء الصّراع، أوكانت على الأرض فنسيت أن تخفيها. و مهما كان فقد رآها عمر و قال: أعطيني هذه الصّحيفة، أنظر ماهذا الّذي جاء به محمّد؟

علا وَجْه عمر ما يضارع الرّجاء، و يضاهي مُحْتده و سنخه، فحدا بفاطمة الأمل بأن تطمع في إسلامه، إلّا أنّها كانت لاتزال قلقة على أن يرفض ذلك ببساطة، فقالت: أخاف أن لاتردّها، فإنّا نخشاك عليها.

و حلف لها بآلهته ليردّنّها إذا قرأها إليها، ولكنّ أُخته لم ترضَ بذلك أيضًا، و أخيرًا أجبرته على الغسل، و أن يكون طاهر الجسم حسب الظّاهر، فاغتسل فأعطته الصّحيفة.

أخذ عمر الصّحيفة فقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * طه * مَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ لِتَشْقىٰ * اِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ ـ إلى قوله ـ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ﴾[١].

وكان قد سمع قبل هذا البديع من الكلام والظّريف من القول كثيرًا و سـمع أشـعار شعراء البادية في أسواق العرب، ولازال يتذكّر المعلّقات السّبع، و استمع بدقّة إلى غـزل الشّعراء، و طالما رأى سجع الكهّان و كـلام الحكـماء، كـما تـناهى إلى سـمعه الأمـثال و الأساطير الّتي تُنَوِّم بها الأطفال، و تُحَلِّق بأحلام الشّباب. ولكنّه ما سمع كـلامًا بـهذا العمق والسّعة قطّ، وقولاً واسعًا مترامي الأطراف، لا يسبر غوره، ولا يكتنه مداه. أجل، إنّ

---

١ ـ طه/١ ـ ٨.

هذا لفريد خريد، ولا يمكن أن يصدر عن قريحة إنسانيّة، إذ له بريق وجاذبيّة تبهر العقول، فوَلَّه إليه و أولع به منذ الوهلة الأُولى. إنّ هذه الآيات المعدودة قد هزّت كيانه، وكأنّها نور أضاء الظُّلمة فجأة، و أباد الجهل والخرق فورًا، إذ غشي العلم و النّور كيانه كلمح البصر. إنّ الحقيقة سطعت كما يسطع النّور، و مزّقت حجاب الكفر. وظلّ لايحرّك ساكنًا وهو خائر القوى، فقال دون شعور: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه!

لقد تغيّر الجوّ المهيمن عليهم، و تبدّلت نظرتهم، فالرّجل الّذي جاء يضطرم غضبًا، ويَتَسَربَل بالعصبيّة الجاهليّة، ليعفّي الآثار، و يبيح الذّمار، صار الآن ذليلاً حقيرًا أمام عظمة الله. و خرج خَبّاب ـ الّذي لايزال إلى تلك اللّحظة مختفيًا خوفًا على نفسه ـ من مخبئه، و أقبل على عمر، و أخذ بعضده يهزّه فقال له: يا عمر، والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه. فقال عمر بمَهل وهدوء :أين محمّد؟ دلّني عليه حتّى آتيه فأسلم. و دخل حينذاك في حصن المسلمين، و عرض إسلامه.[1]

وتدلّ هذه الرّواية بوضوح ـ بغضّ النّظر عن كثير من النّكات المهمّة الأُخرى ـ على أنّ القرآن قد تداولته الأيدي على الصُّحُف منذ السّنوات الأُولى للدّعوة. والأمر التّالي يبيّن ذلك: حينما كان المسلمون في الأيّام الأُولى يسعون إلى كتابة القرآن، و يجدّون في قراءته و تعلّمه حتّى عندما ضيّق العدوّ عليهم و مارسوا طقوسهم سرًّا، فقد تطوّرت كتابة القرآن كثيرًا استمرارًا لذلك في جوّ المدينة الآمن أثناء وصول الإسلام إلى الذِّرْوَة والسُّموّ و تنامي الإيمان وتوسّع الفتح، و هذا أمر طبيعيّ. وعلى هذا يمكن القول بأنّه كانت في نهاية عصر النّبيّ نسخ كثيرة من القرآن.

كان النّبيُّ يريد أن يكون مطمئنّ البال من حفظ القرآن كلّه بهذين الأُسلوبين: التّشجيع على الحفظ، و التّرغيب في الكتابة، ويمكن تصحيح الخطأ وتدارك السّقط في

---

١ ـ إنّ بقيّة قصّة إسلام عمر لطيفة و ظريفة جدًّا أيضًا، و تعتبر نموذجًا ممتازًا من الجهاد السّرّيّ للنّبيّ والشّجاعة الّتي جبل عليها. انظر رواية ابن إسحاق الّتي نقلها ابن هِشام في السّيرة ١:٣٦٦. و راجع أيضًا «عبقريّة محمّد» لعبّاس محمود العقّاد: ٣٥ ؛ و«الرّوض الأُنف» للسُّهيليّ ٣:٢٦٤، طبعة الوكيل ؛ البخاريّ :مناقب الأنصار ٣٥ ؛ طبقات ابن سعد ٣:١/١٩١ و ٥:١٩١ و ٨:١٩٥ ؛ مسند أحمد ١:١٧ ؛ تاريخ الخميس ١:٣٣٣ ـ الطّبعة الأُولى ـ عام (١٣٠٢) مصر.

الكتابة بالذّاكرة، ويمكن حسم نقص الذّاكرة بواسطة الكتابة أيضًا، فكانت الذّاكرة تدعم الكتابة، والكتابة تدعم الحفظ. لقد اتّبع هذا النّهج بشكل رئيسيّ و أساسيّ، بحيث لايزال جاريًا على هذا النّحو منذ بضعة قرون، حتّى أدّى ذلك ـ كما نرى ـ إلى التّعبّد فيه، و تداول هذا النّهج جيل بعد جيل و ثابروا عليه إلى يومنا هذا. و ينبغي الاعتماد على حفظ القرآن اليوم أيضًا، رغم وجود ملايين من النّسخ المطبوعة والمخطوطة المنتشرة في جميع أنحاء العالم، و ينبغي الاستعانة بالكتابة لتقويم الذّاكرة. كما ينبغي تعلّم القرآن عند معلّم تعلّمه عند معلّم ذي سند صحيح و شهير، ثمّ ينتقل هذا العلم بدوره إلى الجيل اللّاحق. وهكذا تبقىٰ جَذْوة القرآن موقدة دائمًا و أبدًا، إذ الحفظ يسعف الكتابة، والكتابة تسعف الحفظ.

[ثمّ ذكر أدوات الكتابة كما سيجيء لاحقًا في باب كيفيّة جمع القرآن]. (٢٦١ـ٢٧٥)

الفصل الثّالث عشر

نصّ الأحمديّ الميانجيّ (م: ١٤٢٢) في «مكاتيب الرّسول»

في أنّه ﷺ كان يكتب أم لا؟

كان رسول الله ﷺ يملي والكاتب يكتب، و لا يكتب بيده الشّريفة، كما أنّ الخلفاء بعده كانوا يملون على الكاتب، ولا يكتبون إلّا في مقام الضّرورة، ولم أجد في كتب السِّيَر والتّواريخ والحديث موردًا كتب فيه النّبيّ ﷺ بيده الشّريفة، إلّا ما عن البخاريّ في سرد عمرة الحُدَيبيّة، حيث يظهر منه أنّه ﷺ كتب بيده الشّريفة في كتاب الصّلح، و أخرج في البحار[1] عن جامع الأُصول من صحاحهم، عن البَراء بن عازِب في حديث الحُدَيْبيّة: فأخذ رسول الله ﷺ ، وليس يحسن أن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله ﷺ .[2]

قال دِحْلان و الحَلَبيّ: تمسّك بعضهم بظاهر الحديث الأوّل، و قال: إنّ النّبيّ ﷺ كتب بيده يوم الحُدَيْبيّة معجزة له، مع أنّه لا يقرأ و لا يكتب، و جرى على ذلك أبو الوليد الباجيّ المالكيّ، فشنّع عليه علماء الأندَلُس في زمانه، و قالوا: إنّ هذا مخالف للقرآن، فناظرهم و استظهر عليهم بأنّ هذا لاينافي القرآن، و هو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ

---

١ ـ بحار الأنوار: ٦ في آخر باب غَزْوَة الحُدَيبيّة، و وافقه الكامل ٢:٧٧ ونُقل عن البخاريّ أنّه كتبه بيده، و قال الحَلَبيّ: إنّ لفظة بيده ليست في البخاريّ، و معنى كتب أي أمر بالكتابة، وهو مجاز، و جزم به القاضي في شرح الشّفاء ١:٧٢٧، و تكلّم في المقام، فراجع: ٧٢٧ و ٧٢٩.

٢ ـ مسند أحمد ٤: ٢٩٨.

كِتَابٍ وَ لَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١] لأنّ هذا النّفي مقيّد بما قبل ورود القرآن، و قبل أن تُحقّق أُمنيّته، و أمّا بعد نزول القرآن فلا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلّم، معجزة أُخرى، والجمهور على أنّ الرّوايات الّتي فيها أنّه ﷺ أخذ الكتاب بيده فكتب، محمولة على المجاز، أي أمر أن يكتب الكاتب[٢].

أقول: و عمدة ما استند إليه الجمهور أمران:

الأوّل ـ قوله تعالى: ﴿وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ...﴾، ولا دلالة فيه على مطلوبهم كما مرّ. قال السّيّد المرتضى رحمه الله: و هذه الآية تدلّ على أنّ النّبيّ ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النّبوّة، فأمّا بعدها فالّذي نعتقده في ذلك التّجويز لكونه عالمًا بالكتابة وعدمه، ثمّ استظهر من التّعليل الوارد في الآية اختصاصه بما قبل نزول القرآن.[٣]

الثّاني ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.[٤] و قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾.[٥] ولا دلالة فيها أيضًا، لأنّ الأُمّيّ قيل في معناه وجوه كثيرة، منها: كونه من لا يقرأ ولا يكتب، ومنها: كونه منسوبًا إلى أُمّ القرى، وهو مكّة، و منها: أنّ المراد العرب، لأنّها لم تكن تحسن الكتابة، و هو قوله تعالى: ﴿بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾[٦] و منها: أنّ المراد من الأُمّيّين هم الّذين لم يبعث إليهم نبيّ، في مقابل أهل الكتاب، و النّبيّ الأُمّيّ أي المنسوب إلى أُمّة لم يبعث إليهم، وقيل غير ذلك، فلا وجه لاختصاص الآية بالمعنى

---

١ ـ العنكبوت/٤٨.

٢ ـ السّيرة الحلبيّة ٣:٢٤ وزيني دِحْلان في السّيرة هامش الحلبيّة ٢:٢١٤. ولفظ «وليس يحسن أن يكتب فكتب» وقع في جامع الأُصول والأموال: ١٥٨ والكامل، ونُقِل عن البخاريّ فيما عثرت عليه والباقون على أنّه أمر عليًّا أن يكتب فكتب، وفي روضة الكافي :٣٢٦ الحروفيّ، قال (يعني رسول الله ﷺ لعليّ: اكتب فكتب) وفي الإرشاد للمفيد قال: ضع يدي عليها؛ فمحاها رسول الله ﷺ ويظهر منه أنّه ﷺ لم يكن يقرأ، وراجع سيرة ابن هِشام ٣:٣٦٦، والطّبريّ ٢:٢٨١؛ واليعقوبيّ ٢:٤١؛ وصحيح مسلم ٥:١٧٣. نعم قد يوهم لفظ بعض الرّواة ذلك كما في بحار الأنوار ٦: عن الزُّهْريّ وعن عليّ بن إبراهيم.

٣ ـ بحار الأنوار ٦:١١٨.

٤ ـ الأعراف/١٥٧.

٥ ـ الأعراف /١٥٨.

٦ ـ الجمعة/٢.

الأوّل.

و قد ورد في هذا الباب أحاديث، عن أهل البيت عليهم السلام، و هم أدرى بما في البيت:[١]

١ ـ ما رواه الصّدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، قال: ـ الرّاوي وهو جعفر بن محمّد الصّوفي ـ فقلت: يا ابن رسول الله، لم سمّي النّبيّ الأُمّيّ؟ فقال: ما يقول النّاس؟ قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّي الأُمّيّ لأنّه لم يحسن أن يكتب. فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله، أنّى ذلك؟!! والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ﴾[٢] فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرأ و يكتب باثنين وسبعين، أو قال: ثلاثة وسبعين لسانًا، و إنّما سمّي الأُمّيّ لأنّه كان من أهل مكّة، و مكّة من أُمّهات القُرى، و ذلك قول الله عَزَّوجَلَّ: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا﴾[٣] أخرج نحوها عن أبي جعفر عليه السلام، و أخرجها في البحار عن معاني الأخبار، و علل الشّرائع، و الاختصاص، و بصائر الدّرجات.

٢ ـ ورُوي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقرأ الكتاب ولا يكتب.

٣ ـ وروي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: و ممّا منّ الله عَزَّوجَلَّ على نبيّه أنّه كان أُمّيًّا لا يكتب، ويقرأ الكتاب.

٤ ـ وروي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان ممّا مَنَّ الله عَزَّوجَلَّ على رسوله أنّه كان يقرأ ولا يكتب، فلمّا توجّه أبو سفيان إلى أُحد، كتب العبّاس إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه، ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلمّا دخلوا المدينة أخبرهم.

وورد من طرق الجمهور ما أخرجه السّيوطيّ[٤] قال: ما مات النّبيّ صلّى الله عليه وآله حتّى قرأ

---

١ ـ أخرج هذه الأحاديث الشّيخ الصّدوق في العلل ١:١١٨ـ١٢٠ الطّبع الحروفيّ، بحار الأنوار ١٢٨:٦ عن العلل، و معاني الأخبار، والاختصاص، و بصائر الدّرجات.

٢ ـ الجمعة/٢.

٣ ـ الأنعام/٩٢.

٤ ـ الدّرّ المنثور ٣: ١٣١.

وكتب. قال: فذكرت هذا الحديث للشّعبيّ[1]، فقال: صدق، سمعت أصحابنا يقولون ذلك.

وهذه النّصوص تدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله كان يقرأ، و إنّما اختلفت في الكتابة، و أنّه يحسن الكتابة أم لا؟ فالجمع بينها أنّه صلى الله عليه وآله كان يحسن الكتابة والقراءة بعد نزول القرآن، ولكنّه لم يكتب أصلاً، و ما في قضيّة الحُدَيبيّة من بعض المحدّثين أنّه صلى الله عليه وآله كتب كتاب الصّلح معارض بمثله بل بنقل جميع المؤرّخين، قال المحقّق المجلِسيّ رحمه الله: و كيف لا يعلم من كان عالمًا بعلوم الأوّلين والآخرين؟ إنّ هذه النّقوش موضوعة لهذه الحروف، و من كان يقدر بإقدار الله تعالى له على شقّ القمر، و أكبر منه كيف لا يقدر على نقش الحروف والكلمات على الصّحائف والألواح؟

أقول: لولا ماورد عن عترته و أهل بيته عليهم السلام لكنّا فيه من المتوقّفين، كما توقّف السّيّد المرتضى رحمه الله، لأنّ ما ذكره المحقّق المجلسيّ رحمه الله أمر تعليقيّ صحيح، يعني لو شاء الله لأقدره كما أقدره على شقّ القمر، بل و أكبر منه، ولكنّه لا يثبت أنّه شاء و أقدر، إذ من الممكن أن لا يؤتيه الكتابة. كما أنّه لم يعلّمه الشّعر، و ما ينبغي له، لتحقيق الإعجاز وإتمام الحجّة، وأهل البيت أدرى بمافيه ويؤيّده بعض ماورد من طرق الجمهور أيضًا كما مرّ.

في كُتّابه صلى الله عليه وآله

لمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله بالرّسالة، و شرّفه بالقرآن، و أنزل عليه الكتاب، احتاج إلى كاتب يكتب له الوحي و غيره من الرّسائل و الحوائج، و هو إذ كان بمكّة، ليس له كثير حاجة إلى الكتابة إلّا الوحي، فيكتبه أميرالمؤمنين عليه السلام أو هو مع غيره من المسلمين ممّن يعلم الكتابة، فمضى على ذلك عشر سنين، فلمّا هاجر إلى المدينة وكثر المسلمون و توفّرت الحوائج، و ازدادت الرّوابط الاجتماعيّة بأنحائها، فمسّت الحاجة إلى كُتّاب يلازمون الكتابة فيما يحدث من الأُمور، فمن أجله كثر الكُتّاب، و جعل صلى الله عليه وآله لكلّ عمل كاتبًا، و لكلّ كاتب مُعينًا، و نحن نذكرهم على حسب ما أثبته الماضون، و نجعل

---

[1] ـ نقله المجلِسيّ في بحار الأنوار عن الشّعبيّ.

للمناقب(ب)، ولأُسد الغابة(بة)، وللتّنبيه و الإشراف(ف)، وللحلبيّ(ي).

١ ـ عليّ بن أبي طالبعليه السلام (ب): كان يكتب أكثر الوحي، و يكتب أيضًا غير الوحي. (بة والاستيعاب): فكان الكاتب لعهوده إذا عاهد، و صلحه إذا صالح عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعدّه الحلبيّ في السّيرة، و ابن الأثير في الكامل، وكذا اليعقوبيّ من الكُتّاب، أسلم منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يعبد لصنم ولا وثن قطّ.

٢ ـ أُبيّ بن كعب الأنصاريّ الخَزرجيّ (ي ب): كان يكتب الوحي، (بة): و الإصابة عن الواقِديّ أنّه أوّل من كتب له صلى الله عليه وآله، بعد مقدمه المدينة، كما في السّيرة الحلبيّة، و أنّه أوّل من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان. وعدّه اليعقوبيّ والكامل من الكُتّاب، و أنّ عمر كان يثني عليه، و يسأله عن المعضلات. و في الاستيعاب ج ١: وكان أُبيّ بن كعب ممّن كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل زيد بن ثابت ومعه.

٣ ـ زيد بن ثابت الأنصاريّ الخَزرجيّ: (ب بة) و الإصابة: أنّه كان يكتب الوحي و غيره. و في (ب): أنّه كان يكتب الوحي مع أُبيّ بن كعب و إلى الملوك مع عبد الله بن الأرقم، و في (بة): أنّه إذا لم يحضر أُبيّ كتب زيد بن ثابت، قالوا: وكانت ترد لرسول الله كُتُب بالسُّريانيّة، فأمر زيدًا فتعلّمها. وفي (ف): أنّه كان يكتب إلى الملوك. ذكره اليعقوبيّ والحلبيّ من الكُتّاب و أوّل مشاهده، الخندق، لأنّه كان صغيرًا قبل ذاك و في أُسد الغابة: كان عمره لمّا قدم النّبيّ صلى الله عليه وآله المدينة إحدى عشرة سنة، وكان عُثمانيًّا، لم يشهد المَشاهد مع عليّ عليه السلام، وهوالّذي كتب القرآن في عهد أبي بكر.

٤ ـ عبد الله بن أرقم (ي و بة و ب): كان يكتب إلى الملوك و يكتب القبالات. وفي (ف): أنّه كان يكتب بين النّاس المدائنات و سائر العقود و المعاملات. وفي «أُسد الغابة»: لمّا استكتبه رسول الله صلى الله عليه وآله أمن إليه، و وثق به، فكان إذا كتب إلى بعض الملوك يأمره أن يختمه ولا يقرأه لأمانته عنده. وكذا في«الإصابة» ناقلاً له عن عبد الله بن الزُّبَيْر، و أسلم عام الفتح، وكان على بيت المال في خلافة عُثمان، فأجازه بثلاثين ألف، فأبى أن يقبلها، واستعفاه عن العمل، فأعفاه.

٥ ـ علاء بن عُقبَة (ب): يكتب القبالات، و في (ف) و الإصابة: المدائنات و سائر العقود والمعاملات، و في (بة): أنّه كتب للنّبيّ ﷺ، أي أحيانًا.

٦ ـ ٧ ـ الزُّبير بن العَوّام وجَهْم بن الصَّلت: يكتبان الصّدقات، كما في (ب وف): وأسلم الزُّبَير و هو ابن اثنتي عشرة، أوستّ عشرة سنة و هاجر إلى الحبشة، و شهد بدرًا والمشاهد، ولم يذكره ابن حَجَر ولا ابن الأثير من الكُتّاب، ولا ممّن كان يكتب، و ذكره ابن الأثير في ترجمة أُبيّ ممّن كان يكتب له أحيانًا، و أسلم جَهْم في عام خيبر.

٨ ـ حُذَيفة بن اليَمَان: يكتب صدقات التّمر، كذا في (ب)، و في (ف): يكتب خرص الحجاز، و المعنى واحد، كان من أصحاب سرّ رسول الله ﷺ، يعرف المنافقين بأسمائهم، وله الولاء الخالص لعليّ عليه السلام.

٩ ـ مُعَيْقِيب بن أبي فاطمة: يكتب المغانم، كذا في (ف)، و في أُسد الغابة في ترجمة أُبيّ: أنّه ممّن كتب له ﷺ و في أُسد الغابة: أنّه ممن أسلم قديمًا، و هاجر إلى الحبشة، الهجرة الثّانية، ثمّ هاجر إلى المدينة.

١٠ ـ خالد بن سعيد: يكتب بين يديه ما يعرض من الأُمور، وكذا المغيرة بن شُعبة، والحُصَين بن نُمَير(ف): و أسلم خالد قديمًا، فكان ثالثًا أو رابعًا، و خرج إلى الحبشة في الهجرة الثّانية، وهو الّذي زوّج أُمّ حَبيبة عن رسول الله ﷺ، وقدم من الحَبَشة في خيبر، و شهد فتح مكّة و حُنَينًا و الطّائف و تَبوك، وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً على صدقات اليمن، فتوفّي النّبيّ ﷺ و هو عليها.

١١ ـ حَنْظَلَة بن رَبيع: يكتب إذا غاب هؤلاء (ف): هو حَنْظَلَة بن ربيع الأُسَيِّديّ (بضمّ الهمزة و تشديد الياء) ذكره اليعقوبيّ والكامل من الكُتّاب.

وقد كتب له ﷺ غير هؤلاء مرّة أو مرّتين، و تشرّفوا بذلك، و أثبت أسماءهم أصحاب الحديث والتّاريخ والسّيرة، و أنهاه بعض إلى اثنين و أربعين.

قال الحَلبيّ في السّيرة: فقد ذكر بعضهم: أنّ كتّابه ﷺ كانوا ستّة وعشرين كاتبًا، على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلماء، و في السّيرة للعراقيّ: إنّهم كانوا اثنين و أربعين،

و إليك أسماء جماعة، عدّوهم من الكُتّاب.

١ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح القرشيّ العامريّ: عدّه ابن الأثير في أُسد الغابة والكامل، و ابن حَجَر في الإصابة، وابن عبدالبِرّ في الاستيعاب، وغيرهم من الكُتّاب، أسلم قبل الفتح ثمّ ارتدّ و رجع إلى مكّة، فلمّا كان يوم فتح مكّة أمر رسول الله ﷺ بقتله أينما وجد، ولو تحت أستار الكعبة، ففرّ عبد الله إلى عُثمان بن عَفّان، لأنّه كان أخاه من الرّضاعة، فغيّبه عُثمان، ثمّ جاء به بعد ما اطمأنّ النّاس، و استأمن له من رسول الله ﷺ، فصمت رسول الله طويلاً ثمّ قال: نعم، فلمّا انصرف عُثمان قال النّبيّ ﷺ لمن حوله: ما صَمَتُّ عنه إلّا لتقتلوه، ثمّ أسلم ثانيًا، ولم يظهر منه ما ينكر حتّى ولّاه عُثمان مصر في خلافته.

٢ ـ أبو بكر بن أبي قُحَافة: ذكره الحلبيّ في السّيرة في الكُتّاب، و ابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة أُبيّ عدّه ممّن كتب له ﷺ.

٣ ـ عمر بن الخطّاب: ذكره الحلبيّ في الكُتّاب، وابن الأثير في ترجمة أُبيّ بن كعب عدّه ممّن كتب له ﷺ.

٤ ـ عُثمان بن عَفّان: ذكره ابن الأثير في الكامل و أُسد الغابة، و الحلبيّ و اليعقوبيّ من الكُتّاب، وفي أُسد الغابة عدّه ممّن كتب له ﷺ، و كذا في المناقب.

٥ ـ عامر بن فُهَيْرة: مولى أبي بكر، كان مملوكًا أسود اللّون، كان عبدًا لطُفَيْل بن عبد الله أخي عائشة لأُمّها، أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم، وهو مملوك، وعذّب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، و شهد بدرًا و أُحدًا، وقُتِل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة بإجماع ناقلي المغازي. (راجع الإصابة وأُسد الغابة) و ذكره الحلبيّ من الكُتّاب.

٦ ـ ثابت بن قَيس بن شَمّاس: خطيب الأنصار، و خطيب رسول الله ﷺ.

٧ ـ معاوية بن أبي سفيان: ذكره الحلبيّ واليعقوبيّ من الكُتّاب، قال الحلبيّ: و قال بعضهم: كان معاوية و زيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله ﷺ في الوحي و غيره، لا عمل لهما غير ذلك، و في الكامل و أُسد الغابة عدّه ممّن كتب له ﷺ، و في

الإصابة عن المدائنيّ قال: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنّبيّ بينه وبين العرب.

٨ ـ **المُغَيْرة بن شُعْبة**: ذكره الحلبيّ واليعقوبيّ من الكُتّاب، وفي المناقب وأُسد الغابة جعلاه ممّن كتب له ﷺ، وأسلم قبل الحُدَيبيّة وحضرها.

٩ ـ **خالد بن الوليد**: ذكره الحلبيّ في الكُتّاب، وعدّه في أُسد الغابة ممّن كتب له ﷺ وفي الكامل: أنّه أسلم في السّنة الثّامنة، وفي أُسد الغابة: اختلف في إسلامه، فقيل: إنّه أسلم بعد الحُدَيبيّة وقبل خيبر، وقيل: إنّه أسلم سنة ثمان، وفي الإصابة: أنّه أسلم سنة سبع، وأرسله النّبيّ ﷺ إلى همدان وإلى بني الحارث، وبعثه في السّرايا، وسراياه وأعماله الفجيعة الّتي تبرّء منه الرّسول ﷺ معروفة فراجع.

١٠ ـ **العلاء بن الحَضْرَميّ**: عدّه الحلبيّ وابن الأثير في الكامل من الكُتّاب، وذكره في المناقب فيمن كتب له ﷺ.

١١ ـ **عمرو بن العاص**: ذكره اليعقوبيّ والحَلَبيّ في الكُتّاب، وعدّه في أُسد الغابة ممّن كتب له ﷺ وأسلم هو مع خالد في سنة ثمان، وبعثه النّبيّ ﷺ في تلك السّنة إلى جيفر مَلِك عُمان، ولم يرجع إلى أن مات ﷺ.

١٢ ـ **عبد الله بن رَواحَة**: عدّه الحَلَبيّ من الكُتّاب، وفي أُسد الغابة ذكره فيمن كتب له ﷺ.

١٣ ـ **محمّد بن مَسْلَمَة**: ذكره الحلبيّ في الكُتّاب، وعدّه في أُسد الغابة فيمن كتب له ﷺ.

١٤ ـ **شُرَحْبيل بن حَسَنَة**: ذكره اليعقوبيّ من الكُتّاب، وذكر في المناقب وأُسد الغابة ممّن كتب له ﷺ وأسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة، ورجع إلى المدينة عام خيبر.

١٥ ـ **مُعاذ بن جَبَل**: ذكره اليعقوبيّ في الكُتّاب.

١٦ ـ **عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول**: ذكره الحلبيّ في الكُتّاب، وفي الإصابة عن ابن عبدالبِرّ: أنّه كان ممّن يكتب لرسول الله ﷺ، وكذا في أُسد الغابة.

١٧ ـ أبان بن سَعيد: عدّه في الكامل من الكُتّاب، و هو عامل رسول الله ﷺ علـى البحرين، وتوفّي رسول الله ﷺ و هو بها، فلمّا توفّي النّبيّ ﷺ رجع هو و أخوه، و استعفيا فلم يقبل أبو بكر، و قال: إنّكما عاملا رسول الله، فقالا: إنّـا لا نـقبل العـمل لأحـد بـعد رسول الله ﷺ وكتب له ﷺ أحيانًا آخرون، لم يـذكرهم الأعـلام مـمّن تـصدّى لذكـر الكُتّاب، و سيأتي أسماء بعض منهم في ذيل الكتب...[1] [ثمّ استمرّ في كلامه بعنوان «بحث وتنقيب» نقدًا لإفراط بعضهم في عدّ جماعة لم يكونوا من كُتّاب الوحي. و إن شئت فراجع].

(١٧-٢٩)

١ ـ راجع فيما ذكرنا من الكتاب: الإصابة، و أُسد الغابة، والاستيعاب في ترجمة كلّ واحد منهم، والإصابة، و أُسد الغابة في ترجمة أُبيّ بن كعب، و الكامل، واليعقوبيّ، والطّبَريّ، والسّيرة الحلبيّة ٣:٣٦٤؛ والمناقب لابن شهراشوب، والسّنن الكبرى ١٠:١٢٤ و غيرها من كتب التّراجم والتّاريخ.

ولا يخفى أنّهم قد يعدّون رجلاً من الكُتّاب، أو يقولون: إنّه ممّن كتب له ﷺ، ويعنون بذلك أنّه كتب له أحيانًا، وليس من الكُتّاب.

وعدّه البَيْهَقيّ في السّنن الكبرى ١٠:١٢٤ من الكُتّاب: السِّجِل، وكذا في أُسد الغابة ٢:٢٦١؛ والإصابة ٢:١٥ عن أبي داود، والنّسائيّ و ابن مَرْدَوَيه. [وقد مضى قول الدّكتور راميار في بطلانه: ٣٧(م)].

الفصل الرّابع عشر

نصّ الدّكتور شاهين (معاصر) في «تاريخ القرآن»

نصّ القرآن بين المشافهة و التّسجيل

أوّلاً ـ معرفة النّبيّ للكتابة والقراءة

قد يلقى مزيدًا من الضّوء على سابق رأينا في معنى الأحرف السّبعة، و أهمّيّة التّرخيص بها، وارتباط ذلك بدواعيه الاجتماعيّة والتّاريخيّة، أن نواصل البحث في تاريخ تسجيل النّصّ القرآنيّ. فمن الحقائق الثّابتة تاريخيًّا أنّ رواية القرآن جاءت من طريقين:

الف ـ طريق المشافهة والحفظ.

ب ـ طريق الكتابة.

و إذا كانت المشافهة بالقرآن قد خضعت لما سبق أن تحدّثنا عنه، فإنّ تسجيله لم يخضع لهذه الرّخصة، بل كان يتمّ مرّةً واحدةً على العُسُب واللِّخَاف والأكتاف والكرانيف.

ولكن مَن الّذي قام بتسجيله عقب نزوله...؟

و قبل أن نجيب عن هذا السّؤال نعرض لأمرٍ، تناوله قدماء و مُحدِثُون، و هو هل كان النّبيّ ﷺ يعرف القراءة والكتابة...؟

لقد أشار أبو حَيّان إلى هذه المسألة، مُورِدًا أقاويل العلماء فيها، و قد لخّصها في قوله: «و أكثر المسلمين على أنّ رسول الله ﷺ لم يكتب قطّ، ولم يقرأ بالنّظر في كتاب، و روي عن الشَّعبيّ أنّه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتّى كتب، و أسند النّقاش حديث أبي كَبْشَة

السَّلُوليّ أنّه ﷺ قرأ صحيفة لعُيَينة بن حُصَين، و أخبر بمعناها و في صحيح مسلم ما ظاهره أنّه كتب مباشرة، وقد ذهب إلى ذلك جماعة، منهم: أبو ذر عبد الله بن أحمد الهرويّ، والقاضي أبو الوليد الباجيّ و غيرهما، واشتدّ نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجيّ، حتّى كان بعضهم يسبّه و يطعن فيه على المنبر، و تأوّل أكثر العلماء ما ورد عنه أنّه كتب على أنّ معناه: أمر بالكتابة، كما تقول: كتب السّلطان لفلان بكذا، أي أمر بالكَتْبِ»[١].

وهذا النّص يضع القضيّة في نطاق احتمالات ثلاثة:

١ ـ أنّه ﷺ لم يكتب قطّ، ولم يقرأ بالنّظر في كتاب.

٢ ـ أنّه لم يمت حتّى كتب و قرأ.

٣ ـ أنّه كتب مباشرةً بيده (في أيّام بعثته).

والاحتمال الأخير هو الّذي لا يربط معرفته بالكتابة بما قبل الموت، بل يجعل ذلك معرفة أساسيّة على الأقل بعد البعثة، وهو الرّأي الّذي لقي مقاومة شديدة و نكيرًا من العلماء، ولكنّه على أيّة حال احتمال وارد قديمًا. و أكثر المسلمين على الاحتمال الأوّل، ولكلّ فريق دليله وتأويله. وأُثيرت هذه المسألة أيضًا حديثًا و لكنّها هذه المرّة في كتابات المستشرقين الّذين لا يخفون غالبًا أهدافهم من وراء أعمالهم. و أجمعهم لما كتب في المسألة هو المستشرق «رجيس بلاشير»[٢]، و قد ناقش الاحتمالين الأوّل والثّالث حين قال: «هل كان محمّد يعرف القراءة والكتابة؟ سؤال مهمّ جدًّا بالنّسبة إلى موضوعنا، وقد جاءت عنه إجابات مختلفة، فالرّأي الثّابت اليوم لدى المسلمين هو أنّ محمّدًا لم يكن يملك هذه المعرفة، و هو يعتمد على خبر قديم سابق في علم التّفسير، يجعل الاشتقاق «أُمّيّ» لا سيّما في التّعبير «النّبيّ الأُمّيّ» بمعنى جاهل لا يعرف القراءة والكتابة، و قد أخذ بهذا التّفسير عدد من المستشرقين مثل: أمِري و كازيمرسكي و مونتيه و مع ذلك فلنعد إلى السّورة الجُمُعة ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

---

١ ـ البحر ٧: ١٥٥.

٢ ـ Introduction an Coran. Edi. 1959

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[١] فكلمة «أُمِّيّ» في هذه الآية، وفي كثير غيرها يقصد بها العرب المشركون الّذين لم يتلقّوا وحيًا، كما هي حال اليهود والنّصارى، وهم لذلك يعيشون في جهل بشرع الله. وفي تفسير الطَّبريّ أخبار كثيرة مرفوعة إلى ابن عبّاس تؤيّد هذا المعنى و تزكّيه.

فالنّبيّ الأُمّيّ لا يعني إذن «النّبيّ الجاهل»، و إنّما يعني «نبيّ الوثنيّين»، و اشتقاق الكلمة العربيّة «أُمّة» يرجع بالتّأكيد إلى العبريّة أي «أُمم العالم» أي الوثنيّون الّذين كان اليهود والنّصارى يعرفونهم.

ولو أنّنا تأمّلنا من قريب الفكرة السّائدة في العالم الإسلاميّ فسنلاحظ أنّها ناشئة عن نزعة إلى المديح، فالّذي يدلّ على الأصل الإلٰهيّ للقرآن هو أنّ ذلك الكتاب قد أُوحي إلى أُمّيّ «جاهل»، حالت أُمّيّته بينه و بين أن يستقي معلوماته من أيّ تعلّم مباشر للكتب اليهوديّة والنّصرانيّة، وهكذا يروعنا التّناقض بين صورة محمّد في تواضعها كإنسان، و في عظمتها كرسول.

لذلك انتهى بعض المستشرقين إلى إقصاء القول بأُمّيّة محمّد جانبًا، و هؤلاء أيضًا لم يستطيعوا بداهة أن يفهموا استعمال الأمر «اقرأ» في أوّل سورة العلق، وهي كلمة لا تعني في الواقع الأمر بالقراءة، و إنّما معناها «أنذِر» أو«أُدع».

و تحيّر آخرون ـ بعكس هؤلاء ـ أمام نصوص متعارضة، بعضها يثبت «أُمّيّة محمّد»، و بعضها ينفيها. ولم تستطع دراسة المستشرق «قايل» أن تحسم الموقف، فهو قد اعتقد حين نظر في الآية ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ أنّ الأصل (ت ل و)، يعني العرض والاتّصال و التّقرير الشّفويّ، و معنى هذا لدى «قايل» أنّ محمّدًا كان يعرف القراءة والكتابة، و أنّ هذه الآية تشير ببساطة إلى أنّ محمّدًا لم يقرأ كتب اليهود والنّصارى السّابقةعلى بعثته.

ومع ذلك فإنّ استدلال «قايل» ليس مقنعًا؛ أوّلاً: لأنّ معنى الأصل (ت ل و) ليس هنا

---

١ ـ الجمعة /٢.

العرض، بل القراءة بصوت عال والإسماع، و ثانيًا: لأنّ «قايل» لم يلتفت لعبارة ﴿وَ لَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ الواضحة الدّلالة، و عليه فالآية تدلّ ـ دون زيادة ـ على أنّ محمّدًا لم يقرأ، و لم ينسخ الكتب اليهوديّة والنّصرانيّة، وهي لا تسمح بأن ندخل مسألة قدرته أو عجزه عن إتيانهما.

و ربّما وجب علينا أن نلجأ في ثقة إلى بعض السّطور المتناثرة في كتب السّنّة، ففي خبر الحُدَيْبيّة (عام ستّ من الهجرة ـ ٦٢٧م) أنّ محمّدًا و رسول مكّة سُهيلاً، قرّرا عقد معاهدة، فدعا محمّد كاتبه و بدأ يملي البَسْمَلة، ولكنّ سُهيلاً أوقف النّبيّ لساعته قائلاً: «أُكتُب كما كنت تكتب من قبل: باسمك اللّهمّ»، فمن الواضح أنّ سُهيلاً يشير إلى بعض كتابات بيد محمّد قبل رحيله من مكّة، و ربّماقبل مبعثه.

وَ آكَدُ من ذلك أيضًا مجموعة الأخبار الّتي تشير إلى أنّ النّبيّ ﷺ في مرض موته طلب كتفًا، أو قطعة من جلد و دواة، كيما يحرّر وصيّته السّياسيّة، ولم يدهش أحد من طلبه، وإذا كان الّذي حدث أنّهم لم يجيبوه إلى ما طلب، فلأنّ جانب أبي بكر و عائشة قد عارض في ذلك جانب عليّ.

و جملة القول: «إنّنا نرى وجود قرائن على أنّ محمّدًا كان يعرف القراءة والكتابة، وفضلاً عن ذلك فلدينا من الأسباب ما يحملنا على الظّنّ بأنّ رجالاً آخرين من أُسرته مثل: عمّه أبي طالب، و ابن عمّه عليّ كانت لديهم أيضًا هذه المعرفة»[1].

هذان الخبران اللّذان رجحا في نظر «بلاشير» معرفة النّبيّ للكتابة لا يحتويان سوى إشارات محتملة، فقصّة الحُدَيْبيّة نقضها هو بنفسه في هامش الصّفحة:١، حين ذكر أنّ «أكتُب» هنا تعني أيضًا «استَكتِب، أي أملِ»، وقد كان هذا الإملاء دأب رسول الله طيلة حياته، بل إنّه الطّريقة الّتي وجّه الله سبحانه المسلمين إليها عند المداينة[2]. و خبر الوفاة أضعف من ذلك دلالة على مراد المؤلّف، لأُمور في نظرنا، تتلخّص في:

١ ـ بلاشير، المدخل إلى القرآن: ٦ـ١١.

٢ ـ دلالة الألفاظ: ١٨٥.

١ ـ أنّ المؤلّف يجعل سبب عدم إجابة شهود النّبيّ في وفاته لمطلبه أنّ جانب أبي بكر و عائشة قد عارض في ذلك جانب عليّ. وقد اعتمد في ذلك على «ابن سعد»[١] و أخبار ابن سعد في «الطّبقات الكبرى»[٢]، لم يرد فيها جميعًا ذكر أبي بكر أو عائشة، فذكره لهما بهذه الصّورة يدلّ على هدف استشراقي، ربّما كان له مصدر آخر لم يذكره.

٢ ـ أنّ النّبيّ ﷺ كان في أحواله العاديّة يدعو بالقِرطاس والدّواة ليكتب كُتّاب الوحي ما يريد من آية أو رسالة، فكيف يتصوّر أنّه يريد عكس ذلك ـ أن يكتب بنفسه ـ في هذه اللّحظات الرّهيبة، و شبح الموت ماثل، و أعضاء الجسم مثقّلة بالآلام؟

٣ ـ وإتمامًا لهذه النّقطة يلاحظ أنّ بعض من عملوا معه كُتّابًا للوحي كانوا من شهود الوفاة، مثل عليّ و عمر[٣]، و الطّبيعي أن يقوم أحدهما بمهمّة الكتابة عن مريض يعاني سكرات الموت، إن لم يكن بحسب العادة.

ومع ذلك فقد وجدنا أحد تلاميذ بلاشير[٤] يؤيّده فيما ذهب إليه من تقرير معرفة النّبيّ ﷺ الكتابة والقراءة، قال: «انظر العرض الرّائع للأُستاذ «رجيس بلاشير» و يمكن أن نؤيّد فكرة معرفته لهذا الفن بملاحظة أُخرى، فالسُّوَر الأُولى الموحاة إلى محمّد تمتدح القلم والقراءة، وهو أمر لا يتوقّعه أُمّيّ (أي جاهل في نظر الدّكتور مندور)، دون أن يلتفت إلى أنّه ينقض كلام أُستاذه من طرف آخر، فكأنّه لم يقرأ تفسير أُستاذه للأمر «اقرأ» بمعنى «أنذر أو اُدع»، حتّى احتجّ له بما ترك الاحتجاج به، و كأنّ الوحي ـ من ناحية أُخرى ـ كان مشروطًا بتوقّع الرّسول، حتّى يلتزم حدود معرفته لا يتجاوزها.

أمّا رأينا الّذي نطمئنّ إليه في هذه القضيّة فيعتمد على حقيقتين:

١ ـ أنّ الصّحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون أحوال رسول الله و صفاته، و قد ذكروا من ذلك ما امتلأت به مجلّدات ضخام في كتب السّيرة، فكيف يتعرّضون لتفاصيل

---

١ ـ انظرها هامش: ١١ من المدخل.

٢ ـ الطّبقات الكبرى ٢: ٢٤٢ـ٢٤٥ ـ ط: بيروت.

٣ ـ المدخل: ١٢.

٤ ـ الدّكتور مصطفى مندور في رسالته للدّكتوراه عن القراءات الشّاذّة: ١٣.

حياته اليوميّة حتّى البسيطة، ولا يذكرون أنّه كان يعرف القراءة والكتابة؟ أليس ذلك دليلاً على أنّ النّبيّ لم يكن يعرفهما؟

٢ ـ أنّ النّبيّ ﷺ كان شديد الاهتمام بكتابة الوحي و إثباته عمومًا، مسجّلاً أو محفوظًا كلّما نزل، و قد كانت عمليّة إثبات النّصّ تتمّ بالوسيلتين معًا، أو بإحداهما مع غيبة الأُخرى، وقد كان يلقّن حُفّاظ القرآن بنفسه، و يدع الكتابة لمن يقومون بمهمّتها ممّن يتقنون فنّها، فلو أنّه كان يحسن ذلك لما تردّد مرّة أو مرّات عند غيبة الكاتب، و بخاصّة في جوف اللّيل، أن يكتب بنفسه، لكنّ النّبيّ ﷺ كان يعتمد في هذه الحالة ـ بخاصّة، و في سائر الأحوال بعامّة ـ على الحفظ و على التّحفيظ، و قد وردت في ذلك أخبار كثيرة منها: أنّه كان يستذكر القرآن فيقرأ لنفسه، قال عبد الله بن مَغْفَل: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة و هو يقرأ على راحلته سورة الفتح، ويقرأ على أصحابه». قال أنس: قال النّبيّ ﷺ لأُبيّ بن كعب: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، ويقرأ عليه أصحابه: «قال ابن مسعود: قال لي النّبيّ ﷺ اقرأ عَلَيَّ، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك و عليك أُنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النّساء».

وقبل ذلك كلّه و بعده ـ كان يقرأ على جبريل، و يقرأ عليه جبريل، قال ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ أجود النّاس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل ﷺ يلقاه كلّ ليلة في رمضان حتّى ينسلخ، يعرض عليه النّبيّ ﷺ القرآن[١]، و في حديث فاطمة... قالت: «أسَرَّ إليّ النّبيّ ﷺ أنّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كلّ سنة، و أنّه عارضني العام مرّتين، ولا أراه إلّا حضور أجلي»[٢].

فإذا نحن قرّرنا أنّ حديث القرآن عن «النّبيّ الأُمّيّ» و عن «الأُمّيّين» لا يعني في التّفسير الأرجح سوى «الوثنيّين غير أهل الكتاب»، فلن يمنع ذلك من أن نقرّر أنّ الأُمّيّة ـ بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة ـ كانت سمة المجتمع العربيّ الغالبة في تلك الفترة

---

١ ـ صحيح البخاريّ ١:٢٨٧ طبعة المطبعة البهيّة ١٢٩٩هـ.

٢ ـ البرهان في علوم القرآن ١:٢٣٢، نقلاً عن البخاريّ.

الحضاريّة[١]، و سيأتي تفصيل أخبار معرفتهم للكتابة فيما بعد.

ولم تكن أُمّيّة النّبيّﷺ بمعنى عدم معرفته القراءة والكتابة أمرًا يحرص النّبيّ على استدامته، ولكنّه كان حكم البيئة الّتي تربّى فيها، فحين كبرت سنّه، وفاتته فرصة تعلّمها لم يحاول تدارك ذلك، وقد أغناه الله بالوحي و بالرّسالة، ولكنّه حاول أن يبُثّ هذا الوعي بقيمة القراءة والكتابة في نفوس أصحابه، فاهتمّ بتعليم أبناء المسلمين بالمدينة، و بخاصّة عقب غزوة بدر، حين جعل فداء الأسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة. لكنّ ذلك لا يمنع أن يكون النّبيّ ـ بحكم ما عاصر من أحداث، و ما باشر من مهمّات تتّصل بالكتابة والقراءة ـ قد ألَمَّ بعض إلمام في آخر حياته بهما، لا من طريق القصد إليهما أو إلى إتقانهما، بل جاءت معرفته عفوًا و اتّفاقًا، وهو ما أشار إليه الشَّعبيّ في قوله المتقدّم: «ما مات رسول اللهﷺ حتّى كتب»، أي بعض كتابة، سنحت له معرفتها في آخر حياته، وهذا هو الاحتمال الثّاني الّذي نميل إلى ترجيحه في هذا المقام.

ثانيًا ـ كُتّاب الوحي و حُفّاظه

بذلك نستطيع أن نقرّر أنّ ما يمكن أن ينسب إلى الرّسول من إلمام ببعض الحروف والرّموز لم يكن بذي تأثير في تسجيل القرآن، فهذه العمليّة كانت موكولة إلى كتبة للوحي أُمناء، «وأوّل من كتب له بمكّة من قريش عبد الله بن أبي سَرْح، ثمّ ارتَدّ، ثـمّ عـاد إلى الإسلام يوم الفتح، و كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزُّبَيْر بن العَوّام، و خالد و أبان، ابناسعيد بن العاص بن أُمّية، و حَنْظَلَة بن الرّبيع الأُسيِّديّ، و مُعَيقِيب بـن أبـي فـاطمة، و عبد الله بن الأرقم الزُّهْريّ، و شُرَحْبيل بن حَسَنة، و عبد الله بن رواحة. و أوّل من كتب بالمدينة أُبيّ بن كعب، كتب له قبل زيد بن ثابت، و جماعة آخرون كتبوا له[٢] و قد بلغت عدّة كُتّاب الوحي في أتمّ إحصاء ثلاثة و أربعين كاتبًا[٣].

---

١ ـ دلالة الألفاظ: ١٨٣ـ١٨٨.

٢ ـ موقف القرآن من المشركين في مكّة: ٥٤ نقلاً عن عمدة القارئ ٢٠: ١٩.

٣ ـ حياة اللّغة العربيّة لحفني ناصف: ٦٢؛ و تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٢٠.

ولا ريب أنّ هؤلاء كانوا يكتبون نصّ القرآن كما يمليه النّبيّ ﷺ بلسان قريش، أي أنّ الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أحرف، لسبب بديهيّ هو أنّ دلالة الأحرف السّبعة لا يمكن ضمّها في رمز خطّيّ، و قد تمّت عمليّة الكتابة في مكّة بيد كُتّاب قرشيّين، و في المدينة بيد جماعة من الأنصار، ولم تكن بين الحيّين فروق في الرّسم تذكر على ما سيأتي.

لقد طرح المستشرق «بلاشير» سؤالاً عن مدى الثّقة الّتي يستحقّها كُتّاب الوحي، ثمّ أجاب بقوله: «و إذا كنّا نستطيع أن نثق ببعضهم ثقة مطلقة، فماذا نقول في رجل كعبد الله بن أبي سَرْح، الّذي ارتدّ وافتتن بأنّه كان يكتب: (غَفُورًا رَحِيمًا) حيث كان النّبيّ يُملي عليه: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]»؟ و ذكر أبو حَيّان قصّة ابن أبي سَرْح بوجه آخر أيضًا[2]، وسواء أصحّت هذه الرّواية أم تلك أم كلتاهما، فإنّ هذا الموقف لم يكن إلّا من ابن أبي سَرْح، و قد كان في مدارسة النّبيّ و جبريل كلّ عام لما نزل من القرآن حسم لأيّ تبديل أو خطأ يحتمل وقوعه، على أنّ ابن أبي سَرْح أسلم بعد ذلك و حسن إسلامه، ولم يظهر عليه شيء ينكر عليه[3]، ولو كان يرى أنّه أحدث في تسجيل القرآن حدثًا ما زال باقيًا، فمن المؤكّد أنّه كان سيبادر إلى تصحيحه، ولكن حيث لم يرو لنا شيء من هذا، فيبدو أنّ ذلك حدث منه مرّةً واحدةً أو مرّات قليلة[4]، لم يحتمل بعدها فؤاده وقع الخيانة فأعلن ردّته، و حينئذ تدارك كتبة الوحي الآخرون ما غيّره. فما رتّبه «بلاشير» على القصّة لا يسلّم له. و قد وجدنا تلميذ «بلاشير» يستخرج من قصّة ابن أبي سَرْح «أنّ النّبيّ لم يفطن إلى أنّ كاتبه كان يغيّر الكلمات عندما كان يكتب بإملائه»[5].

و نرى أنّه أخطأ في عبارته هذه خطأين:

---

١ ـ المدخل: ١٢، والسّابق نقلاً عن الطّبريّ في تاريخه.

٢ ـ البحر ٤: ١٨٠.

٣ ـ السّابق.

٤ ـ انظر فتوح البلدان، القسم الخامس: ٦٦٢.

٥ ـ رسالة الشّواذ: ١٤.

أوّلهما ـ أنّه أشار إلى مرجع خبره عن ابن أبي سَرْح (المصاحف:٣)، و ما ذكره كتاب المصاحف في هذا الموضع لا يتّصل بابن أبي سَرْح، ولم يرد خبر ابن أبي سَرْح في كتاب المصاحف مطلقًا، و إنّما المذكور في الموضع المشار إليه هو: حدّثنا حمّاد بن سَلَمَة عن ثابت عن أنس بن مالك... و واضح أنّ هذه لم تكن نهاية ابن أبي سَرْح، بعدما نقلنا من تاريخه.

وثانيهما ـ أنّ تعبيره يدلّ على أنّ الرّجل كان يمارس هذه العمليّة لمدّة طويلة، على حين أنّ ابن أبي سَرْح ـ كما فهمنا من رواية أبي حَيّان لخبره ـ لم يفعل ذلك سوى مرّة أو مرّات قليلة جدًّا، كما ذكر البَلاذُريّ، والأمر على أيّة حال مقتصر على لفظة بعينها، كما هو نصّ الحديث، و قد كان تصرّف الرّجل ـ إن صحّ الحديث ـ غير مفسد للمعنى، و إن كان من المؤكّد أنّ الأمر قد عاد إلى نصابه بالمراجعة، بعد اكتشاف عبثه.

على أنّ لهذه الأخبار دلالة أُخرى تُهِمّنا، للتّفرقة بين التّسجيل والمشافهة، فقد اتّضح من قبل أنّ من بين ما رخّص فيه في نطاق الأحرف السّبعة استبدال لفظ بلفظ (عليمًا حكيمًا ـ غَفُورًا رَحيمًا)، هو بمنزلة قولك: هلمّ و تعال و أقبل، فمثل هذه الرّخصة لم تكن مباحة في التّسجيل، و إن جاز قبولها من قارئ مشافهٍ، و هو دليل على أنّ القراءة بالأحرف السّبعة كانت مشروطة ببقاء بعض الظّروف، و أنّ النّبيّ كان يعلم أنّ الأمر راجع في النّهاية إلى إلغاء جانب كبير من هذه الرّخصة، يعين على ذلك أساسًا تسجيل القرآن كتابة.

ولم يقتنع «بلاشير» ببثّ بذور الشّكّ في عمليّة تسجيل القرآن على عهد النّبيّ من حيث أمانة الكتبة، حتّى بدأ يشكّ أيضًا في شمول عمليّة التّسجيل للنّصّ القرآنيّ كلّه قائلاً: «حدث أن قامت استحالات مادّيّة في سبيل تسجيل الوحي الهابط فجأة في السّفر و في الصّلاة و خلال اللّيل»[1]. ولا حاجة بنا إلى مناقشة هذا الكلام، بناء على ما تقرّر و ثبت من مراجعة النّبيّ للقرآن دائمًا، و مع ذلك يستمرّ «بلاشير» في التّشكيك في

١ ـ المدخل: ١٢ و ما بعدها.

الوسيلة الثّانية لنقل القرآن، وهي الحفظ، محتجًّا بقلّة عدد حُفّاظ القرآن على عهد النّبيّ، وبأنّ النّبيّ نفسه كان «ينسى» بعض الآيات كما ورد في خبر ضعيف كما وصفه، ولكنّه أيّده بالآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[1] وفرق بين النِّسيان والإنساء، كما هو واضح لمن لديه قدر يسير من ذوق العربيّة.

[ثمّ ذكر رواية عن البرهان في جمع القرآن حفظًا، كما تقدّم عنه، وذكر أيضًا كلام القاضي أبي بكر نقلاً عن أبي شامَة، كما تقدّم عنه، فقال:]

وجملة القول: إنّ القرآن قد ثبت تسجيلاً ومشافهةً على عهد رسول الله ﷺ وأنّ المشافهة كانت تضمّ حروفًا وروايات لم يعرفها التّسجيل، وأنّ مراجعة النّبيّ للنّصّ القرآنيّ كلّ عام كانت ضمانًا وثيقًا لسلامة النّصّ من النّقص والزّيادة والتّحريف، حتّى كانت العرضة الأخيرة.

ونزيد فنؤكّد أنّ تسجيل القرآن لم يتضمّن وجوهًا مختلفة ممّا أشار إليه حديث الأحرف السّبعة، بل كان تسجيله على حرف واحد فقط، لدليلين في نظرنا، هما:

١ ـ أنّ احتمال تسجيل روايتين في عبارة واحدة، مثلاً: «عليمًا حكيمًا» في تسجيلٍ، و«غفورًا رَحيمًا» في تسجيل آخر، يعني تواتر روايتين عن النّبيّ ﷺ ليست إحداهما بأولى من الأُخرى، ولا مرجّح لدى زيد عند جمع القرآن على عهد أبي بكر وكتابته على عهد عُثمان في رفض إحداهما وتقييد الأُخرى، ما دامت كلتاهما متواترة، ثابتة بالتّسجيل ثبوتًا قطعيًّا تؤيّده المشافهة.

٢ ـ وإذا كان اختلاف الصّحابة على عهد عُثمان في كتابة (التّابوت) بالتّاء مبسوطة أو مربوطة ـ حين رأى زيد كتابتها مربوطة (التّابوه)، وعلى ما عليه طريقة أهل المدينة، ورأى الآخرون أن تكتب مبسوطة (التّابوت) على ما عليه طريقة أهل مكّة، وأقرّ عُثمان الرّأي الأخير قائلاً: (اكتبوه «التّابوت»، فإنّه بلسان قريش) ـ قد جاء هذا إلينا منصوصًا عليه في مختلف المصادر، أفلا يكون من الأولى أن يرد إلينا ـ ولو في مصدر واحد ـ خبر

---

[1] ـ البقرة / ١٠٦.

اختلافهم في تفضيل تسجيل على آخر، إن كان قد حدث؟

فهذان دليلان متكاملان قاطعان بأنّ تسجيل ما سجّل من القرآن على عـهد النّـبيّ بإملائه على كُتّاب الوحي ـ وهو في نظرنا أكثر النّصّ، إن لم يكن جميعه ـ كان على حرف واحد و بصورة واحدة خالية من الزّيادة أو النّقص، أو التّبديل أو التّناقض ممّا تحتمله، أو لاتحتمله رخصة الأحرف السّبعة، أو ترتّب على فهم بعضهم لها، أو استند إليها. (٤٧ـ٥٧)

الفصل الخامس عشر

نصّ العلّامة العسكريّ (مُعاصِر)

في «القرآن الكريم و رواياتالمدرستين»

تدوين القرآن في مكّة

أ ـ من كان يقرأ و يكتب في مكّة

و نبدأ فيه بذكر أمر الكتابة في مكّة قبل نزول القرآن ثمّ نذكر بإذنه تعالى شأن تدوين القرآن بمكّة. أمر الكتابة في مكّة قبل نزول القرآن... **[ثمّ ذكر أسماء الكُتّاب نقلاً عن البَلاذُريّ، كما تقدّم عنه الرّقم ٢، فقال:]**

أمّا أمر تدوين القرآن، فإنّ النّظام الّذي كان قد سنّه الرّسول ﷺ لتدوين القرآن في مكّة والمدينة كان أمرًا واحدًا، و سوف ندرس نظام تدوين القرآن في أخبار القرآن في المدينة إنشاء الله تعالى.

ب ـ كيفيّة الإقراء

ينقسم قراءة القرآن و تدوينه في العصر المكّيّ إلى ما يخصّ الرّسول وما يعمّ المسلمين كالآتي بيانه:

١ ـ ما يخصّ الرّسول: إنّ أوّل ما أقرأ الله ـ جلّ جلاله ـ رسوله ﷺ من القرآن الكريم الآيات الخمس الأُولى من سورة «اقرأ» حيث قال سبحانه:

أ ـ في سورة العلق/١ـ٥: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ـ إلى ـ

مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ب ـ في سورة الأعلى /٦: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَاتَنْسىٰ﴾.

ج ـ في سورة القيامة /١٦ـ١٩: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْاٰنَهُ * فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ * ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

وفي صحيحي مسلم و البخاريّ، واللّفظ للأوّل[١]، بسندهما عن فاطمة: أنّ رسول الله ﷺ قال لها ـ في مرض وفاته ـ إنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ عام مرّة وأنّه عارضه به في العام مرّتين، ولا أراني إلّا قد حضر أجلي. كان ذلكم أمر إقراء الله ـ جلّ اسمه ـ نبيّه الكريم ﷺ القرآن سواء كان في مكّة أو في المدينة.

٢ ـ ما يعمّ المسلمين بمكّة: من خبر إقراء خَبّاب بن الأرَتّ فاطمة أُخت عمر بن الخطّاب و زوجها، علمنا أنّ الرّسول ﷺ كان قد نظّم خلايا سريّة لإقراء المسلمين القرآن بمكّة. وفي ما يأتي بعض أخبار القرآن لدى المهاجرين من مكّة إلى الحبشة...

المسلمون والقرآن في الحبشة

في سيرة ابن هِشام وطبقات ابن سعد وغيرهما ما موجزه: لمّا اشتدّ أذى قريش للمؤمنين الّذين أظهروا إسلامهم، أمرهم الرّسول بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر زهاء ثمانين رجلاً و امرأة من المسلمين، فأجارهم النّجاشيّ ملك الحبشة، فبعثت قريش بهدايا إليه مع عمرو بن العاص و عُمَارة بن الوليد وطلبت منه أن يعيدهم إلى مكّة، فجمع النّجاشيّ بين المسلمين وعمرو وعُمَارة، فقرأ جعفر عليه صدر سورة كٓهيعٓصٓ «سورة مريم»، فبكى النّجاشيّ حتّى اخضلّت لحيته و أبى أن يعيد المسلمين إلى قومهم قريش[٢].

لم يعيّن ابن هِشام وغيره إلى أيّة آية قرأ جعفر من سورة مريم، و لابدّ أنّه قرأ صدر

---

١ ـ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام الحديث رقم ٩٨ ـ ٩٩، ٤:١٩٠٥؛ وصحيح البخاريّ ٣:١٥١؛ كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النّبيّ ﷺ ومسند أحمد ٦:٢٨٢؛ وسنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ: ٥١٨ الحديث ١٦٢١.

٢ ـ سيرة ابن هِشام ١:٣٥٩ـ٣٦٠؛ و طبقات ابن سعد، ١:٢٠٧؛ و سيرة ابن إسحاق :١٩٤.

السّورة إلى الآية ٣٤ منها، والّتي جاء فيها ذكر زكريّا و يحيى و عيسى و مريم عليهم السلام.

إنّ خبر ابن مسعود و خبر جعفر يدلّان على أنّ المسلمين كانوا يحفظون ما نزل من القرآن ما يساعدهم أن يقرأوا في كلّ مكان ما يناسبهم، كما أنّ خبر خليّة بيت فاطمة ابنة الخطّاب كان يدلّ على وجود القرآن مكتوبًا عند المسلمين بمكّة. (١٣٩ـ١٤٢)

تدوين القرآن في المدينة

ندرس في هذا البحث الأُمور الآتية:

أ ـ أمر الكتابة في المدينة قبل الإسلام

[ثمّ ذكر قول البَلاذُريّ، كما سيجيء عنه في رسم القرآن الرّقم ٧، فقال:]

كانت الشّفاء كاتبة في الجاهليّة. بترجمتها من الاستيعاب والإصابة: أسلمت الشّفاء قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأوائل، بايعت النّبيّ صلى الله عليه وآله قبل الهجرة، وكانت من عقلاء النّاس وكانت ترقي النّملة.

ب ـ أمر الكتابة في المدينة بعد الإسلام

١ ـ من كان يقرأ ويكتب من الصّحابيات

[ثمّ ذكر أسماء النّساء اللّاتي يكتبن نقلاً عن البَلاذُريّ كما سيجيء عنه في رسم القرآن، الرّقم ٣ و٤ و ٥ و٦، فقال:]

٢ ـ اهتمام الرّسول صلى الله عليه وآله بتعليم الكتابة بين المسلمين

في إمتاع الأسماع: وكان في الأسْرىٰ من يكتُبُ، ولم يكن في الأنصار من يُحسِن الكتابة، وكان منهم من لا مال له، فيُقبَل منه أن يعلّم عشرة من الغِلمان الكتابة و يُخلي سبيلُه. فيومئذٍ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غِلمان الأنصار. خرّج الإمام أحمد من حديث عِكرِمة عن ابن عبّاس قال: كان ناسٌ من الأسْرىٰ يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلامٌ يبكي

إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني مُعلِّمي. قال: الخبيث!! يطلب بذَحْل بدر؛ والله لا تأتيه أبدًا[١].

وفي ترجمة الحكم وعبد الله بن سعيد بن العاص الأُمويّ من أُسد الغابة والإصابة: أنّه قدم على النّبيّ ﷺ مهاجرًا وكان اسمه الحكم، فسمّاه النّبيّ ﷺ عبد الله، وكان يكتب في الجاهليّة، فأمره رسول الله ﷺ أن يُعلِّم الكتاب بالمدينة وكان كاتبًا محسنًا.

ج ـ من كتب لرسول الله ﷺ

[بعد ذكر قول البَلاذُريّ نقلاً عن قول الواقِديّ في أوّل من كتب لرسول الله ﷺ الرّقم ٣، قال:]

واهتمّ الرّسول بنشر الكتابة في المدينة، وجعل فدية من يعرف الكتابة من سبعين أسيرًا في غزوة بدر تعليم كلّ واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

ومن النّساء كانت تكتب حَفْصَة زوجة الرّسول، وأُمّ كلثوم ابنة عُقْبة، وعائشة ابنة سعد، وكريمة ابنة المقداد، وزوجتا الرّسول عائشة وأُمّ سَلَمَة كانتا تقرءان ولا تكتبان.[٢]

كان في الصّحابة جمع يكتبون لرسول الله ﷺ في المدينة، عدّ منهم البَلاذُريّ من ذكرناه في فصل من كتب لرسول الله ﷺ وأضاف إليهم ابن سيِّد النّاس (ت: ٧٣٤) في فصل ذكر كُتّابه ﷺ من عيون الأثر وقال: أبو بكر وعمر وعليّ وعامر بن فُهَيرة وعبد الله بن الأرقم وثابت بن قَيْس بن شَمّاس والمُغيرة بن شُعبة وعبد الله بن زيد وجُهَيم بن الصَّلت والزُّبَيْر بن العَوّام وخالد بن الوليد وعمر وبن العاص وعبد الله بن رَواحة ومحمّد بن مَسْلَمة وعبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة وطَلحة بن عُبَيدالله ويزيد بن أبي سفيان والأرقم بن أبي الأرقم والعَلاء بن عُتْبة وأبو أيّوب الأنصاريّ وخالد بن زيد وبُرَيدة بن الحصيب والحُصَيْن بن نُمَيْر وأبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى وأبو سُفيان بن حَرْب وحاطب بن عمر. وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ثمّ ارتدّ ورجع إلى مكّة وكذب على رسول الله، فنزلت فيه: ﴿وَ مَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ

---

١ ـ إمتاع الأسماع للمقريزيّ: ١٠١؛ مسند أحمد ١:٣٤٧.

٢ ـ أمر الخطّ في فتوح البُلدان: ٦٦١ـ٦٦٢.

عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[١] ...[ثمّ ذكر قول المسعوديّ حول أسماء بعض الكُتّاب وترجم لهم اختصارًا، كما تقدّم عنه].

دراسة الخبر: وصف العلماء هذا العدد الكبير بكُتّاب الوحي، وأحيانًا وصفوا الواحد منهم بكاتب الوحي، ويصدق هذا الوصف عليهم جميعًا وعلى الواحد منهم كذلك في ما إذا كان رسول الله ﷺ قد عيّنهم لتدوين القرآن، بينما نجد المسعوديّ عندما يذكر نوع عملهم في الكتابة لم يخصّ أحدًا بذكر كتابة القرآن، ومن ثمّ نعرف أنّهم جميعًا كانوا يكتبون ما نزل من القرآن كسائر الكتبة من الصّحابة، وسنذكر في ما يأتي أنّ نسخة من القرآن كان في بيت الرّسول ﷺ، وأمر الإمام عليّ بجمعه بعد وفاته، ولعلّه كان قد أمره في حال حياته بكتابة تلك النّسخة، ثمّ أمره بعد وفاته بجمعها بعد أن كانت مكتوبة على قطع مختلفة.

كان ذلك شأن الكتابة والكُتّاب على عهد رسول الله ﷺ في المدينة، وفي ما يأتي خبر النّظام الّذي سنّه الرّسول في تدوين القرآن.

د ـ كيفيّة تدوين القرآن بأمر الرّسول ﷺ

في مسند أحمد بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال في حديثه عن الخليفة عُثمان أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ كان ممّا يأتي عليه الزّمان يُنزَل عليه من السُّوَر ذوات العدد، وكان إذا أُنزل عليه الشّيء يدعو بعضَ من يكتب عنده، يقول: ضَعوا هذا في السّورة الّتي يُذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآيات فيقول: ضَعوا هذه الآيات في السّورة الّتي يُذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآية فيقول: ضَعوا هذه الآية في السّورة الّتي يُذكر فيها كذا وكذا[٢].

وفي لفظ آخر قال: كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزّمان وهو ينزل عليه من السُّوَر ذوات العدد، فكان إذا أُنزل عليه الشّيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضَعوا هذه في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أُنزلت عليه الآيات قال: ضَعوا هذه الآيات في

١ ـ عيون الأثر ٢:١٩١.

٢ ـ مسند أحمد ١:٥٧؛ كنز العمّال ح: ٤٧٧٠.

السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا، و إذا أُنزلت عليه الآية قال: ضَعوا هذه الآية في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا[١].

ولفظ الحديث في سنن أبي داود كالآتي:قال عُثمان: كان النّبيّ ﷺ ممّا ينزل عليه الآيات، فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له: «ضَع هذه الآية في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا»، و تنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك.[٢]

و في سنن التِّرمِذيّ: قال عُثمان: كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزّمان وهو تنزل عليه السُّوَر ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا. و إذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.[٣]

و في مستدرك الحاكم و تلخيصه: فقال عُثمان رضي الله عنه: إنّ رسول الله ﷺ كان يأتي عليه الزّمان تنزل عليه السُّوَر ذوات عدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء يدعو بعض من كان يكتبه، فيقول: ضَعوا هذه في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا.

و تنزل عليه الآية، فيقول: ضَعوا هذه في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا[٤]. ووضع له رمز البُخاريّ و مُسلِم، أي أنّ الحديث صحيح على شرطهما. [ثمّ ذكر رواية القُرطُبيّ عن ابن وَهْب في تأليف القرآن و رواية المتّقي عن عَسْعَس بن سَلامة، كما سيجيء في باب الجمع ثمّ قال:] و في ترجمة رافع بن مالك من «أُسد الغابة» ما موجزه: إنّ رافع بن مالك بن العَجْلان الأنصاريّ الخزرجيّ تعلّم من رسول الله في مكّة سورة طه، ثمّ كتبها ثمّ أقبل بها إلى

---

١ ـ مسند أحمد ١:٦٩ ؛ و مستدرك الحاكم، كتاب التّفسير ؛ ٢:٢٢١. ذكر ابن الجَوْزيّ بعض الحديث في تفسيره زاد المسير، تفسير سورة التّوبة ٣:٣٨٩ ـ ٣٩٠.

٢ ـ سنن أبي داود ١:٢٠٩ كتاب الصّلاة، باب من جهر بها.

٣ ـ سنن التِّرمِذيّ ط. مصر سنة ١٣٥٣هـ ١١:٢٢٦ـ٢٢٧ في تفسير سورة التّوبة، و في تفسير ابن كثير ٢:٣٣١؛ و في فضائل القرآن ٤:١١ ؛ و في كتاب المصاحف لابن أبي داود: ٣١ ؛ و السّيوطيّ ٣:٢٠٧ـ٢٠٨، و كنز العمّال، الحديث ٤٧٧٠.

٤ ـ مستدرك الحاكم و تلخيصه للذّهبيّ ٢:٢٢١.

المدينة، فقرأها على بني زُرَيق. و في ترجمته من الإصابة: إنّه أوّل من قوّم كُتّابهم.

هـ ـ نظام تدوين القرآن

أ ـ كان الوحي يعيّن مكان الآيات في السُّوَر. في حديث عُثمان بن أبـي العـاص بمسند أحمد: قال: كنت عند رسولَ الله ﷺ إذ شخص ببصره... فقال: أتاني جبريل ﷵ فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السّورة: إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان...[1]

ب ـ كان الرّسول يأمر بتدوين الآيات في السّورة. ذكرنا حديث عُثمان في بحث كيفيّة تدوين القرآن السّابق.

وفي حديث البَراء بن عازب: «أنّ رسول الله ﷺ نزلت عليه آية فقال: ادع لي زيدًا، و ليجيء باللّوح والدّواة والكَتف أو الكَتِف والدّواة قال: ثمّ اكتب...» الحديث.[2]

و في مستدرك الحاكم و تلخيصه: عن زيد بن ثابت قال: كنّا حول رسـول الله ﷺ نؤلّف القرآن... و في رواية: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرّقاع... [ثمّ ذكر قول الحاكم كما سيجيء عنه في باب الجمع الرّقم ٢].

و ـ القلم الّذي خطّ به القرآن

أطنب المستشرقون ومن تبعهم من المشارقة في التّفكير في وصف الخطّ الّذي كتب به القرآن في صدر الإسلام.

أمّا المستشرقون منهم، فإنّهم أرادوا بعملهم التّشكيك من طرف خفيّ بثبوت النّصّ القرآنيّ، كما سنشرحه في آخر هذا الباب إن شاء الله تعالى. وسار أتباعهم من الشّرقيّين في طريقهم دونما تنبّه لهدفهم المنشود.

أمّا نحن فنقول: إنّ كلّ ما فعلوه باسم البحث العلميّ لا جَدوىٰ فيه بتاتًا، و يكفينا في هذا الصّدد أن نعلم أنّ الخطّ الّذي دوّن المسلمون به قرآنهم كالآتي تصويره... [ثمّ ذكر نموذجًا لذلك الخطّ و إن شئت فراجع]. (٢٠٥ـ٢١٦)

---

١ ـ مسند أحمد ٤:٢١٨.

٢ ـ صحيح البخاريّ ٣:١٥١ كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النّبيّ.

الفصل السّادس عشر

نصّ الدّكتور حجّتيّ (معاصر)
في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

كتابة القرآن

مقدّمة

نحن نعلم بأنّ القرآن حفظ عن طريق الاستظهار والكتابة. و من أجل أن نطّلع على كيفيّة كتابة القرآن، نلقي الضّوء فيهذا الفصل على دخول الخطّ و الكتابة إلى الجـزيرة العربيّة. وهذايتطلّب منّا استعراض نظريّة نشوء الخطّ وتطوّره... [كما سيجيء عنه في باب رسم الخطّ للقرآن].

كُتّاب الوحي الأوائل

أوّل كاتب للوحي في مكّة كان عبد الله بن سعد بن أبي سَرح، وقد ارتدّ، ثمّ عاد إلى الإسلام بعد فتح مكّة. و أوّل كاتب للوحي في المدينة كان أُبيّ بن كعب[1]، وكان ينهض بهذه المهمّة لدى غيابه زيد بن ثابت.[2]

وهناك روايات تذكر أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و يليه زيد بن ثابت كانا أوّل كتبة الوحي، لملازمتهما أكثر من غيرهما من الصّحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله.[3]

---

١ ـ موقف القرآن من المشركين بمكّة : ٥٤. نقلاً عن عمدة القارئ ٢٠ : ١٩.

٢ ـ هامش تاريخ القرآن للزّنجانيّ:٤٢.

٣ ـ تاريخ القرآن، عبدالصّبور شاهين: ١٦٤.

والجدير بالذّكر أنّ كتابة الوحي لا تعتبر ميزة تقديسيّة للصّحابيّ، فبين كُتّاب الوحي من هو مطعون في دينه على لسان رسول الله ﷺ مثل معاوية بن أبي سفيان، ومنهم من عمد إلى تحريف القرآن ونزلت فيه الآية: ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا...﴾[1] وهو عبد الله بن سعد بن أبي سَرح، أخو عُثمان بن عَفّان في الرّضاعة.

وقد اتّخذ البعض تحريف عبد الله هذا دليلاً على وقوع التّحريف في القرآن مع عدم علم النّبيّ ﷺ بذلك! وهو مردود، لأنّ الوحي نبّه الرّسول ﷺ إلى هذا التّحريف وصحّحه، إضافة إلى أنّ كُتّاب الوحي متعدّدون، ولم تقتصر الكتابة في وقت من الأوقات على عبد الله بن سعد. نضيف إلى ما تقدّم أنّ ما ورد على لسان عبد الله بن سعد ـ من تعمّده للتّحريف ـ هو تغييره لعبارة: ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعبارة «وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» وأمثالها من العبارات، ولا يتجاوز ذلك بضع مواضع.

على أيّ حال، فمسألة كتابة الوحي وتدوين القرآن في حياة النّبيّ ﷺ لا يعتريها شكّ أو تردّد. وكان كُتّاب الوحي يكتبون الآيات ـ بأمر الرّسول ﷺ في نسختين، نسخة يودعونها في بيت النّبيّ ﷺ، ونسخة يحتفظون بها لأنفسهم[2].

وثمّة روايات تذكر أنّ النّبيّ ﷺ كان يشرف حتّى على طريقة الكتابة. من ذلك ما رواه الشّهيد الثّاني أنّ الرسول ﷺ قال لأحد كُتّاب الوحي: «أَلِقِ الدّواة، وحَرِّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السّين، ولا تعوّر الميم، وحسّن الله، ومُدّ الرّحمٰن، وجوّد الرّحيم، وَضَع قلمك على أُذنك اليُسرى»[3].

أدوات الكتابة

مرّ بنا أنّ أدوات الكتابة كانت معروفة لدى العرب، ووردت في القرآن كلمات بهذا الشّأن مثل: القرطاس والقلم والمِداد والصُّحُف والسِّجِلّ والرَّقّ.

---

١ ـ هود / ١٨.

٢ ـ المصاحف: ٥.

٣ ـ منية المريد: ١٦١ط. النّجف؛ بحار الأنوار ٩: ١٠، ط حجر.

وفي الأحاديث المرويّة بشأن كتابة القرآن وردت أسماء لأدوات الكتابة الّتي كان يستعملها كُتّاب الوحي مثل:

العُسُب: جمع عسيب وهو جريد النّخل.

واللِّخاف: جمع لخفة و هي الحجارة الرّقيقة.

والأكتاف: جمع كتف وهو عظم كتف الإبل أو الشّاة.

والأقتاب: جمع قَتَب وهو الخشب الّذي كانوا يضعونه على ظهر البعير ليركبوا عليه.

والرِّقاع: جمع رُقعة ولها معنى واسع يشمل أوراق الأشجار وجلود الحيوانات وكلّ ألوان الورق الأُخرى.

الحرير: نسيج كانوا يكتبون القرآن عليه أحيانًا.

القراطيس: جمع قرطاس وهو الورق[1]. **(٩٥-٩٧)**

نصّه في «پژوهشى در تاريخ قرآن»[2]

كتابة القرآن الكريم

كتابة القرآن في عهد رسول الله ﷺ

لقد ذكرنا في الفصل السّابق «مقدّمة في كتابة القرآن في عهد النّبيّ ﷺ»: أنّ أحد العوامل الّتي تحفظ القرآن و تصونه من أيّ تصحيف و تحريف هو كتابته، كما أشرنا أيضًا إلى أنّ رسول الله ﷺ قد اهتمّ بكتابة الوحي اهتمامًا بالغًا. و صادف أثناء مبعثه و سني حياته وجود عدد قليل من الرّجال يحسنون القراءة والكتابة، فانتخب رسول الله ﷺ بضعة منهم لكتابة الوحي تدريجيًا.

---

١ ـ راجع الفهرست: ٣١ و ٣٦؛ الإتقان ١: ٩٩.

٢ ـ قد ترجمنا هذا النّصّ من الفارسيّة.

وينبغي قبل الخوض في بحث كتابة القرآن والوحي في عصر النّبيّ ﷺ التّذكير بأنّ علماء الجمهور يعتقدون استنادًا إلى حديث مرويّ عن رسول الله ﷺ أنّ المسلمين لم يكتبوا شيئًا سوى القرآن في حياة النّبيّ ﷺ، حتّى أنّهم امتنعوا من تدوين الحديث أيضًا[١] إذ رووا عن النّبيّ ﷺ قوله: «لا تكتبوا عنّي غير القرآن شيئًا، و من كتب عنّي غير القرآن شيئًا فليمحه»[٢].

ولكنّ محقّقي الشّيعة يعتقدون أنّ المسلمين دوّنوا الحديث في عهد رسول الله ﷺ، و قالوا: لم يرد أيّ منع و نهي عن ذلك.[٣]

أجل، إنّ رسول الله ﷺ أمر بكتابة القرآن بُغية صيانة نصوصه، إلى جانب الاستعانة بقوّة ذاكرته و ذاكرة المسلمين، وكان يطلق على أُولئك الّذين يزاولون كتابة القرآن اسم «كُتّاب الوحي»، وكان عددهم حسب دراسات المحقّقين المسلمين و فريق من المستشرقين يبلغ ثلاثة وأربعين أو خمسة وأربعين كاتبًا، كانوا يمارسون كتابة الوحي في حياة النّبيّ ﷺ[٤]... [ثمّ ذكر أربعين اسمًا من كُتّاب الوحي، كما تقدّم عن البَلاذُريّ والزّنجانيّ و عبدالصّبور شاهين والدّكتور راميار].

أوّل من كتب الوحي في مكّة والمدينة

[و بعد ذكر أوّل من كتب الوحي في مكّة والمدينة، كما تقدّم عن الدّكتور راميار قال:]

إنّ أوّل من حاز قصب السّبق في كتابة الوحي خلال المرحلة الأُولى حسب

---

١ - ذكر علماء العامّة أنّ النّبيّ ﷺ نهى عن تدوين الحديث وغيره في زمانه، لئلّا يختلط القرآن بغيره.

٢ ـ المصاحف: ٩؛ وتقييد العلم: ٢٩؛ والإتقان ١:٥٧.

٣ ـ انظر تأسيس الشّيعة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ وهامش تاريخ أدبي إيران: ٢٩٢ـ٣٩٦.

٤ ـ راجع «تاريخ القرآن» للزّنجانيّ ٢٠؛ و«تاريخ القرآن» للدّكتور عبدالصّبور شاهين: ٥٣ ـ ٥٤، وحياة اللّغة العربيّة: ٦٢، و«بلاشر» المستشرق المعروف، فقد استطاع أن يعدّ أسماء كُتّاب الوحي إلى أربعين كاتبًا، انظر: Blachere, Intr; cor,p12 وقد توصّل «بلاشر» إلى هذا العدد بمقارنة ودراسة نصوص «وستفالي» و«كازانوا»، واستند «كازانوا» بدوره إلى كتاب الطّبقات ونصوص الطّبريّ والنّوَويّ وصاحب السّيرة الحلبيّة وسائر المصادر الإسلاميّة الأُخرى، راجع: (Caanova, Mohammed et Findu mcnd, 96) نقلاً عن مباحث في علوم القرآن: ٦٩.

الرّوايات هو عليّ بن أبي طالبعليه السلام ثمّ زيد بن ثابت؛ إذ كانا ملازمَين للنّبيّصلى الله عليه وآله قبل غيرهما.[١]

وقال الدّكتور عبد الصّبور شاهين: «عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، و أحد السّابقين إلى الإسلام منذ كان غلامًا حدثًا، و قد عاش كفاح هذه الدّعوة الخالدة بكلّ أحداثه و مراحله، و رافق رسول الله في أكثر وقائعه و غزواته، وكان من بين الّذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد النّبيّ، إلى جانب أنّه كان من كُتّاب الوحي».[٢]

ومن الجدير بالذّكر أنّ أُبيّ بن كعب كان ممّن بذّ الآخرين في كتابة الوحي أيضًا، وكان يملك رصيدًا ضخمًا من نصوص القرآن، كما جاء في ترجمة تفسير الطّبريّ: «...كان هذا القرآن متفرّقًا في أيدي النّاس؛ آيات وسورًا قليلاً أو كثيرًا، ولم يكن عند أحد من القرآن أكثر ممّا عند أُبيّ بن كعب، لأنّه كان مصاحبًا للنّبيّصلى الله عليه وآله و ملازمًا له دائمًا، فكان يكتب كلّما ينزل في ليل كان أم في نهار، بينما لم يكن سائر الصّحابة كذلك...».[٣]

وقالوا في شأن زيد بن ثابت أيضًا برواية خارجة بن زيد، قال: «دخل نفر على زيد ابن ثابت فقالوا: حدّثنا بعض حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال: ماذا أُحدّثكم؟ كنت جار رسول اللهصلى الله عليه وآله، فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي».[٤]

وذكروا أيضًا أنّه لمّا نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ﴾[٥]، قال النّبيّصلى الله عليه وآله: «ادعُ لي زيدًا، وليجيء باللّوح والدّواة والكتف»، أو «الكتف والدّواة». ثمّ قال: «اكتب: لا يستوي القاعدون».[٦]

وتدلّ هذه الأخبار و سائر الرّوايات المشابهة لها على أنّ هؤلاء الثّلاثة ـ أي عليّ بن أبي طالبعليه السلام، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت على التّرتيب ـ كانوا يتمتّعون برفعة لا

---

١ ـ تاريخ القرآن للدّكتور عبدالصّبور شاهين: ١٦٤.

٢ ـ المصدر السّابق نفسه.

٣ ـ ترجمة تفسير الطّبريّ بالفارسيّة ١: ٧.

٤ ـ المصاحف: ٧.

٥ ـ النّساء /٩٥.

٦ ـ تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٢٠.

تطاول في مضمار كتابة الوحي والإلمام بنصوص القرآن، لملازمتهم لرسول الله ﷺ.
و سنلحظ في الفصول اللّاحقة شواهد و قرائن أوضح في هذا الموضوع، إذ ذكر ابن النّديم في فصل «الجُمّاع للقرآن على عهد النّبيّ» اسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الصّدر، ثمّ ذكر أسماء الآخرين.[١]

ومن جهة أُخرى فإنّ بعض كُتّاب الوحي ما كانوا يحظون برضى رسول الله ﷺ فحسب، بل كانوا ـ لأسباب ـ عرضة لسخطه و امتعاضه أيضًا، إذ كان بينهم أُناس وُصفوا بأنّهم جامحون في الغواية، و سادرون في العماية، و يمكن تسمية بعضهم هنا لأُمور تقدّم ذكرها، و منهم: معاوية بن أبي سفيان و عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح.

[ثمّ ذكر رواية ابن محبوب عن الباقر عليه السلام و رواية أبي بصير عن الصّادق عليه السلام و شأن نزول قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ...﴾، كما تقدّم عن الصّدوق برقم١ والقمّيّ برقم ١ و ٢. وذكر عقيب ذلك قول الصّدوق حول علّة اختيار رسول الله ﷺ معاوية و عبد الله بن سعد لكتابة الوحي كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

إنّ عمل عبد الله بن أبي سَرْح حول تحريف القرآن لايمكن أن يثير شبهة في نصّه، لأنّ الكُتّاب الآخرين يكتبون الوحي أيضًا، إذ كان عملهم جديرًا بالتّقدير، أي أنّ تحريف عبد الله يتلافى بكتابة كُتّاب الوحي، فضلاً عن أنّه يكتشف من قبل الوحي و يصوّب.

و يثير «بلاشر» هنا سؤالاً بقوله: ما مدى الثّقة الّتي يستحقّها كُتّاب الوحي؟ يعني إذا كنّا نستطيع أن نثق ببعضهم ثقة مطلقة، فماذا نقول في رجل كعبد الله بن أبي سَرْح الّذي ارتدّ وافتتن بأنّه كان يكتب «غفورًا رحيمًا» بدل ﴿عزيزًا حكيمًا﴾.[٢]

و ينبغي القول:

أوّلاً ـ ذكر أبو حَيّان اتّهام عبد الله بوجه آخر في كتابه[٣]، إلّا أنّ هذه التّهمة المحدودة في شخص عبد الله بن أبي سَرْح في تاريخ كتابة القرآن، لا يمكنها أن تسيء إلى صحّة

---

١ ـ الفهرست: ٤١ ـ طبعة مصر.
٢ ـ Blachere Intr. Cor, p.12.
٣ ـ راجع البحر المحيط ٤: ١٨٠.

كتابة الآخرين، و أنّ مدارسة القرآن و معارضته بين النّبيّ ﷺ و جبرئيل ﷺ ـ الّتي تجري كلّ عام ـ تحسم أيّ تبديل و تغيير أوخطأ في كتابة الوحي.

و ثانيًا ـ أنّ الكُتّاب الآخرين يتداركون بكتابتهم أيّ خطأ أوخلل.

إنّ هذا السّؤال الّذي طرحه «بلاشر» و أراد به أن يرتكز إلى قصّة عبد الله، لهو عقيم نظرًا إلى الموارد الآنفة الذّكر، ولا يتمخّض عن إثارة الشّبهة في كتابة النّصّ القرآنيّ، بيد أنّ مايؤسف له هو أنّ أحد تلامذته وهو «مصطفى مندور» يستند إلى قصّة عبد الله في ذات النّبيّ ﷺ، فيقول: إنّ النّبيّ نفسه لم يفطن إلى أنّ كاتبه عبد الله بن أبي سَرْح كان يغيّر الكلمات عندما كان يكتب بإملائه.[1]

و يجب أن نذكّر قبل أن نردّ على «مصطفى مندور» بأنّه يحسب أنّ مصدر القصّة المتعلّقة بعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح هو الصّفحة السّابعة من كتاب «المصاحف» في حين أنّ القصّة المذكورة في هذا الكتاب لا تمتّ بصلة إلى ابن أبي سَرْح، كما أنّه لم يرد اسم أبي سَرْح في كتاب «المصاحف» مطلقًا، و إنّما سرد ابن أبي داود القصّة المذكورة في هذا الكتاب ـ بشكل يختلف عن رواية المَجْلِسيّ ـ على النّحو التّالي... [ثمّ ذكر نفس القصّة الّتي نقلها ابن أبي داود عن حَمّاد بن سَلَمة و أنس بن مالك كما تقدّم عنه، ثمّ قال :]

لقد ظهر أنّ اسم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح لم يرد في هذا الحديث الّذي يمكن أن يكون موضوعًا و مجعولاً.

و إضافة إلى ذلك، على «مصطفى مندور» أن يعلم أنّ عمل عبد الله مادام طويلاً، بل أنّه حدث ـ كما يفهم من رواية أبي حيّان ـ مرّة أو بضع مرّات قليلة و يسيرة، كما يؤيّد البَلاذُريّ الحقيقة أيضًا. وعلاوة على ذلك فإنّ نوع تغييرات ابن أبي سَرْح لم تحدث خللاً مهمًّا في معنى الآية، و سرعان ما انكشف غشّه.

وعليه فإنّ هذه الشّبهة الواهية لايمكنها. أن تثير أدنى شكّ في صحّة كتابة القرآن بواسطة كُتّاب الوحي.

---

١ ـ رسالة الشّواذّ: ١١٣.

وللشّيخ الصّدوق تبرير جدير بالاهتمام حول انتخاب معاوية و عبد الله بن سعد بن أبي سَرح لكتابة الوحي، فقال: «و وجه الحكمة في استكتاب النّبيّ ﷺ الوحي ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وعلى أيّ حال، فإنّ قضيّة كتابة الوحي و تسجيل القرآن في عهد النّبيّ ﷺ ـ نظرًا إلى الوثائق و المدارك المعتبرة ـ أمر لا يتداعى إليه الشّكّ أبدًا، كما ينبغي التّذكير بأنّ كُتّاب الوحي كانوا يضعون نسخة من القرآن في بيت رسول الله ﷺ كلّما يكتبون شيئًا منه طبق إيعازه، و يحتفظون بنسخة منه لديهم أيضًا.[1]

و هناك شواهد كثيرة لا تعدّ ولا تحصى لكتابة القرآن في عهد النّبيّ ﷺ الّتي تعدّ بنفسها من الأُمور الواضحة والبديهيّة لقصّة القرآن و تاريخه، و نقدّم أدناه نموذجين رعاية للاختصار.

كانت الرّسل الّتي يبعثها رسول الله ﷺ إلى النّاس في المناطق المختلفة كمعلّمين للقرآن ودعاة للدّين، يصطحبون نسخة من القرآن. وقصّة إسلام عمر ـ الّتي حدثت حينما رأى صُحُفًا من القرآن لدى أُخته[2] ـ تؤيّد قضيّة كتابة القرآن في بدء نبوّة النّبيّ ﷺ.

ويستفاد من بعض الرّوايات أنّ رسول الله ﷺ كان يصدر تعليمات وتوجيهات مشوبةً بحلاوة النّحيزة ولطافة الغريزة في أُسلوب كتابة بعض حروف القرآن وكلماته ... [ثمّ ذكر رواية نقلاً عن الشّهيد الثّاني كما تقدّم عنه، ثمّ قال :]

لقد سرد الشّهيد الثّاني في كتابه[3] روايات أُخرى نظير هذه الرّواية، تحكي إعمال سجيّة رسول الله ﷺ و سليقته في قضيّة كتابة القرآن الكريم. و يمكن أن يكون هذا النّهج قد اتّبع في المراحل الأخيرة من حياة النّبيّ ﷺ، إذ لعلّه ألمّ ببعض الحروف تدريجيًّا.(٢٠١ ـ ٢١١)

---

١ ـ المصاحف: ٩؛ تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٢٢.

٢ ـ راجع الفصل السّابق «مقدّمة في كتابة القرآن» تحت عنوان «الخطّ والكتابة عند ظهور الإسلام في مكّة»، و تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٢١.

٣ ـ ولمزيد من التّفصيل راجع المصادر أعلاه.

الفصل السّابع عشر

نصّ ميرمحمّديّ(معاصر)
في«بحوث في تاريخ القرآن وعلومه»

من هم كُتّاب الوحي؟

إنّ الّذين كانوا يعرفون القراءة في الصّدر الأوّل من الإسلام، كانوا قلّة قليلة جدًّا، أمّا من كانوا يعرفون الكتابة فأقلّ من هذا القليل. و حيث كان تدوين القرآن وكتابة الوحي من الأهمّيّة بمكان، لحفظه من الضّياع أو الاختلاف، لم يكن مانع من الاستعانة بأيّ كان، ممّن يعرف القراءة والكتابة، بعد التّأكّد من صحّة ما يكتب و موافقته للوحي. هذا و قد اختلفت الآراء في الّذين كانوا يكتبون الوحي للنّبيّ ﷺ عدًّا و تشخيصًا، حتّى لقد عدّ بعضهم من لم يكتب الوحي في جملة من كتبه، و آخرون أهملوا من كتب الوحي، وعدّوا من لم يكتبه، إلّا أنّ فئة ثالثة أهملت الخوض في التّفاصيل، و اكتفت بعدّ من كتبوا للنّبيّ ﷺ من دون تقييد بكونه كتب الوحي أو غيره. ولعلّ سرّ ذلك الاختلاف يعود إلى الخلط بين من كان يقوم بكتابة الوحي، و بين من كان يكتب الرّسائل و العهود و نحو ذلك، هذا إن لم نقل: إنّ التّعصّبات المذهبيّة قد كان لها ـ إلى حدّ ما ـ أثرها في ذكر من ذكر، و إهمال من أهمل.

و بعد كلّ ما تقدّم نقول: إنّ كُتّاب الرّسول ﷺ بمعنى من كان يكتب له سواء كان يكتب الوحي فقط أو غيره فقط، أو هما معًا ـ كُتّابه ﷺ بهذا المعنى ـ كثيرون. ولعلّهم كانوا ـ على ما في السّيرة الحلبيّة ـ ستّة و عشرين كاتبًا، و على ما في محكيّ السّيرة للعراقيّ

اثنين و أربعين.

قال في الاستيعاب في ترجمة أُبيّ: «إنّه كان من المواظبين على كتابة الرّسائل عن النّبيّ ﷺ عبد الله بن أرقم الزُّهْريّ، و كان الكاتب لعهوده إذا عاهد، و صلحه إذا صالح عليّ ابن أبي طالب عليه السلام. وممّن كتب لرسول الله ﷺ أبو بكر، ذكر ذلك عمر بن شَبَّة في كتاب الكُتّاب، و فيه زيادات على هؤلاء أيضًا...» [ثمّ ذكر عشرين اسمًا لكُتّاب الوحي كما تقدّم عن البَلاذُريّ والزّنجانيّ، فقال:]

و يلاحظ على نصّ الاستيعاب أنّه قد أطلق القول، ولم يبيّن كُتّاب الوحي منهم من غيرهم إلّا بالنّسبة إلى أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، حيث قال في صدر كلامه: «و كان أُبيّ ابن كعب ممّن كتب لرسول الله ﷺ الوحي قبل زيد بن ثابت، و معه أيضًا». و نحوه في الإطلاق ما في أُسد الغابة في ترجمة أُبيّ، إلّا أنّه في ترجمة زيد بن ثابت قال: «و كان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره».

كما أنّ كلام اليعقوبيّ مطلق، لم يبيّن فيه كُتّاب الوحي من غيره. قال في ج ٢: ٦٤ من تاريخه: «و كان كُتّابه الّذين يكتبون الوحي والكتب والعهود عليّ بن أبي طالب... [و ذكر كما تقدّم عن البَلاذُريّ والزّنجانيّ، ثمّ قال:]

لكن في محكيّ «منبع الحياة» للسّيّد نعمة الله الجزائريّ قال: «كانوا أربعة عشر رجلاً من الصّحابة على رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام. وكانوا في الأغلب لا يكتبون إلّا ما يتعلّق بالأحكام، و ما يوحى إليه في المحافل والمجامع. وأمّا الّذي كان يكتب ما ينزل في خلواته و منازله فليس هو إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه كان يدور معه كيفما دار، فكان مُصْحَفه أجمع من غيره من المصاحف».

وكيف كان فما ذكره الأُستاذ أبو عبد الله الزّنجانيّ في كتابه: «تاريخ القرآن» من أنّه كان للنّبيّ ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي ـ بالخطّ المقرّر و هو النّسخيّ ـ وهم ثلاثة و أربعون أشهرهم الخلفاء الأربعة...»، إمّا أنّه سهو من قلمه أو أنّه ظفر بما لم نظفر به، ممّا يدلّ على أنّهم جميعًا كانوا يكتبون الوحي له ﷺ.

و على أيّ حال، فإنّ ما يهمّني في هذا المجال هو ذكر من ثبت أنّه كان كاتبًا للوحي

على حسب ما يساعد عليه الدّليل، فأقول: إنّ من ثبت أنّه كتب الوحي للرّسول صلى الله عليه وآله:

١ ـ عليّ بن أبي طالب عليه السلام

و قد تقدّم التّصريح بذلك فيما نقلناه عن منبع الحياة...

و قال ابن عَبْد رَبِّه في «العقد الفريد» ٣: ٥ في فصل صناعة الكتاب قال: فمِن أهل هذه الصّناعة عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان مع شرفه ونبله و قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله يكتب الوحي...».

و قال العلّامة المجلسيّ نقلاً عن بصائر الدّرجات: «عن العبّاس بن معروف عن حَمّاد ابن عيسى عن رَبَعي بن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان جبريل يملي على النّبيّ صلى الله عليه وآله و هو يملي على عليّ عليه السلام الرّواية»[١].

وقال: «ابن شهراشوب في المناقب... في كُتّابه صلى الله عليه وآله... كان عليّ عليه السلام يكتب أكثر الوحي و يكتب غير الوحي».

وقال أيضًا في باب المسابقة إلى العلم ج ٢: «أفلا يكون عليّ أعلم النّاس؟ وكان مع النّبيّ صلى الله عليه وآله في البيت والمسجد يكتب وحيه و مسائله، و يسمع فتاواه و يسأله. وروي أنّه كان النّبيّ صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي ليلاً لم يصبح حتّى يخبر به عليًّا، و إذا نزل عليه نهارًا لم يمسِ حتّى يخبر به عليًّا».

و قد أورد آية الله الخوئيّ رحمه الله في كتاب البيان، فصل «صيانة القرآن من التّحريف»: ١٧٢.

أورد حديث احتجاج عليّ على جماعة من المهاجرين و الأنصار، وفيه يقول: إنّه قال: يا طلحة! إنّ كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمّد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله و خطّ يدي، و تأويل كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمّد صلى الله عليه وآله و كلّ حلال و حرام أو حدّ أو حكم، أو شيء تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، فهو عندي مكتوب بإملاء

---

١ ـ بحار الأنوار ١٨: ٢٧٠.

رسول الله ﷺ و خطّ يدي حتّى أرش الخدش...». و يمكن أن نعطف على ما تقدّم ممّا يؤيّده ـ و إن لم يكن صريحًا في ذلك ـ ما في كتاب سُلَيْم بن قَيْس، حيث يقول في كتابه:

١٧١. «جلست إلى عليّ بالكوفة في المسجد والنّاس حوله، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلّا و قد أقرأنيها رسول الله ﷺ و علّمني تأويلها، فقال ابن الكوّاء: فما كان ينزل عليه و أنت غائب؟ فقال: بلى، يحفظ عليَّ ما غبت، فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرأنيه و تأويله كذا وكذا فيعلّمنيه».

و ما ورد في الفصل الخامس من مقدّمة تفسير «مرآة الأنوار» عن أبي خالد الواسطيّ عن زيد بن عليّ عليه السلام قيل: «قال أمير المؤمنين: ما دخل رأسي نوم ولا غمض على عهد رسول الله ﷺ حتّى علمت من رسول الله ﷺ ما نزل به جبرئيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام، أو سُنّة، أو أمر أو نهي، و فيما نزل، و فيمن تنزّل. فخرجنا فلقينا المعتزلة، فذكرنا ذلك لهم، فقالوا: إنّ هذا الأمر عظيم! كيف يكون هذا و قد كان أحدهما يغيب عن صاحبه؟ فرجعنا إلى زيد، فأخبرناه بردّهم علينا، فقال: كان يتحفّظ على رسول الله ﷺ عدد الأيّام الّتي غاب بها، فإذا التقيا قال رسول الله ﷺ: يا عَلِيّ نزل علَيّ في يوم كذا، كذا و كذا، حتّى يعدّها إلى اليوم الّذي وافى فيه، فأخبرناهم بذلك».

ويلوح ذلك أيضًا من كلام اليعقوبيّ المتقدّم، حيث عدّه عليه السلام من جملة كُتّابه ﷺ الّذين كانوا يكتبون الوحي والكتب والعهود.

و ما ورد في إعجاز القرآن للرّافعيّ: ٣٥ «واتّفقوا على أنّ من كتب القرآن وأكمله ـ وكان قرآنه أصلاً للقرآنات المتأخّرة ـ عليّ بن أبي طالب، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن مسعود». ومن هنا نعرف مدى قصور ما قاله بعض المؤلّفين و أهل التّراجم في الوفاء في بيان الحقيقة، حيث ذكروا أنّ عليًّا كان يكتب لرسول الله ﷺ أحيانًا كما في المجلّد الثّاني من الكامل لابن الأثير، أو كان يكتب عهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح كما في الاستيعاب في ترجمة أُبيّ، وكما في أُسد الغابة أيضًا. وكذلك إهمال بعض آخر له،

حيث لم يعدّوه في جملة الكُتّاب لهﷺ أصلاً كما ارتكبه في الإصابة مع أنّه ذكر أنّ معاوية كان يكتب. وكما فعله الزّركليّ في أعلامه، وكذلك الحال في تذكرة الحُفّاظ.

٢ ـ أُبيّ بن كعب الأنصاريّ

قال العلّامة الطّباطبائيّ في رجاله: «أُبيّ بن كعب أبو المنذِر سيّد القُرّاء وكاتب الوحي، عَقَبيٌّ، بَدْريٌّ، فقيه، قارئ، أوّل من كتب للنّبيّﷺ من الأنصار، وهو من فضلاء الصّحابة ومن أعيانهم».

وقال العلّامة الحلّيّ ـ رحمه الله ـ في الخلاصة: «أُبيّ بن كعب شهد العقبة من السّبعين وكان يكتب الوحي، آخى رسول اللهﷺ بينه وبين سعيد بن عمرو بن نُفَيل، شهد بدرًا والعقبة الثّانية، وبايع مع رسول اللهﷺ».

وقال ابن شهر اشوب في الجزء الأوّل من مناقبه في كُتّاب الوحي: «كان أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان الوحي».

وقد سبق في «عليّ» أنّ أُبيًّا ـ على ما ذكر في إعجاز القرآن للرّافعيّ ـ ممّن اتّفق على أنّهم كتبوا القرآن وأكملوه، وكان قرآنهم أصلاً للقرآنات المتأخّرة. لكن هذه العبارة كما ترى غير صريحة، وفي كتاب الأعلام للزّركليّ: أنّ أُبيًّا كان قبل الإسلام حِبْرًا من أحبار اليهود مطّلعًا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قلّة العارفين بالكتابة في عصره. ولمّا أسلم كان من كُتّاب الوحي، وعدّه في الاستيعاب ـ وكذا في أُسد الغابة ـ من كُتّاب الوحي.

والحَلبيّ في السّيرة قال: إنّه كان في أغلب أحواله يكتب الوحي.

وعن العقد الفريد ٣:٥ إن غابا عليّ وعُثمان كتب أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت الوحي، فإن لم يشهده أحدهما كتب غيرهما».

ويلوح ذلك أيضًا من عبارة اليعقوبيّ المتقدّمة في عليّ، حيث ذكره مع من اتّفق على أنّهم كانوا يكتبون الوحي والكتب والعهود.

أمّا ابن حَجَر في الإصابة وابن الأثير في الكامل، فقد عدّاه من كُتّاب الرّسول، من

دون تصريح بأنّه كتب الوحي أو لا.

هذا و قد أورد الكُلَينيّ في الكافي حديثًا يكشف عن أنّه كان ممدوحًا عند الإمام، وفيه: أنّه ـ يعني أبو عبد الله عليه السلام ـ قال: «إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ. فقال ربيعة: ضالّ؟ فقال: نعم ضالّ. ثمّ قال عليه السلام: أمّا نحن فنقرأ على قراءة أُبيّ».

٣ـ زيد بن ثابت

قد تقدّم أنّ ابن شهراشوب قال في المناقب الجزء الأوّل: ١٦٢: إنّه كان مع أُبيّ بن كعب يكتبان الوحي، و مع عبد الله بن أرقم يكتبان إلى الملوك، و تقدّمت الإشارة إلى ذلك في كلام اليعقوبيّ، حيث عدّه في جملة من كتبوا الوحي والكتب والعهود و إن لم يكن صريحًا في ذلك.

وقال الحَلَبيّ في السّيرة: إنّه و معاوية ملازمان للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في الوحي و غيره، لا عمل لهما غير ذلك.

وقال ابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة زيد: إنّه كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحي و غيره. وكانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله كُتُب بالسُّريانيّة، فأمر زيدًا فتعلّمها، وكان عمره لمّا قدم النّبيّ صلى الله عليه وآله المدينة إحدى عشرة سنة.

و في تذكرة الحُفّاظ في ترجمة زيد قال: إنّه المقرئ الفرض، كاتب وحي النّبيّ صلى الله عليه وآله ... إلى أن قال: فقدم النّبيّ صلى الله عليه وآله و زيد صبيّ ذكيّ نجيب، عمره إحدى عشرة سنة فأسلم، فأمره النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يتعلّم خطّ اليهود فجوّد الكتابة، و كتب الوحي.

كما أنّ الزّركليّ في أعلامه أيضًا قد عدّه من كُتّاب الوحي. وفي قاموس الرّجال في ترجمة زيد، عن الجَزَريّ: كان ـ أي زيد ـ يكتب للنّبيّ صلى الله عليه وآله الوحي و غيره... إلى أنّ قال: وكان عُثمانيًّا، ولم يشهد مع عليّ عليه السلام شيئًا من حروبه.

وفي جامع الرُّواة رواية أُخرى، فيها ذمّ له، و هي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهليّة... إلى أن قال عليه السلام و أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهليّة».

٤ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح

[بعد ذكر رواية القُمّيّ نقلاً عن البحار، وقول الصَّدوق نقلاً عن معاني الأخبار، كما تقدّم عنهما، قال:] و قد عدّه الحلبيّ في السّيرة من كُتّاب الوحي، وكذلك عدّه في الاستيعاب من كُتّاب الوحي أيضًا. و عبارة اليعقوبيّ فيها إشارة إلى ذلك أيضًا، حيث عدّه في جملة من كتبوا الوحي والكتب والعهود.

٥ ـ معاوية بن أبي سفيان

[بعد ذكر رواية الصَّدوق و قوله، كما تقدّم عنه قال :] و في كلام اليعقوبيّ إشارة إلى ذلك، حيث عدّه في جملة من كتبوا الوحي و الكتب والعهود كما تقدّم.

وقال الحلبيّ في السّيرة: «وقال بعضهم: كان معاوية و زيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله ﷺ في الوحي وغيره، لا عمل لهما غير ذلك».

لكنّك إذا تدبّرت فيما نقلناه وجدت أنّ ما عدا ما نقلناه عن الحَلَبيّ في السّيرة لا يدلّ على أنّ معاوية كان يكتب الوحي. بل أقصى ما يدلّ عليه هو أنّه كان يكتب للنّبيّ ﷺ. ولو صحّ لنا الاستناد إلى ما في السّيرة بمفرده، و قلنا: إنّه كان يكتب الوحي له ﷺ فمن الواضح أنّ كتابته لم تكن إلّا لأيّام قلائل، حيث إنّه قد أسلم قبل وفاته ﷺ بمدّة يسيرة. و قد أنكر جماعة كتابته للوحي منهم العلّامة الحلّيّ رحمه الله حيث قال في «كشف الحقّ و نهج الصّدق»: ١١ «كان إسلام معاوية قبل موته ﷺ بخمسة أشهر. وطرح نفسه إلى العبّاس ليشفع له إلى رسول الله ﷺ فيعفي عنه، ثمّ شفع إليه أن يكون من جملة خمسة عشر ليكتب له الرّسائل».

و حول هذا الموضوع كتب الأُستاذ العَقّاد في كتابه: «معاوية بن أبي سفيان في الميزان»: ١٦٤ـ١٦٥ يقول: «وقد تعلّم معاوية القراءة والكتابة والحساب». و تتّفق الأخبار على كتابته للنّبيّ ﷺ، ولا تتّفق على كتابته للوحي، ولا على حفظه لآيات من القرآن تلقّاها من النّبيّ، كما كان كتّاب الوحي يتلقّون الآيات لساعتها. والأرجح أنّه لم

يكن معروفًا بحفظ شيء من كتابة الوحي في أيّام جمع القرآن الكريم. ولو علم عُثمان ـ وهو من ذوي قرابته ـ أنّ عنده مرجعًا من المراجع يثوب إليه لرجع إليه كـما رجـع إلى غيره».

ولا مجال لنا هنا لاستقصاء المنكرين لكتابة معاوية للوحي وقد عرفت جميع ما تقدّم، ما عدا ما نقلناه عن الحَلَبيّ في السّيرة لا يدلّ على ذلك حتّى كلام الصّدوق، فإنّ كلامه إنّما هو على فرض صحّة قول النّاس لذلك فإنّه لا يوجب له شرفًا ولا منزلةً.

٦ ـ عُثمان بن عَفّان

قال ابن عَبْد رَبّه في «العقد الفريد» في باب صناعة الكتاب ٣: ٥: عليّ بن أبي طالب وعُثمان بن عَفّان كانا يكتبان الوحي.

وقد عدّه كثير من المؤرّخين من الكُتّاب من غير تصريح بأنّه كتب الوحي، فراجع الإصابة، والاستيعاب، والسّيرة الحلبيّة، وتاريخ الطّبريّ وغيره. وفي عبارة اليـعقوبيّ المتقدّمة تصريح باسمه، لكنّها لا دلالة فيها على أنّه كان يكتب الوحي.

وعلى أيّ حال، فلم ينصّ على كتابته للوحي سوى «العقد الفريد»، كما أنّ معاوية لم ينصّ على كتابته للوحي غير «السّيرة الحلبيّة»، إلّا أنّ الفرق أنّ أحدًا لم يصرّح بالنّفي فيه كما هو الحال في معاوية.

وعلى كلّ فلا أظنّ أنّ ذلك يكفي في إثبات كتابته للوحي. وعليه فالّذين نطمئنّ بأنّهم كانوا يكتبون الوحي هم الأربعة الأوائل: الإمام عليّ، أُبيّ، زيد، عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أمّا معاوية وعُثمان ـ فضلاً عن غيرهما ـ فحالهما في كتابة الوحي هي ما رأيت.

وأخيرًا فلا شكّ أنّه كان للنّبيّ كُتّاب كثيرون، نقلنا أسماء بعضهم عن الاستيعاب وتاريخ اليعقوبيّ وغيرهما. وحيث إنّني لم أجد بعد تتبّعي في الكتب الّتي ظفرت بها من صرّح بأنّ منهم من كتب الوحي أو عمّم كتابته بحيث تشمل الوحي وغيره، فـإنّني لم أتعرّض لذكرهم في بحثي هذا، حيث إنّه مقصور ـ كما أشرت إلى ذلك فيما سبق ـ على ذكر كُتّاب الوحي له ﷺ لا مطلق كُتّابه. (١١١ ـ ١٢٣)

الفصل الثّامن عشر

نصّ آل قيس (معاصرٌ) في «الإيرانيّون والأدب العربيّ...»

كيفيّة تدوين القرآن

نزل القرآن في منطقة من المعمورة، ساد الجهل أغلب سكّانها، وإنّ عدد من يجيد الكتابة قليل جدًّا، حتّى الّذين كانوا يحسنون الكتابة فإنّهم بدرجة متوسّطة محدودة، وفقدت كتابتُهم الإجادة والإحكام اللّازمين، وإنّ النّصوص التّاريخيّة الكثيرة الّتي وقعت بيد الباحثين وأهل هذا الفنّ خيرُ دليلٍ على هذا.

حيث قال بعض المؤرّخين: «كان الخطُّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغايةِ من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التّوسُّط، لمكانِ العرب من البداوة والتّوحّش وبُعدهم عن الصّنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسم المُصْحَف، حيث رَسَمه الصّحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير ما اقتضته رسوم صناعة الخطّ عند أهلها...»[1].

وقال مؤرِّخ آخر: «ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدلُّ على أنّهم كانوا يعرفون الكتابة إلّا قُبَيل الإسلام، مع أنّهم كانوا محاطين شِمالاً وجَنوبًا بأُمم من العرب خلّفوا نقوشًا كتابيّة كثيرة، وأشهرُ تلك الأُمم حِمْيَر في اليمن، كتبوا بالحرف المسند، والأنباط في الشِّمال، كتبوا بالحرف النَّبطيّ، وآثارُهم باقية إلى هذه الغاية في ضواحي حَوران

---

١ ـ مقدّمة ابن خلدون، الفصل الثّلاثون: ٤١٩.

والبَلقاء»[١].

وقال مؤرِّخ ثالث: «الخطُّ عند العرب كان مجهولاً قُبَيل ظهور الإسلام بنحو قرن، لأنّ أحوالهم الاجتماعيّة و ما كانوا فيه من دوام الحَرْب والغارات صرفهم عن ذلك. و نعني بهؤلاء العرب عرب الحجاز الّذين ظهر فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله...[٢]

وأكبرُ دليل على جهلِ العرب الكتابة قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ و يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ اِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[٣]

وعلى هذا فإنّ كلمة الأُمّيّين جمع لكلمة أُمّيّ، و الأُمّيّ: هو من لا يعرف الكتابة ولا القراءة، نسبةً إلى الأُمّ، لأنّ الكتابة مكتسبة، فهو على ما ولدته أُمّه من الجهل بالكتابة[٤].

عدد الكُتّاب عند ظهور الإسلام

كان عددُ الكُتّاب عند ظهور الإسلام في مكّة و المدينة قليلاً جدًّا، حيث ذكر هذا صاحب فتوح البُلدان نقلاً عن أبي بكر عبد الله بن أبي جَهْم العَدَويّ... [وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٢، فقال:]

أمّا في المدينة (يثرب) فعددُهم كان على قول أبي عبد الله الزَّنجانيّ بضعةَ عَشَرَ رجلاً يعرفون الكتابة[٥].

كما كان في الأوس والخَزرج عددٌ ممّن يجيد الكتابة وهم: سعدُ بن عُبَادَة...[وذكر كما سيجيء عنالبَلاذُريّ في الباب رسم الخطّ الرّقم ٧].

و قد زاد عدد المتعلّمين نتيجة حثِّ الرّسول صلى الله عليه وآله إيّاهم بالاستمرار في تعلّم القراءة والكتابة. و من ذلك ما رواه ابن سَعد في طبقاته، حيث قال: «أخبرنا الفضل بن دُكين،

---

١ ـ تاريخ آداب اللّغة العربيّة لزيدان، ١: ٢٢٧، (الخطّ العربيّ).

٢ ـ دائرة المعارف الإسلاميّة لفريد وَجدي، ٣، مادّة: خطط.

٣ ـ الجمعة/٢.

٤ ـ انظر أقرب الموارد، ١٩:١.

٥ ـ تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزّنجانيّ :٥.

أخبرنا إسرائيل عن جابر بن عامر قال: أَسَرَ رسول الله ﷺ يومَ بدرٍ سبعينَ أسيرًا، وكان يُنادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهلُ مكّة يكتبون وأهلُ المدينة لايكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشْرَةَ غِلمانٍ من غِلمان المدينة فعلّمهم، فإذا حذقوا فهوفداؤه.[١]

كُتّاب الرّسول ﷺ

لقد اختلف المؤرّخون في عدد كُتّابِ الرّسول، حيثُ جاء في «السّيرة الحلبيّة» أنّ عدد كُتّاب الرّسول سواءً من كان يكتبُ الوحي، أو غيرَه، أو هُما معًا، كان ستّة وعشرين كاتبًا، وعن محكيّ «سيرة العراقيّ» اثنين وأربعين، وعن الأُستاذ أبي عبد الله الزَّنجانيّ: أنّهم كانوا ثلاثة وأربعين، ولكنّ كُتّاب الوحي منهم كانوا ستّة فقط. وقال الطّبريّ تحت عنوان «ذِكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ: ذُكِر أنّ عُثمان بن عَفّان كان يكتبُ له أحيانًا، وأحيانًا (الإمام) عليّ بن أبي طالب، وخالد بن سَعيد، وأبان بن سَعيد، والعَلاء بن الحَضْرميّ. قيل: أوّل من كتب له أُبيّ بن كعب، وكان إذا غاب أُبيّ كتبَ له زيد بن ثابت. وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ثمّ ارتدّ عن الإسلام، ثمّ راجع الإسلام يوم فتح مكّة. وكتب له حَنْظَلَةُ الأُسَيِّديّ.[٢]

وذكر هذا الأمر ابن الأثير في تاريخه ودوّن نفس ما ذكره الطّبَريّ أعلاه بدون زيادةٍ أو نُقصانٍ.[٣]

وجاء في «لغت نامه دهخدا»، مجلّد حرف الكاف، الصّفحة ٩٠، تحت كلمة (كاتب وحي)، نقلاً عن «تجارب السَّلَف»: ٦، ما ترجمته: «كان لرسول الله ﷺ عشرةُ كُتّاب، كتب قسم منهم الوحي، وكتب القسم الآخر حساب الصّدقات وغنائم الحَرب وهم:

١ ـ عُثمان بن عَفّان.

٢ ـ (الإمام) عليُّ بن أبي طالب.

---

١ ـ الطّبقات الكُبرى لابن سعد، ٢: ٢٢. س٧.

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ٣: ١٧٣.

٣ ـ انظر الكامل في التّاريخ لابن الأثير، ٢: ٣١٣.

٣ ـ خالد بن سعيد بن العاص.

٤ ـ أبان بن سعيد بن العاص.

٥ ـ العلاء بن الحَضْرميّ.

٦ ـ أُبيّ بن كعب.

٧ ـ زيد بن ثابت.

٨ ـ عبد الله بن سَعيد.

٩ ـ معاوية.

١٠ ـ حَنْظَلة الأُسَيِّدي».

ثمّ أضاف في مجلّد حرف القاف، الصّفحة ٢٠٤، العمود الثّالث، تحت كلمة (قرآن) ما ترجمته: «وكان للرّسول كُتّاب يكتبون ما يَنزل من القرآن الكريم، عُرِفوا بكُتّاب الوحي، منهم: أبو بكر، عمر، عُثمان، (الإمام) عليّ، الزُّبير، خالد (بن سَعيد بن العاص)، أبان (بن سَعيد بن العاص)، علاء الحَضْرميّ، أُبيّ بن كعب، مُعاذ بن جَبَل، أبو الدَّرداء (عُوَيْمر بن مالك)، زيد بن ثابت، أبو زيد الأنصاريّ، وأضاف ابن سيرين؛ تميم الدّاريّ، وأضاف القُرطُبيّ؛ أبا أيّوب عُبادة بن صامت».

وقد اتّفق علماءُ أهل السُّنّة على أنّ من جمع القرآن خمسة أشخاص هم:

الإمام عليّ بن أبي طالبعليه‌السلام ومُعاذ بن جَبَل، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.[1]

وجاء في كتاب حبيب السِّيَر «كُتِب بالفارسيّة» تأليف غياث الدّين بن هُمام الدّين الحسينيّ المدعوّ «خواند أمير»، المجلّد الأوّل: ٤٣٧ ما ترجمته:

«جاء في روضة الأحباب أنّ كُتّاب رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله كانوا أربعة أشخاص هم: الإمام عليّ بن أبي طالبعليه‌السلام وعُثمان بن عَفّان، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، رضي اللهُ عنهم.

١ ـ مقدّمة كتاب «تفسير نوين ـ بالفارسيّة» محمّد تقيّ شَريعتي، الجزء ٣٠من القرآن الكريم: ٢٥، س ٢٢، نقلاً عن كتاب إعجازالقرآن للرّافعيّ: ١٥.

وكان الإمام عليّ، و عُثمان، مكلّفين بكتابة الوحي، وإن لم يَحضُرا قام مقامهما أُبيّ بن كعب، وزيدبن ثابت وإن لم يكن في مجلس الرّسول ﷺ واحد من الأربعة المذكورين، كتب الوحي من حضرمن بقيّة كُتّاب رسول الله ﷺ. (٦ـ١٠)

الباب الثّاني : كيفيّة جمع القرآن و ترتيبه

و فيه فصول :

الفصل الأوّل

نصّ سُلَيم بن قيس (م: ۹۰) في كتابه: المسمّى باسمه[1]

[كتابة القرآن بخطّ عليّ عليه السلام و بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله]

[بعد أن ذكر رواية عن عليّ عليه السلام في أصناف الأحاديث الّتي كانت في أيدي النّاس، نـقل عنه عليه السلام أيضًا قوله:]

١ ـ كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ يوم دخلةً وكلّ ليلة دخلةً[2]، فيخليني فيها أدورمعه حيث دار، و قد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري، و ربّما كان ذلك في منزلي، فإذا دخلت عليه في بعض منازله خلا بي و أقام نساءه، فلم يبق غيري و غيره، و إذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا أحد من ابنَيّ، إذا أسأله أجابني، و إذا سكت أو نفدت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي، و دعا الله أن يفهّمني إيّاها و يحفّظني.

فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها، و علّمني تأويلها فحفظته، و أملاه عـليّ فكتبته، و ما ترك شيئًا علّمه الله من حلال و حرام، أو أمر و نهي، أوطاعة و معصية كان أو يكون إلى يوم القيامة، إلّا و قد علّمنيه و حفظته، ولم أنْس منه حَرْفًا واحِدًا، ثمّ وضع يده

---

١ ـ في هذا الكتاب كلام في مؤلّفه و راويه. لاحظ خاتمة المستدرك للنّوريّ وغيره من المصادر و الرّسائل للمحقّقين. (م)

٢ ـ أخرج النّسائيّ في «الخصائص»: ٣٠ ط ، مصر ـ عن أبي يحيى قال: قال عليّ رضي الله عنه: كان لي من النّبيّ صلى الله عليه وآله مدخلان: مدخل باللّيل ومدخل بالنّهار... إلخ. و أخرج قريبًا منه جمع من محدّثي الجمهور، منهم العلّامة عبد الوهّاب الشّعرانيّ في «كشف الغُمّة عن جميع الأُمّة» ٢:٢٢٩ ط ، مصر والبيهقيّ في «السّنن الكبرى» ٢: ٢٤٧، والقندوزيّ في «ينابيع المودّة»: ٩٠ط ، إسلامبول و غيرهم.

على صدري، و دعا الله أن يملأ قلبي علمًا و فَهمًا و فِقهًا و حكمًا و نورًا، وأن يعلّمني فلا أجهل، وأن يحفّظني فلا أنسى.

فقلت له ذات يوم: يا نبيّ الله، إنّك منذ يوم دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئًا ممّا علّمتني، فلِم تُمْليه عليّ و تأمرني بكتابته؟! أتتخوّف عليّ النّسيان؟! فقال: يا أخي لست أتخوّف عليك النّسيان ولا الجهل، وقد أخبرني الله أنّه قد استجاب لي فيك و في شركائك الّذين يكونون من بعدك.

قلت: يا نبيّ الله، و من شركائي؟ قال: الّذين قرنهم الله بنفسه و بي معه، الّذين قال في حقّهم: ﴿يَا اَيُّهَاالَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوااللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١] فإن خفتم التّنازع في شيء فارجعوه إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منكم.

قلت: يا نبيّ الله، و من هم؟ [قال:] الأوصياء إلى أن يردوا عليّ حوضي، كلّهم هاد مهتد، لا يضرّهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم، بهم ينصر الله أُمّتي، وبهم يمطرون، و يدفع عنهم بمستجاب دعوتهم... الحديث. (٦٣ـ٦٤)

[الإمام عليّ عليه السلام و جمعه للقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله]

٢ ـ... [عن سَلمان] فلمّا رأىٰ [عليّ عليه السلام] غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته، و أقبَل على القرآن يؤلّفه و يجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه، وكان في الصُّحُف والشِّظاظ والأسيار والرِّقاع، فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده تنزيله و تأويله و النّاسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن أخرج فبايع، فبعث إليه عليّ عليه السلام إنّي لمشغول، و قد آليت على نفسي يمينًا أن لا أرتدي رداءً إلّا للصّلاة حتّى أُؤلّف القرآن و أجمعه، فسكتوا عنه أيّامًا، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثمّ خرج إلى النّاس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فنادى عليّ عليه السلام بأعلى صوته: «أيّها النّاس إنّي لم أزَلْ منذ قَبَض

---

١ ـ النّساء /٥٩.

رسول الله ﷺ مشغولاً بغُسله ثمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثّوب الواحد، فلم ينزّل الله على رسول الله ﷺ آية إلّا و قد جمعتها، و ليست منه آية إلّا وقد أقرأنيها رسول الله و علّمني، تأويلها. ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: لئلّا تقولوا غدًا، إنّا كنّا عن هذا غافلين، ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: لا تقولوا يوم القيامة إنّي لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أُذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه، ثمّ دخل عليّ عليه السلام بيته... (٣٢ـ٣٣)

٣ ـ فقال [أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة:] إنّ الّذي قال رسول الله ﷺ يوم غدير خم، و يوم عرفة في حجّة الوداع، و يوم قبض في آخر خطبة خطبها حين قال: «إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما؛ كتاب الله و أهل بيتي، فإنّ اللّطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الإصبعين، فإنّ إحداهما قُدّام الأُخرى، فتمسّكوا بهما لا تضلّوا ولا تزلّوا، ولا تقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».

و إنّما أمر العامّة أن يبلّغوا من لقوا من العامّة بإيجاب طاعة الأئمّة من آل محمّد و إيجاب حقّهم، ولم يقل ذلك في شيءٍ من الأشياء غير ذلك... [إلى أن قال:]

قال طلحة: يا أبا الحسن شيء أُريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: أيّها النّاس إنّي لم أزَل مشغولاً برسول الله ﷺ بغُسله و تكفينه و دفنه، ثمّ شغلت بكتاب الله حتّى جمعته لم يسقط منه حرف، فلم أر ذلك الّذي كتبت و ألّفت. و رأيت عمر بعث إليك حين استخلف أنِ ابْعث به إليّ فأبيتَ أن تفعل، فدعا عمر النّاس فإذا شهد رجلان على آية قرآن كتبها، و ما لم يشهد عليه غير رجل واحد رماه و لم يكتبه، و قد قال عمر و أنا أسمع: قد قُتِل يوم اليَمامة رجال كانوا يقرؤون قرآنًا لا يقرأه غيره فذهب، و قد جاءت شاة إلى صَحيفة، وكُتّاب عمر يكتبون فأكلتها، و ذهب ما فيها والكاتب يومئذ عُثمان، فما تقولون؟

وسمعت عمر يقول و أصحابه الّذين ألّفوا و كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عُثمان:

إنّ الأحزاب تعدل سورة البقرة، والنّور ستّون و مائة آية، والحجرات ستّون آية، (والحِجر تسعون و مائة آية خ ل) فما هذا؟! و ما يمنعك يرحمك الله أن تخرج ما ألّفت للنّاس و قد شهدتَ عُثمان حين أخذ ما ألّف عمر، فجمع له الكُتّاب، و حمل النّاس على قراءة واحدة، و مزّق مُصْحَف أُبيّ بن كعب و ابن مسعود و أحرقهما بالنّار، فما هذا؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة! إنّ كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله و كلّ حلال أو حرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمّـة إلى يـوم القيامة عندي مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله و خطّ يدي حتّى أرش الخدش. قال طلحة: كلّ شيء من صغير أو كبير أو خاصّ أو عامّ كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو مكتوب عندك؟ قال: نعم، و سوى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم، يفتح كلّ باب ألف باب، ولو أنّ الأُمّة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتّبعوني و أطاعوني لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم...

ثمّ قال طَلْحة: ما أراك يا أباالحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من القـرآن ألا تـظهره للنّاس؟ قال: يا طلحة عمدًا كففت عن جوابك قال: فأخبرني عمّا كتب عُـمر و عُـثمان أقرآن كلّه، أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طَلْحة: بل قرآن كلّه، قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النّار و دخلتم الجنّة، فإنّ فيه حجّتنا و بيان حقّنا و فرض طاعتنا، فقال طَلحة: حسبي أما إذ هو قرآن فحسبي، ثمّ قال طلحة: فأخبرني عمّا في يدك من القرآن و تأويله و علم الحلال و الحرام إلى مَن تَدفعه و مَن صاحبه بعدك؟ قال: إلى الّذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه قال: من هو؟ قال: وصيّي و أولى النّاس بالنّاس بعدي ابني هذا الحسن، ثمّ يدفعه ابني الحسن عند موته إلى ابني هذا الحسين، ثمّ يصير إلى واحد واحد من وُلد الحسين، حتّى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم. (٨٤ـ٨٨)

٤ ـ عن سُلَيْم، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: فلمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله مال النّاس إلى أبي بكر فبايعوه و أنا مشغول برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله و دفنه، ثمّ شغلتُ بالقرآن، فآليت يمينًا أن لا

أرتدي إلّا للصّلاة حتّى أجمعه في كتاب، ففعلت. (٩٢)

٥ ـ عن سُلَيْم بن قَيْس قال: كنت عند عبد الله بن عبّاس في بيته و معنا جماعة... قال: يا إخوتي توفّي رسول الله ﷺ فلم يوضع في حفرته حتّى نكث النّاس... و اشتغل عليّ بن أبي طالب عليه السلام برسول الله حتّى فرغ من غسله و تكفينه و تحنيطه و وضعه في حُفرته، ثمّ أقبل على تأليف القرآن، و شغل عنه بوصيّة رسول الله، ولم يكن همّته المُلك لما كان رسول الله أخبره عن القوم.... (٢٠٧)

الفصل الثّاني

نصّ الفراهيديّ (ق: ٢) في «مسنده» والسّالميّ (م: ١٣٣٢) في شرحه

من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟

أبو عُبَيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال: ما جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلّا ستّة، كلّهم من الأنصار: أُبيّ و مُعاذ و زيد و أبو زيد و أبو أيّوب و عُثمان، و الباقي من الصّحابة قد يحفظ السُّوَر المعدودات من القرآن، و منهم من يحفظ السّورة والسّورتين. (١:١٩ـ٢١)

. . . .

قال السّالميّ: ما جاء فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ

قوله: (عن أنس بن مالك) ابن النّظر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُندَب بن عامر ابن غنم بن عديّ بن النّجار واسمه تيم الله بن ثَعْلَبة بن عمر بن الخزرج بن حارثة خادم رسول الله ﷺ وكان يفتخر بذلك، وكان يكنّى أبا حَمزة، كَنّاه النّبيّ ﷺ ببقلة كان يجتنيها، و أُمّه أُمّ سليم بنت مِلْحان، وكان عمره لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا عشر سنين، و قيل: تسع سنين، وقيل: ثماني سنين. [إلى أن قال:]

قوله: (ما جمع) الجمع: ضمّ الشّيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع. والمراد به في هذا الحديث جمع القرآن في الحافظة.

قوله: (على عهد رسول الله ﷺ) أي زمانه الّذي كان يراعي فيه الأوامر والنّواهي،

. . . .

و يحمل فيه أُمّته على مصالحهم.

قوله: (إلّا ستّة نفر) فيه دليل على أنّ حفظ القرآن على ظهر الغيب لا يلزم، و إنّما هو الفضل والدّرجة العليا.

قوله: (كلُّهم من الأنصار) الأوس و الخزرج، أربعة من الخزرج واثنان من الأوس. روى قَتادة عن أنس قال: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منّا غسيل الملائكة حَنْظَلَة بن أبي عامر، و منّا الّذي حمته الدَّبر عاصم بن ثابت، و منّا الّذي اهتزّ لموته العرش سعد بن مُعاذ و منّا من أُجيزت شهادته بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت. فقالت الخزرج: منّا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول اللهﷺ: أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد، كذا وقع في هذه الرّواية، و الواضح أن يقولوا: أبو أيّوب مكان أبي زيد، فإنّ أبا أيّوب خالد بن زيد بن كُلَيب بن ثَعْلَبة أحد بني النَّجّار، و هم من الخزرج. و أمّا أبو زيد الجامع للقرآن فهو سعد بن عُبَيد بن النُّعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أُميّة بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمروبن عوف بن مالك بن الأوس، فهو من الأوس لا من الخزرج. قال الواقديّ: سعد بن عُبَيد بن النُّعمان هو أبو زيد الّذي يقال له: سعد القارئ يكنّى أبا عُمَير بابنه عُمَير بن سعد، وابنه هذا هو الّذي كان واليًا لعمر على بعض الشّام، قال: و قُتل أبو زيد سعد بن عُمَير يوم القادسيّة مع سعد بن أبي وقّاص و هو ابن أربع و ستّين سنة.

وقيل: إنّ الجامع للقرآن أبو زيد هو ثابت بن زيد الأنصاريّ، نقل ذلك عن يحيى بن معين، قال أبو عمر: لا أعلم غيره. وعلى هذا القول فيكون مارواه قَتادة عن أنس موافقًا لهذا القول، لأنّ ثابت بن زيد من الخزرج. لكنّ الأوّل عندي أصحّ، و يحتمل أن يكون كلاهما جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ وقيل: من الجامعين أيضًا قيس بن السَّكَن، وقالت طائفة منهم: محمّد بن نُمَير، و قال محمّد بن كعب: جمع القرآن في زمن النّبيّﷺ خمسة من الأنصار: مُعاذ بن جبل و عُبَادة بن الصّامت و أُبيّ بن كعب و أبو أيُّوب و أبو

. . . .

الدَّرداء، وكان عُبَادة يعلّم أهل الصُّفّة القرآن. و أمّا عُثمان فهو من الأوس، و هو عُثمان بن حُنَيْف الأنصاريّ الأوسيّ، يكنّى أبا عمر، و قيل: أبا عبد الله، شهد أُحدًا والمشاهد بعدها، واستعمله عمر بن الخطّاب على مساحة سواد العراق، واستعمله عليّ على البَصْرة، فبقي عليها إلى أن قدمها طلحة والزُّبَير مع عائشة في نوبة وقعة الجمل فأخرجوه منها، ثمّ قدم عليّ إليها فكانت وقعة الجمل، فلمّا ظفر بهم عليّ استعمل على البَصْرة عبد الله بن عبّاس. و سكن عُثمان بن حُنَيْف بالكوفة و بقي إلى زمان معاوية.

قوله: (السُّوَر المعدودات) أشار بذلك إلى القلّة على حدّ قوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[1]، والمعنى أنّها لقلّتها تحصر بالعدّ، كانت العرب تستعمل ذلك لقلّة توغّلهم في الأعداد، ولأنّ الكثير عندهم موزون والقليل معدود.

قوله: (السّورة والسّورتين) لعلّ المراد بذلك ما فوق الفاتحة، لأنّ الصّلاة دونها خداج كما سيأتي، وقد أُمرنا بقراءة ما تيسّر من القرآن و ذلك فوق الفاتحة في الصّلوات المخصوصة والله أعلم. (١:١٩ـ٢١)

---

١ ـ يوسف /٢٠.

الفصل الثّالث

نصّ ابن سعد (م: ٢٣٠) في «الطَّبقات الكُبرىٰ»

ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ

١ ـ أخبرنا محمّد بن يزيد الواسطيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشَّعبيّ قال: جَمَع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستّةُ نفرٍ: أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل و أبو الدَّرداء و زيد بن ثابت و سعد و أبو زيد؛ قال: وكان مُجمِّع بن جارية قد جمع القرآن إلّا سورتين أو ثلاثًا، وكان ابن مسعود قد أخذ بضعًا و تسعين سورة، و تَعَلّم بقيّة القرآن من مُجمِّع.

٢ ـ أخبرنا عبد الله بن نُمَير و محمّد بن عُبَيد الطّنافسيّ والفضل بن دُكَيْن و إسحاق بن يوسف الأزرَق عن زكريا بن أبي زائدة، و أخبرنا محمّد بن عُبيد عن إسماعيل بن أبي خالد جميعًا عن عامر الشَّعبيّ قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستّة رهط من الأنصار: مُعاذ بن جَبَل و أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و أبو الدَّرداء و أبو زيد و سعد بن عُبَيد، قال: قد كان بقي على المُجَمِّع بن جارية سورةٌ أو سورتان حين قُبِض النّبيّ ﷺ.

٣ ـ أخبرنامسلم بن إبراهيم، أخبرنا قُرّة بن خالد، أخبرنا محمّد بن سيرين قال: جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ: أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و عُثمان بن عَفّان و تميم الدّاريّ.

٤ ـ أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا قُرّة بن خالد قال: سمعتُ قَتادة يقول: قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل و زيد بن ثابت و أبو زيد، قال: قلتُ: مَنْ أبو زيد؟ قال: من عمومة أنس.

٥ ـ أخبرنا هَوذة بن خليفة، أخبرنا عَوف عن محمّد قال: قُبِض رسول الله ﷺ ولم

يَجمع القرآن من أصحابه غير أربعة نفركلّهم من الأنصار والخامس يُختلَف فيه، والنّفر الّذين جمعوه من الأنصار زيد بن ثابت وأبو زيد ومُعاذ بن جَبَل و أُبيّ بن كعب، والّذي يُختلف فيه، تميم الدّاريّ.

٦ ـ أخبرنا عَفّان بن مسلم، أخبرنا هَمّام عن قَتادة قال: قلتُ لأنَس: من جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ؟ فقال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل و زيد ابن ثابت، ورجل من الأنصار يقال له: أبو زيد.

٧ ـ أخبرنا محمّد بن عمر، أخبرنا مَعْمَر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: أخذ القرآن أربعةٌ على عهد رسول اللهﷺ: أُبيّ بن كعب و مُعاز بن جَبَل وزيد بن ثابت و أبو زيد.

٨ ـ أخبرنا أحمد بن محمّد الأزرقيّ، أخبرنا مسلم بن خالد عن عبدالرّحيم بن عمر عن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: جمع القرآن في زمان رسول اللهﷺ خمسةٌ من الأنصار: مُعاذ بن جَبَل و عُبَادة بن الصّامت و أُبيّ بن كعب و أبو أيّوب و أبو الدَّرداء.

٩ ـ أخبرنا عارِم بن الفضل، أخبرنا حَمّاد بن زيد عن أيّوب و هِشام عن محمّد قال: جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ أربعةٌ: أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل و زيد بن ثابت و أبو زيد. قال: و اختلفوا في رجلين، فقال بعضهم: عُثمان و تميم الدّاريّ، وقال بعضهم: عُثمان و أبو الدَّرداء.

١٠ ـ أخبرنا محمّد بن عمر، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبرَة عن مسلم بن يسار عن ابن مَرْسَا مولى لقُريش قال: عُثمان بن عَفّان جمع القرآن في خلافة عمر.

١١ ـ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أُويس، حدّثني سُلَيْمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة عن محمّد بن كعب القُرظيّ قال: جمع القرآن في زمان النّبيّﷺ خمسة من الأنصار: مُعَاذ بن جَبَل و عُبَادة بن صامت و أُبيّ بن كعب و أبو أيّوب و أبو الدَّرداء، فلمّا كان زمن عمر بن الخطّاب كتب إليه يزيد بن أبي سُفيان: إنّ أهل الشّام قد كثروا و رَبلوا و ملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلّمهم القرآن و يفقّههم، فأعِنّي يا أميرالمؤمنين برجالٍ يعلّمونهم، فدعا عمر أُولئك الخمسة فقال لهم: إنّ إخوانكم من أهل

الشّام قد استعانوني بمن يعلّمهم القرآن و يفقّههم في الدّين، فأعينوني رَحِمَكُم الله بثلاثة منكم، إن أجبتُم فاستَهِموا، و إن انتدب ثلاثةٌ منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنّا لنَتَساهم، هذا شيخ كبير لأبي أيّوب، و أمّا هذا فسقيمٌ لأُبيّ بن كَعْب، فخرج مُعاذ و عُبَادة و أبو الدَّرداء، فقال عمر: ابدأوا بحِمْص، فإنّكم ستجدون النّاس على وجوهٍ مختلفة، منهم من يلقَن، فإذا رأيتم ذلك فوجّهوا إليه طائفةً من النّاس، فإذا رضيتم منهم فليُقِمْ بها واحدٌ، وليخرج واحدٌ إلى دمشق والآخر إلى فِلَسْطين. و قدموا حِمْص، فكانوا بها حتّى إذا رضوا من النّاس أقام بها عُبَادة، و خرج أبو الدَّرداء إلى دمشق و مُعاذ إلى فِلَسطين، و أمّا مُعاذ فمات عام طاعون عَمْواس، و أمّا عُبَادة فصار بعدُ إلى فِلَسطين فمات بها، و أمّا أبو الدَّرداء فلم يزل بدمشق حتّى مات. (٢:٣٥٥ـ٣٥٨)

الفصل الرّابع

نصّ البُخاريّ (م:٢٥٦) في «صحيحه»

جمع القرآن[1]

[عصر أبي بكر]

١ ـ حدّثنا موسى بن إسماعِيل عن إبراهيم بن سعدٍ، حدثنا ابن شِهاب عن عُبَيد بن السَّبّاق: أنّ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر مَقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطّاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليَمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يَستحرَّ القتل بالقُرّاء بالمواطن، فيذهب كثيرٌ مِن القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صَدْري لذلك، ورأيت في ذلك الّذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابٌّ عاقِل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَتَبَّع القرآن فاجمَعْه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل مِن الجِبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلتُ: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يُراجعني حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) فتتبّعت القرآن أجمعه مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدورِ الرِّجال حتّى وجدتُ آخر سورة التّوبة مع أبي خُزَيمة الأنصاريّ، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

---

١ ـ راجع الفصل ٤٩ و ٥٢ و ٦٢ من هذا القسم، حيث نقلنا هناك نظرة تحليليّة حول هذه الرّوايات عن الأساتذة: آية الله البروجرديّ و آية الله الخوئيّ و آية الله الفاضل اللّنكرانيّ والعلّامة المرتضى العامليّ...

رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم﴾ [١] حتّى خاتمة براءة، فكانت الصُّحُف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حَفْصَة بنت عمر رضي الله عنها. (٦:٢٢٥)

٢ ـ حدّثنا أبواليَمان، أخبرنا شُعَيب عن الزُّهْريّ قال: أخبَرني ابن السَّبَّاق أنّ زيد بن ثابت الأنصارِيّ رضي الله عنه ـ وكان ممّن يكتب الوحي قال: أرْسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة وعنده، عمر فقال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليَمامة بالنّاس، وإنّي أخشى أن يَسْتحِرَّ القتل بالقُرّاء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلّا أن تجمعوه، وإنّي لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجِعُني فيه حتّى شرح الله لذلك صدري، و رأيت الّذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لايتكلّم، فقال أبو بكر: إنّك رجُل شابٌّ عاقل ولا نتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فَتَتَبَّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النّبيّ ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خَيْر، فلم أزل أُراجعه حتّى شرح الله صدري للّذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقُمْت فَتَتَبَّعْتُ القرْآن أجمعه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب و صدور الرِّجال، حتّى وجدت من سُورة التّوبة آيتين مع خُزَيمة الأنصاريّ لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرهما، وكانت الصُّحُف الّتي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند عمر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند حَفْصَة بنت عمر.

٣ ـ تابعه عُثمان بن عمر واللّيث عن يونس عن ابن شِهاب و قال اللّيث: حدّثني عبد الرّحمان بن خالد عن ابن شِهاب، و قال مع أبي خُزَيمة الأنصارِيّ؛ و قال موسى عن إبراهيم: حدّثنا ابن شِهاب مع أبي خُزَيمة، وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه. وقال أبو ثابت: حدّثنا إبراهيم، و قال: مع خُزَيمة أو أبي خُزَيمة. (٦:٨٩)

١ ـ التّوبة /١٢٨.

[عصر عُثمان]

٤ ـ حدّثنا موسى، حدّثنا إبراهيم، حدّثنا ابن شِهاب أنّ أنس بن مالك حدّثه: أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قَدِم على عُثمان، وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حُذَيْفة اختلافهم في القراءة، فقال حُذَيْفَة لعُثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنّصارى. فأرسل عُثمان إلى حَفْصَة أن أرسلي إلينا بالصُّحُف نَنْسخها في المصاحف ثمّ نردّها إليك، فأرسلَتْ بها حَفْصَة إلى عُثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبَير و سعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحارِث بن هِشام، فنسخوها في المصاحف، و قال عُثمان للرَّهط القُرشيّين الثّلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قُريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتّى إذا نسخوا الصُّحُف في المصاحف ردّ عُثمان الصُّحُف إلى حَفْصَة، و أرسل إلى كُلّ أُفق بمُصْحَف ممّا نسخوا، و أمر بما سِواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مُصْحفٍ أن يُحرق.

قال ابن شِهاب: وَ أخبَرَني خارجة بن زيد بن ثابت أنّه سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المُصْحَف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[١] فألحقناها في سورتها في المُصْحَف. **(٦:٢٢٥)**

باب كاتب النّبيّ ﷺ

٥ ـ حدّثنا يحيى بن بُكَيرٍ، حدّثنا اللَّيْث عن يُونس عن ابن شِهاب: أنّ ابن السَّبّاق قال: إنّ زيد بن ثابت قال: أرْسل إليّ أبو بكر ﷺ قال: إنّك كُنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاتّبع القرآن، فتتَبَّعْت حتّى وجدت آخر سورة التّوبة آيتين مع أبي خُزَيْمة الأنصاريّ لم

١ - الأحزاب /٢٣.

أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم...﴾[١].

٦ ـ حدّثنا عُبَيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البَراء، قال: لمّا نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٢] قال النّبيّ ﷺ: أُدعُ لي زيدًا وليجيء باللّوح والدَّواة والكِتَف أو الكَتِف والدَّواة، ثمّ قال: أُكتُب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ و خلف ظهر النّبيّ ﷺ عمرو بن أُمّ مكتوم الأعمى، قال: يا رسول الله فما تَأمرني، فإنّي رجلٌ ضرير البصر، فنزلت مكانها: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

باب القُرّاء من أصحاب النّبيّ ﷺ

٧ ـ حدّثنا حَفْص بن عُمر، حدّثنا شُعبَة عن عَمْرو عن إبراهيم عن مَسْروق، ذكر عبد الله بن عمر و عبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أُحِبّه، سمعت النّبيّ ﷺ يقول: خُذُوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود و سالم ومُعاذ و أُبيّ بن كعب.

٨ ـ حدّثنا عمر بن حَفْص، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا شَقيق بن سَلَمة، قال: خَطَبَنا عبد الله فقال: والله لقد أخذتُ مِن في رسول الله ﷺ بِضْعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النّبيّ ﷺ أنّي من أعلمهم بكتاب الله و ما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحِلَق أسمع ما يقولون، فما سَمِعتُ رادًّا يقول غير ذلك.

٩ ـ حدّثنا محمّد بن كثير، أخبرنا سُفيان عن الأعمش عن إبراهِيم عن عَلقَمة، قال: كنّا بحِمْص، فقرأ ابن مسعود سورة يوسف، فقال رجل: ما هكذا أُنزلت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ، فقال: أحسنت، و وجد منه ريح الخمر، فقال: أتجمع أن تُكَذِّب بكتاب الله و تشرب الخمر، فضربه الحدّ.

١٠ ـ حدّثنا عمر بن حَفْص، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا مُسلم عن مَسْروق،

---

١ ـ التّوبة /١٢٨.

٢ ـ النّساء /٩٥.

قال: قال عبد الله رضي الله عنه: والله الّذي لا إله غيره ما أُنزلت سُورَة من كتاب الله إلّا أنا أعلم أين أُنزلت، وَلا أُنزلت آية مِن كتاب الله إلّا أنا أعلم فيم أُنزلت، وَلو أعلم أحدًا أعلم منّي بكتاب الله تبلغه الإبل لرَكِبتُ إليه.

١١ ـ حدّثنا حَفْصُ بن عمر، حدّثنا هَمّام، حدّثنا قَتادة، قالَ: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ؟ قال: أرْبعةٌ كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كَعب و مُعاذ بن جَبَل و زَيد بن ثابت و أبو زيد، تابعه الفضل عن حسين بن واقِد عن ثَمامَة عن أنس.

١٢ ـ حدّثنا مُعَلّى بن أسد، حدّثنا عبد الله بن المثنّى، قال: حدّثني ثابت البُنانيّ و ثَمامَة عن أنس قال: مات النّبيّ ﷺ ولَم يجمع القرآن غير أربعة؛ أبو الدَّرداء و مُعَاذ بن جَبَل و زيد بن ثابت و أبو زيد، قال: و نحن ورثناه.

١٣ ـ حدّثنا صَدقةُ بْن الفَضْل أخْبَرَنا يحيى عن سُفيان عن حَبيب بن أبي ثابت عن سَعيد بن جُبَير عن ابن عَبّاس، قال: قال عمر: أُبيّ أقرَؤنا، وَ إنّا لَنَدَعُ من لحن أُبيّ، و أُبيّ يقول: أخذته مِن في رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيءٍ، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءايَةٍ اَوْ نَنسَأْهَا[١] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا اَوْ مِثْلِهَا﴾.[٢] (٦١:٢٢٩ـ٢٣٠)

باب تأليف القرآن

١٤ ـ حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هِشام بن يوسف: أنّ ابن جُرَيج أخبرهم قال: و أخبرني يوسف بن مَاهِك قال: إنّي عند عائشة أُمّ المؤمنين (رضي الله عنها) إذ جاءها عراقيّ فقال: أيّ الكفن خير؟ قالت: ويحك و ما يَضُرّك؟ قال: يا أُمّ المُؤمنين أريني مُصْحَفك، قالت: لِم؟ قال: لعلّي أُؤلّف القرآن عليه، فإنّه يُقرأ غير مؤلّف، قالت: و ما يضرّك أيّه قرأتَ قبل، إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنّة والنّار، حتّى إذا

١ ـ على القراءة غير المشهورة، والمشهورة «نُنْسِها».
٢ ـ البقرة /١٠٦.

ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيءٍ «لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا نَدَعُ الخمر أبدًا، ولو نزل «لا تزنُوا» لقالوا: لا نَدَعُ الزّنى أبدًا، لقد نزل بمكّة على محمّد ﷺ وإنّي لجارية ألعبُ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[1]، و ما نزلت سورة البقرَة والنّساء إلّا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المُصْحَف، فَأَمْلَت عليه آي السُّورة.

١٥ ـ حدّثنا آدم، حدّثنا شُعْبة عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الرّحمان بن يزيد، سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف و مريم وطه والأنبياء: إنّهنّ من العتاق الأُوَل، و هنّ من تلادي.

١٦ ـ حدّثنا عبدان عن أبي حَمزة عن الأعمش عن شقيق، قال: قال عبد الله: قدْ عُلِّمتُ النّظائر الّتي كان النّبيّ ﷺ يقرَأهنّ اثنين اثنين في كلّ ركعة، فقام عبد الله و دخل معه عَلْقَمة، و خرج عَلْقَمة فسألناه، فقال: عشرون سورةً مِنْ أوّل المفصّل على تأليف ابن مسعود، آخرهنّ الحواميم، حمَ الدُّخان و عمّ يتساءلون. (٦:٢٢٨)

---

١ ـ القمر /٤٦.

الفصل الخامس

نصّ الفضل بن شاذان (م: ٢٦٠) في «الإيضاح»

ذكر ما جمع من القرآن

و رويتم[1] أنّ أبابكر و عمر جمعا القرآن من أوّله إلى آخره من أفواه الرّجال بشهادة شاهدين، وكان الرّجل الواحد منهم إذا أتى بآيةٍ سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبلا منه، و إذا جاء اثنان بآية قَبِلاها و كَتَباها.

و رويتم أنّه جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة نفر كلّهم من الأنصار، و أنّه لم يحفظ القرآن إلّا هؤلاء النّفر؛ فمرّةً تروُون أنّه لم يحفظه قومٌ، و مرّةً تروون أنّه ذهب منه شيءٌ كثيرٌ، و مرّةً تروُون أنّه لم يجمع القرآن أحدٌ من الخُلفاء إلّا عُثمان، فكيف ضاع القرآن و ذهب و هؤلاء النّفر قد حفظوه بزعمكم و روايتكُم؟!

ثمّ رويتم بعد ذلك كلّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يؤلّف القرآن فألّفه و كتبه، و رويتم أنّ إبطاء عليٍّ عَلىٰ أبي بكر البيعة لتأليف القرآن، فأين ذهب ما ألّفه عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى صِرْتُم تجمعونه من أفواه الرّجال؟! و من صُحُف زعمتم كانت عند حَفْصَة بنت عمر بن الخطّاب؟!

ثمّ رويتم عن ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن، و أنّه لم يثبتهما في مُصْحَفه، و أنتُم تروون أنّه من جحد آية من كتاب الله عَزَّوجَلَّ فهو كافرٌ بالله، و تقرّون أنّهما من القرآن، فمرّةً تقرّون على ابن مسعود في الحلال والحرام والصّلاة والصّيام والفرائض

---

١ ـ يخاطب غالبًا ابن شاذان في هذا الكتاب عُلماء الجمهور بهذه الكلمة في مواطن كثيرة إنكارًا عليهم(م).

والأحكام؟!

فإن لم تكن المعوّذتان من القرآن لقد هلك الّذين أثبتوهما في المصاحف، و لئن كانتا من القرآن، لقد هلك الّذين جحدوهما ولم يثبتوهما في المصاحف، [إن كان ما رويتم عن ابن مسعود حقًّا أنّه قال: ليس هما من القرآن]، فليس لكم مخرج من أحد الوجهين، فأمّا أن يكون كذب فهلك و هلك من أخذ عنه الحلال والحرام، [و أمّا أن يكون صدق فهلك من خالفه] فأيّ وقيعة في أصحاب رسول الله ﷺ أشدّ من وقيعتكم فيهم إذ أوقعتم؟![1] (٢٠٩_٢٢٩)

١ ـ ما في هذا النصّ من الرّوايات عن الجمهور لايعترفون بها، وإن وُجدت في بعض الكتب.(م)

الفصل السّادس

نصّ اليعقوبيّ (م: ٢٨٤) في «تاريخه»

[جمع القرآن في عصر أبي بكر]

قال عمر بن الخطّاب لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، إنّ حملة القرآن قد قُتل أكثرهم يوم اليَمامة، فلو جمعت القرآن، فإنّي أخاف عليه أن يذهب حَمَلَتُه. فقال أبو بكر: أفعلُ ما لم يفعله رسول الله؟ فلم يزل به عمر حتّى جمعه وكتبه في صُحُف. وكان مفترقًا في الجريد وغيرها. وأجلس خمسة وعشرين رجلاً من قُريش، وخمسين رجلاً من الأنصار، وقال: اكتبوا القرآن، وأعرضوا على سعيد بن العاص، فإنّه رجل فصيح.

[ثمّ ذكر أجزاء القرآن وترتيب سُوَره طبق مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام، فراجع آخر باب ترتيب السُّوَر المكّيّة والمدنيّة جدول الرّقم ٢.] (٢: ١٣٥ـ١٣٧)

[جمع القرآن في عصر عُثمان]

وجمع عُثمان القرآن وألّفه، وصيّر الطُّوال مع الطُّوال، والقصار مع القصار من السُّوَر، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتّى جُمِعت، ثمّ سلقها بالماء الحارّ والخلّ؛ وقيل: أحرقها، فلم يبق مُصْحف إلّا فعل به ذلك خلا مُصْحَف ابن مسعود. وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مُصْحَفه إلى عبد الله بن عامر، وكتب إليه عُثمان: أن أشخِصْه، إنّه لم يكن هذا الدّين خبالاً وهذه الأُمّة فسادًا. فدخل المسجد وعُثمان يخطب، فقال عُثمان: إنّه قد قدمت عليكم دابّة سوء، فكلّمه ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عُثمان، فجُرّ

برجله حتّى كُسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة، وقالت قولاً كثيرًا، وبعث بها إلى الأنصار، و بعث بمُصْحَف إلى الكوفة، و مُصْحَف إلى البصرة، ومُصْحَف إلى المدينة، و مُصْحَف إلى مكّة، و مُصْحَف إلى مصر، و مُصْحَف إلى الشّام، و مُصْحَف إلى البَحرين، و مُصْحَف إلى اليمن، و مُصْحَف إلى الجزيرة، و أمر النّاس أن يقرأوا على نسخة واحدة.

وكان سبب ذلك أنّه بلغه أنّ النّاس يقولون: قرآن آل فلان، فأراد أن يكون نسخة واحدة، وقيل: إنّ ابن مسعود كان كتب بذلك إليه، فلمّا بلغه أنّه يحرق المصاحف قال: لم أرد هذا.

وقيل: كتب إليه بذلك حُذيفة بن اليَمان، و اعتلّ ابن مسعود، فأتاه عُثمان يعوده، فقال له: ما كلام بلغني عنك؟ قال: ذكرت الّذي فعلته بي، إنّك أمرت بي فوُطِئ جوفي، فلم أعقل صلاة الظّهر ولا العصر، و منَعْتَني عطائي. قال: فإنّي أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الّذي فُعِل بك! قال: ما كنت بالّذي أفتح القصاص على الخلفاء. قال: فهذا عطاؤك فخذه. قال: منعتنيه و أنا محتاج إليه، و تعطينيه و أنا غنيّ عنه؟ لا حاجة لي به، فانصرف. فأقام ابن مسعود مغاضبًا لعُثمان حتّى توفّي. (٢: ١٧٠)

الفصل السّابع

نصّ الطَّبَريّ (م: ٣١٠) في تفسيره «جامع البيان»

[جمع القرآن في عهدالخلفاء]

[قال عند بحثه الأحرف السّبعة:]

فإن قال: وما العلّة الّتي أو جبت عليها الثّبات على حرف واحد دون سائر الأحرف السّتّة الباقية؟

١ ـ قيل: حدّثنا أحمد بن عبدة الضّبيّ، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن محمّد الدَّراوَرْديّ عن عُمّارة بن غزّيّة عن ابن شِهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد، قال: لمّا قُتل أصحاب رسول الله ﷺ باليَمامة، دخل عمر بن الخطّاب على أبي بكر فقال: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ باليَمامة تهافتوا تهافت الفراش في النّار، و إنّي أخشى أن لا يشهدوا موطنًا، إلّا فعلوا ذلك حتّى يقتلوا، وهم حملةالقرآن، فيضيع القرآن ويُنسىٰ، فلو جمعته وكتبته، فنفر منها أبو بكر، وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟ فتراجعا في ذلك، ثمّ أرسل أبو بكر . إلى زيد بن ثابت، قال زيد: فدخلت عليه، و عمر محزئل، فقال أبو بكر: إنّ هذا قد دعاني إلى أمر، فأبيت عليه، و أنت كاتب الوحي، فإن تكن معه اتّبعتُكما، و إن توافقني لاأفعل قال: فاقتصّ أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك، و قلت: تفعل مالم يفعل رسول الله ﷺ إلى أن قال عمر كلمة: و ما عليكما لو فعلتُما ذلك؟ قال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لاشيء، والله ما علينا في ذلك شيء: قال زيد: فأمرني أبو بكر، فكتبته في قطع الأدَم، و كسر الأكتاف والعُسُب.

فلمّا هلك أبو بكر، و كان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده، فلمّا هلك، كانت الصّحيفة عند حَفْصَة، زوج النّبيّ ﷺ ثمّ إنّ حُذَيفة بن اليَمان قدم من غزوة كان غزاها في فرج أرمينيّة، فلم يدخل بيته حتّى أتى عُثمان بن عَفّان، فقال: يا أميرالمؤمنين، أدرك النّاس، فقال عُثمان: و ما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينيّة، فحضرها أهل العراق و أهل الشّام، فإذا أهل الشّام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فتكفّرهم أهل العراق، و إذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشّام، فتكفرّهم أهل الشّام.

قال زيد: فأمرني عُثمان بن عَفّان أكتب له مُصْحَفًا، و قال: إنّي مدخل معك رجلاً لبيبًا فصيحًا، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، و ما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص.

قال: فلمّا بلغا ﴿اِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهِ اَنْ يَاْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾[1] قال زيد: فقلت: التّابوه، و قال أبان ابن سعيد: التّابوت، فرفعنا ذلك إلى عُثمان، فكتب التّابوت.

قال: فلمّا فرغت عرضته عرضة، فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[2] قال: فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثمّ استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتّى وجدتها عند خُزَيمة بن ثابت، فكتبتها. ثمّ عرضته عرضة أُخرى. فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾[3] إلى آخر السُّورة، فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم، ثمّ استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتّى وجدتها مع رجل آخر، يدعى خُزَيْمة أيضًا، فأثبتها في آخر براءة، ولو تمّت ثلاث آيات، لجعلتها سورة على حدة، ثمّ عرضته عَرْضَة أُخرى فلم أجد فيه شيئًا.

١ ـ البقرة /٢٤٨.
٢ ـ الأحزاب /٢٣.
٣ ـ التّوبة /١٢٨.

ثمّ أرسل عُثمان إلى حَفْصَة يسألها أن تعطيه الصَّحيفة، و حلف لها ليـردنّها إليـها، فأعطته إيّاها، فعرض المُصْحَف عليها، فلم يختلفا في شيءٍ، فردّها إليها، وطابت نفسه، و أمر النّاس أن يكتبوا مصاحف، فلمّا ماتت حَفْصَة، أرسل إلى عـبد الله بـن عـمر فـي الصّحيفة بعزمة، فأعطاهم إيّاها، فغسلت غسلاً.

٢ ـ وحدّثني [به] يونس بن عبدالأعلى، قال: حدّثنا نُعَيم بن حَمّاد، قـال: حـدّثنا عبدالعزيز بن محمّد عن عُمّارة بن غَزّيّة عن ابن شِهاب عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد ابن ثابت بنحوه سواء.

٣ ـ وحدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عُلَيَّة، قال: حدّثنا أيّوب عن أبـي قِلابة، قال: لمّا كان في خلافة عُثمان، جعل المعلّم يعلّم قراءة الرّجل، والمعلّم يعلّم قراءة الرّجل، فجعل الغِلمان يلتقون فيختلفون، حتّى ارتفع ذلك إلى المعلّمين، قال أيّوب: فلا أعلمه إلّاقال: حتّى كفر بعضهم بقراءة بعض.

فبلغ ذلك عُثمان، فقام خطيبًا، فقال: أنتم عندي تختلفون فيه و تلحنون، فمن نأى عنّي من أهل الأمصار أشدّ فيه اختلافًا، و أشدّ لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمّد، فاكتبوا للنّاس إمامًا.

قال أبو قِلابة: فحدّثني أنس بن مالك، قال: كنت فيمن يُملى عـليهم، قـال: فـربّما اختلفوا في الآية فيذكرون الرّجل قد تلقّاها من رسول الله ﷺ و لعلّه أن يكون غائبًا، أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها و ما بعدها، ويدَعُون موضعها، حتّى يجيء أو يرسل إليه، فلمّا فرغ من المُصْحَف، كتب عُثمان إلى أهل الأمصار: إنّي قد صنعت كذا و كذا، و محوت ما عندي، فامحوا ما عندكم.

٤ ـ حدّثني يونس بن عبدالأعلى، قال: حدّثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس قال: قال ابن شِهاب: أخبرني أنس بن مالك الأنصاريّ أنّه اجتمع في غزوة أذربيجان و أرمينيّة أهل الشّام و أهل العراق، فتذاكروا القرآن، واختلفوا فيه حتّى كاد يكون بينهم فتنة، فركب حُذَيفة بن اليَمان لمّا رأى اختلافهم في القرآن إلى عُثمان، فقال: إنّ النّاس قد اختلفوا في

القرآن، حتّى إنّي والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود و النّصارى من الاختلاف، قال: ففزع لذلك فزعًا شديدًا، فأرسل إلى حَفْصَة، فاستخرج الصُّحُف الّتي كان أبو بكر أمر زيدًا بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق.

٥ ـ حدّثني سعيد بن الرّبيع، قال: حدّثنا سُفيان بن عُيَيْنة عن الزُّهْريّ، قال: قبض النّبيّ ﷺ ولم يكن القرآن جمع، و إنّما كان في الكرانيف والعُسُب.

٦ ـ حدّثنا سعيد بن الرّبيع، قال: حدّثنا سُفيان عن مجالد عن الشَّعبيّ عن صَعصَعة: أنّ أبابكر أوّل من ورّث الكلالة و جمع المُصْحَف. (١:٢٦ـ٢٨)

الفصل الثّامن

نصّ السِّجستانيّ (م: ٣١٦) في «المصاحف»[1]

باب جمع القرآن

جمع أبي بكر في المصاحف بعد رسول الله ﷺ

١ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا يعقوب بن سُفيان، قال: حدّثنا سُفيان عن السُّدّيّ عن عبد خير عن عليّ عليه السلام، قال: «رحم الله أبا بكر هو أوّل من جمع بين اللّوحين».

٢ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عمر بن شَبَّه، قال: حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيْريّ، قال: حدّثنا سُفيان عن السُّدّيّ عن عبد خَيْر عن عليّ، قال: «أعظم النّاس أجرًا في المصاحف أبو بكر، فإنّه أوّل من جمع بين اللّوحين». [**ثمّ ذكر مثله أربعًا أُخرى بسنده، وإن شئت فراجع**].

٣ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن أيّوب بن يحيى بن ضُرَيس، قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين، قال: «أبو بكر كان يلقّب كُرَاع».

٤ ـ حدّثنا المطّلب عن السُّدّيّ عن عبد خَيْر، قال: «أوّل من جمع كتاب الله بين اللّوحين أبو بكر».

٥ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا عبدة عن هِشام عن أبيه: «أنّ أبا بكر هو الّذي جمع القرآن بعد النّبيّ ﷺ، يقول :ختمه». [إلى أن قال:]

٦ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أبو الطّاهر، قال: أخبرنا ابن وَهْب، أخبرني ابن أبي

---

١ ـ راجع «جمال القرّاء وكمال الإقراء، للسّخاويّ أيضًا ١: ٢٥٨ ـ ٢٦٧» ففيه روايات تشابه الروايات الّتي ذكرها السِّجستانيّ في هذا النّصّ.(م)

الزِّناد[1] عن هِشام بن عُرْوَة عن أبيه، قال: لمّا استحرّ القتل بالقُرّاء يومئذ فرَقَّ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطّاب ولزيد بن ثابت: اقعدوا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه... [ثمّ ذكر روايات جمع القرآن في عصر أبي بكر كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ١ و٢].

٧ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن النُّعمان، قال: حدّثنا محمّد، قال: حدّثنا أبو جعفر عن الرَّبيع[2] عن أبي العالية: أنّهم جمعوا القرآن في مُصْحَف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون و يملي عليهم أُبيّ بن كعب، فلمّا انتهوا إلى هذه الآية ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَفْقَهُونَ﴾[3] فظنّوا أنّ هذا آخر ما أُنزل من القرآن، فقال أُبيّ: إنّ رسول الله ﷺ قد أقرأني بعدهنّ آيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾ قال: فهذا آخر ما أُنزل من القرآن، فختم الأمر بما فتح به، لقول الله جَلّ ثناؤه: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِى اِلَيْهِ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[4]

٨ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أبو الطّاهر قال: أخبرنا ابن وَهْب، قال: أخبرني مالك عن ابن شِهاب عن سالم و خارجة: أنّ أبا بكر الصّدّيق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النّظر في ذلك فأبى حتّى استعان عليه بعُمر ففعل، وكانت تلك الكُتب عند أبي بكر حتّى توفّي، ثمّ عند عمر حتّى توفّي، ثمّ كانت عند حَفْصَة زوج النّبيّ ﷺ فأرسل إليها عُثمان، فأبت أن تدفعها إليه حتّى عاهدها ليردّنّها إليها، فبعثت بها إليه فنسخها عُثمان في هذه المصاحف، ثمّ ردّها إليها، فلم تزل عندها حتّى أرسل مروان فأخذها فحرّقها.

---

١ ـ ابن أبي الزِّناد: هو عبد الرّحمان القُرشيّ.

٢ ـ الرّبيع، يعني الرَّبيع بن أنس ولكن في الأصل ربيع فقط.

٣ ـ التّوبة /١٢٧.

٤ ـ الأنبياء /٢٥.

جمع عليّ بن أبي طالبعليه السلام القرآن في المُصْحَف

٩ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسيّ، قال: حدّثنا ابن فُضَيل عن أشعث عن محمّد بن سيرين، قال: لمّا توفّي النّبيّ أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلّا لجمعة حتّى يجمع القرآن في مُصْحَف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيّام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلّا أنّي أقسمت أن لا أرتدي برداءٍ إلّا لجمعة، فبايعه ثمّ رجع. [قال أبو بكر: لم يذكر المُصْحَف أحد إلّا أشعث و هو ليّن الحديث، و إنّما رووا: حتّى أجمع القرآن، يعني أتمّ حفظه فإنّه يقال للّذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن].

جمع عمر بن الخطّاب القرآن في المُصْحَف

١٠ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن خَلّاد، قال: حدّثنا يزيد، قال: أخبرنا مبارك عن الحسين[١] أنّ عمر بن الخطّاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله، وأمر بالقرآن فجمع، وكان أوّل من جمعه في المُصْحَف.

١١ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أبو الطّاهر أخبرنا ابن وَهْب، أخبرني عمر بن طَلْحة اللَّيثيّ عن محمّد بن عمرو بن عَلْقَمة عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب، قال: أراد عمر بن الخطّاب أن يجمع القرآن، فقام في النّاس فقال: من كان تلقّى من رسول اللهصلى الله عليه وآله شيئًا من القرآن، فليأتنا به، وكانوا اكتبوا ذلك في الصُّحُف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتّى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عُثمان بن عَفّان فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئًا حتّى يشهد عليه شهيدان، فجاء خُزَيْمة بن ثابت فقال: إنّي قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قالوا: و ما هما؟ قال: تلقّيت من رسول اللهصلى الله عليه وآله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

١ ـ وفي كنز العمّال: «عن الحسن»(م).

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١] إلى آخر السُّورة، قال عُثمان: فأنا أشهد أنّهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: اختم بها آخر ما نزل من القرآن، فختمت بها براءة.

١٢ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إسماعيل بن أسد، قال: حدّثنا هَوْذَة، قال: حدّثنا عَوْف عن عبد الله بن فَضَالة، قال: لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرًا من أصحابه، و قال: إذا اختلفتم في اللّغة فاكتبوها بلُغة مُضَر، فإنّ القرآن نزل على رجل من مُضَر...

[إلى أن قال:]

اتّفاق النّاس مع عُثمان على جمع المصاحف

١٣ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمّد بن عمر بن هياج، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الرّحمان يعني الأرحَبيّ، حدّثني عبد الله بن عبد الملك الحُرّ عن إياد بن لَقيط عن يزيد بن مُعاوية، قال: إنّي لفي المسجد زمن الوليد بن عُقبْة في حلقة فيها حُذَيْفة، قال: و ليس إذ ذاك حجرة ولا جلاوزة، إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى فليأت الزّاوية الّتي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود فليأت هذه الزّاوية الّتي عند دار عبد الله، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا: «وَ اَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ» وقرأ هذا: ﴿وَ اَتِمُّوا الْحَجَّ والعُمْرَةَ لِلّهِ﴾ [٢] فغضب حُذَيفة واحمرّت عيناه. ثمّ قام ففرز قميصه في حجزته و هو في المسجد و ذاك في زمن عُثمان، فقال: إمّا أن يركب إليّ أمير المؤمنين وإمّا أن أركب، فهكذا كان من قبلكم، ثمّ أقبل فجلس فقال: إنّ الله بعث محمّدًا فقاتل بمن أقبل من أدبر حتّى أظهر الله دينه، ثمّ إنّ الله قبضه فطعن النّاس في الإسلام طعنة جواد، ثمّ إنّ الله استخلف أبا بكر فكان ما شاء الله، ثمّ إنّ الله قبضه فطعن النّاس في الإسلام طعنة جواد، ثمّ إنّ الله استخلف عمر فنزل وسط الإسلام، ثمّ إنّ الله قبضه فطعن النّاس في الإسلام طعنة جواد، ثمّ إنّ الله استخلف عُثمان و أيمُ الله ليوشكنّ أن يطعنوا فيه طعنة تخلفونه كلّه.

---

١ ـ التّوبة /١٢٨.

٢ ـ البقرة /١٩٦.

١٤ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا سهل بن صالح، قال: حدّثنا أبو داود و يعقوب، قالا: أخبرنا شُعْبَة عن عَلْقَمة بن مَرْثَد عن سُوَيد بن غَفَلَة، قال: قال عليّ في المصاحف: لو لم يصنعه عُثمان لصنعته [قال أبو داود عن رجلٍ عن سُوَيد].

١٥ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن بَشّار، حدّثنا قال: حدّثنا محمّد بن جعفر و عبد الرّحمان، قالا: حدّثنا شُعبة عن عَلْقَمَة بن مَرْثَد عن رجل عن سُوَيد بن غَفَلَة، قال: قال عليّ حين حرّق عُثمان المصاحف: لولم يصنعه هو لصنعته.

١٦ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أحمد بن سِنان، قال: حدّثنا عبد الرّحمان، قال: حدّثنا شُعبة عن أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سعد، قال: أدركت النّاس متوافِرين حين حرّق عُثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد... [إلى أن قال:]

كراهيّة عبد الله بن مسعود ذلك

١٧ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا شُعيب بن أيّوب، حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا عمرو بن ثابت، قال: حدّثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الشَّعثاء، قال: كنّا جلوسًا في المسجد وعبد الله يقرأ فجاء حُذَيْفة فقال: قراءة ابن أُمّ عبد و قراءة أبي موسى الأشعريّ، والله إن بقيت حتّى آتي أمير المؤمنين [يعني عُثمان] لأمرته بجعلها قراءة واحدة. قال: فغضب عبد الله، فقال لحُذيفة كلمة شديدة، قال: فسكت حُذَيْفة.

١٨ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا الحسن بن مُدرك و إسحاق بن إبراهيم بن زيد، قالا: حدّثنا يحيى بن حَمّاد، قال: حدّثنا أبو عَوَانَة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الشَّعثاء المَحارِبيّ، قال: قال حُذَيفة: يقول أهل الكوفة: قراءة عبد الله، و يقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى، والله لئن قدِمت على أمير المؤمنين لأمرته أن يغرقها، قال: فقال عبد الله: أما والله لئن فعلت ليغرقنّك الله في غير ماء، [قال شاذان[1] في سقرها:].

١٩ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن أبي شيبة قال

١ ـ شاذان: هو إسحاق بن إبراهيم بن زيد.

حدّثنا ابن أبي عُبَيْدة، قال: حدّثنا أبي عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الشَّعْثاء، قال: كنت جالسًا عند حُذَيفة و أبي موسى و عبد الله بن مسعود، فقال حُذَيْفة: أهل البَصْرة يقرأون قراءة أبي موسى، و أهل الكوفة يقرأون قراءة عبد الله، أما والله أن لو قد أتيت أمير المؤمنين لقد أمَرتُه بغَرْق هذه المصاحف، فقال عبد الله: إذاً تغرق في غير ماءٍ.

٢٠ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثناعليّ بن حرب، قال: حدّثنا ابن فُضَيل، قال: حدّثنا حُصَين عن مُرَّة، قال: ذكر لي أنّ عبد الله و حُذَيفة و أبا موسى فوق بيت أبي موسى فأتيتهم، فقال عبد الله لحُذَيفة: أما أنّه قد بلغني أنّك صاحب الحديث، قال: أجل، كرهت أن يقال: قراءة فلان و قراءة فلان، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب، قال: و أُقيمت الصّلاة فقيل لعبد الله: تقدّم صَلّ، فأبىٰ فقيل لحُذَيفة: تقدّم فأبى، فقيل لأبي موسى: تقدّم فإنّك ربّ البيت.

٢١ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن عُثمان العبسيّ، قال: حدّثنا إسماعيل بن بَهْرام، قال: حدّثنا سُعَير بن الخِمْس عن مُغيرة[١] عن أبي الضّحى عن مَسروق، قال: كان عبد الله و حُذَيفة و أبو موسى في منزل أبي موسى، فقال حُذَيفة: أمّا أنت يا عبد الله بن قيس[٢] فَبُعِثتَ إلى أهل البصرة أميرًا و معلّمًا، و أخذوا من أدبك ولغتك و من قراءتك. و أمّا أنت يا عبد الله بن مسعود فبُعِثت إلى أهل الكوفة معلّمًا، فأخذوا من أدبك و لغتك و من قراءتك، فقال عبد الله: أما أنّي إذاً لم أضلّهم، و ما من كتاب الله آية إلّا أعلم حيث نزلت و فيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلَم بكتاب الله منّي تبلّغنيه الإبل لرحلت إليه.

٢٢ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أحمد بن منصور بن سَيّار، قال: حدّثنا قبيصَة، قال: حدّثنا سُفيان عن أبي إسحاق عن حُمَيد بن مالك، قال: قال عبد الله: لقد قرأت مِن فِي رسول الله ﷺ سبعين سُورة، و أنّ لزيد بن[٣] ثابت ذؤابتين يلعب مع الصّبيان.

---

١ ـ مُغيرة، لعلّ الصّواب المُغيرة.

٢ ـ عبد الله بن قَيس: يعني أبا موسى.

٣ ـ لزيد: في الأصل زيد.

٢٣ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عمّي[١]، قال: حدّثنا ابن أبي رجاء، قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حُمَيد بن مالك عن عبد الله، قال: لمّا أُمر بالمصاحف ساء ذلك عبد الله بن مسعود، قال: من استطاع منكم أن يغلّ مُصْحَفًا فليغلل، فإنّه من غلّ شيئًا جاء بما غلّ يوم القيامة. ثمّ قال عبد الله: لقد قرأت القرآن مِن في رسول الله ﷺ سبعين سُورة و زيد صبيّ، أفأترك ما أخذت مِن في رسول الله ﷺ؟

٢٤ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا يونس بن حبيب، قال: حدّثنا أبو داود، قال: حدّثنا عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن حُمَيد بن مالك، قال: سمعت ابن مسعود يقول: إنّي غالّ مُصْحَفي، فمن استطاع أن يغلّ مُصْحَفًا فليغلل، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾[٢] و لقد أخذت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة و أنّ زيد بن ثابت لصبيّ من الصّبيان، أفأنا أدَعُ ما أخذتُ مِن في رسول الله ﷺ؟!

٢٥ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا وكيع عن شَريك عن إبراهيم بن مهاجر: لمّا أمر بتمزيق المصاحف قال عبد الله: أيّها النّاس غُلّوا المصاحفَ، فإنّه من غَلّ يأت بما غَلّ يوم القيامة، ونعم الغلّ المُصْحَف يأتي به أحدكم يوم القيامة.

٢٦ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الوَهّاب الدَّعْلَجيّ، حدّثنا أيّوب بن مُسلمة، حدّثنا أبو شِهاب عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله، قال: قرأ ﴿وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ غلّوا مصاحفكم، فكيف تأمروني أن أقرأ قراءة زيد، ولقد قرأت مِن في رسول الله ﷺ بِضعًا و سَبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب بين الصّبيان.

٢٧ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن النُّعمان، قال: حدّثنا سعيد بن سُلَيمان، قال: حدّثنا أبو شِهاب عن الأعمش عن أبي وائل، قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر، فقال: ﴿وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ غلّوا مصاحفكم، و كيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، و قد قرأت مِن في رسول الله ﷺ بضعًا و سَبعين سورة وإنّ زيد بن

---

١ ـ عمّي: يعني يعقوب بن سُفيان.

٢ ـ آل عمران /١٦١.

ثابت ليأتي مع الغِلمان له ذؤابتان؟ والله ما نزل من القرآن إلّا و أنا أعلم في أيّ شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله منّي و ما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانًا تبلغه الإبل أعلم [١] بكتاب الله منّي لأتيته. قال أبو وائل: فلمّا نزل عن المنبر جلست في الحِلَق، فما أحد ينكر ما قال. [إلى أن قال:]

٢٨ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا عبدة عن الأعمش عن شقيق، قال: قال عبد الله: ﴿مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ [٢] على قراءة من يأمرني أن أقرأ، لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعًا و سبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمّد أنّي أعلمهم بكتاب الله، ولو علمت أنّ أحدًا أعلم بكتاب الله منّي لرحلت إليه، قال شقيق: فجلست في حِلَق من أصحاب محمّد، فما سمعت أحدًا منهم يعيب عليه شيئًا ممّا قال ولا ردّه... [ثمّ ذكر رواية أبي الضّحى عن مسروق، كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١٠].

٢٩ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي شَيْبة، قال: حدّثنا ابن أبي عُبَيدة، قال: حدّثنا أبي عن الأعمش عن أبي رزين عن زِرّ بن حُبَيْش، قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد قرأت مِنْ في رسول الله ﷺ بضعًا و سبعين سورة و إنّ لزيد بن ثابت ذؤابتين له.

٣٠ ـ وقال محمّد بن مَعْمَر البَحْرانيّ عن يحيى بن حمّاد، قال: حدّثنا أبو عَوَانة عن إسماعيل بن سالم عن أبي سعيد الأزديّ، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: أقرأني رسول الله ﷺ سبعين سُورة أحكمتها قبل أن يُسلم زيد بن ثابت.

٣١ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، قال: حدّثنا الحسين بن حَفْص، حدّثنا أبو مسلم عن الأعمش عن عمرو بن مُرّة عن أبي البَخْتريّ [٣]، قال: قال حُذَيْفة: أرأيتم لو حدّثتكم أنّ أُمّكم تخرج في فئة تقاتلكم أكنتم مصدّقيّ؟ قال: قلنا: سبحان الله يا أبا عبد الله، ولم تفعل؟ قال: أرأيتم لو قلت لكم: تأخذون مصاحفكم فتحرقونها وتلقونها في الحشوش أكنتم مصدّقيّ قالوا: سبحان الله، ولم تفعل؟ قال: أرأيتم

١ - أعلم: يعني فيه شخص أعلم.
٢ ـ آل عمران /١٦١.
٣ ـ أبو البَخْتريّ هو سعيد بن فيروز الطّائيّ.

لو حدّثتكم أنّكم تكسرون قبلتكم أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: سبحان الله، ولم تفعل؟ قال: أرأيتم لو قلت لكم: إنّه يكون منكم قِرَدة و خَنازير أكنتم مصدّقيّ؟ فقال رجل: يكون فينا قِرَدة و خَنازير؟ قال: وما يُؤمنّك لا أُمّ لك؟

٣٢ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن بَشّار، قال: حدّثنا عبد الرّحمان، قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهْريّ، قال: وأخبرني عُبَيدالله بن عبد الله بن عُتْبَة: أنّ عبد الله ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، فقال: يا معشر المسلمين أُعزَل عن نسخ [كتاب] المصاحف، و تولّاها رجل والله لقد أسلمت و أنّه لفي صُلب أبيه كافرًا [يريد زيد بن ثابت] وكذلك قال عبد الله: يا أهل الكوفة [أو يا أهل العراق] اكتموا المصاحف الّتي عندكم و غلّوها، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ فالقوا الله بالمصاحف. قال الزُّهْريّ: فبلغني أنّ ذلك كره من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل من أصحاب النّبيّ ﷺ. [قال ابن أبي داود: عبد الله بن مسعود بدريّ و ذاك ليس هو ببدريّ، و إنّما ولّوه لأنّه كاتب رسول الله ﷺ...].

رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عُثمان المصاحف

٣٣ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا عبد الله بن سعيد و محمّد بن عُثمان العِجْليّ، قالا: حدّثنا أبو أُسامة، قال: حدّثني زُهير، قال: حدّثني الوليد بن قَيْس عن عُثمان بن حَسّان العامريّ عن فَلْفلة الجُعفيّ، قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنّا لم نأتك زائرين، ولكنّا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إنّ القرآن أنزل على نبيّكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف [أو حروف] و إنّ الكتاب قبلكم كان ينزل [أو نزل] من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد.

جمع عُثمان رحمة الله عليه المصاحف

٣٤ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن بَشّار، قال: حدّثنا عبد الرّحمان، قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهْريّ عن أنس بن مالك: أنّ حُذَيْفة...[و ذكر كما تقدّم عن

البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]

قال الزُّهْريّ: واختلفوا يومئذٍ في التّابوت والتّابوه فقال النّفر القرشيّون: التّابوت، وقال زيد: التّابوه، فرفع اختلافهم إلى عُثمان، فقال: اكتبوه التّابوت، فإنّه بلسان قُريش.

٣٥ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدّثنا أبي عن ابن شِهاب عن أنس بهذا... [ثمّ ذكر قصّة حُذيفة بسنده عن الزُّهْريّ و أنس كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ، إلى أن قال:]

قال ابن شِهاب: ثمّ أخبرني أنس بن مالك الأنصاريّ: أنّه اجتمع لغَزْوَة أذربيجان... [و ذكر كما تقدّم عن الطَّبَريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]

فلمّا كان مَرْوان أمير المدينة أرسل إلى حفْصَة يسألها عن الصُّحُف ليحرقها، وخشي أن يخالف بعض الكُتّاب بعضًا، فمنعته إيّاها.

قال ابن شِهاب: فحدّثني سالم بن عبد الله، قال: فلمّا توفّيت حَفْصة أرسل إلى عبد الله بعزيمة ليرسلنّ بها، فساعة رجعوا من جنازة حَفْصة أرسل بها عبد الله بن عمر إلى مروان، ففشاها و حرّقها مخافة أن يكون في شيءٍ من ذلك اختلاف لما نسخ عُثمان رحمة الله عليه... [ثمّ ذكر رواية أيّوب عن أبي قِلابة كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ٣]

٣٦ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا يُونس بن حبيب، قال: حدّثنا أبو داود، قال: حدّثنا شُعبة بن الحَجّاج عن عَلْقَمة بن مَرثَد الحَضرميّ، قال أبو داود: و حدّثنا محمّد بن أبان الجُعفيّ، سمعه من عَلْقَمة بن مَرثَد [وحديث محمّد أتمّ عن عُقبة، رواه أبو عبد الله محمّد بن عيسى[1] الأصبهانيّ المُقْرئ في كتاب «المصاحف والهجاء» عن محمّد بن الصّلت الأسديّ عن محمّد بن أبان، و قال: عن العيزار بن جرول الحَضرميّ]، قال: لمّا خرج المختار كنّا هذا الحيّ من حَضْرموت أوّل من تسرّع إليه، فأتانا سُوَيد بن غَفَلة الجُعفيّ فقال: إنّ لكم عليّ حقًّا، و إنّ لكم جوارًا [أو إنّ لكم قرابةً]، والله لا أُحدّثكم اليوم إلّا شيئًا سمعته من المختار، أقبلت من مكّة و إنّي لأسير، إذ غمزني غامز من خلفي فإذا المختار، فقال لي: يا شيخ ما

---

١ ـ محمّد بن عيسى: توفّي سنة ٢٥٣، و كان كتابه هذا من أُصول المُقنع.

بقي في قلبك من حبّ ذلك الرّجل؟ يعني عليًّا، قلت: إنّي أشهد الله أنّي أُحبّه بسمعي و قلبي و بصري و لساني، قال: ولكن أُشهد الله إنّي أبغضه بقلبي و سمعي و بصري و لساني، قال: قلت: أبيت والله إلّا تثبيطًا عن آل محمّد و ترثيثًا في إحراق المصاحف، [أو قال: حرّاق، هو أحدهما يشكّ أبو داود].

فقال سُوَيْد: والله لا أُحدّثكم إلّا شيئًا سمعته من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، سمعته يقول: يا أيّها النّاس لا تغلوا في عُثمان، ولا تقولوا له إلّا خيرًا [أو قولوا له خيرًا] في المصاحف و إحراق المصاحف، فوالله ما فعل الّذي فعل في المصاحف إلّا عن ملأ منّا جميعًا، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنّ بعضهم يقول: إنّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع النّاس على مُصْحَف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت. قال: فقيل: أيّ النّاس أفصح و أيّ النّاس أقرأ؟ قالوا: أفصح النّاس سعيد بن العاص و أقرأهم زيد بن ثابت، فقال ليكتب أحدهما و يملي الآخر ففعلا، و جمع النّاس على مُصْحَف. قال: قال عليّ: والله لو وُلّيت لفعلت مثل الّذي فعل.

٣٧ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم النّهشليّ، قال: حدّثنا أبو داود، قال: حدّثنا شُعبة و محمّد بن أبان الجُعفيّ كلاهما عن عَلْقَمة بن مَرثَد، قال شُعبة عمّن سمع سُوَيد بن غَفَلة يقول: سمعت عليًّا يقول: رحم الله عُثمان لو وُلّيته لفعلت ما فعل في المصاحف.

و قال محمّد بن أبان: أخبرني عَلْقَمة بن مَرثَد، قال: سمعت العيزار بن حُرَيْث الحَضْرميّ يقول: لمّا خرج المختار، فذكر نحوه ولم يذكر قراءته، و قال: قلت: يكتب سعيد و يملي زيد، قال: وكتب مصاحف بعث بها في الأمصار، وساقه.

٣٨ ـ حدّثنا أبو الرّبيع، قال: أخبرنا ابن وَهْب، أخبرني عمرو بن الحارث: أنّ بكيرًا حدّثه أنّ ناسًا كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها قال: فإنّي أكفر بهذه، ففشا ذلك في النّاس و اختلفوا في القرآن، فكلّم عُثمان بن عفّان في ذلك، فأمر بجمع المصاحف

و أحرقها، ثمّ بثّها في الأجناد، يعني الّتي كتب.

٣٩ ـ حدّثنا أبو الرّبيع، قال: أخبرنا ابن وَهْب، قال: أخبرني يونس عن ابن شِهاب، قال: بلغنا أنّه كان أُنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليَمامة الّذين كانوا قد وعوه، فلم يعلم بعدهم ولم يكتب، فلمّا جمع أبو بكر و عمر و عُثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم، وذلك فيما بلغنا، حملهم على أن يتّبعوا القرآن فجمعوه في الصُّحُف في خلافة أبي بكر خشية أن يقتل رجال من المسلمين في المَواطِن معهم كثير من القرآن، فيذهبوا بما معهم من القرآن ولا يوجد عند أحد بعدهم، فوفّق الله عُثمان فنسخ تلك الصُّحُف في المصاحف، فبعث بها إلى الأمصار و بثّها في المسلمين.

٤٠ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبو رجاء، قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سَعد قال: قام عُثمان فخطب النّاس، فقال: أيّها النّاس عهدكم بنبيّكم منذ ثلاث عشرة و أنتم تمترون في القرآن و تقولون: قراءة أُبيّ وقراءة عبد الله، يقول الرّجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كلّ رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لمّا جاء به، وكان الرّجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتّى جمع من ذلك كثرة، ثمّ دخل عُثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم: لسمعت رسول الله ﷺ و هو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلمّا فرغ من ذلك عُثمان قال: من أكتب النّاس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأيّ النّاس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عُثمان: فليُملِ سعيد وليكتب زيد. فكتب زيد وكتب مصاحف ففرّقها في النّاس، فسمعت بعض أصحاب محمّد يقول: قد أحسن.

٤١ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، قال: حدّثنا يحيى ـ يعني ابن يعلى بن الحارث ـ قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا غيلان عن أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سعد، قال: سمع عُثمان قراءة أُبيّ و عبد الله و مُعَاذ، فخطب النّاس ثمّ قال: إنّما قبض نبيّكم منذ خمس عشرة سنة وقد اختلفتم في القرآن، عزمتُ على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لمّا أتاني به، فجعل الرّجل يأتيه باللّوح والكِتف

والعُسُب فيه الكتاب، فمن أتاه بشيء قال: أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ ثـمّ قـال: أيّ النّاس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، ثمّ قال: أيّ النّاس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت، قال: فليكتب زيد وليُملِ سعيد، قال: وكتب مصاحف فقسّمها في الأمصار، فما رأيت أحـدًا عاب ذلك عليه.

٤٢ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا العبّاس بن الوليد بن مزيد، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز: أنّ عربيّة القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاص بن أُميّة، لأنّه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، قال سعيد: و قتل العاص مشركًا يوم بدر، و مات سعيد بن العاص قبل بدر مشركًا.

٤٣ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن عَوْف، قال: حدّثنا أبو اليَمان، قال: أخبرنا شُعَيب عن الزُّهريّ، أخبرني سالم بن عبد الله: أنّ مروان كان يرسل إلى حَفْصَة يسألهـا الصُّحُف الّتي كتب منها القرآن، فتأبى حَفْصَة أن تعطيه إيّاها، قال سـالم: فـلمّا تـوفّيت حَفْصَة و رجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر: ليرسلنّ إليه بـتلك الصُّحُف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشقّقت، فقال مروان: إنّما فعلتُ هذا لأنّ ما فيها قد كتب وحفظ بالمُصْحَف، فخشيت إن طال بالنّاس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصُّحُف مُرتاب، أو يقول: إنّه قد كان شيءٌ منها لم يكتب ... [إلى أن قال:].

٤٤ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، قال: حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا هِشام بن حَسَّان عن محمّد بن سيرين عن كثير بن أفْلح، قال: لمّا أراد عُثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قُريش و الأنصار، فيهم أُبيّ بن كعب و زيد ابن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرَّبْعَة الّتي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عُثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيءٍ أخّروه، قال محمّد: فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخّرونه؟ قال: لا، قال محمّد: فظننت ظنًّا أنّما كانوا يؤخّرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعَرْضَة الآخرة، فيكتبونها على قوله.

٤٥ ـ حدّثنا عبد الله، قال حدّثنا يونس بن حبيب، قال: حدّثنا أبو داود، قال: حدّثنا

سعيد بن عبد الرّحمان عن محمّد بن سيرين، قال: جمع عُثمان للمُصْحَف اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، منهم أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت.

٤٦ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا أحمد بن سِنان، قال: حدّثنا عبد الرّحمان عن سعيد ابن عبد الرّحمان عن محمّد بن سيرين: أنّ عُثمان بن عَفّان جمع اثني عشر رجلاً من قُريش والأنصار، فيهم أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و سعيد بن العاص.

٤٧ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا يحيى بن حكيم المقوّم و عبد الله بن محمّد الزُّهْريّ و يونس بن حبيب و إسحاق بن إبراهيم بن زيد، قالوا: حدّثنا أبو داود عن عمران القطّان عن زياد بن أبي المليح عن أبيه، قال: قال عُثمان بن عَفّان: يُملي هُذيل و يكتب ثقيف، قال بعضهم في حديثه: حين أراد أن يكتب المُصْحَف.

باب أخبار آيات متفرّقة في المُصْحَف

خبر قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ في المُصْحَف

٤٨ ـ أخبرنا القاضي أبو الفضل الأُرمَويّ قراءة عليه وأنا أسمع، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن أحمد بن المُسلِمة المعدّل، قال: أخبرنا أبو عمرو عُثمان بن محمّد المعروف بابن الآدميّ، قال: حدّثنا أبو بكر عبد الله بن سُليمان بن الأشعث السِّجستانيّ الأزديّ، قال: حدّثنا سَلَمة بن شَبيب و محمّد بن يحيى، قالا: حدّثنا عبدالرَّزّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، قال: لمّا كتبتُ[١] المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ـ إلى ـ تَبْدِيلًا﴾[٢] وكان خُزيمة يُدعى ذا الشّهادتين، أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رَجُلين، قال الزُّهْريّ: و قُتل مع عليّ عليه السلام يوم صِفّين.

٤٩ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمّد بن خلف العسْقلانيّ و محمّد بن عَوف الحِمْصيّ،

---

١ ـ وفي بعض النُّسَخ «كتبناه».

٢ ـ الأحزاب /٢٣.

قالا: حدّثنا أبو اليَمان، حدّثنا شُعيب عن الزُّهريّ قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت، قال: لمّا نسخنا المُصْحَف من المصاحف فقدت آية... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤].

خبر قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ في المُصْحَف

٥٠ ـ حدّثنا عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا هارون بن معروف، حدّثنا محمّد بن سَلَمة، قال: أخبرنا ابن إسحاق عن يحيى بن عَبَّاد عن أبيه عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، قال: أتى الحارث بن خُزَيمة ـ بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ـ إلى قوله ـ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1] إلى عمر، فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري والله، إلّا أنّي سمعتها من رسول الله ﷺ و وعيتها و حفظتها، فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ، ثمّ قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سُورة على حدة، فانظروا سُورة من القرآن فألحقوهما فيها، فألحقتها في آخر براءة... [ثمّ ذكر رواية أُبيّ نقلاً عن أبي العالية و رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب نقلاً عن عُمر بن علْقَمَة، كما تقدّم نحوه آنفًا الرّقم ٧ و ١١].

خبر قِران سورة الأنفال بسورة التّوبة

٥١ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمّد بن بَشّار، حدّثنا يحيى بن سَعيد و محمّد بن جعفر وابن أبي عَدِيّ و سَهْل بن يوسف، قالوا: حدّثنا عَوْف بن أبي جميلة، قال: حدّثني يزيد الفارسيّ، قال: حدّثني ابن عبّاس ﷺ قال: قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال و هي من المثاني و إلى براءة و هي من المئين، فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و وضعتموهما في السّبع الطّوال، ماحملكم على ذلك؟ فقال عُثمان: كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزّمان وهو ينزل عليه السُّوَر ذوات العدد، فكان

---

١ ـ التّوبة /١٢٨ ـ ١٢٩.

إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أُنزل عليه الآية يقول: ضعوا هذه الآية في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أُنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها فظننت أنّها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتهما في السَّبع الطُّوال... [ثمّ ذكر اختلاف ألحان العرب في المصاحف، وإن شئت فراجع].

ما كتب عُثمان رضي الله عنه من المصاحف

٥٢ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا عليّ بن محمّد الثَّقفيّ، حدّثنا المنجاب بن الحارث، قال: حدّثني قميصة بن عُقبة، قال: سمعت حَمزة الزّيّات يقول: كتب عُثمان أربعة مصاحف، فبعث بمُصحَف منه إلى الكوفة، فوضع عند رجل من مُراد، فبقي حتّى كتبت مُصْحَفي عليه، وحمزة القائل: كتبت مُصْحَفي عليه.

٥٣ ـ حدّثنا عبد الله، قال سمعتُ أبا حاتم السِّجستانيّ قال: لمّا كتب عُثمان المصاحف حين جمع القرآن، كتب سبعة مَصاحف، فبعث واحدًا إلى مكّة، وآخر إلى الشّام، وآخر إلى اليَمن، وآخر إلى البَحْرين، وآخر إلى البَصْرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا.

٥٤ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا زياد بن يحيى أبو الخطّاب الحَسّانيّ، حدّثنا كثير ـ يعني ابن هِشام ـ حدّثنا جعفر، حدّثنا عبد الأعلى بن الحَكَمُ الكلابيّ، أتيت دار أبي موسى الأشعريّ فإذا حُذَيفة بن اليَمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعريّ فوق إجّار[1] لهم، فقلت: هؤلاء والله الّذين أُريد، فأخذت أرتقي إليهم، فإذا غلام على الدّرجة فمنعني فنازعته، فالتفَت إليّ بعضهم قال: خلِّ عن الرّجل، فأتيتهم حتّى جلست إليهم، فإذا عندهم مُصْحَف أرسل به عُثمان وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه، فقال أبو موسى: ما وجدتم

١ ـ الإجّار والإجّارة السّطح، سطح عليه سُترة ـ لسان العرب ٤:١١(م).

في مُصْحَفي هذا من زيادة فلا تنقصوها، و ما وجدتم من نقصان فاكتبوه، فقال حُذَيفة: كيف بما صنعنا؟ والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشّيخ ـ يعني ابن مسعود ـ ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الشّيخ ـ يعني أبا موسى الأشعريّ ـ وكان حُذَيْفة هو الّذي أشار على عُثمان ﷺ بجمع المصاحف على مُصْحَف واحد، ثمّ إنّ الصّلاة حضرت فقالوا لأبي موسى: تقدّم فإنّا في دارك، فقال: لا أتقدّم بين يدي ابن مسعود، فتنازعوا ساعة، وكان ابن مسعود بين حُذَيْفة و أبي موسى، فدفعاه حتّى تقدّم فصلّى بهم.

٥٥ ـ حدّثنا عبد الله، حدّثنا زياد بن أيّوب، حدّثنا جرير عن مغيرة[١] عن إبراهيم[٢]، قال: قال رجل من أهل الشّام: مُصْحَفنا و مُصْحَف أهل البَصْرة أحفظ من مُصْحَف أهل الكوفة، قال: قلت: لِمَ؟ قال: إنّ عُثمان ﷺ لمّا كتب المَصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبد الله، فبعث به إليهم قبل أن يعرض، و عرض مُصْحَفنا و مُصْحَف أهل البَصْرة قبل أن يبعث به، قال جَرير: وكان في قراءة عبد الله :«اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَالَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ»[٣]. (١١ - ٤٤)

---

١ ـ مغيرة: لعلّ الصّواب المغيرة (م).

٢ ـ ذكر ابن حَجَر «إبراهيم النّخعيّ» كما سيأتي في موضعه (م).

٣ ـ المائدة /٥٥، على القراءة غير المشهورة.

الفصل التّاسع

نصّ ابن النّديم (م: ٣٧٨) في كتابه: «الفهرست»

[جمع القرآن و ترتيب سُوَره]

قال محمّد بن إسحاق: حدّثنا أبو الحسن محمّد بن يوسف النّاقط، قال: حدّثني يحيى ابن محمّد أبو القاسم، قال: حدّثنا سُليمان بن داود الهاشميّ، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهْريّ عن عُبَيْد بن السّلف: أنّ زيد بن ثابت حدّثه، قال: أُرسلتُ إلى أبي بكر فأتيته، فإذا عمر بن الخطّاب عنده، فقال... **[و ذكر كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١، ثمّ قال:]**

قال محمّد بن إسحاق: روى الثّقة أنّ حُذَيفة بن اليمان قدم على عُثمان بن عـفّان و كان بالعراق... **[و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم٤، ثمّ ذكر ترتيب سُوَر القرآن عن مُصْحَف عبد الله بن مسعود و مُصْحَف أُبيّ بن كعب، راجع الجزء الثّاني في قسم الجداول]**.

الجُمّاع للقرآن على عهد النّبيّ ﷺ

عليّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، سعد بن عُبَيْد بن النُّعمان بن عمروبن زيد رضي الله عنه [١] أبو الدّرداء عُوَيمر بن زيد رضي الله عنه [٢] مُعاذبن جَبَل بن أوس رضي الله عنه [٣] أبو زيد ثابت بـن زيـد بـن

---

١ ـ سعد بن عبيد بن النُّعمان بن قيس بن عمرو بن زيد الأنصاريّ الأوسيّ: أحد من جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ قتل يوم القادسيّة سنة ١٥ و هو ابن ٦٤ سنة.

٢ ـ أبو الدّرداء عويمر بن زيد: كان يقال له: حكيم هذه الأُمّة، تلقّى القرآن عن النّبيّ ﷺ و حفظه، توفّي سنة ٣٢هـ.

٣ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ يأتي مُعاذ أمام العلماء بربوة إذا حضروا ربّهم، استشهد في الطّاعون بالنّور سنة ١٨، وله ٣٥ سنة تقريبًا.

النُّعمان[١]، أُبيّ بن كعب بن قَيْس بن مالك بن امرئ القَيْس[٢]، عُبَيْد بن مُعاوية[٣]، زيد بن ثابت ابن الضَّحّاك.[٤]

ترتيب سُوَرالقرآن في مُصْحَف أميرالمؤمنين عليّ (كرّم الله وجهه)

قال ابن المنادي: حدّثني الحسن بن العبّاس، قال: أخبرت عن عبدالرّحمان بن أبي حَمّاد عن الحَكَم بن ظَهير السَّدُوسيّ عن عبد خَيْر عن عليّ عليه السلام: أنّه رأى من النّاس طيرة عند وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأقسم أنّه لايضع عن ظهره رداءه حتّى يجمع، فجلس في بيته ثلاث أيّام حتّى جمع القرآن، فهو أوّل مُصْحَف جُمِع فيه القرآن من قلبه، وكان المُصْحَف عند أهل جعفر. و رأيت أنا في زماننا عند أبي يَعْلىٰ حَمْزة الحَسَنيّ رحمه الله مُصْحَفًا قد سقط منه أوراق بخطّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، يتوارثه بنوالحسن على مرّالزّمان، و هذا ترتيب السُّوَر من ذلك المُصْحَف...[٥] (٣٦ـ٤٢)

---

١ ـ أبو زيد ثابت بن زيد الأنصاريّ، قال عزّ الدّين أبو الحسن الجزريّ في أُسد الغابة: قال عبّاس، هو الدّوريّ: سمعت يحيى بن معين، وسئل عن أبي زيد الّذي يقال: إنّه جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من هو؟ قال: ثابت بن زيد، قال أبو عمر: ولا أعلم غيره. و قيل: الجامع للقرآن هو أبو زيد سعد بن عُبَيد بن النُّعمان. والرّاجح هو الأوّل لموافقة قول صاحب الفهرست: الثّقة له.

٢ ـ أُبيّ بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاريّ الخزرجيّ أقرأ الصّحابة بعد عليّ عليه السلام وسيّد القُرّاء، قرأ القرآن على النّبيّ صلى الله عليه وآله وجمع بين العلم والعمل. توفّي بالمدينة سنة ٢١هـ.

٣ ـ عُبَيد بن معاوية، وقيل: عُبَيد بن مُعاذ، وقيل: عتيك بن مُعاذ الجزريّ كما في أُسد الغابة...

٤ ـ زيد بن ثابت بن الضَّحّاك بن زيد بن لوزان، كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله، و حفظ القرآن و أتقنه و أحكم الفرائض و تعلّم بأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله السُّريانيّة. توفّي على رواية الواقديّ عن رجاله و رواية يحيى بن بُكَير سنة خمس و أربعين، وقيل: توفّي سنة أربع و خمسين، وقيل: خمس و خمسين ـ تذكرة الحُفّاظ للذّهبيّ.

خرّج الطّبرانيّ و البَيْهقيّ والحاكم، قال الشّعبيّ: «صلّى زيد بن ثابت على جنازة، فقرّبت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عبّاس فأخذ بركابه. فقال زيد: خلِّ عنه يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابن عبّاس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبّل زيد بن ثابت يده، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. والمراد بالكبراء ذو الأسنان والشّيوخ ـ كتاب الإبداع، ص ٩٩».

٥ ـ ولم يذكر ترتيب سُوَره إمّا لسقطها أو لنسيانها أو لتصرّف النُّسّاخ فيها.(م)

الفصل العاشر

نصّ الباقِلّانيّ (م:٤٠٣) في «الانتصار لنقل القرآن»

القول في جمع أبي بكر المُصْحَف و في أيّ شيءٍ كتبه

قال قوم: لم يجمعه بين اللّوحين، و إنّما جمعه في أوراقٍ و صُحُف، و أنّ عُثمان أوّل من جمعه بين اللَّوحين. وقال قومٌ: أوّل من جمعه بين اللّوحين سالم مولى أبي حُذَيْفة. وقال قومٌ: أوّل من جمعه بين اللّوحين عليّ عليه السلام. وقال قومٌ: أوّل من جمعه بين اللّوحين أبو بكر رضي الله عنه. وهذا الّذي نختاره لاشتهاره وظهور الأخبارِ به. و رُوي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: رحم الله أبا بكر ما قام المُصْحَف، و أنّه كان يخرِّق المصاحف المُخالفة لمُصْحَفه، و أنه كان لأُبيّ مُصْحَف.

و قد ثبت من قولنا و قول المخالف أنّ وصف القرآن بأنّه بين لوحين، ظاهِره يُفهَم منه ما يفهم منه اليوم أنّه بين لوحين لاغير ذلك. فإن قالوا: تتأوّل هذه الرّوايات على خلاف ظاهرها، لأجل ما روى الجماعة من أنّ أبابكر جمع القرآن في صُحُف كانت عنده، ثمّ كانت عندهم بعده، ثمّ صارت إلى حَفْصَة، و أنّ عُثمان انتسخ من تلك الصُّحُف قبل هذه الرّواية، على أنّه ثبت في أجزاء و أعشار، و إلى ذلك أدّاه اجتهاده. و أدّى عُثمان اجتهاده إلى جمعه في جزء واحد جامع، و يمكن أن يكون كان كتبه للنّاس في صُحُف و أعشار ليكتبوا منها، وكتبه لنفسه في جامع. و يحتمل أن يكون جمع الصُّحُف من عند النّاس، وكتب منها جامِعَه ثمّ تركها عند حَفْصَة احتفاظًا بها، إذهي الأصل، و قد عرفت الجماعة صحّتها، و اعتمد عُثمان عليها. و قد تظاهرت الأخبار أنّ أبابكر و عمر (رضي الله عنهما)

جمعا المُصْحَف ، و أنّ عمر جعله أثمانًا . وكان عمرﷺ إذا رأى مُصْحَفًا عظيمًا سرَّه، و أنّه رأى مع رجل مُصْحَفًا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك، و ضربه و قال: عظِّمُوا كتاب الله، و أنّه رأى مُصْحَفًا قد حُلِّي فقال: ما حُلِّي بمثل حلاوته . و أنّ أبابكر استشار في اسمه فسمّاه مُصْحَفًا .

و رُوي في حديثٍ طويل: أنّ الحارث بكى على مُعَاذ، فلمّا أفاق مُعَاذٌ، قال: أعوذ بالله أن تبكي عليّ، فقال: أبكي على ما فَنِيَ بـه العـصران الغُـدُوّ والرَّواح . قـال مُـعاذ: أجلِسْني، فأجلَستُه في حِجري، فقال: اسمع منّي، فإنّي أُوصيك بوصيّة، إنَّ العلْم لمن أراد بين لَوحي المُصْحَف، فإن أعيى عليك تفسيره فاطْلُبه عند ثلاث بعدي: عند عُوَيمر بن الدَّرداء أو سلمان الفارسيّ، أو ابن أُمّ عبد، و احْذَر زلّة العَالِم، وجدل المُنافق، و أُحذِّرُك طلبة القرآن .

و هذا تصريحٌ منه أنّ القرآن بين لوحين، و هو و أبو عُبَيدة و غيرهم معلومٌ أنّهم تُوفّوا سنة عشرة من الهجرة في زمن عمر في طاعون عمواس.[1] و يمكن أن يكون من روى أنّه جمعه ممّن قدّمنا ذكره إنّما جَمَعه ليقرأ به في خاصّة نفسه، و أبو بكرﷺ جَمَعَه للنّاس ظاهر مشهور . و يمكن أن يكون جَمَعَه من جَمَعَه بعد جَمع أبي بكر له .

ذكر الدّليل على أنّ ما فعله أبو بكر من ذلك صواب

يدلّ على صَواب رأيه في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولىٰ﴾[2] فإنّ رسول اللهﷺكان يتلوه من صُحُفٍ كان أمرنا بإثباته فيها . و قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[3] لجمع أبي بكر له بين لوحين، لم يخف الله ولا رسُوله، لأنّه لم يجمع ما لم يَكُن مجموعًا، لأنّ رسول اللهﷺ هوالّذي ابتدأ بجمعه، و أمر بكَتْبه،

---

١ ـ عَمْواس أوعِمّاوُس: قرية بالقرب من القُدس، اشتهرت بظهور المسيح فيها لاثنين من تلاميذه. حدث فيها طاعون أباد نحو ٢٥ ألفًا منهم: أبو عُبَيْدة بن الجرّاح و يزيد بن أبي سفيان. المنجد ٢:٤٧٩(م).

٢ ـ الأعلى /١٨.

٣ ـ البيّنة /٢ ـ ٣.

لكنّه كان في الجُلود والعُسُب والحِجارة، ولم يزد أبو بكرﷺ على أن جمعه بين لوحين، و حَفِظ ما أخبر الله تعالى أنّه يَحفظه من زيغ المُلْحدين، و قد قدّمنا ما روي من قتل أهل اليَمامة، و أنّ أبابكر خاف قِلّة نَقَلَته.

والأخبار كثيرة عن النّبيّﷺ بالأمر بكَتْبه والتّرغيب فيه، منها أنّه قال: «لا تَكتبوا عنّي شيئًا غير القرآن، فمن كتب عَنّي شيئًا غيرالقرآن فليمْحَهُ»، و يذكر أنّ هذا هو الّذي أخرج عبد الله بن عمر إلى الحذر من كتب شيء من حديثهﷺ إلّا بعد مشورة، وأنّه استأذن في كَتْب ما سمع من حديثه، فأذن له، و إنّما أذن له بعد النّهي لعلمه أنّ حُفّاظ القرآن كثروا. وقيل لأبي سَعيد الخُدريّ: نكتب ما نسمع منك؟ فقال: تريدون أن تجعلوها مصاحف؟ احفظوا كما نحفظ. ولو سُئل عن كتب القرآن لم يقل من هذا... [إلى أن قال:]

وقد ثبت أنّ النّبيّﷺ نهى أن نسافر بالقرآن إلى أرض العدوّ، وذلك لا يكون إلّا بحمل صحيفة هو فيها أو ما يقوم مقامها، لأنّه لم ينه عن حفظه. وكتب إلى يَعْمَربن حَزْم أن لا يمسّ القرآن إلّا طاهرٌ؛ و تظاهرت الأخبار أنّ سبب إسلام عمر سماعه لأُخته تقرأ في المُصْحَف سورة طه.

فكلّ هذه الأخبار تدلّ على أنّهﷺ شرع كَتْب القرآن وسنّه ولو لم يكن أن يكتبوه إلّا في الجُلود والعُسُب والحِجارة لئلّا يخالفوا ما أمرﷺ يكتبه فيه لكان عليهم ألّا يكتبوه إلّا في تلك الجلود بعينها، ولوساغ ذلك لساغ أن يترك ذلك حتّى يندرس و يضيع. ولو ساغ ذلك أيضًا لساغ أن لا يحفظ أحد منهم القرآن إلّا ما حَفَظَه على عهدهﷺ و أن لا يُتلى إلّا في الأوقات الّتي كان يُتلى فيها...

جمع عُثمان المُصْحَف والوجه في ذلك

إن قال قائلٌ: أخبرونا عن مُصْحَف عُثمان أهو موافقٌ بمُصْحَف أبي بكر أو مخالفٌ له؟ فإن كان موافقًا له فما وجه عمله له؟ و إن كان مخالفًا له كان أحدهما مُخطِئًا. قيل له: الّذي دعا عُثمانﷺ إلى عمل المُصْحَف ما حدث من اختلاف النّاس في القرآن وإظهار بعضهم

إكفار بعض، وكتب النّاس بذلك من الأمصار إليه، وقدم حُذَيفة من غزوة أرمينيّة فقال لعُثمان: أدرك هذه الأُمّة... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]

قال ابن شِهاب: فأخبرني عبد الله بن عُبَيدالله بن عُيَيْنَة عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: يامعشر المسلمين... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٣٢، ثمّ قال:]

و بعث عُثمان مُصْحَفًا إلى الكوفة، و مُصْحَفًا إلى البَصْرة، و مُصْحَفًا إلى اليمن، و مُصْحَفًا إلى البَحرين، و أبقي مُصْحَفًا عنده ليجتمع النّاس على قراءة مايعلم و يتيقّن، و ألغوا ما سوى ذلك من الآي المنسوخ رسمُها والقنوت و ما ذكرناه سالفًا. و جاءت رواية أُخرى: أنّ عُثمان قال لحُذَيفة في حديث طويل: إنّي جاعلٌ معك رجلاً لتُثْبتَا.

وليست هذه الرّواية ناقضة لما تقدّم، ولأنّه يكون جعل معه نفرًا من قُريش، و ضمّ إليهم رجل آخر هذه صفته، وقد جاء الاختلاف في الّذي دعا عُثمان إلى جمع المُصْحَف ما يطول بتقصّيه الكتاب، ولم يستبدّ برأيه في ذلك، بل شاور فيه الملأ العظيم والجُلّة من أصحابه، فاتّفقوا على تصويب فعله.

والرّوايات عن عليّ عليه السلام في تصويبه لفعل عُثمان و قوله: لووُلّيت ما وُلّي عُثمان لفعَلْتُ مثل ما فعل، و قوله: يا أيّها النّاس، اللهالله، إيّاكم والغلوّ في عُثمان أنّه أحرق المصاحف، ما حرّقها إلّا عن ملأ منّا أصحابَ محمّد صلى الله عليه وآله بعد أن جمعنا. والحديث يطول، ولم يزل عليه السلام يقرأ مُصْحَف عُثمان عليه السلام و يتّخذه إمامًا و يحكمه. فإن قالوا: قول عليّ عليه السلام الله الله إيّاكم و الغلوّ في عُثمان، يدلّ على أنّه كان هناك خلق يخالفون عُثمان و ينكرون فعله. [إلى أن قال:]

وقيل لأبي سعيد الخُدريّ: نكتب ما نسمع منك؟ فقال: تُريدون أن تجعلوها مصاحف؟. احفظوا كما كنّا نحفظ، ولو سئل عن كَتْب القرآن لم يقل مثل هذا، ولو سبق عليّ عليه السلام إلى جمعه لجعلت الشّيعة ذلك أعظم فضائله، ولقالوا: إنّه من أفكار أهل البيت، واستخراج المعصوم، ولكان التّعظيم له عليه السلام بذلك واقعًا موقعه، وهو موضع لأكثر وقوعه، ولكنّه لمّا وقع لأبي بكر بحثوه ولم يحصوه منه ولا له، وذلك منهم غير ضارّ له ولا قادح

فيه [إلى أن قال:]

قيل: لا يجب ما قلتم، لأنّ الإجماع حصل بما قلناه، و هذا النّهي من عليّ ﵁ يحتمل وجوهًا؛ منها: أن يكون خاف من ظانّ يظُنُّ بعُثمان شيئًا فيغلو في عُثمان، فبادر بالنّهي، و منها: أن يكون علم أنّ قومًا قالوا ذلك في أوّل مطالبة عُثمان النّاس بالمصاحف قبل أن يُطابقوه و يرجعوا إليه، فقال ما قاله خوفًا أن يقتدى بهم مقتد، فحسم المشادَّة في ذلك. و يحتمل أن يكون بلغه عمّن كان يلمز عُثمان، فأنكر عليه و تقدّم بالنّهي زجرًا له، ولم يتمكّن من أكثر من القبول إذ ذاك، كما لم يتمكّن (من) قتل قتلة عُثمان لاختلاف من النّاس عليه. و قد كان عليّ﵁ يتبرّأ و يكذِّب من ادّعى عليه أنّ عنده عن رسول الله ﷺ ما ليس عند الأُمّة سوى ما أخبر به، وكان يترحّم على أبي بكر﵁ لجمعه القرآن. [ثمّ ذكر قول الرّافضة وطعن فيهم؛ بما لا واقع له].

قصّة عبد الله بن مسعود وما كان منه في ذلك

فإن قالوا: كيف تدَّعُون الإجماع على مُصْحَف عُثمان﵁ وابن مسعود على جلالته و تقدّمه يخالفه؟

يقال لهم: القائلون بفضل ابن مسعود يُكذّبون جميع ما رُوي عنه في هذا الباب، فأمّا الرّافضة فإنّها تلعنه و تبرأ منه لأُمور، أحدها: أنّه من شيعةِ أبي بكر وعمر، و لأنّهم معتقدون أنّه كان خَطّابِيًّا؛ يعتقد بتفضيل عمر وعُثمان، و يكثر التّوجُّع والتّحزُّن على عمر، فكيف يحتجّون به مع هذا الاعتقاد فيه؟ و نحن أولى به منهم، لأنّه عندنا ممّن يعتقد بخلافه ولا ينعقد إجماعٌ هو مُخالفٌ. وهو عندنا قائلٌ بتصويب عُثمان، و إن كان قد امتنع عن تسليم مُصْحَفه، وكره تولية زيد و عَزْلَه هو عنه.

و قد روى ثَعلبة بن مالك قال: قال عُثمان: من يَعذِرني من ابن مسعود؟ يدعو النّاس إلى الخلاف و الشّبهة والتّعصّب عليّ، إذ لم أُوَلِّه نسخ القرآن، فهلّا عَتَبَ على أبي بكر وعمر؟ هما عزلاه عن نسخ القرآن، و ولّياه زيد بن ثابت، و اتّبعتُ أثرهما فما بقي من أصحاب النّبيّ ﷺ إلّا من حَسَّن قول عُثمان﵁ مع ابن مسعود.

و رُوي أنّ حُذَيفة قال لابن مسعود: ادفع إليهم هذا المُصْحَف ، قال: والله لا أدفعه إليهم، أقرأني رسول الله ﷺ بضعًا و سبعين سورة ثمّ أدفعه إليهم، و الله لا أفعل. وليس في هذه الرّواية أكثر من الامتناع من دفع المُصْحَف ، فأمّا ما رُوي من تركه القراءة بحرف زيد فكثير جدًّا. ورُوي أنّه قام خطيبًا فقال: على قراءة من تأمُروني أقرأ على قراءة زيد بن ثابت؟ فوالله الّذي لا إله إلّا هو لقد أخذْتُ من رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورةً و زيدبن ثابت له ذُؤابتان يلعب مع الصِّبيان. وفي رواية أُخرى: و إنّ زيد بن ثابت لغلام في الكُتّاب.

ورُوي أنّه قال: والله ما نزلت في القرآن آية إلّا أعلم بها و أعلم فيم نزلت، ثمّ قال: والله الّذي لا إله إلّا هو لو أعلم أحدًا أعلم منّي بكتاب الله لأتيتُه.

و أمّا كراهته لتولية زيد و عزله فقد ذكرنا منه طرفًا، وليست شهادة عبد الله لحرفه، و أنّه أخذه مِن فم رسول الله ﷺ طعنًا على حرف غيره، ولكنّه عنده حجّة في أنّه لا يجب عليه تركه و تحريق مُصْحَفٍ هو فيه.

وقوله: لو أعلم أحدًا أعلم بكتابِ الله منّي ... الحديث، ليس قطعًا على أنّه لا يجوز أن يكون فيهم من هو أعلم منه بكتاب الله، لأنّ هذا الاعتقاد هو غير معصوم فيه. و قد وردت الرّوايات أنّ عُثمان وَعَظه وَحذَّره الفُرقة، فرجع واستجاب إلى الجماعة وحثّ أصحابه على ذلك، فُروي عنه في حديث طويل أنّه قال: فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، و من قرأ عليّ شيئًا من هذه الحروف فلا يَدَعَنَّه رغبةً عنه، فإنّه من جحد بحرف منه فقد جحده كلّهُ... [ثمّ طعن على الشّيعة بما لا داعي لذكره].

الكلام على جواز اختيار عُثمان زيد بن ثابت دون ابن مسعود

قالوا: كيف استجاز عُثمان رضي الله عنه تقديم زيد بن ثابت على ابن مسعود؟ مع ما رأيتموه من مدح النّبيّ ﷺ و قوله فيه: رضيتُ لأُمّتي ما رضِي ابن أُمّ عبد، وكرهت لها ما كرهه لها، و إنّ أوّل من جهر بقراءة القرآن بمكّة، ولقي في الله تعالى بها جهدًا جهيدًا، و شهد بَدْرًا و جميع مغازي النّبيّ ﷺ، و بيعة الرّضوان و هو احتزّ رأس أبي جهل بن هِشام، ولمّا نظر

المسلمون إلى ساقَيه ورِقّتهما قال النّبيّ ﷺ لهما أثقل في الميزان من جبل أُحد. وقال: لو كنتُ مستَخْلفًا أحدًا من أُمّتي لاستخلفتُ ابن أُمّ عبد. وكان مع النّبيّ ﷺ ليلة الجنّ. و قال فيه عمر بن الخطّاب إنّه أقرأ قُرّاء الله، إنّا كنّا نُحْجَب ويُؤذَنُ له، و إنّا كُـنّا لنغيب و يحضر، وكان صاحب سرِّ النّبيّ ﷺ و مَسَح رأسه وقال: إنّك عليم معلَّم. إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، و زيد بن ثابت حديث السّنّ لا تبلغ رتبته إلى رتبة عبد الله.

يقال لهم: جميع ما ذكرتموه من فضائله عندنا صحيح، و هو فوق ما ذكرتم. وليس في المُصوّبين لعُثمان في من نصب دونه(أو) من جحد شيئًا من فضائله أو قطع بتفضيل زيد عليه، غير أنّ ذلك لا يوجب عِصمَتَهُ ولا نَفيَ التّقْصير عنه والخطأ في بعض الأُمور، والعدول إلى ما غيره أولى منه. وكلٌّ عندنا مأخوذٌ من قوله و متروك إلّا النّـبيّ ﷺ مـع اجتهادِ سائرِهم و تقدُّمهم. وقد ثبت أنّ عُثمان ﷺ أفضل من ابن مسعود، و أعرف بتدبير الأُمّة، و أنّ جهاده و إنفاقه أعظم موقعًا من جهاد عبد الله، وقول الرّسول ﷺ فيه أكثر. و إذا كان ذلك كذلك، وكان عُثمان يوم نَصَب زيدًا لكتب المُصْحَف إمام الأُمّة المفترض الطّاعة، وكان غير متّهم، وكان زيدُ بن ثابت أيضًا بالمحلّ الشّريف في حفظ القـرآن و أحكـام الدّين و حُسن الخطّ والضّبط، وكان مع ذلكمن خَواصّ كتبة النّبيّ ﷺ في القرآن و غيره، و ممّن أطبق أبو بكر وعمر والجماعة على فضله، على حداثة سنِّه و تقدُّمه على خلق كثير من الأكابر، جاز لذلك اختيارُ عُثمان له، و لم يُنقم على النّبيّ ﷺ ولا على أبي بكر و عمر تقديمه واستكتابه مع وجود غيره. و يجوز أن يكون اختياره لاستجابته له و مُسارعته إلى تصويب ما فعله مع انحراف عبد الله بن مسعود و قوله ما قال.

فإن قالوا: فلعلّه لو نصبه لكَتْب المُصْحَف لزالت منافرته. قيل: أوّل ما في هذا نسبة عبد الله إلى ضعف الدّين و حُبِّ الرّياسة، لأنّه إذا علم أنّ ما دعا إليه عُثمان من الاجتماع على الأحرف الّتي رسمها هو الصّلاح و تركه طلبًا للرّياسة فقد أعطى الدّنيّة في ديـنه، و صار من أبناء الدّنيا، و عبد الله عندنا وعند كلّ من يعرف صفاته يَجلّ عن هذا. و يجوز أن يعتقد أنّه إن قدّم زيدًا إلى كَتْب المُصْحَف ثمّ قدّم عبد الله و أشاد بذكره، و أظـهر إلى

النّاس أنّه أفقرُ إليه اشتدّ عزله عليه، فعدل عنه عُثمان لهذا. وهو غير بعيد.

ويمكن أن يَغْلِب على ظَنّ عُثمان أنّ زيدًا يرضى بأن يضَمّ إليه غيره ويكتب ما يقوله القرشيّون دون ما يقوله زيد نحو «التّابوت» وأنّ ابن مسعود لا يدخل تحت ذلك ولا يَرْجع إلى قول غيره. ثمّ يقال للمعترض بهذا: إنّك لن تقصد تفضيل ابن مسعود، وإنّما قصدت تخطئة إمام الأُمّة عُثمان ﵁ وذلك مردود لا يُلتفت إلى قائله، بل هو منه خطأٌ وضلال. ويدلّ على صحّة اختياره زيدًا أنّ أحدنا اليوم إذا أراد أن يكتُب مُصْحَفًا يتّخذه إمامًا لا يَلْتَمس له أقدم أهل عصره حفظًا وأفهمهم وأشجعهم، وإنّما يلتمس أحسنهم ضَبطًا وخطًّا، وأحضرهم فهمًا دون من كانت تلك صفاته، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون زيدٌ اجتمعت له هذه الخصال من حُسن الخطّ وصحَّة الضّبْط وغير ذلك ممّا يقتضي تقديمه لكَتْب المُصْحَف. ولو لم تكن هذه الخصال الّتي ذكرنا تزيد على خصال غيره لما قدّمه، ولو ظَنّ عُثمان بعبد الله وعلم منه مثل ذلك لترتّب عليه فرض توليته دون غيره، ولو ساغ مع ذلك لقائل أن يقول: ولم اختار زيدًا دون غيره؟ لسَاغ لآخر أن يقول: ولم اختار ابن مسعود دون غيره؟ ولم عَدَل عن أُبيّ مع ما فيه من الفضائل؟ وقول النّبيّ أقرأُكُم أُبيّ، وقراءته عليه القرآن. ولساغ لآخر أن يقول: ولم عَدَل عن مُعاذ مع وَصَف النّبيّ ﷺ له وثنائه عليه؟ وهذا باب لا طريق إليه ولا إلى سدّه. على أنّ عُثمان ﵁ لو اختار على زيد أحدًا لعوتب على ذلك وقيل له: لم تركت كاتب النّبيّ ﷺ؟ ولذكرت الأُمّة مناقبه وساقت فضائله ومن ظنّ أنّ زيدًا تقصُر رُتبته عن أُبيّ وابن مسعود ومُعاذ في علم القرآن وضبطه فقد ظنّ باطلاً، لما تقرّر له من الفضائل والتّقدّم في هذا الشّأن ممّا يطول ببعضها الكتاب، فمن ذلك ما روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: من سَرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا فليقرأه بقراءة زيد. وهذا كالّذي قاله في ابن مسعود، فهل أخّرته عند النّبيّ ﷺ حداثته في السّنّ؟ ورَوى زيدٌ عنه أنّه قال: قال لي النّبيّ ﷺ: أتُحْسن السُّريانيّة؟ قلتُ: لا، قال لي: فتعلَّمْها، فتعلّمْتُها في سبعة عشر يومًا. وعنه عن أبيه أنّه قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاني، فقال: يا رسول الله غلام بني النّجّار قد قرأ ستَّ عشرة سورة، فأمره رسول الله ﷺ أن يتعلّم كتاب

اليهود، و قال: إنّي لا آمنهم أن يُبدّلوا كتابي، فتعلّمته في بضعة عشر يومًا، ثمّ مضى رسول الله ﷺ فلحق زيد في العلم درجة الأكابر، وكان يفتي مع الصَّحابة، ورجع إلى رأيه الجماعة. **[إلى أن قال:]**

فإن قيل: فِلمَ لم يُشْرِك عُثمان معه ابن مسعود؟ قيل: لا يلزم ذلك، ولأنّه كان غائبًا بالكوفة، وهذا عذر واضحٌ في العدول عنه، على أنّه لو كان حاضرًا لكان الوجه العدول عنه لا لتقصيره، لكن لعزّة نفسه و شِدّة خلافه، ولو أشرك بينه و بين النَّفر الّذين قدّمهم لكَتْب المُصْحَف لأدّى ذلك إلى المشاقّة... **[إلى أن قال:]**

ذكر الأدلّة على صَواب عُثمان في اختياره حرف زيد دون غيره

قراءة زيد باتّفاق السّلف كانت أشهر في الخاصّة والعامّة، و هي المشهورة عن النّبيّ ﷺ، وهي قراءة المُهاجرين والأنصار. وإنّما عدل عن غيرها من القراءات لأنّها لم تكن عند عُثمان والجماعة ثابتة عن النّبيّ ﷺ، ولا مشهورة مستقيمة، ويمكن أن يقال: إنّما اختار حرف زيد لأمر علِمه، لا نعلمه نحن، لأنّهم يظهر لهم ما يخفى علينا.

والجواب الأوّل أولى، و نحن نرغب عن هذا الجواب، و إن نصرناه أحيانًا. و أوّل ما نبدأ أن نقول: ليس هاهنا حرف هو حرف زيد أو حرفُ أُبيّ أو مُعاذ، بل الحروف كلُّها الله سبحانه، نزّلها و وقّفنا عليها، و إنّما نسب بعضها إلى زيد لأمرين؛ أحدهما: أنّه وُلّي كتب تلك الحروف في الّذي لم يكتُب عُثمان دون أُبيّ و غيره. **[إلى أن قال:]**

و رُوي عن ابن مسعود أنّه قال: لو أعلم أحدًا أقرب بالعَرْضة الأخيرة مِنّي لأتيته. و روي أنّه حضر في الأخيرة، فشهد ما نُسخ منه و ما بُدّل.

فأمّا ما روي أنّ مُصْحَف عُثمان رضي الله عنه و حرف زيد بالعَرْضَة الأخيرة فكثير جدًّا، فمرّةً ورَد بلفظ القطْع، ومرّة بتغلّب الظّنّ. وهذه أخبار متعارضة كما ترى، وليس المصير إلى بعضها أولى من المصير إلى بعض.

ويمكن أن يكون النّبيّ ﷺ كرّر العرضين تكرارًا كثيرًا لمّا أشعر به نفسه من قرب أجله،

فحضر في بعض تلك العرضات عبد الله بن مسعود ولم يحْضُر زيد، وحضر زيد في بعضها ولم يحضُر عبد الله، فإنّ كلّ واحد منهما يظنّ بصاحبه أنّه لم يحْضُر. ولم يكن من النّبيّ ﷺ بيانٌ عمّن حضره، لأنّ ذلك ليس من فرائض الدّين، وقد بيّنّا أنّ الدّليل القاطع على تعيين من حضر العَرْضة الأخيرة متعذّرٌ، فوجب أن يكون الاختيار ما قلناه من أنّها اختيرت لاشتهارها حسب ما قدّمناه. ولا اعتراض لأحد علينا إذا قلنا: أنّ عُثمان ﷺ أثبت جميع الحروف، وإنّما يلزمنا الجواب لو قلنا: إنّه أسقط شيئًا من الحروف. وقال قوم: إنّ عُثمان ﷺ حظر رسم بعض القراءات المُنْزَلة ومنع من قراءة القرآن بها، وإنّما وجه نسبة حرف زيد إليه أنّه كان يواظب على القراءة به ويختاره على ما سواه ممّا أنزله الله سبحانه، وأنّ أُبَيًّا وعبد الله كانا يختاران غير اختيار عُثمان وزيد والجماعة، ويقرءان بأحرُف منزَّلة من عندالله سبحانه رغب عُثمان عن إثباتها وإطلاق القراءة بها مع كتب الإمام، وأجمعوا على ذلك.

وهذا الجواب باطلٌ، لأنّ عُثمان ﷺ كَتَب مُصْحَفه بحرف زيد الّذي تضمّن جميع الأحرف الّتي أنزلها الله تعالى، وقرأ بها مُعاذ وأُبيّ والجمع. وجميع قراءة الأُمّة بحرف زيد على هذا الجواب السّديد هو حرف جميع الأُمّة، فأمّا أن يتميّز أحدٌ ببعض الحروف قبل كَتْب مُصْحَف عُثمان فذلك جائزٌ إذا واظب على القراءة به وحثّ عليه دون غيره، فأمّا بعد كتْب مُصْحَف عُثمان فلا ينسب الحرف إلى زيد دون غيره، لأنّه قد تضمّن جميع الوجوه الّتي أنزلها الله عزّوجلّ، ولا يجوز لأحد أن يظُنّ بعثمان ﷺ أن يحظر ما أباحه الله تعالى.

وبحرق المصاحف الّتي تضمّنت قرآنًا صحيحًا مشهورًا قال شيخنا أبوالحسن[١] ﷺ: أجمع المسلمون على أنّه لا يجوز منع قراءة القرآن بحرف أنزله الله تعالى ووقف عليه رسوله ﷺ فلو حظر عُثمان ما أباحه الله تعالى لكان لا بدّ من قائل يقول له: لِمَ تمنع ما أباحه الله تعالى ممّا جرت به العادة؟ ولو قيل له ذلك لنقل نقل مثله، فلمّا لم يُنقل دلّ على بطلانه، فوجب لهذه الجملة أن تكون المواضع الّتي خالف فيها عبد الله بن مسعود لم تقم

---

١ ـ يقصد أبا الحسن الأشْعَريّ.

بها الحجّة، أو يكون الخلاف إنّما هو تقديم و تأخير في اللّفظ، ونفس القراءة متّفق عليها من عبد الله والجماعة.

فأمّا أُبيّ فقد تظاهرت الأخبار بأنّ حرفه هو حرف زيد والجماعة. روي أنّ عُثمان رضي الله عنه لمّا نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى أُبيّ بن كَعْب، فكان يُملي على زيد و زيد يكتب و معه سعيد بن العاص، فهذا المُصْحَف على قراءة أُبيّ و زيد، و ابن أبي ليلى قرأ على المِنهال، و قرأ المِنهال على ابن جُبَير، و قرأ ابن جُبَير على ابن عبّاس، وقرأ ابن عبّاس على أُبيّ وقرأ أُبيّ على النّبيّ ﷺ. وقد عُلِم أنّ قراءة ابن أبي لَيلى هي قراءة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه و قراءة عليّ هي قراءة الجماعة، و قراءة ابن كثير موافقة لمُصْحَف عُثمان و حرف زيد، و بها يقرأ جمهور أهل مكّة و الحجاز، ويتعلّق بها خلَفٌ عن سلف عن زيد.

وقد اختلف النّاس في موت زيد، فقال قوم: مات في خلافة عُثمان رضي الله عنه سنة ثلاث و عشرين، و قال قوم: سنة ثلاثين. قال الواقِديّ: و هذا أظهر الأقاويل، لأنّه لم يمت إلّا بعد كَتب المُصْحَف. وقد وردت الرّواية الّتي قدّمنا ذكر بعضها أنّ عُثمان رضي الله عنه لمّا أراد أن يجمع المُصْحَف قام خطيبًا فقال: «أيّها النّاس إنّ عهد كم بنبيّكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٤٠، ثمّ قال:]

ولا يمتنع أن يُمليَه زيد ويُمليه أُبيّ أيضًا، لعِلمه بوجوه القِراءات. وقدذُكر أنّ سَعيدًا كان أشبه لهجة برسول الله ﷺ، و أنّه أفصحُ النّاس. و ذُكر أنّ أبان بن سَعيد بن العاص شهد بأنّ ذلك غلط، لأنّهم ذكروا أنّه متقدّم الموت قبل من جَمَع المُصْحَف، و أنّه قتل بالشّام في سنة ثلاث عشرة. و رُوي أنّهم كانوا يختلفون في الآية، فيقولون: أقرأها رسول الله ﷺ فلانًا و هو على رأس ثلاث ليال من المدينة، فيرسِل إليه فيجيء، فيقول له القائل: كيف أقرأك رسول الله ﷺ؟ فيقول: كذا و كذا، فيكتب كما يقول. وهذه أخبار متواترة المعنى دون اللّفظ، تخبر بأنّهم كانوا يتوخّون من سهل سماعه منهم (من النّبيّ) ﷺ، و إن كان علمهم قد تقدّم بجملته.

فإن قالوا: على هذه الرّواية ومثلها نرى القوم يثبتون القرآن بخبر واحدٍ. قيل: بل كانوا

يعلمون أنّ ما شهِد به الواحد قرآن منزل من عندالله، غير أنّ عُثمان كان الأولى عنده أن لا يُثبت القرآن إلّا عن من أخذه من النّبيّ ﷺ، ليكون ذلك أعلى سندًا و أبيَن، و كذلك هو عندنا، و إن كان يعلم أنّه قرآن و إنْ لم يأخُذْه ناقله عن النّبيّ ﷺ، و أخذه عن من أخذه عنهُ، و يمكن أن يكونوا قصدوا رسم من شهد سماعه و تاريخه. ويمكن أن يكونوا قصدوا ما شهدوا سماعه من غير تاريخ، لأنّه ربّما كان العرض الأوّل أشهر، فيجب إثباته دون الآخر.

قالوا: ولو كان في قراءة ابن مسعود ما يخالف مُصْحَف عُثمان لظهر ذلك في قراءة حَمزة خاصّة، لأنّه قرأ على الأعْمش وابن أبي ليلى، فما كان من قراءة الأعْمش فعن ابن مَسْعود، و ما كان من قراءة ابن أبي ليلى فعن عليّ ﷺ. قالوا: و قرأ حَمزة بالرّوايتين جميعًا موافقة لمُصْحَف عُثمان، و قراءة أُبيّ وأبان أيضًا موافقة لمُصْحَف عُثمان وهي قراءة ابن مسعود وعاصِم بن بَهْدَلَة، وكان يقول ظاهرًا بالكوفة: كنت أقرأعلى أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ ثمّ أعرض على رَزين (بن) حُبَيْش، وقد استفاض أنّ أبا عبد الرّحمان السُّلَميّ كان يُقرئُ النّاس بحرف زيد، و أنّ زيدًا كان يقرؤهم بحرف ابن مسعود.

ترتيب الآيات والسُّوَر

فإن قيل: كيف يمكنكم دعوى ظهور القرآن وكونه شائعًا ذائعًا في أيّام النّبيّ ﷺ والقوم يختلفون في ترتيب سُوَره، فمن القوم من جعل في أوّل مُصْحَفه الحمد، و منهم من جعل «اقرأ باسم ربّك» و منهم من جعل أوّله «مالك يوم الدّين»، و روي فيه اختلاف شديد؟

يقال: أمّا اختلاف مصاحفهم في السُّوَر فهو الظّاهر المشهور، و ما يُقدَر على دفعه، و إن كان من النّاس من ينكر ذلك. لكنّا نقول: إنّه لم يكن من النّبيّ ﷺ توقيف على ترتيبها، بل إنّما ألّفوا سُوَر المُصْحَف على الاجتهاد و ضمّ السُّوَر إلى مثلها و ما يقاربها.

و من النّاس من زعم أنّ تأليف السُّوَر كان بتوقيف من النّبيّ ﷺ وهُم لايقولون مع

ذلك: إنّ تأليفه وترتيبه في الصّلاة يجب أن يكون على ترتيبه في المُصْحَف ، والّذي نختاره ما قدّمناه، وفيه سقوط ما ظنّوا به القدح . وليس بواجب تأليف السُّوَر في الكتابة ولا في الصّلاة ولا في القراءة والتّلقين .

والّذي يدلّ على صحّة ذلك أنّه لو كان من النّبيّ ﷺ توقيف على ذلك لظهر و فشا ونُقِل مثله . وفي العلم بعدم ذلك دليل على أنّه لم يكن منه توقيف فيه، ويدلّ على ذلك قول عُثمان ﷺ في حديث طويل: «وكانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصّتها تشبه قصّتها، فظننتها منها» . وهذا منه تصريح بعدم التّوقيف، وقد تضمّن ذلك أنّهما سُورتان، لأنّه سمّى كلّ واحدة باسمها .

وقد استدلّ قوم على وجود التّوقيف في ترتيب السُّوَر بقول ابن مسعود وابن عُمر إنّهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسًا، وأنّ ابن مسعود قال في رجل يقرؤه منكُوسًا: ذلك منكوس القلب . وقال ابن عمر: لو رآه السُّلطان لأدّبه .

وهذا لا حجّة فيه، لأنّهم إنّما عنوا بذلك من يقرأ السّورة منكوسة، ولم يريدوا اختلاف السُّوَر، وكيف يريدون ذلك، وهم يعلمون اختلاف المصاحف؟

وقول ابن مسعود: «ذلك منكوس القلب» إنّما خرج على وجه الذّم، ولاذمّ لمن قرأ النّحل ثمّ ثنّى بالبقرة، ولا أدب على من قرأ البقرة ثمّ ثنّى بسورة الحِجر واستدلّوا على وجوب التّرتيب بما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من شهد خاتمة القرآن فكأنّما شهد فتحًا . وأنّ المسلمين أجمعوا على أنّ للقرآن فاتحة وخاتمة .

وهذا أيضًا لا حجّة فيه، لأنّ خاتمة القرآن آخر ما يقرأ منه، الّذي يكون قارئه خاتمًا للقرآن به، ولكنّنا لا ننكر مع ذلك أن تكون الحمد جعلت فاتحة ما يُكتب ويُتلى، والنّاس خاتمة، وإن لم يجب ترتيب ما بينهما من السُّوَر . وقد اتّفق أصحاب المصاحف على الافتتاح بالحمد والختم بسورة النّاس، وإن لم يرتّبوا ما بينهما .

فإن قيل: فإذا كان ترتيب السُّوَر إلى اجتهادهم، فلِمَ لم يؤلّفوه على ترتيب نزوله، ويبدأوا بالمكّيّ قبل المدنيّ؟

قيل له: لأنّ ذلك لا يتمّ إلّا بنقص آيات السُّورة وإفساد نظمها، و قد صحّ و ثبت أنّه لا رأي لهم في ترتيب الآي، وكلّ عاقل يعرف فضل عقول الصَّحابة ولطيف نظرهم، فمن ظنّ أنّه يأتي بأهدى ممّا أتوا به فهو جاهل غبيّ.

وليس لقائل أن يقول: ترتيبهم السُّوَر على تاريخ نزولها أولى، إلّا لآخر أن يقول: كلّ ما فعلوه أصوب و أصلح، لأنّ الله تعالى قدّم في السُّورة الواحدة المنسوخ على النّاسخ. ولآخر أن يقول: تقديم الطُّوال أولى لما اشتملت عليه من المواعظ والقصص. والّذي يدلّ على أنّه ﷺ كان يوقف على ترتيب الآي أنّه ظاهر مكشوف من دينه، أنّ ابن عبّاس قال في قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[1] قال: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، و أنّ جبريل عليه السلام نزل عليه، فقال: ضعها على رأس ثمانين و مائتين من البقرة. و هذا الموضع ليس هو الّذي يلي نزولها.

وقال عُثمان رضي الله عنه: كانت الآية والاثنتان إذا نزلت يقول رسول الله ﷺ: ضعوا هذه في سورة كذا... **(۸۱ـ۸۳)**

ذكر أوّل من جعل القرآن بين اللَّوحين والدّليل على صوابه، تواتُر الأخبار

والدّليل على صوابه تواتُر الأخبار تواتُرًا يوجب العلم ويقطع العُذر أنّ أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن بين اللَّوحين، و اختُلِف في صفة جمعه، وهو وإن كان حافظًا له فلا يجب عليه أن ينتصب لجمعه، ولا ينكر أن ينتصب له من يكتبه و يعرضه، فأمره بأشدّ البحث والاحتفاظ عليه، لا سيّما مع شغله بالإمامة والنّظر في مصالح المسلمين. وليس في جمعه ما يدلّ على أنّه كان غير حافظ له، لأنّ من شأن الحافظ أن يكتب المُصْحَف، و لأنّه لم يجمعه لنفسه و إنّما جمعه ليكون إمامًا للنّاس، ولم يعوّل في جمعه على زيد

---

۱ ـ البقرة /۲۸۱.

وَحْده ولا على عُمر معه، لأنّ السَّهو والنِّسيان جائزٌ عليهما، فأراد ﷺ الاستظهار. ولو أمر الواحد والاثنين بجمعه ثمّ أنفذه إلى البلدان دون أن يختبره و يقف عليه ـ و حاشاه من ذلك ـ لكان سيّئ التّدبير لنفسه، لجواز أن يكون ممّن يقف عليه اطّلاع على حال فيه يلومه عليه، ولكان مع ذلك سيّئ النّظر لغيره، لأنّه قد يقرأ فيه المبتدئ والألكن، فيستمرّ على قراءة ما يجده فيه من الغلط الغير مأمون وقوعه، فيصعُب انتقاله عن ذلك و زواله عنه... [إلى أن قال:]

فإن قيل: فما وجه نفور أبي بكر ﷺ من جمعه و نفور عمر أيضًا من ذلك؟

قيل: وجه ذلك أنّهما لم يجدا النّبيّ ﷺ بلغ في جمعه إلى هذا المقدار، بل كان في الأكتاف والعُسُب، وجعل لمن أراد إثبات سورة منه أن يُفردَها إلى أن تُوفّي ﷺ والحال على ذلك، فكرها أن يجمعاه على وجه يُخالف ذلك كراهة أن يُحلّا أنفُسهما محلّ من تَجَاوز احتياطه للقرآن احتياط النّبيّ ﷺ، فلمّا نبّهه عُمَر وخوَّفه من تغيير القرآن، وأنّ فعل رسول الله ﷺ ليس على وجه الوجوب ولا تركه لما ترك منه على الوجوب، رأيا صواب ذلك الرّأي فسارعا إليه، وقد خالف عمر أبابكر (رضي الله عنهما) و خالفه سائر الصّحابة في قتال أهل الرِّدَّة لإقامتهم الصّلوات و فرائض الدّين، لكنّهم رجعوا إلى رأيه وصواب فِعله، و قد ينفُر الإنسان أوّل وهلة من المباح ثمّ يرجع ويتبيّن له، وليس عمر و زيد (رضي الله عنهما) عندنا إمامَين كالشّيعة الّذين يعتقدون أنّ الإمام معصوم، بل الغلط عليهما جائز في أمرٍ قالاه ولم يقيما عليه، بل رجعا عنه. و لعلّ النّبيّ ﷺ قد كان أُوحي إليه أنّ جمعه القرآن غير مصلحة لأُمّته، وأنّ جمع من يجمعه مصلحةٌ، لا شيءٌ يمنع من ذلك.

و قد رُوي في إثبات شهادة شاهدين على القرآن روايات منها: أنّ القاسم بن محمّد قال: قال أبو بكر ﷺ لزيد بن ثابت: اقعد فمن أتاك من القرآن بما لا تحفظه ولا تقرأه بشاهدين فاقْبله. وهذا يدلّ على ما قلناه في توجيه طلب شاهدين، على أنّه يمكن أن يكون أراد بذكر القرآن هاهنا الآية منه أو الكلمة، و يمكن أن يكون معنى القرآن هاهنا

الوجه والقراءة، و يمكن أن يكون أبو بكر و عُمر (رضي الله عنهما) لم يُطالبا بالشّهادة على كلّ ما يأتون به ممّا يحفظونه إلّا لأجل الاستظهار والحكم من جهة الظّاهر بصحّة نسخته، ليطمئنّ النّاس إلى صحّتهاوانتفاء الغلط عنها، و نحن لا نعرف صورة أمر أبي بكر لهما بطلب الشّهادة كما نعلم ضرورة جمعه القرآن، فلعلّه لم يأمر به، أو لعلّه لفظ به على وجه لم يضبطه الرّاوي، ولعلّه قد توهّمه وقد أنقص من رواه.

و أكثر الأحاديث المرويّة عنه في جمعه القرآن لم يذكر فيها شهادةُ الشّاهدين، و دين قوم من أصحاب الحديث ردّ الزّيادات المرويّة سيّما في الآذان والقصص المشهورة، حتّى أنّ فيهم من يكذّب راوي الزّيادة. (٣١٥ ـ ٣٢٠).

الفصل الحادي عشر

نصّ الحاكم النّيسابوريّ (م: ٤٠٥) في «المُستدرك ...»

[تأليف القرآن]

١ ـ حدّثنا أبوالنّضر محمّد بن محمّد بن يوسف الفقيه، ثنا عُثمان بن سعيد الدّارميّ وبِشر بن موسى الأسديّ والحارث بن أبي أُسامة التّميميّ، قالوا: ثنا يحيى بن إسحاق السّيلحينيّ و ثنا يحيى بن أيّوب، حدّثني يزيد بن أبي حبيب أنّ عبد الرّحمان بن شَماسة،حدّثه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: كنّا حول رسول الله صلى الله عليه وآله نؤلّف القرآن...

٢ ـ رواه جرير بن حازم عن يحيى بن أيّوب، حدّثناه أبو عبد الله محمّد بن يعقوب الحافظ، ثنا إبراهيم بن عبد الله السّعديّ، ثنا وَهْب بن جَرير، ثنا أبي، سمعت يحيى بن أيّوب يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرّحمان بن شَماسة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله نؤلّف القرآن من الرِّقاع.

هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين ولم يخرجاه، و فيه البيان الواضح أنّ جمع القرآن لم يكن مرّة واحدةً، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصّدّيق، والجمع الثّالث هو في ترتيب السُّورة كان في خلافة أمير المؤمنين عُثمان بن عَفّان (رضي الله عنهم أجمعين).

٣ ـ أخبرنا أبو جعفر محمّد بن أحمد البغداديّ، ثنا يحيى بن أيّوب العلّاف، ثنا سعيدبن أبي مريم، أنبأ محمّد بن جعفر بن أبي كثير، ثنا شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر عن عطاء بن يَسار عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه قال: دخلت المسجد يوم الجُمُعة والنّبيّ صلى الله عليه وآله يخطب،

فجلست قريبًا من أُبيّ بن كعب، فقرأ النّبيّ ﷺ سورة براءة، فقلت لأُبيّ متى نزلت هذه السُّورة؟ قال: فَتَجهَّمَني ولم يكلّمني، قال: وذكر الحديث هكذا وجدته في كتابي، وطلبته في المسانيد فلم أجده بطوله، والحديث بإسناده صحيح.

٤ ـ أخبرنا أبو العبّاس محمّد بن أحمد المحبوبيّ، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عُبَيدالله بن موسى، أنبأ إسرائيل عن إبراهيم ابن مهاجر عن مجاهد عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: أيّ القراءتين ترون كان آخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد، قال: لا، إنّ رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن كلّ سنة على جبريل عليه السلام فلمّا كانت السّنة الّتي قبض فيها عرضه عليه عرضتين، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهنّ. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السّياقة، وفائدة الحديث ذكر عبد الله بن مسعود.

٥ ـ أخبرنا جعفر بن محمّد بن نصير الخُلديّ، ثنا عليّ بن عبدالعزيز البغويّ بمكّة، ثنا حَجّاج بن المِنهال قال: ثنا حمّاد بن سَلَمة عن قَتادة عن الحسن عن سَمُرَة رضي الله عنه قال: عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إنّ قراءتنا هذه هي العَرضَة الأخيرة. هذا حديث صحيح على شرط البُخاريّ بعضه، و بعضه على شرط مُسلم ولم يخرجاه. (٢:٢٢٩)

الفصل الثّاني عشر

نصّ العاصميّ[1] (٣٧٨ ـ ٠٠٠) في «المباني لنظم المعاني»

في كيفيّة جمع المصاحف، والسّبب المؤدّي إلى تأليفها

[بعد نقل رواية «زيد بن ثابت في قصّة مقتل أهل اليَمامة» كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١و٢ قال:]

قال أبو عليّ: وفي رواية منصور قال: وجدت مع خُزَيمة أو أبي خُزَيمة ـ الشّكّ من إبراهيم ـ آية قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [2] الآية، فكتبتها. وقال ابن أبي السَّرِيّ في حديثه: حتّى وجدت آخر سورة التّوبة مع خُزَيمة أو أبي خُزَيمة، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ حتّى ختم براءة، ثمّ اتّفقوا.

قال: كانت الصُّحُف عند أبي بكر حتّى مات، ثمّ كانت عند عمر حتّى مات، ثمّ كانت عند حَفْصَة بنت عمر.

قال إبراهيم: فحدّثني ابن شِهاب عن أنس بن مالك: أنّ حُذَيفة بن اليَمان... **[وذكر كماتقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]**

و هذه رواية منصور و أبي عليّ، ولم يذكر ابن أبي السَّرِيّ عبد الرّحمان بن الحارث. ثمّ اتّفقوا، وقال لهم: ما اختلفتم أنتم و زيد فاكتبوه بلسان قُرَيش، فإنّ القرآن نزل بلسانهم.

---

١ ـ ممّا يجدر ذكره هنا: أنّ العاصميّ كان مجهولاً لدينا، فذكرناه في الجزءين الأوّل والثّاني تحت عنوان «مؤلّف المباني» ثمّ اتّضح لنا اسمه وترجمته، راجع الأعلام والمصادر من هذا الجزء.

٢ ـ التّوبة /١٢٨.

قال: ففعلوا ذلك، حتّى إذا نسخوا الصُّحُف في المصاحف بعث عُثمان إلى كلّ أُفُق مُصْحَفًا من تلك المصاحف الّتي نسخوا، و أمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مُصْحَف أن يحرق. وقال أبو عليّ: أن يخرّق أو يحرّق، ثمّ قالا في حديثهما: يمحى أو يحرق، هذا لفظ منصور و قد انتهى حديثه، و قال الإحراق... سوى ذلك. من القراءة في كلّ صحيفة أو مُصْحَف.

قال ابنُ شِهاب: فأخبرني خارجة بن زيد أنّه سمع أباه زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1] فالتمستها فوجدتها مع خُزَيْمَة بن ثابت، فألحقتُها في سورتها في المُصْحَف، هذا لفظ ابن أبي السَّريّ، و قال أبو عليّ في حديثه: فوجدتها مع خُزيمة أو أبي خُزَيمة، فألحقتها في سورتها.

قال ابن شِهاب: واختلفوا يومئذ، فقال النّفر القُرشيّون: التّابوت، و قال زيد: التّابوه. فرفع اختلافهم إلى عُثمان فقال: اكتبوه التّابوت، فإنّه بلسان قُريش. هذا لفظ أبي عليّ وقد انتهى حديثه.

وقال ابن أبي السَّريّ عن ابن شِهاب: و اختلفوا يومئذ في التّابوت، فقال زيد: التّابوه، وقال ابن الزُّبَير و سعيد بن العاص: التّابوت. فرفعوا اختلافهم إلى عُثمان، فقال: اكتبوا التّابوت، فإنّه بلسان قُريش.

قال ابن شِهاب: فأخبرني عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة: أنّ عبد الله بن مسعود قال: يا معشر المسلمين... [و ذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٣٢].

وفي لفظ الشّيخ أبي سهل الأنماريّ ﵀ حدّثنا أبو يعقوب يوسف بن موسى، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى القطعيّ، قال: حدّثنا عُبَيد بن عقيل، قال: حدّثنا خارجة بن مُصْعَب عن عَمّارة بن غَزِيَّة عن الزُّهْريّ، قال: حدّثني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، قال: جاء

١ ـ الأحزاب/٢٣.

عمر بن الخطّاب إلى أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله، إنّ النّاس يوم اليَمامة تنازعوا في الشّهادة، و تهافتوا فيها تهافُت الفراش في النّار، و إنّي خشيت أن يهلك القرآن و هلاكه بذهاب حملته، و إنّي أرىٰ لك أن تكتبه في صحيفة واحدة. فقال أبو بكر: أأصنع خلاف رسول الله ﷺ؟ و أخاف ما لم يخف رسول الله ﷺ؟ فترادّا القول بينهما حتّى انقطع عمر من مجلسه، فجلس مُحزئلّا، يعني منقبضًا. قال زيد: و أرسل إليّ فجئت فجلست بين يديه، فقال لي و أشار إلى عمر كالباكي: إن هذا أرادني أن أجمع القرآن، فأبيت عليه وقلت: أأصنع خلاف رسول الله ﷺ؟ فأرسلتُ إليك، فإن جامعتني على أمري لم أتابعه، و إن أنت جامعته على رأيك اتبعتك، يا عمر ما تقول؟ قال عمر: أرىٰ أن تجمعَه، فإنّما قصدك منه خير، و إنّي خشيت إن لقي المسلمون مثلها أن تذهب حملة القرآن، و ذهابه بذهاب حملته. قال أبو بكر: فماترى يا زيد؟ قال زيد: كأنّ رأيي مثل رأيك، و أرى عمر يقول: إنّما قصدك منه خير. قال: فأمّا إذا تابعته فإنّك كنت كاتب الوحي و أمين رسول الله ﷺ و أنت عندنا أمين، فقد أمرتك أن تكتبه و سأجعل معك رَجُلاً، أبان[1] بن سعيد بن العاص الأُمَويّ الأكبر، فإنّه فتى من قُريش فصيح. فقال: و أظنّه قال: هو من أفصح قُريش، و إنّما أنزل القرآن بلُغة قُريش فابتدئه فابتدئه على بركة الله، فإن أشكل عليكما شيء فارفعاه إليّ، لأكون معكما فيه. ثمّ أرسل إلى من كان عنده من القرآن شيء فجمعته.

وكان عند عمر من ذلك حظّ كبير لم يكن عند أحد مثله. وكان القرآن إنّما هو في الأكتاف والعُسُب والألواح و قطع الأُدُم، قال: فكتبناه فما اختلفنا في جمعه إلّا في حرف واحد، قلت: «أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوهُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُم» وكانت لُغة قُريش التّابوت، ولُغة الأنصار التّابوه، فقال أبان بن سَعيد: ﴿أن يأتيَكُم التّابُوتُ﴾[2] قال: فارتفعنا إلى أبي بكر فقصصنا عليه. فقال أبو بكر: أنفذاه التّابوت على بركة الله. قال: وكتبناه أجمع في صحيفة واحدة. قال: فعرضتُ عَرضةً واحدةً، فوجدتُني قد أسقطت منه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

١ ـ في الأصل أياد. والمراد: أبان. انظر أُسد الغابة ١:٣٧.

٢ ـ البقرة /٢٤٨.

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ﴾[١] ... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ والسِّجستانيّ الرّقم ٤٨، ثمّ قال:]

فعمد أبو بكر على ذلك حتّى هلك، ثمّ عَمَد عمر على ذلك حتّى هلك، فالتقى أهل الشّام و أهل العراق مكفّر هؤلاء هؤلاء، و هؤلاء هؤلاء. ثمّ إنّ حُذَيفة بن اليمان أقبل قافلاً حتّى قَدِم المدينة، فنزل على عُثمان قبل أن يأتي رحله فقال: يا أميرالمؤمنين أدْرك النّاس ... [و ذكر كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ٤ و السِّجستانيّ الرّقم ١٣، ثمّ قال:].

قال: و قال الزُّهْرِيّ: لمّا هلكت حَفْصَة أرسل عُثمان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة لما أرْسل إليه بالرُّقعة فأخذها وأحرقها.

قال الشّيخ أبو سَهل: و أخبرنا محمّد بن حاتم، قال: حدّثنا قُتَيبة بن سَعيد، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن محمّد بن عَمّارة بن غَزِيّة عن ابن شِهاب عن خارجة بن زيد عن أبيه بطوله بمثل معناه، إلّا أنّه قال في الصّحيفة: فأعطاه إيّاها فغسلها غَسْلاً.

قلت: فعرفت بمجموع ما ذكرنا السّبب الدّاعي إلى جمع القرآن و تأليفه في المُصْحَف، وعرفت أنّ مُصْحَف عُثمان هو مُصْحَف أبي بكر، والّذي يؤيّد ما ذكرنا حديث ذكره الشّيخ أبو سَهل، قال: حدّثنا موسى بن عيسى أبو عمران الطّالقانيّ، قال: حدّثنا عيسى بن أحمد العَسقلانيّ، قال: حدّثنا القاسم بن الحكم، قال: حدّثنا سُفيان عن السَّرِيّ عن عَبد خَيْر، قال: سمعت عليًّا قال: «يرحم الله أبا بكر هو أوّل من جمع بين اللّوحين».

فإن قيل: و كيف لم يجمعه النّبيّ ﷺ في المُصْحَف ؟ فلوكان ذلك خيرًا لكان هو الأولى بفعله.

قلنا: إنّه ﷺ لمّا وعده الله عَزَّوجَلَّ أن يحفظ القرآن له و عليه، و يثبّته في قلبه أمن نسيانه، فعمل على أنّه يحفظُه على أُمّته، ولا يزال يقرؤه عليهم، ويقرئهم إيّاه، و يعظهم به أحيانًا، ويعرِّفهم الفرائض والأحكام والمناسب من تأويله الّذي يعرف بعد تلاوته، فكان بذلك مُستغنيًا عن كَتْب القرآن وجَمْعه، وكان المسلمون غانين، و بينهم النّبيّ ﷺ عن

---

١ ـ الأحزاب /٢٣.

تخليد القرآن في المصاحف والصُّحُف، فحين قُبض نبيّهمﷺأشفقوا من أن تحدُث الحوادث على حُفّاظ القرآن الّذين عدّتهم يسيرة، فيضيع القرآن منهم، أو يفقد من حَملته باستشهاد حافظيه، فلمّا حصلوا ذلك و عملوا عليه، لم يجدوا شيئًا هو أحفظ للقرآن من كتبه و تخليده، فكتبوه و خلّدوه نظرًا لأنفسهم، و نصيحة لمن ينأى و يبعد ممّن لا يحفظه حفظهم، ولا يعرفه معرفتهم، ولم يمكن الجمع له إلّا بعد تشاور أصحاب رسول اللهﷺ واتّفاقهم على أنّه طريق الحقّ، وباب الصّدق، و منهاج الاستقامة.

وروي عن حَسّان الجُعفيّ، قال: ذكر السَّرِيّ بن إسماعيل عن الشَّعْبيّ، قال: أبو بكر الصّدّيق أوّل من جمع المُصْحَف. وعن الجُعفيّ أيضًا: حدّثنا ابن عُيَيْنَة عن مُجالِد عن الشَّعبيّ عن صَعْصَعَة بن صُوحان، قال: أبو بكر الصّدّيق أوّل من جمع المُصْحَف... [إلى أن قال:]

وقد أخبرناك أنّ أبابكرﷺ إنّما فوّض ذلك الأمر [إلى زيد]، لأنّه كان شابًّا حافظًا، وعى القرآن على عهد رسول اللهﷺ بلا اختلاف بين النّاس فيه، وحفظ القرآن على العَرْضَة الأخيرة، وهي آخر مرّة عارض فيها جبريل رسولَ اللهﷺ والعمل على آخر عَرضَة. فكان الّذي حفظه زيد هو الّذي العمل عليه، ولأنّه يلي كتابة الوحي، ويرى إملاء الرّسولﷺ ذلك عليه. فكان يشاهد من أحوال القرآن ما لا يشاهده غيره، مع أنّ الكتابة بابٌ من العلوم، جليل الخطر دون سائرالعلوم والأثر. ولم يكن ابن مسعودﷺ فيها مثله، ولأنّهﷺ كان جمع القرآن كلّه دون ابن مسعود.

ورُوي عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ: أنّه قرأ عامّة القرآن على عُثمان بن عَفّان ﷺ وكان عُثمان والي أمر الأُمّة. فقال لي: إنّك تشغلني عن النّظر في أُمورالنّاس، فامض إلى زيد، فإنّه فارغ لهذا الأمر يجلس فيه للنّاس، و اقرأ عليه، فإنّ قراءتي و قراءته واحدة، ليس بيني و بينه فيها خلاف، فمضيت إلى زيد، فقرأت عليه. فكنت ألقى عليّ بن أبي طالبﷺ فأسأله فيخبرني و يقول لي: عليك بزيد بن ثابت. فأقمت على زيد ثلاث عشرة سنة أقرأ عليه فيها القرآن، فعرفت بذلك فضيلة زيد في ضبط القرآن، و إقرار أمير

المؤمنين عُثمان بن عَفّان له بذلك.

والّذي يدلّ أيضًا على تصويب الشّيخين(رضي الله عنهما) في تفويض ذلك الأمر إلى زيد أنّه لم يكن يجمع القرآن كلّه إلّا نفر يسير من أصحاب الرّسولﷺ [إلى أن قال:].

فأقول: إنّ القرآن قد كان مجموعًا على عهد رسول اللهﷺ وإنّه ما نزلت آية إلّا و قد أمر رسول اللهﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا. وقد تقدّمت روايتنا عن أنس في ذكر من جمع القرآن من الأنصار. و من المعلوم الّذي لاخباء به، أنّ النّبيّﷺ قد كان يؤمّ أصحابه في الصّلوات الخمس، لا يخلّ بذلك في سفر ولا حضرٍ، فقرأ في الرّكعتين من كلّ صلاة بسورةٍ مع فاتحة الكتاب، ويسمعهم ذلك في الغداة والعَشيّ، فماذا كان يسمعهم؟ ليت شعري، إن كانت آيات القرآن متفرّقة ولم تنظم السُّوَر ـ حتّى أنّها نظمت في أيّام أبي بكر أو أيّام عُثمان فبماذا كان يقرع العرب حيث يقول الله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾.[1] وذلك ممّا نزل بمكّة، ثمّ قال تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾[2] و نزل ذلك بالمدينة، ولو كان ذلك على ما خيّلوا لم يكن العبّاس بن عبدالمطّلب يهرب يوم حُنين حيث انهزم القوم، فيقول: يا أصحاب سورة البقرة، و سورة آل عِمران، هذا رسول الله، يستدعيهم بذلك إليه...[ثمّ ذكر فضل قراءة القرآن وبعض سُوَره، ولا حاجة إلى ذكرها هنا].

فإن قيل: قد عرفت ما قد سردتموه من قولكم: إنّ القرآن قد كان منظومًا مجموعًا على عهد رسول اللهﷺ فما قولكم في الحديث الّذي قدّمتم روايته عن الزُّهْريّ عن عُبَيْد ابن السَّبَّاق في جمع القرآن أيّام أبي بكر ثمّ أيّام عُثمان؟

قيل له: الوجه في ذلك عندنا أنّ القرآن قد كان بجملته معلومًا على عهد رسول اللهﷺ وكانت السُّوَر معدودة لايريب فيها أحد منهم. غير أنّهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدّفّتين، ولم يلزموا القُرّاء توالي سُوَرها، فكان الواحد منهم يقرأ سورة

---

١ ـ هود /١٣.

٢ - البقرة /٢٣.

البقرة، ثمّ يقرأ النّساء أو الأعراف أو نحو ذلك من غير ولاء للسُّوَر بفروض توقف عليه.

[إلى أن قال:]

قال: وأخبرنا أبوعليّ، قال: وحدّثنا أبوالحسين محمّد بن حامد، قال: حدّثنا عبدالعزيز، قال :حدّثنا أبو عُبَيد، قال: حدّثنا حَجَّاج عن ابن جُرَيج، قال: أخبرني يوسف ابن ماهك، قال: إنّي لعند عائشة أُمّ المؤْمِنين(رضي الله عنها)... [و ذكركما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١٤، ثمّ قال:]

قال أبو عليّ: هذا حديث ابن جُرَيج [إلى أن قال :]

والّذي يدلّ على ما قلناه أيضًا ما حدّثنا به أبو منصور الأزهريّ إملاء، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق السَّعدِيّ، قال: حدّثنا يحيى بن الرّبيع، قال: حدّثنا سُفيان بن عُيَينة عن الزُّهْرِيّ عن عُبَيد الله بن عبدالله بن عُتبة عن ابن عبّاس، قال: قال عمر بن الخَطّاب ﵁ و هو يخطب على المنبر: إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّدًا ﷺ بالحقّ، و أنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرّجم، فرجم رسول الله ﷺ و رجمنا بعده، وإنّي أخاف والله أن يطول بالنّاس زمان فيقول قائل: ما نجد الرّجم في كتاب الله تعالى، فيضلّوا لترك فريضة أنزلها الله، ألا وإنّ الرّجم حقّ على من زنى إذا أُحصن وقامت البيّنة، أو كان الحمل والاعتراف. ثمّ قد كنّا نقرأ «لا ترغبُوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم، أو أنّ كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم».[١]

قال: وحدّثنا أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم البُستيّ، قال: حدثّنا اللّيث بن سعد عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ عن ابن المسيّب: أنّ عُمَر بن الخطّاب قال: أيُّهاالنّاس، قد سُنَّتْ لكم السُّنَن، وتُرِكْتُم على الواضحة، إلّا أن تضلّوا بالنّاس يمينًا وشمالاً، و آية الرّجم فلا تضلّوا عنها، فإنّ رسول الله ﷺ قد رجم و رجمنا، فلا تقولنّ: لا نجد حَدّين في كتاب الله، فإنّها قد أُنزلت وقرأنا «الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة»، ولولا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي.

---

١ ـ انظر تاريخ الطّبريّ ١:١٨٢١.

ووَجهُ الدّلالة من هذا أنّهم إذا لم يكتبوا آية الرّجم مع شهادة عُمر بها و مع معرفتهم بأنّ رسول الله ﷺ رجَم، فإنّ الرّجم من فرائض الله، ولم يكتبها عمر بيده مَهْما قطع القول بأنّها آية أنزلها الله و مع أنّه أميرالمؤمنين، فكيف يظنّ بهم أنّهم كتبوا آية في المُصْحَف بشهادة رجل أو رجلين لولا أنّ الوجه في ذلك ما قلناه، مع أنّ مدار حديث جمع القرآن على الزُّهْريّ وليس يعرض خبرالواحد على النّقل المشهور المتعارف والّذي لا يجهله وليّ ولا عدوّ.

في بيان أنّ القرآن تكلّم الله سبحانه به

على هذا التّرتيب الّذي هو في أيدينا اليوم لا على ترتيب النّزول وإذ قد بيّنّا كيفيّة جمع المَصاحف والسّبب المؤدّي إلى تأليفها والرّدّ على الطّاعن فيها، فبنا أن نتكلّم أنّ الصّحابة (رضي الله عنهم) لم يقدّموا شيئًا أخّره الله، ولا أخّروا شيئًا قدّمه الله، ولم يؤلّفوه من ذات أنفسهم بل بتوفيق كان لهم فيه، و قد تقدّم في الفصل الثّاني بعضُ ذلك، إلّا أنّا لم نبلغ منه موضع الكفاية هناك... [إلى أن قال:]

و أمّا الدّليل على أنّ معنى جمع أبي بكر الصّديق ﷺ القرآن في المُصْحَف هو جمعه في مُصْحَف واحد بعد ما كان مفرّقًا في أيدي الصّحابة (رضي الله عنهم أجمعين) صيانة له، و أمانًا من ذهابه ونسيانه بذهاب أهله.

حدّث الزُّهْريّ عن عُبَيد بن السَّبّاق: أنّ زيد بن ثابت حدّثه، قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة، و ذكر الحديث بتمامه، وهذاحديث صحيح ذكره البُخاريّ في جامعه الصّحيح عن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد، و فيه بيان شافٍ، و أنّ السّبب الّذي دعا أبابكر ﷺ إلى جمع القرآن في المُصْحَف ماذكرناه. وقول زيد بن ثابت : فقدت آخر سورة التّوبة، دليل على أنّه كان محفوظًا عندهم على هذا التّرتيب الّذي ذكرناه، ثمّ الّذي يؤكّد جميع ماذكرناه أنّه على التّرتيب الّذي في أيدينا إجماع قُرّاء الأمصار على تلقينه على هذا التّرتيب، و أسانيدهم متّصلة بنقل العدل عن العدل إلى النّبيّ ﷺ. والّذي يؤيّده

أيضًا حديث الزُّهْريّ عن خارجة عن زيد بن ثابت أنّه سمع زيد بن ثابت... [وذكر كما تقدّم آنفًا، ثمّ قال:]

وهذا أيضًا حديث صحيح رواه البُخاريّ عن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم، وفيه أيضًا دليل على ما ذكرناه في الآية الأُخرى، وفيه أيضًا دلالة على أنّه كان قبل أن جمعه عُثمان في المُصْحَف على التّرتيب الّذي في أيدينا، لأنّ زيدًا ذكر في الخبر: أنّي ألحقت قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ في سورتها في المُصْحَف.

وروى شَبَابة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سعدٍ، قال: لمّا كثر اختلاف النّاس في القرآن قالوا: قراءة ابن مسعود، وقراءة أُبيّ، وقراءة سالم مولى أبي حُذَيْفة، قال: فجمع [عُثمان] أصحاب محمّدﷺ فقال: إنّي رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت، ثمّ أبعث بها إلى الأمصار، قالوا: نعْمَ ما رأيت، قال: فأيّ النّاس أعرَب؟ قالوا: سعيد ابن العاص، قال: فأيّ النّاس أكتَب؟ قالوا: زيد بن ثابت كاتب الوحي، قال: فليُملل سعيدٌ وليكتب زيد بن ثابت. قال: ثمّ كتب مصاحف فبعث بها إلى الأمصار. قال: فرأيتُ أصحاب محمّدﷺ يقولون: أحسن والله عُثمان.

وفي هذه الرّواية البيانُ الشّافي أنّ عُثمان مع النّاس على حرفٍ واحدٍ باتّفاق أصحاب النّبيّﷺ وإجماع منهم ورضًى بما فعله.

وأمّا المصاحف الّتي أمر بتحريقها فإنّها ـ والله أعلم ـ كانت على هذا النّظم أيضًا، إلّا أنّها كانت مختلفة الحروف على حسب ما كان النّبيّﷺ سوَّغ لهم في القراءة بالوجوه، إذا اتّفقت في المعنى وإن اختلفت في اللّفظ، ثمّ بان لنا باتّفاقهم على هذا الوجه الواحد أنّ الإباحة الّتي كانت في قراءة القرآن من اختلاف اللّفظ بالكلمة إذا اتّفق المعنى قد نسخ، وأنّه لا تجوز القراءة بما يخالف هذا المُصْحَف المتّفق عليه... [ثمّ ذكر رواية عَلْقَمة بن مرثَد كما تقدّم نحوه مع اختلاف يسير عن السِّجستانيّ الرّقم ٣٦، فقال:]

فقال القوم لسُوَيْد: بالله الّذي لا إله إلّا هو أسمعت هذا مِن في عليّ بن أبي طالب؟ فقال سُويد: والله الّذي لا إله إلّا هو، لسمعتُ هذامن عليّ بن أبي طالب.

وفي هذا الحديث دليلٌ على تصويب عُثمان في تأليفه وتحريقه، وإنّ ذلك كان باتّفاق من الصّحابة... [ثمّ ذكر فضائل بعض الصّحابة، ولا حاجة إلى ذكرها هنا، إلى أن قال:]

قال الشّيخ رحمه الله: أخبرنا أبو النّضر، قال: حدّثنا الشّيخ أبو سهل الأنماريّ (رحمه‌الله) قال: أخبرنا أبو الوليد، قال: حدّثنا محمّد بن سَلَمة عن أبي عبدالرّحمان عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن مُصعب بن سَعد، قال: جلس عُثمان بن عَفّان على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، فقال: ألا إنّ عهدَكم بنبيّكم منذ ثلاث عشرة... [وذكر كما تقدّم نحوه عن السِّجستانيّ الرّقم ٤٠، إلى أن قال:]

و جمع أبو بكر المُصْحَف، ونحا نحوه في الجمع عمر، وقفا أمرهما فيه عُثمان و أصحاب رسول الله ﷺ يستحسنون ذلك من فعله و يُجمعون على تسديده، ثمّ أحضر عُثمان الصُّحُف الّتي جمع فيها عمر القرآن، فعارض بها صُحُفه، فما خالفها في حرف. فمن أيّ وجه سقط على المسلمين بعض القرآن وبين أظهرهم من يحفظه منذ وقتِ رسول الله ﷺ؟ والحُفّاظ له يعلّمون النّاس على المداومة والمتابعة؟ وإنّ عُثمان لم يجمع المُصْحَف حتّى وعَى جميع القرآن، يدلّك عليه قول حَسَّان بن ثابت:

ضحّوا بأشمط عنوان السُّجُودِ به يقطع اللّيل تسبيحًا و قرآنًا

فإن قيل: رُوي أنّ أبابكر الصّدّيق ﷺ جمع القرآن في المُصْحَف، وروي أنّه جمعه في الصُّحُف، و معلوم أنّ بينهما تباينًا، لأنّ الصُّحُف غيرالمُصْحَف.

قيل: لا تنافي بينهما، وذلك أنّه جمع القرآن، وجعله أجزاء متفرّقة، أعشارًا و أسباعًا، و أقلّ وأكثر، فسمّيت بذلك الأجزاء، وما كانت بين الأخير صُحُفًا و صحيفة، وكان له فيه غرض، وذلك أنّه أجدى و أحوطُ من جمعه في مُصْحَف واحد، ويمكن أن يكون جمعه في مُصْحَف و مَدارج، و جمعه في جامع له فسمّاه مُصْحَفًا. فكان النّاس ينسخون من تلك الصُّحُف والمدارج، والمُصْحَف محفوظ مَحُوط عنده، وهذا لا تنافي فيه، لأنّه معه إلى الصُّحُف الّتي ليست بين لوحين، وفي مُصْحَف بين لوحين. و يحتمل أيضًا أنّه جمع الصُّحُف الّتي كانت في أيدي النّاس مكتوبًا فيها وحصلت عنده، ثمّ نسخ منها جامعًا بين

لوحين، وكانت الصُّحُف محتفظًا بها عنده، ثمّ عند عمر، ثمّ عند حَفْصة، وإنّما حفظوها لأنّها هي الأصل، وقد كانت عرضت وعرف صحّتها، فلذلك اعتمد عُثمان عليها . والّذي يؤكّد جميع ما ذكرناه حديث أُبيّ بن كعب في فضل القرآن و سُوَره على هذا التّرتيب، وقد كنّا أوردناها في «كتاب الغرر في أسامي السُّوَر» متفرّقة، إلّا أنّا أحببنا ذكرها هاهنا بلفظها لتكون أجمع وأقمع . (١٨ـ٦٤)

الفصل الثّالث عشر

نصّ الشّريف المُرتضى (م: ٤٣٦) عنه: الطّبرسيّ

[جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ]

...إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبُلدان و الحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكُتُب المشهورة، و أشعار العرب المسطورة. فإنّ العناية اشتدّت، والدّواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجزة النُّبُوّة و مأخذ العلوم الشّرعيّة والأحكام الدّينيّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتّى عرفوا كلّ شيءٍ، اختلف فيه من إعرابه و قراءته وحروفه وآياته...

إنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلّفًا على ماهو عليه الآن، لأنّ القرآن كان يُدَرّس و يُحفظ جميعه في ذلك الزّمان حتّى عيّن النّبيّ ﷺ على جماعة من الصّحابة حفظهم له، و إن كان يعرض على النّبيّ ﷺ، حتّى عدّة ختمات، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعًا مرتّبًا غير مبتور ولا مبثوث، و ذكر أنّ من خالف في ذلك من الإماميّة والحشويّة، لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضافٌ إلى قومٍ من أصحاب الحديث نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنّوا صحّتها لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته. (مجمع البيان ١:١٥)

الفصل الرّابع عشر

نصّ القيسيّ (م: ٤٣٧) في «الإبانة عن معاني القراءات»

جمع القرآن، و كيف جمع؟ و ما سبب جمعه؟

فإن سأل سائل فقال: هل كان القرآن مجموعًا على عهد النّبيّ ﷺ؟ وكيف جُمِع بعده؟ و ما سبب جَمعِه؟

فالجواب: أنّ القرآن كان على عهد النّبيّ متفرّقًا في صُدور الرّجال، لأنّه نزل في نيّف و عشرين سنة شيئًا بعدَ شيء، وقيل: في عشرين سنة. و تواترت الرّواية أنّه مات ﷺ وهو غيرُ مجموع في صُحُف، لم يختلف في ذلك.

فلمّا توفّي رسول الله ﷺ، و وُلّي أبو بكر ﵁ خرج القُرّاء من الصَّحابة إلى الغزوات، فاستُشْهِد كثيرٌ منهم يوم اليَمامة.

قال زيد بن ثابت: فأرسل إليّ أبو بكر مقتل اليَمامة فجئته، فإذا عمر عنده. قال زيد... **[وذكركما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]**

قال المقرئ[1]: و معنى هذا أنّ زيدًا وغيرَه كانوا يحفظون الآية لكنّهم أنسوها، فوجدوها في حفظ ذلك الرّجل، فتذاكروها، واستيقَنوها وأثبتوها في المُصْحَف لحفظهم لها، وسماعهم إيّاها من رسول الله ﷺ. ولم يخالفهم أحد في ذلك فصارت إجماعًا، لا أنّهم[2] أثبتوها قرآنًا بشهادة ذلك الرّجل ـ و إن كانت شهادته مقام شهادة رَجُلين، لأنّ

---

١ ـ هو صاحب الكتاب (مكّيّ بن أبي طالب حَموش القيسيّ).(م)

٢ - في الأصل لأنّهم، والسّياق يقتضي ما أثبته.

القرآن لايؤخذ إلّا بالإجماع و تواترٍ يقطع على مغيبه بـالصّدق، و يـجب بـذلك العـلم والعمل. ولا يؤخذ بشهادة رَجل ولا رَجلين، ولابشهادة من لا يُقطَع على صدق شهادته.

وذكر إسماعيل القاضي من روايته: أنّ زيد بن ثابت قال: كتبته على عهد أبي [بكر] في قِطَع الأَدَم[1] وكِسرَ الأكتاف، وفي كذا وكذا. قال: فلمّا هلك أبو بكر وكان عمر كتبه في صَحيفة واحدة، وكانت عنده، فلمّا هلك عمر كانت الصَّحيفة عند حَفْصَة زوج النّبيّ ﷺ.

ورُوي أنّ حَفْصَة لمّا ماتت قَبَض الصَّحيفة عبد الله بن عـمر، فـعزم عـليه مـروان فأخذها منه و شقّها و مزّقها، مخافة أن يكون فيها خلاف ما نسخ عُثمان فيقع الاختلاف.

سبب جمع عُثمان القرآن في مُصْحَف على لغةٍ واحدة و حرف واحد

فإن سأل سائل فقال: ما السّبب الّذي من أجله جمع عُثمان القرآن في مُصْحَف على لُغة واحدة و حرف واحد، و جمع النّاس على ذلك، و خرَّق ما عداه من المصاحف؟

فالجواب: أنّ الرّوايات قد تكرّرت عن ابن شِهاب و غيره أنّ حُذَيْفَة بن اليَمان كان قد حضر في زمن عُثمان ﷺ في فتح أذربيجان و أرمينيّة، فرأى النّاس يختلفون في ألفاظ القرآن اختلافًا شديدًا حتّى كاد أن يكفِّر بعضهم بعضًا. وكان سبب ذلك ما قدّمنا ذكره[2] أنّ أهل كلّ مصر قرأوا على ما أقرأهم الصّاحب الّذي وصل إليهم ليُعلِّمَهم القرآن، والّذين في زمان أبي بكرٍ وعمر، فاختلفوا في قراءاتهم بألفاظ مختلفة في السّمع لا في المعنى وفي السّمع والمعنى[3]، مخالفةً للخطّ و غير مـخالفة، بـزيادةٍ ونـقصٍ[4]، وتـقديمٍ و تأخـيرٍ[5]، و اختلاف حركاتٍ و أبنيةٍ واختلافِ حروفٍ، و وضع حروف في موضع أحرف أُخر.[6]

---

١ ـ باطن الجلد الّذي يلي اللّحم.

٢ ـ انظر الصّفحة :١٦.

٣ ـ كقراءة يسيركم و ينشركم.

٤ ـ وما خلق الذّكر والأُنثى ـ والذّكر بنقص لفظ ما خلق.

٥ ـ فيقتلون بفتح ياء المضارِعة مع بناء الفعل للفاعل في إحدى الكلمتين، وبضمّها مع بناء الفعل للمفعول في الكلمة الأُخرى.

٦ ـ مثل: طَلْح منضود. وطَلع منضود.

وكان ذلك قد تعارف بين الصّحابة على عهد النّبيّ ﷺ على ما قدّمناو بيّنّا فلم يكن يُنْكِر أحدٌ ذلك على أحد لمشاهدتهم من أباح لهم ذلك، و هو النّبيّ ﷺ.

فلمّا انتهى ذلك الاختلاف إلى ما لم يُعاين صاحب الشّرع، ولا عَلِم بما أباح من ذلك أنكر كلّ قوم على آخرين قراءتهم، واشتدّ الخصام بينهم. وقال كلّ فريق: قراءتنا أولى من قراءتكم، فراع ذلك حُذَيفة وأفزعه، فقدم على عُثمان ﷺ فقال: يا أميرالمؤمنين أدرك هذه الأُمّة... **[وذكر كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ، فقال:]**

فلمّا نسخوا المُصْحَف كتبوه في سبع نسخ، وقيل: في خمسٍ، ورواة الأوّل أكثر. و وَجَّه عُثمان إلى كلّ مصر مُصْحَفًا، و حَرَّق ماعدا ذلك من المصاحف.

وقيل: إنّه سخّن الماء لها وألقاها فيه. فعند ذلك اجتمع النّاس في الأمصار على مُصْحَف عُثمان.

وقرأ أهل [كلّ] مصر من قراءتهم الّتي كانوا عليها بما يوافق خطّ المُصْحَف، وتركوا من قراءتهم ما خالف خطّ المُصْحَف، وقد بيّنّا هذا.

قال أنس بن مالك: أرسل عُثمان إلى كلّ جُندٍ من أجنادِ المسلين مُصْحَفًا، و أمرهم أن يحرقوا كلّ مُصْحَف يخالف الّذي أرسل به إليهم.

قال الطَّبَريّ عند ذكره للمُصْحَف: فاستوسقت له الأُمّة... **[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]**

وروى خارجة بن زيد عن أبيه أنّه قال: فَقَدْت يومَ نسختُ المُصْحَف آيةً من سورة الأحزاب، كنت أسمعُ رسول الله ﷺ يقرؤها: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾[1] الآية، فالتمستها فأصبتها مع خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ، ولم أصبها مع غيره، فألحقتُها في سُورتها.

قال المقرئ: قلت: وهذا مبنيٌّ على ما قدَّمْنا من فقده لآخر سورة التّوبة[2] في عهد أبي بكر، أنّهم كانوا يحفظونها لكنّهم أنسوها، فلمّا وجدوها تذكَّروها وأيقنوا بهاوكتبوها، لا

---

١ ـ الأحزاب /٢٣.

٢ ـ الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ...﴾.

أنّهم قبلُوها بشهادة من وجدوها معه، لأنّ غير هذا لايجوز أن يُتَأوَّل.

والدّليل على صحّة ما تأوَّلنا: قول زيد في هذا الخبر: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، فهو شيء سمعه من رسول الله ﷺ و أُنسِيه، فلمّا وجده تذكّر و أيقن به هو وغيره، فكتبوا ذلك بإجماعٍ منهم، لسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ. وكذلك كلّ ما كتبوا و أثبتوا في المُصْحَف.

وكان المُصْحَف إذ كتبوه لم ينقطوه، ولم يضبطوا إعرابه، فتمكّن لأهل كلّ مصر أن يقرءوا الخطّ على قراءتهم الّتي كانوا عليها ممّا لا يخالف صورة الخطّ.

فقرأ قومٌ مُصْحَفهم: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾[١] بالحاءوالباء على ما كانوا عليه، و قرأ الآخرون: «مِنْ كُلِّ جَدَثٍ» بالجيم والثّاء على ما كانوا عليه[٢]، و قرأ قوم: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾[٣] بالصّاد على ما كانوا عليه، و قرأ قوم: «يَقْضُ الْحَقَّ» بالضّاد على ما كانوا عليه.[٤]

وكذلك ما أشبه هذا، لم يخرج أحدٌ في قراءته عن صورة خطّ المُصْحَف.

فهذا سبب جمع المُصْحَف، و سبب الاختلاف الواقع في خطّ المُصْحَف.

قال زيد بن ثابت: القراءة سنّةٌ.

قال إسماعيل القاضي: أحسبه يعني هذه القراءة الّتي جُمعت في المُصْحَف.

وذُكِر عن محمّد بن سيرين أنّه قال: كانوا يَرَوْن أنّ قراءتنا هذه إحداهُنّ بالعَرْضة الآخرة.

ورُوي عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّه قال: لو كنت أنا لصَنَعت في المصاحف ما صَنَع عُثمان.

---

١ ـ الأنبياء /٩٦.

٢ ـ قرأ ابن عبّاس «من كلّ جدث» و هو القبر. (البحر المحيط ٦:٣٣٩).

٣ ـ الأنعام /٥٧.

٤ ـ قرأ «يقصّ الحقّ» نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر، من قصّ الحديث أو الأثر: تتبّعه، وقرأ الباقون بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء (إتحاف فضلاء البشر: ٢٠٩).

باب جامع لمعان ممّا ذكرنا

فإن سأل سائلٌ، فقال: هل جَمَع حفظ القرآن على عهد النّبيّ ﷺ أحدٌ من الصّحابة، فتقوى بذلك الأنفس فيما يقرأونه اليوم؟

فالجواب: أنّه قد اختلف النّاس فيمن جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ.

فقال جماعة: إنّ النّبيّ ﷺ تُوفّي ولم يجمع القرآن إلّا أربعة: أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبل و زيد بن ثابت، و قيل: إنّ معهم عُثمان و تميم الدّاريّ. و قيل: عُثمان، و أبو الدّرداء... [ثمّ ذكر قول ابن عُيَيْنَة والشّعبيّ و أنس كما تقدّم عن ابن سَعْد، فقال:]

و قيل: إنّ أوّل من حفظ القرآن على عهد النّبيّ ﷺ سعدُ بن عُبَيد، و جمعه من الخَزْرج أُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل، و زيد بن ثابت، و أبو الدَّرداء، و أبو زيد.

و قال ابن عبّاس: جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ أربعةٌ: مُعاذ بن جَبَل، و أُبيّ بن كعب، و مُجمِّع بن جارية[1]، وسالمٌ مولى أبي حُذَيْفة.

واختلف في الحرف الّذي كتب عليه المُصْحَف، فقيل: حرفُ زيدِ بن ثابت، و قيل: حرف أُبيّ بن كعب، لأنّه على العَرضَة الآخرة الّتي قرأ بها رسول الله ﷺ، و على الحرف الأوّل أكثر الرُّواة.

و معنى قولنا: حرف زيد، أي قراءته و روايته وطريقته.

ولم يُختَلف في أنّ ابن مسعود لم يكن على عهد النّبيّ ﷺ جمع القرآن كلّه، بل قال: إنّي جمعت منه على عهد النّبيّ بضعًا و سبعين سورة، و تلقّيت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة.

فإن سأل سائل فقال: قد روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل، و سالم مولى أبي حُذَيْفة، و لم يذكر

---

١ ـ في الأصل «حارثة» وهو تصحيف و مُجمِّع بن جارية بن عامر العطاف الأنصاريّ الصّحابيّ، وكان غلامًا حدثًا حين جمع القرآن، وكان أبوه جارية ممّن اتّخذ مسجد الضّرار، وكان مُجمِّع يصلّي بهم فيه، ثمّ أخرَبَهُ النّبيّ ﷺ فلمّا كان زمان عمر كلّم ليصلّي بالنّاس، فقال: لا! أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضّرار، فقال لعمر: والله الّذي لا إله إلّا هو ما علمت بشيءٍ من أمرهم، فتركه فصلّى بهم. مات بالمدينة في خلافة معاوية. (طبقات القُرّاء ح ٢/٤٢).

زيدًا، و أنتم تنتمون في القراءة و جمع المُصْحَف إلى أُبيّ و زيد؟

فالجواب: أنّ هذا الأمر من النّبيّ ﷺ عند العلماء إنّما هو تنبيه منه على قوم كانوا لم يشتهروا في ذلك الوقت بما نسب إليهم النّبيّ ﷺ فنبّه النّبيّ عليهم ليُعْلم ذلك منهم، و ترك ذكر من اشتهر في القرآن، و عرف فضله، ولم يُجْهل قدره وعلمه، كزيد بن ثابت وعليّ بن أبي طالب. (٢٤ـ٦١)

الفصل الخامس عشر

نصّ ابن عطيّة (م: ٥٤١) في تفسيره «المحرّر الوجيز»

في ذكر جمع القرآن

كان القرآن[١] في مدّة رسول الله ﷺ متفرّقًا في صُدُور الرِّجال، وقد كتب النّاس منه في صُحُف، و في جريد، وفي لِخَاف[٢]، و في ظُرَر[٣]، وفي خزف، وغير ذلك. فلمّا استحرّ القتل بالقُرّاء يوم اليَمامَة، أشار عمر بن الخطّاب على أبي بكر الصّدّيق بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأُبيّ، وزيد، وابن مسعود، فيذهب. فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت، فجمعه غير مرتّب السُّوَر بعد تعب شديد منه ﷺ. ورُوي[٤] أنّ في هذا الجمع سقط الآية من آخر براءة حتّى وجدها عند خُزَيْمة بن ثابت.

وحكى الطَّبريّ: أنّه إنّما سقطت له في الجمع الأخير[٥]، والأوّل أصحّ، و هو الّذي حكى البُخاريّ، إلّا أنّه قال فيه: مع أبي خُزَيمة الأنصاريّ، وقال[٦]: إنّه في الجمع الثّاني فقد زيدٌ آيةً من سُورة الأحزاب /٢٣ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾، فوجدها مع خُزَيْمة[٧] بن ثابت،

---

١ ـ انظر عمدة القارئ ٢٠: ١٦.

٢ ـ اللِّخاف: حِجارة بيض رقاق واحدتها لَخفة. انظر اللّسان ١١: ٢٢٧، و تفسير الطّبري ١: ٤٣.

٣ ـ الظُّرَر: الحجر عامَّة، وقيل: هو الحجر المدوّر، وقيل: حجر له حدّ كحدّ السّكين والجمع ظرار، مثل رُطَب ورِطابٌ. انظر اللّسان ٦: ١٨٩، وتفسيرالطّبريّ ١: ٤٣.

٤ ـ انظر عمدة القارئ ٢٠: ١٩.

٥ ـ انظر تفسير الطّبريّ ١: ٢١.

٦ ـ انظر عمدة القارئ ٢١٠: ١٩. والآية من سورة الأحزاب / ٢٣.

٧ ـ خُزَيْمة بن ثابت بن الفاكة الأنصاريّ، من السّابقين الأوّلين، شهد بدرًا وما بعدها، وقيل: أوّل مشاهده أُحد. جعل النّبيّ شهادته بشهادة رجلين، استشهد بصفّين. (الإصابة في تمييز الصّحابة ٢: ١١١).

و بقيت الصُّحُف عند أبي بكر، ثمّ عند عمر بن الخطّاب بعده، ثمّ عند حَفْصَة بنته في خلافة عُثمان، وانتشرت في خلال ذلك صُحُف في الآفاق كتبت عن الصَّحابة كـمُصْحَف ابـن مسعود، و ما كتب عن الصَّحابة بالشّام و مُصْحَف أُبيّ و غير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السّبعة الأحرف الّتي أُنزل القرآن عليها، فلمّا قدِم حُذَيْفة مـن غـزوة أرمـينيّة ـ حسبما قد ذكرناه ـ انتدب عُثمان لجمع المُصْحف، و أمر زيد[1] بن ثابت بجمعه. وقرن بزيد ـ فيما ذكر البُخاريّ ـ ثلاثة من قُرَيش: سعيد بن العاص، وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام، وعبد الله بن الزُّبَيْر، وكذلك ذكر التِّرمِذيّ، وغيرهما.

و **قال الطّبريّ**[2]: فيما روى أنّه قرن بزيد أبان[3] بن سعيد بن العاص وحده، و هـذا ضعيف. و قال الطَّبريّ أيضًا: إنّ الصُّحف الّتي كانت عند حَفْصَة جعلت إمامًا في هذا الجمع الأخير. وروي أنّ عُثمان ﷺ قال لهم[4]: إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بـلُغة قُـريش. فاختلفوا في التّابوه، والتّابوت قرأه زيد بن ثابت بالهاء والقُرشيّون بالتّاء، فأثبته بالتّاء. وكتب المُصْحَف على ما هو عليه غابر الدّهر، ونسخ عُثمان منه نسـخًا ووجّـه بـها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق[5] ـ أو تخرق[6] ـ تروى بالحاء غير منقوطة، وتروى بالخاء على معنى ـ ثمّ تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

قال القاضي أبو بكر بن الطّيّب: و ترتيب السُّور اليوم هو من تلقاء زيد و من كان معه مع مشاركة من عُثمان ﷺ في ذلك. وقد ذكر ذلك مكّيّ ﷺ في تفسير سورة براءة. وذكر أنّ ترتيب الآيات في السُّوَر، ووضع البَسْمَلة في الأوائل، هو من النّبيّ ﷺ، ولمّا لم

---

١ ـ استصغر يوم بدر، و شهد أُحدًا، كتب الوحي للنّبيّ، رَوىٰ عنه جماعة منهم أبو هُرَيْرة توفّي (٤٥هـ)، (الإصابة ٣: ٢٢).

٢ ـ انظر تفسير الطّبريّ ١: ٢١.

٣ ـ له صُحبةٌ، شهد بدرًا مشركًا، أسلم أيّام خيبر، وشهدها مع النّبيّ، توفّي (٢٧هـ) (الإصابة ١: ١٠).

٤ ـ عمدة القاريّ ٢٠: ١٧؛ و تفسير الطّبريّ ١: ٢١.

٥ ـ وهي رواية المَرْزَويّ، قال ابن بَطّال: في هذا الحديث جواز تحريق الكُتُب الّتي فيها اسم الله عَزَّوجَلَّ بالنّار، و أنّ ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام. انظر عمدة القاريّ ٢٠: ١٩.

٦ ـ وهي رواية الأكثرين، أي تدفن وهذا اتّجاه الحنفيّة، فيقولون: إنّ المُصْحَف إذا بلي بحيث لا ينتفع به يدفن في مكان طاهر بعيد عن وطء النّاس. (انظر عمدة القاريّ ٢٠: ١٩)

يأمر بذلك في أوّل براءة تركت بلا بَسْمَلة، هذا أحد ما قيل في براءة. وذلك مستقصىً في موضعه، مُوفىً إن شاءالله تعالى. وظاهر الآثار أنّ السّبع الطُّوال والحواميم والمفصّل كان مرتّبًا في زمن النّبيّ ﷺ، وكان في السُّوَر ما لم يرتّب، فذلك هو الّذي رتّب وقت الكَتْب. (١: ٦٤ـ٦٦)

الفصل السّادس عشر

نصّ الشَّهرستانيّ (م:٥٤٨) في تفسيره «مصابيح الأسرار...»[1]

كيفيّة جمع القرآن

لمّا فرغ المسلمون من أمراليَمامة، واستحرّالقتل هناك بالنّاس و بقُرّاء القـرآن، أمَـر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن، فقام بنَسْخِه يجمعه من الرِّقاع والأكتاف ولِخاف النّخل و صُدور الرِّجال، فلم يتّفق في أيّامه إلّا كتبه على صُحُفٍ متفرّقة.

ثمّ لمّا انتهى إلى عُمر أمَر أن يكتب على صحيفة واحدة، وكانت نسـخة و صُـحُف أبي‌بكر عنده مُدّة طويلة، حتّى مات ثمّ انتقلت[2] إلى بنته حَفْصَة. فلمّا قام بالخلافة عُثمان، اختلف الشّاميّون والعراقيّون في أمرالقرآن، و عند كلّ جماعة صُـحُف يـخالف صُـحُف صاحبها، فبلغ الأمر إلى أن كفَّر بعضها بعضًا. و أنهى الخبر حُذَيفَة بن اليَمان إلى عُثمان بن عَفّان وقال: أدرك هذه الأُمّة... **[وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم٤، ثمّ قال:]**

قال بعض أهل العلم: كم من آيةٍ مثلها قد فقدوها ممّا كـان يـتعلّق بـمناقب أهـل البيت عليهم السلام، إذ الآية المقصودة بذلك في شأن أربعة نفر، عاهدوا الله تعالى على بذل الرّوح في سبيل الله: عبد الله بن حارث بن عبدالمطّلب، و حمزة بن عبدالمطّلب، و جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، و هؤلاء قضوا نَحْبَهم، إذ استشهد عبد الله يوم بدر، و حَمْزة يوم أُحد، و جعفر الطّيّار يوم مُؤته، والمنتظر عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

١ ـ وجدت منه نسخة منسوبة إلى الشّهرستانيّ، ولم يثبت إسناده إليه(م).

٢ ـ في الأصل: (فقام) بدل (حتّى مات ثمّ انتقلت).

وروى شَبَابة عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مُصْعَب بن سعد قال: لمّا كثر اختلاف النّاس في القرآن... [وذكر كما تقدّم عن العاصميّ، ثمّ قال:]

و قد خالفه أُبيّ بن كعب و منعه من مُصْحَفه، وكان يقول: سعيد بن العاص أعرب النّاس ولم يقرأ قطّ على رسول الله ﷺ سورة، ولا قرأ عليه النّبيّ ﷺ سورة.

وخالفه أيضًا عبد الله بن مسعود، و أنكر عليه صُنْعَه بالمصاحف، إذ حرّقها وكان يسمّى مدّةً «مُحَرِّق المصاحف»، حتّى آل الأمر به إلى أن أمر عُثمان غلامًا له، فحمله على عاتقه وضرب به الأرض، فدَقّ أضلاعه و مات من ذلك و هو له على الخلاف. و مُصحَفهما الآن متروكان، و صار الإجماع على ما ألّفه عُثمان، ولم يكن له في الجمع كثير تصرّف، إذ كان الجامع زيد بن ثابت و سعيد بن العاص، و هما ينسخان عمّا كان في يد حَفْصة جمع أبي بكر وعمر، إلّا زيادات قد وجدوها في أيدي النّاس، و قد فقدها أبو بكر وعمر. ثمّ أمر عُثمان بوضع نسخة منها في مسجد المدينة و سمّوها «الإمام».

و أنفذ نسخة إلى مكّة، و نسخة إلى الكوفة، و نسخة إلى البَصْرة، و نُسخة إلى الشّام و نسخة إلى اليمن، و اتّفقوا على أن قالوا: لا قرآن إلّا ما يضمّنه «الإمام».

وروىٰ زِرٌّ بن حُبَيش عن أُبيّ بن كعب، قال له: كم تعدّ آيات سورة الأحزاب؟ قال: قلت: ثلاثًا و سبعين أواثنين و سبعين، قال: قطّ، قلتُ: قطّ، قال: والله لقد كانت توازن سورة البقرة، ولقد كانت فيها آية الرّجم. قال زِرّ: قلت: أبا المنذر و ما آية الرَّجم؟ قال: إذا زنى الشّيخ و الشّيخة فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم.

وكذلك روى سعيد بن المُسَيِّب: أنّ عُمر بن الخطّاب قال في قصّة طويلة: ألّا تغفلوا عن آية الرّجم، فإنّها قد أُنزلت وقرأناها: «الشّيخ والشّيخة إذا زَنيا فارجموهما البتّة نكالاً من اللهِ وَالله عَزِيزٌ حكيم». ولو لا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله أكتبها بيدي.

و قد روى عطاء عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ اَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُـنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1] أنّه كان في هذه السُّورة أسماء سبعين نفرًا من المنافقين بأعيانهم

---

١ ـ التّوبة /٦٤.

وأسمائهم و أسماء آبائهم، ثمّ نُسخ عطفًا على أولادهم. وفيها: «واذكُرن ماتُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والسّنّة». وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود أنّه لم يثبت المعوّذتين في المُصْحَف، و عن أُبيّ بن كعب أنّه أثبت القنوت في المُصْحَف سُورتين.

وكذلك رُوي عن عبد الله بن مسعود أنّه لم يكتب فاتحة الكتاب في مُصْحَفه قبل الٓمٓ، قال: لوكتبتُها في أوّل سُورة البقرة لكتبتُها في أوّل كلّ سُورة، ظنًّا منه أنّها كما هي فاتحة الكتاب فهي فاتحة كلّ سُورة.

وعن أبي العالية و مجاهد قالا: كانت سورة الأحزاب ثلاثمائة آية رفعت كلّها، و منها كان قوله: اللّهمّ عذّب الكفرة، و ألق في قلوبهم الرّعب، وخالف بين كلمتهم، و ذهب منه كثير يوم مُسَيلمة و لم يذهب منه حلال و حرام. وقول عُمربن الخطّاب: أخاف أن استحرّالقتل بالقُرّاء كما استحرّيوم مُسَيْلِمة أن يذهب من القرآن شيء.

و روى سُويد بن عَلْقَمة [أو غَفَلة] قال: سمعت عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) يقول: أيّهاالنّاس اللهالله... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ، ثمّ أضاف:]

قلنا: نعم ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت و سعيد بن العاص فقال: يكتب أحدهما و يملي الثّاني، فلم يختلفا في شيء إلّا في حرف واحد في سورة البقرة، قال أحدهما: «التّابوت»، و قال الآخر: «التّابوه».

وقال عبد الله بن مسعود: «أُعزَل عن المصاحف و قد أخذت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة و زيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الصّبيان»! قيل: و إنّما اختاره عُثمان لأنّه كاتب الوحي، و كان يعرف الأقلام بالعربيّة والعجميّة.

وقد رُوي أنّ عُثمان لمّا نظر في المُصْحَف الّذي كُتِب و فُرِغ منه، قال: أرى فيه لحنًا، و ستقيمه العرب بألسنتها. و ما رُوي عن ابن عبّاس أنّه قرأ: «أَفَلَمْ يتبيّن الّذين آمنُوا»، فقيل له: ﴿اَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[١]، قال: أظنّ أنّ الكاتب كتبها وهوناعس. و قد كانت عائشة تقول في بعض الحروف: إنّها خطأ من الكاتب، فكيف تظنّ بالصّحابة أنّهم يرون

---

١ ـ الرّعد /٣١.

اللّحن والخطأ في المُصْحَف ، فلا يصلحونه و يقولون: ستقيمه العرب بألسنتها؟

والاختلافات في الحروف ممّا لا يعدّ ولا يحصى، فمنها ما هو واقع في الكتبة، و منها ما هوفي اللّفظ، وكيف يصحّ الإجماع مع هذا الاختلاف على أنّ ما بين الدّفّتين كلام الله؟!

و دع هذا كلّه، كيف لم يطلبوا جمع عليّ بن أبي طالب؟ أو ما كان أكتب من زيد بن ثابت؟ أو ما كان أعرب من سَعيد بن العاص؟ أوَ ما كان أقرب إلى رسول الله ﷺ من الجماعة؟ بل تركوا بأجمعهم جمعه، و اتّخذوه مهجورًا و نبذوه ظهريًّا، و جعلوه نسيًا منسيًّا؟ وهو عليه السلام لمّا فرغ من تجهيز رسول الله ﷺ و تغسيله و تكفينه والصّلاة عليه و دفنه، آلى أن لا يرتدي برداءٍ إلّا لجمعة، حتّى يجمع القرآن، إذ كان مأمورًا بذلك أمرًا جزمًا، فجمعه كما أُنزل من غير تحريف وتبديل و زيادةٍ و نُقصانٍ. و قد كان أشار النّبيّ ﷺ إلى مواضع التّرتيب والوضع والتّقديم والتّأخير.

قال ابن حاتم: إنّه وضع كلّ آيةٍ جنب ما يشبهها.

و يُرویٰ عن محمّد بن سيرين أنّه كان كثيرًا ما يتمنّاه، و يقول: لو صادَفْنا ذلك التّأليف لصادَفْنا فيه علمًا كثيرًا. و هذا قيل: إنّه كان في مُصْحَفه المتن و الحواشي و ما يعترض من الكلامين المقصودين، كان يكتبه على العرض و الحواشي.

و يُروى أنّه لمّا فرغ عن جمعه أخرجه هو و غلامه قنبر إلى النّاس و هم في المسجد، يحملانه و ينقلانه، وقيل: إنّه حمل بعير، و قال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله على محمّد ﷺ جمعته بين اللّوحين، فقالوا: ارفع مُصْحَفك، لا حاجة بنا إليه، فقال: والله لا ترونه بعد هذا أبدًا، إنّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته. فرجع به إلى بيته قائلاً: ﴿يَـارَبِّ اِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرآنَ مَهْجُورًا﴾[1]، و تركهم على ما هم عليه كما ترك هارون عليه السلام قوم أخيه موسى بعد إلقاء الحجّة عليهم، و اعتذر عن أخيه بقوله: ﴿إِنِّى خَشِيتُ اَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى

---

١ ـ الفُرقان / ٣٠.

إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[١]، و بقوله: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢]. أفترى يا أخي لو أنصفتني أنّ النّبيّ ﷺ يُوحىٰ إليه مثل هذا القرآن، فيتركه متفرّقًا في الأكتاف والأوراق ولُحاء الشّجر وصُدور الرِّجال، فلا يشير إلى من يثق به إشارة و هو يعلم أنّ مثل ذلك المتفرّق لولم يجمع ذهب مهملاً، و تفرّق النّاس به بعد أن أنزل سببًا لجمع النّاس به واتّباع ما فيه، و قد قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

أو أشار و أمر و عرّف كيفيّة التّرتيب من التّقدّم والتّأخير، فمن الّذي تولّى ذلك على منهاج النّصّ والإشارة؟

و من المعلوم أنّ الّذين تولّوا جمعه كيف خاضوا فيه ولم يراجعوا أهل البيت عليهم السلام في حرف، بعد اتّفاقهم على أنّ القرآن مخصوص بهم، و أنّهم أحد الثّقَلَيْن في قول النّبيّ ﷺ «إنّي تارك فيكم الثّقَلَيْن كتابَ الله وعترتي ـ وفي رواية: أهل بيتي ـ ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا، و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». بلى والله أنّ القرآن محفوظ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]. وأمّا حفظه بحفظ أهل البيت، فإنّهما لايفترقان قطّ، فلا وصل القول ينقطع، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾[٥]، و لا جمع الثّقَلَيْن يفترق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ﴾[٦]. فنُسخته إن كانت عند قوم مهجورة، فهي بحمدالله عند قوم محفوظة مستورة ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾،[٧] ولم ينقل عنه عليه السلام إنكار على ما جمعه الصّحابة (رضوان الله عليهم)، لا كما قال عُثمان: أرى فيه لحنًا وستقيمه العرب، و لا كما قال ابن عبّاس: إنّ الكاتب كتبه وهو

---

١ ـ طه /٩٤.
٢ ـ الأعراف /١٥٠.
٣ ـ الأعراف /٣.
٤ ـ الحجر /٩.
٥ ـ القصص /٥١.
٦ ـ القيامة /١٧.
٧ ـ البروج /٢١ ـ ٢٢.

ناعس، بل كان يقرأ من المُصْحَف ويكتب بخطّه من الإمام، وكذلك الأئمّة من وُلده عليهم السلام يتلُون الكتاب على ما يتلوه، ويُعلِّمُون أولادهم كذلك، والله تعالى أكرم وأمجد من أن يدع كتابه الكريم المجيد على لَحن حتّى تقيمه العرب، بل له ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَايَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَهُمْ بِاَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1]. ولا يستبعد أن يكون لكتابه المُنزل نُسختان لا تختلفان اختلاف التّضادّ، وكلاهما كلام الله عَزَّوجَلَّ، أليس التَّوراة كَتَبها بيده كما ورد به الخبر وعنها نُسخة خاصّة في الألواح، وهي عند الخاصّة من أولاد هارون عليه السلام؟ ومع أنّ اليهود حرّفُوا الكلم عن مواضعه، لم يخرج التّوراة عن صرف كلام الله وآية تقرأ من القرآن، كيف عظّمها وأخبر أنّها ﴿هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾[2] وكذلك الإنجيل كتاب الله وهو أربع نُسخ جمعها أربعة رِجال من الحواريّين، وفيها من الاختلافات ما لايحصى، فليست بكلتيهما كلام الله تعالى وحيًا، بل هي كبعض القرآن من تفسير المفسّرين، أوردها يُوحنّا وباروس ولُوقا ومَتّى، بل فيها فصول هي وحي من الله تعالى، ومع ذلك ذكرها الله تعالى في القرآن على تَبْجيل وتَعْظيم، قال: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ اَنْزَلَ التَّوْرٰيةَ وَالْاِنْجِيلَ﴾[3] فالقرآن الّذي بين أظهرنا كلام الله بين الدّفّتين، محفوظ بحفظ الله عن التّغيير والتّبديل واللّحن والخطأ، فلا كاتبه ناعس، ولا تاليه لاحِنٌ وله قوم يتلونه حقّ تلاوته، ويعرفونه بتأويله وتنزيله، وينفون عنه زيغ الزّائغين وانتحال المُبطلين ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ﴾[4]. (١:٣آ)

١ ـ الأنبياء /٢٦ ـ ٢٧.

٢ ـ المائدة /٤٤.

٣ ـ آل عمران /٣.

٤ ـ آل عمران /٧.

الفصل السّابع عشر

نصّ ابن شهراشوب (م: ٥٨٨) في «متشابه القرآن و مختلفه»

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيٰمة / ١٧

[هذه الآية] دالّ على أنّ الله تعالى جامع للقرآن، و قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]. و أوّل محافظته أن يكون مجموعًا منه تعالى، و قال: ﴿حمٓ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[٢]. ولفظ الكتاب و القرآن يدلّان على كونه مجموعًا منه تعالى، يقال: «كتبتُ الكتيبة، و كتبتُ البَغلة، و كتبتُ الكتاب، و قَريتُ الماء في الحوض، و قرى النّمل، و أُمّ القُرىٰ والقرية، وقد ثبت أنّ النّبيّ ﷺ قرأ القرآن و حصره، و أمر بكَتَبتِهِ على هذا الوجه، و كان يقرأ كلّ سنةٍ على جبرئيل مرّةً إلّا السّنة الّتي قبض فيها، فإنّه قرأ عليه مرّتين.

وإنّ جماعة من الصّحابة ختموا عليه القرآن منهم أُبيّ بن كعب، و قد ختم عليه ابن مسعود عشرختمات، و أنّه ﷺ فضّل كُلّ سُورةٍ و ذَكَر فضل قاريها، ولو لم يكن مجموعًا لما صحّ هذا كلّه.

ثمّ إنّ البُخاريّ روى عن أنس: لم يحفظ القرآن من الصّحابة إلّا أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ و مُعاذ و زيد و أبو زيد، ولم يذكر الثّالث[٣]، فكيف يجمع من لم يحفظ؟

وقيل للحسين بن عليّ عليهما السلام: إنّ فلانًا زاد في القرآن و نقص منه؟ فقال عليه السلام: «أُؤمِنْ بما

---

١ ـ الحِجر /٩.

٢ ـ الدُّخان /١ـ٣.

٣ ـ والرّابع هو أبو زيد وقد ذكره.

نُقِص و اكْفُر بما زاد».

و الصّحيح؛ أنّ كلّ مايُروى في المُصْحَف من الزّيادة إنّما هو تأويل، و التّنزيل بحاله ما نُقِص منه و ما زاد. (٢:٧٧)

نصّه في «مناقب آل أبي طالب»

و من عجب أمره في هذا الباب أنّه لا شيء من العلوم إلّا و أهله يجعلون عليًّا قُدوَة، فصار قوله قبلة في الشّريعة، فمنه سُمِعَ القرآن، ذكر الشّيرازيّ في نزول القرآن و أبو يوسُف يعقُوب في تفسيره عن ابن عبّاس في قوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ كان النّبيّ يحرّك شفتيه عند الوحي ليحفظه. و قيل له: ﴿لاَتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، يعني بالقرآن ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ﴾[1]. قال: ضمن الله محمّدًا أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، قال ابن عبّاس: فجمع الله القرآن في قلب عليّ، و جمعه عليّ بعد موت رسول الله ﷺ بستّة أشهر. (٢:٤٠)

وفي أخبار أبي رافع: أنّ النّبيّ ﷺ قال في مرضه الّذي توفّي فيه لعليّ: يا عليّ هذا كتاب الله خُذه إليك، فجمعه عليّ في ثَوب فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النّبيّ ﷺ جلس عليٌّ فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالمًا.

و حدّثني أبو العلاء العَطّار و الموفّق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن عليّ ابن رَبَاح: أنّ النّبيّ ﷺ أمر عليًّا عليه السلام بتأليف القرآن فألّفه و كتبه.

حَبَلَة بن سُحَيم[2]، عن أبيه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: لو ثُنِي لي الوسادة و عُرِف لي حقّي، لأخرجت لهم مُصْحَفًا كتبته و أملاه عليَّ رسول الله ﷺ.

و رويتم أيضًا: أنّه إنّما أبطأ عليٌّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر لتأليف القرآن.

---

١ ـ القيامة/١٦ـ١٧.

٢ ـ عنونه في التّقريب وضبطه سُهَيْم بمهملتين مصغّرًا، وقال: كوفيّ، ثقة من الثّقات، مات سنة خمس وعشرين بعد المائة.

أبو نُعَيم في الحِلية و الخطيب في الأربعين بالإسناد، عن السُّدّيّ، عن عَبْد خَيْر عن عليّ عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت ـ أو حلفت ـ أن لا أضع رداي عن ظهري حتّى أجمع ما بين اللّوحين، فما وضعت رداي حتّى جمعت القرآن.

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّه آلىٰ أن لا يضع رداءه على عاتِقِه إلّا للصّلاة حتّى يؤلّف القرآن و يجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى أن جمعه، ثمّ خرج إليهم به في إزار يحمله و هم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع التّيه فقالوا: لأمر ماجاء أبو الحَسَن، فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم، ثمّ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي مُخلِّفٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتابَ الله وعترتي أهل بيتي، و هذا الكتاب و أنا العترة، فقام إليه الثّاني فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجّة.

و في خبر طويل عن الصّادق عليه السلام: «أنّه حمله وولّى راجعًا نحو حُجرته و هو يقول: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾،[1] ولهذا قرأ ابن مسعود «إنّ عليًّا جمعه و قرأ به و إذا قرأ فاتّبعوا قراءته»».

فأمّا ما رُوي أنّه جمعه أبو بكر و عُمر و عُثمان، فإنّ أبا بكر أقرّ لمّا التمسوا منه جمع القرآن فقال: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أمرني به؟! ذكره البُخاريّ في صحيحه، و ادّعى عليٌّ: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمره بالتّأليف، ثمّ إنّهم أمروا زيد بن ثابت و سعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام وعبد الله بن الزُّبَير بجمعه، فالقرآن يكون جمع هؤلاء جميعهم. (٢:٤٢ـ٤٣)

---

١ ـ آل عمران /١٨٧.

الفصل الثّامن عشر

نصّ ابن الأثير (م: ٦٣٠) في كتابه: «الكامل في التّاريخ»

ذكر غزو حُذَيفة الباب وأمر المصاحف

وفيها صَرف حُذَيْفة عن غزو الرّيّ إلى غزو الباب مَدَدًا لعبد الرّحمان بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان، وكانوا يجعلون النّاس رِدْءًا، فأقام حتّى عاد حُذَيفة ثمّ رجعا. فلمّا عاد حُذَيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمرًا، لئن ترك النّاس ليختلفُنّ في القرآن ثمّ لا يقومون عليه أبدًا. قال: وما ذاك؟ قال: رأيتُ أُناسًا من أهل حِمْص يزعمون أنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنّهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنّهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البَصْرة يقولون مثل ذلك، وأنّهم قرأوا على أبي موسى، ويسمُّون مُصْحَفه «لُباب القلوب». فلمّا وصلوا إلى الكوفة أخبر حُذَيفة النّاس بذلك وحذّرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله، ﷺ وكثير من التّابعين.

وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حُذَيفة ومن وافقه،وقالوا: إنّما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنّكم على خطإٍ وقال حُذَيفة: والله لئن عشتُ لآتينّ أمير المؤمنين، ولأُشيرنّ عليه أن يحول بين النّاس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرّق النّاس! وغضب حُذَيفة وسار إلى عُثمان فأخبره بالّذي رأى، وقال: أنا النّذير العُريان فأدركوا الأُمّة. فجمع عُثمان الصّحابة وأخبرهم

الخبر، فأعظموه و رأوا جميعًا ما رأى حُذَيفة.

فأرسل عُثمان إلى حَفْصَة بنت عمر: أن أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها. وكانت هذه الصُّحُف هي الّتي كُتبت في أيّام أبي بكر، فإنّ القتل لمّا كثر في الصّحابة يومَ اليَمامة قال عمر لأبي بكر: إنّ القتل قد كثر واستحرّ بقُرّاء القرآن يوم اليَمامة، و إنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقُرّاء فيذهب من القرآن كثير، و إنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت، فجمعه من الرّقاع والعُسُب و صُدورِ الرِّجال، فكانت الصُّحُف عند أبي بكر ثمّ عند عمر، فلمّا توفّي عمر أخذتها حَفْصَة، فكانت عندها.

فأرسل عُثمان إليها [مَنْ] أخذها منها، و أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبَير وسعيد ابن العاص و عبد الرّحمان بن الحَرْث بن هِشام فنسخوها في المصاحف، و قال عُثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قُرَيش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا. فلمّا نسخوا الصُّحُف ردّها عُثمان إلى حَفْصَة، و أرسل إلى كلّ أُفُق بمُصْحَف و حرّق ماسوى ذلك، و أمر أن يعتمدوا عليها و يدعوا ما سوى ذلك. فكلّ النّاس عرف فضل هذا الفعل إلّا ما كان من أهل الكوفة، فإنّ المُصْحَف لمّا قدم عليهم فرح به أصحاب النّبيّ ﷺ و إنّ أصحاب عبد الله و مَن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا النّاس، فقام فيهم ابن مسعود و قال: ولا كلّ ذلك فإنّكم والله قد سبقتم سبقًا بيّنًا فاربعوا على ظَلْعِكم. ولمّا قدم عليٌّ الكوفة قام إليه رجل، فعاب عُثمانَ بجمع النّاس على المُصْحَف، فصاح به وقال: أُسْكُت، فعن ملأٍ منّا فعل ذلك، فلووُلّيتُ منه ما وُلّي عُثمان لسلكتُ سبيله. (٣:١١١)

نصّ ابن الأثير[١] في «جامع الأُصول»

[لم نذكر قوله هنا، لأنّه تقدّم مثله عن البُخاريّ والطَّبريّ]. (٣:٥٣)

---

١ ـ وهو أخو ابن الأثير، المؤرّخ، وابن الأثير، الكاتب.

الفصل التّاسع عشر

نصّ ابن طاوُوس (م: ٦٦٤) في كتابه: «سعد السّعود»[١]

[قول البلخيّ في جمع القرآن]

فيمانذكره من تفسير عبدالله بن أحمد بن محمّد بن محمود المعروف بأبي القاسم البَلخيّ، الّذي سمّى تفسيره «جامع علم القرآن».

ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد»: أنّه قدم بغداد و صنّف بها كتبًا كثيرة في علم الكلام، ثمّ عاد إلى بلخ فأقام بها إلى أن توفّي في أوّل شعبان سنة تسع عشرة و ثلاثمائة. و هذا يقتضي أنّه بقي بعد وفاة الجبّائيّ، فممّا نذكره من الجزء الأوّل منه في أنّ النّبيّ ﷺ جمع القرآن قبل وفاته، و أنكر البَلخيّ قول من قال: إنّ القرآن جمعه أبو بكر وعُثمان بعد وفاة النّبيّ ﷺ، فقال البَلْخيّ: في إنكار ذلك من الوجهة الثّانية من القائمة السّادسة من الكُرّاس الأوّل منه ما هذا لفظه: و أمّا الّذي يدلّ على إبطال قول من يدّعي الزّيادة و النُّقصان، و أنّ النّبيّ لم يجمعه حتّى جمعه أصحابه بعده، و ذكر البَلْخيّ الآيات المتضمّنة بحفظ القرآن، ثمّ قال البَلْخيّ: من الوجهة الأُولى من القائمة السّابعة من الكُرّاس الأوّل ما هذا لفظه: و إنّي لأعجب من أن يقبل المؤمنون قول من زعم أنّ رسول الله ﷺ ترك القرآن الّذي هو حجّته على أُمّته، والّذي تقوم به دعوته والفرائض الّتي جاء بها من عند ربّه، و به يصحّ دينه الّذي بعثه الله داعيًا إليه، مفرّقًا في قطع الحروف ولم يجمعه، ولم يصنه، ولم يحفظه، ولم يحكم الأمر في قراءته، وما يجوز من الاختلاف فيها و مالا يجوز، و في إعرابه، ومقداره،

---

١ - ط: عترت، قُمّ ١٤٢١ق.

و تأليف سُوَره و آيه، هذا لا يتوهّم على رجل من عامّة المسلمين، فكيف برسول ربّ العالمين؟

قلت: أنا والله لقد صدقت وكذا يا بلخيّ من توهّم، أو قال عنه ﷺ إنّه عَرِف أنّه يموت في تلك المَرْضة، وعلم اختلاف أُمّته بعده ثلاثًا و سبعين فرقة، و أنّه يرجع بعده بعضهم يضرب رِقاب بعض، ولم يعيّن لهم على من يقوم مقامه، ولا قال لهم: اختاروا أنتم، حتّى تركهم في ضلالٍ إلى يوم الدّين. هذا لا يعتقد فيه إلّا جاهل بربّ العالمين، و جاهل بسيّد المُرسلين، فإنّ القائم مقامه يحفظ الكتاب، و يقوم بعده لحفظ شرائع المسلمين. و لعَمري إنّ دعواهم: أنّه أهمل تأليف القرآن الشّريف حتّى جمعه بعده سواه بعد سِنين، قوله باطل لا يخفى على العارفين، وهو إنْ صحّ أنّ غيره جمعه بعد أعْوام، يدلّ على أنّ الّذي جمعه رسول الله ﷺ ماالتفت النّاس إليه، و جمع خلاف ما جمعه عليه، هذا إذا صحّ ماقال الجُبّائيّ.

أقول: ثمّ طعن البَلْخيّ في الوجهة الثّانية من القائمة السّادسة من الكُرّاس الثّاني على جماعة من القُرّاء منهم: حَمْزة والكَلْبيّ و أبو صالح وكثير ما روى في التّفسير. ثمّ قال البَلْخِيّ في الوجهة من القائمة الثّالثة من الكُرّاس الثّالث ما هذا لفظه: و اختلف أهل العلم في أوّل آية منها، فقال أهل الكوفة و أهل مكّة: إنّها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و أبى ذلك أهل المدينة و أهل البَصْرة و احتجّوا بأنّها لو كانت آيةً من نفس السّورة لوجب أن تكون قبلها مثلها، ليكون أحدهما افتتاحًا للسُّورة حَسْب الواجب في سائر السُّوَر. والآخرين أوّل آية منها، و ما قالوه عندنا هو الصّواب والله أعلم.

يقول عليّ بن موسى بن طاوُوس: قد تعجّبت ممّن قد استدلّ على أنّ القرآن محفوظ من عهد رسول الله ﷺ و أنّه هو الّذي جمعه، ثمّ ذكر هاهنا اختلاف أهل مكّة والمدينة و أهل الكوفة و البَصْرة، واختار أنّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ليست من السّورة.

و أعجب من ذلك احتجاجه بأنّها لو كانت من نفس السّورة كان قد ذكر قبلها افتتاح لها. فيالله و ياللعجب إذا كان القرآن مصونًا من الزّيادة والنُّقصان ـ كما يقتضيه العقل

و الشّرع ـ كيف يلزم أن يكون قبلها ما ليس فيها؟ أو كيف كان يجوز ذلك أصلاً؟ ولو كان هذا جائزًا لكان في سورة براءة لافتتاحها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كما كنّا ذكرناه من قبل.

هذا و قد ذكر من اختلاف القراءات والمعاني المتضادّات ما يقضى به على نفسه من تحقيق أنّ القرآن محفوظ من عهد صاحب النّبوّة صلى الله عليه وآله، وقد كان ينبغي ـ حيث اختار ذلك واعتمد عليه ـ أن يعيّن على ما أجمع الصّحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ليتمّ له ما استدلّ به وبلغ إليه. (ص:١٩٢)

[جمع عُثمان للقرآن برأي الإمام عليّ عليه السلام]

فيما ذكره من كتاب عليه جزء فيه اختلاف المصاحف، تأليف أبي جعفر محمّد بن منصور، رواية محمّد بن زيد بن مروان، قال في السّطر الخامس من الوجهة الأُولى منه: ما نذكره يتّفق لنا ذكره من معانيه وهو أنّ القرآن جمعه على عهد أبي بكر، زيد بن ثابت، و خالفه في ذلك أُبيّ و عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حُذَيْفَة، ثمّ عاد عُثمان جمع المُصْحَف برأي مولانا عليّ بن أبي طالب. و أخذ عُثمان مُصْحَف أُبيّ وعبد الله بن مسعود و سالم مولى أبي حُذَيفة فغسلها غسلاً، وكتب عُثمان مُصْحَفًا لنفسه، و مُصْحَفًا لأهل المدينة، و مُصْحَفًا لأهل مكّة، و مُصْحَفًا لأهل الكوفة، و مُصْحَفًا لأهل البَصْرة، و مُصْحَفًا لأهل الشّام. (ص:٢٧٨)

الفصل العشرون

نصّ أبي شامَة (م: ٦٦٥) في «المرشدالوَجيز إلى علوم القرآن»

[جمع القرآن في زمن رسول الله ﷺ]

أسند البَيْهقيّ في كتاب «المدخل» و «الدّلائل» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنّا حول رسول الله ﷺ نؤلّف[1] القرآن... **[إلى أن قال:]**

زاد في «الدّلائل»: نؤلّف القرآن من الرِّقاع، ثمّ قال: وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرّقة في سُوَرها، وجمعها فيها بإشارة النّبيّ ﷺ. ثمّ كانت مثبتة في الصُّدور، مكتوبة في الرّقاع واللِّخاف والعُسُب، فجمعها منها في صُحُف بإشارة أبي بكر وعمر، ثمّ نسخ ما جمعه في الصُّحُف في مصاحف بإشارة عُثمان بن عَفّان على ما رسم المُصطفى ﷺ[2].

وأخرج هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله في كتاب «المستدرك»، وقال... **[وذكر كما تقدّم عنه]**.

قال القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب: «الّذي نذهب إليه أنّ جميع القرآن الّذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله هوهذا الّذي بين الدَّفَّتين، الّذي حواه مُصْحَف عُثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه، وأنّه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأنّ بيان الرّسول ﷺ كان بجميعه بيانًا شائعًا ذائعًا وواقعًا على طريقة واحدة، ووجه تقوم به

---

١ ـ نؤلّف هنا بمعنى نجمع.

٢ ـ دلائل النّبوّة ٤: ١٧٤.

الحجّة وينقطع العذر، وأنّ الخلف نقله عن السّلف على هذه السّبيل، وأنّه قد نسخ منه بعض ما كانت تلاوته ثابتة مفروضة، وأنّ ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظّمه الله سبحانه، ورتّبه عليه رسوله من آي السُّوَر، لم يُقدَّم من ذلك مؤخّر، ولا أُخّر منه مقدّم، وأنّ الأُمّة ضبطت عن النّبيّ ﷺ ترتيب آي كلّ سُورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القرآن وذات التّلاوة، وأنّه قد يمكن أن يكون الرّسول ﷺ قد رتّب سُوَره على ما انطوى عليه مُصْحَف عُثمان، كما رتّب آيات سُوَره، ويمكن أن يكون قد وكّل ذلك إلى الأُمّة بعده، ولم يتولّ ذلك بنفسه ﷺ وأنّ هذا القول الثّاني أقرب وأشبه بأن يكون حقًّا على ما سنبيّنه فيما بعد إن شاءالله تعالى، وأنّ القرآن لم يثبت آية على تاريخ نزوله، بل قدّم ماتأخّر إنزاله، وأخّر بعض ما تقدّم نزوله على ما قد وقف عليه الرّسول ﷺ من ذلك»[١]... وساق الكلام إلى آخره في كتاب «الانتصار» للقرآن على كثرة فوائده، ﵀.

قلت: وقد ذكرنا أسماء كُتّاب النّبيّ ﷺ الّذين كانوا يكتبون له الوحي وغيره في ترجمته ﷺ في «تاريخ دمشق» نحو خمسة وعشرين اسمًا، والله أعلم.

وقد أخبرنا شيخنا أبو الحسن في كتاب «الوسيلة» عن شيخه الشّاطبيّ بإسناده إلى ابن وَهْب قال: سمعت مالكًا يقول: إنّما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ[٢]... وذكره أبو عمرو الدّانيّ في كتاب «المقنع».[٣]

في جمع الصّحابة القرآن وإيضاح ما فعله أبو بكر وعُمر وعُثمان

قال البُخاريّ: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا إبراهيم بن سعد، حدّثنا ابن شِهاب عن عُبَيد بن السَّبّاق: أنّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة[٤]... [وذكر

---

١ ـ كتاب الانتصار ١: ٤.

٢ ـ الوسيلة: ٣.

٣ ـ المقنع: ٨.

٤ ـ أي من قتل باليَمامة من أصحاب رسول الله ﷺ في وقعة مُسَيْلمة، لمّا ادّعى النّبُوّة وقوي أمره بعد وفاة النّبيّ ﷺ في سنة ١٢هـ.

كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢].

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا إبراهيم، حدّثنا ابن شِهاب: أنّ أنس بن مالك حدّثه: أنّ حُذَيفة بن اليَمان قدم على عُثمان بن عَفّان... [وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب عن خارجة بن زيد، كما تقدّم عن صاحب العاصميّ، فقال:]

قلت: و خُزَيمة هذا غير أبي خُزَيْمة الّذي وجد معه الآيتين آخر «سورة براءة»، ذاك أبو خُزَيْمة بن أوس بن زيد من بني النّجّار، شهد بدرًا و ما بعدها، وتُوفّي في خلافة عُثمان، وهذا خُزَيْمة بن ثابت بن الفاكِه من الأوس، شهد أُحدًا و ما بعدها، و قُتل يوم صِفّين، وقيل غير ذلك. و معنى قوله: «فقدت آية كذا فوجدتها مع فلان...» أنّه كان يتطلّب نسخ القرآن من غير ما كتب بأمر النّبيّ ﷺ، فلم يجد كتابة تلك الآية مع ذلك الشّخص، وإلّا فالآية كانت محفوظة عنده و عند غيره، و هذا المعنى أولى ممّا ذكره مكّيّ و غيره: أنّهم كانوا يحفظون الآية، لكنّهم أنسوها فوجدوها في حفظ ذلك الرّجل، فتذاكروها وأثبتوها لسماعهم إيّاها من النّبيّ ﷺ[١].

وفي كتاب أبي عُبَيْد: أنّه وجد خاتمة «براءة» مع خُزَيمة بن ثابت و آية «الأحزاب» مع خُزَيمة أو أبي خُزَيمة، وزاد: فلمّا كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حَفْصَة أُمّ المؤمنين يسألها الصُّحُف ليمزّقها، و خشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضًا، فمنعته إيّاها... [ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب بسنده عن سالم بن عبد الله و رواية عبد الرّحمان عن شُعبة، كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٨ و ١٦].

و حدّثنا عبد الرّحمان عن شُعْبة عن عَلْقَمة بن مَرْثَد عن رجل عن سُوَيد بن غَفَلة قال: قال عليّ (رضوان الله عليه): لو وُلّيت لفعلت في المصاحف الّذي فعل عُثمان. وفي رواية أُخرى: لو وُلّيت من أمر المصاحف ما وُلّي عُثمان لفعلت ما فعل عُثمان.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا وَكيع عن سُفيان، عن السُّدّيّ عن عبد خير، قال: قال

١ ـ انظر: الإبانة: ٢٥، وفي حاشية ل: «قلت: ويؤكّد الرّدّ على مكّيّ قول زيد: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها».

عليّ يرحم الله أبا بكر، هو أوّل من جمع ما بين اللّوحين.[١] وفي رواية عنه: أعظم النّاس أجرًا في المصاحف أبو بكر...[٢]

وفي رواية: يرحم الله عُثمان، لو كنت أنا لصنعت في المصاحف ما صنع عُثمان، أخرجه البَيْهَقيّ في «المدخل».

وفي كتاب أبي بكر عبدالله بن أبي داود عن هِشام بن عُرْوة عن أبيه... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم٦].

قال الشّيخ أبو الحسن في كتاب «جمال القُرّاء»: و معنى هذا الحديث والله أعلم ـ من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الّذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وإلّا فقد كان زيد جامعًا للقرآن.

قال: ويجوز أن يكون معناه: من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله تعالى، أي من الوجوه السّبعة الّتي نزل بها القرآن، ولم يزد على شيء ممّا لم يقرأ أصلاً، ولم يعلم بوجه آخر[٣].

وفي كتاب ابن أبي داود أيضًا عن أبي العالية: أنّهم جمعوا القرآن في مُصْحَف في خلافة أبي بكر... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٧].

قال الشّيخ أبو الحسن: «كان أُبيّ يتتبّع ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ في اللّخاف والأكتاف والعُسُب و نحو ذلك، لا لأنّ القرآن العزيز كان معدومًا. و أمّا قوله: و صُدور الرّجال ـ يعني في الحديث السّابق ـ فإنّه كتب الوجوه السّبعة الّتي نزل بها القرآن. فكان يتتبّعها من صُدور الرّجال ليحيط بها علمًا، و دليل ذلك أنّه كان عالمًا بالآيتين اللّتين في آخر «براءة»، ثمّ لم يقنع بذلك حتّى طلبها وسأل عنها غيره فوجدها عند خُزَيمة، وإنّما طلبها من غيره مع علمه بها، ليقف على وجوه القراءات، والله أعلم.[٤]

---

١ ـ المصنّف ٢:١٦٣.

٢ ـ انظر: كتاب المصاحف: ٥.

٣ ـ جمال القُرّاء: ٢٣.

٤ ـ نفس المصدر: ٢٤.

قلت: إنّما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النّبيّ ﷺ، ولم يكتبوا من حفظهم، لأنّ قراءتهم كانت مختلفة لمّا أُبيح لهم من قراءة القرآن على سبعة أحرف على ما سيأتي تفسيرها، والله أعلم... [ثمّ ذكر رواية أبي طاهر و ابن وَهْب و مالك وابن شِهاب عن سالم و خارجة بن زيد، في جمع أبي بكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٨].

و عن أبي إسحاق عن مُصْعب بن سعد قال: سمع عُثمان قراءة أُبيّ و عبد الله و مُعاذ، فخطب النّاس ثمّ قال... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم١ ٤ ثمّ قال:]

قلت: كذا في كتاب ابن أبي داود[1]، و في تسمية مُعاذ هنا نظر، فإنّ مُعاذاً توفّي قبل ذلك في طاعون عِمْواس[2] في خلافة عمر، و لعلّ قراءته بقيت بعده عند أصحابه، فسمعها عُثمان منهم.

و أخرج هذا الحديث الحافظ البَيْهقيّ في كتاب «المدخل» بمخالفة لهذا في بعض الألفاظ و بزيادة و نُقصان فقال: جلس عُثمان على المنبر...[و ذكر كما تقدّم عن العاصميّ].

قال البَيْهقيّ: فيه انقطاع بين مُصْعَب و عُثمان، و قد روينا عن زيد بن ثابت أنّ التّأليف كان في زمن النّبيّ ﷺ، و روينا عنه أنّ الجمع في الصُّحُف كان في زمن أبي بكر، والنُّسخ في المصاحف كان في زمن عُثمان، وكان ما يجمعون و ينسخون معلومًا لهم، فلم يكن به حاجة إلى مسألة البيّنة.

قلت: لم تكن البيّنة على أصل القرآن، فقد كان معلومًا لهم كما ذكر، وإنّما كانت على ما أحضروه من الرِّقاع[3] المكتوبة، فطلب السّنّة عليها أنّها كانت كتبت بين يدي رسول الله ﷺ و بإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه، ولهذا قال: فليملِ سعيد،

---

١ ـ كتاب المصاحف: ٢٤.

٢ ـ عمواس: بكسر أوّله و سكون الثّاني، أو فتح أوّله و ثانيه، وهي كورة من فلسطين بالقُرب من بيت المَقدِس. كان ابتداء الطّاعون فيها في أيّام عمر بن الخطّاب في سنة ١٨هـ وقيل: مات فيه خمسة و عشرون ألفًا من المسلمين، فيهم مُعاذ ابن جَبَل (انظر: معجم البلدان ٦:٢٢٥).

٣ ـ الرِّقاع: جمع رُقعة، وقد يكون من جلد أو ورق أو كاغذ (عمدة القارئ ٩:٣٠٤).

يعني من الرِّقاع الّتي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتجّ زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه.

فإن قلت: كان قد جمع من الرِّقاع في أيّام أبي بكر، فأيّ حاجة إلى استحضارها في أيّام عُثمان؟

قلت: يأتي جواب هذا في آخر الباب.

و ذكر أبو عمرو الدّانيّ في كتاب «المقنع» أنّ عُثمان قال: يا أصحاب محمّد، اجتمعوا فاكتبوا للنّاس إمامًا يجمعهم، قال: وكانوا في المسجد فكثروا، فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون: إنّه أقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فُلان بن فُلان، و هو على رأس أميال من المدينة، فيبعث إليه فيجيء، فيقولون: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا و كذا؟ فيقول: كذا، فيكتبون كما قال[1] والله أعلم. **[إلى أن قال:]**

قال البَيْهقيّ في كتاب «المدخل»: واعلم أنّ القرآن كان مجموعًا كلّه في صُدُور الرّجال أيّام حياة رسول الله ﷺ، و مؤلّفًا هذا التّأليف الّذي نشاهده و نقرأه إلّا «سورة براءة»، فإنّها كانت من آخر ما نزل من القرآن، ولم يبيّن رسول الله ﷺ لأصحابه موضعها من التّأليف حتّى خرج من الدّنيا، فقرنها الصّحابة (رضي الله عنهم) بـ«الأنفال». وبيان ذلك في حديث ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان رضي الله عنه: ماحملكم... **[و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١].**

قال البَيْهَقيّ: و فيما رويناه من الأحاديث المشهورة في ذكر من جمع القرآن من الصَّحابة على عهد رسول الله ﷺ ثمّ ما روينا عن زيد بن ثابت: كنّا حول رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن، ثمّ ما رويناه في كتاب «السُّنَن» أنّ رسول الله ﷺ قرأ في صلاة كذا بسورة كذا، دلالة على صحّة ما قلناه، إلّا أنّه كان مثبتًا في صُدور الرِّجال، مكتوبًا في الرِّقاع واللِّخاف والعُسُب، و أمر أبو بكر الصّدّيق حين استحرّ[2] القتل بقُرّاء القرآن يوم اليَمامة

١ ـ المقنع: ٧.

٢ ـ انظر: السُّنن الكُبرى ٢: ٤١ وما بعدها.

بجمعه من مواضعه في صُحُف، ثمّ أمر عُثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى مصاحف مع بذل المجهود في معارضة ما كان في الصُّحُف [و] بما كان مثبتًا في صُدور الرِّجال، و ذلك كلّه بمشورة من حضره من علماء الصَّحابة (رضي الله عنهم)، و ارتضاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحمد أثره فيه، والله يغفر لنا ولكم...

فمنها: قال زيد: فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ لو اجتمعت أنا و عمر جميعًا، فقال أبو بكر لعمر، فقال عمر: نعم، فانطلق بنا فخرجنا، حتّى جلسنا على باب المسجد الّذي يلي موضع الجنائز فجلسنا، و جعل النّاس يأتون بالقرآن، منهم من يأتي به في الصّحيفة، و منهم من يأتي به في العُسُب حتّى فرغنا من ذلك. و في رواية: فقال أبو بكر لزيد: قم فاقعد على باب المسجد، فكلّ من جاءك بشيء من كتاب الله عَزَّ وجَلَّ تنكره فاطلب منه شاهدين، ثمّ قال: يا عمر، قم فكن مع زيد، قال عمر: فقمنا حتّى جلسنا على باب المسجد، فأرسلت إلى أُبيّ بن كعب فجاء، فوجدنا مع أُبيّ كتبًا مثل ما وجدنا عند جميع النّاس.

و منها: أنّ عمر بن الخطّاب جعل يذكر قتلى اليَمامة و ما أُصيب من المسلمين، و أنّ القتل يومئذ استحرّ بأهل القرآن، ثمّ يقول: جعل مناد ينادي: يا أهل القرآن، فيجيبون المنادي فرادىٰ و مثنى، فاستحرّ بهم القتل، فرحم الله تلك الوجوه، لو لا ما استدرك خليفة رسول الله ﷺ من جمع القرآن لخفت أن لا يلتقي المسلمون و عدوّهم في موضع، إلّا استحرّ القتل بأهل القرآن... [و ذكر كما تقدّم نحوه عن البُخاريّ الرّقم ١ و٢].

قال القاضي أبو بكر: و من تأمّل مجيء هذه الأخبار وألفاظها علم و تيقّن أنّ أمر القرآن كان بينهم ظاهرًا منتشرًا، و أنّ حُفّاظه إذ ذاك كانوا في الأُمّة عددًا عظيمًا و خَلقًا كثيرًا. قال: و روى موسى بن عُقْبة عن ابن شِهاب أنّه قال: إنّ المسلمين لمّا أُصيبوا باليَمامة فزع أبو بكر عليه السلام إلى القرآن، و خاف أن تهلك منه طائفة، وإنّما كان في العُسُب والرِّقاع، فأقبل النّاس بما كان معهم و عندهم، حتّى جمع على عهد أبي بكر عليه السلام فكتبوه في الورق و جمعوه فيه، و قال أبو بكر: التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم: كان

الحبشة يدعونه المُصْحَف. قال: فكان أبو بكر أوّل من جمع القرآن في المُصْحَف.

وعن أسلم مولى عمر قال: اختلف النّاس في القرآن، فجعل الرّجل يلقى الرّجل في مغزاته فيقول: معي من القرآن ما ليس معك، أقرأني أُبيّ بن كعب كذا وكذا، ويقول هذا: أقرأني عبد الله بن مسعود كذا وكذا، فلمّا رأى ذلك عُثمان شاور فيه أهل القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ، فرأوا أن يجمعوه في مُصْحَف واحد. ثمّ يفرّق في البِلاد مُصْحَفًا مُصْحَفًا، ثمّ تحرق سائر الصُّحُف. فدعا عُثمان ﵁ أربعة نفر، ثلاثة من قُريش ورجلاً من الأنصار: عبد الله بن الزُّبَير وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام وسعيد بن العاص وزيد بن ثابت فقال: انسخوه. فنسخوه على هذا التّأليف، وقال: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على ما تقولون أنتم، فإنّ القرآن أُنزل على لسان قُريش، فنسخوا القرآن في مُصْحَف واحد حتّى فرغوا منه، ثمّ نسخ من ذلك المُصْحَف مصاحف، فبعث إلى كلّ بلد مُصْحَفًا، وأمرهم بالاجتماع على هذا المُصْحَف.

وروى يحيى بن عبد الله بن أبي قَتادة عن موسى بن جُبَير: أنّ عُثمان بن عَفّان دعا أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن العاص، فقال لأُبيّ: إنّك كنت أعلم النّاس بما أُنزل على النّبيّ ﷺ، كنت تقرئ في زمانه، وكان عمر بن الخطّاب يأمر النّاس بك، فأملِ على هؤلاء القرآن في المصاحف، فإنّي أرى النّاس قد اختلفوا، قال: فكان أُبيّ يملي عليهم القرآن، وزيد بن ثابت وسعيد بن العاص ينسخان.

قال القاضي: وقد وردت الرّواية أنّ عُثمان لمّا أراد أن يجمع المُصْحَف خطب فقال... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٤٠].

قال القاضي: فهذا الخبر يقضي بأنّ سعيدًا قد كان ممّن يملي المُصْحَف، ولا يمتنع أن يملّه سعيد ويملّه أيضًا أُبيّ، فيحتاج إلى أُبيّ لحفظه وإحاطته علمًا بوجوه القراءات المنزلة الّتي يجب إثبات جميعها، وأن لا يطرح شيء منها، ويجب نصب سعيد بن العاص لموضع فصاحته وعلمه بوجوه الإعراب وكونه أعربهم لسانًا، قال: وقد قيل: إنّ سعيدًا كان أفصح النّاس وأشبههم لهجة برسول الله ﷺ؛ وليس يجب أن تتعارض هذه الأخبار،

لأنّه قد ذكر في كلّ واحد منها مُمل غيرالّذي ذكر في غير لأنّه لا يمتنع أن ينصب لإملائه قوم فُصَحاء، حُفّاظ يتظاهرون على ذلك، و يذكر بعضهم بعضًا، و يستدرك بعضهم ما لعلّه يسهو عنه غيره، و هذا من أحوط الأُمور و أحزمها في هذا الباب.

قال: و قد ذكر في بعض الرّوايات أنّ الّذي نصبه عُثمان لإملاء المُصْحَف أبان بن سعيد بن العاص، والسّيرة تشهد بأنّ ذلك غلط، لأنّ أهلها قد رووا أنّ أبان بن سعيد متقدّم الموت، و أنّه قد هلك قبل جمع عُثمان المُصْحَف بزمان طويل، و أنّه قُتل بالشّام في وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة، و إنّما المنصوب لإملاء المُصْحَف الّذي أقامه عُثمان لذلك سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، و هو ابن أخي أبان بن سعيد بن العاص.

و نقلت من كتاب «شرح السُّنّة» الّذي سمعناه على القاضي أبي المجد محمّد بن الحسين القزوينيّ بسماعه من الإمام أبي منصور محمّد بن أسعد بن محمّد حفدة الطُّوسيّ بسماعه من لفظ المصنّف الفقيه الإمام محيي السُّنّة أبي محمّد الحسين بن مسعود البَغويّ رحمه الله، قال: الصَّحابة (رضي الله عنهم) جمعوا بين الدّفّتين القرآن الّذي أنزله الله على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئًا، والّذي حملهم على جمعه ما جاء بيانه في الحديث، وهو أنّه كان مفرّقًا في العُسُب واللِّخاف وصُدُور الرِّجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ﷺ، ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم، و أمر بجمعه في موضع واحد باتّفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدّموا شيئًا أو أخّروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، و كان رسول الله ﷺ يلقّن أصحابه و يعلّمهم ما ينزل عليه من القرآن على التّرتيب الّذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إيّاه على ذلك، و إعلامه عند نزول كلّ آية أنّ هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا، وروي معنى هذا عن عُثمان رضي الله عنه.

و قال سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس: لم يكن النّبيّ ﷺ يعلم ختم السُّورة حتّى ينزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا أُنزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنّ السُّورة قد

ختمت، فثبت أنّ سعي الصَّحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإنّ القرآن مكتوب في اللّوح المحفوظ على التّرتيب الّذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جُملةً واحدةً في شهر رمضان ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا، ثمّ كان ينزّله مفرّقًا على رسول الله ﷺ مدّة حياته عند الحاجة و حدوث ما يحدث على ما يشاء الله عزّوجَلَّ، و ترتيب النّزول غير ترتيب التّلاوة، و كان هذا الاتّفاق من الصّحابة سببًا لبقاء القرآن في الأُمّة رحمة من الله عزّوجَلَّ لعباده، و تحقيقًا لوعده في حفظه على ما قال جَلَّ ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

ثمّ إنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقرأون بالقراءة الّتي أقرأهم رسول الله ﷺ، ولقّنهم بإذن الله عَزَّ وجَلَّ، إلى أن وقع الاختلاف بين القُرّاء في زمن عُثمان وعظم الأمر فيه، و كتب النّاس بذلك من الأمصار إلى عُثمان، و ناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة و تدارك النّاس قبل تفاقم الأمر، وقدِم حُذَيْفة بن اليَمان من غزوة أرمينيّة، فشافهه بذلك، فجمع عُثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار، و شاورهم في جمع القرآن على حرف واحد، ليزول بذلك الخلاف و تتّفق الكلمة، فاستصوبوا رأيه، وحضّوه عليه، و رأوا أنّه من أحوط الأُمور للقرآن، فاستحضر الصُّحُف من عند حَفْصَة، و نسخها في المصاحف، و بعث بها إلى الأمصار...

و روي عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ قال: كانت قراءة أبي بكر و عمر و عُثمان و زيد ابن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرأون قراءة العامّة، و هي القراءة الّتي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرّتين في العام الّذي قُبض فيه، وكان عليّ ؑ طول أيّامه يقرأ مُصْحَف عُثمان، و يتّخذه إمامًا، ويقال: إنّ زيد بن ثابت شهد العَرْضَة الأخيرة الّتي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، و هي الّتي بيّن فيها ما نسخ و ما بقي.

قال أبو عبد الرّحمان السُّلَميّ: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الّذي توفّاه الله فيه مرّتين، و إنّما سمّيت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنّه كتبها

---

١ ـ الحِجْر/٩.

لرسول الله ﷺ. وقرأها عليه، و شهد العَرْضَة الأخيرة، وكان يقرئ النّاس بها حتّى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر و عمر في جمعه، و ولّاه عُثمان كتب المصاحف، رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: و معنى قول عُثمان ﷺ: «إنّ القرآن أُنزل بلسان قُريش» أي معظمه بلسانهم، فإذا وقع الاختلاف في كلمة فوضعها على موافقة لسان قُريش أولى من لسان غيرهم. أو المراد: نزل في الابتداء بلسانهم، ثمّ أُبيح بعد ذلك أن يقرأ بسبعة أحرف، و قول ابن عبّاس (رضي الله عنهما): «لم يكن النّبيّ ﷺ يعلم ختم السُّورة حتّى تنزل البَسْمَلة»، يعني به ـ والله أعلم ـ وقت عرض النّبيّ ﷺ القرآن على جبريل ﷺ، فكان لا يزال يقرأ في السُّورة إلى أن يأمره جبريل بالتّسمية، فيعلم أنّ السُّورة قد انقضت، و عبّر النّبيّ ﷺ بلفظ النُّزول، إشعارًا بأنّها قرآن في جميع أوائل السُّوَر فيه، و يجوز أن يكون المراد بذلك أنّ جميع آيات كلّ سُورة كان ينزل قبل نزول البَسْمَلة، فإذا كملت آياتها نزّل جبريل البَسْمَلة، و استعرض السُّورة، فيعلم النّبيّ ﷺ أنّ السُّورة قد ختمت، لم يبق يلحق بها شيء.

واعلم أنّ حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدّمة و ما صرّحت به أقوال الأئمّة أنّ تأليف القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النّبيّ ﷺ بإذنه وأمره، وأنّ جمعه في الصُّحُف خشية دُثوره بقتل قُرّائه كان في زمن أبي بكر ﷺ وأنّ نسخه في مصاحف حملًا للنّاس على اللّفظ المكتوب حين نزوله بإملاء المنزل إليه ﷺ و منعًا من قراءة كلّ لفظ يخالفه كان في زمن عُثمان ﷺ، وكأنّ أبابكر كان غرضه أن يجمع القرآن مكتوبًا مجتمعًا غير مفرّق على اللّفظ الّذي أملاه رسول الله ﷺ على كتبة الوحي ليعلم ذلك، ولم يكل ذلك إلى حفظ من حفظه خشية فنائهم بالقتل، ولاختلاف لُغاتهم في حفظهم على ما كان أُبيح لهم من قراءته على سبعة أحرف على ما ستأتي معانيها في الباب الثّالث، فلمّا ولّي عُثمان، وكثر المسلمون، و انتشروا في البلاد، وخيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم لاختلاف لغاتهم، حملهم عُثمان على ذلك اللّفظ الّذي جمعه زيد في زمن أبي بكر، وبقي ما عداه ليجمع النّاس على قراءة القرآن على وفق ما نزل على محمّد ﷺ، ولا يكثر فيه

التّصرّف، فيتفاحش تغيّره، و تنمحق ألفاظه المنزلة. ولهذا قال أبو مَجْلِز لاحق بن حميدﷺ ـ وهو من جُلّة تابعي البَصْرة ـ يرحم الله عُثمان، لو لم يجمع النّاس على قراءة واحدة، لقرأ النّاس القرآن بالشّعر..

فقد اتّضح بما ذكرناه معنى ما فعله كلّ واحد من الإمامين أبي بكر و عُثمان (رضي الله عنهما)، و تبيّن أنّ قصد كلّ واحد منهما غير قصد الآخر، فأبو بكر قصد جمعه في مكان واحد، ذُخرًا للإسلام يرجع إليه إن اصطلم والعياذ بالله قُرّاؤه، و عُثمان قصد أن يقتصر النّاس على تلاوته على اللّفظ الّذي كتب بأمر النّبيّﷺ ولا يتعدّوه إلى غيره من القراءات الّتي كانت مباحة لهم، المنافية لخطّ المُصْحَف من الزّيادة والنُّقصان وإبدال الألفاظ على ما سيأتي شرحه.

و ذكر أبو عمرو الدّانيّ في كتابه «المُقنع» عن هِشام بن عُرْوَة عن أبيه، أنّ أبا بكر أوّل من جمع القرآن في المصاحف، و عُثمان الّذي جمع المصاحف على مُصْحَف واحد[1]...[ثمّ استشهد أبيات من الشّعر نقلاً عن الشّاطبيّ، و إن شئت فراجع، فذكر عقيبه قول أبي حاتم السِّجستانيّ في رقم مصاحف عُثمان كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥٣ و ٥٥، ثمّ قال:]

قال أبو عمرو الدّانيّ في كتاب «المقنع»: أكثرالعلماء على أنّ عُثمانﷺ لمّا كتب المُصْحَف جعله على أربع نسخ: فوجّه إلى الكوفة إحداهنّ، و إلى البَصْرة أُخرى، و إلى الشّام الثّالثة، و احتبس عند نفسه واحدة.

و قال أبو محمّد مكّيّﷺ في آخر كتاب «الكشف»: «ذكر إسماعيل القاضي... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قلت: و قد سبق ذلك، فيكون على هذا قد كتبه زيد ثلاث مرّات في أيّام الأئمّة الثّلاثة(رضي‌الله عنهم)، وهذه رواية غريبة، إلّا أنّ ظاهر القصّة يدلُّ على صحّتها، لأنّ اختصاص آل عُمر بالصّحيفة بعد عُمر دلّ على أنّه كان كتبها لنفسه، ولو كانت هي الّتي

---

١ ـ المقنع: ٨.

كتبت في زمن أبي بكر لما اختصّ بها آل عُمر، والله أعلم.

وقد حكى القاضي أبو بكر في كتاب «الانتصار» خلافًا في أنّ أبابكر جمع القرآن بين لوحين أو في صُحُف و أوراق متفرّقة، و بكلّ معنى من ذلك قد وردت الآثار. وقيل: كتبه أوّلًا في صُحُف و مدارج نسخت و نقلت إلى مصاحف جعلت بين لوحين، و قيل: معنى قول عليّ: «أبو بكر أوّل من جمع القرآن بين اللّوحين»، أي جمع القرآن الّذي هو الآن بين اللّوحين، وكان هذا أقرب إلى الصّواب جمعًا بين الرّوايات. وكأنّ أبابكر رضي الله عنه كان جمع كلّ سُورة أو سُورتين أو أكثر من ذلك في صَحيفة على قدر طول السُّورة و قصرها. فمن ثمّ قيل: إنّه جمع القرآن في مُصْحَف، ونحو ذلك من العبارات المشعرة بالتّعدّد، ثمّ إنّ عُثمان رضي الله عنه نسخ من تلك الصُّحُف مُصْحَفًا جامعًا لها، مرتّبةً سورة سُورة على هذا التّرتيب، ويدلّ على ذلك ظاهر حديث يزيد الفارسيّ[1] عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «براءة» و «الأنفال» فقرنتم بينهما؟ الحديث[2]، فإنّه يدلّ على أنّ لعُثمان في جمعه القرآن بعد أبي بكر تصرُّفًا ما، وهو هذا، فأبو بكر جمع آيات كلّ سورة كتابة لها من الأوراق المكتوبة بين يدي النّبيّ ﷺ بإملائه، وهو على وفق ما كان محفُوظًا عندهم بتأليف النّبيّ ﷺ، وعُثمان جمع السُّوَر على هذا التّرتيب في مُصْحَف واحد، ناسخًا لها من صُحُف أبي بكر... (٤٤ ـ ٧٤).

---

١ ـ هو يزيد الفارسيّ البَصْريّ، و ترجمته في: تهذيب التّهذيب ١١: ٣٧٤.

٢ ـ انظر: السُّنَن الكُبرى ٢: ٤٢؛ و سُنَن أبي داود ١: ٢٩٠.

الفصل الحادي والعشرون

نصّ القُرطُبيّ (م: ٦٧١) في تفسيره: «الجامع لأحكام القرآن»

جمع القرآن

وسبب كتب عُثمان المصاحف وإحراقه ما سواها وذكر من حفظ القرآن من الصَّحابة في زمن النّبيّ ﷺ

كان القرآن في مدّة النّبيّ ﷺ متفرّقًا في صُدور الرِّجال، وقد كتب النّاس منه في صُحُف وفي جريدٍ وفي لِخافٍ وظُرَرٌ وفي خَزَفٍ وغير ذلك.

قال الأصمعيّ: اللِّخاف: حِجارة بيض رِقاق، واحدتها لَخْفة. والظُّرَر: حَجَرٌ له حدّ كحدّ السِّكّين، والجمع ظِرارٌ؛ مثل رُطَبٌ ورِطابٌ، ورُبَعٌ ورِبَاعٌ، وظِران أيضًا مثل: صُرَد وصِردان.

فلمّا استحرّ القتل بالقُرّاء يوم اليَمامة في زمن الصِّدّيق ﵁ وقتل منهم في ذلك اليوم فيما قيل: سبعمائة، أشار عمر بن الخطّاب على أبي بكر الصِّدّيق بجمع القرآن، مخافة أن يموت أشياخ القُرّاء، كأُبيّ وابن مسعود وزيد، فَنَدَبا زيد بن ثابت إلى ذلك، فجمعه غير مرتّب السُّوَر بعد تعب شديد.

روى البُخاريّ عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة... **[وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢].**

وقال التِّرْمِذيّ في حديثه عنه: فوجدت آخر سُورة براءة مع خُزَيمة بن ثابت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ...﴾ [إلى آخر الآية] قال: حديث حسن صحيح.

وفي البُخاريّ عن زيد بن ثابت قال: لمّا نسخنا الصُّحُف... [إلى أن قال:] قال التِّرمِذيّ عنه: فقدت آية من سُورة الأحزاب... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ، الرّقم ٤ ثمّ قال:]

قلتُ: فسقطت الآية الأُولى من آخر (براءة) في الجمع الأوّل، على ما قاله البُخاريّ والتِّرمِذيّ، و في الجمع الثّاني فُقِدت آية من سُورة الأحزاب. و حكى الطَّبَريّ أنّ آية (براءة) سقطت في الجمع الأخير، والأوّل أصحّ، والله أعلم.

فإن قيل: فما وجه جمع عُثمان النّاس على مُصْحَفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك و فرغ منه؟ قيل له: إنّ عُثمان لم يقصد بما صنع جمع النّاس على تأليف المُصْحَف، ألا ترى كيف أرسل إلى حَفْصة: أن أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك، على ما يأتي. وإنّما فعل ذلك عُثمان لأنّ النّاس اختلفوا في القراءات بسبب تفرّق الصّحابة في البُلدان، و اشتدّ الأمر في ذلك و عظُم اختلافهم و تشبّثهم، و وقع بين أهل الشّام والعراق ما ذكره حُذَيفة ﷺ. و ذلك أنّهم اجتمعوا في غَزْوة أرمينيّة، فقرأت كلّ طائفة بما رُوي لها، فاختلفُوا و تنازعُوا، و أظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه و تلاعنوا فأشفق حُذَيفة ممّا رأى منهم، فلمّا قدِم حُذَيفة المدينة ـ فيما ذكر البُخاريّ والتِّرمِذيّ ـ دخل إلى عُثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأُمّة قبل أن تهلك! قال: في ماذا؟ قال: في كتاب الله، إنّي حضرت هذه الغَزْوَة، و جمعتُ نـاسًا من العراق والشّام والحجاز، فوصف له ما تقدّم و قال: إنّي أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنّصارى.

قُلت: وهذا أدلّ دليلٍ على بطلان من قال: إنّ المراد بالأحرف السّبعة قراءات القُرّاء السّبعة، لأنّ الحقّ لا يختلف فيه، و قد روى سُوَيْد بن غَفَلة عن عليّ بن أبي طالب أنّ عُثمان قال: ما ترون في المصاحف؟... [و ذكر كما تقدّم بعضه عن العاصميّ و بعضه عن البُخاريّ، ثمّ قال:]

وكان هذا من عُثمان بعد أن جمع المُهاجرين والأنصار و جُلّة أهل الإسلام

وشاورهم في ذلك، فاتّفقوا على جمعه بما صحّ وثبت في القراءات المشهورة عن النّبيّ ﷺ واطّراح ما سواها،واستصوبوا رأيه، وكان رأيًا سديدًا موفّقًا، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال الطَّبريّ فيما رَوى: إنّ عُثمان قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص وحده، وهذا ضعيف، وما ذكره البُخاريّ والتِّرمِذيّ وغيرهما أصحّ.

وقال الطَّبريّ أيضًا: إنّ الصُّحُف الّتي كانت عند حَفْصَة جُعِلت إمامًا في هذا الجمع الأخير، وهذا صحيح.

وقال ابن شِهاب: وأخبرني عُبَيد الله بن عبد الله: أنّ عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٣٢].

قال أبو بكر الأنباريّ: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعُمر وعُثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلّا لأنّ زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وَعاه كلّه ورسول الله ﷺ حيّ، والّذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيّف وسبعون سورة، ثمّ تعلّم الباقي بعد وفاة الرّسول ﷺ. فالّذي ختم القرآن وحفَظَه ورسول الله ﷺ حيّ أولى بجمع المُصْحَف وأحقّ بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يظنّ جاهل أنّ في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود، لأنّ زيدًا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبًا لتقدمته عليه، لأنّ أبابكر وعمر (رضي الله عنهما) كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرًا منهما ولا مساويًا لهما في الفضائل والمناقب.

قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نَتَجه الغضب، ولا يعمل به ولا يُؤخذ به ولا يُشكّ في أنّه ﷺ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عُثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم. فالشّائع الذّائع المتعالَم عند أهل الرّواية والنّقل: أنّ عبد الله بن مسعود تعلّم بقيّة القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد قال بعض الأئمّة: مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن.

قال يزيد بن هارون: المعوّذتان بمنزلة البقرة و آل عمران، من زعم أنّهما ليستا من القرآن فهو كافر بالله العظيم، فقيل له: فقول عبد الله بن مسعود فيهما؟ فقال: لاخلاف بين المسلمين في أنّ عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كلّه.

قلت: هذا فيه نظرٌ، سيأتي.

وروى إسماعيل بن إسحاق وغيره، قال حَمّاد: أظنّه عن أنس بن مالك، قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون: أقرأها رسول الله ﷺ فُلان بن فُلان، فعسى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال، فيُرسل إليه فيُجاءَ به، فيقال: كيف أقرأك رسول الله آية كذا و كذا؟ فيكتبون كما قال.

قال ابن شِهاب: و اختلفوا يومئذ في التّابوت، فقال زيد: التّابوه، وقال ابن الزُّبَير وسعيد بن العاص: التّابوت، فرفع اختلافهم إلى عُثمان، فقال: اكتبوه بالتّاء، فإنّه نزل بلسان قُريش. أخرجه البُخاريّ والتِّرمِذيّ.

قال ابن عَطِيّة: قرأه زيدٌ بالهاء، والقُرشيّون بالتّاء، فأثبتوه بالتّاء، وكُتبت المصاحف على ما هو عليه غابرالدّهر، و نَسخ منها عُثمان نُسَخًا.

قال غيره: قيل: سبعة، و قيل: أربعة، وهو الأكثر، ووجّه بها إلى الآفاق، فوجّه للعراق والشّام ومصر بأُمّهات، فاتّخذها قُرّاء الأمصار معتمد اختياراتهم، ولم يخالف أحد منهم مُصْحَفه على النّحو الّذي بلغه، و ما وجد بين هؤلاء القُرّاء السّبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم فذلك، لأنّ كلًّا منهم اعتمد على ما بلغه في مُصْحَفه و رواه، إذ قد كان عُثمان كتب تلك المواضع في بعض النّسخ ولم يكتبها في بعض، إشعارًا بأنّ كلّ ذلك صحيح، و أنّ القراءة بكلّ منها جائزة. قال ابن عطيّة: ثمّ إنّ عُثمان أمر بما سواها من المصاحف أن تُحرَق أو تُخرَق، تروى بالحاء غير منقوطة، و تروى بالخاء على معنى ثمّ تدفن، و رواية الحاء غير منقوطة أحسن.

وذكر أبو بكر الأنباريّ في كتاب الرّدّ عن سُوَيد بن غَفَلة قال: سمعت عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) يقول: يا معشر النّاس، اتّقوا الله! و إيّاكم والغُلُوّ في عُثمان، وقولكم:

حرّاق المصاحف، فوالله ما حرّقها إلّا عن ملأ منّا أصحاب محمّد ﷺ وعن عُمَير بن سعيد قال: قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: لو كنت الوالي وقت عُثمان لفعلت في المصاحف مثل الّذي فعل عُثمان.

قال أبوالحسن بن بَطّال: وفي أمر عُثمان بتحريق الصُّحُف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب الّتي فيها أسماء الله تعالى، وأنّ ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام وطرحها في ضياع من الأرض.

روى مَعْمَر عن ابن طاوُوس عن أبيه: أنّه كان يحرق الصُّحُف إذا اجتمعت عنده الرّسائل فيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وحرّق عُرْوَة بن الزُّبَيْر كُتُب فقه كانت عنده يوم الحَرّة، وكره إبراهيم أن تحرق الصُّحُف إذا كان فيها ذكر الله تعالى، وقول من حرّقها أولى بالصَّواب، وقد فعله عُثمان.

وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأُمّة: جائز للإمام تحريق الصُّحُف الّتي فيها القرآن، إذا أدّاه الاجتهاد إلى ذلك.

فصل

وقد طعن الرّافضة[1] في القرآن، وقالوا: إنّ الواحد يكفي في نقل الآية والحرف كما فعلتم، فإنّكم أثبتّم بقول رجلٍ واحد وهو خُزَيمة بن ثابت وحده آخر سورة «براءة»، وقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾.

فالجواب الأوّل ـ أنّ خُزيمة ﷺ لمّا جاء بهما تذكّرهما كثير من الصَّحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة التّوبة. ولو لم يعرفهما لم يدر هل فَقَدَ شيئًا أوْ لا؟ فالآية إنّما ثبتت بالإجماع لا بخُزَيمة وحده.

الجواب الثّاني ـ إنّما ثبتت بشهادة خُزَيمة وحده لقيام الدّليل على صحّتها في صفة النّبيّ ﷺ فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية «الأحزاب»، فإنّ تلك ثبتت

[1] ـ لو أراد بالرّافضة الشّيعة الإماميّة، فلم يطعن منهم في القرآن، سوى شِرذِمة من الحشويّة والأخباريّة انقرضوا(م).

بشهادة زيد وأبي خُزَيمة لسماعهما إيّاها من النّبيّ ﷺ قال معناه المهلّب، و ذكر أنّ خُزَيمة غير أبي خُزَيمة، وأنّ أبا خُزَيمة الّذي وجدت معه آية التّوبة معروف من الأنصار، وقد عرفه أنس وقال: نحن ورثناه، والّتي في الأحزاب وجدت مع خُزَيمة بن ثابت فلا تعارض، والقصّة غير القصّة لا إشكال فيها ولا التباس. و قال ابن عَبْد البرّ: «أبو خُزَيمة لا يوقف على صحّة اسمه، وهو مشهور بكُنيته، وهو أبو خُزَيمة بن أوس بن زيد بن أصْرَم بن ثَعْلَبة بن غُنْم بن مالك بن النَّجّار، شهد بدرًا و ما بعدها من المشاهد، و توفّي في خلافة عُثمان بن عَفّان، وهو أخو مسعود بن أوس».

قال ابن شِهاب عن عُبَيْد بن السَّبّاق عن زيد بن ثابت: وجدتُ آخر التَّوبة مع أبي خُزَيْمة الأنصاريّ و هو هذا، وليس بينه و بين الحارث بن خُزَيْمة نسب إلّا اجتماعهما في الأنصار، أحدهما أوسيّ والآخر خَزرجيّ.

و في مُسلم والبُخاريّ عن أنس بن مالك قال: جمع القرآن... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١١ و ١٢، ثمّ قال:]

وفي أُخرى قال: مات أبو زيد ولم يترك عقبًا، وكان بدريًّا، واسم أبي زيد سَعْد بن عُبَيْد.

قال ابن الطّيّب: لا تدلّ هذه الآثار على أنّ القرآن لم يحفظه في حياة النّبيّ ﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار، كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطُّرق المتواترة أنّه جمع القرآن عُثمان و عليّ و تَميم الدّاريّ و عُبَادَة بن الصَّامِت و عبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنّه لم يجمع القرآن و أخَذَه تَلْقينًا مِن في رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة، فإنّ أكثرهم أخذ بعضه عنه و بعضه من غيره، وقد تظاهرت الرّوايات بأنّ الأئمّة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النّبيّ ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، و إعظام الرّسول ﷺ لهم.

قلتُ: لم يذكر القاضي، عبد الله بن مسعود وسالمًا مولى أبي حُذَيفة (رضي الله عنهما) فيما رأيت، و هما ممّن جمع القرآن. روى جَرِير عن عبد الله بن يزيد الصّهبانيّ عن كُمَيل

قال: قال عمر بن الخطّاب: «كنت مع رسول الله ﷺ و معه أبو بكر و من شاء الله، فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلّي، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا الّذي يقرأ القرآن»؟ فقيل له: هذا عبد الله بن أُمّ عَبْد، فقال: «إنّ عَبْد الله يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل» الحديث.

قال بعض العُلماء: «معنى قوله: «غَضًّا كما أُنزل» أي أنّه كان يقرأ الحرف الأوّل الّذي أُنزل عليه القرآن دون الحروف السّبعة الّتي رخّص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبرئيل عليه السلام القرآن إيّاه في كلّ رمضان».

و قد روى وكيع و جماعة معه عن الأعْمش عن أبي ظَبيان قال: قال لي عبد الله بن عبّاس: «أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأُولى، قراءة ابن أُمّ عَبْد، فقال لي: بل هي الآخِرة، إنّ رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العام الّذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرّتين، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ من ذلك و ما بدّل».

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر و قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خُذُوا القرآن من أربعة: من ابن أُمّ عبد ـ فبدأ به ـ و مُعاذ بن جَبَل، و أُبيّ بن كَعْب، و سالم مولى أبي حُذَيفة».

قلت: هذه الأخبار تدلّ على أنّ عبد الله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدّم، والله أعلم.

وقد ذكر أبو بكر الأنباريّ في كتاب الرّدّ: حدّثنا محمّد بن شهريار، حدّثنا حسين بن الأسود، حدّثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: قرأت مِن في رسول الله ﷺ اثنين و سَبْعين سورة ـ أو ثلاثًا و سبعين سورة ـ و قرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]. قال أبو إسحاق: و تعلّم عبد الله بقيّة القرآن من مُجمِّع بن جارية الأنصاريّ.

قلت: فإن صحّ هذا، صحّ الإجماع الّذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره

١ ـ آية ٢٢٢ من السُّورة المذكورة.

القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب مع من جمع القرآن و حفظه في حياة النّبيّ ﷺ، والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباريّ: حدّثني إبراهيم بن موسى[١] الخُوزيّ، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا مالك بن إسماعيل، حدّثنا زُهَير عن أبي إسحاق قال: سألت الأسود: ما كان عبد الله يَصنع بسُورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتّى قدِم الكوفة، قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبد الله بن مسعود (رحمةالله عليه) قبل أن يتعلّم المُعوّذتين، فلهذه العلّة لم توجدا في مُصْحَفه، و قيل غير هذا على ما يأتي بيانه آخر الكتاب عند ذكر «المُعوَّذَتين» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: و الحديث الّذي حدّثناه إبراهيم بن موسى، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عمر بن هارون الخُراسانيّ، عن ربيعة بن عُثمان، عن محمّد بن كَعْب القُرَظيّ قال: كان ممّن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حيّ؛ عُثمان بن عَفّان و عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنّما هو مقصور على محمّد بن كَعْب، فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعوّل عليه.

قلت: قوله ﷺ: «خُذوا القرآن من أربعة: من ابن أُمّ عَبْدٍ» يدلّ على صحّته، و ممّا يبيّن لك ذلك أنّ أصحاب القراءات من أهل الحجاز و الشّام والعراق كلٌّ منهم عَزا قراءته الّتي اختارها إلى رجل من الصَّحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئًا، فأسند عاصم قراءته إلى عليّ و ابن مسعود، و أسند ابن كَثير قراءته إلى أُبيّ، و كذلك أبوعمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أُبيّ، و أمّا عبد الله بن عَامِر فإنّه أسند قراءته إلى عُثمان، و هؤلاء كلّهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ و أسانيد هذه القراءات متّصلة و رجالها ثقات. قاله الخَطّابيّ.

ما جاء في ترتيب سُوَر القرآن و آياته

قال ابن الطَّيِّب: إن قال قائل: قد اختلف السَّلف في ترتيب سُوَر القرآن، فمنهم من

---

١ ـ كذا في الأُصول، والّذي في التّهذيب وغيره: ابن يزيد.

كتب في مُصْحَفه السُّوَر على تاريخ نزولها، و قدّم المكّيّ على المدنيّ، و منهم من جعل في أوّل مُصْحَفه الحمد، و منهم من جعل في أوّله: ﴿اِقْرَا بـاسْمِ رَبِّكَ﴾، و هـذا أوّل مُـصْحَف عليّ عليه السلام و أمّا مُصْحَف ابن مسعود فإنّ أوّله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثمّ البقرة ثمّ النّساء، على ترتيب مختلف. و مُصْحَف أُبيّ كان أوّله: الحمدلله، ثمّ النّساء ثمّ آل عمران ثمّ الأنعام ثمّ الأعراف ثمّ المائدة، ثمّ كذلك على اختلاف شديد.

قال القاضي أبو بكر بن الطّيّب: فالجواب بأنّه يحتمل أن يكون ترتيب السُّوَر على ما هي عليه اليوم في المُصْحَف كان على وجه الاجتهاد من الصّحابة. و ذكر ذلك مكّيّ رحمه الله في تفسير سُورة «براءة»، و ذكر أنّ ترتيب الآيات في السُّوَر و وضع البَسْملة في الأوائل هو من النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ولمّا لم يأمر بذلك في أوّل سُورة «براءة» تُركت بلا بَسْمَلة، هذا أصحّ ما قيل في ذلك، و سيأتي.[1]

وذكر ابن وَهْب في جامعه قال: سمعت سُلَيمان بن بَلال يقول: سمعت ربيعة يُسأل: لِم قُدّمت البقرة و آل عمران، وقد نزل قبلهما بضع و ثمانون سورة و إنّما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدِّمتا وأُلّف القرآن على عِلمٍ ممّن ألّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا ممّا ننتهي إليه، ولانسأل عنه.

و قد ذكر سُنَيْد قال: حدّثنا مُعْتَمِر عن سَلّام بن مِسكين عن قَتادة قـال: قـال ابـن مسعود: «من كان منكم متأسّيًا فليتأسّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّهم كانوا أبرّ هذه الأُمّة قلوبًا، وأعمقها علمًا، و أقلّها تكلُّفًا، و أقومها هَدْيًا، و أحسنها حالًا، اختارهم الله لصحبة نبيّه صلى الله عليه وسلم و إقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، و اتّبعوهم في آثارهم، فإنّهم كانوا على الهُدَى المستقيم».

وقال قوم من أهل العلم: إنّ تأليف سُوَر القرآن على ما هو عليه في مُصْحَفنا كان عن توقيف من النّبيّ صلى الله عليه وسلم و أمّا ما روي من اختلاف مُصْحَف أُبيّ و عليّ و عبد الله فإنّما كان قبل العرض الأخير، و إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رتّب لهم تأليف السُّوَر بعد أن لم يكن فعل ذلك.

---

١ ـ راجع ٨: ٦١.

روى يونس عن ابن وَهْب قال: سمعتُ مالكًا يقول: إنّما أُلّف القرآن على ما كانُوا يسمعونه من رسول الله ﷺ.

وذكر أبو بكر الأنباريّ في كتاب الرّدّ: «أنّ الله تعالى أنزل القرآن جملةً إلى سَماء الدّنيا، ثمّ فرّق على النّبيّ ﷺ في عشرين سنة، وكانت السُّورة تنزل في أمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر يسأل، ويوقف جبريلُ رسولَ الله ﷺ على موضع السُّورة والآية، فاتّساق السُّوَر كاتّساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمّد خاتم النّبيّين ﷺ، عن ربّ العالمين، فمن أخّر سُورة مقدّمة، أو قدّم أُخرى مؤخّرة فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغيّر الحروف والكلمات، ولا حجّة على أهل الحقّ في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة، لأنّ رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا التّرتيب، وهو كان يقول: «ضعوا هذه السُّورة موضع كذا وكذا من القرآن». وكان جبريل ﷺ يقف على مكان الآيات».

حدّثنا حسن بن الحَبَاب، حدّثنا أبو هِشام، حدّثنا أبو بكر بن عَيَّاش عن أبي إسحاق عن البَراء قال: [... وذكر كما تقدّم عن العاصميّ، ثمّ قال:]

قال أبو الحسن بن بَطّال: «ومن قال بهذا القول لا يقول: إنّ تلاوة القرآن في الصّلاة والدّرس يجب أن تكون مرتّبةً على حسب التّرتيب الموقَف عليه في المُصْحَف، بل إنّما يجب تأليف سُوَره في الرّسم والخطّ خاصّة، ولا يُعلم أنّ أحدًا منهم قال: إنّ ترتيب ذلك واجب في الصّلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنّه لا يحلّ لأحد أن يتلقّن الكهف قبل البقرة ولا الحجّ قبل الكهف، ألاترى قول عائشة (رضي الله عنها) للّذي سألها: لا يضرّك أيّة قرأت قبل، وقد كان النّبيّ ﷺ يقرأ في الصّلاة السّورة في ركعة، ثمّ يقرأ في ركعة أُخرى بغير السّورة الّتي تليها».

وأمّا ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنّهما كرها أن يُقرأ القرآن منكوسًا، وقالا: ذلك منكوس القلب، فإنّما عَنِيَا بذلك من يقرأ السّورة منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أوّلها، لأنّ ذلك حرام محظور، ومن النّاس من يتعاطى هذا في القرآن والشّعر، ليُذلّل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ، وهذا حظره الله تعالى ومنعه في القرآن، لأنّه إفساد لسُوَره

و مخالفة لما قصد بها.

و ممّا يدلّ على أنّه لا يجب إثباته في المصاحف على تاريخ نزوله ما صحّ وثبت أنّ الآيات كانت تُنزَّل بالمدينة فتوضَع في السّورة المكّيّة، ألاترى قول عائشة (رضي الله عنها): و ما نزلت سورة البقرة والنّساء إلّا و أنا عنده ـ تعني بالمدينة ـ وقد قدّمتا في المُصْحَف على ما نزل قبلهما من القرآن بمكّة، ولو ألّفوه على تاريخ النّزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السُّوَر.

قال أبو بكر الأنباريّ: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضيّ، حدّثنا حَجّاج بن مِنهال، حدّثنا هَمّام عن قَتادة قال: «نزل بالمدينة من القرآن البقرة، و آل عمران، و النّساء، والمائدة، والأنفال، و براءة، والرّعد، والنّحل، والحجّ، والنُّور، والأحزاب، و محمّد، والفتح، والحُجُرات، والرّحمٰن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصّف، والجُمُعة، والمنافقون، والتّغابُن، والطّلاق، و يا أيّها النّبيّ لم تُحرّم إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله. هؤلاء السُّوَر نزلن بالمدينة، و سائر القرآن نزل بمكّة».

قال أبو بكر: «فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السُّوَر على منازلها بمكّة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة، لاختلاف النّاس في موضع نزولها، و يضطرّ إلى تأخير الآية الّتي في رأس خمس و ثلاثين و مائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، و من أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردّ على محمّد ﷺ ما حكاه عن ربّه تعالى».

(١: ٤٩ـ٦٢)

الفصل الثّاني والعشرون

نصّ الخَازِن (م: ٧٢٥) في تفسيره «لُباب التّأويل»

جمع القرآن

عن زيد بن ثابت قال: بعث إليّ أبو بكر لمقتل أهل اليَمامة... **[إلى أن قال :]** عن أنس: أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قدم على عُثمان وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة... **[و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١، ٢، ٤، ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب عن خارجة بن زيد، كما تقدّم عن العاصميّ، فقال :]**

قال في رواية ابن اليَمان مع خُزَيمة بن ثابت الّذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجُلين: زاد في رواية قال ابن شِهاب: اختلفوا يومئذٍ في التّابوت، فقال زيد: «التّـابوه»، و قال عبد الله بن الزُّبَير و سعيد بن العاص: «التّابوت» فرفع اختلافهم إلى عُثمان، فـقال: اُكتبوه «التّابوت» فإنّه بلسان قُريش. [شرح غريب ألفاظ الحديثين و ما يتعلّق بهما].

قوله: (بعث إليّ أبو بكر لمقتل أهل اليَمامة) أي لأوان قتلهم، و أراد به الوقعة الّتي كانت باليَمامة في زمن أبي بكر الصّدّيق و هي وقعة الرِّدّة مع أصحاب الرِّدّة، فقتل فيها خلق كثير من قُرّاء القرآن، واليَمامة: مدينة باليمن على يَوْمين من الطّائف، وعلى أربعة أيّام من مكّة، ولها عمائر، وهي في عداد أرض نجد.

قوله: (استحرّ القتل) أي كثر، و يُنسب المكروه إلى الحرّ، والمـحبوب إلى البَـرْد، و شرح الصّدر سعته وقبوله الخير.

قول: (فتتبّعت القرآن أجمعه من الرِّقاع) جمع رُقْعة، وهي ما يكتب فيها، والعُسُب

بضمّ العين والسّين المُهملتين: جمع عَسيب، و هو جريد النّخل وسَعْفه، واللِّخاف: حِجارةٌ بيض رقاق، واحدته لَخفة.

قوله: (يغازي أهل الشّام) أي مع أهل الشّام، في فتح إرمينيّة: بكسر الهمزة و تخفيف الياء لاغير، سمّيت بـ(إرمين بن لَمَطى بن لُومن بن يافث بن نوح) وهو أوّل ما نزل بها، سمّيت باسمه، و أذربيجان: بفتح الهمزة و سكون الذّال و غير ذلك في ضبطها.

وقال ابن جنّي: فيها خمسة موانع من الصّرف: التّعريف، والتّأنيث، و العجمة، و التّركيب والألف والنّون، وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة.

قوله: (حتّى وجدت آخر سُورة التّوبة) أو مع أبي خُزَيمة الأنصاريّ، و في الحديث الآخر: فقدت آية من سورة الأحزاب إلى قوله: فوجدناها مع خُزَيمة بن ثابت ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾.

فاعلم أنّ المذكور في الحديث الأوّل غير المذكور في الحديث الثّاني، وهما قضيّتان، فأمّا المذكور في الحديث الأوّل فهو أبو خُزَيمة بن أوس بن زيد بن أصْرَم بن ثَعْلَبَة بن عمر بن مالك بن النّجّار الأنصاريّ، شهد بدرًا و ما بعدها، و تُوفّي في خلافة عُثمان، وهوالّذي وجدت عنده آخر سُورة التّوبة، كذا ذكره ابن عَبْدالبرّ. وأمّا المذكور في الحديث الثّاني فهو أبو عَمّارة خُزَيمة بن ثابت بن الفاكِه بن ثَعْلبة بن ساعِدَة الخطميّ الأوسيّ الأنصاريّ، يعرف بذي الشّهادتين، شهد بدرًا و ما بعدها، و قُتِل يوم صِفّين مع عليّ بن أبي طالب.

قوله: (فقدت آية من سُورة الأحزاب...) معناه أنّه يتطلّب نسخ القرآن من الأصل الّذي كتب بأمرالنّبيّ ﷺ وبين يديه، فلم يجد تلك الآية إلّا مع خُزَيْمة، وليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد، لأنّ زيدًا كان قد سمعها من رسول الله ﷺ فوضعها من سورة الأحزاب بتعليم رسول الله ﷺ كما صرّح به الحديث: قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، و تتبّعه الرّجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم، لأنّ القرآن كان محفوظًا عند زيد و غيره من الصّحابة...[ثمّ ذكر رواية أنس و رواية التِّرمِذيّ عن ابن مسعود كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤،

فقال:]

فثبت بمجموع هذه الأحاديث أنّ القرآن كان على هذا التّأليف والجمع في زمن رسول الله ﷺ، و إنّما ترك جمعه في مُصْحَف واحد لأنّ النّسخ كان يرد على بعضه و يرفع الشّيء بعد الشّيء من التّلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه، فلم يجمع في مُصْحَف واحد، ثمّ لو رفع بعض تلاوته أدّى ذلك إلى الاختلاف و اختلاط أمرالدّين، فحفظ الله كتابه في القلوب إلى انقضاء زمن النّسخ، ثمّ وفّق لجمعه الخلفاء الرّاشدين. وثبت بالدّليل الصّحيح أنّ الصّحابة إنّما جمعوا القرآن بين الدّفّتين... [وذكركما تقدّم عن أبي شامَة]. (١:٧ـ٨)

الفصل الثّالث والعشرون

نصّ ابن الوَرْديّ (م: ٧٤٩) في «تاريخه»

في عهد أبي بكر

... وفي أيّامه أيضًا (قتل مُسَيلِمة الكذّاب)، أرسل أبو بكر خالدًا بجيش فقاتل مُسَيْلِمة، وهزم مُسَيْلِمة ومن معه، وقتله وحشيّ بالحربة الّتي قتل بها حمزة بشركة رجل من الأنصار.

قلت: لمّا عُزِّي رسول الله بحمزة حين قتله وحشيّ بأُحد، قال بعضهم: ويل لوحشيّ من النّار، فقالﷺ: أمّا حمزة فأجله قد انقضى، وأمّا وحشيّ فسوف يدرك الشّرف من بعده، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: هو يقتل مُسَيْلِمة الكذّاب، فكان كما قالﷺ. كان مقام مُسَيلِمة باليَمامة، وقدم على النّبيّﷺ في وفد بني حنيفة فأسلم، ثمّ ارتدّ وادّعى النّبوّة استقلالاً، ثمّ مشاركة مع النّبيّﷺ.

وقتل في قتاله جماعة من القُرّاء من المهاجرين والأنصار، فلذلك أمر أبو بكر باتّفاق من عليّ بن أبي طالب وسائر الصّحابة (رضي الله عنهم) بجمع القرآن في مُصْحَف واحد، وترك عند حَفْصَة زوج النّبيّﷺ.

فائدة

قلت: قال الشّيخ محيي الدّين النَّوَويّ في كتاب «التّبيان في آداب حملة القرآن»: إنّ القرآن العزيز كان مؤلّفًا في زمن النّبيّﷺ على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعًا في مُصْحَف واحد، بل كان محفوظًا في صُدُور الرّجال، فكان طوائف من

الصّحابة يحفظونه كلّه، وطوائف يحفظون أبعاضًا منه، فلمّا كان زمن أبي بكر الصّـدّيق وقتل كثير من حملة القرآن، كتبه في مُصْحَف و جعله في بيت حَفْصَة، والله أعلم.

ولمّا كان زمن عُثمان ﷺ ورأى اختلاف النّاس في القراءات، كتب من ذلك المكتوب الّذي عند حَفْصَة الّذي أجمعت الصّحابة عليه مصاحف، وأرسلها إلى الأمصار وأبطل ما سواها، و ذلك باتّفاق منه و من عليّ بن أبي طالب وسائر الصّحابة(رضي الله عنهم).

في عهد عُثمان

(ثمّ دخلت سنة ثلاثين)، فيها بلغ عُثمان ما وقع في أمر القـرآن، وإنّ أهـل العـراق يقولون: قراءتنا أصحّ لأنّا قرأنا على أبي موسى، وأهل الشّام يقولون: قراءتنا أصحّ لأنّا قرأنا على المقداد، وكذلك غيرهم. فحمل النّاس باتّفاق الصّحابة على المُصْحَف الّـذي كتب زمن أبي بكر و أودع عند حَفْصَة(رضي الله عنها)، و نسخ منه مصاحف للأمـصار، تولّى نسخها بأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزُّبَير وسعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام المخزوميّ، وقال عُثمان: إذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش، فإنّما نزل القرآن بلسانهم. (۱۸۹ـ۲۰۲)

الفصل الرّابع والعشرون

نصّ ابن كَثير (م: ٧٧٤) في «فضائل القرآن»

جمع القرآن

قال البُخاريّ: حدّثنا موسى بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن سَعْد، ثنا ابن شِهاب عن عُبَيْد بن السَّبَّاق: أنّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة... [وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ١ ثمّ قال:]

وقد روى البُخاريّ هذا في غير موضع من كتابه، ورواه الإمام أحمد والتِّرمِذيّ والنَّسائيّ من طُرق عن الزُّهْريّ به. وهذا من أحسن وأجلّ وأعظم ما فعله الصّدّيق، فإنّه أقامه الله تعالى بعد النّبيّ ﷺ مقامًا لاينبغي لأحدٍ من بعده، قاتل الأعداء من مانعي الزّكاة والمرتدّين والفُرس والرُّوم ونفذ الجُيُوش، وبعث البُعُوث والسَّرايا، وردّ الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرّقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرّقة حتّى تمكّن القارئ من حفظه كلّه. وكان هذا من سرّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. فجمع الصّدّيق الخير وكفّ الشّرور، ﷺ وأرضاه، ولهذا رُوي عن غير واحد من الأئمّة منهم وَكيع وابن زيد وقَبيصَة عن سُفيان الثُّوريّ... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم٢ ثمّ قال:]

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب «المصاحف»: حدّثنا هارون بن إسحاق، ثنا عبدة عن هِشام عن أبيه: أنّ أبا بكر ﷺ هو الّذي جمع القرآن بعد النّبيّ ﷺ يقول: ختمه،

---

١ ـ الحِجْر/٩.

صحيح أيضًا.

وكان عُمر بن الخطّاب ﷺ هو الّذي تنبّه لذلك لما استحرّ القتل بالقُرّاء، أي اشتدّ القتل وكثر في قُرّاء القرآن يوم اليَمامة، يعني يوم قِتال مُسَيلِمة الكذّاب وأصحابه بني حنيفة بأرض اليَمامة في حديقة الموت.

وذلك أنّ مُسَيلِمة التفّ معه من المرتدّين قريب من مائة ألف، فجهّز الصّدّيق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفًا، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلاميّ لكثرة من فيه من الأعراب، فنادى القُرّاء من كِبار الصّحابة: يا خالد خلّصنا، يقولون: ميّزنا من هؤلاء الأعراب. فتميّزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريبًا من ثلاثة آلاف، ثمّ صَدقوا الحملة وقاتلوا قِتالاً شديدًا، وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سُورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم، حتّى فتح الله عليهم، وولّى جيش الكفر فارًّا، وأتبعتهم السُّيوف المُسلِمة في أقفيتهم قتلاً وأسرًا، وقتل الله مُسَيلِمة وفرّق شمل أصحابه، ثمّ رجعوا إلى الإسلام. ولكن قتل من القُرّاء يومئذ قريب من خمسمائة... [ثمّ ذكر اقتراح عمر على أبي بكر في جمع القرآن كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ٢ وغيره، ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود بسنده عن فَضَالة، عن الحسن الرّقم ١٠ كما تقدّم عنه فقال:]

وهذا منقطع، إنّ الحسن لم يدرك عمر، ومعناه أنّه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهيمنًا على حفظه وجمعه، كما رواه ابن أبي داود حيث قال. ثنا أبو الطّاهر، ثنا ابن وَهْب، ثنا عمرو بن طَلحة اللّيثيّ عن محمّد بن عمرو عن عَلْقَمة عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب: أنّ عمر لمّا جمع القرآن كان لا يقبل من أحد... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم ١١ ثمّ قال:]

ولهذا قال زيد بن ثابت: ووجدت آخر سُورة التّوبة ـ يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخر الآيتين ـ مع أبي خُزَيمة الأنصاريّ. وفي رواية: مع خُزَيمة بن ثابت الّذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين، لم أجدها مع غيره[1]، فكتبوها عنه، لأنّه

١ ـ أي لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عمّن كتبها، وتقدّم في حاشية قبل هذه أنّها كانت محفوظة،

جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصّة الفَرَس الّذي ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابيّ، فأنكر الأعرابيّ البيع، فشهد خُزَيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته و قبض الفَرَس من الأعرابيّ. والحديث رواه أهل السُّنَن و هو مشهور.

وروىٰ أبو جعفر الرّازيّ عن الرّبيع، عن أبي العالية: أنّ أُبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خُزَيمة بن ثابت. وقد روىٰ ابن وَهْب عن عمرو بن طلحة اللَّيثيّ عن محمّد بن عمرو بن عَلْقَمة عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب: أنّ عُثمان شهد بذلك أيضًا... **[إلى أن قال:]**.

كتابة عُثمان للمصاحف

قال البُخاريّ ﵀: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا إبراهيم، ثنا ابن شِهاب: أنّ أنس بن مالك حدّثه، أنّ حُذَيفة بن اليَمان... **[و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤ ثمّ قال:]**

فإنّ الشّيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو جمع النّاس على قراءة واحدة، لئلّا يختلفوا في القرآن، و وافقه على ذلك جميع الصَّحابة. و إنّما رُوي عن عبد الله بن مسعود شيء من التّغضُّب بسبب أنّه لم يكن ممّن كتب المصاحف، و أمر أصحابه بغلّ مصاحفهم لمّا أمر عُثمان بحرق ما عدا المُصْحَف الإمام. ثمّ رجع ابن مسعود إلى الوفاق، حتّى قال عليّ بن أبي طالب: لو لم يفعل ذلك عُثمان لفعلته أنا. فاتّفق الأئمّه الأربعة: أبو بكر وعمر و عُثمان وعليّ على أنّ ذلك من مصالح الدّين، وهم الخُلفاء الّذين قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنّتي و سنّة الخلفاء الرّاشدين من بعدي» وكان السّبب في هذا حُذَيفة بن اليَمان ﵁ فإنّه لمّا كان غازيًا في فتح أرمينيّة و أذربيجان، وكان قد اجتمع هناك أهل الشّام والعراق، وجعل حُذَيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتّى، و رأى منهم اختلافًا و افتراقًا، فلمّا رجع إلى عُثمان أعلمه، و قال لعُثمان: أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنّصارى.

وذلك أنّ اليهود والنّصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة

→ و أنّ زيدًا كان يسأل عن شيء يحفظه و يعرفه.

من التّوراة، والسّامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة و معاني أيضًا، وليس في توراة السّامرة حروف الهمزة، ولا حرف الهاء ولا الياء، والنّصارى أيضًا بأيديهم توراة يسمّونها العتيقة، وهي مخالفة لنسختي اليهود والسّامرة.

وأمّا الأناجيل الّتي بأيدي النّصارى فأربعة: إنجيل مَرْقُس، وإنجيل لُوقا، و إنجيل مَتّى، و إنجيل يُوحَنّا، و هي مختلفة أيضًا اختلافًا كثيرًا. وهذه الأناجيل الأربعة كلّ منها لطيف الحجم، و منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخطّ متوسّط، ومنها ما هو أكثر من ذلك، إمّا بالنّصف أو الضّعف. و مضمونها سيرة عيسى عليه السلام و أيّامه و أحكامه و كلامه، و معه شيء قليل ممّا يدعون أنّه كلام الله، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا. وكذلك التّوراة مع ما فيها من التّحريف والتّبديل، ثمّ هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشّريعة المحمّديّة المطهّرة.

فلمّا قال حُذَيفة لعُثمان ذلك أفزعه، و أرسل إلى حَفْصَة أُمّ المؤْمِنين أن ترسل إليه بالصُّحُف الّتي عندها ممّا جمعه الشّيخان، ليكتب ذلك في مُصْحَف واحد، وينفذه إلى الآفاق، و يجمع النّاس على القراءة به و ترك ما سواه، ففعلت حَفْصَة. و أمر عُثمان هؤلاء الأربعة، و هم: زيد بن ثابت الأنصاريّ، أحد كُتّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله، و عبد الله بن الزُّبَير بن العَوّام القُرَشيّ الأسديّ، أحد فقهاء الصّحابة و نجبائهم عِلمًا وعَملاً، و أصلاً وفضلاً، و سعيد بن العاص بن أُميّة القُرشيّ الأُمويّ، وكان كريمًا جوادًا ممدوحًا، وكان أشبه النّاس لهجة برسول الله صلى الله عليه وآله، و عبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم القُرشيّ المَخْزوميّ.

فجلس هؤلاء النّفرالأربعة يكتبون بالقرآن نسخًا، و إذا اختلفوا في موضع الكتابة على أيّ لغة رجعوا إلى عُثمان، كما اختلفوا في التّابوت، أيكتبونه بالتّاء أو الهاء؟ فقال زيد ابن ثابت: إنّما هو التّابوه، و قال الثّلاثة القُرشيّون: إنّما هو التّابوت، فتراجعوا إلى عُثمان فقال: اكتبوه بلُغة قُريش، إنّ القرآن نزل بلُغتهم. و كأنّ عُثمان رضي الله عنه ـ والله أعلم ـ رتّب السُّوَر في المُصْحَف، وقدّم السّبع الطُّول، وثنّى بالمئين.[1]

١ ـ إنّما كان التّرتيب توقيفيًّا على العَرضة الأخيرة كما في الصّحاح.

ولهذا روى ابن جَرير و أبو داود والتِّرمِذيّ والنَّسائيّ، من حديث غير واحد من الأئمّة الكتاب، عن عوف الأعرابيّ عن يزيد الفارسيّ، عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان بن عَفّان: ما حملكم على أن عمدتم... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١ ثمّ قال:]

ففُهِم من هذا الحديث، أنّ ترتيب الآيات في السُّوَر أمر توقيفيّ متلقّى عن النّبيّ ﷺ. و أمّا ترتيب السُّوَر فمن أمير المؤمنين عُثمان بن عَفّان ﷺ، و لهذا ليس لأحدٍ أن يقرأ القرآن إلّا مرتّبًا آياته، فإن نكسه أخطأ خطأ كثيرًا. و أمّا ترتيب السُّوَر فمستحبّ اقتداء بعُثمان ﷺ. والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليًا، كما قرأ ﷺ في صلاة الجُمُعة بسُورة الجُمُعة و المنافقين، و تارةً بسبّح، وهل أتاك حديث الغاشية. فإن فرّق جاز، كما صحّ أنّ رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت السّاعة، رواه مسلم عن أبي قَتادة.

وفي الصّحيحين عن أبي هُرَيرة: أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصّبح يوم الجمعة(الٓمٓ) السّجدة وهل أتى على الإنسان. وإن قدّم بعض السُّوَر على بعض جاز أيضًا، فقد روى حُذَيفة أنّ رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثمّ النّساء ثمّ آل عِمران، أخرجه مسلم، و قرأ عمر في الفجر بسورة النّحل ثمّ بيوسف.

ثمّ إنّ عُثمان ﷺ ردّ الصُّحُف إلى حَفْصَة (رضي الله عنها)، فلم تزل عندها حتّى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتّى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرّقها، لئلّا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمّة الّتي نفذها عُثمان إلى الآفاق، مُصْحَفًا إلى مكّة، و مُصْحَفًا إلى البَصْرة، وآخر إلى الكوفة، و آخر إلى الشّام، و آخر إلى اليمن، و آخر إلى البَحْرين، و ترك عند أهل المدينة مُصْحَفًا. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السِّجستانيّ، سمعه يقوله.

و صحّ القُرْطُبيّ أنّه إنّما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف ـ و هذا غريب ـ وأمر بما عدا ذلك من مصاحف النّاس أن يحرق، لئلّا تختلف قراءات النّاس في الآفاق. وقد وافقه الصّحابة في عصره على ذلك، ولم ينكره أحد منهم، و إنّما نقم عليه ذلك الرّهط الّذين تمالؤا عليه و قتلوه ـ قاتلهم الله ـ وذلك في جملة ما أنكروا ممّا لا أصل له. و أمّا سادات

المسلمين من الصَّحابة و من نشأ في عصرهم ذلك من التّابعين، فكلّهم وافقوه...

[ثمّ ذكر رواية الطّيالِسيّ و ابن مهديّ بسنده عن سُوَيد بن غَفَلَة و رواية أحمد بن سِنان بسنده عن مُصْعَب بن سَعْدبن أبي وَقّاص كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ١٤، ١٥، ١٦، فقال:]

هذا مخرج في الصّحيحين، و عندهما: ولقد علم أصحاب محمّد أنّي من أعلمهم بكتاب الله. و قول أبي وائل: فما أحد ينكر ما قال، يعني من فضله و حفظه وعلمه، والله أعلم، و أمّا أمره بغلّ المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعْمَش عن إبراهيم عن عَلْقَمة قال: قدِمت الشّام فلقيت أبا الدّرداء فقال: كنّا نعدّ عبد الله جبانًا، فما باله يواثب الأُمراء؟

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عُثمان المصاحف بعد ذلك: حدّثنا عبد الله بن سعيد و محمّد بن عُثمان العَجَليّ... [و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم٣٣، ثمّ قال:]

وهذا الّذي استدلّ به أبو بكر على رجوع ابن مسعود فيه نظر، من جهة أنّه لا تظهر من هذا اللّفظ رجوع عمّا كان يذهب إليه، والله أعلم.

وقال أبو بكر أيضًا: حدّثني عمّي، ثنا أبو رجاء، أنا إسرائيل. عن أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سعد قال: عُثمان فخطب النّاس...[وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤٠، ثمّ قال:]

و قال أيضًا، ثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، ثنا أبو بكر بن هِشام بن حَسَّان عن محمّد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ، الرّقم ٤٤، ثمّ قال:]

قلت: الرَّبْعَة: هي الكُتُب المجتمعة، وكانت عند حَفْصَة (رضي الله عنها) فلمّا جمعها عُثمان ﷺ في المُصْحَف ردّها إليها، ولم يحرقها في جملة ما حرقه ممّا سواها، لأنّها هي بعينها الّذي كتبه و إنّما رتّبه، ثمّ إنّه كان قد عاهدها على أن يردّها إليها، فما زالت عندها حتّى ماتت؛ ثمّ أخذها مروان بن الحكم فحرّقها، وتأوّل في ذلك ما تأوّل عُثمان.

كما رواه أبو بكر بن أبي داود: حدّثنا محمّد بن عَوْف، ثنا أبو اليَمان، ثنا شُعَيب عن الزُّهْريّ: أخبرني سالم بن عبد الله أنّ مروان... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤٣، ثمّ قال:]

و أمّا ما رواه الزُّهْريّ عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إيّاها في صورتها، فذكره لهذا بعد جمع عُثمان فيه نظر، و إنّما هذا كان حال جمع الصِّدّيق الصُّحُف، كما جاء مصرّحًا به في غير هذه الرّواية عن الزُّهْريّ عن عُبَيْد بن السَّبَّاق عن زيد بن ثابت، والدّليل على ذلك أنّه قال: فألحقناها في سورتها من المُصْحف، وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العُثمانيّة.

فهذه الأفعال من أكبر القربات الّتي بادر إليها الأئمّة الرّاشدون: أبو بكر و عمر (رضي الله عنهما) حفظا على النّاس القرآن و جمعاه، لئلّا يذهب منه شيء، و عُثمان رضي الله عنه جمع قراءات النّاس على مُصْحَف واحد، و وضعه على العَرضة الأخيرة الّتي عارض بها جبريل رسولَ الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام، فإنّه عارضه به عامئذٍ مرّتين، ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لمّا مرض: «و ما أرى ذلك إلّا لاقتراب أجلي» أخرجاه في الصّحيحين.

وقد روي: أنّ عليًّا رضي الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتّبًا بحسب نزوله أوّلًا فأوّلًا ... [ثمّ ذكر قول ابن أبي داود و روايته عن ابن سيرين كما تقدّم عنه، الرّقم ٩، ثمّ قال:]

قلت: و هذا الّذي قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإنّ عليًّا لم ينقل عنه مُصْحَف على ما قيل ولا غير ذلك، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العُثمانيّ يقال: إنّها بخطّ عليّ رضي الله عنه، و في ذلك نظر، فإنّ في بعضها: [كتبه عليّ بن أبو طالب][1]، وهذا لحن من الكلام،

---

١ ـ [ينبغي في معرض ردّ هذا القول الّذي تعرّض له ابن كثير، نقل كلام الأُستاذ العلّامة الشّيخ معرفة في كتابه «التّمهيد في علوم القرآن» ١: ٣٠٠ وهذا ما نصّه:

وهكذا نسب إلى خطّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مُصْحَف، بعض أوراقه محفوظة بالخزانة العلويّة في النّجف الأشرف بخطّ كوفيّ قديم، كتب على آخره: كتبه عليّ بن أبوطالب في سَنَة أربعين من الهجرة. قال الأُستاذ أبو عبدالله الزّنجانيّ: «ورأيت في شهر ذي الحجّة سنة ١٣٥٣هـ في دار الكتب العلويّة في النّجف مُصْحَفًا بالخطّ الكوفيّ، كتب على آخره: كتبه عليّ بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة، ولتشابه «أبي» و «أبو» في رسم الخطّ الكوفيّ قد يظنّ من لا خبرة له أنّه كتب عليّ بن أبو طالب بالواو».

وفي خزانة الآثار بالمسجد الحسينيّ بالقاهرة أيضًا مُصْحَف يقال: «إنّ عليّ بن أبي طالب» كتبه بخطّه، وهو مكتوب بخط كوفيّ قديم. قال الأُستاذ الزُّرقانيّ: «من الجائز أن يكون كاتبه عليًّا، أو يكون قد أمر بكتابته في الكوفة»].(م)

و عليّ ﷺ من أبعد النّاس عن ذلك، فإنّه كما هو المشهور عنه هو أوّل من وضع علم النّحو فيما رواه عنه الأسود ظالم بن عمر و الدُّؤليّ، وأنّه قسّم الكلام إلى اسم و فعل و حرف، و ذكر أشياء أُخر تمّمها أبو الأسود بعده، ثمّ أخذ النّاس عن أبي الأسود فوسّعوه و وضّحوه، وصار عِلمًا مستقلًّا. [إلى أن قال:] (١٥ ـ ٢٩)

تأليف القرآن

حدّثنا إبراهيم بن موسى، أنا هِشام بن يوسف: أنّ ابن جُرَيْج أخبرهم قال: وأخبرني يوسف بن ماهِك قال... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرقم ١٤، ثمّ قال:]

و المراد من التّأليف هاهنا[1] ترتيب سُوَره، و هذا العراقيّ سأل أوّلًا عن أيّ الكفن خير أو أفضل؟ فأخبرته عائشة (رضي الله عنها) أنّ هذا ممّا لا ينبغي أن يعتنى بالسّؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد، فإنّ في هذا تكلّفًا لا طائل تحته، وكانوا في ذلك الزّمان يصفون أهل العراق بالتّعنّت في الأسئلة، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثّوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق، يسألون عن دم البعوض و قد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ!! و لهذا لم تبالغ معه عائشة (رضي الله عنها) في الكلام، لئلّا يظنّ أنّ ذلك أمر مهمّ، و إلّا فقد روى أحمد وأهل السُّنن من حديث سَمُرة وابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال: «ألبسوا من ثيابكم البياض، وكفّنوا فيها موتاكم، فإنّها أطهر وأطيب»، و صحّحه التِّرمِذيّ من الوجهين، وفي الصّحيحين عن عائشة أنّها قالت: كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص و لا عِمَامة، وهذا محرّر في باب الكفن من كتاب الجنائز. ثمّ سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل إلى سؤال كبير، و أخبرها أنّه يقرأ غير مؤلّف، أي مرتّب السُّوَر، وكان هذا قبل أن يبعث أميرالمؤمنين عُثمان ﷺ إلى الآفاق بالمصاحف الأئمّة المؤلّفة على هذا التّرتيب المشهور اليوم و قبل الإلزام به، والله أعلم، ولهذا أخبرته أنّه لا يضرّك بأيّ سُورة بدأت، و أنّ أوّل سُورة نزلت فيها ذكر الجنّة والنّار،

١ ـ هذا كلام المؤلّف ابن كثير في بيان معنى رواية البُخاريّ هذه.

وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنّها أرادت اسم جنس لسُوَر المفصّل الّتي فيها الوعد والوعيد[١]، ثمّ لمّا انقاد النّاس إلى التّصديق أُمروا ونُهوا بالتّدريج أوّلًا فأوّلًا، وهذا من حكمةالله و رحمته، و معنى هذا الكلام أنّ هذه السّورة أو السُّوَر الّتي فيها ذكر الجّنة والنّار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع أنّها من أوّل مانزلت، و هذه البقرة والنّساء من أوائل ما في المُصْحَف و قد نزلت عليه في المدينة و أنا عنده.

فأمّا ترتيب الآيات في السُّوَر، فليس في ذلك رخصة، بل هو أمر توقيفيّ عن رسول الله ﷺ كما تقدّم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخّص له في ذلك، بل أخرجت له مُصْحَفها فأملت عليه آي السُّوَر، والله أعلم، وقول عائشة: لا يضرّك بأيّ سُورة بدأت، يدلّ على أنّه لو قدّم بعض السُّور أو أخّر[٢]، كما يدلّ عليه حديث حُذَيفة، و هو في الصّحيح أنّه ﷺ قرأ في قيام اللّيل: البقرة ثمّ النّساء ثمّ آل عمران.

و قد حكى القُرطُبيّ عن أبي بكر بن الأنباريّ في كتاب «الرّدّ» أنّه قال: فمن أخّر سُورةً مقدّمة أو قدّم أُخرى مؤخّرةً كمن أفسد نظم الآيات، و غيّر الحروف والآيات، وكان مستنده اتّباع مُصْحَف عُثمان رضي الله عنه، فإنّه مرتّب على هذا النّحو المشهور.

والظّاهر أنّ ترتيب السُّوَر منه ما هو راجع إلى رأي عُثمان رضي الله عنه، و ذلك ظاهر في سؤال ابن عبّاس له عن ترك البَسْمَلة في أوّل براءة و ذكره الأنفال من الطُّوَل، و الحديث في التِّرمِذيّ و غيره بإسناد جيّد قويّ.[٣]

وقد ذكرنا عن عليّ أنّه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله[٤]... [ثمّ ذكر قول الباقِلّانيّ و سُليمان بن بلال و ابن بَطّال، كما تقدّم عن القُرطُبيّ ثمّ نقل رواية عن البُخاريّ

---

١ ـ الأولى أن يكون مرادها سورة المدّثّر، فإنّها أوّل سورة أُنزلت بالأمر بالتّبليغ، وفيها ذكر الجنّة والنّار، وإنّما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لا كلّها، وليس فيها أمر بالتّبليغ.

٢ ـ كذا في الأصل، وقد سقط منه جواب لو، والمراد أنّه لو قدّم أو أخّر في الصّلاة لا يكره.

٣ ـ الصّواب ما قدّمنا في حاشية أُخرى من أنّه لا يحتجّ، ولا سيّما في مثل موضوعه، وإنّ ترتيب السُّوَر توقيفيّ في المُصْحَف ولكنّه لا يجب في الصّلاة.

٤ ـ إن صَحَّ هذا ـ وما أراه يصحّ عنه ـ فالمراد به ترتيب السُّوَرَ بعد تمام كلٌّ منها من مكّيّ و مدنيّ، لا الآيات قبل إتمام سُوَرها.

كما تقدّم عنه الرّقم ١٥].

انفرد بإخراجه البُخاريّ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السُّوَر في مُصْحَف ابن مسعود كالمصاحف العُثمانيّة، و قوله: من العِتاق الأُوَل، أي من قديم ما نزل، و قوله: و هنّ من تلادي، أي من قديم ما قنيت و حفظت، والتّالد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطّارف: حديثه و جديده، والله أعلم.

حدّثنا أبو الوليد، ثنا شُعبة، أنا أبو إسحاق: سمع البَراء بن عازب ﷺ يقول: تعلّمت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ قبل أن يقدم النّبيّ ﷺ و هذا متّفق عليه، و هو قطعة من حديث الهجرة. والمراد منه أنّ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾[1] سورة مكّيّة نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

[ثمّ ذكر أيضًا رواية البُخاريّ بسنده عن الأعْمش و عن شقيق كما تقدّم عنه، الرّقم ١٦، فقال:]

هذا التّأليف الّذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عُثمان ﷺ، فإنّ المفصّل في مُصْحَف عُثمان ﷺ من سُورة الحُجُرات إلى آخره، و سورة الدّخان لا تدخل فيه بوجه، والدّليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: ثنا عبد الرّحمان بن مهديّ، ثنا عبد الله بن عبد الرّحمان الطّائفيّ عن عُثمان بن عبد الله بن أوس الثّقفيّ عن جدّه أوس بن حُذَيْفة قال: كنت في الوفد الّذين أتوا النّبيّ ﷺ فذكر حديثًا فيه: أنّ النّبيّ ﷺ كان سمر معهم بعد العشاء، فمكث عنّا ليلة لم يأتنا، حتّى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال قلنا: ما أمكثك عنّا يا رسول الله؟ قال: «طرأ عليّ حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتّى أُقضيه». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ثلاث سُوَر، و خمس سُوَر، وسبع سُوَر، و تسع سُوَر، و إحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، و حزب المفصّل من (قٓ) حتّى يختم. و رواه أبو داود و ابن ماجة من حديث عبد الله بن عبد الرّحمان بن يعلى الطّائفيّ به، وهذا إسناد حسن. (٤٥ـ٤٩)

---

١ ـ الأعلى/١.

الفصل الخامس والعشرون

نصّ الزّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البُرهان في علوم القرآن»

جمع القرآن على عهد أبي بكر

روى البُخاريّ في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكـر مـقتل أهـل اليَمامة... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]

وفي رواية قال ابن شِهاب: وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية... [و ذكر كما تقدّم عن العاصميّ، ثمّ قال:]

وقول زيد: «لم أجدها إلّا مع خُزَيْمة» ليس فيه إثبات القرآن بخبرالواحد، لأنّ زيدًا كان قد سمعها، و علم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النّبيّ ﷺ وكـذلك غـيره مـن الصَّحابة ثمّ نسيها، فلمّا سمع ذكره. وتتبُّعه للرِّجال كان للاستظهار، لا لاستحداث العلم. و سيأتي أنّ الّذين كانوا يحفظون القرآن من الصَّحابة عـلى عـهد رسـول الله ﷺ أربـعة، والمراد أنّ هؤلاء كانوا اشتهروا به، فقد ثبت أنّ غيرهم حفظه، و ثبت أنّ القرآن مجموعة محفوظ كلّه في صُدور الرِّجال أيّام حياةالنّبيّ ﷺ مؤلّفًا على هذا التّأليف، إلّا سُورة براءة.

قال ابن عبّاس: قلتُ لعُثمان: ما حملكم ... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ، الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

فثبت أنّ القرآن كان على هذا التّأليف والجمع في زمن النّبيّ ﷺ وإنّما ترك جمعه في مُصْحَف واحد، لأنّ النّسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثمّ رُفعت تلاوة بعض لأدّى إلى الاختلاف و اختلاط الدّين، فحفظه الله في القُلوب إلى انقضاء زمان النّسخ، ثمّ وَفّق لجمعه

الخُلفاء الرّاشدين.

نسخ القرآن في المصاحف

واعلم أنّه قد اشتهر أنّ عُثمان هو أوّل من جمع المصاحف، و ليس كذلك لما بيّنّاه، بل أوّل من جمعها في مُصْحَف واحد الصّدّيق، ثمّ أمر عُثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف، هكذا نقله البَيْهقيّ.

قال: وقد رَوَيْنا عن زيد بن ثابت أنّ التّأليف كان في زمن النّبيّ ﷺ ورَوَينا عنه أنّ الجمع في المُصْحَف كان في زمن أبي بكر والنّسخ في المصاحف في زمن عُثمان، وكان ما يجمعون و ينسخون معلومًا لهم، بما كان مُثبتًا في صُدور الرِّجال، وذلك كلُّه بمشورة مَن حضره من الصَّحابة وارتضاه عليّ بن أبي طالب، و حمد أثره فيه.

وذكر غيره أنّ الّذي استبدّ به عُثمان جمعُ النّاس على قراءة محصورة، والمنع من غير ذلك، قال القاضي أبو بكر في«الانتصار»: لم يقصد عُثمان قَصْد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لَوحين، و إنّما قصد جمعهم على القراءات الثّابتة المعروفة عن النّبيّ ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، و أخذهم بمُصْحَف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثْبت مع تنزيل، و منسوخ تلاوته كُتِب مع مثبت رسمه و مفروض قراءته و حفظه، خشية دخول الفساد والشُّبهة على من يأتي بعد، انتهى.

وقد روى البُخاريّ في صحيحه عن أنس أنّ حُذَيفة بن اليَمان... **[و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤، ثمّ قال:]**

و في هذه إثبات ظاهر أنّ الصَّحابة جمعوا بين الدَّفَّتين القرآن المنزّل من غير زيادة ولا نقص. والّذي حملهم على جَمْعه ما جاء في الحديث أنّه كان مفرّقًا في العُسُب وَاللِّخاف وصُدور الرِّجال، فخافوا ذهابَ بعضه بذهاب حَفظَته، فجمعوه و كتبوه كما سمعوه من النّبيّ ﷺ من غير أن قدّموا شيئًا أو أخّروا. وهذا التّرتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم على ذلك، و أنّ هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أنّ سَعْي الصّحابة في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيب، فإنّ القرآن مكتوب في اللَّوح المحفوظ على هذا التّرتيب الّذي هو

في مصاحفنا الآن، أنزله الله جملةً واحدةً إلى سماء الدّنيا كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢]، ثمّ كان ينزل مفرَّقًا على رسول الله ﷺ مدّة حياته عند الحاجة، كما قال تعالى: ﴿وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[٣] فترتيبُ النّزول غير ترتيب التّلاوة، وكان هذا الاتّفاق من الصّحابة سببًا لبقاء القرآن في الأُمّة، ورحمة من الله على عباده، وَتسهيلًا وتحقيقًا لوعده بحفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤] وزال بذلك الاختلاف، واتّفقت الكلمة. [ثمّ ذكر قول عبد الرّحمان السُّلَميّ، كما تقدّم عن أبي شامَة].

وقال أبو الحسين بن فارِس في «المسائل الخمس»: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السُّوَر، كتقديم السّبع الطّوال و تعقيبها بالمئين، فهذا الضّرب هو الّذي تولّته الصّحابة، وأمّا الجمع الآخر ـ وهو جمع الآيات في السُّوَر ـ فهو توقيفيّ تولّاه النّبيّ ﷺ كما أخبر به جبرئيل عن أمر ربّه عزّوجلّ. [ثمّ ذكر قول الحاكم في حديث زيد بن ثابت، كما تقدّم عنه].

وَقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المَحاسِبيّ في كتاب «فهم السُّنن»: كتابة القرآن ليست مُحدثة، فإنّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنّه كان مفرَّقًا في الرّقاع والأكتاف والعُسُبْ وإنّما أمَرَ الصِّدّيق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتّى لا يضيع منها شيء.

فإن قيل: كيف وقعت الثّقة بأصحاب الرّقاع وصُدور الرِّجال؟

قيل: لأنّهم كانوا يُبدُون عن تأليف مُعْجز و نظم معروف، و قد شاهدوا تلاوته من النّبيّ ﷺ عشرين سنة، فكان تَزْويد ما ليس منه مأمونًا، و إنّما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه.

---

١ ـ البقرة /١٨٥.
٢ ـ القدر /١.
٣ ـ الإسراء /١٠٦.
٤ ـ الحِجْر /٩.

فإن قيل: كيف لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك؟ قيل: لأنّ الله تعالى كان قد أمّنه من النِّسيان بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[١] أن يرفع حكمه بالنّسخ، فحين وقع الخوف من نِسيان الخلق حدث ما لم يكن، فأحدث لضبطه ما لم يُحتجّ إليه قبل ذلك.

وفي قول زيد بن ثابت: «فجمعته من الرِّقاع والأكتاف وصدور الرِّجال» ما أوْهَمَ بعض النّاس أنّ أحدًا لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ، وأنّ مَن قال: إنّه جمع القرآن أُبيّ بن كعب وزيد ليس بمحفوظ. وليس الأمر على ما أوهَمَ، وإنّما طُلِب القرآن متفرّقًا ليعارَض بالمجتمِع عند مَن بقي ممّن جمع القرآن، ليشترك الجميع في علم ما جمع، فلا يغيب عن جمع القرآن أحد عنده منه شيء، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودَع المُصْحَف، ولا يشكّوا في أنّه جُمِع عَنْ ملأ منهم.

فأمّا قوله: «وجدت آخر براءة مع خُزَيمة بن ثابت، ولم أجدها مع غيره»، يعني ممّن كانوا في طبقة خُزَيمة ممّن لم يجمع القرآن.

وأمّا أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومُعَاذ بن جَبل، فبغير شَكٍّ جمعوا القرآن، والدّلائل عليه متظاهرة، قال: ولهذا المعنى لم يجمعوا السُّنن في كتاب، إذا لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن. قال: ومن الدّليل على ذلك أنّ تلك المصاحف الّتي كتب منها القرآن كانت عند الصّدّيق لتكون إمامًا، ولم تُفارق الصّدّيق في حياته، ولا عمر أيّامه. ثمّ كانت عند حَفْصَة لا تُمَكّن منها، ولمّا احتيج إلى جمع النّاس على قراءة واحدة، وقع الاختيار عليها في أيّام عُثمان، فأخذ ذلك الإمام، ونُسِخ في المصاحف الّتي بعث بها إلى الكوفة، وكان النّاس متروكين على قراءة ما يحفظون من قراءتهم المختلفة، حتّى خيف الفساد، فجمعوا على القراءة الّتي نحن عليها .قال: والمشهور عند النّاس أنّ جامع القرآن عُثمان ؓ وليس كذلك، إنّما حمل عُثمان النّاس على القراءة بوجه واحدٍ على اختيارٍ وقع بينه وبين مَن شَهِدَه من المهاجرين والأنصار، لمّا خشِيَ الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشّام في حروف القراءات والقرآن.

وأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف

---

١ ـ الأعلى /٦ ـ ٧.

السّبعة الّتي أنزل بها القرآن، فأمّا السّابق إلى جمع الجُملة فهو الصّدّيق، رُوي عن عليّ أنّه قال: «رحم الله أبابكر! هو أوّلُ من جمع بين اللّوحين، ولم يحتجّ الصّحابة في أيّام أبي بكر وعُمر إلى جَمْعه على وجه ما جَمَعَه عُثمان، لأنّه لم يحدث في أيّامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عُثمان، ولقد وُفّق لأمر عظيم، ورَفَع الاختلاف، وجَمَع الكلمة، وأراح الأُمّة. وإنّما تعلّق الرّوافض بأنّ عُثمان أحرق المصاحف، فإنّه جهل منهم وعمىً، فإنّ هذا من فضائله وعلمه، فإنّه أصلَح، ولَمَّ الشَّعْث، وكان ذلك واجبًا عليه، ولو تركه لعصى، لما فيه من التّضييع، وحاشاه من ذلك. وقولهم: إنّه سبق إلى ذلك، ممنوع لما بيّنّاه أنّه كُتِب في زمن النّبيّ ﷺ في الرّقاع والأكتاف، وإنّه في زمن الصّدّيق جمعه في حرف واحد.

قال: وأمّا قولهم: إنّه أحرق المصاحف فإنّه غير ثابت، ولو ثبت لوجب حمله على أنّه أحرق مصاحف قد أودعت ما لا يحلّ قراءته.

وفي الجملة إنّه إمام عَدْل غير معاند ولا طاعن في التّنزيل، ولم يحرق إلّا ما يجب إحراقه، ولهذا لم ينكر عليه أحدٌ ذلك، بل رضوه وعدُّوه من مناقبه، حتّى قال عليّ: لو وُلّيتُ ما وُلّي عُثمان لعَمِلتُ بالمصاحف ما عَمِل، انتهى ملخّصًا.

فائدة في عدد مصاحف عُثمان

قال أبو عَمرو الدّانيّ في «المقنع»: أكثر العُلماء على أنّ عُثمان لمّا كتب المصاحف جعلَه على أربع نسخ، وبعث إلى كلّ ناحية واحدًا، الكوفة والبَصرة والشّام، وترك واحدًا عنده، وقد قيل: إنّه جعله سبع نُسَخ، وزاد: إلى مكّة وإلى اليَمن وإلى البَحْرين، قال: والأوّل أصحّ وعليه الأئمّة. (١: ٢٣٣ ـ ٢٤٠)

وأمّا ما يتعلّق بترتيبه

فأمّا الآيات في كلّ سورة ووضع البَسْمَلة أوائلها فترتيبها توقيفيّ بلاشكّ، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها.

قال مكّيّ وغيره: ترتيب الآيات في السُّوَر هو من النّبيّ ﷺ، ولمّا لم يأمر بذلك في

أوّل براءة تركت بلا بَسْمَلة.

وقال القاضي أبو بكر: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا... [ثمّ ذكر رواية البَيْهَقيّ عن زيد بن ثابت وكلام الحاكِم حسب ما تقدّم عن أبي شامَة، فقال:]

واختلاف في الحرف الّذي كتب عُثمان عليه المُصْحَف، فقيل: حرف زيد بن ثابت، وقيل: حرف أُبيّ بن كَعْب، لأنّه العَرْضَة الأخيرة الّتي قرأها رسول الله ﷺ، وعلى الأوّل أكثر الرّواة. و معنى حرف زيد، أي قراءته وطريقته.

و في كتاب «فضائل القرآن» لأبي عُبَيْد عن أبي وائل، قيل لابن مسعود: إنّ فلانًا يقرأ القرآن مَنْكوسًا، فقال: ذاك مَنْكُوس القلب، رواه البَيْهَقيّ.

وأمّا ترتيب السُّوَر على ماهو عليه الآن فاختُلِف: هل هو توقيف من النّبيّ ﷺ أو من فعل الصّحابة، أو يفصّل؟ في ذلك ثلاثة أقوال:

مذهبُ جمهور العُلماء، منهم مالك والقاضي أبو بكر بن الطّيّب ـ فيمااعتمده واستقرّ عليه رأيه من [أحد] قوليه ـ إلى الثّاني، وأنّه ﷺ فوّض ذلك إلى أُمّته بعده.

وذهبت طائفة إلى الأوّل، و الخلاف يرجع إلى اللّفظ، لأنّ القائل بالثّاني يقول: إنّه رمز إليهم بذلك، لعلمهم بأسباب نزوله و مواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنّما ألّفوا القرآن على ما كانوا يَسْمَعونه من النّبيّ ﷺ مع قوله بأنّ ترتيب السُّوَر اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنّه: هل ذلك بتوقيف قوليّ أم بمجرّد استنادٍ فعليّ، و بحيث بقي لهم فيه مجال للنّظر.

فإن قيل: فإذا كانوا قد سمعوه منه، كما استقرّ عليه ترتيبه، ففي ماذا أعملوا الأفكار؟ وأيّ مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار؟

قيل: قد روى مسلم في صحيحه عن حُذَيْفة قال: «صلّيت مع النّبيّ ﷺ ذات ليلة، فافتتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثمّ مضى فقلت: يصلّي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثمّ افتتح النّساء فقرأها، ثمّ افتتح آل عمران...» الحديث.

فلمّا كان النّبيّ ﷺ ربّما فعل هذا إرادة التّوسعة على الأُمّة، وتِبيانًا لجليل تلك النّعمة كان محلًّا للتّوقُّف، حتّى استقرّ النّظر على رأي ما كان من فعله الأكثر، فهذا محلّ اجتهادهم في المسألة.

والقول الثّالث، مال إليه القاضي أبو محمّد بن عَطِيّة: أنّ كثيرًا من السُّوَر كان قد عُلِم ترتيبها في حياته ﷺ كالسَّبْع الطُّوَال والحواميم والمفصّل، وأشاروا إلى أنّ ماسوى ذلك يمكن أن يكون فُوِّض الأمر فيه إلى الأُمّة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزُّبَير: الآثار تشهد بأكثر ممّا نصّ عليه ابن عَطيَّة، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف، كقوله: «اقرأوا الزّهراوين: البقرة و آل عمران»، رواه مسلم. ولحديث سعيد بن خالد: ﷺ بالسَّبع الطُّوال في ركعة، رواه ابن أبي شَيْبَة في مصنّفه. وفيه أنّه (عليه الصّلاة والسّلام) كان يجمع المفصّل في ركعة.

وروى البُخاريّ عن ابن مَسْعود ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف و مريم وطه والأنبياء: إنّهنّ من العِتاق[1] الأُوَل، و هنَّ من تلادي، فذكرها نَسَقًا كما استقرّ ترتيبها.

وفي صحيح البُخاريّ أنّه (عليه الصّلاة والسّلام) كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفَّيْه، ثمّ نَفَث فيهما فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ والمُعوّذتين.

وقال أبوجعفر النَّحَّاس: المختار أنّ تأليفَ السُّوَر على هذا التّرتيب من رسول الله ﷺ، ورُوي ذلك عن عليّ بن أبي طالب، ثمّ ساق بإسناده إلى أبي داود الطَّيالِسيّ: حدّثنا عمران القَطّان عن قَتادة عن أبي المليح الهُذَليّ عن واثَلَة بن الأسقع: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أُعطيت مكان التّوراة السّبع الطُّوَل، و أُعطِيتُ مكان الزّبور المئين، و أُعطِيت مكان الإنجيل المثاني، و فُضِّلتُ بالمفصّل».

قال أبو جعفر: «وهذا الحديث يدلُّ على أنّ تأليف القرآن مأخوذ عن النّبيّ ﷺ و أنّه مؤلّف من ذلك الوقت، وإنّما جُمِع في المُصْحَف على شيء واحد لأنّه قد جاء هذا

١ ـ العِتاق: جمع عَتيق، وهو القديم من كلّ شيء، والمراد بالعتاق هنا ما نزل أوّلًا. والتِّلاد ـ بكسر التّاء وفتحها ـ ضدّ الطّارف، وهو المستحدَثُ من المال ونحوه. والمراد بالتّلاد هنا ما نزل أوّلًا أيضًا. قال في المختار: و في الحديث «هُنَّ من تِلادي» يعني السُّوَر، أي من الّذي أخذته من القرآن قديمًا.

الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن، وفيه أيضًا دليل على أنّ سُورة الأنـفال سُورةٌ على حدة، و ليست من براءة».

قال أبوالحسين أحمد بن فارِس في كتاب «المسائل الخمس»... [وذكر كما تقدّم عنه آنفًا، ثمّ ذكر قول الكَرمانيّ، كما سيأتي بكامله عن السّيوطيّ فقال:]

وذهب جماعة من المُفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بَعَشْرِ سُوَرٍ﴾ [1] معناه مثل البقرة إلى سورة هود، و هي العاشرة. و معلوم أنّ سورة هود مكّيّةٌ، و أنّ البقرة و آل عمران والنِّساء والمائدة والأنفال والتّوبة مدنيّات نزلت بعدها.

وفسّر بعضهم قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [2] أي اقرأه على هذا التّرتيب من غير تقديم و لا تأخير. و جاءالنّكير على من قرأه معكوسًا. ولو حلف أن يقرأ القرآن على التّرتيب لم يُلْزَم إلّا على هذا التّرتيب. ولو نزل القرآن جملةً واحدةً كما اقترحوا عليه لنزل على هذا التّرتيب، و إنّما تفرّقت سُوَره و آياته نزولًا، لحاجةالنّاس إليها حالة بعد حالة، ولأنّ فيه النّاسخ والمنسوخ، ولم يكن ليجتمعا نزولًا. وأبلغ الحكم في تفرّقه ما قال سبحانه:

﴿وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [3]، وهذا أصلٌ بُني عليه مسائل كثيرة.

[ثمّ ذكر قول القاضي بن الطَّيِّب في اختلاف السّلف على ترتيب القرآن كما تقدّم عن القُرطُبيّ، فقال:]

فالجواب: أنّه يحتمل أن يكون ترتيب السُّوَر على ماهي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصَّحابة (رضي الله عنهم).

وذكر ذلك مكّيٌّ في سورة براءة، و إنّ وضع البَسْمَلة في الأوّل هو من النّبيّ ﷺ... [ثمّ ذكر قول الأنباريّ، كما تقدّم كامله عن القُرْطُبيّ].

قال القاضي أبو بكر: «و مَن نَظَم السُّوَر على المكّيّ و المدنيّ لم يدر أين يضع الفاتحة، لاختلافهم في موضع نزولها، و يضطرّ إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين

١ ـ هود /١٣.
٢ ـ المزّمّل /٤.
٣ ـ الإسراء /١٠٦.

و مائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، و من أفسد نظم القرآن فقد كفر به».

ترتيب وضع السُّوَر في المُصْحَف

لترتيب وضع السُّوَر في المُصْحَف أسباب تُطلِع على أنّه توقيفيّ صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف، كما في الحواميم.

و ثانيها: لموافقة أوّل السُّورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى و أوّل البقرة.

و ثالثها: للوزن في اللّفظ، كآخر تبّت و أوّل الإخلاص.

و رابعها: لمشابهة جملة السُّورة لجملة الأُخرى مثل و الضّحى و ألم نشرح.

قال بعض الأئمّة: و سُورة الفاتحة تضمّنت الإقرار بالرّبوبيّة، والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصّيانة عن دين اليهوديّة والنّصرانيّة.

وسُورة البقرة تضمّنت قواعد الدّين، و آل عمران مكمّلة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدّليل على الحكم، و آل عمران بمنزلة الجواب عن شُبهات الخصوم، ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه منها بظهور الحجّة والبيان، فإنّه نزل أوّلها في آخر الأمر لمّا قدم وفد نجران النَّصارى، و آخرها يتعلّق بيوم أُحُد. والنّصارى تمسّكوا بالمتشابه، فأجيبوا عن شبههم بالبيان. و يوم أُحُد تمسّك الكُفّار بالقتال فقوبلوا بالبيان، و به يعلم الجواب لمن تتّبع المتشابه من القول و الفعل. و أوجب الحجّ في (آل عمران)، و أمّا في البقرة فذكر أنّه مشروع و أمر بتمامه بعدالشّروع فيه، ولهذا ذكرالبيت و الصَّفا والمروة. وكان خطاب النّصارى في (آل عمران) أكثر، كما أنّ خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأنّ التّوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنّبيّ ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود و جاهدهم، وكان جهاده للنّصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشِّرك قبل أهل الكتاب، ولهذاكانت السُّوَر المكّيّة فيها الدّين الّذي اتّفق عليه الأنبياء، فخوطب بها جميع النّاس، والسُّوَر المدنيّة فيها خطاب مَن أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا: ياأهل الكتاب، يابني إسرائيل.

و أمّا سُورة (النّساء) فتتضمّن جميع أحكام الأسباب الّتي بين النّاس، و هي نوعان:

مخلوقة لله تعالى، و مقدورة لهم، كالنّسب والصِّهر، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]. ثمّ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، و بين الّذين يتعاهدون و يتعاقدون فيما بينهم، و ما تعلّق بذلك من أحكام الأموال والفُروج و المَواريث، و منها العهود الّتي حصلت بالرّسالة، والّتي أخذها الله على الرُّسل.

وأمّا (المائدة) فسُورة العقود، و بهنّ تمام الشّرائع، قالوا: و بها تمّ الدّين، فهي سورة التّكميل، بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد، كالتّحليل والتّحريم، و تحريم الدِّماء والأموال وعقوبة المعتدين، و تحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدّين، و تحريم الميتة والدّم والمنخنقة، و تحريم الصّيد على المحرم من تمام الإحرام، و إحلال الطّيّبات من تمام عبادة الله. ولهذا ذكر فيها ما يختصّ بشريعة محمّدﷺكالوضوء والحكم بالقرآن، فقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2]، و ذكر أنّه من ارتدّ عوّض الله بخير منه. ولا يزال هذا الدّين كاملاً، ولهذا قيل: إنّها آخر القرآن نزولاً، فأحِلُّوا حلالها، و حرِّمُوا حَرامها.

وهذا التّرتيب بين هذه السُّوَر الأربع المدنيّات: البقرة و آل عمران والنّساء والمائدة من أحسن التّرتيب، وهو ترتيب المُصْحَف العُثمانيّ، و إن كان مُصْحَف عبد الله بن مسعود قدّمت فيه سورة النّساء على آل عمران، و ترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمرًا أوجبه الله، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكلّ مُصْحَف ترتيب، ولكنّ ترتيب المُصْحَف العُثْمانيّ أكمل، و إنّما لم يكتب في عهدالنّبيﷺ مُصْحَف لئلّا يُفضى إلى تغييره كلّ وقت، فلهذا تأخّرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموتهﷺ فكتب أبو بكر والصّحابة بعده، ثمّ نسخ عُثمان المصاحف الّتي بعث بها إلى الأمصار. (١:٢٥٦ ـ ٢٦٢)

---

١ ـ النّساء /١.

٢ ـ المائدة /٤٨.

الفصل السّادس والعشرون

نصّ ابن حَجَرالعَسقلانيّ(م: ٨٥٢) في «فتحالباري ...»[1]

جمع القرآن

قوله: (باب جمع القرآن): المراد بالجمع هنا جمع مخصوص، و هو جمع متفرّقة في صُحُف، ثمّ جمع تلك الصُّحُف في مُصْحَف واحد مرتّب السُّوَر.

و سيأتي بعد ثلاثة أبواب (باب تأليف القرآن)، والمراد به هناك تأليف الآيات في السُّورَة الواحدة، أو ترتيب السُّوَر في المُصْحَف.

قوله: (عن عُبَيْد بن السَّبّاق) : بفتح المُهملة وتشديد الموحّدة: مدنيّ يكنّى أبا سَعيد، ذكره مُسْلِم في الطّبقة الأُولى من التّابعين، لكن لم أر له رواية عن أقدم من سَهْل بن حُنَيف الّذي مات في خلافة عليّ، وحديثه عند أبي داود و غيره، و ليس له في البُخاريّ سوى هذا الحديث، لكنّه كرّره فيالتّفسير والأحكام والتّوحيد وغيرها مطوّلاً ومختصرًا.

قوله:[2] (عن زيد بن ثابت): هذا هوالصّحيح. عن الزُّهْرِيّ: أنّ قصّة زيد بن ثابت مع أبي بكر و عمر عن عُبَيْد بن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت وقصّة حُذَيْفة مع عُثمان عن أنس ابن مالك، و قصّة فقد زيد بن ثابت الآية من سُورة الأحزاب في رواية عُبَيْد بن السَّبَّاق عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع عن الزُّهْرِيّ، فأدرج قصّة آية سورة الأحزاب في رواية عُبَيْد بن السَّبَّاق، وأغرب عُمَّارة بن

---

١ ـ نحوه في «إرشاد السّاريّ لشرح صحيح البخاريّ» للقَسطلانيّ ٤٤٦:٧ [المطبعة الكبرى الأميريّة ببولاق مصر المحميّة ١٣٠٥هـ].

٢ ـ قوله: عن زيد، كذا بالنّسخ، والّذي في المتن «أنّ زيدًا» فلعلّ ما في الشّارح رواية له.

غَزِّيَّة، فرواه عن الزُّهْرِيّ فقال: عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، و ساق القصص الثّالثة بطولها، قصّة زيد مع أبي بكر و عمر، ثمّ قصّة حُذَيْفة مع عُثمان أيضًا، ثمّ قصّة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب، أخرجه الطَّبَريّ، و بيّن الخطيب في المُدرَج أنّ ذلك وهم منه، و أنّه أدرج بعض الأسانيد على بعض.

قوله: **(أرسل إليّ أبو بكر الصّدّيق)**: لم أقف على اسم الرّسول إليه بذلك، و روينا في الجزء الأوّل من فوائد الدَّيْر عاقُوليّ، قال: حدّثنا إبراهيم بن بَشّار، حدّثنا سُفيان بن عُيَيْنَة عن الزُّهْرِيّ عن عُبَيْد عن زيد بن ثابت، قال: قبض النّبيّ ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء.

قوله: **(مقتل أهل اليَمامَة)** أي عقب قتل أهل اليَمامة، والمراد بأهل اليَمامة هنا من قتل بها من الصّحابة في الوقعة مع مُسَيْلِمة الكذّاب، و كان من شأنها أنّ مُسَيْلِمة ادّعى النّبوّة، وقوي أمره بعد موت النّبيّ ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهّز إليه أبو بكر الصّدّيق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصَّحابة، فحاربوه أشدّ محاربة إلى أن خذله الله و قتله، وقتل في غُضُون ذلك من الصَّحابة جماعة كثيرة، قيل: سبعمائة، وقيل: أكثر.

قوله: **(قد استحرّ)** بسين مهملة ساكنة و مَثْنَاة مفتوحة بعدها حاء مهملة مفتوحة ثمّ راء ثقيلة، أي اشتدّ وكثر، وهو(استفعل) من الحرّ، لأنّ المكروه غالبًا يُضاف إلى الحُرّ كما أنّ المحبوب يُضاف إلى البَرْد، يقولون: أسخن الله عينه، و أقرّ عينه. و وقع من تسمية القُرّاء الّذين أراد عمر في رواية سُفيان بن عُيَيْنة المذكورة قبل سالم مولى أبي حُذَيْفة ولفظه، فلمّا قتل سالم مولى أبي حُذَيْفة خشى عمر أن يذهب القرآن، فجاء إلى أبي بكر، وسيأتي أنّ سالمًا أحد من أمر النّبيّ ﷺ بأخذ القرآن عنه.

قوله: **(بالقُرّاء بالمواطن)** أي في المواطن، أي الأماكن الّتي يقع فيها القِتال مع الكُفّار، و وقع في رواية شُعَيْب عن الزُّهْرِيّ في المواطن، وفي رواية سُفيان: و أنا أخشى أن لا يلقى المسلمون زَحْفًا آخر إلّا استحرّ القتل بأهل القرآن.

قوله: **(فيذهب كثيرٌ من القرآن)** في رواية يعقوب بن إبراهيم بن سَعد عن أبيه من

الزّيادة: إلّا أن يَجْمَعوه، وفي رواية شُعَيْب: قبل أن يقتل الباقون. وهذا يدلُّ على أنّ كثيرًا ممّن قتل في وقعة اليَمامَة كان قد حفظ القُرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أنّ مجموعهم جمعه، لا أنّ كلّ فرد فرد جمعه.

قوله: (قلت لعُمر) هو خطاب أبي بكر لعُمر، حكاه ثانيًا لزيد بن ثابت لمّا أرسل إليه، وهو كلام مَن يؤثر الإتْباع وينفر من الابتَداع.

قوله: (لم يفعله رسول اللهﷺ) تقدّم من رواية سُفيان بن عُيَيْنَة تصريح زيد بن ثابت بذلك، و في رواية عُمّارة بن غَزِّيّة: فنفر منها أبو بكر و قال: أفعل ما لم يفعل رسول اللهﷺ.

و قال الخطّابيّ و غيره: يحتمل أن يكونﷺ إنّما لم يجمع القرآن في المُصْحَف لما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أوتلاوته، فلمّا انقضى نزوله بوفاتهﷺ ألهم الله الخلفاء الرّاشدين ذلك، وفاء لوعده الصّادِق بضمان حفظه على هذه الأُمّة المحمّديّة، زادها الله شرفًا ،فكان ابتداء ذلك على يد الصِّدّيق بمشورة عمر.

و يؤيّده ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بإسناد حسن عن عَبْد خَيْر قال: سمعت عليًّا يقول: «أعظم النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله».

وأمّا ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: «لا تكتبوا عنّي شيئًا غيرالقرآن» الحديث. فلاينافي ذلك، لأنّ الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، و قد كان القرآن كلّه كتب في عهدالنّبيّﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السُّوَر. و أمّا ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف من طريق ابن سيرين قال: قال عليّ: لمّا مات رسول اللهﷺ آليت أن لا آخذ عليّ ردائي إلّا لصلاة جمعة حتّى أجمع القرآن، فجمعه، فإسناده ضعيف لانقطاعه، وعلى تقدير أن يكون محفوظًا، فمراده بجمعه حفظه في صدره قال: والّذي وقع في بعض طرقه «حتّى جمعته بين اللّوحين» و همٌ من رواية.

قلت: و ما تقدّم من رواية عَبْد خَيْر عن عليّ أصحّ، فهو المعتمد. ووقع عند ابن أبي

داود أيضًا بيان السّبب في إشارة عمر بن الخطّاب بذلك، فأخرج من طريق الحسن: أنّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقُتِل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في المُصْحَف.

وهذا منقطع، فإن كان محفوظًا حمل على أنّ المراد بقوله: فكان أوّل من جمعه، أي أشار بجمعه في خلافة أبي بكر، فينسب الجمع إليه لذلك. و قد تسوّل لبعض الرّوافض أنّه يتوجّه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المُصْحَف، فقال: كيف جاز أن يفعل شيئًا لم يفعله الرّسول (عليه أفضل الصّلاة والسّلام)؟

والجواب: أنّه لم يفعل ذلك إلّا بطريق الاجتهاد السّائغ النّاشئ عن النّصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، وقد كان النّبيّ ﷺ أذن في كتابة القرآن و نهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلّا بكتابة ما كان مكتوبًا، ولذلك توقّف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتّى وجدها مكتوبة، مع أنّه كان يستحضرها هو و من ذكر معه. و إذا تأمّل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنّه يعدّ في فضائله، وينوّه بعظيم منقبته، لثبوت قوله ﷺ: «مَنْ سنَّ سُنّة حَسَنَة فَلَهُ أجْرها وأجْر مَنْ عَمِل بها»، فما جمع القرآن أحد بعده إلّا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة. وقد كان لأبي بكر من الاعتناء بقراءة القرآن ما اختار معه أن يردّ على ابن الدّغنة جواره، و يرضى بجوار الله و رسوله، وقد تقدّمت القصّة مبسوطة في فضائله. وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنّه مجموع في الصُّحُف في قوله: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[1] الآية. وكان القرآن مكتوبًا في الصُّحُف لكن كانت مفرّقة، فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثمّ كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عُثمان بالنّسخ منها، فنسخ منها عدّة مصاحف و أرسل بها إلى الأمصار كما سيأتي بيان ذلك.

قوله: (قال زيد ـ أي ابن ثابت ـ قال أبو بكر) أي قال لي: (إنّك رجلٌ شابّ عاقلٌ لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي)، ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيّته بذلك كونه شابًا، فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتّهم فتركن

---

١ ـ البيّنة /٢.

النّفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصّفات الّتي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرّقة.

وقال ابن بَطّال عن المُهَلَّب: هذا يدلّ على أنّ العقل أصل الخصال المحمودة، لأنّه لم يصف زيدًا بأكثر من العقل، وجعله سببًا لائتمانه ورفع التُّهمة عنه. كذا قال، وفيه نظر، وسيأتي مزيد البحث فيه في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى.

ووقع في رواية سُفيان بن عُيَيْنة: فقال أبو بكر: أمّا إذا عزمت على هذا فأرسل إلى زيد بن ثابت فادعه، فإنّه كان شابًّا حدثًا نقيًّا، يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فأرسل إليه فادعه حتّى يجمعه معنا. قال زيد بن ثابت: فأرسلا إليّ فأتيتهما فقالا لي: إنّا نريد أن نجمع القرآن في شيء فأجمعه معنا. وفي رواية عُمّارة بن غَزِّيَّة: فقال لي أبو بكر: إنّ هذا دعاني إلى أمر وأنت كاتب الوحي، فإن تك معه اتّبعتكما، وإن توافقني لا أفعل فأقتضي قول عمر، فنفرت من ذلك، فقال عُمر: كلِّمه، وما عليكما لو فعلتما، قال: فنظرنا فقلنا: لا شيء والله ما علينا.

قال ابن بَطّال: إنّما نفر أبو بكر أوّلاً، ثمّ زيد بن ثابت ثانيًا، لأنّهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله، فكرها أن يحلّا أنفسهما محلّ من يزيد احتياطه للدّين على احتياط الرّسول، فلمّا نبّهما عُمر على فائدة ذلك، وأنّه خشيه أن يتغيّر الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن، فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشّهرة رجعا إليه. قال: ودلّ ذلك على أنّ فعل الرّسول إذا تجرّد عن القرائن وكذا تركه لا يدلّ على وجوب ولا تحريم، انتهى.

وليس ذلك من الزّيادة على احتياط الرّسل، بل هو مستمدّ من القواعد الّتي مهّدها الرّسول ﷺ.

قال ابن الباقِلّانيّ: كان الّذي فعله أبو بكر من ذلك فرض كفاية بدلالة قوله ﷺ: «لاتكتبوا عنّي شيئًا غيرالقرآن»، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا

---

١ ـ القيامة /١٧.

لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ﴾[1] وقوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ قال: فكلّ أمر يرجع لإحصائه و حفظه فهو واجب على الكفاية، و كلّ ذلك من النّصيحة لله و رسوله و كتابه و أئمّة المسلمين و عامّتهم. قال: و قد فهم عمر أن ترك النّبيّ ﷺ جمعه لا دلالة فيه على المنع، و رجع إليه أبو بكر لما رأى وجه الإصابة في ذلك، و أنّه ليس في المنقول ولا في المعقول ما ينافيه و مايترتّب من ترك جمعه من ضياع بعضه، ثمّ تابعهما زيد بن ثابت و سائر الصّحابة على تصويب ذلك.

قوله: (فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجِبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به) كأنّه جمع أوّلاً باعتبار أبي بكر و من وافقه، و أفرد باعتبار أنّه الآمر وحده بذلك، و وقع في رواية شُعَيْب عن الزُّهْريّ: لو كلّفني، بالإفراد أيضًا. وإنّما قال زيد بن ثابت ذلك لما خشيه من التّقصير في إحصاء ما أمر بجمعه، لكنّ الله تعالى يسّر له ذلك كما قال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ﴾[2].

قوله: (فتتبّعت القرآن أجمعه) أي من الأشياء الّتي عندي و عند غيري.

قوله: (من العُسُب) بضمّ المُهملتين ثمّ موحّدة، جمع عَسيب و هو جريدالنّخل، كانوا يَكْشِطون الخوص، و يكتبون في الطّرف العريض، وقيل: العَسيب: طرف الجريدة العَريض الّذي لم ينبت عليه الخوص، والّذي ينبت عليه الخوص هو السَّعْف. و وقع في رواية ابن عُيَيْنَة عن ابن شِهَاب: القُصُب والعُسُب والكرانيف وجرائدالنّخل. و وقع في رواية شُعَيب: من الرِّقاع، جمع رُقعة، وقد يكون من جلد أو ورقٍ أو كاغدٍ، وفي رواية عُمَّارة بن غَزِّيّة: وقطع الأديم، وفي رواية ابن أبي داود من طريق أبي داودالطّيالسيّ عن إبراهيم بن سعد: والصُّحُف.

قوله: (اللِّخاف) بكسر اللّام ثمّ خاء معجمة خفيفة و آخره فاء، جمع اللَّخْفَة بفتح اللّام و سكون المُعجمة، و وقع في رواية أبي داود الطَّيَالِسيّ عن إبراهيم بن سَعْد: واللُّخُف

---

[1] ـ الأعلى /١٨.

[2] ـ القمر /٢٢.

بضمّتين، وفي آخره قال أبو داود الطَّيالِسيّ في روايته: هي الحِجارة الرِّقاق. قال الخطّابيّ: صفائح الحِجارة الرِّقاق، قال الأصمعيّ: فيها عرض ودقّة، وسيأتي للمصنّف في الأحكام عن أبي ثابت أحد شيوخه أنّه فسّره بالخَزَف بفتح المعجمة والزّاي ثمّ فاء، وهي الآنية الّتي تصنع من الطِّين المَشْويّ، و وقع في رواية شُعَيْبَ: والأكتاف، جمع كِتف، وهوالعَظْم الّذي للبعير أو الشّاة، كانوا إذاجَفَّ كتبوا فيه. وفي رواية عُمَّارة بن غَزِّيَّة: و كسرالأكتاف.

و في رواية ابن مُجمِّع عن ابن شِهاب عند ابن أبي داود: والأضلاع، وعنده من وجه آخر: و أقتاب بقاف و مَثْناة وآخره موحّدة، جمع قتب بفتحتين، وهو الخُشُب الّذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه... [ثمّ ذكر رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب بحسب ما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١١، فقال:]

وهذا يدلّ على أنّ زيدًا كان لا يكتفي بمجرّد وجدانه مكتوبًا حتّى يشهد بـه مـن تلقّاه سماعًا مع كون زيد كان يحفظ و كان يفعل ذلك مبالغةً، في الاحتياط وعند ابن أبي داود من طريق هِشام بن عُرْوة عن أبيه؛ أنّ أبابكر قال لعمر و لزيد: اقـعدا عـلى بـاب المسجد من جاء كما يشاهد على شيء من كتاب الله فاكتباه و رجاله ثقاتٌ مع انقطاعه وكان المراد بالشّاهدين الحِفْظ والكِتابة، أو المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ أو المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك من الوجوه الّتي نزل بها القرآن، وكان غرضهم أن لا يكتب إلّا من عين ما كتب بين يدي النّبيّ ﷺ لا من مـجرّد الحفظ.

قوله: (وصُدور الرِّجال) أي حيث لا أجد ذلك مكتوبًا، أو الواو بمعنى «مع»، أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصّدر.

قوله: (حتّى وجدت آخر سورة التّوبة مع أبي خُزَيْمة الأنصاريّ) وقع في رواية عبد الرّحمان بن مهديّ عن إبراهيم بن سعد: مـع خُـزَيْمة بـن ثـابت، أخـرجـه أحـمد والتِّرمِذيّ، و وقع في رواية شُعَيْب عن الزُّهْريّ كما تقدّم في سُورة التّوبة: مـع خُـزَيمة الأنصاريّ، وقد أخرجه الطَّبَرانيّ في مسند الشّاميّين من طريق أبي اليَمان عـن شُـعَيْب

فقال فيه: خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ. وكذا أخرجه ابن أبي داود من طريق يُونس بن زيد عن ابن شِهاب. وقول من قال عن إبراهيم بن سعد: مع أبي خُزَيْمة، أصحّ، وقد تقدّم البحث فيه في تفسير سورة التّوبة وأنّ الّذي وجد معه آخر سُورة التّوبة غير الّذي وجد معه الآية الّتي في الأحزاب، فالأوّل اختلف الرّواة فيه على الزُّهْريّ، فمن قائل: مع خُزَيمة، ومن قائل: مع أبي خُزَيمة ومن شاكّ فيه يقول: خُزَيمة أو أبي خُزَيْمة. والأرجح أنّ الّذي وجد معه آخر سورةالتّوبة أبو خُزَيْمة بالكُنية، والّذي وجد معه الآية من الأحزاب خُزَيْمة. وأبو خُزَيمة قيل: هو ابن أوس بن يَزيد بن أصْرَم، مشهور بكنيته دون اسمه، وقيل هو الحَرْث بن خُزَيْمة. وأمّا خُزَيْمة فهو ابن ثابت ذوالشّهادتين كما تقدّم صريحًا في سورة الأحزاب... [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود بسنده عن يحيى بن عَبّاد كما تقدّم عنه، الرّقم ٥٠ فقال:]

فهذا إن كان محفوظًا احتمل أن يكون قول زيد بن ثابت: وجدتها مع أبي خُزَيْمة لم أجدهامع غيره، أي أوّل ماكتبت، ثمّ جاءالحرث بن خُزَيْمة بعد ذلك، أو أنّ أبا خُزَيمة هوالحَرث بن خُزَيْمة لا ابن أوس. وأمّا قول عمر: لوكانت ثلاث آيات، فظاهره أنّهم كانوا يؤلّفون آيات السُّوَر باجتهادهم، وسائر الأخبار تدلّ على أنّهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلّا بتوقيف، نعم ترتيب السُّوَر بعضها إثر بعض كان يقع بعضه منهم بالاجتهاد كما سيأتي في باب تأليف القرآن.

قوله: (لم أجدها مع أحد غيره) أي مكتوبة، لما تقدّم من أنّه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، ولا يلزم من عدم وجدانه إيّاها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقّها من النّبيّ ﷺ، وإنّما كان زيد يطلب التّثبّت عمّن تلقّاها بغير واسطة ولعلّهم لمّا وجدها زيد عند أبي خُزَيمة تذكّروها كما تذكّرها زيد، وفائدة التّتبّع، المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي النّبيّ ﷺ.

قال الخطّابيّ: هذا ممّا يخفى معناه ويوهم أنّه كان يكتفي في إثبات الآية بخبر الشّخص الواحد، وليس كذلك، فقد اجتمع في هذه الآية زيد بن ثابت وأبو خُزَيْمة وعمر.

وحكى ابن التّين عن الدّاوُديّ قال: لم يتفرّد بها أبو خُزَيْمة بل شاركه زيد بن ثابت، فعلى هذا تثبّت برجلين. وكأنّه ظنّ أنّ قولهم: لايثبت القرآن بخبرالواحد، أي الشّخص الواحد، و ليس كما ظنّ بل المراد بخبرالواحد خلاف الخبرالمتواتر، فلو بلغت رواة الخبر عددًا كثيرًا وفقد شيئًا من شروط المتواتر لم يخرج عن كونه خبرالواحد، والحقّ أنّ المراد بالنّفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونها محفوظة... [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود عن يحيى بن عبد الرّحمان و رواية أُخرى من طريق أبي العالية كما تقدّم عنه الرّقم ١١ و٧].

قوله: (فكانت الصُّحُف) أي الّتي جمعها زيد بن ثابت، قوله: (عند أبي بكر حتّى توفّاه الله): في «موطّأ» ابن وَهْب عن مالك عن ابن شِهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتّى استعان عليه بعمر ففعل.

و عند موسى بن عُقْبة في المغازي عن ابن شِهاب قال: لمّا أُصيب المسلمون باليَمامة فزع أبو بكر، وخاف أن يهلك من القُرّاء طائفة، فأقبل النّاس بما كان معهم و عندهم، حتّى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أوّل من جمع القرآن في الصُّحُف و هذا كلّه أصحّ ممّا وقع في رواية عُمّارة بن غَزِّيّة أنّ زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعُسُب، فلمّا هلك أبو بكر وكان عمر، كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده، و إنّما كان في الأديم والعُسُب أوّلاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثمّ جمع في الصُّحُف في عهد أبي بكر كما دلّت عليه الأخبار الصّحيحة المترادفة.

قوله: (ثمّ عند حَفْصَة بنت عمر) أي بعد خلافة عمر في خلافة عُثمان إلى أن شرع عُثمان في كتابة المُصْحَف، و إنّما كان ذلك عند حَفصَة لأنّها كانت وصيّة عمر، فاستمرّ ما كان عنده عندها حتّى طلبه منها من له طلب ذلك.

قوله: (حدّثنا موسى) هو ابن إسماعيل، و إبراهيم هو ابن سعد، وهذا الإسناد إلى ابن شِهاب هوالّذي قبله بعينه، أعاده إشارة إلى أنّهما حديثان لابن شِهاب في قصّتين مُختلفين و إن اتّفقتا في كتابة القرآن و جمعه. و عن ابن شِهاب قصّة ثالثة كما بيّنّاه عن

خارجة بن زيد عن أبيه في قصّة الآية الّتي من الأحزاب، و قد ذكرها في آخر هذه القصّة الثّانية هنا، و قد أخرجه المصنِّف من طريق شُعَيْب عن ابن شِهاب مفرّقًا، فأخرج القصّة الأُولى في تفسير التّوبة، و أخرج الثّانية قبل هذا بباب لكن باختصار، و أخرجها الطَّبَرانيّ في مسند الشّاميّين، و ابن أبي داود في المصاحف، و الخَطيب في «المُدْرج» من طريق أبي اليَمان بتمامه، و أخرج المصنّف الثّالثة في تفسير سُورة الأحزاب كما تقدّم.

قال الخطيب: روى إبراهيم بن سَعْد عن ابن شِهاب القصص الثّلاث، ثمّ ساقها من طريق إبراهيم بن سَعد عن ابن شِهاب مساقًا واحدًا مفصّلاً للأسانيد المذكورة، قال: و روى القصص الثّلاث شُعَيْب عن ابن شِهاب، و قصّة آخر التّوبة مفردًا يونس بن يزيد.

قلت: و روايته تأتي عقب هذا باختصار، و قد أخرجها ابن أبي داود من وجه آخر عن يُونس مطوّلة، وفاته رواية سُفيان بن عُيَينة لها عن ابن شِهاب أيضًا، و قد بيّنت ذلك قبل، قال: و روى قصّة آية الأحزاب مَعْمَر و هِشام بن الغاز و معاوية بن يحيى ثلاثتهم عن ابن شِهاب ثمّ ساقها عنهم.

قلت: وفاته رواية ابن أبي عَتِيق لها عن ابن شِهاب و هي عند المصنّف في الجهاد...

قوله: (أنّ حُذيفة بن اليَمان قدم على عُثمان وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة و أذربايجان مع أهل العراق) في رواية الكشميهنيّ في أهل العراق، والمراد أنّ أرمينيّة فتحت في خلافة عُثمان، وكان أمير العسكر من أهل العراق: سَلْمَان بن رَبيعة البَاهِليّ، وكان عُثمان أمر أهل الشّام و أهل العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أمير أهل الشّام على ذلك العسكر: حبيب بن سَلَمة الفِهريّ، وكان حُذَيْفة من جملة من غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن وهي من جملة أعمال العراق.

و وقع في رواية عبد الرّحمان بن مهديّ عن إبراهيم بن سعد: وكان يغازي أهل الشّام في فرج أرمينيّة و أذربيجان مع أهل العراق، قال ابن أبي داود: الفرج: الثّغر. وفي رواية يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه: أنّ حُذَيْفة قدم على عُثمان وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينيّة في غزوهم ذلك الفرج مع من اجتمع من أهل العراق و أهل الشّام. وفي رواية

يونس بن يزيد: اجتمع لغزو أذربيجان و أرمينيّة أهل الشّام و أهل العراق... [ثمّ شرح كلمة أرمينيّة و بيّن ضبطها و أصلها، و لاحاجة لذكرها هنا، و إن شئت فراجع الصّفحة: ١٣و ١٤].

و قد أخرج ابن ابي داود من طريق أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سَعْد بن أبي وَقّاص قال خطب عُثمان فقال: يا أيّها النّاس إنّما قبض نبيّكم منذ خمس عشرة سنة و قد اختلفتم في القراءة [الحديث في جمع القرآن]، وكانت خلافة عُثْمان بعد قتل عمر، وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجّة في سنة ثلاث و عشرين من الهجرة بعد وفاة النّبيّ ﷺ بثلاث عشرة سنة إلّا ثلاثة أشهر، فإن كان قوله: خمس عشرة سنة، أي كاملة فيكون ذلك بعد مُضيّ سنتين و ثلاثة أشهر من خلافته. لكن وقع في رواية أُخرى له: منذ ثلاث عشرة سنة، فيجمع بينهما بإلغاء الكسر في هذه و جبره في الأُولى، فيكون ذلك بعد مُضيّ سنة واحدة من خلافته، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع و عشرين و أوائل سنة خمس و عشرين، و هو الوقت الّذي ذكر أهل التّاريخ أنّ أرمينيّة فتحت فيه، و ذلك في أوّل ولاية «الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعيط» على الكوفة من قبل عُثمان، غفل بعض من أدركناه فزعم أنّ ذلك كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستندًا...

في رواية عُمّارة بن غَزِّيّة أنّ حُذَيْفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتّى أتى عُثمان، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك النّاس! قال: و ماذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينيّة فإذا أهل الشّام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، و إذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشّام، فيُكفِّر بعضهم بعضًا.

[ثمّ ذكر رواية يزيد بن معاوية النَّخَعيّ و رواية أبي الشَّعْثَاء، بحسب ما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، فقال:]

وهذه القصّة لحُذَيْفة يظهر لي أنّها متقدّمة على القصّة الّتي وقعت له في القراءة، فكأنّه لمّا رأى الاختلاف أيضًا بين أهل الشّام والعراق اشتدّ خوفه، فركب إلى عُثمان وصادف أنّ عُثمان أيضًا كان وقع له نحو ذلك. [ثمّ ذكر رواية أبي قِلابَة نقلاً عن ابن أبي داود كما تقدّم عن الطَّبَريّ الرّقم ٣، فقال :]

وفي رواية مُصْعَب بن سعد: فقال عُثمان: تمترون في القرآن، تقولون: قراءة أُبيّ قراءة عبد الله، و يقول الآخر: والله ما تقيم قراءتك.

و من طريق محمّد بن سيرين قال: كان الرّجل يقرأ حتّى يقول الرّجل لصاحبه: كفرت بما تقول، فرفع ذلك إلى عُثمان فتعاظم في نفسه. و عند ابن أبي داود أيضًا من رواية بُكَيْر بن الأشَجّ: أنّ ناسًا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها قال: ألا إنّي أكفر بهذه، ففشا ذلك في النّاس، فكلّم عُثمان في ذلك.

قوله: (فأرسل عُثمان إلى حَفْصَة أن أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها في المَصاحف) في رواية يُونس بن يزيد: فاستخرج الصّحيفة الّتي كان أبو بكر أمر زيدًا: بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق. والفرق بين الصُّحُف والمُصْحَف أنّ الصُّحُف الأوراق المجرّدة الّتي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سُوَرًا مُفرّقةً، كلّ سورة مرتّبةً بآياتها على حدة، لكن لم يرتّب بعضها إثر بعض، فلمّا نسخت و رتّب بعضها إثر بعض صارت مُصْحَفًا، وقد جاء عن عُثمان أنّه إنّما فعل ذلك بعد أن استشار الصّحابة. [ثمّ ذكر رواية سُوَيْد بن غَفَلة عن عليّ كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١٤، ١٥].

قوله: (فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزُّبير و سَعيد بن العاص و عبدالرَّحمان بن الحارث بن هِشام فنسخوها في المصاحف) و عند ابن أبي داود من طريق محمّد بن سيرين، قال: جمع عُثمان اثني عشر رجلاً من قُريش و الأنصار منهم أُبيّ بن كعب، و أرسل إليّ الرُّقْعَة الّتي في بيت عمر قال: فحدّثني كثير بن أفْلَح، وكان ممّن يكتب، قال: فكانوا إذا اختلفوا في الشّيء أخّروه، قال ابن سيرين: أظنّه ليكتبوه على العَرْضَة الأخيرة. و في رواية مُصْعَب بن سَعْد فقال عُثمان: من أكتب النّاس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد ابن ثابت، قال: فأيّ النّاس أعرب (وفي رواية أفصح)؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عُثمان: فليُمل سعيد وليَكتب زيد.

و من طريق سعيد بن عبد العزيز: أنّ عربيّة القرآن أُقيمت على لسان سَعيد بن العاص ابن سَعيد بن العاص بن أُميّة، لأنّه كان أشبههم لَهْجة برسول الله ﷺ، وقُتل أبوه العاص يوم

بدر مشركًا ومات جدّه سَعيد بن العاص قبل بدر مشركًا.

قلت: وقد أدرك سَعيد بن العاص هذا من حياة النّبيّ ﷺ تسع سنين. قال ابن سَعْد: وعدّوه لذلك في الصَّحابة، و حديثه عن عُثمان و عائشة في صحيح مسلم، و استعمله عُثمان على الكوفة و معاوية على المدينة، وكان من أجواد قُريش و حُلمائها، وكان مُعاوية يقول: لكلّ قوم كريم، وكريمنا سَعيد، وكانت وفاته بالمدينة سنة سبع أو ثمان أوتسع و خمسين. و وقع في رواية عُمَّارة بن غَزِّيَّة: أبان بن سعيد بن العاص بَدَل سعيد.

قال الخطيب: ووهم عُمَّارة في ذلك، لأنَّ أبان قُتل بالشّام في خلافة عمر، ولا مدخل له في هذه القصّة، والّذي أقامه عُثمان في ذلك هو سعيد بن العاص بن أخي أبان المذكور.

و وقع من تسمية بقيّة مَنْ كتب أو أملىٰ عند ابن أبي داود مفرّقًا جماعة، منهم: مالك ابن أبي عامر جدّ مالك بن أنس من روايته و من رواية أبي قِلابة عنه، و منهم: كثيربن أفْلَح كما تقدّم، و منهم أُبيّ بن كَعْب كما ذكرنا، و منهم: أنس بن مالك و عبد الله بن عبّاس، وقع ذلك في رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن شِهاب في أصل حديث الباب، فهؤلاء تسعة عرفنا تسميتهم من الاثني عشر.

و قد أخرج ابن أبي داود من طريق عبد الله بن مُغَفّل و جابر بن سَمُرَة، قال: قال عمر ابن الخطّاب: لا يُملِينّ في مصاحفنا إلّا غِلمان قُريش وثقيف، وليس في الّذين سمّيناهم أحد من ثقيف، بل كلّهم إمّا قُرشيّ أو أنصاريّ، وكأنّ ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مُصْعَب، ثمّ احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف الّتي تُرسَل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد مَن ذكر، ثمّ استظهروا بأُبيّ بن كَعب في الإملاء. و قد شقّ على ابن مسعود صرفه عن كتابة المُصْحَف حتّى قال ما أخرجه التِّرمِذيّ في آخر حديث إبراهيم بن سَعْد عن ابن شِهاب من طريق عبد الرّحمان ابن مهديّ عنه، قال ابن شِهاب: فأخبرني عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود: أنّ عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المَصاحف و قال: يا معشر المسلمين أُعزَل عن نسخ كتابة المَصاحف و يتولّاها رجل والله لقد أسلمتُ و أنّه لفي صُلب رجل كافر، يريد

زيد بن ثابت.

وأخرج ابن أبي داود من طريق خُمَيْر بن مالك «بالخاء مصغّرًا» سمعت ابن مسعود يقول: لقد أخذت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة و إنّ زيد بن ثابت لصبيّ من الصّبيان. و من طريق أبي وائل عن ابن مسعود: بضعًا وسبعين سورة. و من طريق زِرٍّ بن حُبَيْش عنه مثله، و زاد: وأنّ لزيد بن ثابت روايتين، والعذر لعُثمان في ذلك أنّه فعله بالمدينة و عبد الله بالكوفة، ولم يؤخّر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يُرسل إليه و يحضر، و أيضًا فإنّ عُثمان إنّما أراد نسخ الصُّحُف الّتي كانت جمعت في عهد أبي بكر و أن يجعلها مُصْحَفًا واحدًا، وكان الّذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت كما تقدّم، لكونه كاتب الوحي، فكانت له في ذلك أوّليّة ليست لغيره.

وقد أخرج التِّرمِذيّ في آخر الحديث المذكور عن ابن شِهاب قال: بلغني أنّه كره ذلك من مقالة عبد الله بن مسعود رِجال من أفاضل الصّحابة.

قوله: (وقال عُثمان للرّهْط القُرشيّين الثّلاثة) يعني سعيدًا و عبد الله وعبد الرّحمان، لأنّ سعيدًا أُمويّ، و عبد الله أَسَديّ، و عبد الرّحمان مخزوميّ، وكلّها من بُطون قريش.

قوله: (في شيءٍ من القرآن) في رواية شُعَيب، في عربيّة من عربيّة القرآن، وزاد التِّرمِذيّ من طريق عبد الرّحمان بن مهديّ عن إبراهيم بن سَعْد في حديث الباب، قال ابن شِهاب: فاختلفوا يومئذٍ في التّابوت والتّابوه، فقال القُرشيّون: التّابوت، وقال زيد التّابوه، فرفع اختلافهم إلى عُثمان، فقال: اكتبُوه التّابوت، فإنّه نزل بلسان قُرَيش، و هذه الزّيادة أدرجها إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع في روايته عن ابن شِهاب في حديث زيد بن ثابت، قال الخَطيب: و إنّما رواها ابن شِهاب مرسلة.

قوله: (حتّى إذا نسخوا الصُّحُف في المصاحف ردّ عثمان الصُّحُف إلى حَفْصَة) زاد أبو عُبَيد و ابن أبي داود من طريق شُعَيْب عن ابن شِهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤٣، ثمّ قال:]

و وقع في رواية أبي عُبَيْدة: فمزّقتُ، قال عُبَيْدة: لم يسمع أنّ مَرْوان مزّق الصُّحُف إلّا في هذه الرّواية.

قلت: قد أخرجه ابن أبي داود من طريق يونس بن يزيد عن ابن شِهاب نحوه، و فيه: فلمّا كان مروان أميرالمدينة أرسل إلى حَفْصَة يسألها الصُّحُف فمنعته إيّاها، قال: فحدّثني سالم بن عبد الله، قال: لمّا توفّيت حَفْصَة فذكره، وقال فيه: فشقّقها و حرّقها. و وقعت هذه الزّيادة في رواية عُمَّارَة بن غَزِّيّة أيضًا باختصار، لكن أدرجها أيضًا في حديث زيد بن ثابت، و قال فيه: فغسلها غسلاً.

و عند ابن أبي داود من رواية مالك عن ابن شِهاب عن سالم أو خارجة: أنّ أبابكر لمّا جمع القرآن...[و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم٨].

قوله: (فأرسل إلى كلّ أُفُق، مُصْحَف ممّا نسخوا) في رواية شُعَيْب: فأرسل إلى كلّ جُند من أجناد المسلمين بمُصْحَف، و اختلفوا في عدّة المصاحف الّتي أرسل بها عُثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنّها خمسة... [ثمّ ذكر رواية حَمْزة الزّيّات و رواية أبي حاتِم بحسب ما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥٢، ٥٣، فقال:]

و أخرج بإسناد صحيح إلى إبراهيم النَّخَعيّ قال: قال لي رجل من أهل الشّام: مُصْحَفنا و مُصْحَف أهل البَصْرة أضبط من مُصْحَف أهل الكوفة.

قلت: لم؟ قال: لأنّ عُثمان بعث إلى الكوفة لمّا بلغه من اختلافهم بمُصْحَف قبل أن يعرض، و بقي مُصْحَفنا و مُصْحَف أهل البَصْرة حتّى عرضا.

قوله: (وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مُصْحَف أن يحرق) في رواية الأكثر أن يخرق بالخاء المعجمة، و «للمَرْوَزيّ» بالمهملة، ورواه «الأصيليّ» بالوجهين، والمعجمة أثبت، و في رواية الإسماعيليّ: أن تمحى أو تحرق. و قد وقع في رواية شُعَيب عند ابن أبي داود و الطَّبَرانيّ وغيرهما: وأمرهم أن يحرقوا كلّ مُصْحَف يخالف المُصْحَف الّذي أرسل به، قال: فذلك زمان حرّقت المصاحف بالعراق بالنّار.

وفي رواية سُوَيْد بن غَفَلة عن عليّ قال: لا تقولوا لعُثمان في إحراق المصاحف إلّا

خيرًا، أو في رواية بُكَيْر بن الأشَجّ: فأمر بجمع المصاحف فأحرقها، ثمّ بثّ في الأجناد الّتي كتب. و من طريق مُصْعَب بن سَعد قال: أدركت النّاس متوافرين حين حرّق عُثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد.

وفي رواية أبي قِلابة: فلمّا فرغ عُثمان من المُصْحَف كتب إلى أهل الأمصار: إنّي قد صنعت كذا و كذا، و محوت ما عندي فأمحوا ما عندكم. والمَحْو أعمّ أن يكون بالغُسل أو التّحريق، و أكثر الرّوايات صريح في التّحريق، فهو الّذي وقع، و يحتمل وقوع كلّ منهما بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك، و قد جزم عِيَاض بأنّهم غسلوها بالماء ثمّ أحرقوها مبالغة في إذهابها.

قال ابن بَطّال: في هذا الحديث جواز تحريق الكتب الّتي فيها اسم الله بالنّار، و إنّ ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام.

و قد أخرج عبد الرَّزّاق من طريق طاوُوس: أنّه كان يحرق الرّسائل الّتي فيها البَسْملة إذا اجتمعت، و كذا فعل عُرْوة و كره إبراهيم...

و قوله: (وأمر بما سواه) أي بما سوى المُصْحَف الّذي استكتبه والمصاحف الّتي نقلت منه، و سوى الصُّحُف الّتي كانت عند حَفْصَة وردّها إليها، و لهذا استدرك مروان الأمر بعدها و أعدمها أيضًا خشيةً أن يقع لأحد منها توهّم أنّ فيها ما يخالف المُصْحَف الّذي استقرّ عليه الأمر كما تقدّم. واستدلّ بتحريق عُثمان الصُّحُف على القائلين بقدم الحروف والأصوات، لأنّه لا يلزم من كون كلام الله قديمًا أن تكون الأسطر المكتوبة في الورق قديمة ولو كانت هي عين كلام الله لم يستجز الصّحابة إحراقها، والله أعلم.

قوله: «قال ابن شِهاب: وأخبرني خارجة...) هذه هي القصّة الثّالثة، و هي موصولة إلى ابن شِهاب بالإسناد المذكور كما تقدّم بيانه واضحًا، و قد تقدّمت موصولة مفردة في الجهاد وفي سورة الأحزاب.

وظاهر حديث زيد بن ثابت هذا أنّه فقد آية الأحزاب من الصُّحُف الّتي كان نسخها في خلافة أبي بكر حتّى وجدها مع خُزَيمة بن ثابت. ووقع في رواية إبراهيم بن إسماعيل

ابن مجَمِّع عن ابن شِهاب أنّ فقده إيّاها إنّما كان في خلافة أبي بكر، و هـو وهـم مـنه، والصّحيح ما في الصّحيح، و أنّ الّذي فقده في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة، و أمّا الّتي في الأحزاب ففقدها لمّا كتب المُصْحَف في خلافة عُثمان، و جَزَم ابن كثير بماوقع في رواية ابن مُجَمِّع، وليس كذلك والله أعلم.

قال ابن التّين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر و بين جمع عُثمان أنّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنّه لم يكن مجموعًا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتّبًا لآيات سُوَره على ماوقّفهم عليه النّبيّ ﷺ و جمع عُثمان كان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرأوه بلغاتهم على اتّساع اللّغات، فأدّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصُّحُف في مُصْحَف واحد مرتّبًا لسُوَره كما سيأتي في باب تأليف القرآن، واقتصر من سائر اللّغات على لُغة قُريش محتجًّا بأنّه نزل بلُغتهم، و إن كان قد وسع في قراءته بلُغة غيرهم رفعًا للحرج و المشقّة في ابتداء الأمر، فرأى أنّ الحاجة إلى ذلك انتهت، فاقتصر على لُغة واحدة، وكانت لُغة قُريش أرجح اللّغات، فاقتصر عليها، و سيأتي مزيد بيان لذلك بعد باب واحد.

تنبيه: قال ابن مُعين: لم يروأحد حديث جمع القرآن أحسن من سياق إبراهيم بن سعد، وقد روى مالك طرقًا منه عن ابن شِهاب. (٩:٨ـ١٨)

تأليف القرآن

قوله: (باب تأليف القرآن) أي جمع آيات السُّورة الواحدة، أو جمع السُّوَر مرتّبةً في المُصْحَف.

قوله: (ابن جُرَيْج أخبرهم قال: و أخبرني يوسف) كذا عنهم و ما عرفت ماذا عطف عليه، ثمّ رأيت الواو ساقطة في رواية النّسفيّ، وكذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث.

قوله: (إذ جاءها عراقيّ) أي رجل من أهل العراق. ولم أقف على اسمه.

قوله: (أيّ الكفن خير؟ قالت: ويحك و ما يضرّك) لعلّ هذا العـراقـيّ كـان سـمع

حديث سمرة المرفوع: ألبسوا من ثيابكم البياض، وكفّنوا فيها موتاكم، فإنّها أطهر وأطيب. وهو عند التِّرمِذيّ مُصحّحًا، وأخرجه أيضًا عن ابن عبّاس، فلعلّ العراقيّ سمعه، فأراد أن يستثبت عائشة في ذلك. وكان أهل العراق اشتهروا بالتّعنُّت في السّؤال، فلهذا قالت له عائشة: و ما يضرّك؟ تعني أيّ كفن كفّنت فيه أجزأ. و قول ابن عمر للّذي سأله عن دم البَعُوض مشهور، حيث قال: انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض و قد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ.

قوله: (لعلّي أُؤلّف عليه القُرآن، فإنّه يقرأ غير مؤلّف) قال ابن كثير: كأنّ قصّة هذا العراقيّ كانت قبل أن يرسل عُثمان المُصْحَف إلى الآفاق، كذا قال، وفيه نظر، فإنّ يوسف ابن ماهِك لم يدرك زمان أرسل عُثمان المصاحف إلى الآفاق، فقد ذكر المِزّيّ أنّ روايته عن أُبيّ بن كعب مرسلة، و أُبيّ عاش بعد إرسال المصاحف على الصّحيح.

و قد صرّح يوسف في هذالحديث إنّه كان عند عائشة حين سألها هذا العراقيّ، والّذي يظهرلي أنّ هذا العراقيّ كان ممّن يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان ابن مسعود لمّا حضر مُصْحَف عُثمان إلى الكوفة يوافق على الرّجوع عن قراءته ولا على إعدام مُصْحَفه، كما سيأتي بيانه بعد الباب الّذي يلي هذا، فكان تأليف مُصْحَفه مغايرًا لتأليف مُصْحَف عُثمان، ولا شكّ أنّ تأليف المُصْحَف العُثمانيّ أكثر مناسبة من غيره، فلهذا أطلق العراقيّ أنّه غير مؤلّف.

وهذا كلّه على أنّ السّؤال إنّما وقع عن ترتيب السُّوَر، ويدلّ على ذلك قولها له: و ما يضرّك أيّه قرأت قبل؟ و يحتمل أن يكون أراد تفصيل آيات كلّ سُورة، لقوله في آخر الحديث: فأملت عليه آي السُّوَر، أي آيات كلّ سورة كان تقول له: سورة كذا مثلاً كذا كذا آية، الأُولى كذا الثّانية إلخ، وهذا يرجع إلى اختلاف عدد الآيات، وفيه اختلاف بين المدنيّ والشّاميّ والبَصْريّ، و قد اعتنى أئمّة القُرّاء بجمع ذلك وبيان الخلاف فيه، والأوّل أظهر. و يحتمل أن يكون السّؤال وقع عن الأمرين والله أعلم.

قال ابن بَطّال: لا نعلم أحدًا قال بوجوب ترتيب السُّوَر في القراءة لا داخل الصّلاة

ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحجّ قبل الكهف مثلاً، وأمّا ما جاء عن السّلف من النّهي عن قراءة القرآن مَنْكُوسًا، فالمراد به أن يقرأ من آخر السّورة إلى أوّلها، وكان جماعة يَصْنَعون ذلك في القصيدة من الشِّعر مبالغة في حفظها و تذليلاً للسانه في سَرْدها، فمنع السّلف ذلك في القرآن، فهو حرام فيه.

و قال القاضي عِيَاض في شرح حديث حُذَيْفة: إنّ النّبيّ ﷺ قرأ في صلاته في اللّيل بسورة النّساء قبل آل عمران، هو كذلك في مُصْحَف أُبيّ بن كعب، وفيه حجّة لمن يقول: إنّ ترتيب السُّوَر اجتهاد وليس بتوقيف من النّبيّ ﷺ وهو قول جمهورالعلماء.

واختاره القاضي الباقِلّانيّ قال: و ترتيب السُّوَر ليس بواجب في التّلاوة ولا في الصّلاة ولا في الدّرس ولا في التّعلّم، فلذلك اختلفت المصاحف، فلمّا كتب مُصْحَف عُثمان رتّبوه على ما هو عليه الآن، فلذلك اختلف ترتيب مصاحف الصَّحابة. ثمّ ذكر نحو كلام ابن بَطَّال، ثمّ قال: ولا خلاف أنّ ترتيب آيات كلّ سُورة على ما هي عليه الآن في المُصْحَف توقيف من الله تعالى، و على ذلك نقلته الأُمّة عن نبيّها.

قوله: (لقد تعلّمت النّظائر) و تقدّم شرحه مستوفى في باب الجمع بين سورتين في الصّلاة من أبواب صفة الصّلاة، وفيه أسماء السُّوَر المذكورة، و أنّ فيه دلالة على أنّ تأليف مُصْحَف ابن مسعود على غير تأليف العُثمانيّ، وكان أوّله الفاتحة ثمّ البقرة ثمّ النّساء ثمّ آل عمران، ولم يكن على ترتيب النّزول ويقال: إنّ مُصْحَف عليّ كان على ترتيب النّزول، أوّله اقرأ ثمّ المدّثّر ثمّ نٓ والقلم ثمّ المزّمّل ثمّ تبّت ثمّ التّكوير ثمّ سبّح، و هكذا إلى آخر المكّيّ ثمّ المدنيّ والله أعلم.

و أمّا ترتيب المُصْحَف على ماهو عليه الآن، فقال القاضي أبو بكر البَاقِلّانيّ: يحتمل أن يكون النّبيّ ﷺ هوالّذي أمر بترتيبه هكذا، و يحتمل أن يكون من اجتهاد الصَّحابة، ثمّ رجّح الأوّل بما سيأتي في الباب الّذي بعد هذا أنّه كان النّبيّ ﷺ يعارض به جبريل في كلّ سنة، فالّذي يظهر أنّه عارضه به هكذا على التّرتيب، و به جزم ابن الأنباريّ.

و **فيه نظر**، بل الّذي يظهر أنّه كان يعارضه به على ترتيب النّزول، نعم ترتيب بعض

السُّوَر على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفًا و إن كان بعضه من اجتهاد بعض الصَّحابة.

و قد أخرج أحمد و أصحاب السّنن وصحّحه ابن حَبان والحاكم من حديث ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

فهذا يدلّ على أنّ ترتيب الآيات في كلّ سُورة كان توقيفًا، ولمّا لم يفصح النّبيّ ﷺ بأمر براءة أضافها عُثمان إلى الأنفال اجتهادًا منه ﷺ. و نقل صاحب «الإقناع»: أنّ البَسْمَلة لبراءة ثابتة في مُصْحَف ابن مسعود، قال: ولا يؤخذ بهذا، وكان من علامة ابتداء السّورة نزول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أوّل ما ينزل شيء منها، كما أخرجه أبو داود و صحّحه ابن حَبان والحاكم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس، قال: كان النّبيّ ﷺ لا يعلم ختم السُّورة حتّى ينزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وفي رواية: فإذا نزلت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علموا أنّ السُّورة قد انقضت.

و ممّا يدلّ على أنّ ترتيب المُصْحَف كان توقيفًا ما أخرجه أحمد و أبو داود و غيرهما عن أوس بن أبي أوس حُذَيْفة الثّقفيّ... [و ذكر كما تقدّم عن ابن كَثير، ثمّ قال:]

قلت: فهذا يدلّ على أنّ ترتيب السُّوَر على ماهو في المُصْحَف الآن كان في عهد النّبيّ ﷺ و يحتمل أنّ الّذي كان مرتّبًا حينئذ حزب المُفصّل خاصّة بخلاف ماعداه، فيحتمل أن يكون كان فيه تقديم و تأخير، كما ثبت من حديث حُذَيفة أنّه ﷺ قرأ النّساء بعد البقرة قبل آل عمران. و يستفاد من هذا الحديث حديث أوس أنّ الرّاجح في المُفصّل أنّه من أوّل سُورة قٓ إلى آخرالقرآن، لكنّه مبنيّ على أنّ الفاتحة لم تعدّ في الثُّلث الأوّل، فإنّه يلزم من عدّها أن يكون أوّل المفصّل من الحُجُرات، وبه جزم جماعة من الأئمّة، و قد نقلنا الاختلاف في تحديده في باب الجهر بالقراءة في المغرب من أبواب صفة الصّلاة والله أعلم.

قوله: (باب القُرّاء من أصحاب رسول الله ﷺ) أي الّذين اشتهروا بحفظ القرآن والتّصدّي لتعليمه، وهذا اللّفظ كان في عرف السّلف أيضًا لمن تفقّه في القرآن، و ذكر فيه

ستّة أحاديث: الأوّل عن عمرو، هو ابن مرّة، و قد نسبه المصنّف في المناقب من هذا الوجه، و ذهل الكَرْمانيّ، فقال: هو عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السَّبيعيّ، وليس كما قال.

قوله: (عن مسروق) جاء عن إبراهيم: وهو النَّخَعيّ، فيه شيخ آخر أخرجه الحاكم من طريق أبي سعيد المؤدّب عن الأعْمش عن إبراهيم عن عَلقَمة عن عبد الله، و هو مقلوب، فإنّ المحفوظ في هذا عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق كما تقدّم في المناقب، و يحتمل أن يكون إبراهيم حمله عن شيخين والأعْمَش حمله عن شيخين.

قوله: (خُذوا القرآن من أربعة) أي تعلّموه منهم، والأربعة المذكورون إثنان من المهاجرين وهما المبدأ بهما، و إثنان من الأنصار، وسالم هو ابن مَعْقَل مولى أبي حُذَيفة، و مُعاذ هو ابن جَبَل، وقد تقدّم هذا الحديث في مناقب سالم مولى أبي حُذَيْفَة من هذا الوجه، وفي أوّله: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أُحبّه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة فبدأ به، فذكر حديث الباب.

و يستفاد منه محبّة من يكون ماهرًا في القرآن، و أنّ البداءة بالرّجل في الذّكر على غيره في أمر اشترك فيه مع غيره يدلّ على تقدّمه فيه، و تقدّم بقيّة شرحه هناك.

و قال الكَرْمانيّ: يحتمل أنّه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده، أي أنّ هؤلاء الأربعة يبقون حتّى ينفردوا بذلك. و تعقّب بأنّهم لم ينفردوا، بل الّذين مهروا في تجويد القرآن بعدالعصر النّبويّ أضعاف المذكورين، و قد قتل سالم مولى أبي حُذَيْفة بعدالنّبيّ ﷺ في وقعة اليَمامة، و مات مُعاذ في خلافة عمر، و مات أُبيّ و ابن مسعود في خلافة عُثمان، و قد تأخّر زيد بن ثابت و انتهت إليه الرّئاسة في القراءة، و عاش بعدهم زمانًا طويلاً. فالظّاهر أنّه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الّذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الّذين يحفظون مثل الّذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصّحابة، و قد تقدّم في غزوة بئر معونة أنّ الّذين قتلوا بها من الصّحابة كان يقال لهم: القُرّاء، و كانوا سبعين رجلاً. [إلى أن قال:]

قوله: (سألت أنس بن مالك: مَن جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ؟ قال: أربعة كلّهم

من الأنصار) في رواية الطَّبَريّ من طريق سَعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتادة في أوّل الحديث: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج، فقال الأوس: منّا أربعة: من اهتزّ له العرش سعد بن مُعاذ، و من عدلت شهادته شهادة رَجلين خُزَيمَة بن ثابت، و من غَسّلَتْه الملائكة حَنْظَلَة بن أبي عامر، ومَن حَمَتْه الدَّبْر[١] عاصم بن ثابت. فقال الخزرج: منّا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم، فذكرهم.

قوله: (وأبوزيد) تقدّم في مناقب زيد بن ثابت من طريق شُعْبة عن قَتادة، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. و تقدّم بيان الاختلاف في اسم أبي زيد هناك، و جوّزت هناك أن لا يكون لقول أنس: أربعة، مفهوم. لكن رواية سعيد الّتي ذكرتها الآن من عند الطَّبريّ صريحة في الحَصْر، و سعيد ثبت في قَتادة، و يحتمل مع ذلك أنّ مراد أنس لم يجمعه غيرهم، أي من الأوس، بقرينة المفاخرة المذكورة، ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين: ثمّ في رواية سَعيد أنّ ذلك من قول الخَزرَج، و لم يفصح باسم قائل ذلك، لكن لما أورده أنس ولم يتعقّبه كان كأنّه قائل به، ولا سيّما، وهو من الخزرج.

و قد أجاب القاضي أبو بكر الباقِلّانيّ و غيره عن حديث أنس هذا بأجوبة:

أحدها ـ أنّه لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه.

ثانيها ـ المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات الّتي نزل بها إلّا أُولئك.

ثالثها ـ لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته و مالم ينسخ إلّا أُولئك، و هو قريب من الثّاني.

رابعها ـ أنّ المراد بجمعه تلقّيه مِنْ في رسول الله ﷺ لا بواسطة، بخلاف غيرهم، فيحتمل أن يكون تلقّي بعضه بالواسطة.

خامسها ـ أنّهم تصدّوا لإلقائه و تعليمه فاشتهروا به، و خفي حال غيرهم عمّن عرف حالهم، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك، أو يكون السّبب في خفائهم أنّهم خافوا غائلة الرّياء والعجب، و أمن ذلك مَن أظهره.

---

١ ـ الدَّبْر: جماعة النّحل والزّنابير.

سادسها ـ المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظًا عن ظهر قلب، و أمّا هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظَهر قلب.

سابعها ـ المراد أنّ أحدًا لم يفصح بأنّه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلّا أُولئك بخلاف غيرهم، فلم يفصح بذلك، لأنّ أحدًا منهم لم يكمله إلّا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه، فلعلّ هذه الآية الأخيرة و ما أشبهها ما حضرها إلّا أُولئك الأربعة ممّن جمع جميع القرآن قبلها، و أن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البيّن.

ثامنها ـ أنّ المراد بجمعه السّمع والطّاعة له والعمل بموجبه، وقد أخرج أحمد في الزّهد من طريق أبي الزّاهد به: أنّ رجلاً أتى أبا الدّرداء فقال: إنّ ابني جمع القرآن، فقال: اللّهمّ غفرًا، إنّما جمع القرآن من سمع له و أطاع.

وفي غالب هذه الاحتمالات تكلّف و لا سيّما الأخير، وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر، و هو أنّ المراد إثبات ذلك للخَزْرَج دون الأوس فقط، فلا ينافي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين و من جاء بعدهم، و يحتمل أن يقال: إنّما اقتصر عليهم أنس لتعلّق غرضه بهم ولا يخفى بعده.

والّذي يظهر من كثير من الأحاديث أنّ أبابكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ فقد تقدّم في المبعث أنّه بنى مسجدًا بفناء داره، فكان يقرأ فيه القرآن. وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك، و هذا ممّا لا يرتاب فيه، مع شدّة حرص أبي بكر على تلقّي القرآن من ا لنّبيّ ﷺ و فراغ باله له، و هما بمكّة و كثرة ملازمة كلّ منهما للآخر، حتّى قالت عائشة كما تقدّم في الهجرة. إنّه ﷺ كان يأتيهم بكرة و عشيّة. وقد صحّح مسلم حديث: «يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله»، و تقدّمت الإشارة إليه و تقدّم أنّه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤمّ في مكانه لمّا مرض، فيدلّ على أنّه كان أقرأهم، و تقدّم عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النزّول عقب موت النّبيّ ﷺ.

و أخرج النّسائيّ بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كلّ

ليلة، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: اقرأه في شهر... الحديث، و أصله في الصّحيح و تقدّم في الحديث الّذي، مضى ذكر ابن مسعود و سالم مولى أبي حُذَيفة و كلّ هؤلاء من المهاجرين.

و قد ذكر أبو عُبَيْد القُرّاءَ من أصحاب النّبيّ ﷺ فعدّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة و سَعْد أو ابن مسعود و حُذَيْفَة و سالمًا و أبا هُريرة و عبد الله بن السّائب والعَبادِلة[1] و من النّساء عائشة و حَفْصَة و أُمّ سَلَمة، ولكن بعض هؤلاء إنّما أكمله بعد النّبيّ ﷺ، فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس؟ وعدّ ابن أبي داود في كتاب «الشّريعة» من المهاجرين أيضًا تميم بن أوس الدّاريّ و عَقَبة بن عامر، و من الأنصار عُبادَة بن الصّامت و مُعاذ الّذي يكنّى أبا حَليمة و مُجَمِّع بن جارية و فُضالة بن عُبيد و مُسْلِمة بن مُخْلَد و غيرهم و صرّح بأنّ بعضهم إنّما جمعه بعد النّبيّ ﷺ. و ممّن جمعه أيضًا أبو موسى الأشعريّ، ذكره أبو عمرو الدّانيّ، وعدّ بعض المتأخّرين من القُرّاء عمرو بن العاص وسعد ابن عُبادة وأُمّ ورقة.

قوله: (تابعه الفضل بن موسى عن حُسين بن واقد عن ثُمَامَة عن أنس) هذا التّعليق وصله إسحاق بن راهْوَيْه في مسنده عن الفضل بن موسى به، ثمّ أخرجه المصنّف من طريق عبد الله بن المثنّى: حدّثني ثابت البنانيّ و ثُمَامَة عن أنس قال: مات النّبيّ ﷺ و لم يجمع القرآن غير أربعة، فذكر الحديث. فخالف رواية قَتادة من وجهين؛ أحدهما: التّصريح بصيغة الحصر في الأربعة، ثانيهما: ذكر أبي الدَّرداء بدل أُبيّ بن كعب. فأمّا الأوّل فقد تقدّم الجواب عنه من عدّة أوجه، و قد استنكره جماعة من الأئمّة.

قال المَازِريّ: لا يلزم من قول أنس: لم يجمعه غيرهم، أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك، لأنّ التّقدير أنّه لا يعلم أنّ سواهم جمعه، وإلّا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصَّحابة و تفرّقهم في البلاد؟ وهذا لايتمّ إلّا أن كان لقي كلّ واحد منهم على انفراده، و أخبره عن نفسه أنّه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النّبيّ ﷺ، و هذا في غاية البعد في

---

[1] ـ العَبادِلة: هو جمع لكلمة عبد الله، و هم: ۱ ـ عبد الله بن عبّاس ۲ ـ عبد الله بن عمر ۳ ـ عبد الله بن الزُّبير ٤ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص (لسان العرب ٤: ٢٦٩).

العادة، وإذا كان المرجع إلى مافي علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

و قد تمسّك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة، ولا متمسّك لهم فيه، فإنّا لا نسلّم حمله على ظاهره سلّمناه ولكن من أين لهم أنّ الواقع في نفس الأمر كذلك سلّمناه، لكن لا يلزم من كون كلّ واحد من الجمّ الغفير لم يحفظه كلّه أن لا يكون حفظ مجموعه الجمّ الغفير، و ليس من شرط التّواتُر أن يحفظ كلّ فرد جميعه، بل إذا حفظ الكلّ الكلّ ولو على التّوزيع كفى.

واستدلّ القُرْطُبيّ على ذلك ببعض ما تقدّم من أنّه قتل يوم اليَمامة سبعون من القُرّاء، و قتل في عهد النّبيّ ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد قال: و إنّما خصّ أنس الأربعة بالذّكر لشدّة تعلّقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.

و أمّا الوجه الثّاني من المخالفة، فقال الإسماعيليّ، هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوزان في الصّحيح مع تباينهما، بل الصّحيح أحدهما. وجزم البَيهَقيّ بأنّ ذكر أبي الدَّرداء وهم، والصَّواب أُبيّ بن كعب. و قال الدَّاوُديّ: لا أرى ذكر أبي الدَّرداء محفوظًا.

قلت: و قد أشار البُخاريّ إلى عدم التّرجيح باستواءالطّرفين، فطريق قَتادة على شرطه، وقد وافقه عليها ثُمامَة في إحدى الرّوايتين عنه، و طريق ثابت أيضًا على شرطه، وقد وافقه عليها أيضًا ثُمامَة في الرّواية الأُخرى، لكنّ مخرج الرّواية عن ثابت و ثُمامَة بموافقته، و قد وقع عن عبد الله بن المثنّى وفيه مقال، وإن كان عند البُخاريّ مقبولاً لكن لا تعادل روايته رواية قَتادة. و يرجّح رواية قَتادة حديث عمر في ذكر أُبيّ بن كعب، وهو خاتمة أحاديث الباب، ولعلّ البُخاريّ أشار بإخراجه إلى ذلك، لتصريح عمر بترجيحه في القراءة على غيره، و يحتمل أن يكون أنس حدّث بهذا الحديث في وقتين، فذكر مرّةً أُبيّ ابن كعب و مرّةً بدله أبا الدَّرداء.

و قد روى ابن أبي داود من طريق محمّد بن كعب القُرظيّ قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: مُعَاذ بن جَبَل وعُبَادة بن الصّامت و أُبيّ بن كعب و أبوالدَّرداء و أبو أيُّوب الأنصاريّ. و إسناده حسن مع إرساله، وهو شاهد جيّد لحديث

عبد الله بن المثنّى في ذكر أبي الدَّرداء و إن خالفه في العدد والمعدود.

و من طريق الشَّعبيّ قال: جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ستّة، منهم أبو الدّرداء و مُعاذ و أبو زيد و زيد بن ثابت، و هؤلاء الأربعة هم الّذين ذكروا في رواية عبد الله بن المثنّى. وإسناده صحيح مع إرساله، فلله دَرّ البُخاريّ ما أكثر اطّلاعه! وقد تبيّن بهذه الرّواية المرسلة قوّة رواية عبد الله بن المثنّى وأنّ لروايته أصلاً، والله أعلم.

و قال الكَرمانيّ: لعلّ السّامع كان يعتقد أنّ هؤلاء الأربعة لم يجمعوا، و كان أبوالدَّرداء ممّن جمع، فقال أنس ذلك ردًّا عليه، و أتى بصيغة الحصر ادّعاءً و مبالغةً، ولا يلزم منه النّفي عن غيرهم بطريق الحقيقة، والله أعلم.

قوله: (و أبو زيد، قال: و نحن ورثناه) القائل ذلك هو أنس، و قد تقدّم في مناقب زيد بن ثابت قال قَتادة: قلت: و من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي، و تقدّم في غزوة بدر من وجه آخر عن قَتادة عن أنس قال: مات أبو زيد وكان بدريّاً ولم يترك عَقَبًا، و قال أنس: نحن ورثناه. وقوله: أحد عمومتي، يردّ قول من سمّى أبا زيد المذكور سعد بن عُبَيْد بن النُّعمان أحد بني عمرو بن عَوْف، لأنّ أنسًا خزرجيّ، و سعد بن عُبَيد أوسيّ، و إذا كان كذلك احتمل أن يكون سعد بن عُبَيْد ممّن جمع ولم يطّلع أنس على ذلك.

و قد قال أبو أحمد العسكريّ: لم يجمعه من الأوس غيره، وقال محمّد بن حبيب في «المحبر»: سعد بن عُبَيْد و نسبه كان أحد من جمع القرآن في عهد النّبيّ ﷺ. و وقع في رواية الشَّعبيّ الّتي أشرت إليها المغايرة بين سعد بن عُبَيْد و بين أبي زيد فإنّه ذكرهما جميعًا، فدلّ على أنّه غير المراد في حديث أنس.

وقد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صَعْصَة وهو خزرجيّ، و تقدّم أنّه يكنّى أبا زيد و سعد بن المنذريّ بن أوس بن زُهَير، و هو خزرجيّ أيضًا، لكن لم أر التّصريح بأنّه يكنّى أبازيد، ثمّ وجدت عند ابن أبي داود ما يرفع الإشكال من أصله، فإنّه روى بإسناد على شرط البُخاريّ إلى ثُمامة عن أنس: أنّ أبا زيد الّذي جمع القرآن اسمه قَيْس بن السَّكَن، قال: وكان رجلاً منّا من بني عديّ بن النّجّار، أحد عمومتي، و مات ولم

يدع عقبًا، و نحن ورثناه.

قال ابن أبي داود: حدّثنا أنس بن خالد الأنصاريّ قال: هو قَيْس بن السَّكَـن مـن زعُوراء من بني عديّ بن النّجّار، قال ابن أبي داود: مات قريبًا من وفاة النّبيّ ﷺ فذهب علمه ولم يأخذ عنه، وكان عقبيًّا بدريًّا...

قوله: (أُبيّ أقرؤنا) كذا للأكثر، و به جزم المِزّيّ في «الأطراف» فقال: ليس في رواية صدقة ذكر عليّ.

قلت: و قد ثبت في رواية «النّسفيّ» عن البُخاريّ، فأوّل الحديث عنده: عليّ أقضانا و أُبيّ أقرؤنا. وقد ألحق «الدِّمْياطيّ» في نسخته في حديث الباب ذكر عليّ، وليس بجيّد، لأنّه ساقط من رواية الفربريّ الّتي عليها مدار روايته، و قد تقدّم في تفسير البقرة عـن عمرو بن عليّ عن يحيى القطّان بسنده هذا، وفيه ذكر عليّ عند الجميع...(٩: ٣١ـ٤٤)

الفصل السّابع والعشرون

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»

في جمعه و ترتيبه

قال الدَّيْر عاقُوليّ في فوائده: حدّثنا إبراهيم بن بَشّار، حدّثنا سُفيان بن عُيَيْنة، عن الزُّهْريّ، عن عُبَيد، عن زيد بن ثابت، قال: قُبِض النَّبيّ ﷺ و لم يكن القرآن جُمِع في شيء

[ثمّ ذكر قول الخَطّابيّ و رواية مُسلِم، كما تقدّم عن ابن حَجَر، و قال :]

فلاينافي ذلك لأنّ الكلام في كتابة مخصوصة، و قد كان القرآن كتب كلّه في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السُّوَر.

القول في جمع القرآن ثلاث مرّات

قال الحاكم في المستدرك: جُمِع القرآن ثلاث مرّات:

[الجمع الأوّل] بحضرة النّبيّ ﷺ ثمّ أخرج بسندٍ على شرط الشّيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرّقاع...».

قال البَيْهَقيّ: يشبه أن يكون أنّ المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرّقة في سُوَرها و جمعها فيها بإشارة النّبيّ ﷺ.

[الجمع الثّاني] بحضرة أبي بكر... **[ثمّ ذكر رواية البُخاريّ عن زيد بن ثابت و رواية ابن أبي داود بسند حسن عن عَبْد خَيْر كما تقدّم عنهما الرّقم ١، ٢، ٤]**.

لكن أخرج أيضاً من طريق ابن سيرين قال: قال عليّ: لمّامات رسول الله ﷺ آليتُ أن لا آخذ عليّ ردائي إلّا لصلاة جُمُعة حتّى أجمع القرآن، فجمعه.

قال ابن حَجَر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، و بتقدير صحّته، فمراده بجمعه حفظه في صدره، و ما تقدّم من رواية عبد خير عنه أصحّ، فهو المعتمد.

قلت: قد ورد من طريق آخر أخرجه ابن الضُّرَيس في فضائله: حدّثنا بِشربن موسى، حدّثنا هَوْذَة بن خليفة، حدّثنا عَوْن، عن محمّد بن سيرين، عن عِكْرِمة، قال: لمّا كان بعد بيعة أبي بكر، قعد عليّ بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرِهتَ بيْعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدَك عنّي؟ قال: رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه، فحدّثتُ نفسي ألّا ألبس ردائي إلّا لصلاة حتّى أجمعه، قال له أبو بكر: فإنّك نعم ما رأيت. قال محمّد فقلت لعِكْرِمة: ألّفوه كما أُنزِل، الأوّل فالأوّل قال: لو اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يؤلّفوه ذلك التّأليف ما استطاعوا.

وأخرجه ابن أشتَة في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه أنّه كتب في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ، وأنّ ابن سيرين قال: فطلبتُ ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه.

وأخرج ابن أبي داود من طريق الحسن، أنّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قُتِل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله! و أمر بجمع القرآن، فكان أوّل مَنْ جمعه في المُصْحَف. إسناده منقطع، والمراد بقوله: «فكان أوّل من جمعه»، أي أشار بجمعه.

قلت: و من غريب ماورد في أوّل مَنْ جمعه، ما أخرجه ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق كَهْمَس، عن ابن بُرَيْدة، قال: أوّل من جمع القرآن في مُصْحَف سالم مولى أبي حُذَيْفة، أقسم لايرتدي برداء حتّى يجمعه، فجمعه، ثمّ ائتمروا[1] ما يسمّونه؟ فقال بعضهم: سمّوه السِّفْر، قال: ذلك اسم تسمّيه اليهود، فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يُسمَّى المُصْحَف، فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه المُصْحَف. إسناده منقطع أيضًا، و هو محمول على أنّه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر. [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب كما تقدّم عنه الرّقم ١١، ثمّ نقل قول ابن حَجَر ورواية هِشام بن

١ ـ أئتمروا، أي تشاوروا.

عُرْوَة، كماتقدّم عنه، فقال:]

و قال السَّخاويّ في «جمال القُرّاء»: المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أوالمراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك من الوجوه الّتي نزل بها القرآن.

قال أبو شامَة: و كان غرضُهم ألّا يكتب إلّا من عينِ ما كُتِب بين يدي النّبيّ ﷺ لا من مجرّد الحفظ. قال: و لذلك قال في آخر سورة التّوبة: لم أجدها مع غيره، أي لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنّه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكِتابة.

قلت: أوالمراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك ممّا عُرِض على النّبيّ ﷺ عامَ وفات، كما يؤخذ ممّا تقدّم آخر النّوع السّادس عشر.

وقد أخرج ابن أشتة في «المصاحف» عن اللَّيْث بن سَعد، قال: أوّل مَنْ جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان النّاس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلّا بشاهدَي عدل، وأنّ آخِر سورة براءة لم تُوجد إلّا مع خُزَيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها فإنّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجُلَيْن، فكتب. وأنّ عمر أتى بآية الرَّجْم: فلم يكتبها، لأنّه كان وحده... [ثمّ ذكر قول المَحاسِبيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

و قد تقدّم في حديث زيد أنّه جَمع القرآن من العُسُب واللِّخاف، وفي روايةٍ: «والرِّقاع»، وفي أُخرى: «وقطَع الأديم»، وفي أُخرى: «والأكتاف»، و في أُخرى: «والأضلاع»، وفي أُخرى: «والأقتاب». فالعُسُب: جمع عسيب و هو جَريد النّخل، كانوا يكْشِطُون الخوص و يكتبون في الطّرف العَريض. واللِّخاف بكسر اللّام و بخاء معجمة خفيفة، آخره فاء: جمع لَخْفَة بفتح اللّام و سكون الخاء، وهي الحِجارة الدّقاق، وقال الخَطّابيّ: صفائح الحِجارة. والرِّقاع: جمع رُقعة، و قد تكون من جلد أو رَقّ أو كاغَد. والأكتاف: جمع كَتِف وهو العظم الّذي للبعير أو الشّاة، كانوا إذا جَفّ كتبوا عليه. والأقتاب: جمع قَتَب هوالخَشَب الّذي يوضع على ظهر البَعير ليُركَب عليه.

[ثمّ ذكر رواية ابن وَهْب عن مالك ورواية موسى بن عُقْبَة عن ابن شِهاب، و قول ابن حَجَر

في رواية عُمّارة بن غَزِّيّة كما تقدّم عنه].

[الجمع الثّالث] هو ترتيب السُّوَر في زمن عُـثمان، روى البُـخاريّ عـن أنس أنّ حُذَيفة بن اليَمان... [و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤، ثمّ قال:]

قال ابن حَجَر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنّه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر له مستندًا. انتهى.

وأخرج ابن أشتة من طريق أيّوب عن أبي قِلابة، قال: حدّثني رجل من بني عامر، يقال له: أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القراءة على عهد عُثمان حتّى اقـتتل الغِـلمان والمعلّمون؛ فبلغ ذلك عُثمان بن عَفّان، فقال: عندي تكذبون به و تلحنون فيه! فمَنْ نأى عنّي كان أشدّ تكذيبًا، وأكثر لحْنًا. يا أصحاب محمّد، اجتمعوا فاكتبوا للـنّاس إمـامًا. فاجتمعوا فكتبوا فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا في آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلانًا، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكانًا.

[ثمّ ذكر رواية ابن سيرين عن كثير بن أفْلَح و رواية سُوَيد بن غَفَلَة، نقلاً عن ابن أبي داود، بحسب ما تقدّم عنه الرّقم ٤٤، ثمّ ذكر بعدهما قول ابن التّين كما تقدّم عن ابن حَجَر]

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عُثمان قصد أبي بكر في جمع نـفس القرآن بين لوحين، وإنّما قصد جمعهم على القراءات الثّابتة المعروفة عن النّبيّ ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمُصْحَف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِب مع مُثبَت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخـول الفسـاد والشُّبهة على مَنْ يأتي بعد.

وقال الحارث المَحاسِبيّ: المشهور عند النّـاس أنّ جـامع القـرآن عُـثمان، وليس كذلك، إنّما حمل عُثمان النّاس على القراءة بوجهٍ واحد على اختياروقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لمّا خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشّـام فـي حروف القراءات، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوهٍ من القراءات المطلّقات على

الحروف السّبعة الّتي نزل بها القرآن، فأمّا السّابق إلى جمع الجملة فهو الصّدّيق، وقد قال عليّ: لو وُلّيتُ لعملت بالمصاحف عمل عُثمان بها .انتهى.

فائدة

اختُلف في عدّة المصاحف الّتي أرسل بها عُثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنّها خمسة.

[ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود من طريق حمزة الزّيّات كما تقدّم عنه الرّقم٥٢].

ترتيب الآيات توقيفيّ أو اجتهاديٌّ؟

الإجماع والنّصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ، لا شُبهة في ذلك، وأمّا الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزّركشيّ في البُرهان وأبو جعفر بن الزُّبَير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سُوَرها واقعٌ بتوقيفهﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين. انتهى. وسيأتي من نصُوص العُلماء ما يدلّ عليه.

وأمّا النُّصُوص، فمنها حديث زيد السّابق: «كنّا عند النّبيّﷺ نؤلّف القرآن من الرّقاع».

ومنها: ما أخرجه أحمد وأبو داود والتِّرمِذيّ والنّسائيّ وابن حبان والحاكم عن ابن عبّاس، قال: قلت لعُثمان: ما حملكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم٥١، ثمّ قال:]

ومنها: ما أخرجه أحمد بإسناد حسن، عن عُثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالسًا عند رسول اللهﷺ إذ شَخص ببصره، ثمّ صَوَّبه، ثمّ قال: «أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السُّورة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبى...﴾[١] إلى آخرها».

ومنها: ما أخرجه البُخاريّ عن ابن الزُّبَير قال: قلتُ لعُثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ اَزْوَاجًا...﴾[٢] قد نسختها الآية الأُخرى، فلم تكتُبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أُغيّر شيئًا منه من مكانه.

---

١ - النّحل /٩٠.

٢ ـ البقرة /٢٣٤.

و منها: ما رواه مُسلِم عن عمر، قال: ما سألت النّبيّ ﷺ عن شيء أكثر ممّا سألته عن الكلالة، حتّى طعن بأصبعه في صَدْري و قال: «تكفيك آية الصّيف الّتي في آخر سُورة النّساء».

و منها: الأحاديث في خواتيم سُورة البقرة.

و منها: ما رواه مسلم عن أبي الدَّرداء مرفوعًا: «من حفظ عشر آيات من أوّل سُورة الكهف عصم من الدَّجّال»، و في لفظ عنده: «مَنْ قرأ العشر الأواخر من سُورةالكهف».

و من النُّصوص الدّالّة على ذلك إجمالاً ما ثُبت من قراءته ﷺ لسُوَر عديدة، كسورة البقرة و آل عمران والنّساء في حديث حُذَيْفَة، و الأعراف في صحيح البُخاريّ، أنّه قرأها في المغرب، و قد أفلح، روى النّسائيّ أنّه قرأها في الصّبح حتّى إذا جاء ذكر موسى و هارون أخذته سَعْلة فركع. والرّوم، رَوَى الطَّبَرانيّ أنّه قرأها في الصّبح، و ألّمْ تنزيل، وهل أتى على الإنسان، روى الشَّيخان أنّه كان يقرؤهما في صبح الجمعة، و «قٓ» في صحيح مسلم أنّه كان يقرؤها في الخطبة، و«الرّحمٰن» في المستدرك وغيره أنّه قرأها على الجنّ، «والنّجم»، في الصّحيح قرأها بمكّة على الكفّار و سجد في آخرها، و«اقتربت»، عند مسلم أنّه كان يقرؤها مع «قٓ» في العيد و «الجمعة» و«المنافقون» في مُسلم أنّه كان يقرأ بها في صلاة الجُمُعة، و«الصَّف»، في المستدرك عن عبد الله بن سَلّام أنّه ﷺ قرأها عليهم حين أُنزلت حتّى ختمها في سُوَر شتّى من المفصّل تدلّ قراءته ﷺ لها بمشهد من الصَّحابة أنّ ترتيب آيها توقيفيّ، و ما كان الصَّحابة ليرتّبوا ترتيبًا سمعوا النّبيّ ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك... مبلغ التّواتُر، نعم يُشكل على ذلك... [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود عن يحيى بن عَبّاد الرّقم ٥٢، و قول ابن حَجَر كما تقدّم عنهما].

قلت: يعارضه ما أخرجه ابن أبي داود أيضًا، من طريق أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب... [ثمّ ذكر قول الباقِلّانيّ وقول البَغَويّ و رواية ابن وَهْب، كما تقدّم عن أبي شامَة].

وقال ابن الحَصّار: ترتيب السُّوَر و وضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا»، و قد حصل اليقين من النّقل المتواتر

بهذا التّرتيب من تلاوة رسول الله ﷺ و ممّا أجمع الصَّحابة على وضعه هكذا في المُصْحَف.

ترتيب السُّوَر توقيفيّ أم اجتهاديّ؟

و أمّا ترتيب السُّوَر فهل هو توقيفيّ أيضًا، أو هو باجتهاد من الصَّحابة؟ خلاف، فجمهور العلماء على الثّاني، منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه... [ثمّ ذكر قول ابن فارِس و أبي بكر الأنباريّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

استدلّ به لذلك اختلاف مصاحف السّلف في ترتيب السُّوَر، فمنهم مَنْ رتّبها على النّزول، و هو مُصْحَف عليّ، كان أوّله: اقرأ، ثمّ المدّثّر، ثمّ نٓ، ثمّ المزّمّل، ثمّ تبّت، ثمّ التّكوير، و هكذا إلى آخر المكّيّ والمدنيّ، وكان أوّل مُصْحَف ابن مسعود البقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران، على اختلاف شديدٍ، وكذا مُصْحَف أُبيّ و غيره.

وأخرج ابن أشْتَة في المصاحف من طريق إسماعيل بن عَيّاش عن حَبّان بن يحيى عن أبي محمّد القُرَشيّ، قال: أمرهم عُثمان أن يتابعوا الطُّوَل، فجعلت سورة الأنفال و سورة التّوبة في السّبع، ولم يفصل بينهما بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾. وذهب إلى الأوّل جماعة منهم القاضي في أحد قوليه.

وقال الكَرمانيّ في «البُرهان»: ترتيب السُّوَر هكذا هو عندالله في اللَّوح المحفوظ على هذا التّرتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كُلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، و عرضه عليه في السّنة الّتي توفّي فيها مرّتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ اِلَى اللهِ﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيَتي الرّبا والدَّيْن.

وقال الطيّبيّ: أنزل القرآن أوّلاً جملةً واحدةً من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل مفرّقًا على حسب المصالح، ثمّ أثبت في المصاحف على التّأليف والنّظم المثبت في اللّوح المحفوظ... [ثمّ ذكر قول الزّركشيّ (في الخلاف بين الفريقين) كما تقدّم عنه].

وقال البَيْهَقيّ في «المدخل»: كان القرآن على عهد النّبيّ ﷺ مرتّبًا سُوَره و آياته على هذا التّرتيب، إلّا الأنفال و براءة، لحديث عُثمان السّابق. و مال ابن عَطِيّة إلى أنّ كثيرًا من السُّوَر كان قد علِم ترتيبها في حياته ﷺ، كالسَّبع الطُّوَل والحواميم والمفصّل، و إنّ ما سوى

ذلك يمكن أن يكون قد فُوِّض الأمر فيه إلى الأُمّة بعده. [ثمّ ذكر قول أبي جعفر بن الزُّبَيْر و رواية البخاريّ عن ابن مسعود و قول أبي جعفر النَّحّاس، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

قال ابن الحَصَّار: ترتيب السُّوَر و وضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحي... [ثمّ ذكر قول ابن حَجَر كما تقدّم عنه]

قلت: و ممّا يدلّ على أنّه توقيفيّ، كون الحواميم رتّبت وِلاءً وكذا الطّواسين، ولم ترتّب المسبّحات وِلاءً، بل فُصِل بين سُوَرها، و فُصِل بين (طسٓمٓ) الشّعراء و (طسٓمٓ) القصص بـ(طسٓ) مع أنّها أقصر منْهُما، ولو كان التّرتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبّحات وِلاءً وأُخّرت طس عن القَصَص.

والّذي ينشرح له الصّدر ما ذهب إليه البَيْهَقيّ، وهو أنّ جميع السُّوَر ترتيبها توقيفيّ إلّا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يُسْتَدَلّ بقراءته ﷺ سُوَرًا وِلاءً على أنّ ترتيبها كذلك، و حينئذ فلا يرد حديث قراءته النّساء قبل آل عمران، لأنّ ترتيب السُّوَر في القراءة ليس بواجب، فلعلّه فعل ذلك لبيان الجواز... [ثمّ ذكر رواية ابن أشتة عن ابن وَهْب، عن سليمان ابن بلال، كما تقدّم عن القُرطُبيّ] (١:٢٠٢ـ٢٢٣)

الفصل الثّامن والعشرون

نصّ القَسْطَلانيّ (م:٩٣٣) في «لطائف الإشارات»

[جمع القرآن في عهدالخلفاء]

[ثمّ ذكر رواية أنس، و رواية قتادة عن أنس في «من جمع القرآن» كما تقدّم عن البُخاريّ، الرّقم ١١ و ١٢، فقال:]

قال المَازِريّ: كما عَزا له في فتح الباري... **[و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ ذكر رواية قتادة عن أنس كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١١]**.

وفي رواية الطَّبَريّ في أوّله: افتخر الحَيّان: الأوس والخَزرج، فقال الأوس... **[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]**

وهذا يحتمل أن يكون مراد أنس: «لم يجمعه غيرهم»، أي من الأوس، بقرينة المفاخرة المذكورة، ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين. وقد أجاب القاضي أبو بكر بن البَاقِلّانيّ و غيره عن حديث أنس هذا بأجوبة، أحدها: أنّه لا مفهوم له... **[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر]**.

قال الحافظ عِمَاد الدّين ابن كثير كما عزا له ابن الجَزَريّ في طبَقاته: أنا لا أشكّ أنّ الصّدّيق رضي الله عنه قرأ القرآن، ثمّ قال: وقد رأيت نصّ الإمام أبي الحسن الأشعريّ(رحمه‌الله تعالى) على حفظه القرآن، واستدلّ على ذلك بدليل لا يردّ، وهو أنّه صحّ عنه صلى الله عليه وآله بلا نظر أنّه قال: يَؤُمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله تعالى، وأكثر قرآنًا. وتواتر عنه صلى الله عليه وآله أنّه قدّمه للإمامة، ولم يكن صلى الله عليه وآله ليأمر بأمر ثمّ يخالفه بلا سبب، فلولا أنّ أبابكر رضي الله عنه

كان متّصفًا بما يقدّمه في الإمامة على سائر الصَّحابة، وهوالقراءة لما قدّمه، و ذلك على كلّ تقدير، سواء قلنا: المراد بالأَقْرَأ الأكثر قراءةً، كما هو ظاهر اللّفظ، وذهب إليه الإمام أحمد وغيره. أو الأعلم، كما ذهب إليه الإمام الشّافعيّ و غيره، لأنّ زيادة العلم في ذلك العصر كان ناشئًا عن زيادة القراءة، كما فسّر الإمام الشّافعيّ. بقولهم: «كنّا إذا قرأنا الآية لا نجاوزها حتّى نعلم: فيم أُنزلت؟».

قلت: و هذا يدلّ على أنّه أقرأُ الصَّحابة. وليس ذلك بمنكر، فإنّه أفضل الصَّحابة مطلقاً، و إن كنّا لا ندّعي له الأفضليّة في كلّ فرد فرد من سائر الفضائل، كما ادّعاه غيرنا، بل نقول كما قال إمامنا الشّافعيّ: إنّ الأفضليّة في القراءة تستلزم الأفضليّة في العلم. و كذلك الأفضليّة في العلم، إذ كان عندهم الأَقْرَأ هو الأعلم، و كيف يسوغ لأحد نفي حفظ القرآن عن أبي بكر، بغير دليل ولا حجّة. بل بمجرّد الظّنّ. مع أنّه لا يسوغ لنا ذلك في آحاد النّاس؟ ... انتهى.

[ثمّ ذكر رواية النَّسائيّ عن عبد الله بن عمر و قول أبي عُبَيْد القرّاء، كما تقدّم عن ابن حَجَر].

وكان القرآن كلّه كُتِب على عهد رسول الله ﷺ في الصُّحُف والألواح والعُسُب، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتّب السُّوَر كما رواه ابن أبي داود... [ثمّ ذكر فكرة جمع القرآن بعد معركة اليَمامة في قتال أهل الرِّدَّة و أصحاب مُسَيْلِمة، كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١ و٢ وغيره، ثمّ نقل قول الخَطّابيّ والباقِلّانيّ، كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

واستدلّ غيره من العُلماء بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[١]، و قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِ﴾[٢]، و ذلك إرشاد إلى أنّ كلامه الموحى إلى رسله طريق تخليده تدوينه في الصُّحُف. و أكّد ذلك ما روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «قيّدوا العلم بالكِتاب»، أي بالكِتابة، وهما مصدرا «كتب». فدلّ هذا الأمر على مشروعيّة كتابة القرآن العظيم، وغيره من العلوم الأُمّيّة.

---

١ ـ البقرة /١ ـ ٢.

٢ ـ البقرة /٢٨٥.

وقوله في الحديث: (استحرّ) بسين مُهملة ساكنة و مَثْناة مفتوحة بعدها... [و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ ذكر رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطِب وهِشام بن عُروَة نقلاً عن «السّيوطيّ» و قول «ابن حَجَر» في رواية زيد بن ثابت كما تقدّم عنهما، فقال:]

فالحقّ أنّ المراد بالنّفي نفي وجودها مكتوبة، لانفي كونها محفوظة.

ولمّا توفّي الصّدّيق رضي الله عنه و قام بالأمر بعده عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ثمّ عُثمان بن عَفّان رضي الله عنه أُشير على عُثمان رضي الله عنه بجمع القرآن في المُصْحَف فعن أنس بن مالك: «أنّ حُذَيفة ابن اليَمان قدِم على عُثمان... [و ذكر كماتقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤].

قال الحافظ أبو الفضل العَسقَلانيّ: وكانت هذه القصّة في سنة خمس وعشرين، في السنّة الثّالثة أو الثّانية من خلافة عُثمان، وقال ابن الجَزَريّ: في حدود سنة ثلاثين من الهجرة.

وأخرج ابن أبي داود أنّ اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا: ﴿وَ اَتِمُّوا الْحَجَّ و اَلْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾[1] و قرأ هذا: «اَتِمُّوا الْحَجَّ واَلْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ» فغضب حُذَيْفة و احمرّت عيناه... [ثمّ ذكر رواية أبي قِلابة وقول ابن حَجَر ورواية ابن أبي داود عن يحيى بن عَبّاد، كما تقدّم عنهما، فقال:]

فظاهره: أنّهم كانُوا يؤلّفون آيات السُّوَر باجتهادهم، و سائر الأخبار تدلّ على أنّهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلّا بتوقيفٍ.

و روى أحمد و أصحاب السُّنن الثّلاثة، وصحّحه ابن حَبّان... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

نعم ترتيب السُّوَر، بعضها إثر بعض، كان يقع لبعض منهم بالاجتهاد.

وهل يتعيّن ترتيب السُّوَر في القراءة؟... [ثمّ ذكر قول ابن بطّال كما تقدّم تفصيله عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

و قد جاء عن عُثمان أنّه إنّماأمر بكتابة المصاحف بعد أن استشار الصَّحابة... [ثمّ ذكر

---

١ ـ البقرة /١٩٦.

روايتين من ابن أبي داود، أحدهما رواية سُوَيد بن غَفَلة عن عليّ عليه السلام وثانيهما رواية مُصْعَب بن سَعْد، كما تقدّم عنه الرّقم ٣٦و ٤٠فقال:]

و من طريق سعيد بن عبدالعزيز: «أنّ عربيّة القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص بن أُميّة، لأنّه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وآله.

قال في فتح الباريّ: ووقع من تسمية... [و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

وكان ابتداء الأمر كان لزيد و سعيد، ثمّ احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة، بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف الّتي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد مَن ذكر، ثمّ استظهروا في الإملاء.

وقد شقّ على ابن مسعود صرفه عن كتابة المُصْحَف، حتّى قال ما أخرجه التِّرمِذيّ في آخر حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شِهاب... [و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

والعذر لعُثمان رضي الله عنه [1] في ذلك أنّه فعله بالمدينة، و عبد الله بالكوفة، ولم يؤخّر ماعزم عليه من ذلك إلى أن يُرسل إليه و يحضر، وأيضًا فإنّ عُثمان إنّما أراد نسخ الصُّحُف الّتي كانت جمعت في عهد أبي بكر، وكاتبها هو زيد بن ثابت، كما تقدّم، لكونه كاتب الوحي، فكانت له أولويّةٌ ليست لغيره... [ثمّ ذكر اختلاف عدد المصاحف بحسب ما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم٥٣، ثمّ قال :]

و إنّما أمر بإحراق ما سوى المُصْحَف الّذي [استكتبه والمصاحف الّتي نقلت منه، والصُّحُف الّتي كانت نقلت منه، والصُّحُف الّتي كانت عند حَفْصَة، خشية أن يقع لأحد منها توهّم أنّ فيها ما يخالف المُصْحَف] [2] الّذي استقرّ عليه الأمر. وكانت كتابتهم هذه

---

١ ـ الواقع أنّ عمل عُثمان لا يحتاج ما يعتذر به عنه، وما يروى عن ابن مسعود في هذا المقام ـ لو صحّ ـ فهو صادق كذلك على موقف أبي بكر رضي الله عنه حين خصّ زيد بن ثابت بنفس العمل منذ بدأ، وكان في حديث أبي بكر في صفة زيد ما يكفي لتزكيته لدى جميع من جاءوا بعده، حتّى عند ابن مسعود، الّذي تواترت روايات موافقته للجماعة.

٢ ـ ما بين [الحاصرتين] سقط من جـ، ولا شكّ أنّ مثل هذا التّعليل لإحراق ما نقل عنه المُصْحَف الإمام ـ نماذج ـ لأنّ الأمر كان على جهة التّطابق قطعًا بين صُحُف أبي بكر ومُصْحَف عُثمان، فلم يكن محلّ الشّكّ أو التّوهّم بوجود مخالفة، بل أنّ الإبقاء عليها كان أدعى لنفي التّوهّم من إحراقها، والّذي نرجّحه في سبب إحراق هذه الصُّحُف ←

المصاحف بإجماع منهم، على اللّفظ الّذي استقرّ في العَـرْضَة الأخـيرة، الّـتي قـرأ بـها رسول الله ﷺ على جبريل، عام قُبِض، دُون ما أذن فيه. و على ما صحّ مستفاضًا عنه ﷺ، دون غيره، قطعًا لمادّة الخلاف، فصار ما يخالف خطّ المُـصْحَف فـي حكـم المـنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع، فليس لأحد أن يتعدّى الرّسم.

وجرّدوا كتابتها من النَّقْط والشَّكل، ليحتمل ما صحّ نقله و ثبتت تلاوته عن النّبيّ ﷺ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا على مجرّد الخطّ، فقرأ أهل كلّ مصر بما في مُصْحَفهم، و أخذوا ما فيه عن الصَّحابة، الّذين أخذوه مِن في رسول الله ﷺ.

وكان أوّل من نَقَّطَ المُصْحَف و شَكَّلَه الحَجّاج، بأمر عبد الملك بن مروان له، كما قاله ابن عطيّة في تفسيره، و زاد تحزيبه. وقيل: إنّه أمَرَ ـ و هو وال عـلى العـراق ـ الحسـن و يحيى بن يَعْمُر بذلك، وقيل: أبا الأسود الدُّؤليّ وقيل: إنّ المأمون العبّاسيّ أمَرَ بـوضع الأعشار، وقيل: الحَجّاج. (٤٦ـ٦٥)

← احتمالان: **أوّلهما**: شكليّ، وهو جمع الأُمّة على مُصْحَف واحد، أصدرته السّلطة الواحدة، وهي سلطة الإمام أمير المؤمنين عُثمان، ومنع اللّجوء إلى ما عداه مهما يكن مصدره. **وثانيهما**: موضوعيّ، وهو أنّ كثيرًا ممّا أحرق كان صُحُفًا بيد الصّحابة، سجّلت فيها خلافات في النّصّ مأثورة عن الرّسول، ولم يعد يحتملها المُصْحَف الإمام، على النّهج الّذي ارتضته الأُمّة، ومنها ما روي عن مُصْحَف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب، قطعًا لدابر الخلاف.

الفصل التّاسع والعشرون

نصّ المتّقيّ الهنديّ (م: ٩٧٥) في «كَنْزالعُمّال»

جمع القرآن

١ ـ من مسند الصّدّيق، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة فإذا عنده عمر بن الخطّاب، فقال...[**وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ مع اختلافٍ في بعض ألفاظها، الرّقم ١ و ٢**].

٢ ـ عن صَعْصَعة قال: أوّل من جمع القرآن و ورَّث الكلالة أبو بكر .عن عليّ قال: أعظمُ النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر أنّ أبابكرٍ أوّل من جمع بين اللَّوحين، و في لفظ: أوّل من جمع كتاب الله. (ابن سعد؟) و أبو نُعَيْم في «المعرفة» و خَيْثَمة في «فضائل الصَّحابة» في المصاحف و ابن المُبارك معًا بسند حسن.

[ثمّ ذكر رواية هِشام بن عُرْوَة و رواية ابن شِهاب عن سالم بن عبد الله و خارجة و رواية الزُّهْريّ عن سالم بن عبد الله: أنّ مروان... كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٦ و ٨ و ٤٣].

٣ ـ عن هِشام بن عُرْوَة عن أبيه قال: لمّا قُتِل أهل اليَمامة أمر أبو بكر الصّدّيق عمر بن الخطّاب و زيد بن ثابت، فقال: اجلسا على باب المسجد، فلا يأتينّكما أحدٌ بشيءٍ من القرآن تُنكِرانه، يَشهد عليه رجلان إلّا أثْبَتُّماه، و ذلك لأنّه قُتِل باليَمامة ناسٌ من أصحاب رسول الله قد جمعوا القرآن.

٤ ـ مسند عمر عن محمّد بن سيرين قال: قتل عمر ولم يجمع القرآن. [**ثمّ ذكر رواية مبارك عن الحسين، و رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب، و رواية عبد الله بن**

فَضَالة، كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ١٠،١١،١٢].

٥ ـ عن سُلَيْمان بن أرقم عن الحسن و ابن سيرين وابن شِهاب وكان الزُّهْريّ أشبعهم حديثًا، قالوا: لمّا أسرع القتل في قُرّاء القرآن يوم اليَمامة قُتِل منهم يومئذ أربعمائة رجلٍ، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطّاب فقال له: إنّ هذا القرآن هو الجامع لديننا، فإن ذهب القرآن ذهب ديننا، و قد عزمت أن أجمع القرآن في كتاب، فقال له: انتظر حتّى أسأل أبابكر، فمضيا إلى أبي بكرٍ فأخبراه بذلك، فقال: لا تعجلا حتّى أُشاور المسلمين، ثمّ قام خطيبًا في النّاس، فأخبرهم بذلك، فقالوا: أصبتَ، فجمعوا القرآن و أمر أبو بكر مناديًا، فنادىٰ في الناس: من كان عنده شيءٌ من القرآن فليجيء به، فقالت حَفْصَة: إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبروني: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلوٰةِ الْوُسْطىٰ﴾[1] فلمّا بلغوها قالت: اكتبوا والصّلاة الوُسْطى، و هي صلاةُ العصر، فقال لها عمر: ألك بهذه بيّنةٌ؟ قالت: لا، قال: فوالله لا يدخل في القرآن ما تشهدُ به امرأةٌ بلا إقامة بيّنةٍ، و قال عبد الله بن مسعود: اكتبوا: ﴿وَالْعَصْرِ* اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[2]، و إنّه فيه إلى آخِر الدّهر، فقال عمر: نَحُّوا عنّا هذه الأعرابيّة. (ابن الأنباريّ في المصاحف).

٦ ـ عن محمّد بن سَيف قال: سألتُ الحسن عن المُصْحَف يُنَقَّط بالعربيّة؟ قال: أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطّاب أن تَفقَّهُوا في الدّين، و أحسنوا عبارة الرُّؤيا، و تعلّموا العربيّة. (أبوعُبَيْد في فضائله و ابن أبي داود).

٧ ـ عن خُزَيمة بن ثابت قال: جِئتُ بهذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ﴾ إلى عُمرَ بن الخطّاب و إلى زيد بن ثابت... [ثمّ ذكر قول كَعْب القُرَظيّ في جمع القرآن، كما تقدّم عن ابن سعد الرّقم ١١].

٨ ـ عن يحيى بن جَعْدة، قال: كان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتّى يشهد عليها شاهدان، فجاء رجلٌ من الأنصار بآيتين، فقال عمر: لا أسألك عليها شاهدًا غيرك ﴿لَقَدْ

---

١ ـ البقرة /٢٣٨.

٢ ـ العَصْر / ١ ـ ٢.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السُّورة.

٩ ـ عن أبي إسحاق عن بعض أصحابه قال: لمّا جَمع عمر بن الخطّاب المُصْحَف سأل عمر من أعرب النّاس؟ قيل: سعيد بن العاص، فقال: من أكتَب النّاس؟ فقيل: زيد بن ثابت، قال: فليُمل سعيدٌ وليكتب زيد، فكتبوا مصاحف أربعةً، فانفذ مُصْحَفًا منها إلى الكوفة و مُصْحَفًا إلى البَصْرة و مُصْحَفًا إلى الشّام و مُصْحَفًا إلى الحجاز. (ابن الأنباريّ في المصاحف).

١٠ ـ حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش عن عمر بن محمّد بن زيد عن أبيه أنّ الأنصار جاءوا إلى عمر بن الخطّاب، فقالوا: يا أمير المؤمنين نجمع القرآن في مُصْحَف واحد؟ فقال: إنّكم أقوامٌ في ألسنتكم لحنٌ، و أنا أكره أن تحدثوا في القرآن لحنًا، و أُبيّ عليهم.[1]

١١ ـ عن زيد بن ثابت قال: قد كنّا نقرأ: «الشّيخ و الشّيخة فارجموهما البتّة» فقال له مروان: يا زيد أفلا نكتبها؟ قال: لا، ذكرنا ذلك وفينا عمر، فقال: أُسعِفُكم، قلنا: و كيف ذلك؟ قال آتي النّبيّ ﷺ فأذكر ذلك، فذكر آية الرّجم، فقال: يا رسول الله اكتبني آية الرّجم فأبى، و قال: لا أستطيع الآن.

١٢ ـ مسند عُثمان رضي الله عنه، عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان بن عَفّان: ما حملكم...

[و ذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود، الرّقم ٥١ ثمّ قال:]

(ابن المُنذر و ابن أبي داود و ابن الأنباريّ معًا في المصاحف والنَّحّاس في ناسخه و أبو نُعَيْم في المعرفة و ابن مَرْدُويه).

١٣ ـ عن عُثمان بن عَفّان، قال: كانت الأنفال و براءة يُدعيان في زمن رسول الله ﷺ القرينتين، فلذلك جعلتهما في السَّبع الطُّوال. (أبو جعفر النَّحّاس في ناسخه).

١٤ ـ عن عَسعَس بن سَلامة قال: قلت لعُثمان: يا أميرالمؤمنين ما بال الأنفال و براءة ليس بينهما ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: كانت تنزل السّورة فلا تزال تكتب حتّى

---

١ ـ عن ابن عبّاس قال: قال عمر: أُبيٌّ أقرؤنا، وإنّا لندع من لحن أُبيّ، و أُبيٌّ يقول: أخذته مِنْ في رسول الله ﷺ. (صحيح البُخاريّ ٦: ٢٣٠).

تنزل:﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا جاءت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كتبت سورة أُخرى، فنزلت الأنفال ولم تكتب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

[ثمّ ذكر رواية أبي إسحاق عن مُصْعَب بن سعد و رواية أحمد بن سِنان عن عبد الرّحمان بن مهديّ كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ١٦ و ٤٠].

١٥ ـ عن الزُّهْريّ عن أنس بن مالك أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قدِم على عُثمان وكان يُغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة و أذَرْبَيْجان مع أهل العراق... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ ذكر قول ابن شِهاب كما تقدّم عن ابن حَجَر].

١٦ ـ عن أبي قِلابة قال: لمّا كان في خلافة عُثمان جعل المعلِّم يعلّم قراءة الرّجل... [و ذكر كما تقدّم عن الطَّبَريّ الرّقم ٣، ثمّ قال:]

ابن أبي داود و ابن الأنباريّ و رواه خطّ في المتّفق عن أبي قِلابة عن رجلٍ من بني عامر يقال له: أنس بن مالك القُشَيْريّ بدل مالك بن أنس.

[ثمّ ذكر رواية سُوَيدبن غَفَلة عن عليّ عليه السلام و رواية ابن شِهاب في قتل القُرّاء يوم اليَمامَة وروايتين عن مُصْعَب بن سَعْد و رواية محمّد بن سيرين، كما تقدّم كلّها عن ابن أبي داود الرّقم ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤].

١٧ ـ عن عطاء: أنّ عُثمان بن عَفّان لمّا نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى أُبيّ بن كعب، فكان يملي على زيد بن ثابت و زيدٌ يكتب و معه سعيد بن العاص يُعرِبُه، فهذا المُصْحَف على قراءة أُبيّ و زيد. (ابن سعد).

١٨ ـ عن مجاهد أنّ عُثمان أمر أُبيّ بن كَعْب يملي و يكتب زيد بن ثابت و يُعرِبُه سعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحارث. (ابن سعد).

١٩ ـ عن سُوَيْد بن غَفَلة قال: قال عليّ حين حرّق عُثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته. (ابن أبي داود والصّابونيّ في المأتين).

٢٠ ـ عن محمّد بن سيرين قال: نُبِّئت أنّ عليًّا أبطأ عن بيعة أبي بكر، فلقيه أبو بكر فقال: أكرهتَ إمارتي؟ قال: لا، ولكن آليتُ بيمين أن لا أرتدي برداءٍ إلاّ إلى الصّلاة حتّى

أجمع القرآن، قال: فزعموا أنّه كتبه على تنزيل، قال محمّد: فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علمٌ، قال ابن عَوْن: فسألتُ عِكرِمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه. (ابن سعد)... [ثمّ ذكر روايتين عن زيد بن ثابت كما تقدّم نحوه عن البُخاريّ الرّقم ٤ و غيره].

٢١ ـ ابن عبّاس جمعتُ المحكم على عهد رسول الله ﷺ يعني المُفَصَّل.

٢٢ ـ عن أبي هُرَيْرة أنّه قال لعُثمان لمّا نَسخ المصاحف: أَصَبتَ و وُفِّقتَ، أشهد لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أشدَّ أُمّتي حُبًّا لي قومٌ يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورَق المعلّق، فقلت: أيُّ ورق؟...» حتّى رأيت المصاحف، فأعجب ذلك عُثمان، و أمر لأبي هُرَيرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت أنّك لتَحبِس علينا حديث نبيّنا.

٢٣ ـ مُرسل الشَّعبيّ، عن الشَّعبيّ قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ... [و ذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ ذكر قول محمّد بن كعب القُرَظيّ كما تقدّم عن ابن حَجَر].

٢٤ ـ عن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: كان ممّن ختم القرآن و رسول الله ﷺ حيٌّ عُثمان بن عَفّان، و عليّ بن أبي طالب، و عبد الله بن مسعود. (ش) و قال في إسناده نظر.

(٢: ٥٧١ ـ ٥٩٠)

الفصل الثّلاثون

نصّ الطُّرَيحيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين»

[كيفيّة جمع القرآن في عهد الخلفاء]

قال بعض علماء القوم: اعلم أنّ القرآن كلّه كان مجموعًا على هذا التّأليف الّذي عليه اليوم إلّا سورة براءة، فإنّها نزلت آخرًا، فلم يبيّن موضعها، فألحقوها بالأنفال للمناسبة، و قد ثبت أنّ أربعة من الصّحابة كانوا يجمعون القرآن و شركهم فيه آخرون.

وأمّا أبو بكر، فإنّما جمعه في الصُّحُف و حوّله إلى ما بين الدَّفَّتين، و قيل: جمعه في الصُّحُف وكان قبله في نحو الأكتاف، ولعلّه ﷺ ترك جمعه في المُصْحَف لئلّا تسير به الرُّكبان إلى البُلدان، فيشكل طرح ما نسخ منه فيؤدّي إلى خلل عظيم. و أمّا عُثمان، فجرّد اللُّغة القُريشيّة من الصُّحُف و جمع عليها، وكانت مشتملة على جميع أحرفه والوجوه الّتي نزل بها على لُغة قُريش و غيرهم، أو كان صُحُفًا فجعلها مُصْحَفًا واحدًا هذا كلامه.

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: لعليّ: «يا عليّ: إنّ القرآن خلف فراشي في الصُّحُف والحَرير والقَراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعُوه كما ضيّعت اليهود التّوراة، فانطلق عليّ عليه السلام و جمعه في ثوبٍ أصفر ثمّ ختم عليه في بيته و قال: لا أرتدي حتّى أجمعه، و إنّه كان الرّجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداءٍ حتّى جمعه، و أخرجه إلى النّاس، فلمّا فرغ منه و كتبه قال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله تعالى على محمّدٍ جمعته من اللَّوحين، فقالوا: هذا عندنا مُصْحَف جامع فيه القرآن لاحاجة لنا فيه، فقال: أما والله لن تروه بعد يومكم هذا، إنّما كان عليَّ أن أخبركم كيف جمعت القرآن».

وفي نقل آخر: «إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام جمع القرآن في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ بمدّة قدرها سبعة أيّامٍ بعد وفاته». (٤:٣١٥ـ٣١٦)

الفصل الحادي والثّلاثون

نصّ العلّامة المَجْلِسيّ (م: ١١١١) في «بحار الأنوار»

باب ما جاء في كيفيّة جمع القرآن

[بعد ذكر رواية سُلَيم بن قَيْس عن سلمان الفارسيّ، كما تقدّم عنه الرّقم٢، قال:]

في رواية أبي ذَرّ الغِفاريّ رضي الله عنه أنّه لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع عليٌّ عليه السلام القرآن و جاء به إلى المهاجرين والأنصار، و عرضه عليهم كما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا فتحه أبو بكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا عليُّ أُردُدْه فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليٌّ عليه السلام وانصرف **[إلى أن قال:]** فلمّا استخلف عمر سأل عليًّا عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرِّفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الّذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتّى نجتمع عليه، فقال عليٌّ عليه السلام: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[1]، أو تقولوا: «ما جئتنا به»، إنّ القرآن الّذي عندي لايمسّه إلّا المطهّرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال عليّ عليه السلام: نعم إذا قام القائم من وُلدي، يظهره و يحمل النّاس عليه فتجري السّنّة عليه[2].

عليّ بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن عليّ بن الحكم عن سيف، عن أبي بكر الحَضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله قال لعليّ عليه السلام ... **[و ذكر كما تقدّم عن الطُّرَيْحيّ] (٩٢: ٤٠ـ ٤٣)**

---

١ ـ الأعراف /١٧٢.

٢ ـ الاحتجاج: ٨٢.

و قد أجمعوا أنّ أوّل سورة نزلت من القرآن: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وليس تقرأ في ما ألّفوا من المُصْحَف إلّا قريبًا من آخره [و أنّ من أواخر ما نزلت] من القرآن سورة البقرة و قد كتبوها في أوّل المُصْحَف.

جماعة، عن أبي المُفضّل، عن محمّد بن القاسم بن زَكَريّا، عن عُبّاد بن يعقوب، عن مَطَر بن أرقم، عن الحسن بن عمرو الفقيميّ، عن صَفوان بن قَبيصَة عن الحارث بن سُوَيْد، عن عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النّبيّ ﷺ سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، وزيد ذو ذؤابتين يلعب مع الغِلمان، و قرأت سائر ـ أو قال: بقيّة ـ القرآن على خير هذه الأُمّة و أقضاهم بعد نبيّهم ﷺ عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه[1]... [ثمّ ذكر قول الشّيخ المفيد عن المسائل السَّرويّة كما سيجيء عنه في باب صيانة القرآن عن التّحريف،فقال:]

أقول: روى البُخاريّ والتِّرمِذيّ في صحيحيهما و ذكره في جامع الأُصول في حرف التّاء في باب ترتيب القرآن و تأليفه وجمعه، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليَمامة...[و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١].

قال في جامع الأُصول: أخرجه البُخاريّ والتِّرمِذيّ وزاد التِّرمِذيّ: قال الزُّهْريّ: فأخبرني عبيد الله بن عبد الله أنّ عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٣٢].

قال في جامع الأُصول: أخرجه البخاريّ والتِّرمِذيّ. و قد روى هذه الرّواية في «الاستيعاب» عن ابن شِهاب، عن عُبَيْد بن السَّبّاق، عن زيد بن ثابت، و روى البخاريّ والتِّرمِذيّ و صاحب جامع الأُصول في الموضع المذكور عن الزُّهْريّ عن أنس بن مالك أنّ حُذَيفَة بن اليَمان... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١١].

قال التِّرمِذيّ: فبلغني أنّه كره ذلك من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ، وروى البُخاريّ و مُسلم بن حَجّاج والتِّرمِذيّ في صحاحهم و ذكره في جامع الأُصول عن أنس قال: جمع القرآن على عهد...[وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١١]. (٩٢: ٧٣ ـ ٧٧)

---

١ ـ أمالي الطّوسيّ :١٨.

الفصل الثّاني والثّلاثون

نصّ العامِليّ (م: ١١٣٨) في «مرآة الأنوار»

في بيان نبذة ممّا ورد في جمع القرآن

[بعد ذكر رواية عن هِشام بن عُرْوَة و رواية سالم بن عبد الله و غيره نقلاً عن ابن أبي داود، كما تقدّم عنه الرّقم ٦ و ٤٣ قال:]

و روي أيضًا عن ابن الأنباريّ عَن سُليمان بن أرقم عن الحسن و ابن سيرين وابن شِهاب الزُّهْريّ قال: وكان الزُّهْريّ أشبعهم حديثًا قالوا: لمّا أسرع القتل في قُرّاء القرآن... **[و ذكر كما تقدّم عن المتّقيّ، الرّقم ٥ ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب نقلاً عن ابن أبي داود كما تقدّم عنه الرّقم ٣٩]**.

وفي صحيح البُخاريّ وصحيحي التّرمِذيّ والنّسائيّ وغيرها من الكتب عن الزُّهْريّ عن أنس بن مالك: أنّ حُذَيْفة بن اليَمان... **[وذكر كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]** و في صحيح البُخاريّ وكتابي ابن أبي داود عن ابن الأنباريّ عن مُصْعَب بن سعد قال: أدركت النّاس متوافرين حين أحرق عُثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم واحد.

و في كتاب ابن أبي داود عن مُصْعَب بن سعد قال: سمع عُثمان قراءة أبي عبد الله و مُعاذ فخطب النّاس... **[وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤١ ثمّ قال:]**

وفي كتاب ابن الأنباريّ عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ أنّه قرأ على عُثمان، قال: فقال: إنّك تشغَلني عن النّظر في أُمور النّاس، فامض على زيد بن ثابت فإنّه فارغ لهذا الأمر فاقرأ عليه، فإنّ قراءتي و قراءته واحدة، ليس بيني و بينه فيها خلاف. **[ثمّ ذكر رواية**

مبارك، عن الحسين، نقلاً عن ابن أبي داود، كما تقدّم عنه الرّقم ١٠، ثمّ قال:]

و في خبر آخر عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطِب أنّه قتل و هو يجمع ذلك، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئًا حتّى يشهد شاهدان.

أقول: إنّ أخبارهم في هذه الحكاية كثيرة جدًّا، و فيها اختلافات عديدة بحيث لا يمكن جمعها، كما ينادي به ما ذكرناه منها، نعم يستفاد منها جميعًا ـ كما يظهر على الفطن المتأمّل فيما ذكرناه ـ أنّ القرآن الّذي بأيدينا ليس من جمع النّبيّ صلّی الله علیه وآله بل أنّ الّذي تصدّى لجمعه أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عُثمان، و أنّه الّذي أتمّ جمعه و رتّبه ترتيبه الموجود، و أنّ ذلك كان على يد زيد بن ثابت الّذي في أخبارنا، أنّهما كلّفاه تأليف القرآن... [إلى أن قال:]

و يؤيّد ذلك ما يستفاد منها أيضًا من أنّهم لم يدخلوا عليًّا علیه السلام في ذلك أصلاً، و أنّهم محوا سائر المصاحف. وكذا يؤيّد ذلك عدم التفاتهم إلى ما أخبرهم به عليّ علیه السلام من جمعه القرآن بعد النّبيّ صلّی الله علیه وآله ،كما يستفاد من بعض كتبهم المعتبرة عند نقل خلافة أبي بكر و تخلّف عليّ علیه السلام فمن ذلك ما نقله عبد الملك العصاميّ في كتابه المسمّى بـ «سمط النّجوم العوالي» عن ابن سعد عن محمّد بن عمر: أنّه لمّا بويع أبو بكر و تخلّف عليّ علیه السلام عن مبايعته و جلس في بيته، بعث إليه أبو بكر: ما أبطأك عنّي أكرهت إمارتي؟! قال عليّ علیه السلام: «ما كرهت إمارتك، لكن آليت أن لا أرتدي بردائي إلّا للصّلاة حتّى أجمع القرآن».

قال ابن سيرين: فبلغني أنّه كتبه على تنزيله، ولو أُصيب إلى ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير. و من ذلك ما نقله صاحب كتاب «عقد الجواهر» من أنّ عليًّا والعبّاس قعدا في بيت فاطمة لمّا بويع أبو بكر، فبعث أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهما من بيت فاطمة، و قال له: إن أَبَيا فقاتلهما، الخبر، إلى أن قال: فخرج عليّ حتّى دخل على أبي بكر فبايعه، فقال له: أكرهت إمارتي؟ قال: لا ولكنّي آليت أن لا أرتدي بعد رسول الله صلّی الله علیه وآله حتّى أحفظ القرآن و أجمعه فعليه حبست نفسي. وقد رواه ابن عبدالبرّ و غيره أيضًا، فتدبّر ولا تغفل عمّا يستفاد أيضًا من أخبارهم الّتي أسلفناها من أنّ جمعهم للقرآن كان بحيث استلزم ترك كثير ممّا ادّعى أنّه من القرآن ولو بعدم الإثبات، كما سيظهر غاية الظّهور و من أنّ الاختلاف في القراءة وغيرها كان موجودًا قبل الجمع، و أنّ من جملة ما محوه قرآن أُبيّ ابن كعب الّذي ورد في أخبارنا أنّه كان له موافقة لقرآن أهل البيت. (٣٩ـ٤٣)

الفصل الثّالث والثّلاثون

نصّ الآلوسيّ (م: ١٢٧٠) في تفسيره «روح المعاني»

في جمع القرآن و ترتيبه

اعلم أنّ القرآن جُمِع أوّلًا ـ بحضرة النّبيّ ﷺ، فقد أخرج الحاكم بسند على شرط الشّيخين عن زيد بن ثابت قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ نؤلّف القرآن في الرِّقاع.

ثانيًا ـ بحضرة أبي بكر، فقد أخرج البُخاريّ في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر... **[و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم١ و٢ ثمّ ذكر رواية هِشام بن عُرْوَة نقلًا عن ابن أبي داود، كما تقدّم عنه الرّقم٦، فقال:]**

و أخرج ابن أبي داود ـ بسند رجاله ثقات مع انقطاع ـ أنّ أبابكر قال لعمر و زيد، مع أنّه كان حافظًا: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتباه.

ولعلّ الغرض من الشّاهدين أن يشهدا على أنّ ذلك كتب بين يدي الرّسول ﷺ أو على أنّه ممّا عرض عليه ﷺ عام وفاته، و إنّما اكتفوا في آية التّوبة بشهادة خُزَيْمة لأنّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، والقول بأنّ المراد بالشّاهدين الحفظ والكِتابة ممّا لا احجار له[1].

و ماشاع أنّ عليًّا (كرّم الله وجهه) لمّا توفّي رسول الله ﷺ تخلّف لجمعه، فبعض طرقه

---

١ ـ هذا القول لابن حَجَر على سبيل الظّنّ و هو من بعضه.

ضعيف[١]، و بعضها موضوع[٢] و ما صحّ[٣] فمحمول كما قيل على الجمع في الصّدر، وقيل: كان جمعًا بصورة أُخرى لغرض آخر، ويؤيّده أنّه قد كتب فيه النّاسخ والمنسوخ، فهو ككتاب علم.

و قد أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن عبدخَير قال... [و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ١، ٢، ٤ ثمّ قال:]

و ما رُوي عن أبي بُرَيْدَة أنّه قال: أوّل من جمع القرآن في مُصْحَف، سالم مولى أبي حُذيفة، أقسم لايرتدي برداء حتّى يجمعه، فهو مع غرابته وانقطاعه محمول على أنّه أحد الجامعين بأمر أبي بكر (رضي الله تعالى عنه)، قاله الإمام السُّيُوطيّ، وهي عَشرة منه، لايقال لصاحبها: لَعًا، لأنّ سالمًا هذا قتل في وقعة اليَمامة كما يدلّ عليه كلام الحافظ ابن حَجَر في إصابته. ونصّ عليه السُّيوطيّ نفسه في«إتقانه» بعد هذا المبحث بأوراق، ولا شكّ أنّ الأمر بالجمع وقع من الصّدّيق بعد تلك الوقعة، وهي الّتي كانت سببًا له كما يدلّ عليه حديث البُخاريّ الّذي قدّمناه، فسبحان من لاينسى.

و ما اشتهر أنّ جامعه عُثمان فهو على ظاهره باطل، لأنّه ﷺ إنّما حمل النّاس في سنة خمس و عشرين[٤] على القراءة بوجه واحد باختيار وقع بينه و بين من شهده من المهاجرين والأنصار، لمّا خشي الفتنة من اختلاف أهل العراق والشّام في حروف القراءات... [ثمّ ذكر رواية البُخاريّ عن أنس، و حُذَيْفة بن اليَمان، و رواية ابن أبي داود بسنده عن سُوَيد بن غَفَلَة، كما تقدّم عنهما الرّقم ٤، ١٤، ١٥ فقال:]

و ما نقل عن ابن مسعود أنّه قال لمّا أُحرق مُصْحَفه: لو ملكت كما مَلكوا لصنعت بمُصْحَفهم كما صنعوا بمُصْحَفي، كذب كسوء معاملة عُثمان معه الّتي يزعمها الشّيعة حين أخذ المُصْحَف منه. و هذا الّذي ذكرناه من فعل عُثمان هو ما ذكره غير واحد من المحقّقين

---

١ ـ وهو ما أخرجه ابن أبي داود من طريق ابن سيرين.

٢ ـ وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حيّان التّوحيدي أحد زنادقة الدّنيا.

٣ ـ كرواية أبي الضُّرَيس في فضائل عليّ رضي الله تعالى عنه.

٤ ـ وقيل: في حدود سنة ثلاثين ولا مستند له.

حتّى صرّحوا بأنّ عثْمان لم يصنع شيئًا فيما جَمَعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب، سوى أنّه جمع النّاس على القراءة بلُغة قُريش محتجًّا بأنّ القرآن نزل بلُغتهم.

ويشكل عليه ما مرّ آنفًا من قول زيد: ففقدت آية من الأحزاب إلخ، فإنّه بظاهره يستدعي أنّ في المصاحف العُثمانيّة زيادة لم تكن في هاتيك الصُّحُف، والأمر في ذلك هيّن، إذ مثل هذه الزّيادة اليسيرة لا توجب مغايرة يعبأ بها، ولعلّها تشبه مسألة التّضاريس، ولو كان هناك غيرها لذكر وليس فليس، ولا تقدح أيضًا في الجمع السّابق، إذ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة، وكثيرًا ما تعتري السّارحين في رياض حظائر قُدس كلام ربّ العالمين، فيذكّرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما أغفلوا. وزيد هذا كان في الجامعين ولعلّه الفرد المعوّل عليه في البين، لكن عراه في أوّلهما ما عراه. وفي ثانيهما ذكره من تكفّل بحفظ الذّكر فتدارك ما نساه.

وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأُمّة المحفوظة ـ لا سيّما الصّدر الأوّل الّذي حوى من الأكابر ما حوى، وتصدّر فيه للخلافة الرّاشدة عليّ المرتضى، وهو باب مدينة العلم لكلّ عالم، والأسد الأشدّ الّذي لا تأخذه في الله لومة لائم ـ لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن، وإلّا لوقع الشّكّ في كثير من ضروريّات هذا الدّين الواضح البُرهان.

وزعمت الشّيعة[1] أنّ عُثمان بل أبا بكر وعمر أيضًا حرّفوه وأسقطوا كثيرًا من آياته وسُوَره، فقد روى الكُلينيّ منهم عن هِشام بن سالم عن أبي عبد الله «أنّ القرآن الّذي جاء

---

١ ـ هذا الإطلاق زعم لا حقيقة له، وإنّما ذهب إليه بعض من الفرق المنقرضة كالغُلاة والأخباريّين. وأمّا رواية الكُلينيّ فنقول: **أوّلاً** ـ أنّها بغضّ النّظر عن أسانيدها، ربّما تشير إلى مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام الّذي يحتوي على تفسير الآيات وتأويلها ومصاديقها، وليس فيه آيات مضافة. وكذا سائر الرّوايات الّتي أشارت إلى اسم عليّ وسائر الأئمّة عليهم السلام أو غيرهم. **ثانيًا** ـ أنّ الفيض الكاشانيّ المحدّث الخبير، المعروف بضبط الحديث وتدقيقه، نقل هذه الرّواية في كتابه: (الوافي ٢:٢٧٤) خالية من كلمة «عشر» ويبدو أنّ الزّيادة من بعض النُّسّاخ أو الرُّواة، كما يذهب إليه الباحثون، ومنهم العلّامة الشّعرانيّ حيث قال: «أمّا عبارة«سبعة عشر ألف آية» في هذه الرّواية، فكلمة «عشر» زيدت قطعًا من بعض النُّسّاخ أو الرُّواة، و«سبعة ألف» تَقريب كما هو معروف في إحصاء الأُمور لغرض آخر، غير بيان العدد، كما يقال: أحاديث الكافي «ستّة عشر ألف»، والمقصود بيان الكثرة والتّقريب لا تحقيق العدد، فإنّ عدد آي القرآن بين السّتّة والسّبعة آلاف». تعليقة الشّعرانيّ على شرح الكافي ١١:٧٦ (لملّا صالح المازندرانيّ).

به جبريل إلى محمّدﷺ سبعة عشر ألف آية».

وروى محمّد بن نَصْر عنه أنّه قال: «كان (في لم يكن) اسم سبعين رجلاً من قُريش بأسمائهم وأسماء آبائهم»، وروي عن سالم بن سُليمة، قال: قرأ رجل على أبي عبد الله ـ وأنا أسمعه ـ حروفًا من القرآن ليس ما يقرؤها النّاس، فقال أبو عبد الله: «مه عن هذه القراءات، واقرأ كما يقرأ النّاس حتّى يقوم القائم، فإذا قام القائم فأقرأ كتاب الله على حدّه»، وروي عن محمّد بن جَهْم الهَلاليّ وغيره عن أبي عبد الله ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[1]: «ليس كلام الله بل محرّف عن موضعه، والمنزل: أئمّة هي أزكى من أئمّتكم».

وذكر ابن شهراشوب المازندرانيّ في كتاب المثالب له: أنّ سورة الولاية أسقطت بتمامها، وكذا أكثر سورة الأحزاب فإنّها كانت مثل سورة الأنعام، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت، وكذا أسقطوا لفظ «ويلك» من قبل ﴿لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[2] وعن ولاية عليّ من بعد ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[3]، وعليّ بن أبي طالب من بعد ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ وآل محمّد من بعد ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلى غير ذلك. فالقرآن الّذي بأيدي المسلمين اليوم شرقًا وغربًا وهو لِكُرَة الإسلام ودائرة الأحكام مركز أو قطب، أشدّ تحريفًا عند هؤلاء من التّوراة والإنجيل، وأضعف تأليفًا منهما وأجمع للأباطيل[4]. وأنت تعلم أنّ هذا القول أوهىٰ من بيت العنكبوت، وأنّه لأوهن البيوت. ولا أراك في مرية من حماقة مدّعيه وسفاهة مفتريه. ولمّا تفطّن بعض علمائهم لما به جعله قولاً لبعض أصحابه، قال الطّبرسيّ في مجمع البيان: «أمّا الزّيادة فيه ـ أي القرآن ـ فمجمع على بطلانها، وأمّا النّقصان فقد روي عن قوم من أصحابنا وقوم من حشويّة العامّة، والصّحيح خلافه، وهو الّذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل

---

١ - النّحل/ ٩٢.

٢ ـ الصّافّات /٢٤.

٣ ـ الأحزاب /٢٥.

٤ ـ لاحقيقة لكلامه بهذا الإطلاق، فلاحظ نقض هذا الكلام وأمثاله من قبل علماء الشّيعة في المجلّد الرّابع، باب «صيانة القرآن من التّحريف» ومنهم العلّامة البلاغيّ وآية الله الفاضل اللّنكرانيّ وغيره... (م)

الطّرابلسيّات...» [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وهو كلام دعاه إليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتّى للأطفال ـ والحمد لله على أن ظهر الحقّ وكفى الله المؤمنين القتال ـ إلّا أنّ الرّجل قد دسّ في الشّهد سمًّا، وأدخل بالباطل في حمى الحقّ الأحمى.

أمّا أوّلًا ـ فلأنّ نسبة ذلك إلى قوم من حَشويّة العامّة الّذين يعني بهم أهل السّنّة والجماعة فهو كذب أو سوء فهم، لأنّهم أجمعوا على عدم وقوع النّقص فيما تواتر قرآنًا كما هو موجود بين الدّفّتين اليوم.

نعم أسقط زمن الصّدّيق ما لم يتواتر، وما نسخت تلاوته، وكان يقرأه من لم يبلغه النّسخ، وما لم يكن في العَرضَة الأخيرة، ولم يأل جهدًا رضي الله عنه في تحقيق ذلك، إلّا أنّه لم ينتشر نوره في الآفاق إلّا زمن ذي النّورين فلهذا نسب إليه، كما روي عن حميدة بنت يونس «أنّ في مُصْحَف عائشة رضي‌الله عنها: ﴿إِنَّ اللهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا ءَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، وعلى الّذين يُصَلّون الصُّفوف الأُوَل» وأنّ ذلك قبل أن يغيّر عُثمان المصاحف، فما أخرج أحمد عن أُبيّ قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك، فقرأ عليّ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[2] إنّ الدّين عند الله الحنيفيّة غير المشركة ولا اليهوديّة ولا النّصرانيّة و من يفعل ذلك فلن يُكفَره».

وفي رواية «وَمَنْ يَعْمَلْ صالحًا فلن يُكفره و ما اختلف الّذين أُوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البيّنة إنّ الّذين كفَرُوا وَ صَدّوا عَنْ سَبيل الله وفارقوا الكتاب لمّا جاءهم، أُولئك عند الله شرّ البريّة. ما كان النّاس إلّا أُمّةً واحدةً ثمّ أرسل الله النّبيّين مبشّرين و مُنذرين يأمرون النّاس يُقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة و يعبدون الله وحده أُولئك عند الله

١ ـ الأحزاب /٥٦.

٢ ـ البيّنة /١ـ ٤.

خير البريّـة جزاؤُهم عند ربّهم جنّات عَدن تجري مِنْ تحتها الأنهار خالدين فيها أبـدًا رضي الله عنهم و رَضُوا عنه ذلك لمن خشي ربّه».

وفي رواية الحاكم فقرأ فيها: «و لو أنّ ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطيه يسأل ثانيًا، ولو سأل ثانيًا فأعطيه يسأل ثالثًا ولا يملأجَوْف ابن آدم إلّا التُّراب ويتُوب الله على من تاب».

و ما روي عنه أيضًا أنّه كتب في مُصْحَفه سورتي الخَلع والحَفْد: «أللّهمّ إنّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُك وَنُثني عَليكَ وَلاَ نَكفُرُك و نَخلَعُ وَنَتْرُك مَن يَفجُرُكَ. اَللّهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُد وَلَك نُصَلّي و نَسْجُدُ وَ اِلَيكَ نَسعىٰ وَ نَحْفِدُ نَرجُو رَحْمَتَكَ وَ نَخشىٰ عَذابَك إنَّ عَذَابَكَ بِالكُفَّارِ مُلْحَقٌ».

فهو من ذلك القبيل و مثله كثير.

وعليه يحمل ما رواه أبو عُبَيْد عن ابن عمر قال: لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كلّه، و ما يدريه ما كلّه، قد ذَهَبَ منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت مـنه مـا ظـهر، والرّوايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى، إلّا أنّها محمولة على ما ذكرناه، و أين ذلك ممّا يقوله الشّيعيّ الجسور ﴿وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

و **أمّا ثانيًا** ـ فلأنّ قوله: إنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلّفًا على ما هو عليه الآن، إن أراد به أنّه مرتّب الآي و السُّوَر كما هو اليوم، وأنّه يقرأه من حفظه في الصّدر من الأصحاب كذلك، لكنّه كان مفرّقًا في العُسُب واللِّخاف فمسلّم، إلّا أنّه خلاف الظّاهر من سياق كلامه وسياقه. وإن أراد أنّه كان في العهد النّبويّ مقروءًا كما هو الآن لا غير وكان مرتّبًا و مجموعًا في مُصْحَف واحد غير متفرّق في العُسُب واللِّخاف فممنوع، والدّليل الّذي استدلّ به لا يدلّ عليه كما لا يخفى. و يالله العجب كيف ذكـر فـي هـذا المعرض ختمات ابن مسعود و أُبيّ على النّبيّ ﷺ، وجعل ذلك من أدلّة مـدّعاه؟ مـع أنّ مرويّ كلّ منهما يخالف مرويّ الآخر، وكلاهما يخالفان ما في المُصْحَف العُثمانيّ. فالسُّوَر مثلاً في مُصْحَفنا مائة و أربعة عشرة بإجماع من يعتدّ به و قيل: ثلاثة عشرة بجعل الأنفال و براءة سورة واحدة، و في مُصْحَف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة، لأنّه لم يكتب

المعوّذتين[١] بل صحّ عنه[٢] أنّه كان يحكيهما من المصاحف ويقول: ليستا من كتاب الله تعالى، و إنّما أمر النّبيّ ﷺ أن يتعوّذ بهما، ولذا عوّذ بهما الحسن والحسين، ولم يتابعه أحد من الصّحابة على ذلك، و قد صحّ أنّه ﷺ قرأهما في الصّلاة. فالظّاهر أنّهما غير متواترتين قرآنًا عنده. والقول بأنّه إنّما أنكر الكتابة و أراد بالكتاب المُصْحَف ليتمّ التّأويل، مستبعد جدًّا بل لا يصحّ كما لا يخفى.

و في مُصْحَف أُبيّ خمسة عشرة، لأنّه كتب في آخره بعد (العصر) سورتي الخَلْع و الحَفْد، وجعل سورة (الفيل و قُريش) فيه سورة واحدة، و ترتيب كلّ أيضًا متغاير و مغاير لترتيب مُصْحَفنا مغايرة لاسترة عليها، فسورة (نٓ) في مُصْحَف ابن مسعود بعد (الذّاريات)، و (لا أُقسم بيوم القيامة) بعد (عمّ)، (والنّازعات) بعد (الطّلاق)، (والفجر) بعد (التّحريم) إلى غير ذلك، و سورة (بني إسرائيل) في مُصْحَف أُبيّ بعد (الكهف)، (والحُجُرات) بعد (نٓ)، و(تبارك) بعد (الحُجُرات)، (والنّازعات) بعد (الواقعة)، و (ألم نشرح) بعد (قل هو الله أحد)، مع اختلاف كثير يظهر لمن رجع إلى الكتب المتقنة في هذا الباب. وكأنّ ران البغض غطّى على قلب هذا البعض فقال ما قال، و لم يتفكّر في حقيقة الحال، ولم يبال بوَقْع النّبال، قاصدًا أنّ يستر بمُنْخَل مختلّ كذبه نور ذي النّورين، السّاطع عليه من برج شمس الكونين و من بدر صحبه. مع أنّ نسبة هذا الجمع إليها من أوضح الأُمور، بل أشهر من المشهور، و هو شائع أيضًا عند الشّيعة، وليس لهم إلى إنكاره ذريعة، ولكن مركب التّعصّب عَثُور، و مذهب التّعسُّف محذور، وإذا حقّقت ما ذكرناه، ووعيت ما عليك تلوناه. فاعلم أنّ ترتيب آية وسورة بتوقيف من النّبيّ ﷺ، أمّا ترتيب الآي فكونه توقيفيًّا ممّا لا شبهة فيه، حتّى نقل جمع منهم: الزّركشيّ[٣] و أبوجعفر[٤] الإجماع عليه من

١ ـ ولم يكتب الفاتحة أيضًا، لكن لا لاعتقاد أنّها ليست من القرآن معاذ الله، ولكن للاكتفاء بحفظها، لوجوب قراءتها في الصّلاة فلا يخشى ضياعها.
٢ ـ كما أخرجه عبد الرّحمان بن أحمد والطَّبَرانيّ عن النّخعيّ.
٣ ـ في البُرهان.
٤ ـ في المناسبات.

غير خلاف بين المسلمين، و النُّصُوص متظافرة على ذلك.

و مايدلّ بظاهره من الآثار على أنّه اجتهاديّ معارض ساقط عن درجة الاعتبار كالخبر الّذي... [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود بسنده عن عبد الله بن الزُّبَيْر، كما تقدّم عنه، الرّقم ٥٠ فقال:]

فإنّه معارض بما لا يحصى ممّا يدلّ على خلافه، بل لابن أبي داود مخرجه خبر يُعارضه أيضًا.

فقد أخرج أيضًا عن أُبيّ، أنّهم جمعوا القرآن فلمّا انتهوا إلى الآية الّتي في سورة براءة ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1]، ظنّوا أنّ هذا آخر ما نزل، فقال أُبيّ: إنّ رسول الله ﷺ أقرأني بعد هذا آيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السّورة، و أمّا ترتيب السُّوَر ففي كونه اجتهاديًّا أو توقيفيًّا خلاف و الجمهور على الثّاني[2]... [ثمّ ذكر قول أبي بكر الأنباريّ و قول الكَرمانيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وقال الطّيّبيّ مثله وهو المرويّ عن جمع غفير، إلّا أنّه يشكل على هذا ما أخرجه أحمد و التِّرمِذيّ و أبو داود و النّسائيّ و ابن حبّان والحاكم عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم... [و ذكر ما تقدّم عن ابن أبي داود، الرّقم ٥١ ثمّ قال:]

فهذا يدلّ على أنّ الاجتهاد دخل في ترتيب السُّوَر، و لهذا ذهب البَيْهَقيّ إلى أنّ جميع السُّوَر ترتيبها توقيفيّ إلّا براءة والأنفال، وله انشرح صدرالإمام السُّيوطيّ لمّا ضاق ذرعًا عن الجواب، والّذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير، من أنّ ما بين اللّوحين الآن موافق لما في اللّوح من القرآن، وحاشا أن يهمل ﷺ أمر القرآن وهو نور نبوّته و برهان شريعته، فلا بدّ إمّا من التّصريح بمواضع الآي والسُّوَر، وإمّا من الرّمز إليهم بذلك، و إجماع الصّحابة في المآل على هذا التّرتيب، و عدولهم عمّا كان أوّلاً من بعضهم على غيره من الأساليب، وهم الّذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدّهم

---

١ ـ التّوبة /١٢٧.

٢ ـ وهذا آخر قوليه.

عن إتّباع الحقّ لوم لائم، ولا قول قائل، أقوى دليل على أنّهم وجدوا ما أفادهم علمًا، ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهمًا، وعُثمان ﷺ وإن لم يقف على مايفيده القطع في براءة والأنفال، وفعل ما فعل بناء على ظنّه، إلّا أنّ غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقّف، وكم لعمر ﷺ موافقات لربّه أدّى إليها ظنّه، فليكن لعُثمان هذا الموافقة الّتي ظفر غيره بتحقيقها من النّصوص أو الرُّموز، فسكت على أنّ ذلك كان قبل ما فعل عُثمان عند التّحقيق، ولكن لمّا رفعت الأقلام، وجفّت الصُّحُف، واجتمعت الكلمة في أيّامه، واقتدت المسلمون في سائر الآفاق بإمامه، نسب ذلك إليه، وقصر من دونهم عليه، والسّؤال منه وجوابه ليسا قطعيّين في الدّلالة على الاستقلال، لجواز أن يكون السّؤال للاستخبار عن سرّ عدم المخالفة، والجواب لإبدائه على ما خطر في البال.

وبالجملة بعد إجماع الأُمّة على هذا المُصْحَف لاينبغي أن يصاخ إلى آحاد الأخبار، ولا يُشرأبّ إلى تطلّع غرائب الآثار فافهم ذاك، والله سبحانه وتعالى يتولّى هداك.

(١: ٢١ ـ ٢٧)

الفصل الرّابع و الثّلاثون

نصّ الخِضريّ (م: ١٣٤٤) في «التّاريخ التّشريعيّ الإسلاميّ»

الكتاب والسّنّة في الدّور الثّاني

قد بيّنّا فيما سبق أنّ القرآن نزل منجّمًا، وكان كلّما نزل منه شيء بلغه الرّسول إلى الجمهور، و أمر كُتّاب وحيه بكتابته، و من الجمهور من كان يكتفي بحفظ ما يتلقّى، و منهم من كان يكتب. وكان الرّسول يوقفهم على ترتيب آياته وسُوَره. توفّي ﷺ والقرآن لم يجمع في مُصْحَف واحد، بل كان محفوظًا في صدور الحُفّاظ و صُحُف كُتّاب الوحي والصُّحُف الأُخرى الّتي كانت بأيدي الكُتّاب. وكان عدد الحُفّاظ في العهد النّبويّ كثيرًا، و منهم من كان يحفظه كلّه.

حصل في أوّل عهد أبي بكر ؓ ما نبّهه إلى وجوب جمع القرآن كلّه في مُصْحَف، ذلك أنّه كان في جيش اليَمامة عدد كبير من حُفّاظ القرآن كتبت لهم الشّهادة، فخشي أبو بكر على القرآن من ذلك... **[ثمّ ذكر رواية البخاريّ عن زيد بن ثابت كما تقدّم عنه الرّقم ٥ و ذكر عقيبها قول المحاسبيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]**

وكان زيد بن ثابت من حُفّاظ القرآن وكُتّاب الوحي، و مع ذلك لم يكتف بحفظه وكتبه، بل استعان بصدور الحُفّاظ و صُحُف الكُتّاب و ما كان مكتوبًا في بيت رسول الله ﷺ وأتمّ جمعه على ملأ من المهاجرين والأنصار. و بعمل أبي بكر و عمر (رضي الله عنهما) أتمّ سبحانه ما ضمنه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ظلّت هذه الصُّحُف كما تقدّم محفوظة عند أبي بكر ثمّ عمر ثمّ حَفْصَة بنت عمر

أُمّ المؤمنين، وفي عهد الخليفة الثّالث عُثمان بن عَفّانﷺ تنبّه إلى وجوب إذاعة هـذا المُصْحَف في أمصار الإسلام الكُبرى.

والّذي نبّهه إلى ذلك أنّ حُفّاظ القرآن انتشروا في هذه الأمصار يقرأون النّاس القرآن، وكان بينهم شيء من الاختلاف في بعض أحرف القرآن تبعًا لاختلاف لغاتهم، فدعا ذلك إلى أنّ بعض القارئين كان يفضّل قراءته على الآخر، وبلغ ذلك عُثمان فرآه مصدرًا لخطر شديد لابدّ من علاجه... [ثمّ ذكر رواية البخاريّ عن أنس كما تقدّم عنه، الرّقم ٤ فقال:]

والمصاحف الّتي كتبت منه أرسلت إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكّة والمدينة، وأبقى عُثمان لنفسه مُصْحَفًا عرف بالمُصْحَف الإمام، ووضعت هذه المصاحف في جوامع الأمصار، يقرأ منها القُرّاء ويرجع إليها الحُفّاظ، وبعمل عُثمانﷺ تمّ الأمن على كتاب الله أن يختلف في حرف منه. (٨١ـ٨٣)

الفصل الخامس و الثّلاثون

نصّ البلاغيّ (م: ١٣٥٢) في تفسيره: «آلاءالرّحمان...»

جمع القرآن في مُصْحَف واحد

لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحـي والتّشـريع والمـصالح والمـقتضيات المتجدّدة آ نًا فآنًا، يتدرّج في نزوله نجومًا[١] الآية والآيتان والأكثر والسُّورة. وكلّما نزل شيء هفت إليه قلوب المسلمين، وانشرحت له صدورهم، و هـبّوا إلى حـفظه بأحسـن الرّغبة والشّوق وأكمل الإقبال و أشدّ الارتياح. فتلقُّوه بالابتهاج، وتلقّوه بالاغتنام من تلاوة الرّسول العظيم الصّادع بأمرالله والمسارع إلى التّبليغ والدّعـوة إلى الله و قـرآنـه. وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوّة الحافظة الفِطريّة، و أثـبتوه فـي قلوبهم كالنّقش في الحَجَر.

و كان شعارالإسلام و سِمةَ المُسلم حينئذ هو التّجمّل و التّكمّل بحفظ ما ينزل مـن القرآن الكريم، لكي يتبصّر بحججه، و يتنوّر بمعارفه و شرائعه و أخلاقه الفاضلة و تاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربيّ الفائق المعجز. فاتّخذ المسلمون تلاوته لهم حجّة الدّعوة، و معجز البلاغة. ولسان العبادة لله، ولهجة ذكره، و ترجمان مـناجاته، و أنـيس الخلوة، و ترويح النّفس، ودرسًا للكمال، و تمرينًا في التّهذيب، وسُلّمًا للتّرقّي، و تدرُّبًا

---

١ ـ ولابدّ من أن تكون كتب الوحي والدّعوة والتّشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة. وممّا يشير إلى ذلك أنّ التّوراة الرّائجة تذكر أنّ نزول التّوراة على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشّجرة متدرّجًا بحسب الأزمان والحوادث والتّاريخ والحكم في التّشريع إلى حين وفاته بعد التّيه عندما عبر الأردن ومتراخيًا في أكثر من أربعين سنة. فانظر في شرح هذا المجمل إلى المقدّمة الثّانية من الجزء الأوّل من كتاب الهُدىٰ، الصّحيفة ٩ إلى ١٢.

في التّمدُّن، و آية الموعظة و شعارالإسلام، ووَسام الإيمان والتّقدّم في الفضيلة.

واستمرَّ المسلمون على ذلك حتّى صاروا في زمان الرّسول يعدّون بالأُلوف وعشراتها و مئاتها. وكلّهم من حملة القرآن و حُفّاظه، وإن تفاوتوا في ذلك بحسب السّابقة والفضيلة. هذا ولمّا كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول اللهﷺ، لم يكن كلّه مجموعًا في مُصْحَف واحد، وإن كان ما أوحي منه مجموعًا في قلوب المسلمين وكتاباتهم له.

و لمّا اختار الله لرسوله دارالكرامة وانقطع الوحي بذلك، فلا يُرجى للقرآن نزول تتمّة، رأى المسلمون أن يُسجِّلوه في مُصْحَف جامع، فجمعوا مادّته على حين إشراف الأُلوف من حُفّاظه ورقابة مكتوباته الموجودة عند الرّسول وكُتّاب الوحي وسائر المسلمين جملةً وأبعاضًا و سُوَرًا.

نعم، لم يُترتّب على ترتيب نزوله ولم يقدّم منسوخه على ناسخه فاستمرّ القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل،ترى له في كلّ آن أُلوفًا مؤلّفة من المصاحف، وأُلوفًا من الحُفّاظ. ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض، و يسمع بعضهم من بعض، تكون أُلوف المصاحف رقيبة على الحُفّاظ، وأُلوف الحُفّاظ رقباء على المصاحف، و تكون الأُلوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدّد منهما، نقول: الأُلوف، و لكنّها مئات الأُلوف و أُلوف الأُلوف، فلم يتّفق لأمر تاريخيّ من التّواتُر وبداهة البقاء مثل ما اتّفق للقرآن الكريم، كما وعد الله ـجلّت آلاؤه بقوله ـ في سورة الحِجْر / ٩ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، و قوله في سورة القيامة / ١٧ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ و لئن سمعت في الرّوايات الشّاذّة شيئًا في تحريف القرآن و ضياع بعضه، فلا تقم لتلك الرّوايات و زنًا، وقلّ ما يشاء العلم في اضطرابها و وهنها وضعف رواتها و مخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في مرويّاتها الواهية من الوهن، و ما ألصقته بكرامة القرآن ممّا ليس له شبه به، و استمع من ذلك لأُمور.

اضطراب الرّوايات في جمع القرآن

جاء فيها: أنّ أبابكر هو الّذي أدّى رأيه أوّلاً إلى جمع القرآن، و هو الّذي طلب من زيد بن ثابت جمعه، فثقل ذلك عليه، فلم يزل أبو بكر يراجعه حتّى قبل. وجاء فيها أيضًا: أنّ زيدًا هو الّذي أدّى رأيه أوّلاً إلى جمع القرآن وعزم عليه، وكلّم في ذلك عمر، فكلّم فيه عمر أبابكر، فاستشار أبو بكر في ذلك المسلمين. وجاءفيها أيضًا أنّ أبابكر هوالّذي جمع القرآن في أيّامه. وجاء فيها أنّ: عمر قتل ولم يجمع القرآن بأمره. وجاء فيها: أنّه هوالّذي جمع القرآن. وجاء فيها. أنّ عُثمان هوالّذي جمع القرآن في أيّامه بأمره. وجاء فيها: أنّ عمر هوالّذي أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص لمّا أراد جمع القرآن أن يملي زيد و يكتب سعيد. وجاء فيها: أنّ ذلك كان من عُثمان في أيّامه وبعد قتل عمر. وجاء في ذلك أيضًا: أنّ الّذي يُملي أُبيّ بن كعب و زيد يكتبه و سعيد يُعرِبُه. وفي رواية أُخرى: أنّ سعيدًا وعبد الله بن الحارث يُعرِبانه.

هذا بعض حال هذه الرّوايات في تعارضها و اضطراباتها، و من جملة ما جاء فيها ما مضمونه: أنّ براءة آخر ما نزل من القرآن فماذا ترى لهذا الرّواية من القيمة التّاريخيّة؟ فانظر إلى الجزء الأوّل من «كنزالعُمّال» و منتخبه أقلًّا.(١: ٤٩ ـ ٥٣)

الفصل السّادس والثّلاثون

نصّ رشيد رضا (م: ١٣٥٤) في تفسيره «المنار»

[جمع القرآن في عهد أبي بكر]

في حديث زيد بن ثابت في جمع القرآن المكتوب الّذي كان متفرّقًا في عهد أبي بكر عند ابن سَعْد وأحمد والبُخاريّ والتِّرمِذيّ والنّسائيّ وغيرهم ـ أنّه قال: حتّى وجدت من سورة التّوبة آيتين مع خُزَيْمة بن ثابت الأنصاريّ، لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ...﴾[1] إلى آخرهما.

والمراد أنّه لم يجدهما مكتوبتين عندما جمع المكتوب في الرِّقاع والأكتاف وَالعُسُب في هذه السّورة إلّا عند خُزَيمة. وفي رواية في البُخاريّ وغيره: عند أبي خُزَيمة، وهي أرجح كما سيأتي، إلّا أن تكونا وجدتا عند كلّ منهما، وكانتامحفوظتين معروفتين للكثيرين كما صرّح به في الرّوايات الأُخرى... **[ثمّ ذكر رواية عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر وقول خُزَيمة بن ثابت نقلاً عن ابن أبي داود كما تقدّم عنه، الرّقم ٥٠ و ١١فقال:]**

فيؤخذ من مجموع الرّوايات أنّ الآيتين كانتا محفوظتين مشهورتين إلّا أنّهم اختلفوا في موضعهما، ففي بعضها: أنّهما آخر سورة براءة بالتّوقيف من النّبيّ ﷺ، وفي بعضها: أنّهما وضعتا بالرّأي والاجتهاد، والمعتمد الأوّل قطعًا، لأنّ من حفظ التّوقيف حجّة على من لم يحفظ. والظّاهر أنّ سبب الاختلاف في موضعهما أنّ موضوعهما يدلّ على أنّهما مكّيّتان، ولم تصحّ لجماعة جامعي المُصْحَف رواية بكتابتهما في إحدى السُّوَر

---

١ ـ التّوبة /١٢٨.

المكّيّة، ولكن وجدتا عند أبي خُزَيمة مكتوبتين في آخر براءة.

وفي الصّحيح: أنّ زيد بن ثابت ـ الّذي كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وهو الّذي أمره أبو بكربجمع القرآن مع آخرين و كان عمر يحضرهم وهم يكتبون ـ قال: فوجدت آخر براءة مع خُزَيمة بن ثابت، أوأبي خُزَيمة. بالشّك، وهو من الرّاوي لا من زيد، وفي رواية عنه: مع خُزَيمة.

والتّحقيق الّذي قرّره الحافظ ابن حَجَر أنّ آخر التّوبة وُجِد عند أبي خُزَيمة، و أمّا الّذي وُجِد مع خُزَيْمة فهو آية الأحزاب. وذلك ما رواه البُخاريّ في تفسير سورتها عن زيد بن ثابت قال: لمّا نسخنا الصُّحُف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدهامع أحد إلّا مع خُزَيمَة الأنصاريّ الّذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين من المؤمنين ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾.

قال الحافظ في شرحه: هذا يدلّ على أنّ زيدًا لم يكن يعتمد في جمع القرآن علىٰ علمه ولا يقتصر على حفظه. لكن فيه إشكال، لأنّ ظاهره أنّه اكتفى مع ذلك بخُزَيمة وحده والقرآن إنّما يثبت بالتّواتُر. والّذي يظهر في الجواب أنّ الّذي أشار إليه أنّه فقده فقد وجودها مكتوبة، لا فقد وجودهامحفوظة، بل كانت محفوظة عنده و عند غيره، و يدلّ على هذا قوله في حديث جمع القرآن: «فجعلت أتتبّعه من الرّقاع والعُسُب، كما سيأتي مبسوطًا في فضائل القرآن.

و **أقول:** إنّني قد ذكرت آنفًا أنّ هذا هوالمراد منه، وهو ما كنت أفهمه دون غيره وأُجيب به من سألني عنه مستشكلاً. فقول الحافظ: والّذي يظهر... إلخ كان يجب أن يكون: والّذي يتعيّن القطع به كذا، وحسبك دليلاً على هذا أنّه قال: إنّهم كانوا يسمعون رسول الله ﷺ يقرؤها، فهو صريح في أنّ البحث كان عمّن كتبها فقط. وجملة القول إنّ الآيتين كانتا محفوظتين و مكتوبتين ومعروفتين لكثير من الصّحابة، وإنّما اختلفوا عند الجمع في موضع كتابتهما، حتّى شهد من شهد أنّ النّبيّ ﷺ هوالّذي وضعهما في آخر سورة براءة، وفاقًا لقول أُبيّ بن كعب الّذي ثبت في الصّحيح أنّه أحد الّذين تلقّوا القرآن كلّه مرتّبًا

عن النّبيّ ﷺ وكذا زيد بن ثابت. وكان عدد المختلفين في موضعهما قليلاً، فلمّا كتبتا في المصاحف وافق الجميع على وضعهما هاهنا، ولم يرو أيّ اعتراض على ذلك عمّن كتبوا لأنفسهم مصاحف اعتمدوا فيها على حفظهم كابن مسعود رضي الله عنه.

بقي البحث في حكمة وضعهما في آخر هذه السّورة المدنيّة و موضوعهما مكّيّ، يؤيّده كون الخطاب فيهما لقومه ﷺ على ما جزم به جماهيرالمفسّرين، وماهما بأوّل ماوضع من الآيات المكّيّة في السُّوَر المدنيّة لمناسبة اقتضت ذلك. ولعلّ الحكمة في ذلك أن يفيدا بموضعهما صحّة الخطاب بهما لكلّ من تبلغه الدّعوة من أُمّة الإجابة، وهو ما ذهب إليه الخَطّابيّ، كما دلّ موضعهما و نزولهما بمكّة ـ كما قال ابن أبي الفَرَس ـ على كون الخطاب فيهما لقومه ﷺ، و هو ماجزم به الجماهير، ويكون ما قلناه جامعًا بين الأقوال كلّها. (١١: ٩٢-٩٣)

الفصل السّابع و الثّلاثون

نصّ الرّافعيّ(م: ١٣٥٦) في «إعجازالقرآن»

تاريخ القرآن جمعُه و تدوينُه

كان بعض الصّحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداءً من أنفسهم، أو بأمر من النّبيّ ﷺ فيخطّونه على ما اتّفق لهم يومئذ من العُسُب والكَرانيف واللِّخاف والرِّقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع من الشّاة والإبل، وكلّ ما أصابوا من مثلها ممّا يصلح لغرضهم، يكتب كلّ منهم ما تيسّر له أو يسّرته أحواله، ولكن ممّا ليس فيه ريب أنّ منهم قومًا جمعوا القرآن كلّه لذلك العهد، وقد اختلفوا في تعيينهم، بيد أنّهم أجمعوا على نفر، منهم: عليّ بن أبي طالب، و مُعاذ بن جَبَل، و أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وهؤلاء كانوا مادّة هذا الأمر من بعد، فإنّ المصاحف حتّى اختصّت بالثّقة كانت ثلاثة: مُصْحَف ابن مسعود، و مُصْحَف أُبيّ، و مُصْحَف زيد، وكلّهم قَرَأ القرآن وعَرَضه على النّبيّ ﷺ، فأمّا ابن مسعود فقرأ بمكّة و عرض هناك، و أمّا أُبيّ فإنّه قرأ بعدالهجرة و عرض في ذلك الوقت، و أمّا زيد فقرأه بعدهما، وكان عرضه متأخّرًا عن الجميع، وهو آخر العرض، إذ كان في سنة وفاته ﷺ و بقراءته كان يقرأ(عليه الصّلاة والسّلام) وكان يصلّي إلى أن لحق بربّه، و لذلك اختار المسلمون ما كان آخر كما ستعرفه.

أمّا عليّ بن أبي طالب فقد ذكروا أنّ له مُصْحَفًا جمعه لمّا رأى من النّاس طيرةً عند وفاة النّبيّ ﷺ. وفي الفهرست لابن النّديم :أنّه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسنيّ مُصْحَفًا بخطّ عليّ يتوارثه بنوالحسن... و نحن نحسب ذلك خبرًا شيعيًّا، لأنّه غير شائع.

وقبض رسول الله ﷺ والقرآن في الصّدور، وفيما كتبوه عليه، ثمّ نهض أبو بكر بأمر الإسلام، وكانت في مدّته حروب أهل الرِّدَّة، ومنها غزوة أهل اليَمامة، والمحاربون أكثرهم من الصَّحابة و من القُرّاء، فقتل في هذه الغزوة وحدهاسبعون قارئًا من الصَّحابة (ويقال: سبعمائة)، وكان قد قتل منهم مثل هذا العدد ببئر مَعونة[1] في عهد النّبيّ ﷺ...

[و ذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ١ ثمّ قال:]

وهذا الّذي فعله أبو بكر كأنّما استحيا به طائفة من القُرّاء الّذين استحَرّ بهم القتل بعد ذلك في المواطن الّتي شهدوها، ولم يعد به ما وصفنا، ولذا بقي ما اكتتبه زيد نسخة واحدة، وهو قد تتبّع ما فيها من الرِّقاع والعُسُب واللِّخاف و من صُدُور الرّجال، إنّما ائتمنه أبو بكر لأنّه حافظ، ولأنّه من كتبة الوحي، ثمّ لأنّه صاحب العَرْضَة الأخيرة، وربّما كان قد أعانه بغيره في الجمع والتّتبّع، فإنّ في بعض الرّوايات: أنّ سالمًا مولى أبي حُذَيفة كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر، أمّا الكتابة فهي لزيد بالإجماع.

و بقيت تلك الصُّحُف عند أبي بكر ينتظر بها وقتها أن يحين، حتّى إذا توفّي سنة ١٣هـ صارت بعده إلى عمر، فكانت عنده حتّى مات، ثمّ كانت عند حَفْصَة ابنته صدرًا من ولاية عُثمان، و يومئذ اتّسعت الفتوح و تفرّق المسلمون في الأمصار، فأخذ أهل كلِّ مصر عن رجل من بقيّة القُرّاء.

فأهل دِمَشق و حِمْص أخذوا عن المقداد بن الأسود. و أهل الكوفة عن ابن مسعود. و أهل البَصْرة عن أبي موسى الأشعريّ ـ وكانوا يسمّون مُصْحَفه «لُبَاب القُلُوب» ـ و قرأ كثير من أهل الشّام بقراءة أُبيّ بن كعب.

وكانت وجوه القراءة الّتي يؤدّى بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف الّتي نزل عليها، كما سيمرّ بك، فكان الّذي يسمع هذا الاختلاف من أهل تلك الأمصار ـ إذا احتوتهم المجامع أو التقوا في المواطن على جهاد أعدائهم ـ يعجب من ذلك أن تكون هذه الوجوه كلّها على اختلاف ما بينها في كلامٍ واحدٍ، فإذا علم أنّ جميع القراءات مُسندة إلى

---

١ ـ موضع قرب المدينة يقال: إنّه لهُذَيل، وقيل: لسُلَيم.

رسول الله ﷺ و أنّه أجازها، لا يمنع أن يحيك في صدره بعض الشّكّ، و أن ينطويَ منها على شيء. وإذا هو كان قد نشأ بعد زمن الدّعوة و بعد أن اجتمع العرب على كلمة واحدة، فلا يلبث أن يجري ذلك الاختلاف مجرى مثله من سائر الكلام، فيرى بعضه خيرًا من بعضه، ويظنّ منه الصّريح والمدخول والعالي والنّازل، والأفصح والفصيح، وأشباه ذلك، ويعتدّ ما يراه في القرآن من القرآن، و هذا أمر إن هو استفاض فيهم ثمّ مَردوا عليه خرجوا منه ولا ريب إلى المناقضة والملاحاة، وإلى أن يردّ بعضهم على بعض، هذا يقول: قراءتي و ما أخذت به، و ذلك يقول: بل قراءتي و ما أنا عليه! وليس من وراء هذا اللّجاج إلّا التّكفير والتّأثيم، ولا جَرَم أنّها الفتنة لا تفثأ بعد ذلك من دم.

ولقد نجمت هذه النّاشئة يومئذ، فلمّا كانت غزوة أرْمينيّة وغزوة أذربيجان، كان فيمن غزاهما مع أهل العراق حُذَيفة بن اليَمان، فرأى كَثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة، أنّهم لا يجرون من ذلك على أصل في الفطرة اللُّغويّة كما كان العرب يقرأون بلحونهم، و رأى ما يبدر على ألسنتهم حين يأتي كلّ فريق منهم بما لم يسمع من غيره، إذ يتمارَوْن فيه حتّى يكفّر بعضهم بعضًا، ولم يرَ عندهم نكيرًا لذلك ولا إكبارًا له، بل كانوا قد ألفوه بين أنفسهم، و صار من عاداتهم و أمرهم، ففزع إلى عُثمان فأخبره بالّذي رأى، وكان عُثمان قد رفع إليه أنّ شيئًا من ذلك يكون بين المسلمين الّذين يُقرأون الصّبيّة و يأخذونهم بحفظ القرآن فينشأون وبهم من الخلاف بعضهم على بعض، فأعظم رحمه الله أمر هذه الفتنة، و أكبره الصّحابة جميعًا، لأنّ الاختلاف في كتاب الله مَدْرَجَة إلى مخالفة ما فيه، و متى أهملوا بعض معانيه لم يكن بدّ أن يتصرّفوا ببعض ألفاظه، و إنّما هو اجتراءٌ واحد، فيوشِك أن يكون ذلك مساغٌ للتّحريف والتّبديل، فأجمعوا أمرهم أن ينتسخوا الصُّحُف الأُولى الّتي كانت عند أبي بكر، و أن يأخذوا النّاس بها و يجمعوهم عليها، حذار تلك الرِّدّة المشتبهة، و إشفاقًا على النّاس أن يصيروا ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾، فأرسل عُثمان إلى حَفْصة... [وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثُمّ قال:]

قال زيد ـ في بعض الرّوايات عنه ـ: فلمّا فرغت عرضته عَرْضَةً، فلم أجد فيه هذه

الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ...﴾[1] [وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ١، ثمّ قال:]

قلنا: وكلام زيد نصّ قاطع في أنّه كان يحفظ القرآن كلّه، لم يذهب عنه شيء منه، إذ كان يعرض ما في الصُّحُف على ما رُبط في صدره وثبت في حفظه، ثمّ هو نصٌّ كذلك. على أنّ زيدًا كان لا يكتفي بنفسه، بل يذهب يستعرض النّاس حتّى يجد من يؤدّي إليه، كيلا ينفرد هو بالحفظ خشية أن يكون موضع ظنَّة، وإن كان الصّحابة (رضي الله عنهم) قد أجمعوا على الثّقة به، فلم يثبت ما أثبته إلّا بشاهدين: أحدهما من حفظ غيره والآخر من حفظه.

ثمّ بعث في كلّ أُفُق بمُصْحَف من تلك المصاحف، وكانت سبعة ـ في قول مشهور ـ فأرسل منها إلى مكّة، والشّام، واليَمن، والبَحرين، والبَصْرة، والكوفة. وحبس بالمدينة واحدًا، وهو مُصْحَفه الّذي يسمّى الإمام[2]، ثمّ أمر بما عدا ذلك من صحيفة أو مُصْحَف أن يحرق، ولم يجعل في عزيمته تلك رخصة سائغة لأحد. وكان جمع عُثمان في سنة ٢٥ للهجرة.

وإنّما أراد عُثمان بذلك حَسْم مادّة الاختلاف، لأنّه أمرٌ يمدُّ مع الزّمن وتنشعب الأيّام به. وهو إن أمن في عصره لم يَدْر ما يكون بعد عصره، وقد أدرك أنّ العرب لا يستمرّون عربًا على الاختلاف والفتوح، وأنّ الألسنة تنتقل، واللُّغات تختلف. ثمّ هو رأى ما وقع في الشِّعر وروايته، وأنّ الاختلاف كان بابًا إلى الزّيادة والابتداع، فلم يفعل شيئًا أكثر من أنّه حَصَّن القرآن وأحكم الأسوار حوله، ومنع الزّمن أن يتطرّق إليه بشيء، وجعله بذلك فوق الزّمن.

ولم تكن المصاحف الّتي كتبت قبل مُصْحَف عُثمان على هذا التّرتيب المعروف في

---

١ ـ الأحزاب /٢٣.

٢ ـ الأصل في هذه التّسمية ما جاء في بعض الرّوايات من أنّ عُثمان لمّا بلغه اختلاف المعلّمين في القرآن كما أوردناه آنفًا، قال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه! فمن نأى عنّي كان أشدّ تكذيبًا وأكثر لحنًا. يا أصحاب محمّد اجتمعوا فاكتبوا للنّاس إمامًا.

السُّوَر إلى اليوم. فإنّما هو ترتيب عُثمان[1]، أمّا فيما وراء ذلك فقد رووا أنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزلت سورة دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السّورة في الموضع الّذي يذكر فيه كذا وكذا، فكان القرآن مرتّب الآيات، غير أنّه لم يكن مجموعًا بين دفّتين، فلا يؤمن أن يضطرب نَسق مجموعه في أيدي النّاس باضطراب القطع الّتي كتب فيها تقديمًا و تأخيرًا، ولم يلزم النّاس القراءة يومئذ بتوالي السُّوَر، وذلك أنّ الواحد منهم إذا حفظ سورة أو كتبها ثمّ خرج في سَريّة[2]، فنزلت سورة أُخرى فإنّه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته، و يتبع ما فاته على حسب ما تَسهَّلَ له أكثره أو أقلّه، فمن ثمّ يقع فيما يكتبه تأخير المقدَّم و تقديم المؤخّر، فلمّا جمعه أبو بكر برأي عمر كتبوه على ما وقفهم عليه رسول الله ﷺ ثمّ كانوا في أيّام عمر يكتبون بعض المصاحف مُنتسقة السُّوَر على ترتيب ابن مسعود، و ترتيب أُبيّ بن كعب، وكلاهما قد سرده ابن النّديم في كتابه (الفهرست)، و قال ابن فارس: إنّ السُّوَر في مُصْحَف عليّ كانت مرتّبة على النّزول، فكان أوّله سورة إقرأ باسم ربّك، ثمّ المدّثّر، ثمّ المُزّمّل، ثمّ تبّتْ، ثمّ التّكوير، و هكذا إلى آخر المكّيّ والمدنيّ، ولا حاجة بنا أن نتّسع في استقصاء هذا الخلاف.

أمّا ترتيب مُصْحَف عُثمان فهو نسق زيد بن ثابت. وهو صاحب العَرْضَة الأخيرة، ولعلّه كان ترتيب مُصْحَف أبي بكر أيضًا، لما مرّ في الرّواية عن زيد من أنّه قابل بين الاثنين معارضة، والله أعلم.

ولم يكن بعد انتشار المصاحف العُثمانيّة وانتساخها على هيأتها إلّا أن استوثقت الأُمّة على ذلك بالطّاعة، وأحرق كلّ امرئ ما كان عنده ممّا يخالفها ترتيبًا أو قراءة، وأطبق المسلمون على ذلك النّسق و ذلك الحرف، ثمّ أقبلوا يجدُّون في إخراجها وانتساخها. ولقد روى المسعوديّ أنّه رفع من عسكر معاوية في واقعة صِفّين نحو من خمسمائة مُصْحَف، و هي الخُدعة المشهورة الّتي أشار بها عمرو بن العاص في تلك

---

١ ـ وكان تقسيم المُصْحَف ثلاثين جزءًا زمن الحَجّاج.

٢ ـ هي عندهم من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

الواقعة، ولم يكن بين جمع عُثمان إلى يوم صِفّين إلّا سبع سنوات.[١]

وهنا أمر لا مذهبَ لنا دون التّنبيه عليه، وذلك أنّ جمع القرآن كان استقصاء لما كتب، واستيعابًا لما في الصّدور، فكانوا لا يقبلون إلّا بشهادة قد امتحنوها، أو حلف قد وثقوا من صاحبه، وإلّا بعد العرض على من جمعوا وعرضوا على رسول الله ﷺ، فإنّ الصَّحابة كانوا لا يحسنون التّهجّي، وقد يكتبون ما يقرأون على وجه من وجوه الكتابة، أو يكتبون بجرس من القراءة...(٣٣ـ٤٢)

١ ـ هذا إن صحّت رواية المسعوديّ، ونحن لا نوثّقها، لأنّ الرّجل مؤلّف أخبار يحتمل لها من كلّ وجهه، أمّا الرّواية الّتي نرضاها فهي ما رواه ابن قُتَيبة من أنّ عليًّا نادى أصحابه، فأصبحوا على رايتهم ومصافّهم، فلمّا رآهم معاوية وقد برزوا للقتال، قال لعمرو بن العاص: يا عمرو، ألم تزعم أنّك ما وقعت في أمر قطّ إلّا وخرجت منه؟ قال: بلى! قال: أفلا تخرج ممّا ترى؟ قال: والله لأدعونّهم إن شئت إلى أمر أُفرّق به جمعهم، ويزداد جمعك إليك اجتماعًا؛ إن أعطوك اختلفوا، وإن منعوك اختلفوا! قال معاوية: وما ذلك؟ قال عمرو: تأمر بالمصاحف فترفع ثمّ تدعوهم إلى ما فيها. فوالله لئن قبله لتفترقنّ جماعته، ولئن ردّه ليكفّرنّه أصحابه!

فدعا معاوية (بالمُصْحَف) ثمّ دعا رجلاً من أصحابه يقال له: ابن هند، فنشره بين الصّفّين، ثمّ نادى: الله الله في دمائنا البقيّة! بيننا وبينكم كتاب الله. فلمّا سمع النّاس ذلك ثاروا إلى عليّ فقالوا: قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب الله، فاقبل منه ورفع صاحب معاوية (المُصْحَف) وهو يقول بيننا وبينكم هذا... إلخ. وإن لم تكن هذه الرّواية هي حقيقة الواقع فليس أشبه بحقيقة الواقع منها.

الفصل الثّامن و الثّلاثون

نصّ الزَّنجانيّ (م: ١٣٦٠) في «تاريخ القرآن»

فيما كتب عليه القرآن في عهد النّبيّ ﷺ

كان الكتبة يكتبون الآيات في العُسُب واللِّخاف والرِّقاع، وأحيانًا في الحرير و قطع الأديم والأكتاف، على عادةالعرب بالكتابة على تلك الأشياء وكان تطلق عليها الصُّحُف، وكانت من تلك الصُّحُف تكتب لرسول الله ﷺ وتوضع في بيته. قال محمّد بن إسحاق في الفهرست: وكان القرآن مكتوبًا بين يدي رسول الله ﷺ في اللِّخاف والعُسُب وأكتاف الإبل. وروى البُخاريّ عن زيد بن ثابت أنّه قال: تتبّعت القرآن وأجمعه من اللِّخاف والعُسُب وصُدور الرّجال.

روى العيّاشيّ في تفسيره في ذيل رواية له: قال عَليٌّ عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ أوصاني إذا واريته في حُفرته أن لا أخرج من بيتي حتّى أُؤلّف كتاب الله، فإنّه في جرائد النّخل، وفي أكتاف الإبل... **[ثمّ ذكر رواية عليّ بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام و قول المَحاسبيّ كما تقدّم عن الطُّريحيّ والزّركشيّ، فقال:]**

ووردت روايات في أنّ وضع الآيات في مواضيعها في القرآن بأمره، و إنّها بتوقيفه ﷺ وفيها ما يدلّ على أنّ آيات القرآن كتبت بين يديه بأمره ﷺ.

في ذكر أسماء الّذين جمعوا القرآن على عهد النّبيّ

وجمع على عهد النّبيّ ﷺ بعض من الصّحابة القرآن كلّه، و بعض منهم جمع القرآن

ثمّ كمّله بعد النّبيّ صلى الله عليه و آله[١] ذكر محمّدبن إسحاق في «الفهرست»: أنّ الجُمّاع للقرآن على عهد النّبيّ صلى الله عليه و آله ... [وذكر كما تقدّم عنه ثمّ قال:]

و وافقه البُخاريّ في أربعة منهم في إحدى رواياته: روى عن قَتادة... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١١، ثمّ ذكر رواية كعب القُرَظيّ و ابن سيرين وابن داود عن الشّعبيّ، كما تقدّم عن ابن حَجَر وابن سعد، فقال :]

و روى الخوارزميّ في «مناقبه» عن عليّ بن رَياح، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و أُبيّ بن كعب.

و يظهر من بعض الرّوايات أنّ عليًّا أميرالمؤمنين عليه السلام كتب القرآن على ترتيب النّزول، و قدّم المنسوخ على النّاسخ، أخرج ابن أشتة في «المصاحف» عن ابن سيرين: أنّ عليًّا عليه السلام كتب في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ، و إنّ ابن سيرين قال: تطلّبت ذلك و كتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه، و قال ابن حَجَر[٢]: قد ورد عن عليّ عليه السلام أنّه جمع القرآن على ترتيب النّزول عقب موت النّبيّ صلى الله عليه و آله، و خرّجه ابن أبي داود.

وفي «شرح الكافي» للمولى صالح القَزوينيّ عن كتاب سُلَيْم بن قيس الهلاليّ: أنّ عليًّا عليه السلام بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و آله لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه و يؤلّفه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه كلّه، و كتب على تنزيله النّاسخ والمنسوخ منه، والمحكم والمتشابه.

ذكر الشّيخ الإمام محمّد بن محمّد بن النُّعمان المفيد[٣] في كتاب «الإرشاد» و «الرّسالة السّرويّة»: أنّ عليًّا عليه السلام قدّم في مُصْحَفه المنسوخ على النّاسخ، و كتب فيه تأويل بعض الآيات و تفسيرها بالتّفصيل.

يقول الشّهرستانيّ في مقدّمة تفسيره: كانت الصّحابة(رضي الله عنهم) متّفقين على أنّ علم القرآن مخصوص لأهل البيت عليهم السلام، إذ كانوا يسألون عليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل خصصتم أهل البيت عليهم السلام دوننا بشيء سوى القرآن؟ فاستثناء القرآن بالتّخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن وعلمه و تنزيله و تأويله مخصوص بهم. (٢٢ـ٢٦)

---

١ ـ قال الخطّابيّ: إنّما يجمع صلى الله عليه و آله القرآن في مكان واحد لما كان يترقّبه من ورود النّاسخ لبعض أحكامه أو تلاوته.

٢ ـ نقل السّيوطيّ قوله في الإتقان.

٣ ـ من كبار علماء الشّيعة، أُستاذ الشّريفين المرتضى عَلَم الهدى والرّضي رحمهما الله.

القرآن في عهد أبي بكر و عمر

و لمّا توفّي رسول الله ﷺ ورجعت نفسه الزّكيّة إلى ربّها راضية مرضيّة، و تولّى الأمر أبو بكر بن أبي قُحَافَة، ظهر مُسَيْلمة باليَمامة في السّنة الأُولى من خلافته، وجهّز أبو بكر لقتاله جيشًا يتألّف من القُرّاء وحفظة القرآن وغيرهم، و في هذه الحرب الّتي كان النّصر حليف المسلمين، و قتل مُسَيْلمة واشتدّ القتل في يومها لقُرّاء القرآن، أحسّ الخليفة عمر ابن الخطّاب بضرورة جمع القرآن.

في الإتقان عن ابن أبي داود بطريق الحسن: أنّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قتل يوم اليَمامة؛ فقال: إنّا لله، فأمر بجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في مُصْحَف. روى البُخاريّ بإسناده عن عُبَيْد بن السَّبّاق أنّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل... **[وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢، ثمّ قال:]**

يظهر من الرّواية أنّ أبا بكر خشي، فأبى من فعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، لشدّة اتّباعهم للنّبيّ ﷺ ثمّ اجتهد عمر و قال: هذا والله خير، أي صلاح للأُمّة، لأنّ القرآن هو أساس معالم الدّين الإسلاميّ، وكذلك زيد بن ثابت أبى أن يفعل ما لم يفعله ﷺ خشية الابتداع في الدّين. كأنّ ظاهر الرّواية أنّ إنكارهما يرجع إلى جمع القرآن، مع أنّ القرآن بحسب الرّوايات والأقوال السّابقة كان مجموعًا في حضرة النّبيّ ﷺ ولكنّ التّأمّل الصّادق والشّواهد يعطي أنّ اقتراح عمر جمع القرآن إنّما كان لجمعه في الورق، حتّى أنّ الصّحابة لشدّة احتياطهم و خضوعهم لرسول الله ﷺ خافوا أن يكون ذلك من البدع، و أجاب الخليفة الثّاني أنّ فيه رضى النّبيّ ﷺ وصلاح الأُمّة... **[ثمّ ذكر رواية موسى بن عُقبة و رواية هِشام بن عُرْوَة و قول ابن حَجَر في رواية عُمارة بن غَزِّيّة كما تقدّم عن ابن حَجَر وابن أبي داود، فقال:]**

والأقرب إلى الظّنّ أنّ الشّاهدين كانا يشهدان بأنّ ما أتوا به كان ممّا عرض على النّبيّ ﷺ عام وفاته في العَرْضة الأخيرة، وكتب بين يديه ﷺ ولذلك قال زيد بن ثابت: وجدت آخر سورة براءة مع أبي خُزَيمة لم أجدها مع غيره. ولولا ذلك لما صحّ معنى لعدم وجدانهم لهذه الآية، لأنّ زيد كان جمع القرآن و حفظه، و أخذه عن النّبيّ ﷺ و قبل قول

أبي خُزَيْمة، لأنّ النّبيّ ﷺ جعل شهادته شهادة رجُلَين، وأتى عمر بآية الرّجم فلم تكتب، لأنّه كان أتى بها وحده، وكانت حسب بعض الرّوايات نسخة من القرآن المكتوب في العُسُب والحرير والأكتاف في بيت رسول الله ﷺ.

وكان هذا الجمع عبارة عن جمع الآيات المكتوبة في الأكتاف والعُسُب واللِّخاف، ونسخها في الأديم وهو الجلد المَدبوغ.

وقال عمر: لا يُملِيَنّ في مصاحفنا إلّا غِلمان من قريش وثقيف، وقال عُثمان: اجعلوا المُمليّ من هُذَيل والكاتب من ثقيف[1].

القرآن في عهد عُثمان

قد سبق أنّ الصّحابة قرأوا بعض كلمات القرآن بألفاظ مختلفة، كانت تدلّ على معنى واحد، كامض واسْرِ وعجِّل وأسرِع وأخِّر وأمهِل، وأنّ عمر قرأ: «فامضوا إلى ذكر الله». وأنس قرأ: «إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأ وأصوب قيلاً». ولم يكن هذا الاختلاف بنظرهم مغيّرًا لمعنى القرآن، ولذلك أقرّ النّبيّ ﷺ قراءاتهم على اختلاف ألفاظها، وبعد عهد النّبيّ ﷺ أخذ يزيد هذا الاختلاف في عهد أبي بكر، واشتدّ في عهد عُثمان حتّى اقتتل المعلّمون والغِلْمان، وتفرّق القُرّاء والحُفّاظ في الشّام والعراق واليمن وأرمينيّة وأذربيجان، وزاد على هذا الاختلاف بتأثير عوامل تحوّل اللُّغة بمجاورة أُمم غير عربيّة أو عربيّة غير مُضَريّة، وأصبح بحيث يخشى من تأثيره، فعند ذلك أحسَّ حُذَيْفة بن اليَمان[2] الصّحابيّ الجليل بسوء تأثيره إن استمرّ، وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة وأذربيجان مع أهل العراق، فأعلم عُثمان سوء عاقبة الاختلاف في القرآن.

وفي البُخاريّ ووافقه صاحب الفهرست[3]، قال :حدّثنا إبراهيم، قال: حدّثنا ابن شِهاب: أنّ أنس بن مالك حدّثه أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قدِم على عُثمان (في الفهرست: وكان

---

١ ـ المزهر ١: ١٣٧.

٢ ـ وهو حُذَيْفة بن حِسْل بن جابر صاحب رسول الله ﷺ، وكان فتح همدان والرّيّ والدّينور بيده. توفّي بعد قتل عُثمان بأربعين ليلة في سنة ٣٦.

٣ ـ قال في الفهرست في نقل هذا الحديث: وروى الثّقة إلخ: ٣٧ (طبع مصر).

بالعراق)... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، ثمّ قال:]

ويظهر من بعض الأسانيد الموثّقة أنّ عُثمان لمّا أراد نسخ القرآن في المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قُريش و الأنصار.

خرّج ابن أبي داود من طريق محمّد بن سيرين عن كثير بن أفلح، قال... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤٤].

وقال ابن حَجَر: فاتّفق رأي الصّحابة على أن كتبوا ما تحقّق أنّه قرآن في العَرْضَة الأخيرة، و تركوا ما سوى ذلك[1]. ويدلّ على قول ابن حَجَر ذيل حديث البُخاريّ عن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المُصْحَف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع أبي خُزَيمَة بن ثابت الأنصاريّ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[2]، فألحقناها في سورتها في المُصْحَف.

يتراءى أنّ التّحقيق أرشدهم إلى أنّ الآية ممّا عرضت على النّبيّ ﷺ في العَرْضَة الأخيرة في المُصْحَف، ولمّا نسخوا الصُّحُف في المصاحف ردّها عُثمان إلى حَفْصة و نسخوا أربعة مصاحف، وأبقى عنده واحدًا منها، و أرسل عُثمان الثّلاثة للبَصْرة والكوفة والشّام، وعيّن زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدنيّ، و بعث عامر بن قَيْس[3] مع البصريّ، و أبا عبد الرّحمان السُّلَميّ مع الكوفيّ والمغيرة بن شِهاب مع الشّاميّ؛ و قرأ كلّ مصر بما في مُصْحَفه. فالجمع الأوّل كان جمع الآيات حين نزولها في الكتب وأمثاله ممّا كانت العرب تكتب عليه وعرضها على النّبيّ ﷺ، والجمع الثّاني في عهد الخليفة أبي بكر كان جمع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الأديم، والجمع الثّالث في عهد عُثمان كان جمع المسلمين على قراءة واحدة ... [ثمّ ذكر مصير مصاحف الصّحابة و رؤية بعضها، كما سيجيء في الباب المصاحف] (٤٠ ـ ٤٥)

---

١ ـ ما كان بغير لُغة على الأظهر.

٢ ـ الأحزاب /٢٣.

٣ ـ هو أبو بردة عامر بن قيس الأشعريّ أخو أبي موسى الأشعريّ على ما دلّنا الفحص.

الفصل التّاسع والثّلاثون

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان ...»

في جمع القرآن و تاريخه

كلمة جمع القرآن تطلق تارةً ويراد منها حفظه واستظهاره في الصُّدور، و تطلق تارةً أُخرى و يراد منها كتابته كلّه حروفًا وكلماتٍ و آياتٍ و سُوَرًا. هذا جمع في الصّحائف والسُّطور، و ذاك جمع في القلوب و الصُّدور. ثمّ إنّ جمعه بمعنى كتابته حدث في الصّدر الأوّل ثلاث مرّات: الأُولى في عهد النّبيّ ﷺ. والثّانية في خلافة أبي بكر. و الثّالثة على عهد عُثمان. و في هذه المرّة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف و أُرسلت إلى الآفاق. وقد أُثيرت في هذا الموضوع شُبَه باردة لا مناص لنا من أن نكشف عنها اللّثام، ثمّ نعرّضها لحرارة الحقائق العلميّة الصّحيحة، حتّى تذوب وتَماع، أو تذهب و تتبخّر، ﴿فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَالَ﴾[1].

جمع القرآن بمعنى حفظه في الصّدور

نزل القرآن على النّبيّ ﷺ فكانت همّته بادئ ذي بدء منصرفة إلى أن يحفظه و يستظهره، ثمّ يقرأه على النّاس على مكث ليحفظوه و يستظهروه، ضرروة أنّه نبيّ أُمّيّ بعثه الله في الأُمّيّين: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْاُمِّيّٖنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَ يُزَكّٖيهِمْ

١ ـ الرّعد/١٧.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ اِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١] . و من شأن الأُمّيّ أن يعوّل على حافظته فيما يهمّه أمره، و يعنيه استحضاره و جمعه، خصوصًا إذا أُوتي من قوّة الحفظ والاستظهار ما ييسر له هذا الجمع والاستحضار . وكذلك كانت الأُمّة العربيّة على عـهد نزول القرآن وهي متمتّعة بخصائص العروبة الكاملة، الّتي منها سرعةالحـفظ، و سـيلان الأذهان، حتّى كانت قلوبهم أناجيلهم، و عقولهم سجلّات أنسابهم و أيّامهم، و حوافظهم دواوين أشعارهم و مفاخرهم . ثمّ جاء القرآن فَبَهَرهم بقوّة بيانه، و أخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه، واستأثر بكريم مواهبهم في لفظه و معناه، فخلعوا عليه حـياتهم حـين علموا أنّه روح الحياة .

أمّا النّبيّ ﷺ فبلغ من حِرصه على استظهار القرآن وحفظه، أنّه كان يحرّك لسانه به في أشدّ حالات حرجه و شدّته، و هو يعاني ما يعانيه من الوحي و سطوته، و جـبريل فـي هبوطه عليه بقوّته . يفعل الرّسول كلّ ذلك استعجالاً لحفظه و جمعه في قلبه، مخافة أن تفوته كلمة، أو يفلت منه حرف . و ما زال ﷺ كذلك حتّى طَمأنهُ ربّه بأن وَعَدَه أن يجمعه له في صدره، و أن يسهّل له قراءة لفظه و فهم معناه، فقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ * فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ * ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢]، و قال له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْاٰنِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقْضىٰ اِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٣]. و من هنا كان ﷺ جامع القرآن في قلبه الشّريف، و سيّد الحُفّاظ في عصره المنيف، و مرجع المسلمين في كلّ ما يعنيهم من أمرالقرآن و علوم القرآن . وكان ﷺ يقرؤه على النّاس على مُكث كـما أمـره مـولاه، وكان يحيي به اللّيل و يزيّن الصّلاة . وكان جبريل يعارضه إيّاه في كلّ عام مرّة . وعارضه إيّاه في العام الأخير مرّتين، قالت عائشة و فاطمة (رضي الله عنهما): «سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إنّ جبريل كان يعارضني القرآن في كلّ سنةٍ مرَّة، و إنّه عارضني العام مرّتين، ولا أراهُ إلّا حضر أجلي» .

١ ـ الجمعة /٢.

٢ ـ طه /١١٤.

٣ ـ القيامة /١٦ـ١٩.

وأمّا الصَّحابة (رضوان الله عليهم) فقد كان كتاب الله في المحلّ الأوّل من عنايتهم، يتنافسون في استظهاره وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته و تفهّمه، و يتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه. وربّما كانت قرّة عين السّيّدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلّمها إيّاها زوجها. وكانوا يهجرون لذّة النّوم وراحة الهجود، إيثارًا للذّة القيام به في اللّيل، والتّلاوة له في الأسحار، والصّلاة به والنّاس نيام، حتّى لقد كان الّذي يمُرُّ ببيوت الصَّحابة في غسق الدُّجى، يسمع فيها دَوِيًّا كدَويّ النّحل بالقرآن. وكان الرّسول ﷺ يُزكّي فيهم روح هذه العناية بالتّنزيل، يبلّغهم ما أنزل إليه من ربّه، ويبعث إلى من كان بعيد الدّار منهم من يعلّمهم ويقرئهم، كما بعث مُصْعبَ بن عُمَيْر و ابن أُمّ مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته، يعلّمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن، وكما أرسل مُعاذ بن جَبَل إلى مكّة بعد هجرته للتّحفيظ والإقراء.

قال عُبَادَة بن الصّامت رضي الله عنه: «كان الرّجل إذا هاجر دفعه النّبيّ ﷺ إلى رجل منّا يعلّمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجّةٌ بتلاوة القرآن حتّى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا». [ثمّ ذكر عدد حُفّاظ القرآن وأساميهم في حياة الرّسول، كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

و **قيل:** إنّ بعض هؤلاء إنّما أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ. وأيًّا ما تكن الحال، فإنّ الّذين حفظوا القرآن من الصَّحابة كانوا كثيرين، حتّى كان عدد القتلىٰ منهم ببئرِ معونة و يوم اليمامة أربعين و مائة. قال الْقرْطُبيّ «قد قتل يوم اليَمامة سبعون من القُرّاء، و قتل في عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد».

قال المحقّق ابن الجَزَريّ: «ثمّ إنّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القُلوب و الصُّدور لا على خطّ المصاحف والكتب. وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأُمّة، ففي الحديث الصّحيح الّذي رواه مسلم أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إنّ ربّي قال لي: قُم في قُرَيشٍ فأنذِرهم، فقلت له: أي ربِّ إذن يثلغوا رأسي حتّى يدعوه خُبزَةً. فقال: إنّي مبتليك و مبتلٍ بك، و منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا و يقظان، فابعَثْ جندًا أبعث

مثلهم، وقاتل بمن أطاعك مَن عصاك، وأنفق ينفق عليك». فأخبر تعالى أنّ القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأ في كلّ حال كما جاء في صفة أُمّته: «أناجيلهم صُدورهم»، و ذلك بخلاف أهل الكتاب الّذين لا يحفظونه إلّا في الكتب، و لا يقرأونه كلّه إلّا نظرًا لا عن ظهر قلب».

ولا يشكلنّ عليك في هذا المقام ما جاء في صحيح البخاريّ عن أنس بن مالكرضي الله عنه أنّه قال: «مات النّبيّﷺ ولم يجمع القرآن غيرُ أربعةٍ: أبو الدَّرداء و مُعَاذ بن جَبَل و زيد بن ثابت و أبو زيد»، قال: «و نحنُ ورثناهُ» وأبو زيد هذا اسمه قيسُ بن السَّكَن، كما رواه أبوداود بإسناد على شرط الشّيخين.

و إنّما قلنا: لا يشكلنّ عليك هذاالحديث، لأنّ الحصر الّذي تلمحه فيه حصر نسبيّ، وليس حصرًا حقيقيًّا حتّى ينفي أن يكون غير هؤلاء الأربعة قد جمعه على عهد رسول اللهﷺ.

والدّليل على أنّ هذا الحصر إضافيّ لا حقيقيّ هو مارواه البُخاريّ عن أنس نفسه أيضًا، وقد سأله قَتادة عمّن جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ فقال: «أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كَعب، و مُعاذ بن جَبَل، و زيدُ بن ثابت، و أبو زيد». فأنت ترى أنّ أنسًا في هذه الرّواية ذكر من الأربعة أُبيّ بن كعب بدلاً من أبي الدَّرداء في الرّواية السّابقة، و هو صادق في كلتا الرّوايتين، لأنّه ليس بمعقول أن يكذّب نفسه، فتعيّن أنّه يريد من الحصر الّذي أورده الحصر الإضافيّ، بأن يقال إنّ أنسًارضي الله عنه تعلّق غرضه في وقت مابأن يذكر الثّلاثة، ويذكر معهم أُبيّ بن كعب دون أبي الدَّرداء، حاضرًا الجمع فيهم، ثمّ علّق غرضه في وقت آخر بأن يذكر الثّلاثة ويذكر معهم أبا الدَّرداء دون أُبيّ بن كعب.

وهذا التّوجيه وإن كان بعيدًا، إلّا أنّه يتعيّن المصير إليه جمعًا بين هاتين الرّوايتين، و بينهما و بين روايات أُخرى ذكرت غير هؤلاء... [ثمّ ذكر قول الماوَرديّ و رواية ابن كعب القُرَظيّ كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

ولعلّ مراد الماوَرْديّ بهذا نفي الحصر الحقيقيّ و توجيه الحصر الإضافيّ على نحو ما

بيَّنّا، مستدلّين بحديث أنس نفسه كما رأيت، وبالرّوايات الأُخرى الّتي حكى بعضهم فيها التّواتُر، وهي تصرّح بأسماء أُخرى غير أسماء هؤلاء الأربعة المذكورين في رواية أنس هذه. من تلك الرّوايات ما أخرجه النّسائيّ بسند صحيح عن عبد الله بن عمر أنّه قال: «جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُ بِهِ كلّ ليلةٍ، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال له: اقْرَأْهُ في شهر...» إلى آخر الحديث.

وذهب بعضهم إلى أنّ الجمع في حديث أنس المذكور مراد به الكتابة لا الحفظ. وبعضهم ذهب إلى أنّ المراد به الجمع بوجوه القراءات كلّها، أو تلقّيًا ومشافهةً عن الرّسول ﷺ، أو الجمع شيئًا فشيئًا حتّى تكامل نزوله.

وللإمام أبي بكر الباقِلّانيّ أجوبة ثمانية يحاول بها دفع إشكال هذا الحديث، لكن ابن حَجَر ضعّفها، وغيره فنّدها. والخطب سهل على كلّ حال، وفيما ذكرناه كفاية للخروج من هذا الإشكال غير أنّه لا يفوتني أن أقضي لك على هذا الإشكال بكلمة أعجبتني عن المازِريّ إذ يقول ما نصُّه ... **[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر].**

جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد رسول الله ﷺ

قلنا: إنّ همّة الرّسول وأصحابه كانت منصرفةً أوّل الأمر إلى جمع القرآن في القُلوب بحفظه واستظهاره ضرورة أنّه نبيّ أُمّيّ بعثه الله في الأُمّيّين. أضف إلى ذلك أنّ أدوات الكتابة لم تكن ميسورة لديهم في ذلك العهد، ومن هنا كان التّعويل على الحفظ في الصُّدور يفوق التّعويل على الحفظ بين السّطور، على عادة العرب أيّامئذٍ من جعل صفحات صُدورهم وقلوبهم دواوين لأشعارهم وأنسابهم ومفاخرهم وأيّامهم.

ولكنّ القرآن حَظِي بأوفى نصيب من عناية النّبيّ ﷺ وأصحابه، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه؛ ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم.

فها هو ذا رسول الله ﷺ قد اتّخَذ كُتَّابًا للوحي، كلّما نزل شيء من القرآن أمرهم

بكتابته، مبالغةً في تسجيله وتقييده. وزيادة في التّوثّق والضّبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتّى تُظاهر الكتابة الحفظ، ويُعاضِد النّقش اللّفظ.

وكان هؤلاء الكُتّاب من خيرة الصّحابة، فيهم أبو بكر، وعمر، وعُثمان، وعليّ ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قَيْس، وغيرهم. وكان ﷺ يدلّهم على موضع المكتوب من سُورته، فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العُسُب[١] واللِّخاف[٢]، والرِّقاع[٣]، وقطع الأديم[٤] وعظام الأكتاف والأضلاع، ثمّ يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ. وهكذا انقضى العهد النّبويّ السّعيد والقرآن مجموع على هذا النّمط، بيدَ أنّه لم يكتب في صُحُف ولا في مصاحف، بل كتب منثورًا كما سمعت بين الرِّقاع والعِظام ونحوها ممّا ذكرنا.

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض مَنْ يكتب، فقال: ضَعُوا هذه السّورة في الموضع الّذي يُذكر فيه كذا كذا». وعن زيد بن ثابت قال: «كُنّا عندَ رسول الله ﷺ نُؤلِّفُ القُرآنَ مِنَ الرِّقَاعِ».

وكان هذا التّأليف عبارةً عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النّبيّ ﷺ، وكان هذا التّرتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام، فقد ورد أنّ جبريل عليه السلام كان يقول: «ضَعُوا كذا في موضع كذا»، ولا ريب أنّ جبريل كان لا يصدر في ذلك إلّا عن أمر الله عَزَّوجَلَّ.

أمّا الصّحابة (رضوان الله عليهم) فقد كان منهم من يكتبون القرآن، ولكن فيما تيسّر لهم من قِرطاس أو كتفٍ أو عظم أو نحو ذلك، بالمقدار الّذي يبلغ الواحد عن رسول الله ﷺ. ولم يلتزموا توالي السُّوَر وترتيبها، وذلك لأنّ أحدهم كان إذا حفظ سورةً أُنزلت على رسول الله ﷺ أو كتبها، ثمّ خرج في سَرِيّةٍ مثلاً فنزلت في وقت غيابه سورة، فإنّه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته، ثمّ يستدرك ما كان قد فاته في غيابه،

---

١ ـ العُسُب بضمّ العين والسّين ـ جمع عسيب ـ وهو جريد النّخل، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطّرف العريض.

٢ ـ اللِّخاف ـ بكسر اللّام ـ جمع لخفة بفتح اللّام وسكون الخاء وهي الحِجارة الرّقيقة. وقال الخطّابيّ: صفائح الحِجارة.

٣ ـ الرِّقاع: جمع رُقعة، وقد تكون من جلدٍ أو وَرَقٍ أو كاغدٍ.

٤ ـ الأديم: الجِلد.

فيجمعه و يتتبّعه على حسب ما يسهل له، فيقع فيما يكتبه تقديم و تأخير بسبب ذلك. وقد كان من الصَّحابة من يعتمد على حفظه فلا يكتب جريًا على عادة العرب في حفظ أنسابها، و استظهار مفاخرها و أشعارها من غير كتابة.

صفوة المقال

وصفوة المقال أنّ القرآن كان مكتوبًا كلّه على عهد الرّسول ﷺ، وكانت كتابته ملحوظًا فيها أن تشمل الأحرف السّبعة الّتي نزل عليها، غير أنّ بعض الصَّحابة كان قد كتب بعض منسوخ التّلاوة، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد، وربّما كتبه غير مرتّب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعًا في صُحُف ولا مصاحف عامّة.

لماذا لم يجمع القرآن أيّامئذٍ في صُحُفٍ ولا مصاحف؟

وإنّما لم يجمع القرآن في صُحُف ولا مصاحف لاعتبارات كثيرة:

أوّلها ـ أنّه لم يوجد من دواعي كتابته في صُحُف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر حتّى كتبه في صُحُف، ولا مثل ماوجد على عهد عُثمان حتّى نسخه في مصاحف. فالمسلمون و قتئذ بخير، والقُرّاء كثيرون، والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد، والفتنة مأمونة، والتّعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرّسول باستظهار القرآن تفوق الوصف و تُوفي على الغاية، حتّى في طريقة أدائه على حروفه السّبعة الّتي نزل عليها.

ثانيها ـ أنّ النّبيّ ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ماشاءالله من آية أو آيات.

ثالثها ـ أنّ القرآن لم ينزل مرّةً واحدةً، بل نزل منجّمًا في مَدىً عشرين سنة أو أكثر.

رابعها ـ أنّ ترتيب آياته وسُوَره ليس على ترتيب نزوله، فقد علمت أنّ نزوله كان على حسب الأسباب، أمّا ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات.

و أنت خبير بأنّ القرآن لو جمع في صُحُف أو مصاحف ـ والحال على ما شرحنا ـ لكان عرضة لتغيير الصُّحُف أو المصاحف كلّما وقع نسخ، أو حدث سبب. مع أنّ الظّروف

لا تساعد، و أدوات الكتابة ليست ميسورة، والتّعويل كان على الحفظ قبل كلّ شيء. ولكن لمّا استقرّ الأمر بختام التّنزيل ووفاة الرّسول ﷺ، و أمن النّسخ، و تقرّر التّرتيب، و وُجد من الدّواعي ما يقتضي نسخه في صُحُف أو مصاحف، وفّق الله الخلفاء الرّاشدين فقاموا بهذا الواجب حفظًا للقرآن، و حياطة لأصل التّشريع الأوّل، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

جمع القرآن على عهد أبي بكر ﵁

ألقت الخلافة قيادها إلى أبي بكر ﵁ بعد غروب شمس النُّبوّة، و واجهت أبا بكر في خلافته هذه أحداثٌ شِدادٌ و مشاكل صعاب. منها موقعة اليَمامة سنة(١٢) اثنتي عشرة للهجرة. وفيها دارت رحى الحرب بين المسلمين و أهل الرِّدَّة من أتباع مُسَيْلمة الكذّاب، وكانت معركة حامية الوطيس، استُشهد فيها كثيرٌ من قُرّاء الصّحابة و حَفَظَتهم للقرآن، ينتهي عددهم إلى السّبعين، و أنهاه بعضهم إلى خمسمائة، من أجَلّهم سالم مولى أبي حُذَيفة. ولقد هال ذلك المسلمين، وعزَّ الأمر على عمر، فدخل على أبي بكر و أخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن، خشية الضّياع بموت الحُفَّاظ و قتل القُرّاء. فتردّد أبو بكر أوّل الأمر، لأنّه كان وقّافًا عند حدود ما كان عليه الرَّسول ﷺ، يخاف أن يجرَّه التّجديد إلى التّبديل، أو يسوقه الإنشاء والاختراع إلى الوقوع في مهاوي الخروج والابتداع... **[ثمّ ذكر قول المحاسبيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، فذكر بعده اهتمام أبي بكر واقتراحه إلى زيد بجمع القرآن، و أيضًا رواية البخاريّ في قضيّة حرب اليَمامة كما تقدّم عنه، الرّقم ٤ فقال:]**

فهذا الحديث ـ كما ترى ـ يدلّ على مبلغ اهتمام كبار الصّحابة بالمحافظة على القرآن وعلى مبلغ ثقة أبي بكر و عمر بزيد بن ثابت، و على جَدارة زيد بهذه الثّقة، لتوافُر تلك المناقب الّتي ذكرها فيه أبو بكر. ويؤيّد و رعه ودينه وأمانته قوله: «**فوَ اللهِ لَوْ كَلَّفُوني نَقْلَ جَبَلٍ مِن الجِبَالِ، ما كان أثقلَ عَلَيَّ مِمّا أمَرني بِه مِنْ جَمْعِ القُرْآن**». و يشهد بوقرة عقله

تردّده و توقّفه أوّل الأمر و مناقشته لأبي بكر، حتّى راجعه أبو بكر و أقنعه بوجه الصّواب. وينطق بدقّة تحرّيه قوله: «فتتبّعْتُ القُرآن أجمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخافِ وَصُدُورِ الرِّجال».

دُستور أبي بكر في كتابة الصُّحُف

وانتهج زيد في القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر، فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبّت بالغ و حذر دقيق، و تحرّيات شاملة، فلم يكتف بما حفظ قلبه، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأُذُنه، بل جعل يتتبّع و يستقصي آخذًا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين:

أحدهما ـ ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

والثّاني ـ ما كان محفوظًا في صُدور الرِّجال. وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنّه لم يقبل شيئًا من المكتوب حتّى يشهد شاهدان عَدْلان أنّه كتب بين يدي رسول الله ﷺ... [ثمّ ذكر روايتين عن ابن أبي داود، أحدهما من طريق يحيى بن عبد الرّحمان، وثانيهما من طريق هِشام بن عُرْوَة، كما تقدّم عنه الرّقم ١١ و ٦].

وقال السَّخاويّ في «جمال القُرّاء» ما يفيد أنّ المراد بهما رجلان عدلان، إذ يقول ما نصّه: «المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ».

ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده، ولذلك قال في الحديث الّذي رواه البُخاريّ سابقًا: إنّه لم يجد آخر سورة براءة إلّا مع أبي خُزَيمة، أي لم يجدها مكتوبةً إلّا مع أبي خُزَيْمة الأنصاريّ، مع أنّ زيدًا كان يحفظها، وكان كثيرٌ من الصَّحابة يحفظونها. ولكنّه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادةً في التّوثّق، ومبالغة في الاحتياط.

وعلى هذا الدّستور الرّشيد تمّ جمع القرآن بإشراف أبي بكر و عمر وأكابر الصّحابة وإجماع عليه دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لايزال التّاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التّنفيذ، وللصَّحابة في المعاونة.

قال عليّ (كرّم الله وجهه): «أعظمُ النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل مَن جمعَ كتاب الله» أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن.

وقد قوبلت تلك الصُّحُف الّتي جمعها زيد بما تستحقّ من عناية فـائقة، فـحفظها أبو بكر عنده. ثمّ حفظها عمر بعده، ثمّ حفظتها أُمُّ المؤْمِنين حَفْصَة بنت عمر بعد وفاة عمر، حتّى طلبها منها خليفة المسلمين عُثمان رضي الله عنه، حيث اعتمد عليها في استنساخ مصاحف القرآن، ثمّ ردّها إليها كما يأتيك بيانه إن شاء الله.

مزايا هذه الصُّحُف

وامتازت هذه الصُّحُف:

أوّلاً ـ بأنّها جمعت القرآن على أدّق وجوه البحث والتّحرّي، وأسلم أُصول التّثبُّت العلميّ، كما سبق شرحه لك في الدُّستور السّابق.

ثانيًا ـ أنّه اقتُصِر فيها على ما لم تُنسخ تلاوته.

ثالثًا ـ أنّها ظفرت بإجماع الأُمّة عليها، و تواتُر ما فيها، ولا يطعن في ذلك التّواتُر ما مرّ عليك من أنّ آخر سورة براءة لم يوجد إلّا عند أبي خُزَيْمة. فإنّ المراد أنّه لم يوجد مكتوبًا إلّا عنده، وذلك لايُنافي أنّه وُجد محفوظًا عند كثرة غامرة من الصَّحابة بَلَغت حدّ التّواتُر، وقد قلنا غير مرّة: إنّ المُعوَّل عليه وقتئذ كان هو الحفظ والاستظهار. وإنّما اعتمد على الكتابة كمصدر من المصادر زيادة في الاحتياط، و مبالغةً في الدّقّة والحـذر. ولا يعزُبَنَّ عن بالك أنّ هذا الجمع كان شاملاً للأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن تيسيرًا على الأُمّة الإسلاميّة، كما كانت الأحرف السّبعة في الرّقاع كذلك.

ملاحظة: جمع القرآن في صُحُفٍ أو مُصْحَف على ذلك النّمط الآنف بمزاياه السّابقة الّتي ذكرناها بين يديك، لم يعرف لأحدٍ قبل أبي بكر رضي الله عنه. وذلك لا ينافي أنّ الصّـحابة كانت لهم صُحُفٌ أو مصاحفٌ كتبوا فيها القرآن من قبل، لكنّها لم تظفر بـما ظـفرت بـه الصُّحُف المجموعة على عهد أبي بكر، من دقّة البحث والتّحرّي، و من الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، و من بلوغها حدّ التّواتُر، و من إجماع الأُمّة عليها، و من شمولها للأحرف السّبْعة كما تقدّم. وإذن لا يضيرنا في هذا البحث أن يقال: إنّ عليًّا عليه السلام أوّل من جمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعكّر صَفْو موضوعنا أن يستدلّوا على ذلك بما نقله السُّيُوطيّ عن ابن

الفرس من حديث...[ثمّ ذكر رواية ابن سيرين و رواية ابن أشتة من وجه آخر عن ابن سيرين كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

نقول: إنّ هذه الرّواية وأشباهها لا تضير بحثنا، ولا تعكّر صَفْو موضوعنا، فقصاراها أنّها تثبت أنّ عليًّا أو بعض الصّحابة كان قد كتب القرآن في مُصْحَف. لكنّها لا تعطي هذاالمُصْحَف تلك الصّفة الإجماعيّة، ولا تخلع عليه تلك المزايا الّتي للصُّحُف أو المُصْحَف المجموع في عهد أبي بكر، بل هي مصاحف فرديّة، ليست لها تلك الثّقة ولا هذه المزايا. و إذا كانت قد سبقت في الوجود و تقدّم بها الزّمان فإنّ جمع أبي بكر هو الأوّل من نوعه على كلّ حال. وقد اعترف عليّ بن أبي طالب نفسه بهذه الحقيقة في الحديث الّذي أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن آنفًا إذ قال: «أعظم النّاسِ أجرًا في المصاحف أبو بكر، رحمةُ الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله». فهذا اعترافٌ صريحٌ من أبي الحسن بالأوّليّة لجمع أبي بكر على النّحو الآنف.

جمع القرآن على عهد عُثمان ﷺ

اتّسعت الفتوحات في زمن عُثمان، واستبحر العمران، و تفرّق المسلمون في الأمصار والأقطار، و نبتت ناشئةٌ جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن. وطال عهد النّاس بالرّسول والوحي والتّنزيل، وكان أهل كلّ إقليم من أقاليم الإسلام، يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصّحابة، فأهل الشّام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، و أهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، و غيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعريّ. فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء و وجه القراءة، بطريقة فتحت باب الشّقاق والنّزاع في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصّحابة قبل أن يعلموا أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان هذا الشّقاق أشدّ، لبعد عهد هؤلاء بالنّبوّة، وعدم وجود الرّسول بينهم، يطمئنّون إلى حكمه، ويصدرون جميعًا عن رأيه. واستفحل الدّاء حتّى كفّر بعضهم بعضًا، وكادت تكون فتنة في الأرض و فساد كبير. ولم يقف هذا الطّغيان عند حدٍّ، بل كاد يلفح بناره جميع البلاد الإسلاميّة

حتّى الحجاز والمدينة، و أصاب الصّغار والكبار على سواء... [ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود من طريق أبي قِلابة كما تقدّم عن الطّبريّ، الرّقم ۳].

وصدق عُثمان، فقد كانت الأمصار النّائية أشدّ اختلافًا و نزاعًا من المدينة والحجاز، وكان الّذين يسمعون اختلاف القراءات من تلك الأمصار إذا جمعهم المجامع، أوالتقوا على جهاد أعدائهم، يعجبون من ذلك. وكانوا يمعنون في التّعجّب والإنكار كلّما سمعوا زيادةً في اختلاف طرق أداء القرآن. وتأدّى بهم التّعجب إلى الشّكّ والمداجاة، ثمّ إلى التّأثيم والملاحاة وتيقّظت الفتنة الّتي كادت تطيح فيها الرُّؤوس، و تسفك الدّماء، وتقود المسلمين إلى مثل اختلاف اليهود والنّصارى في كتابهم، كما قال حُذَيفة لعُثمان في الحديث الآتي قريبًا.

أضف إلى ذلك أنّ الأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار، ولم يكن من السّهل عليهم أن يعرفوها كلّها، حتّى يتحاكموا إليها فيما يختلفون. إنّما كان كلّ صحابيّ في إقليم يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف الّتي نزل عليها القرآن. ولم يكن بين أيديهم مُصْحَف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف والشّقاق البعيد.

لهذا الأسباب والأحداث رأى عُثمان بثاقب رأيه و صادق نظره أن يتدارك الخرق قبل أن يتّسع على الرّاقع، و أن يستأصل الدّاء قبل أن يعزّ الدّواء، فجمع أعلام الصّحابة و ذوي البصر منهم، و أجال الرّأي بينه و بينهم في علاج هذه الفتنة، و وضع حدٍّ لذلك الاختلاف، و حَسَم مادّة هذا النّزاع. فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار، و أن يؤمرالنّاس بإحراق كلّ ماعداها، وألّا يعتمدوا سواها. وبذلك يرأبُ الصّدع، و يجبر الكسر، وتعتبر تلك المصاحف العُثمانيّة الرّسميّة نورهم الهادي في ظلام هذا الاختلاف، و مصباحهم الكَشّاف في ليل تلك الفتنة، و حكمهم العدل في ذاك النّزاع والمراء، وشفاءهم النّاجع من مُصيبة ذلك الدّاء.

تنفيذ عُثمان لقرار الجمع

وشرع عُثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم حول أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصَّحابة وثقات الحُفّاظ، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُّبَير، وسعيد بن العاص، وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام. وهؤلاء الثّلاثة الأخيرون من قُريش.

وأرسل عُثمان إلى أُمّ المؤمنين حَفْصَة بنت عمر، فبعثت إليه بالصُّحُف الّتي عندها، وهي الصُّحُف الّتي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكرﷺ وأخذت لَجنة الأربعة هؤلاء في نسخها، وجاء في بعض الرّوايات أنّ الّذين نُدِبوا لِنَسْخ المصاحف كانوا اثني عشر رجلاً. وما كانوا يكتبون شيئًا إلّا بعد أن يعرض على الصَّحابة، ويقرّوا أنّ رسول اللهﷺ قرأ على هذا النّحو الّذي نجده الآن في المصاحف. [ثمّ ذكر دُستور عُثمان في كتابة المصاحف، إن شئت فراجع، وذكر عقيبه رواية أنس عن حُذَيفَة كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ٤].

تحريق عُثمان للمصاحف والصُّحُف المخالفة

بعد أن أتمّ عُثمان نسخ المصاحف بالصّورة السّابقة، عمل على إرسالها وإنفاذها إلى الأقطار، وأمر أن يحرق كلّ ماعداها ممّا يخالفها، سواءً أكانت صُحُفًا أم مصاحف، وذلك ليقطع عرق النّزاع من ناحية، وليحمل المسلمين على الجادّة في كتاب الله من ناحية أُخرى، فلا يأخذوا إلّا بتلك المصاحف الّتي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها.

وهذه المزايا هي:

١ ـ الاقتصار على ما ثبت بالتّواتُر، دون ما كانت روايته آحادًا.

٢ ـ وإهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقرّ في العَرْضَة الأخيرة.

٣ ـ وترتيب السُّوَر والآيات على الوجه المعروف الآن، بخلاف صُحُف أبي بكرﷺ، فقد كانت مرتّبة الآيات دون السُّوَر.

٤ ـ وكتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف الّتي نزل عليها

القرآن، على ما مرَّ بك من عدم إعجامها و شَكلها، و من توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرّسم الواحد.

٥ ـ و تجريدهامن كلّ ما ليس قرآنًا كالّذي كان يكتبه بعض الصَّحابة في مصاحفهم الخاصّة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ و منسوخ، أو نحو ذلك.

و قد استجاب الصَّحابة لعُثمان، فحرّقوا مصاحفهم، واجتمعوا جميعًا على المصاحف العُثمانيّة. حتّى عبدالله بن مسعود الّذي نقل عنه أنّه أنكر أوّلاً مصاحف عُثمان، و أنّه أبىٰ أن يحرق مُصْحَفه، رجع و عاد إلى حظيرة الجماعة، حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العُثمانيّة و اجتماع الأُمّة عليها، و توحيدالكلمة بها.

و بعدئذٍ طهر الجوّ الإسلاميّ من أوبئة الشّقاق والنّزاع، و أصبح مُصْحَف ابن مسعود، و مُصْحَف أُبيّ بن كعب، و مُصْحَف عائشة، و مُصْحَف عليّ، و مُصْحَف سالم مولى أبي حُذَيفة. أصبحَت كلّها و أمثالها في خبر كان مغسولة بالماء أو محروقة بالنّيران، ﴿وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[1].

و رضي الله عن عُثمان، فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربّه، وحافظ على القرآن، و جمع كلمة الأُمّة، و أغلق باب الفتنة، ولا يبرح المسلمون يقطفون من ثمار صنيعه هذا إلى اليوم و ما بعد اليوم.

ولن يقدح في عمله هذا أنّه أحرق المصاحف والصُّحُف المخالفة للمصاحف العُثمانيّة، فقد علمت وجهة نظره في ذلك. على أنّه لم يفعل ما فعل من هذا الأمر الجَلَل إلّا بعد أن استشار الصَّحابة، واكتسب موافقتهم، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم و شكرهم.

روى أبو بكر الأنباريّ عن سُوَيد بن غَفَلة قال: «سمعت عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) يقول... [و ذكر كما تقدّم عن القُرطُبيّ].

١ ـ الأحزاب /٢٥.

فَذْلَكَة

تستطيع ممّا سبق أن تفرق بين مرّات جمع القرآن في عهوده الثّلاثة: عهد النّبيّ ﷺ و عهد أبي بكر، و عهد عُثمان.

فالجمع في عهد النّبيّ ﷺ كان عبارة عن كتابة الآيات و ترتيبها و وضعها في مكانها الخاصّ من سُوَرها، ولكن مع بَعْثَرة الكتابة و تفرّقها بين عُسُب و عِظام، و حِجارة ورِقاع، و نحو ذلك حسبما تتيسّر أدوات الكتابة، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التّوثّق للقرآن، و إن كان التّعويل أيّامئذٍ كان على الحفظ والاستظهار.

أمّا الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فقد كان عبارةً عن نقل القرآن وكتابته في صُحُف مرتّب الآيات أيضًا، مقتصرًا فيه على ما لم تُنسخ تلاوته مستوثقًا له بالتّواتُر والإجماع. وكان الغرض منه تسجيل القرآن و تقييده بالكتابة مجموعًا مرتّبًا، خشية ذهاب شيء منه بموت حملته و حُفّاظه.

وأمّا الجمع في عهد عُثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما في تلك الصُّحُف في مُصْحَف واحد إمام، و استنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلاميّة ملاحظًا فيها تلك المزايا السّالف ذكرها مع ترتيب سُوَره و آياته جميعًا. وكان الغرض منه إطفاء الفتنة الّتي اشتملت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن، و جمع شملهم و توحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله من التّغيير والتّبديل. ﴿لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]. (١:٢٣٣ـ٢٥٦)

[ثمّ ذكر شبهات حول جمع القرآن الّتي لاحاجة إلى ذكرها هنا وإن شئت فراجع]

ترتيب آيات القرآن

انعقد إجماع الأُمّة على أنّ ترتيب آيات القرآن الكريم على هذاالنّمط الّذي نراه

---

١ ـ يونس /٦٤.

اليوم بالمصاحف، كان بتوقيف من النّبيّ ﷺ و أنّه لا مجال للرّأي و الاجتهاد فيه. بل كان جبريل ينزّل بالآيات على الرّسول ﷺ و يرشده إلى موضع كلّ آية من سُورتها. ثمّ يقرؤها النّبيّ ﷺ على أصحابه، و يأمر كُتّاب الوحي بكتابتها، معيّنًا لهم السُّورة الّتي تكون فيها الآية، و موضع الآية من هذه السُّورة. وكان يتلوه عليهم مرارًا و تكرارًا في صلاته وعظاته وفي حكمه وأحكامه. وكان يعارض به جبريل كلّ عام مرّة، و عارضه به في العام الأخير مرّتين. كلّ ذلك كان على التّرتيب المعروف لنا في المصاحف. وكذلك كان كلّ من حفظ القرآن أو شيئًا منه من الصَّحابة، حفظه مرتّب الآيات على هذا النّمط. وشاع ذلك و ذاع، و ملأ البقاع والأسماع، يتدارسونه فيما بينهم، ويقرأونه في صلاتهم، ويأخذه بعضهم عن بعض، ويسمعه بعضهم من بعض بالتّرتيب القائم الآن، فليس لواحد من الصَّحابة والخلفاء الرّاشدين يدٌ ولا تصرّفٌ في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم. بل الجمع الّذي كان على عهد أبي بكر لم يتجاوز نقل القرآن من العُسُب واللِّخاف وغيرها في صُحُف، والجمع الّذي كان على عهد عُثمان لم يتجاوز نقله من الصُّحُف في مصاحف. وكلا هذين كان وفق التّرتيب المحفوظ المستفيض عن النّبيّ ﷺ عن الله تعالى. أجل، انعقد الإجماع على ذلك تامًّا لا ريب فيه. و ممّن حكى هذا الإجماع جماعةٌ، منهم الزّركشيّ في «البُرهان»، و أبو جعفر في «المناسبات»، إذ يقول ما نصّه: «ترتيب الآيات في سُوَرها واقعٌ بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين».

و استند هذا الإجماع إلى نُصوص كثيرة، منها ما سبق لك قريبًا، و منها مارواه الإمام أحمد عن عُثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ إذ شخَصَ ببصره ثمّ صوَّبه، ثمّ قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السّورة ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِى الْقُرْبىٰ﴾[1] إلى آخرها.

ومنها ما ثبت في السّنن الصّحيحة من قراءة النّبيّ ﷺ بسُوَر عديدة كسورة البقرة و آل عمران والنّساء، و من قراءته لسورة الأعراف في صلاة المغرب، و سورة قَدْ أَفْلَحَ

---

١ ـ النّحل/ ٩٠.

الْمُؤْمِنُونَ و سُورة الرّوم في صلاة الصّبح، و قراءة سورة السّجدة و سُورة هَلْ أَتىٰ عَـلَى الإنْسَانِ في صبح يوم الجمعة، و قراءته سورة الجمعة والمـنافقين فـي صـلاة الجُـمعة، وقراءته سُورة قٓ في الخطبة، و سورة اقتربت و قٓ في صلاة العيد، كان يقرأ ذلك كلّه مرتّب الآيات على النّحو الّذي في المُصْحَف على مرأى و مسمع من الصَّحابة.

و منها ما أخرجه البُخاريّ عن ابن الزُّبَير، قال: قلت لعُثمان ... [وذكر كما سيجيء عن النّهاونديّ ثمّ قال:]

فهذا حديث أبلج من الصّبح في أنّ إثبات هذه الآية في مكانها مع نسخها توقيفيّ، لا يستطيع عُثمان باعترافه أن يتصرّف فيه، لأنّه لا مجال للرّأي في مثله.

و منها: ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النّبيّﷺ عن شيء أكثر ممّا سألته عن الكلالة حتّى طَعَن بأصبعه في صَدري، و قال: «تكفيكَ آية الصَّيفِ الّتي في آخر سورة النّساء».

فأنت ترى أنّهﷺ دلّه على موضع تلك الآية، و هي قوله سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلاَلَةِ﴾[1] إلخ. [إلى أن قال:]

شبهة و تفنيدها

يقولون: إنّ ابن أبي داود أخرج بسنده عن عبد الله بن الزُّبَيْر عن أبيه، قال: [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٥٠، ثمّ قال:]

يقولون هذا الحديث يدلّ على أنّ ترتيب الآيات لم يكن في القرآن كلّه بتوقيف، إنّما كان عن هَوىً من الصَّحابة و عن تصرّف منهم ولو في البعض.

و نجيب

أوّلاً ـ بأنّ هذا الخبر معارِض للقاطع، وهو ما أجمعت عليه الأُمّة، و معارض القاطع ساقطٌ عن درجة الاعتبار، فهذا خبر ساقط مردود على قائله.

١ ـ النّساء /١٧٦.

ثانيًا ـ أنّه معارض لما لا يُحصى من الأخبار الدّالّة على خلافه، و قد تقدّم كثير منها. بل لابن أبي داود مخرجه خبر يعارضه، ذلك أنّه أخرج أيضًا عن أبي العالية أنّهم جمعوا القرآن... **[و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٧]**.

المذاهب في ترتيب السُّوَر

اختلف في ترتيب السُّوَر على ثلاثة أقوال؛

القول الأوّل: أنّ ترتيب السُّوَر على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النّبيّ ﷺ إنّما كان باجتهاد من الصَّحابة. وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء، منهم: مالك والقاضي أبو بكر فيما اعتمده من قوليه... و إلى هذا المذهب يشير ابن فارِس في كتاب المسائل الخمس... **[و ذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]**

وقد استدلّوا على رأيهما هذا بأمرين:

الدّليل الأوّل ـ أنّ مصاحف الصَّحابة كانت مختلفة في ترتيب السُّوَر قبل أن يجمع القرآن في عهد عُثمان، فلو كان هذا التّرتيب توقيفيًّا منقولاً عن النّبيّ ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه و يتجاوزوه، و يختلفوا فيه ذلك الاختلاف الّذي تصوّره لنا الرّوايات. فهذا مُصْحَف أُبيّ بن كعب، روي أنّه كان مبدوءًا بالفاتحة، ثمّ البقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران، ثمّ الأنعام. وهذا مُصْحَف ابن مسعود كان مبدوءًا بالبقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران إلخ على اختلاف شديد. وهذا مُصْحَف عليّ كان مرتّبًا على النّزول، فأوّله اقرأ، ثمّ المدّثّر، ثمّ قٓ، ثمّ المزّمّل، ثمّ تبّت، ثمّ التّكوير، وهكذا إلى آخر المكّيّ والمدنيّ.

الدّليل الثّاني ـ ما أخرجه ابن أشتة في المصاحف من طريق إسماعيل بن عبّاس عن حَبَّان بن يحيى عن أبي محمّد القُرشيّ، قال: «أمرهم عُثمان أن يتابعوا الطُّوال، فجعل سُورة الأنفال و سُورة التّوبة في السّبع، ولم يفصل بينهما بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ولعلّه يشير بهذا إلى ما رواه أحمد والتِّرمذيّ والنّسائيّ و ابن حَبَّان والحاكم عن ابن عبّاس، قال: «قلت لعُثمان: ما حملكم على... **[و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ**

قال:]

و يمكن أن يناقِش هذا المذهب بالأحاديث الدّالة على التّوقيف، و ستأتيك في الاحتجاج للقول الثّاني. ويمكن أيضًا مناقشة دليلهم الأوّل باحتمال أنّ اختلاف من خالف من الصَّحابة في التّرتيب، إنّما كان قبل علمهم بالتّوقيف، أو كان في خصوص ما لم يرد فيه توقيف دون ما ورد فيه. و يمكن مناقشة دليلهم الثّاني بأنّه خاصٌّ بمحلّ وروده، وهو سورة الأنفال والتّوبة ويونس، فلا يصحّ أن يصاغ منه حكم عامّ على القرآن كلّه.

القول الثّاني: أنّ ترتيب السُّوَر كلّها توقيفيّ بتعليم الرّسولﷺكترتيب الآيات، و أنّه لم توضع سورة في مكانها إلّا بأمر منهﷺ. و استدلّ أصحاب هـذا الرّأي بأنّ الصّـحابة أجمعوا على المُصْحَف الّذي كتب في عهد عُثمان ولم يخالف منهم أحد. وإجماعهم لا يتمّ إلّا إذا كان التّرتيب الّذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنّه لو كـان عـن اجـتهاد لتـمسّك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم. لكنّهم لم يتمسّكوا بها بل عـدلوا عـنها و عـن ترتيبهم، و عدلوا عن مصاحفهم و أحرقوها، ورجعوا إلى مُصْحَف عُثمان و ترتيبه جميعًا، ثمّ ساقوا روايات لمذهبهم كأدلّة يستند إليها الإجماع.

منها ما رواه الإمام أحمد و أبو داود عن حُذَيْفة الثَّقفيّ قال: «كنت في الوفد الّذين أسلموا من ثقيف... [و ذكر كما تقدّم عن ابن كثير، ثمّ قال:]

لكن هذه الدّلالة غير ظاهرة فيما نفهم، اللّهم إلّا في ترتيب حزب المفصّل خاصّة بخلاف ما سواه.

واحتجُّوا لمذهبهم أيضًا بأنّ السُّوَر المتجانسة في القرآن لم يـلتزم فـيها التّـرتيب والولاء، ولو كان الأمر بالاجتهاد للوحظ مكان هذا التّجانس و التّماثل دائمًا، لكن ذلك لم يكن بدليل أنّ سُوَر المسبّحات لم ترتّب على التّوالي، بينما هي متماثلة في افتتاح كلّ منها بتسبيح الله، بل فصل بين سُوَرها بسورة «قد سمع» والممتحنة والمنافقين، وبدليل أنّ (طسٓمٓ) الشّعراء و (طسٓمٓ) القصص لم يتعاقبا مع تماثلهما، بل فصل بينهما بسورة أقـصر منهما، و هي طسٓ... [ثمّ ذكر قول أبي جعفر النَّحّاس و أبي بكر الأنباريّ على تأيـيد هـذا

المذهب، و رواية ابن أشتة من طريق ابن وَهْب عن سُلَيْمان، بحسب ما تقدّم عن الزّركشيّ و السُّيوطيّ فقال:]

و يمكن مناقشة هذا المذهب:

أوّلًا ـ بأنّ الرّواية الّتي ساقوها و أمثالها خاصّة بمحالّها، فلا ينسحب حكم التّوقيف على الكلّ، ثمّ هي ظنّيّة في إفادة كون التّرتيب عن توقيفٍ.

ثانيًا ـ أنّ حديث ابن عبّاس السّابق في القول الأوّل صريح في أنّ عُثمان كان قد اجتهد في ترتيب الأنفال والتّوبة و يونس.

ثالثًا ـ أنّ الإجماع الّذي استندوا إليه لايدلّ على توقيف في ترتيب جميع السُّوَر، لأنّه لايشترط أن يستند الإجماع إلى نصّ في ترتيب جميع السُّوَر، فحسب الصَّحابة أن يحملهم الاجتهاد الموفَّق على أن يُجمعوا على ترتيب عُثمان للسُّوَر و يتركوا ترتيب مصاحفهم، توحيدًا لكلمة الأُمّة، وقطعًا لعرق النّزاع والفتنة، إذا تُرك كلٌّ و رأيه في هذا التّرتيب.

القول الثّالث: إنّ ترتيب بعض السُّوَر كان بتوقيف من النّبيّ ﷺ، و ترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصَّحابة، و قد ذهب إلى هذا الرّأي فطاحل من العلماء. ولعلّه أمثل الآراء، لأنّه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض كما مرّ بك من الرّأي الثّاني القائل بالتّوقيف، و خلا البعض الآخر ممّا يفيد التّوقيف، بل وردت آثار تصرّح بأنّ التّرتيب في البعض كان عن اجتهاد. كالحديث الآنف في القول الأوّل المرويّ عن ابن عبّاس.

بَيْدَ أنّ المؤيّدين لهذا المذهب اختلفوا في السُّوَر الّتي جاء ترتيبها عن توقيف، والسُّوَر الّتي جاء ترتيبها عن اجتهادٍ... [ثمّ ذكر قول ابن عطيّة و رواية سعيد بن خالد والبُخاريّ عن ابن مسعود الرّقم ١٥، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

والأمر على كلّ حال سهل، حتّى لقد حاول الزّركشيّ في البُرهان أن يجعل الخلاف من أساسه لفظيًّا، فقال: والخلاف بين الفريقين... [وذكر كما تقدّم عنه ثمّ ذكر «احترام هذا التّرتيب» و عقّب بذكر «شبهتان خفيفتان و جوابهما»، و إن شئت فراجع]. (١: ٢٣٢ ـ ٣٥٤)

الفصل الأربعون

نصّ النّهاونديّ(م: ١٣٧١) في تفسيره «نَفَحات الرَّحمان...»

الطّرفة الخامسة

(في أنّ جمع القُرآن كان في عصرالنّبيّ ﷺ و بأمره)

الحقّ الّذي لاينبغي أن يعرض عنه، هو أنّ جمع القرآن كان في عصرالنّبيّ ﷺ و بأمره، لشهادة الآثار و حكم العقل و مساعدة الاعتبار.

أمّا الآثار: فقد روي عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم... **[و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم ٥١ ثمّ قال:]**

فدلّت هذه الرّواية على أنّ كُتّاب الوحي كانوا يكتبون السُّوَر والآيات في عصرالنّبيّ ﷺ مجموعةً و مرتّبةً بأمره.

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ!... **[و ذكر كما تقدّم عن الطُّرَيحيّ، ثمّ قال:]**

قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: لو أنّ النّاس قرأوا القرآن كما أُنزل ما اختلف اثنان.

فإنّ الظّاهر منه عدم تأخير أمير المؤمنين عليه السلام في امتثال أمرالنّبيّ ﷺ و أنّه جمعه في حياته... **[ثمّ ذكر رواية عُبَيْد الله بن عمرو و رواية أنس كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٧، ١٢ و ذكر أيضًا قول ابن أبي داود و روايته عن أنس و قول المازِنيّ و القُرطُبيّ و محمّد بن كَعْب القُرَظيّ، بحسب ما تقدّم عن ابن حَجَر].**

قال أبو أحمد العَسْكَريّ: «لم يجمع القرآن من الأوس غير سعيد بن عُبَيْد».

قال مُحمّد بن حَبيب: «سعيد بن عُبَيْد أحد من جمع القرآن على عهدالنّبيّ ﷺ.
قال بعض الفُحُول: «قد استنكر جماعةٌ، الحصر في الأربعة».
أقول: الظّاهر أنّ القُرّاء مع حفظهم لجميع القرآن كان عندهم مَكْتُوبٌ جميعه، فإذا طعنت الملاحدة على القرآن، وأنكروا تواتره تمسُّكًا برواية أنس، فكيف لم يطعنُوا ولا يطعنون على من اعتقد أنّ القرآن لم يكن مجموعًا في زمان النّبيّ ﷺ بل كانت آياته وسُوَره متفرّقة عند النّاس، ثمّ تصدّى لجمعه بعد وفاة النّبيّ ﷺ أبو بكر وعمر مع عدم علمهما بجميع القرآن، حتّى جَمعوه على ما قيل بشهادة شاهدين. وعن النَّسائيّ عن عبد الله بن عمر، قال: جمعت القرآن، فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: أقرأه في شهر.

وعن ابن سيرين قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، لا يختلف فيهم: مُعاذ بن جَبَل، وأُبيّ بن كعب، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدَّرداء، وعُثمان، وقيل: عُثمان وتميم الدّاري»... [ثمّ ذكر رواية الشّعبيّ كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ ذكر أيضًا كلام أبي عُبَيْدة في كتاب القراءات، كما تقدّم عن ابن حَجَر].
ورُوي في الطَّبقات: أنّ امرأة من الصَّحابيّات جمعت القرآن. وروي عن أُمّ ورقة بنت عبد الله بن حارث أنّ رسول الله ﷺ كان يزورها ويسمّيها الشّهيدة، وكانت قد جمعت القرآن.
أقول: العَجَب كلّ العَجَب! إنّ أحدًا من هؤلاء لم يعدّوا في من جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ أميرالمؤمنين عليه السلام، بل روى ابن حَجَر وغيره من عُلماء الجمهور «أنّ عليًّا جمع القرآن على ترتيب النّزول بعد وفاة النّبيّ ﷺ».
إن قيل: إنّ المراد من جمع القرآن في الرّوايات السّابقة هو حفظ جميعه لاتدوينه في القراطيس؟
قُلنا: هذاالاحتمال في غاية البُعد، إذ لا يمكن عادة أن ينحصر في زمان النّبيّ ﷺ حُفّاظ جميع القرآن في أربعة أو خمسة من الصّحابة، مع وضوح اشتياقهم إلى تلاوة

القرآن وكمال قوّة حفظهم، وكون تلاوة القرآن و تعلّمه من أهمّ مشاغلهم وأفضل عباداتهم، بل الظّاهر أنّ المراد من جمع القرآن هو تدوينه، مع ما أفاده النّبيّ صلّی الله علیه وآله من تفسير آياته، و بيان معضلاته، وكيفيّة قراءته وسائر العلوم الرّاجعة إليه... [ثمّ ذكر رواية أبي ذرّ كما تقدّم عن العلّامة المَجلِسيّ، إلى أن قال:]

والحاصل: أنّ الكتاب الّذي جمعه أميرالمؤمنين علیه السلام كان فيه بيان شأن نزول الآيات، وأسماء الّذين نزلت فيهم، وأوقات نزولها، و تأويل متشابهاتها، و تعيين ناسخها و منسوخها، و ذكر عامّها وخاصّها، وبيان العلوم المرتبطة بها، وكيفيّة قراءتها. و يؤيّد ذلك أنّه نقل عَن ابن سيرين أنّه قال: بلغني أنّه كتبه على تنزيله، و لو أُجيب إلى ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير. و نقل عنه أيضًا أنّه قال: كتب عليّ علیه السلام في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ، بل يشهد لذلك ما رواه الطَّبرِسيّ في «الاحتجاج» في جملة احتجاج أميرالمؤمنين علیه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار: أنّ طلحة قال له... [و ذكر كما تقدّم عن العلّامة المَجْلِسيّ، ثمّ قال:] و ممّا يؤيّد ما ذكرنا من كون القرآن مجموعًا على عهد النّبيّ صلّی الله علیه وآله، بل يدلّ عليه، أنّ اسم الكتاب لا يصحّ إطلاقه عرفًا إلّا على المطالب المجتمعة المرتّبة المدوّنة في أوراق منضودة لغرض واحِد، فإذا كانت مطالب متفرّقة غير مدوّنة، أو مدوّنة في أوراق متشتّتة لا يسمّى كتابًا. ولا شبهة أنّ الله تعالى بعد هجرة النّبيّ صلّی الله علیه وآله سمّى جميع ما أنزله على النّبيّ صلّی الله علیه وآله كتابًا بقوله في سورة البقرة الّتي هي أوّل ما نزلت في المدينه: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وكذا النّبيّ صلّی الله علیه وآله أطلق على ما أنزل عليه لفظ الكتاب على ما في كثير من الرّوايات المعتبرة بل المتواترة.

منها: الرّواية المتّفق عليها بين الخاصّة والعامّة من قوله صلّی الله علیه وآله: «إنّي مُخَلِّفٌ فيكم الثَّقَلَيْن، ما إن تمسَّكْتُم بهما لَنْ تضِلُّوا؛ كِتابَ الله و عترتي أهل بيتي» الخبر.

فإنّه نصّ في أنّه كان في ذلك الوقت آيات و سُوَر مدوّنة مستحقّة لإطلاق اسم الكتاب عليها، ولا يمكن القول بأنّ هذا الإطلاق كان من باب المُشارفة، حيث إنّه كان يعلم أنّ بعد وفاته صلّی الله علیه وآله يجمع ما أُنزل عليه و يكون كتابًا، و لذا نعلم أنّ التّسمية كانت بعد

تدوين مقدار من السُّوَر والآيات المنزلة و تحقّق مصداق الكتاب، و لذا لم يذكر في السُّوَرالقصار المكّيّة الّتي كانت من أوائل ما نزل لفظ الكتاب.

والحاصل: أنّ لفظ الكتاب بعد ثبوت كونه حقيقة عرفيّة في مطالب مرتّبة مجموعة مدوّنة ظاهر في أنّ كلّ آية تضمّنته، كقوله: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ و ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ و ﴿إِنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ و ﴿تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ﴾، نزلت بعد تحقّق مصداقه و تدوين سُوَر و آيات مرتّبة مجموعة في أوراق و صفحات أو أكتاف أو عُسُب مجتمعة، ولا يلزم الالتزام بنزول جميع الآيات والسُّوَر قبل هذا الإطلاق، حتّى يعترض عليه بأنّه خلاف الإجماع والمتواتر من الأخبار من أنّ القرآن نزل مُتدرّجًا إلى قُبَيْل وفاته بأيّام أو ساعات.

نعم يلزم القول بتغيير مصداق الكتاب صغرًا و كبرًا بسبب انضمام ما ينزل فيما بعد التّدوين إليه تدريجًا، فيرجع الكلام إلى أنّ جميع القرآن في كلّ زمان و كتاب الله في كلّ وقت كان مقدارًا من هذا المجموع الّذي بأيدينا، و بضمّ الآيات شيئًا فشيئًا بلغ ما بلغ. فما ذكره المرتضى (رضوان الله عليه) من أنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلّفًا على ما هو عليه الآن، و أنّ جماعة من الصَّحابة مثل عبد الله بن مسعود و أُبيّ بن كَعْب و غيرهما ختموا القرآن على النّبيّ ﷺ عدّة ختمات، حقّ غير مخدوش. فإنّ المراد جمعه وختمه بمقدار المنزل في وقت الختم والجمع، فإنّ تمام القرآن كان في وقت الختم ذلك المقدار الّذي ختموه، و ليس مراده ختم جميع ما أُنزل إليه إلى حين وفاته.

و ليت شعري كيف قال عمر في مرض النّبيّ ﷺ بعد أمره بإحضار الدّواة والكتف «إنّ الرّجل ليهجر، حسبنا كتاب الله» مع كون آيات الكتاب متفرّقة بين الأصحاب و عدم علم أحد غير أميرالمؤمنين بجميعها، و عدم معرفة مثل زيد بن ثابت بها، حتّى نقل عنه أنّه جمعها بشهادة الشّهود إلّا آية من سُورة الأحزاب، فإنّه لم يَجدها إلّا عند خُزَيمة بن ثابت، فأدخلها في القرآن بشهادته وحده، ولم يكن غيره مطّلعًا عليها، وكيف لم يعترض أحد على عُمر بأنّك لا تدري أين آيات الكتاب وعند من تكون؟ فعلم أنّ الكتاب كان جميعه معيّنًا معلومًا مشهورًا بين الأصحاب.

و **أمّا حكم العقل:** فبيانه أنّه لاشُبهة أنّ جمع الآيات كان من أهمّ الواجبات، لأنّ فيه حفظ أصلها من الضّياع و حفظ ترتيبها و نظمها من الاختلال، مع أنّ عليها مدار شرع الإسلام و أساس الدّين والأحكام، ولم يكن للنّبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين شغل واجب أهمّ منه إلّا الجهاد، ولم يكن مزاحمًا به في أغلب الأوقات، مع كون أمير المؤمنين عليه السلام وكثير من الصّحابة الخُلّص غالب الحضور عنده صلى الله عليه وآله، وكان جمع القرآن و ترتيبه في غاية السُّهولة عليهم، فكيف يمكن القول بالتّسامُح والتّساهُل والتّسويف من النّبيّ صلى الله عليه وآله و أميرالمؤمنين عليه السلام والخُلّص من الصّحابة في مدّة عشرين سنة، و تأخير أميرالمؤمنين عليه السلام هذا لواجب إلى بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يقع كثير من الآيات معرضًا للتّغيير والضّياع؟!

والحاصل: أنّ جَمع الكتاب وترتيب كلّ ما نزل منه في كلّ وقت و تدوينه ونشره كان من أوجب الواجبات و أهمّ الأُمور؛ لوضوح أنّه كان من أعظم معجزات النّبيّ صلى الله عليه وآله وأتمّ الدّلائل على صدق النّبوّة وأساس الشّريعة و مأخذالأحكام الإلٰهيّة، ولم يكن مزاحمًا بأهمّ منه في أغلب الأوقات، مع أنّا نعلم أنّه كان أغلب أوقات النّبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين الصّادقين مصروفًا في العبادات، وأيّ عِبادة كان أهمّ من جمع القُرآن الّذي كان بجمعه و حفظه، حفظ الإسلام؟ مع عِلمهم بكثرة المنافقين والمعاندين للدّين مع إقدامهم في مشاقّ الأُمور لحفظ الإسلام. وكان جمع القرآن عليهم في غاية السُّهولة خصوصًا على النّبيّ صلى الله عليه وآله، مَعَ ملازمة أمير المؤمنين عليه السلام لخدمته في اللّيل والنّهار. فالمتأمّل المنصف يقطع بوقوع الجمع متدرّجًا بتدرُّج النّزُّول بأمرالنّبيّ صلى الله عليه وآله وخطّ أميرالمؤمنين(صلوات الله عليه)، بل يقطع بجمع كثير من المؤمنين له و تأليف نُسَخ كثيرة منه وعرضها على النّبيّ صلى الله عليه وآله وعدم تساهل كثير منهم فيه، حيث لم يكن في زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله علم غير علم القرآن، ولم يكن للصّحابة حظّ و عبادة أكثر من تلاوة القرآن.

وأمّا العادة والاعتبار: فبيانه أنّه كان لعدّة من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله منصب كتابة الوحي، فلا بدّ لهم بحسب العادة تهيئة لوازم الكتابة من القلم والمداد و الأوراق أو غير ذلك من الأشياء القابلة للكتابة، حتّى لايكون لهم تعطيل في موقع الحاجة والقيام

بالوظيفة و حفظ التّرتيب وإيراد كلّ سورة أو آية في محلّها و موردها، حتّى لا يحصل لهم تحيّر و كُلفة في الكتابة. وبعيد غايته أنّهم كانوا يكتبون الآيات في أوراق متفرّقة غير منتظمة، بحيث إذا أمرهم النّبيّ صلى الله عليه و آله أن يضعوا آية كذا في موضع كذا، كانوا يدوّرون تلك الأوراق، و يفتّشون الصّحائف المتشتّتة حتّى يجدوا موقعها.

والحاصل: أنّ المتأمّل الصّادق قاضٍ بأنّ الكُتّاب الّذين كان منهم أميرالمؤمنين عليه السلام كانوا قد جمعوا جميع الآيات المنزلة على التّرتيب الّذي كان يأمرهم به النّبيّ صلى الله عليه و آله، ولم يكونوا غير مُعتَنين بجمعه و ترتيبه. ولا يمكن القول بأنّهم كتبوا الآيات في أشياء متفرّقة من غير ترتيب ونظم إلى أن دعا الله نبيّه إلى جواره. و تقمّص أبو بكر خلافته، واتّفق قتل كثيرمن القُرّاء باليَمامة، ولم يكن في جميع المدّة نسخة مجموعة من الكتاب العزيز بين المسلمين، وكان أربعة أو خمسة من الصَّحابة حافظين لجميع القرآن و تالين له عن ظهر القلب، و غيرهم لم يكونوا مطّلعين إلّا بقليل من آياته، وكان عند كلّ منهم جزءًا قليلًا منه، حتّى صمّم أبو بكر وعمر لخوف ذهاب القرآن على جمعه و ترتيبه و كتابة نسخة منه كما رواه بعض العامّة.

روى البُخاريّ عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليَمامة...

[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ نقل روايتين عن ابن أبي داود بحسب ما تقدّم عنه، الرّقم ١ و ٢ تحت عنوان «جمع عمربن الخطّاب» فقال:]

أقول: لعمري إنّ في هذه الأخبار تضعيف الثّقل الأكبر، وتوهين نبوّة خاتم النّبيّين صلى الله عليه و آله، تخريب أساس الدّين، وتلقين الملحدين الحجّة في إنكار تواتر الكتاب المُبين، وليس ببعيد من المستضعفين للثّقل الأصغر والمنكرين لإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والمعرضين عن أهل الذّكر والحُجَج المعصومين. وليت شعري ما ألجأ عمر و أبابكر إلى التّوسّل بزيد بن ثابت الشّابّ الحدث في جمع الكتاب الكريم، مع عدم علمه بجميع الآيات و أميرالمؤمنين صلوات الله عليه بين أظهرهم، و هو باتّفاق الأُمّة أعلم النّاس بكتاب الله بعد رسول الله صلى الله عليه و آله؟ وما السّبب في اعتمادهم بشهادة شاهدين في كون شيء

من كتاب الله، إلّا في آيتين من آخر براءة فاكتفوا فيه بشهادة خُزَيمة ولم يرجعوا إلى عليّ ابن أبي طالب (صلوات الله عليه) في شيء، مع أنّه كان عنده جميع القرآن وكان أصدق وأوثق من خُزَيمة وسائر الأُمّة؟ وكيف قال عُمر بعد سؤاله عن آية من الكتاب واطّلاعه على كونها عند قتيل اليَمامة إنّا لله، مع علمه بأنّه لَم يفت عن أميرالمؤمنين(صلوات الله عليه) شيء من الآيات، وأنّه لم يكن يكتم آيات الكتاب من البرّ والفاجر؟!

الطّرفة السّادسة

(في أنّ القرآن العظيم جمع ثلاث مرّات)

قال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرّات؛

إحداها ـ بحضرة النّبيّ ﷺ، واستدلّ بحديث زيد بن ثابت، قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع».

الثّانية ـ بحضرة أبي بكر، واستدلّ برواية البُخاريّ عن زيد بن ثابت من بلوغ خبر مقتل أهل اليمامة وقول عمر: إنّ القتل قد استحرّ بقُرّاء القرآن يوم اليَمامة... **[وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ١ و ٢ ثمّ ذكر قول المَحَاسبيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]**

قال[1]: فإن قيل: كيف وقعت الثّقة بأصحاب الرِّقاع وصُدور الرِّجال؟ قيل: لأنّهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف، قد شاهدُوا تلاوته من النّبيّ ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونًا، وإنّما الخوف من ذهاب شيءٍ من صُحُفه، وقد تقدّم في حديث: أنّه جمع القرآن من العُسُب واللِّخاف، وفي رواية: والرِّقاع، وفي أُخرى: من قطع الأديم، وفي أُخرى: والأكتاف، وفي أُخرى: والأضلاع، وفي أُخرى: والأقتاب.

الثّالثة ـ هو ترتيب السُّوَر في زمن عُثمان، روى البُخاريّ عن أنس: أنّ حُذَيفة بن اليَمان قدِم على عُثمان، وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة... **[وذكر كما تقدّم عنه،**

---

١ ـ المحاسبيّ.

الرّقم ٤ ثمّ قال:]

أقول: الظّاهر من بعض الرّوايات وجمع من العُلماء أنّ الجمع الّذي وقع في زمان النّبيّ ﷺ كان مشتملًا على العلوم المرتبطة بالقرآن، من بيان شأن نزول الآيات و من التّفسيرات والتّأويلات من النّبيّ ﷺ ووجوه القراءات. كما نقل عن ابن سيرين أنّه قال: بلغني أنّه كتبه عليّ عليه السلام على تنزيله، ولو أُجيب إلى ذلك الكتاب لوُجِد فيه علمٌ كثيرٌ، وقال: إنّه كتب في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ.

وقال بعض العامّة: قد كان بعض الصّحابة يدخلون في قراءتهم شيئًا من التّفسير إيضاحًا، لأنّهم محقّقون فيما تلقّوه من رسول الله قرآنًا، فهم آمنون من أن يلبس بعض ذلك ببعض، و ربّما كان يكتبه بعضهم، كقراءة ابن عبّاس: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ اَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾[١] ثمّ يزيد في مراسم الحجّ.

أقول: لعلّ قراءة بعض الآيات المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود من هذا القبيل، كقراءته قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً ـ فاختلفوا ـ فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٢] ثُمّ إنّه لمّا كان في هذا الجمع فضائح القوم أسقط أبو بكر شأن نزول الآيات و تفسيرها وتأويلها وجمعه ثانيًا مع إثبات وجوه القراءات ثمّ في زمان عُثمان لمّا كثر الاختلاف جمعه ثالثًا على قراءة زيدبن ثابت، و حمل النّاس على قراءته وأسقط سائر القراءات، و أحرق مصاحف الكُمّلين من قُرّاء الصّحابة كعبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما. و نقل عن ابن مسعود ما يقرب من هذا المضمون: لو كان لي مثل ما لهم لفعلت بصُحُفهم مثل ما فعلوا بصحيفتي، و لقد قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سُورة و كان زيد ابن ثابت في صُلب أبيه الكافر، أوقال: كان يلعب مع الصّبيان.

---

١ ـ البقرة /١٩٨.

٢ ـ البقرة /٢١٣.

الطّرفة السّابعة

(في أنّ ترتيب سُوَرالقرآن و آياته كان بأمرالله و وحيه)

لا ريب في أنّ لآيات الكتاب العزيز و سُوَره ترتيبًا، مرضيًّا عندالله، ثابتًا في اللّوح المحفوظ، منزّلاً على النّبيّ صلى الله عليه وآله بواسطة جبرئيل عليه السلام، لأنّ حسن التّرتيب والنّظم ممّا له مدخل تامّ في حسن الكتاب و في القرآن المجيد الّذي هو أحسن الكتب، و مطالبه أحسن الحديث، والعلوم المنطوية فيه أشرف العلوم وأعلاها، وبيانه في الفصاحة والبلاغة فوق طوق البشر، لابدّ من أن يكون ترتيبه على أحسن الوجوه، و نظمه أحسن النّظام، بل قال بعض العلماء: إنّ حسن نظم آيات القرآن وسُوَره من وجوه إعجازه، ومن بدائع أُسلوبه، وعلى هذا لابدّ أن يكون نظمه و ترتيبه من قبل الله تعالى ولا يكون من البشر، ويؤيّد ذلك أنّ الله تعالى أضاف الكتاب الكريم إلى ذاته المقدّسة. ومن الواضح أنّ الكتاب اسم لمجموع المطالب المرتّبة المنظّمة، فإذا ألّف أحد الأحاديث النّبويّة، وبوَّبها و رتّبها في دفتر، أو جمع شخص خطب أميرالمؤمنين عليه السلام في ديوان منظّمًا و مرتّبًا، لا ينسب ذلك الدّفتر والدّيوان إلى النّبيّ و أميرالمؤمنين (صلوات الله عليهما)، بل يضاف إلى المؤلّف و الجامع. وعلى هذا يدلّ إطلاق كتاب الله في الآيات الكريمةوالرّوايات المتواترة على هذه المجموعة المرتّبة المنظّمة على أنّ عُلومها وعباراتها و نظمها وترتيبها وتأليفها من الله تعالى لا شريك له فيها من خلقه... **[ثمّ ذكر رواية عُثمان بن أبي العاص على تأييد قوله، كما تقدّم عن السُّيوطيّ، فقال:]**

و ما روي من أنّ جبرئيل عليه السلام لمّا أتى بآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ اِلَى اللهِ﴾[1]، قال: ضعها بين آيتي الرّبا والدَّين، وفي رواية: ضعها بعد مأتين وثمانين آية من سورة البقرة.

و ماروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أُعطيت مكان التّوراة السّبع الطُّوال»، وغير ذلك من الرّوايات.

---

١ ـ البقرة /٢٨١.

و ممّا ذكرنا ظهر أنّه بعد ما ثبت أنّ جمع الكتاب الكريم كان في زمان النّبيّ ﷺ و بأمره، لابدّ من القول بكون ترتيب جمع آياته و سُوَره مطابقًا للتّرتيب الّذي أوحى الله به إلى نبيّه وموافقًا لما نزل به جبرئيل عليه السلام فكلّما نزل من الآيات و السُّوَر كان يأمرالنّبيّ ﷺ كُتّاب الوحي بكتابته في موضعها الّذي يأمر جبرئيل بوضعها في ذلك الموضع، مع أنّ النّبيّ ﷺ كما كان مأمورًا بتبليغ أصل الآيات والسُّوَر إلى الأُمّة، كان مأمورًا بتبليغ نظمها وترتيبها إليهم، و لا يمكن منه التّقصير في التّبليغ وأداء وظيفة الرّسالة. فكلّ من كان حافظًا للآيات والسُّوَر كان عالمًا بترتيبها ونظمها، وكلّ من جمع القرآن في عصره ﷺ كان جمعه على التّرتيب المأمور به، مع أنّ كثيرًا من الصّحابة كانوا يعرضون على النّبيّ ﷺ كلّما حفظوه من القرآن أو جمعوه، فلو لم يكن على التّرتيب المنزل لكان النّبيّ ﷺ ، يغيّره فتحصل من جميع ذلك أنّ كلّما كتبه كُتّاب الوحي وكلّما جمعه الصَّحابة من القرآن في عصرالنّبيّ ﷺ لاجرم كان موافقًا في النّظم والتّرتيب لما كان له من النّظم في اللّوح المحفوظ.

و يؤيّد ذلكما روي عن ابن الزُّبَيْر قال: قلت لعُثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾[1]: قد نسختها الآية الأُخرىٰ، فلم تكتبها أوتدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أُغيّر شيئًا منه من مكانه. و مارواه، مسلم عن عُمر قال: ما سألت النّبيّ ﷺ عن شيءٍ أكثر ممّا سألته عن الكلالة، حتّى طعن بأصبعه في صَدْري، و قال: يكفيك آية الصَّيف الّتي في آخر سورة النّساء. و ماروته عائشة من أنّ النّبي ﷺ كان يقرأ في اللّيل سورة البقرة و آل عمران والنّساء... [ثمّ ذكر قول السّيّد المرتضى كما تقدّم عنه، فقال:]

أقول: كلّ ذلك يورث القطع بأنّ ترتيب الآيات والسُّوَر لم يكن بأهواء الصَّحابة و سلقهم، بل كان بوحي الله وأمر رسوله ﷺ . (١: ٨ ـ ١٣)

---

١ ـ البقرة/ ٢٤٠.

الفصل الحادي والأربعون

نصّ محمّد حسين هيكل (م: ١٣٧٦) في «حياة محمّدﷺ»

[جمع القرآن بعدالنّبيّﷺ]

[بعد ذكر أدلّة لصيانة القرآن من التّحريف، ثمّ قال:]

فلمّا قُبض النّبيّ كان يرجَع عند الخلاف إلى النُّصوص المكتوبة، وإلى ذاكرة أصحاب النّبيّ الأقربين وكُتّاب وحيه.

[الجمع الأوّل للقرآن]

«فلمّا فرغ من أمر مُسَيْلمة في حروب الرِّدَّة، كانت مذبحة اليَمامة قدأتت على كثير من المسلمين، ومن بينهم عدد كبير من خير حُفَّاظ القرآن...**[ثمّ أشار إلى اقتراح عمر لأبي بكر حول جمع القرآن، كمّا تقدّم نحوه سابقًا، فقال:]**

وإذ كان هذا العمل حدثًا غير متوقّع فقد اضطرب زيد بادئ الرّأي، وخامره الرّيب في صلاحيّة الإقدام عليه، بل في مشروعيّته، فلم يقم به محمّد نفسه ولم يأمر أحدًا بالقيام به. على أنّه انتهى إلى النّزول على ما أبدى أبو بكر وعمر من رغبة ملحّة. وجهَد في جمع السُّوَر وأجزائها من كلّ جانب، حتّى لقد جمع ما كان منها على ورق الشّجر وعلى الحَجَر الأبيض وفي صدور الرّجال. ويضيف بعضهم: أنّه جمع كذلك منها ما كان على الورق وعلى الجلد وعلى عظام الكتف والضّلع من الإبل والماعز. وظفرت جهود زيد المتّصلة خلال سنتين أو ثلاث بجمع هذه المادّة كلّها وترتيبها على النّحو الّذي هي عليه اليوم، وعلى النّحو الّذي كان زيد يتلو عليه القرآن في حضرة محمّد فيما يقولون. فلمّا كملت

النّسخة الأُولى عهد بها عمر إلى صيانة حَفْصَة ابنته و زوج النّبيّ. و ظلّ هذا الكتاب الّذي جمعه زيد قائمًا طِيلَة خلافة عمر على أنّه النّصّ الصّادق الصّحيح.

على أنّ الخلاف لم يلبث أن بدأ في طريقة التّلاوة، ناشئًا إمّا عن الخلاف السّابق لنسخة زيد، و إمّا عن تحريف تَسَرَّب إلى النّسخ الّتي نقلت عن نسخته. و فزع العالم الإسلاميّ لذلك أيّما فزع، فالوحي الّذي نزل من السّماء «واحد» فأين الآن وحدته؟ ولقد حارب حُذَيْفة في أرمينيّة و في أذربيجان، ولاحظ اختلاف القرآن عند السُّوريّين عنه عند أهل العراق، فجزع لتعدُّد ذلك و لمبلغ ما بينه من خلاف، إذ ذاك فزع إلى عُثمان كيما يتدخَّل، «ليقف النّاس حتّى لا يختلفوا على كتابهم كما اختلف اليَهود والنّصارى». واقتنع الخليفة، وليدفع الضّرّ لجأ كرّةً أُخرى إلى زيد بن ثابت، و عزّزه بثلاثة من قُريش. و جيء بالنّسخة الأُولى من حيازة حَفْصَة، و عرضت القراءات المختلفة من أنحاء الإمبراطوريّة، و روجعت كلّها بأتمّ عناية للمرّة الأخيرة. ولقد كان زيد إذا اختلف مع زملائه القُرشيّين رجّح صوت هؤلاء أن كان التّنزيل بلسان قُريش، و إن قيل: إنّ الوحي نزل على سبع لَهجات مختلفة من لَهجات العرب. و أُرسلت نسخ من هذا المُصْحَف بعد تمام جمعه إلى جميع الأمصار في الإمبراطوريّة، و جُمع ما بها من سائر النُّسخ بأمر الخليفة و أُحرق، و رُدَّت النّسخة الأُولى إلى حيازة حَفْصَة.

و وصل إلينا مُصْحَف عُثمان، و قد بلغت العناية بالمحافظة عليه أنّا لانكاد نجد ـ بل لا نجد ـ أيّ خلاف بين النّسخ الّتي لا عداد لها، والمنتشرة في أنحاء العالم الإسلاميّ الفسيحة. و مع ما أدّى إليه مقتل عُثمان نفسه بعد ربع قرن من وفاة محمّد، من قيام شيع مغضبة ثائرة زعزعت ـ ولا تزال تزعزع ـ وحدة العالم الإسلاميّ، فإنّ قرآنًا واحدًا قد ظلّ دائمًا قرآنها جميعًا. و هذا الإسلام منها جميعًا لكتاب واحد على اختلاف العُصور حجّة قاطعة على أنّ ما أمامنا اليوم إنّما هو النّصّ الّذي جُمع بأمر الخليفة السَّيَّ الحظّ.

والأرجح أنّ العالم كلّه ليس فيه كتاب غيرالقرآن ظلّ اثني عشر قرنًا كاملاً بنصٍّ هذا مبلغ صفائه و دقّته. والقراءات المختلفة قليلة إلى حدّ يثير الدّهشة، وهذا الاختلاف محصور أكثر أمره في نطق الحروف المتحرّكة أو في مواضع الوقف، و هذه مسائل أبدعت

في تاريخ متأخّر، فلامساس لها بمُصْحَف عُثمان.

والآن و قد تبيّن أنّ القرآن الّذي نتلوا إنّما هو نصّ مُصْحَف عُثمان لم يتغيّر، فعلينا أن نبحث أهذا النّصّ هو صورة مضبوطة لمّا جمع زيد بعد الاتّفاق على إزالة ما كان في التّلاوة من أوجه خلاف قليلة العدد قليلة الخطر؟ وكلّ ما لدينا مقنع تمام الإقناع بأنّ الأمر كذلك. فليس في الأنباء القديمة أو الجديرة بالتّصديق ما يُلقي على عُثمان أيّة شبهة بأنّه قصد إلى تحريف القرآن لتأييد أغراضه.

صحيح أنّ الشّيعة ادّعوا من بعد أنّه أغفل بعض آيات تزكّي عليًّا، لكن العقل لا يسوغ هذا الزّعم، فلم يكن قد نجم أيّ خلاف بين الأُمويّين والعلويّين حين أقرّ مُصْحَف عُثمان، بل كانت وحدة الإسلام قائمة حينذاك لا يهدِّدها شيء. ثمّ إنّ عليًّا لم يكن قد صوّر مطالبه في صورتها الكاملة، فلم يكن غرض من الأغراض إذاً ليدفع عُثمان إلى ارتكاب إثْم ينظر إليه المسلمون بعين المقت غاية المقت. ولقد كان عددٌ كبير ممّن وعت قلوبهم القرآن كما سمعوه حين تلاه النّبيّ أحياء حين جمع عُثمان المُصْحَف. فلو أنّ آيات تزكّي عليًّا كانت قد نزلت لوُجِدَت نصوصها بين يدي أنصاره الكثيرين. وهذان السّببان كانا كفيلين بالقضاء على كلّ محاولة لإغفال هذه الآيات.

يضاف إلى ذلك أنّ شيعة عليّ استقلّوا بأمرهم بعد وفاة عُثمان و بايعوا عليًّا بالخلافة. أفيقبل العقل أنّهم، وقد وصلوا إلى السّلطة، يرضون عن قرآن مبتور، و مبتور قصدًا للقضاء على أغراض زعيمهم؟! مع ذلك ظلّوا يتلون القرآن الّذي يتلوه خصومهم، ولم يثيروا أيّ ظلّ من الاعتراض عليه؟ بل إنّ عليًّا قد أمر بأن تُنشر نسخ كثيرة منه، و يقال: إنّه كتب بخطّ يده عددًا منها.

صحيح أنّ الثّائرين قد جعلوا من أسباب انتقاضهم أنّ عُثمان جمع القرآن و أمر بإهلاك ماسوى مُصْحَفه من المصاحف. واعتراضهم إنّما ينصبّ على إجراءات عُثمان لذاتها ويعتبرها مُحرّمة لا تجوز. لكن لم يشر أحد فيما وراء ذلك إلى تحريف في المُصْحَف أو إبدال، فمثل هذا الزّعم كان ظاهر الفساد يومئذٍ، و إنّما أبدعه الشّيعة بعد لأغراضهم.

نستطيع أن نستنبط إذاً مطمئنّين أنّ مُصْحَف عُثمان كان و ما يزال صورة مضبوطة لما جمعه زيد بن ثابت، مع مزيد في التّوفيق بين الرّوايات السّابقة له و بين لَهجة قُريش، ثمّ استبعاد سائر القراءات الّتي كانت منتشرة في أنحاء المملكة. مع ذلك لا تزال أهمّ مسألة قائمة أمامنا، هذه المسألة هي: هل كان ما جمعه زيد صورة صادقة كاملة لما أوحي إلى محمّد؟ والاعتبارات الآتية تبعث اليقين بأنّه كان مجموعة صادقة بلغت من حيث إنّها كاملة كلّ ما يمكن بلوغه يومئذٍ:

أوّلاً ـ تمّ الجمع الأوّل برعاية أبي بكر. وكان أبو بكر تابعًا صادق الإخلاص لمحمّد، كما كان مؤمنًا كامل الإيمان بالمصدر القُدسيّ للقرآن، وكان اتّصاله الحميم بالنّبيّ خلال السّنوات العشرين الأخيرة من حياته، و مظهره في الخلافة مظهر البساطة والحكمة والتّنزّه عن المطامع، بحيث لايدعان موضعًا لأيّ فرض آخر. وكان إيمانه بأنّ مايوحى إلى صاحبه إنّما يوحى إليه من الله ذاته، ممّا يجعل أوّل أغراضه أن يَكفُل جمع هذا الوحي كلّه مطهّرًا كاملاً. و مثل هذا القول يصدُق على عمر، وقد تمّ الجمع في خلافته.

وهذا القول يصدُق كذلك على المسلمين يومئذٍ جميعًا، لا تفاوت لديهم فيه بين الكاتبين الّذين عاونوا على هذا الجمع، و بين المؤمن الرّقيق الحال الّذي كان يحمل إلى زيد ما عنده من الوحي المكتوب على العظام أو على أوراق الشّجر، فقد كانوا جميعًا تتساوى رغبتهم الصّادقة في استظهار العبارات والألفاظ الّتي تلاها عليهم نبيّهم على أنّها رسالة من عندالله. وقد كان الحرص على الدّقّة قائمًا بشعور النّاس جميعًا، لأنّه لم ينغرس في نفوسهم شيء ما انغرس هذا التّقديس المرهب لما يعتقدونه كلمة الله. و في القرآن نُذُرٌ للّذين يفترون على الله الكذب أو يُخفون شيئًا من وحيه. ولسنا نستطيع أن نصدّق أن يجرؤ المسلمون الأوّلون ـ في حماستهم الأُولى لدينهم و تقديسهم إيّاه ـ على التّفكير في أمر ذلك مبلغه من مجافاة الإيمان.

ثانيًا ـ تمّ الجمع خلال سنتين أو ثلاث سنين بعد وفاة محمّد، وقد رأينا طائفة من أتباعه يحفظون الوحي كلّه عن ظهر قلب، و أنّ كلّ واحدٍ من المسلمين كان يحفظ طائفة منه، و أنّ جماعة من القُرّاء كانت تعيّنهم الدّولة، وتبعث بهم إلى أنحاء المملكة الإسلاميّة

لإقامة الشّعائر ولتفقّه النّاس في الدّين. من هؤلاء جميعًا تكوّنت حلقة اتّصال بين ما تلا محمّد من الوحي يوم تلاه و بين ما جمعه زيد. فالمسلمون لم يكونوا صادقي القصد في جمع القرآن كلّه في مُصْحَف واحد فحسبُ، بل كانت لديهم كذلك كلّ الوسائل الّتي تَكفُل تحقيق هذا الغرض، و تَكفُل تحقيق ما اجتمع في الكتاب الّذي وضع بين أيديهم بعد جمعه من دقّة و كمال.

ثالثًا ـ ولدينا ضمان أوفىٰ للدّقّة والكمال. ذلك ما كان موجودًا منذ حياة محمّد من أجزاء القرآن المكتوبة، والّتي كثر لا شكّ عدد نسخها قبل جمع القرآن. و أكثر الأمر أنّ هذه النّسخ كانت موجودة في حيازة جميع الّذين يستطيعون القراءة. أمّا و نحن نعرف أنّ ما جمعه زيد قد تداوله النّاس و تلوه بعد جمعه مباشرة، فمن المعقول أن نستنبط أنّه تناول ما احتوته هذه الأجزاء المكوّنة جميعًا واتّفق معها، لذلك حلّ محلّها بإقرارهم جميعًا. فلم يتّصل بنا أنّ الجامعين أغفلوا أجزاء أو آيات أو ألفاظًا، أو أنّ شيئًا ممّا كان موجودًا من هذه اختلف عمّا حواه المُصْحَف الّذي جُمِع. ولو أنّ شيئًا من ذلك كان للوحظ بلاريب، ولدُوِّن في هذه المسانيد القديمة الّتي احتوت أدقّ أعمال محمّد و أقواله، والّتي لم تُغفل منها حتّى ما كان قليل الخطر.

رابعًا ـ محتويات القرآن ونظامه تنطق في قوّة بدقّة جمعه، فقد ضُمَّت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامّة لا تعمُّلٌ ولا فَنٌّ فيها. وهذا الجمع لا أثر فيه ليدٍ تحاول المهارة أو التّنسيق. وهو يشهد بإيمان الجامع وإخلاصه لمّا يجمع، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدّسة و وضع بعضها إلى جانب بعض.

والنّتيجة الّتي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي أنّ مُصْحَف زيد و عُثمان لم يكن دقيقًا فحَسْبُ، بل كان ـ كما تدلّ الوقائع عليه ـ كاملاً، و أنّ جامعيه لم يتعمّدوا إغفال أيّ شيء من الوحي. ونستطيع كذلك أن نؤكّد ـ استنادًا إلى أقوى الأدلّة ـ أنّ كل آية من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمّد. (٣٣ـ٣٨)

الفصل الثّاني والأربعون

نصّ الكُرديّ(معاصر) في«تاريخ القرآن و غرائب رسمه...»

في جمع القرآن الكريم

يطلق جمع القرآن تارةً على حفظه في الصُّدُور و تارةً على كتابته، فعلى المعنى الثّاني نقول: إنّ القرآن جمع ثلاث مرّات:

الجمع الأوّل ـ كتب كلّه في عهد النّبيّﷺ لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتّب السُّوَر، بل كان مفرّقًا في العُسُب واللِّخاف والرِّقاع والأقتاب و نحوها، مع كونه محفوظًا في الصُّدُور... **[ثمّ ذكر رواية الحاكم عن زيد بن ثابت و رواية البُخاريّ عن البَراء الرّقم ٦، وقول المَحَاسبيّ عن الزَّركشيّ كما تقدّم عنهم فقال:]**

و عدم جمعه في مجلّد في حياته(عليه الصّلاة والسّلام) كان لأمرين: الأوّل ـ الأمن من وقوع خلاف بين الصّحابة لوجودهﷺ بين أظهرهم. الثّاني ـ خوف نسخ شيء منه بوحي قرآن بدله، ففي «الإتقان» قال الخطّابيّ... **[و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر ثمّ قال:]**

و إلى ما تقدّم أشار العلّامة الشّيخ محمّد العاقب الشِّنقيطيّ رحمه الله بقوله :

لم يُجمَع القرآن في مجَلّد ... على الصّحيح في حياة أحمد

للأمن فيه من خلافٍ يَنشأُ ... وخيفة النّسخ بوحيٍ يَطرأُ

وكان يكتب على الأكتافِ ... وقِطَع الأدم اللِّخافِ

وبعد إغماضِ النّبيّ فالأحقّ ... أنّ أبا بكر بجمعه سَبق

جَمَعَهُ غير مرتّب السُّوَر ... بعد إشارة إليه من عُمر

ثــمّ تــولّى الجـمعَ ذوالنّـورينِ فـــــضمّهُ مـــا بـــينَ دفَّـــتَيْنِ
مـــــرتّب السُّـــوَر والآيـــاتِ مـــــخرَّجًا بأفـــصَح اللُّـــغاتِ

الجمع الثّاني ـ جمع أبي بكر الصّدّيق ﷺ، روى البُخاريّ في صحيحه عن عُبَيد بن السَّبّاق: أنّ زيد بن ثابت ﷺ قال...[وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ١ و ٢ ثمّ قال:]

و يختار بعضهم في فهم هذه الرّواية: كيف أنّ الآية الّتي سأل عنها عمر لا توجد إلّا مع فلان الّذي قتل يوم اليَمامة.

فنقول: إنّ منطوق الرّواية لايدلّ على حصر الآية عند فلان، فهناك غيره ممّن يحفظها أيضًا، فعمر لمّا سمع بقتل فلان يوم اليَمامة خاف من قتل حُفّاظ كلام الله تعالى أن يضيع القرآن، فراجع أبا بكر في ذلك حتّى جمعه في المُصْحَف... [ثمّ ذكر رواية أُخرى عن عمر بن الخطّاب، كما تقدّم عن الطّبريّ، الرّقم١، إلى أن قال :]

جاء في كتاب «نهاية القول المفيد»: فإن قيل: كان زيد حافظًا للقرآن و جامعًا له، فما وجه تتبّعه المذكورات؟.

والجواب: أنّه كان يستكمل وجوه قراءاته ممّن عنده ما ليس عنده، وكذا نظره في المكتوبات الّتي قد عرف كتابتها و تيقّن أمرها، فلا بدّ من النّظر فيها، وإن كان حافظًا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا؟ و إذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت في ضبط المحفوظ.

وجاء في «إرشاد القُرّاء والكاتبين»: أنّ زيدًا كتب القرآن كلّه بجميع أجزائه، و أوجهه المعبّر عنها بالأحرف السّبعة الواردة في حديث:«إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فليقرأوا ما تيسّر منه، وكان أوّلاً أتاه جبريل فقال له: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أُمّتك القرآن على حرف واحد، ثمّ راجعه إلى السّابعة فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أُمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرأوا عليه أصابوا»، من عنوان «البيان في علوم التّبيان».

فأبوبكرﷺ هو أوّل من جمع القرآن الكريم بالأحرف السّبعة الّتي نزل بها وإليه تنسب الصُّحُف البَكريّة، وكان ذلك بعد وقعة اليَمامة الّتي كان انتهاؤها سنة اثنتي عشرة

للهجرة ... [إلى أن قال:]

ويسأل بعضهم: لماذا لم يأمر أبو بكر أو عمر أن ينسخ النّاس مصاحف ممّا كتبه زيد ابن ثابت؟ ولماذا لم يحرص كبار الصّحابة على أن يكون لدى كلّ واحدمنهم أولدى بعضهم على الأقلّ نسخ من هذه الصُّحُف الّتي تتضمّن كتاب الله؟

فنقول: إنّ أبابكر رضي الله عنه لم يجمع القرآن لحدوث خلل في قراءته، وإنّما جمعه خوفًا من ذهاب حملته بقتلهم في الغزوات، وكان جمعه له بالأحرف السّبعة، والنّاس يقرأون بها إلى زمن عُثمان، فلا يختلف مُصْحَف أبي بكر عمّا يقرؤه النّاس ويحفظونه، فلا داعي إذاً لحمل النّاس على مُصْحَفه.

أمّا عُثمان رضي الله عنه فإنّه لم يجمع القرآن إلّا بعد أن رأى اختلاف النّاس في قراءته، حتّى أنّ بعضهم كان يقول: إنّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، وكان جمعه له بحرف واحد وهو لغة قريش، وترك الأحرف السّتّة الباقية، فكان من الواجب حمل النّاس على اتّباع مُصْحَفه وعلى قراءته بحرف واحد فقط قبل أن يختلفوا فيه اختلاف اليهود والنّصارى، كماترى تفصيل ذلك في الجمع الثّالث.

أمّا عدم نسخ كبار الصّحابة مصاحف على نمط ما جمعه أبو بكر، فلم يكن هناك ما يدعو لذلك، لعدم اختلاف ما جمعه أبو بكر بما عند النّاس، وإنّ بعضهم كتبوا مصاحفهم على عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم وتلقّوه منه سماعًا، فكان جمع أبي بكر بمثابة سجلّ للقرآن، يرجع إليه إذا حدث أمر، كما وقع لعُثمان حين جَمْعه القرآن، فإنّه رجع إلى الصُّحُف البكريّة، وكانت عند حَفْصَة بنت عمر.

ويسأل بعضهم: أيضًا: لِمَ لَمْ يجتمع أبو بكر وعمر وعُثمان وعليّ على نسخ المُصْحَف وهم يحفظونه كلّه في صُدُورهم؟

فنقول: إنّ أبا بكر هو خليفة المُسلمين، وهؤلاء هم كِبار الصَّحابة، وهم أصحاب الرّأي والشّورى ومنهمكون في الغزوات ونشر الإسلام والنّظر في مصالح الأُمّة، فاشتغالهم بأنفسهم بجمع القرآن يمنعهم عن النّظر في شؤون المسلمين، لأنّ التّفرّغ لجمعه

يحتاج إلى مدّة طويلة و عناء عظيم. وإذا عرفت أنّهم كانوا يجمعونه ممّا كتب على نحو العظام والألواح والحجارة، و أنّهم ما كانوا يقبلون من أحد شيئًا من القرآن إلّا بشاهدين، علمت أنّهم يحتاجون في البحث والتّرتيب والمراجعة والتّصحيح إلى مدّة غير قصيرة، و ظهر لك ما تحمّلوه من المشقّة العُظمى والتّعب الكبير، خصوصًا وإنّهم في هذه المرّة جمعوه بالأحرف السّبعة كلّها، و هذا يستلزم أن يكون حجم مُصْحَف أبي بكر أضعاف حجم مُصْحَف عُثمان، لأنّ هذا جمعه على حرف واحد من الأحرف السّبعة.

لذلك أسند الخلفاء الأربعة جمع القرآن إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، و هو الّذي شهد العَرْضَة الأخيرة، وكان من حفظة القرآن وأعلم الصّحابة، فقام بهذه المهمّة خير قيام في مُصْحَف أبي بكر و في مُصْحَف عُثمان رضي الله عنهم و جزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحقيقة لو لم يلهم الله تعالى هؤلاء الصَّحابة الكرام بجمع القرآن العظيم بكتابته في الصُّحُف، لذهب بموت حُفّاظه وانقراض الصَّحابة، وهذا مصداق قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]... [ثمّ ذكر سعي عمر لجمع القرآن و ذكر فضائله، ثمّ استشهد بشعر، و إن شئت فراجع].

الجمع الثّالث ـ جمع عُثمان بن عَفّان رضي الله عنه، ولم ينقل أنّه كتب بيده مُصْحَفًا و إنّما أمر بجمعه وكتابته على حرف واحد من الأحرف السَّبعة الّتي نزل بها القرآن، فلذلك ينسب إليه و يقال: «**المُصْحَف العُثمانيّ**».

و سببه كما في البُخاريّ عن أنس: أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قدم على عُثمان، وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة...[و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٤ ثمّ قال:]

وفي رواية أبي قِلابة: فلمّا فرغ عُثمان من المُصْحَف كتب إلى أهل الأمصار: إنّي صنعت كذا وكذا، و محوت ما عندي فامحوا ما عندكم. وفي رواية شُعَيب عند ابن أبي داود والطَّبَرانيّ و غيرهما، وأمرهم أن يحرقوا كلّ مُصْحَفٍ يخالف المُصْحَف الّذي أرسل به.

---

١ ـ الحِجر/٩.

نقول: أكثر الرّوايات على الإحراق وبعضها على المحو، فيمكن الجمع بينها بأن نقول: كان الإحراق فيما كتب على نحو الجُلود و جريد النَّخل، و كان المحو فيما كتب على نحو العظام والحِجارة، والمحو قد يكون بالغسل وقد يكون بالطّمس.

وفي رواية: أنّ حُذَيْفة قال: يا أميرالمؤمنين أدرك النّاس! فقال عُثمان... [إلى أن قال:]

وفي رواية: اختلفوا في القرآن على عهد عُثمان حتّى اقتتل الغلمان والمعلّمون[١]... [و ذكر كما تقدّم عن الطَّبريّ، ثمّ قال:]

وجاء في كتاب المقنع للإمام الدّانيّ، الصّحيفة(٦) عن أبي قِلابة عن رجل من بني تميم، فقال: أحسب أنس بن مالك قال... [و ذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، إلى أن قال :]

و أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سُوَيد بن غَفَلة قال: قال عليّ... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١٤ و ١٥، ثمّ قال:]

وفي «عنوان البيان» قال الآلوسيّ في تفسيره: و هذا الّذي ذكرناه من فعل عُثمان هو ما ذكره غير واحد من المحقّقين، حتّى صرّحوا بأنّ عُثمان لم يصنع شيئًا فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب، سوى أنّه جمع النّاس على القراءة بلُغة واحدة وهي لُغة قُريش، محتجًّا بأنّ القرآن نزل بلُغتهم. وهو ظاهر في أنّ ترتيب السُّوَر كترتيب الآيات كان في عهد أبي بكر، خلافًا لما ذكره الحاكم في مستدركه. انتهى من عنوان البيان.

قال ابن حَجَر: وكان ذلك (أي جمع عُثمان للمُصْحَف) في سنة خمس وعشرين، قال: و غفل بعض من أدركناه، فزعم أنّه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر مستندًا... [ثمّ ذكر قول ابن التّين في الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عُثمان، كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:] فلو تأمّلت ما كان يحصل لبعضهم في عهد النّبيّ ﷺ من الفزع، و تغيير الحال عند

---

١ ـ **فإن قيل**: كيف يتصوّر ذلك مع أنّ الطّالب هو الّذي يتلقّى القرآن والعلم من معلّمه؟ **نقول**: يمكن ذلك بأن يسمع من أهله و جيرانه قراءة غير قراءة معلّمه و تأكيدهم له بصحّتها.

سماعه قراءة لا يعرفها ـ كما سيأتي بيانه عند حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ» لم تستغرب حدوث الاختلاف في قراءة القرآن بعد وفاته (عليه الصّلاة والسّلام) بنحو خمسة عشر عامًا، وأنّ جمع عُثمان القرآن بحرف واحدٍ وحمل النّاس عليه لهو عين الحكمة وعين الصّواب، وهو سرّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.

ولو ترك النّاس على ما كانوا عليه ولم تتوحّد قراءتهم للقرآن، لوقع التّحريف والتّبديل فيه إلى يوم القيامة... فرضي الله تعالى عن صَحابة رسول الله أجمعين.

فإن قيل: لِمَ امتثل زيد بن ثابت أمر عُثمان بجمع القرآن، ولم يمتثل أمر أبي بكر إلّا بعد نظر ومراجعة؟

نقول: كان ذلك مع أبي بكر، لأنّ هذا الأمر لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يأمر به، فخوفًا من وقوعهم في محظور توقّف هو وأبو بكر أيضًا عن موافقة عمر، ثمّ بعد رويّة وتفكّر ظهر لهم أنّ ذلك من المصلحة الدّينيّة، وأنّ تركهم له قد يؤدّي إلى ضياع ما أنزله الله على رسوله، فبعد أنّ جمع زيد المُصْحَف لأبي بكر لامبرّر له في عدم موافقته وامتثاله أمر عُثمان، خصوصًا وقد رأى اختلاف النّاس في قراءة القرآن.

وإن قيل: لِمَ أسند أبو بكر جمع المُصْحَف لزيد وحده وأسنده إليه عُثمان، وأشرك معه رجالاً من قُريش؟

نقول: اختصّ أبو بكر زيدًا وحده، لما يعهده فيه من النّشاط وقوّة الشّباب، ولأنّه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فهو أدرى بأوجه القراءات كلّها، وعُثمان إنّما أشرك معه نفرًا من قُريش لأنّه يريد جمع القرآن على حرفٍ واحد، وهو لُغة قُريش وزيد من الأنصار، ولأنّه يريد سرعة إنجاز جمعه خوفًا من تفاقم أمر اختلاف النّاس في القراءة.

جاء في كتاب «المقنع» للإمام الدّانيّ رحمه الله تعالى ما نصّه:

فإن قيل: فلِمَ خُصَّ زيد بأمر المصاحف، وقد كان في الصّحابة من هو أكبر منه كابن مسعود وأبي موسى الأشعريّ وغيرهما من متقدّمي الصَّحابة؟

قلت: إنّما كان ذلك لأشياء كانت فيه، ومناقب اجتمعت له لم تجتمع لغيره، منها: أنّه

كتب الوحي للنّبيّ ﷺ، وأنّه جمع القرآن كلّه على عهد رسول الله ﷺ، وأنّ قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النّبيّ على جبريل عليهما السّلام. وهذه الأشياء توجب تقديمه لذلك وتخصيصه به، لامتناع اجتماعها في غيره، وإن كان كلّ واحد من الصّحابة (رضوان الله عليهم) له فضله وسابقته. فلذلك قدّمه أبو بكر ؓ لكتب المصاحف، وخصّه به دون غيره من سائر المهاجرين والأنصار، ثمّ سلك عُثمان ؓ طريق أبي بكر في ذلك إذ لم يسعه غيره، وإذ كان النّبيّ ﷺ قد قال: «اقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكر وعمر»، فولّاه ذلك أيضًا وجعل معه النّفر القُرشيّين، ليكون القرآن مجموعًا على لُغتهم، ويكون ما فيه لُغات ووجوه من ذلك على مذهبهم، دون مالا يصحّ من اللّغات ولا يثبت من القراءات، وهذا الجواب عمّا سئلنا عنه ووجه السّبب في ذلك... **[ثمّ ذكر قول الطَّبَريّ في أحرف السّتّة والسّبعة، وقول ابن حَجَر في اختلاف القراءات السّبع كما سيجيء في بابهما، إلى أن قال:]**

في احتياط الصَّحابة في كتابة القرآن

جَمعُ القرآن العظيم ـ لأوّل مرّةٍ في التّاريخ وهو مفرّق في الألواح والعظام وصُدور الرِّجال ـ ليس بالأمر الهَيِّن، بل هو عمل خطير يحتاج إلى عناية كبرى وتثبّت تامّ، لذلك ما كانت اللَّجنة القائمة بجمعه يعتمدون على ما في صُدُورهم منه، وفيهم من يحفظه كلّه، كما أنّهم ما كانوا يكتفون بمجرّد نظر إلى ماهو مكتوب في الرّقاع ونحوها، بل يأخذونه عمّن تلقّاه سماعًا من رسول الله ﷺ، فذلك أدعىٰ للاطمئنان والاحتياط وأبعد للشّكّ والارتياب... **[ثمّ ذكر روايتين عن ابن أبي داود، أحدهما: عن عبد الرّحمان بن حاطب، وثانيهما: عن هِشام بن عُرْوَة، كما تقدّم عنه، الرّقم ١١، ٦ فقال:]**

فهاتان الرّوايتان تدلّان صريحًا أنّهم ما كانوا يكتفون بمجرّد وجدان شيء، كتاب الله مكتوبًا حتّى يشهد به من تلقّاه سماعًا زيادة في الاحتياط، وهذه الطّريقة محكمة جدًّا وحيثُ يطمئنّ إليها كلّ مسلم، ولا ندع مجالاً لطعن المنافقين... **[ثمّ ذكر قول ابن حَجَر والسَّخاويّ، كما تقدّم عن ابن حَجَر والسّيوطيّ، فقال:]**

يقول بعض المعاصرين لنا: إنّ رواية الجُلوس على باب المسجد، واستعراض ما لدى النّاس من قرآن هي إلى الوهم أقرب منه إلى الحقيقة. فنقول: أنّ جمع القرآن بالأحرف السّبعة واستقصاؤها لا يكون إلّا باستعراض ما لدى النّاس من قرآن، لما عسى أن توجد عنه بعضهم آية أو قراءة من الأحرف السّبعة تلقّاها من النّبيّ ﷺ لا توجد عند آخر، ثمّ إنّ المسجد في ذلك العهد هو خير مكان يليق باستقبال النّاس لمثل هذا الأمر الجليل، فالحضارة المدنيّة المستلزمة لانتظام دواوين الحكومات لم تكن تعرف عند العرب وقتئذٍ، بل كانوا في حالة من البداوة وبساطة العيش، حتّى أنّ نفس المسجد النّبويّ كان سقفه من الجريد وجدرانه من اللَّبِن، فإذا علم ما ذكر زال الاستغراب من هذه الرّواية الّتي هي عين الحقيقة... [ثمّ ذكر رواية ابن أشتة في المصاحف عن اللَّيث كما تقدّم عن السُّيوطيّ].

وروى ابن عساكِر: أنّ عُثمان خطب في النّاس يومئذٍ، وعزم على كلّ رجلٍ عنده شيءٍ من كتاب الله لما جاء به، فكان الرّجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتّى جمع من ذلك كثرة، ثمّ دعاهم رجلًا رجلًا فناشدهم: أسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلمّا فرغ من ذلك عُثمان قال: من أكتب النّاس؟[1] قالو: كاتب رسول الله ﷺ زيد ابن ثابت، قال: فأيّ النّاس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال: فليمل سعيد وليكتب زيد. وفي الرّواية السّابقة أنّ عُثمان أحضر معهما عبد الله بن الزُّبَير وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام، وقد تقدّمت ترجمتهم.

فرواية ابن عساكِر هذه تقتضي أنّ عُثمان استأنف في جمعه أخذ القرآن من النّاس،

١ ـ أي في معرفة قواعد الكتابة وحسن الخطّ، وترجمة زيد تقدّمت، وكان يكتب السُّريانيّة أيضًا، فقد قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلّم السُّريانيّة، قال: «إنّي لا آمن يهود على كتابي»، فما مرّ بي نصف شهر حتّى تعلّمت وحذقت فيه، فكنت أكتب له ﷺ وأقرأ له كتبهم، وفي رواية: تعلّمتها في سبعة عشر يومًا. وذكروا أنّه تعلّم العبرانيّة أيضًا في خمسة عشر يومًا.

ولا يخفى أنّ الإنسان يحتاج لبضعة أعوام لتعلّم أيّ لغة قراءة وكتابة، وكون زيد يتعلّم السُّريانيّة في نصف شهر لا شكّ أنّ ذلك من معجزاته ﷺ فإنّه لمّا احتاج إلى من يكتب له السُّريانيّة وأمر زيدًا بتعلّمها طوى الله له مرحلة التّعليم الّتي تحتاج لبضع سنين إلى نصف شهر.

و بعد أن استوثق بصحّة ما أتوه به من الآيات القرآنيّة أمر زيدًا و من معه بكتابته و نسخه. ورواية البُخاريّ المتقدّمة في الفصل الأوّل تدلّ على أنّ عُثمان إنّما نسخ مُصْحَفه عن صُحُف أبي بكر الّتي أخذها من حَفْصَة، وقد علمت أنّ جمعه و جمع أبي بكر متّفقان، غير أنّ جمع عُثمان كان بحرف واحد وهو لغة قُريش، و جمع أبي بكر كان بجميع الأحرف السّبعة.

فعلى رواية ابن عَساكِر يمكن أن نقول: إنّ عُثمان فعل ذلك للوقوف على ما عند النّاس من القراءات، أو لأنّه عزم في نفسه على إحراق ما كتبه النّاس من القرآن إذاتمّ نسخ مُصْحَفه، لا أنّه فعل لشكّه في صحّة جمع أبي بكر، وهو الّذي اعتمد في نسخ مُصْحَفه على صُحُف أبي بكر.

ففي هذه الرّوايات كلّها دلالة واضحة على شدّة احتياطهم في جمع القرآن الكريم و تثبّتهم في كتابته، لذلك أجمعت الصّحابة كلّهم على هذا العمل المبرور، و تلقّوه بالقبول، وكان عددهم حينئذٍ اثني عشر ألفًا تقريبًا، رضي الله عنهم أجمعين (٣٩ـ٦٠)

في ترتيب آيات القرآن و سُوَره

جاء في كتاب الإتقان للسّيوطيّ: أنّ الإجماع والنُّصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ لاشبهة في ذلك، أمّا الإجماع... **[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال :]**

و منها: ما أخرجه أحمد و أبو داود و التِّرمِذيّ والنّسائيّ و ابن حَبان والحاكم عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتُم... **[و ذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٥١]**.

و أخرج القُشَيريّ: الصّحيح أنّ التّسمية لم تكن فيها (أي في براءة)، لأنّ جبريل عليه السّلام لم ينزل فيها.

وقال البَغَويّ في شرح السُّنّة: الصَّحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدَّفّتين القرآن الّذي أنزله الله على رسوله... **[وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ قال:]**

وأمّا ترتيب السُّوَر ففي كونه اجتهاديًّا أو توقيفيًّا خلاف؛ والجمهور على الأوّل. قال أبو بكر الأنباريّ: أنزل الله تعالى القرآن كلّه...[و ذكر كما تقدّم عن القُرطُبيّ، ثمّ ذكر قول الزّركشيّ، كما تقدّم عنه].

و ذكر الإمام النَّوَويّ في شرحه على صحيح مُسلم في باب صلاة النّبيّ ﷺ ودعائه في اللّيل عند حديث حُذَيفة قال: «صلّيت مع النّبيّ ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثمّ مضى، فقلت: يصلّي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثمّ افتتح النّساء فقرأها، ثمّ افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلاً...» إلخ الحديث، ما نصّه: قال القاضي عِيَاض: فيه دليل لمن يقول: إنّ ترتيبَ السُّوَر اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المُصْحَف، وإنّه لم يكن ذلك من ترتيب النّبيّ ﷺ، بل وكَلَه إلى أُمّته بعده قال: و هذا قول مالك وجمهورالعلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقِلّانيّ، قال ابن الباقِلّانيّ: هو أصحّ القولين مع احتمالهما، قال: والّذي نقوله: أنّ ترتيب السُّوَر ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصّلاة ولا في الدَّرس ولا في التّلقين والتّعليم، وإنّه لم يكن من النّبيّ ﷺ في ذلك نصّ ولا حدّ تحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مُصْحَف عُثمان، قال: و استجاز النّبيّ ﷺ والأُمّة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السُّوَر في الصّلاة والدّرس والتّلقين، قال: وأمّا على قول من يقول من أهل العلم: إنّ ذلك بتوقيف من النّبيّ ﷺ حدّده لهم كما استقرّ في مُصْحَف عُثمان، وإنّما اختلف المصاحف قبل أن يبلغهم التّوقيف والعرض الأخير، فيتأوّل قراءته ﷺ النّساء أوّلاً ثمّ آل عمران هنا، على أنّه كان قبل التّوقيف والتّرتيب، وكانت هاتان السّورتان هكذا في مُصْحَف أُبيّ، قال: ولا خلاف أنّه يجوز للمصلّي أن يقرأ في الرّكعة الثّانية سورة قبل الّتي قرأها في الأُولى، و إنّما يكره ذلك في ركعة، ولمن يتلو في غير صلاة، قال: و قد أباحه بعضهم، و تأوّل نهي السّلف عن قراءة القرآن منكُوسًا على من يقرأ من آخر السّورة إلى أوّلها، قال: ولا خلاف أنّ ترتيب آيات كلّ سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المُصْحَف، و هكذا نقلته الأُمّة عن نبيّها ﷺ. هذا آخر كلام القاضي عِياض، والله تعالى أعلم، انتهى ما ذكره النَّوَويّ...[ثمّ

ذكر قولين عن البَيْهَقيّ، وقول الكَرْمانيّ و ابن الحَصّار، كما تقدّم عن السُّيوطيّ، فقال:]

وقد ذكر السّيوطيّ رحمه الله تعالى، في كتابه: «الإتقان» روايات عديدة، فراجعه إن شئت... [ثمّ استشهد بشعر للشّيخ الشّنقيطيّ و إن شئت فراجع].

و أمّا أسماء السُّوَر فبتوقيف من النّبيّ ﷺ كما ثبت ذلك من الأحاديث والآثار، فمن ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عُثمان بن أبي العاص... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ، ثمّ قال:]

و منه: ما أخرجه مسلم من حديث أبي هُرَيرة:«إنّ البيت الّذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان». و منه: ما أخرجه مُسلم أيضًا عن أبي الدَّرداء مرفوعًا: «من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدَّجّال»، و في لفظ:«من قرأ العشر الأواخر من سُورةالكهف». و من تتبَّع ما ورد في خصائص بعض السُّوَر ظهر له ذلك واضحًا جليًّا فلا داعي لإطالة البحث.

فعلم من جميع ما تقدّم أنّ ترتيب آيات القرآن توقيفيّ باتّفاق العلماء، وكذلك تسمية السُّوَر بأسماء خاصّة و أنّ ترتيب سُوَره مختلف فيه، فقال بعضهم: إنّه توقيفيّ، و قال بعضهم: إنّه من اجتهاد الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم.

و هذا ولقد أنعمنا النّظر في ترتيب السُّوَر فلم يظهر لنا ترجيح أحد القولين على الآخر، فلكلّ منهما وجهة، ولا يسعنا إلّا أن نفوّضه إلى علّام الغُيوب، ولا بأس أن نذكر هنا ما يؤيّد كلا القولين فنقول:

الدّليل على أنّه توقيفيّ أنّ الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم هم أشدّ النّاس اقتداء برسول الله ﷺ وأبعدهم عن الابتداع والعمل بالظّنّ والهوى، و ممّا لاشكّ فيه أنّه حين جَمعهم للقرآن الكريم تحرّوا فيه كلّ شيء، فما قدّموا سورة على أُخرى إلّا باستناد إلى أمره ﷺ أو فعله أو تقريره، ولا يخفى أنّ النّبيّ ﷺ عرض القرآن على جبريل مرّتين في السَّنة الّتي تُوفّي فيها، ولا ريب أنّ القرآن حينئذٍ كان قد أنزل كلّه على رسول الله ﷺ، فعرضه على جبريل هذه المرّة كان من أوّله إلى آخره، وبالضّرورة يكون ترتيبه على ما

هو في اللّوح المحفوظ الموافق على ما هو عليه الآن بهذه الصّفة، إذ لا يعرضه ﷺ العرض الأخير على جبريل إلّا مرتّب الآيات والسُّوَر، وإنّ زيد بن ثابت كان حاضرًا هذه العَرْضَة الأخيرة وهو كاتب الوحي، فعلى هذه العَرْضة كتب مُصْحَف أبي بكر ومُصْحَف عُثمان.

ثمّ لا يعقل أن يضعوا سُوَر القرآن كيفما اتّفق لهم، فلو كان ترتيبها باجتهادهم لرتّبوها إمّا بحسب تاريخ نزولها أو مواقعها، وإمّا بحسب طولها وقصرها، وإمّا بحسب ترتيب مُصْحَف أحد كبار الصَّحابة كعليّ بن أبي طالب، وابن عبّاس وابن مسعود وأُبيّ بن كعب وكلّ ذلك لم يكن، فما هناك سوى التّوقيف.

والدّليل على أنّه اجتهاديّ ما جاء في صحيح مسلم عن حُذَيْفة قال:... [وذكر كما تقدّم في هذا النّصّ آنفًا].

فكونه ﷺ قرأ النّساء أوّلاً ثمّ آل عمران فيه دليل على أنّ ترتيب سُوَر المُصْحَف من اجتهاد الصَّحابة، كما تقدّم ذلك من قول القاضي عِيَاض، وأنّ ترتيبها في الصّلاة ليس بواجب... [ثمّ ذكر رواية يوسف بن ماهك، نقلاً عن البخاريّ، كما تقدّم عنه، الرّقم ١٤ فقال:]

ففي قول عائشة للعراقيّ: وما يضرّك أيّه قرأتَ قبل، دليل على أنّ ترتيب السُّوَر في التّلاوة ليس بواجب، وهو كذلك في جميع المذاهب، فإنّه يجوز ترك ترتيبها في الصّلاة والتّلاوة والدّرس، لأنّ كلّ سورة مستقلّة بذاتها مستوفية لآياتها، ويفهم من هذا الحديث أنّ النّاس كانوا يقرأون القرآن ويكتبونه من غير ترتيب لسُوَره، حتّى جمع عُثمان مُصْحَفه وحمل النّاس عليه.

فلو كان ترتيب المُصْحَف توقيفيًّا لم يختلف ترتيب السُّوَر في مصاحف كبار الصَّحابة كعليّ بن أبي طالب وأُبيّ بن كعب، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن مسعود، ومُعاذ بن جَبَل، وعائشة أُمّ المؤمنين وزيد بن ثابت، فكلّ واحد من هؤلاء كتب مُصْحَفه على عهد رسول الله ﷺ.

فمُصْحَف عليّ كان أوّله: اقرأ، ثمّ المدّثّر، ثمّ نٓ، وهكذا إلى آخر المكّيّ والمدنيّ.
ومُصْحَف ابن مسعود كان أوّله: البقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران على اختلاف شديد. وقد

ذكر ابن النَّديم في كتابه «الفهرست» ترتيب سُوَر مصاحف بعض الصَّحابة، كما ذكره أيضًا السُّيوطيّ في كتابه: «الإتقان»، فراجعهما إن شئت[1].

فلو كان هناك أمر صريح أو إشارة خفيّة من النّبيّ ﷺ في ترتيب سُوَر المُصْحَف، لما عَزَب ذلك على هؤلاء، وهم من أجلّاء الصَّحابة وأكثرهم اتّصالاً به (عنه الصّلاة والسّلام)...[ثمّ ذكر عدد المصاحف الّتي بعثها عُثمان في الأمصار كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥٣ و ٥٥]. (٧١ ـ ٧٩)

١ ـ راجع الجزء الثّاني من هذا الكتاب في قسم الجداول. (م).

الفصل الثّالث والأربعون

نصّ أبوريّة (م: ١٣٩٠) في «أضواء على السُّنّة المحمّديّة»

جمع القرآن وسببه

قضى رسول الله ولم يكن القرآن جمع في شيء وذلكأنّه كان في الصُّدُور، وفيما كتب متفرّقًا في عهد النّبيّ، ولمّا تولّى أبوبكر، ونشبت حرب الرِّدَّة، وقُتِل فيها كثير من الصَّحابة، خشي عمر من ضياع القرآن بموت الصَّحابة، فدخل على أبي بكر وقال له: إنّ أصحاب رسول الله باليَمامة يتهافَتُون تهافت الفراش في النّار، وإنّي أخشى ألّا يشهدوا موطنًا إلّا فعلوا ذلك، حتّى يُقتلوا وهم حملة القرآن[1]، فيضيع القرآن وينسى، ولو جمعته وكتبته، فنفر منها أبو بكر، ولمّا تراجعا أرسل أبوبكر إلى زيد بن ثابت وقال له... [وذكر **كما تقدّم عن البُخاريّ، الرّقم ١ و ٢ ثمّ قال:]**

وقد اختصّ أبوبكر زيدًا بذلك، لأنّه من كُتّاب الوحي، وكان حافظًا للقرآن، وهذا الجمع هو ضمّ متفرّق القُرآن من صُحُف، لتكون هذه الصُّحُف في مُصْحَف.

---

١ ـ ممّا يلفت النّظر البعيد، ويسترعي العقل الرّشيد، أنّ عمر لمّا راعه تهافت الصّحابة في حرب اليَمامة تهافت الفراش في النّار، وفزع إلى أبي بكر، لكي يسارع إلى جمع القرآن وكتابته، لم يقل عنهم: إنّهم حملة الحديث، بل قال: إنّهم حملة القرآن، ولم يطلب جمع الحديث وكتابته عندما فزع إلى أبي بكر، بل جعل همّه في جمع القرآن وحده وكتابته، ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب، بل إنّنا لم نجدهم وهم يجمعون القرآن ويكتبونه ـ وكان ذلك على عين الصّحابة جميعًا ـ قد اقترح واحد منهم أن يجمعوا الحديث ويكتبونه، بل انحصَرَت عنايتهم جميعًا في جمع القرآن فحسب، وفي ذلك أقوى الأدلّة وأصدق البراهين على أنّهم لم يكونوا يعنون بأمر كتابة الحديث، ولا أن يكون لهم فيه كتاب محفوظ، يبقى على وجه الدّهر كالقرآن الكريم.

تحرّيهم في جمع القرآن

لمّا اتّفق الرّأي على جمع القرآن و تدوينه قام عمر في النّاس وقال: من تلقّى من رسول الله شيئًا من القرآن فليأت به. وقال أبو بكر لعمر وزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه؛ وكان عمر ـ كما علمت ـ لا يقبل من أحد حديثًا عن رسول الله حتّى يشهد شاهدان على أنّهما قد تلقّياه من النّبيّ، وعهدوا إلى بلال أن ينادي بأنحاء المدينة؛ أنّ من كان عنده قطعة عليها شيء من كتاب الله فليأت بها إلى الجامع و ليسلّمها إلى الكتبة.

قال أبو شَامَة: وكان غرضهم ألّا يكتب إلّا من عين ما كتب بين يدي النّبيّ لا من مجرّد الحفظ، ولذلك قال زيد في آخر سورة التّوبة: لم أجدهامع غيره ـ أي لم أجدها مكتوبة مع غيره ـ لأنّه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة.

وقد روى ابن وَهْب في موطّئه عن مالك عن ابن شِهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر أنّه قال: قد جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وبذلك يكون أبو بكر هو أوّل من جمع القرآن في الصُّحُف، وهذا هو الجمع الأوّل.

هذا ما أمكن نشره هنا الحيز في هذا الحيّز الضّيّق من الكلام في موضوع كتابة القرآن الكريم، ولم نعرض لشيء من التّفصيل عمّا جاء في هذا الأمر الخطير الّذي تشعّبت فيه الرّواية، واختلف فيها كلام الرُّواة، لأنّ ذلك ليس من همّنا، ولا هو من موضوع كتابنا، و من شاء أن يقف على كلّ ما قيل في هذا الأمر فليرجع إلى كتاب «الإتقان» للسّيوطيّ، وكتاب «التّبيان» للجزائريّ، والجزء الأوّل من «البيان في تفسير القرآن» للعلّامة المحقّق الكبير السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ.[١]

و هذا الكتاب وحده كافٍ في بيان هذا الأمر، لأنّ مؤلّفه الجليل قد درسه درسًا وافيًا، و فصّل فيه القول تفصيلاً بحيث لا تجد مثله في كتاب آخر، حتّى ليجب على كلّ مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علمًا و معرفةً.

---

١ ـ راجع نصّه (قدّس سرّه) في الفصل الخامس والأربعين.(م)

غريبة توجب الحيرة

من أغرب الأُمور، و ممّا يدعو إلى الحيرة أنّهم لم يذكروا اسم عليّ عليه السلام فيمن عهد إليهم بجمع القرآن و كتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عُثمان! و يذكرون غيره ممّن هم أقلّ منه درجة في العلم والفقه! فهل كان عليّ لا يحسن شيئًا من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممّن لا يصحّ استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟

اللّهمّ إنّ العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون عليّ أوّل من يعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يشارك فيه، و ذلك بما أُتيح له من صفات و مزايا لم تتهيّأ لغيره من بين الصَّحابة جميعًا، فقد ربّاه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على عينه، وعاش زمنًا طويلاً تحت كنفه، و شهد الوحي من أوّل نزوله إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يُندَّ عنه آية من آياته!!

فإذا لم يدع إلى هذا الأمر الخطير فإلى أيّ شيء يدعى؟!

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطّيهم إيّاه في أمر خلافة أبي بكر، فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأيّ شيءٍ يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟ فبماذا نعلّل ذلك؟ و بماذا يحكم القاضي العادل فيه؟ حقًّا إنّ الأمر لعجيب، وماعلينا إلّا أن نقول كلمة لا نملك غيرها وهي: لك الله يا عليّ! ما أنصفوك في شيء!

الجمع الثّاني في عهد عُثمان

لبثت الصُّحُف الّتي كتبت في عهد أبي بكر عنده إلى أن قضى نحبه رضي الله عنه ثمّ حفظت عند عمر مدّة ولايته، وقبل موته دفع بها إلى ابنته حَفْصَة، و ظلّت عندها حتّى طلبها عُثمان، ليراجعوا عليها المُصْحَف الّذي كتب في عهده.

كتابة القرآن في عهد عُثمان

ماكاد عمر رضي الله عنه ينقلب إلى ربّه، ويتولّى عُثمان الخلافة، حتّى أخذ أمر المسلمين يتحوّل، واختلف المسلمون حتّى في قراءة القرآن.

[ثمّ ذكر رواية أبي قِلابة عن الطَّبَريّ و رواية حُذَيْفة بن اليَمان عن البُخاريّ، كما تقدّم عنهما الرّقم ٣، ٤، ثمّ نقل أيضًا رُؤية حُذَيْفَة و مقداد عن اختلاف قراءة أهل حِمْص و دمشق عن ابن الأثير، و رواية عُمّارة بن غَزِّيّة عن ابن حَجَر، كما تقدّم عنهما، فقال:]

ولمّا بلغ كلّ ذلك عُثمان و رأى الأمر قد حزب، أرسل إلى حَـفْصَة[١] ابـنة عـمر: أن أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها في المصاحف... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ، الرّقم ٤، ثمّ ذكر قول ابن التّين في الفرق بين جمع أبي بكر و جمع عُثمان، كما تقدّم عن ابن حَجَر].

عدد المصاحف الّتي أرسلها عُثمان إلى الآفاق

اختلف في عدّة المصاحف الّتي أمر عُثمان بكتابتها، والمشهور أنّها كانت خمسة، أرسل أربعة منها إلى الآفاق، وأمسك عنده واحدًا منها.

هذه لمعة ضئيلة ممّا جمعناه في هذا البحث رأينا إيرادها هنا، ولعلّ الله يُهيّئ لنا نشر البحث الطّويل الّذي أعددناه لكتاب برأسه في هذا الموضوع الجليل، لينتفع به المسلمون خاصّة، والمعنيّون بالمباحث الإسلاميّة عامّة.

وقفة قصيرة

ولا بدّ لي هنا من أن أقف وقفة قصيرة أستعلن فيها ما عراني من حيرة فيما أوردوه من أنباء هذا الجمع، وما فيها من تناقض كثير. فنبأ يقول: إنّ عمر هو الّذي فزع إلى أبي بكر في هذا الجمع، و خبر يقول: إنّ هذا الجمع لم يكن في عهد أبي بكر، و إنّما هو عمر الّذي تولّاه، ورواية ثالثة تفيد أنّ عمر قد قتل قبل أن يكمل هذا الجمع، و أنّ عُثمان هو الّذي

---

١ ـ كانت حَفْصَة (رضي الله عنها) وصيّة من قبل أبيها عمر على أوقافه وتركته، و يبدو أنّ عمر كان لا يثق بابنه عبدالله، فقد روى السُّيوطيّ في كتابه «تاريخ الخُلفاء» قال: أخرج النّخعيّ: أنّ رجلاً قال لعمر: ألا تخلّف عبدالله بن عمر؟ فقال له: قاتلك الله! والله ما أردت الله بهذا! أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته؟ (ص٩٨) وقد ثبت عنه أنّه قال: لو كان سالم مولى حُذَيْفة حيًّا لولّيته (سير أعلام النّبلاء ١: ١٢٣). أمّا خبر هذا الطّلاق الّذي أشار إليه عمر فقد رواه البُخاريّ عن نافع عن عبدالله بن عمر: أنّه طلّق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: مرّة فليراجعها ثمّ ليمسكها حتّى تَطهر، ثمّ تَحيض ثمّ تَطهر، ثمّ إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلّق قبل أن يمسّ، فتلك العدّة الّتي أمر الله أن يطلّق لها النّساء (فتح الباري ٩: ٢٨٨) وقد ذكر ابن دقيق العيد: أنّ النّبيّ ﷺ تغيّظ ممّا فعل ابن عمر.

أتمّه، وثمّ روايات أُخرى كثيرة تحمل مثل هذا التّناقض، لا نتوسّع بإيرادها.

ونحن لو أخذنا بالأخبار المشهورة الّتي رواها البُخاريّ، وهي الّتي فزع فيها عمر إلى أبي بكر ،لكي يجمع القرآن، لمّا رأى القتل قد استحرّ في وقعة اليَمامة، و أنّه قد قتل فيها من الصَّحابة مئات، وهم حملة القرآن، وإذا استمرّ الأمر على ذلك فإنّ القرآن يضيع ويُنسىٰ!

لو نحن أخذنا بهذا النّبأ فإنّه يتبيّن منه أنّ الصَّحابة وحدهم هم الّذين كانوا في هذا العهد يحملون القرآن، فإذا ما ماتوا أو قتلوا ضاع القرآن ونُسي، و أنّه ليس هناك مصدر آخر يحفظ القرآن على مدّ الزّمان، إذ كانوا مادّته و كانوا كُتّابه!

على حين ذكروا قبل ذلك في أخبار وثيقة يرضى بها العقل ويؤيّدها العلم: أنّ النّبيّ ﷺ كان يكتب كلّ ما ينزل عليه من قرآن وقت نزوله على العُسُب واللِّخاف و قطع الأديم و غيرها، وأنّه اتّخذ لذلك كتابًا أحصى التّاريخ أسماءهم، فأين ذهبت هذه النّسخة الّتي لا يشكّ فيها أحد، ولا يمتري فيها إنسان؟ لأنّها هي الّتي حفظ الله بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[1] و في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ﴾[2].

إنّ هذه النّسخة الفريدة الّتي تحمل الصّورة الصّحيحة للقرآن الّتي ستبقى على وجه الزّمن خالدة، لوكانت موجودة لأغنتهم عمّا وجدوه في سبيل عملهم من عناء، ولأصبحت هي المرجع الأوّل للقرآن في كلّ عَصْرٍ و مِصْرٍ، والّتي كان يجب على عُثمان أن يراجع عليها مصاحفه الّتي كتبها قبل أن يوزّعها على الأمصار.

تعقيب لا بدّ منه

وإذا كانوا ـ كما قلنا ـ قد أوفوا على الغاية من التّحقيق في كتابة القرآن الكريم و حفظه، حتّى لا يستطيع أحد أن يماري في ذلك، أو يحيك بصدره شيءٌ من الرّيب فيه،

---

١ ـ الحِجْر/٩.

٢ ـ القيامة/١٧.

فقد قامت حول هذا الأمر الخطير أُمور سمّوها مشكلات، نرى من الواجب أن نشير إلى بعضها، حتّى لا يأخذ علينا أحد أنّنا قد أغفلنا شيئًا ممّا يجب أن يعلمه قُرّاء كتابنا عن الرّواية و ما جنت، وهو ما يتّصل بموضوعنا، «وفي كلّ وادٍ أثر من ثعلبة»!

قال العلّامة طاهر الجزائريّ في كتابه «التّبيان»،[1] و هو يتكلّم عن وجوب تواتُر القرآن و ما ورد على ذلك من مشكلات. وهنا مشكلات ترد على أصل وجوب تواتُرالقرآن، نذكرها مع الجواب عنها:

المشكل الأوّل: نقل عن ابن مسعود أنّه كان ينكر سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن، و قد أنكر صحّة النّقل عنه كثير من العُلماء...[ثمّ ذكر قول النَّوَوِيّ و ابن حَزْم، كما تقدّم عن الزُّرْقانيّ].

وقال ابن حَجَر في شرح البُخاريّ قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد و ابن حَبان عنه: أنّه كان لا يكتب المعوّذتين في مُصْحَفه، و بعد أن أورد كلّ الرّوايات الّتي جاءت في أنّ ابن مسعود كان يُحكّ المعوّذتين من مصاحفه. قال (ابن حَجَر): فقول من قال: إنّه كذب عليه مردود، والطّعن في الرّوايات الصّحيحة بغير مستند لا يقبل!!

وقال ابن قُتَيْبة في مُشكل القرآن: ظنّ ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن، لأنّه رأى النّبيّ ﷺ يعوّذ بهما الحسن والحسين، فأقام على ظنّه ولا نقول: إنّه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار. و أمّا إسقاطه الفاتحة من مُصْحَفه فليس لظنّه أنّها ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنّه ذهب إلى أنّ القرآن إنّما كتب وجمع بين اللّوحين مخافة الشّكّ والنّسيان والزّيادة والنُّقصان، ورأى أنّ ذلك مأمون في سورة الحمد، لقصرها و وجوب تعلّمها على كلّ أحد...

و ممّا يشاكل ما نقل عن ابن مسعود، ما نقل عن أُبيّ بن كعب: أنّه كتب في مُصْحَفه سورتين تسمّيان سورتي الخَلْع والحَفْد، كان يقنت بهما. [ثمّ ذكر سورة الخَلْع والحَفْد وقول الباقِلّانيّ في ذلك، كما تقدّم عن الزُّرقانيّ].

---

١ ـ ص٩٦ ـ١٠١، وكتاب التّبيان هو مهذّب كتاب «الإتقان» للسّيوطيّ.

المشكل الثّاني: نقل عن زيد بن ثابت أنّه قال في أثناء ذكره لحديث جمع القرآن في المُصْحَف ـ وهوالجمع الأوّل ـ وكان ذلك في عهد أبي بكر الصّدّيق: فقمت فتتبّعت القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُسُب... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٢ ثمّ قال:]

وقد وقع هذا في الجمع الثّاني، وكان ذلك في عهد عُثمان، وقد اختلف المتكلّمون في ذلك، فقال بعضهم: إنّ هذا الخبر ـ و إن كان مخرجًا في الصّحيحين ـ غير صحيح، لاقتضائه أنّ الآيات الثّلاث المذكورة قد ثبتت بغير طريق التّواتُر، و هو خلاف ما يقتضيه الدّليل المذكور. وقال بعضهم: ليس في الخبر المذكور ما يقتضي ثبوت الآيات المذكورة بغير طريق التّواتُر، لاحتمال أن يكون زيد قد أراد بقوله: لم أجدها مع غير فلان، لم أجدها مكتوبة عند غيره، وهو لا يقتضي أنّه لم يجدها محفوظة عند غيره. و قال بعضهم: إنّ الدّليل المذكور إنّما يقتضي كون القرآن قد نقل على وجه يفيد العلم، وإفادة العلم قد تكون بغير طريق التّواتُر، فإنّ في أخبار الآحاد ما يفيد العلم، وهي الأخبار الّتي احتفت بها قرائن توجب ذلك. وعلى هذا فنحن لا نستبعد أن يكون في القرآن ما نقل على هذا الوجه، و ذلك كالآيات الثّلاث المذكورة، إذ المطلوب حصول العلم على أيّ وجه كان، وقد حصل بهذا الوجه.

وهذا القول في غاية القوّة والمتانة، ولا يرد عليه شيءٌ ممّا يرد على من أفرط في هذا الأمر أو فرّط عليه.

المشكل الثّالث: روى البُخاريّ عن قَتادة أنّه قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١١، فقال:]

و فيه مخالفة الحديث قَتادة وجهين: التّصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر ذكر أبا الدَّرداء بدل أُبيّ بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمّة الحصر في الأربعة... [ثمّ ذكر قول المَازِريّ، كما تقدّم عن ابن حَجَر].

و أخرج النّسائيّ بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنّه قال: جمعت القرآن فقرأت به

كلّ ليلة[١]، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: اقرأه في شهر ... الحديث.

و أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمّد بن كعب القُرَظيّ، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جَبَل، وعُبَادَة بن الصّامت، و أُبيّ بن كعب، و أبو الدَّرداء، و أبو أيّوب الأنصاريّ.

وقد اعترض الإسماعيليّ على إخراج حديثي أنس معًا في الصّحيح مع اختلافهما فقال: هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوز أن يكونا في الصّحيح مع تباينهما، بل الصّحيح أحدهما. وجزم البَيْهَقيّ بأنّ ذكر أبي الدَّرداء وهم، والصّواب أُبيّ بن كعب. و قال الدّاوديّ: لا أرى ذكر أبي الدَّرداء محفوظًا، و الصّحيح هو الرّواية الأُولى. و أمّا الرّواية الثّانية فالظّاهر أنّ بعض الرُّواة «رواها بالمعنى»، فزاد فيها الحصر، لتوهّمه أنّه مراد، وذهل في ذكر الأسماء، فأبدل اسم أُبيّ بن كعب باسم أبي الدَّرداء! و من أمعن النّظر في أمر الرّواية بالمعنى لم يستبعد ذلك. ما نقلناه من كتاب «التّبيان».

ولم يقف فعل الرّواية عند ذلك، بل تمادت إلى ما هو أخطر من ذلك، حتّى زعمت أنّ في القرآن نقصًا ولحنًا وغير ذلك ممّا أورد في كتب السّنّة، ولو شئنا أن نأتي به كلّه هنا لطال الكلام. ولكنّا نكتفي بمثالين ممّا قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كُتُب السّنّة العامّة، بل ممّا حمله الصّحيحان، ورواه الشّيخان البُخاريّ و مُسلم.

أخرج البُخاريّ وغيره عن عمر بن الخطّاب أنّه قال ـ وهو على المنبر: إنّ الله بعث محمّدًا بالحقّ نبيًّا، و نزل عليه الكتاب... [و ذكر كما تقدّم عن العاصميّ].

وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعريّ إلى قُرّاء أهل البَصْرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البَصْرة وقُرّاؤهم، ولا يطولنّ عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إنّا كنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها في الطُّول والشّدّة ببراءة فأنسيتها، غير أنّي قد حفظت منها «لوكان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التّراب»،

---

١ ـ هل هذا ممكن؟ إنّ الشّكّ ليبدو على هذا الخبر.

وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها:«يا أيّـها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعـناقكم فـتسألون عـنها يـوم القيامة».

نجتزئ بما أوردنا، وهو كافٍ هنا لبيان كيف تفعل الرّواية حتّى في الكـتاب الأوّل للمسلمين وهو القرآن الكريم؟! ولا ندري كيف تذهب هذه الرّوايات الّتي تـفصح بأنّ القرآن فيه نقص، و تحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ اِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] و أيّهما نصدّق؟! اللّهم إنّ هذا أمر عجيب، يجب أن يتدبّره أُولُو الألباب.

(٢٤٧ ـ ٢٥٧)

١ ـ الحِجر /٩.

الفصل الرّابع والأربعون

نصّ أبي زُهْرة (م: ١٣٩٥) في «المعجزة الكُبرى»

جمع القرآن الكريم بعد الرّسول ﷺ

[١ـ جمع القرآن في عصر أبي بكر]

ـ انتقل النّبيّ ﷺ إلى الرّفيق الأعلى، وقد حفظ عدد كبير من الصَّحابة ـ يبلغ حدّ التّواتُر ـ القرآن كلّه كاملاً غير منقوص، لم يتركوا منه كلمة إلّا حفظوها، وعلموا أين نزلت، ومتى نزلت، وعلموا معناها من صاحب الرّسالة ﷺ، حتّى أنّه ليروى عن عُثمان بن عَفّان أنّه كان يقول: كنّا إذا حفظنا عشر آيات من القرآن سألنا الرّسول ﷺ عن معناها، فيبيّنها لنا.

ترك الرّسول لصحابته القرآن، وهو أعظم ثروةً إنسانيّة مُثْرِية في هذا الوجود، وقد أدركوا حقّ الأمانة وأنّهم حاملوها إلى الأخلاف من بعدهم كاملة كما تسلّموها، فكان حرصهم عليها أشدّ من حرصهم على أنفسهم، لأنّهم فانون وهي الباقية، وهي تراث النُّبوّة، وسجلّ الرّسالات الإلٰهيّة، لذلك كانوا يحافظون عليها وعلى الّذين حملوها في صُدورهم.

ولقد هال عمر بن الخطّاب أنّه قد استحرّ القتال بين المؤمنين الأوّلين ـ وكثير منهم من حفظة القرآن الكريم ـ وبين أهل الرِّدّة في موقعة اليَمامة وقتل منهم فيما قيل: سبعمائة، كما جاء في الجامع الكبير للقُرطُبيّ فأشار عمر بن الخطّاب ؓ على أبي بكر بجمع القرآن، مخافة أن يموت أشياخ القُرّاء كأُبيّ وابن مسعود وزيد، فَندَبا زيد بن ثابت إلى ذلك، فجمعه بعد تعب شديد... **[ثمّ ذكر رواية البُخاريّ عن زيد بن ثابت، كما تقدّم عنه**

الرّقم ١ و ٢، فقال:]

اختار أبو بكر كماترى في رواية البُخاريّ و رواية غيره من أصحاب الصّحاح زيدًا، ليقوم مع من يستعين به من حفظة القرآن، وكان اختياره لزيد لأسباب:

أوّلها ـ ـ ما اشتهر به بين الصّحابة من العلم والفقه.

وثانيها ـ لأنّه من كتبة الوحي الملازمين، لا الّذين كتبوا مرّةً أو مرّتين و أخذوا لقب كاتب الوحي شرفًا.

وثالثها ـ أنّه ممّن حفظوا القرآن وجمعوه في صُدورهم، فكان حقيقًا أن يجمعه مسطورًا بعد أن جمعه محفوظًا.

ورابعها ـ أنّه عرض القرآن على النّبيّ ﷺ إلى الرّفيق الأعلى كما قدّمنا.

حمل زيد ما هو أشدّ حملاً من الجبال، لأنّه يحمل أثقل موازين الهداية في هذا الوجود الإنسانيّ، و هو وديعة الله تعالى إلى الوجود الإنسانيّ إلى أن تزول السّماوات والأرض.

وما كان لمن يحمل مثل هذا الحمل أن ينفرد بالعبء، فقد استعان بالحفظة الكرام من صحابة النّبيّ الأعلام، وسلك في سبيل الجمع الخطّة المُثلى، فما كان ليعتمد على حفظه، و إنّه لحافظ، ولا على حفظ من استعان بهم، و إنّهم لحُفّاظ أُمناء، و لكنّه كان لا بدّ أن يعتمد على أمر مادّيّ، يرى بالحسّ لا يحفظ بالقلب وحده، فكان لا بدّ أن يرى ما حفظه مكتوبًا في عصر النّبيّ ﷺ، و أن يشهد شاهدان بأنّهما هكذا رأوا ذلك المكتوب في عصرالنّبيّ ﷺ و بإملائه عليه الصّلاة، وقد تتبّع القرآن بذلك آية آية، لا يكتب إلّا ما رآهُ مكتوبًا عن النّبيّ ﷺ في عهده، و يشهد شاهدان أنّهما هكذا رأيا ذلك المكتوب في عهد النّبيّ ﷺ و نقلاه، أو يرى ذلك المكتوب عند اثنين، فهو شهادة كاملة منهما، و قد حصل على القرآن كلّه مكتوبًا بنصاب الشّهادة في عصر النّبيّ ﷺ، فما كان إلّا أن نقل المكتوب في عصر النّبيّ ﷺ، ولكنّه وجد آيتين لم يشهد اثنان بأنّهما كتبتا في عصر النّبيّ ﷺ، بل شهد واحد فقط، وهو خُزَيْمة بن ثابت الأنصاريّ، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1] لم يجدهما إلّا عند خُزَيْمة، و قد قال له النّبيّ ﷺ تكريمًا له: شهادتك باثنين.

وروي أنّه لم يجد آية أُخرى إلّا عند خُزَيْمة، وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.[2]

هذا هو السّلك الّذي سلكه المؤمن الحافظ الّذي اختاره أبو بكر لحمل التّبعة مع من اختار، ولنترك الكلمة له ـ أي لزيد ـ فهو يشير إلى ما سلكه فهو يقول فيما رواه البُخاريّ: «قمت فتتبّعت القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُسُب و صُدور الرّجال حتّى وجدت آيتين من سورة التّوبة مع خُزَيمة الأنصاريّ، لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، والآية الأُخرى الّتي لم يجدها إلّا عند خُزَيمة أيضًا جاء فيها عنه في رواية البُخاريّ أيضًا: وعن زيد بن ثابت لمّا نسختنا في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلّا مع خُزَيمة الأنصاريّ الّذي جعل الله تعالى شهادته بشهادة رَجُلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾. و قد علّق على ذلك القُرطُبيّ، فكانت الأُولى من سورة براءة في الجمع الأوّل على ما قاله البُخاريّ والتِّرمِذيّ، وفي الجمع الثّاني فقدت آية من سورة الأحزاب.

و هذا يدلّ على أنّ الجمع الثّاني اتّبع فيه ما اتّبع في الجمع الأوّل بالبحث عن الآيات مكتوبة في عصر النّبيّ ﷺ، و أن يشهد اثنان بكتابتها في عصره، أو توجد عند اثنين، فوجودها عندهما شهادتان، والجمع الثّاني كان في عهد عُثمان.

ولكن قد يسأل سائل: لماذا كان نِصاب الشّهادة كاملاً في الجمع الّذي حدث في عهد أبي بكر، ثمّ لم يوجد النِّصاب في بعض الآي عند الجمع الثّاني؟

نقول: إن فرض ذلك يتحقّق بغياب أحد ركني النّصاب عن المدينة، أو موته، و لكنّ

---

١ ـ التّوبة /١٢٨ـ١٢٩.

٢ ـ الأحزاب /٢٣.

الله تعالى حافظ كتابه في هذا الوجود كوعده بحفظه، و إنّه منجّز ماوعد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَـزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، ولذلك كان الشّاهد في الثّاني هو الشّاهد في الأوّل، وهو خُزَيمة الأنصاريّ الّذي جعل النّبيّ ﷺ شهادته باثنين، فالنّاصب كان كاملاً.

ولا نترك الكلام في هذا العمل الجليل الّذي اشترك فيه أبو بكر وعمر، و حمل عباه زيد بن ثابت مع جمع من المهاجرين و الأنصار، من غير أن تقرّر حقيقتين ثابتتين، تدلّان على إجماع الأُمّة كلّها على حماية القرآن الكريم من التّحريف والتّغيير والتّبديل، و أنّه مصون بصيانة الله سبحانه و تعالى له، و محفوظ بحفظه، وإلهام المؤمنين بـالقيام عـليه وحياطته:

الأُولى ـ أنّ عمل زيد رضي الله عنه لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنّه إعادة لمكتوب، فقد كتب كلّه في عصر النّبيّ ﷺ و عمل زيد الابتدائيّ هوالبحث عن الرِّقاع والعظام الّتي كان قد كتب عليها والتّأكّد من سلامتها بأمرين: بشهادة اثنين على الرُّقعة الّـتي تُـوجد فـيها الآيـة أوالآيتان أو الآيات، و بحفظ زيد نفسه و بالحافظين من الصّحابة، و قد كانوا الجمّ الغفير والعدد الكبير، فما كان لأحد أن يقول: إنّ زيدًا كتب من غير أصل مادّيّ قائم، بل أنّه أخذ من أصل قائم ثابت مادّيّ.

و بذلك نقرّر أنّ ما كتبه زيد هو تمامًا ما كتب في عصر النّبيّ ﷺ، و أنّه ليس كتابة زيد، بل هو ما كتب في عصره (عليه الصّلاة والسّلام) و ما أملاه، و ما حفظه الرّوح القُدُس.

وإذا كان ما كتبه عُثمان من بعد ذلك قد قوبل بما كتب في عصر النّبيّ ﷺ، فالمُصْحَف العُثمانيّ الّذي بقي بخطّه إلى اليوم هو مطابق تمام المطابقة لما كتب في عصرالنّـبيّ ﷺ، و أنّه يجب ألّا يخرج عنه قارئ في قراءة بزيادة حرف أو نقص، قـد تكـون القـراءات متغيّرة في أصوات المقروء وأشكال النّطق، ولكن لا يمكن أن تكون متغيّرة بـزيادة أو نقص، فذلك هو الخروج عن الرّسم الّذي وضع في عصر محمّد ﷺ بإقراره عليه الصّـلاة والسّلام.

---

١ ـ الحجر/٩.

والثّاني ـ أنّ عمل زيد لم يكن عملاً آحاديًّا، بل كان عملاً جماعيًّا من مشيخة صحابة رسول الله ﷺ، ذلك أنّ زيدًا بطبيعة عمله أعلن بين النّاس مايريد، ليأتيه كلّ من عنده من القرآن ماهو مكتوب بما عنده، وقد علموا مقدار ما ينبغي لكتاب الله من عناية، فذهبوا إليه و ذهب إليهم، وتضافر معه من كانوا يعاونونه غير مدّخرين جهدًا إلّا بذلوه في عناية المؤمن بكتاب الله تعالى الّذي يؤمن به... [إلى أن قال:]

[٢ ـ جمع القرآن في عصر عُثمان]

وما كان اختلاف القُرّاء في الأمصار في عهد عُثمان في هذه القراءات المشهورة بيننا الآن، إنّما كان الاختلاف في اللّغات الّتي كان مرخّصًا بها، فمنهم من لم يعلم نسخها عند قراءة جبرئيل للنّبيّ ﷺ في العرضات الأخيرة.

لقد اشتدّ الأمر في ذلك، و عظم اختلافهم و تشبّث كلّ فريق بما يقرأ، زاعمًا أنّ غيره هو الباطل الّذي لاريب فيه، ووقع الخلاف بين أهل العراق و أهل الشّام عندما اجتمعوا في غَزْوة أرمينيّة، فقرأت كلّ طائفة بما رُوي لها، وتنازعوا أمرهم بينهم، و أظهر بعضهم تكفير بعض، و تبرّأ بعضهم، وكان معهم حُذَيفة بن اليَمان كما ذكر البُخاريّ والتِّرمِذيّ... [كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ٤، إلى أن قال:]

لقد أحضر النّسخة المحفوظة عند أُمّ المؤمنين حَفْصَة، لتكون الإمام الّذي يحتكم إليه فيما هو مقدّم عليه، و جمع من الصّحابة الحافظين الكرام بضعة على رأسهم زيد بن ثابت الجامع الأوّل، والثّقة الثّبت الّذي كان له فضل التّثبّت في كلّ كلمة و آية.

وقد قال له عُثمان ﷺ عندما ندبه لذلك العمل الجليل: إنّي مدخل معك رجلاً فصيحًا لبيبًا فاكتباه، و ما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ. فجعل معه أبان و سعيد بن العاص، فلمّا بلغا في الكتابة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهِ اَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1]، قال زيد: فقلت: التّابوه، وقال سعيد بن العاص: التّابوت، فرفعنا الأمر إلى عُثمان، فكتب التّابوت.

---

١ ـ البقرة /٢٤٨.

وكان جملة من ضمّهم إلى زيد ثلاث هم: عبد الله بن الزُّبَير و سعيد بن العاص الّذي ذكرناه وعبد الرّحمان بن الحارث، و قال لهذا الرَّهط من قُريش: ما اختلفتم فيه أنتم و زيد، فاكتبوه بلسان قُريش، فإنّه نزل بلسانهم.

و يظهر إنّ سيّدنا عُثمان لم يكتف بهؤلاء الأربعة، بل كان يضمّ إلى معاونتهم من يكون عنده علم بالقرآن يعاونهم في كتابته، ولقد روى ابن عساكِر: أنّ عُثمان دعا إلى هذه المعاونة فقال: أنّ عُثمان خطب يومئذٍ في النّاس، و عزم على كلّ رجل عنده شيء من كتاب الله لماجاء به، و يقول ابن عساكِر: فكان الرّجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتّى جمع من ذلك كثرة، ثمّ دعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: أسمعت رسول الله ﷺ و هو أملاه عليك؟ و هكذا كان يتثبّت في الرّواية، كما كان التّثبّت من زيد و من معه، والّذي كتب المُصْحَف الأوّل الّذي أودع أُمّ المؤمنين حَفْصَة (رضي الله عنها) و عن أبيها فاروق الإسلام.

وقد أتمّ زيد و من معه جمع القرآن، و لكنّ عُثمان لا يكتفي، بل إنّه يسير في الاستيثاق إلى أقصى مداه، فيحضر مُصْحَف أُمّ المؤمنين حَفْصَة، ويعرض المُصْحَف الجديد، فيجدهما يتوافقان تمام التّوافق، لا يزيد أحدهما عن الآخر حرفًا ولا ينقص عنه، حتّى لقد فهم بعض العُلماء أنّ جمع عُثمان كان نسخًا لما جاء في الصُّحُف المحفوظة عند أُمّ المؤمنين حَفْصَة (رضي الله عنها) و عن أبيها الفاروق، وجاء ذكر ذلك في بعض الرّوايات تسامحًا، ولكنّ الحقيقة أنّه ما كان نسخًا، بل قام بالتَّحرّيات كلّها، حتّى جمع ما جمع، وكان التّوافق الكامل الّذي بذل دلالة قاطعة على صدق الجمعين، وعلى تواتُر القرآن الكريم مكتوبًا و محفوظًا، و بذلك حفظه الله تعالى وصانه.

ولقد قال الطَّبَريّ: إنّ الصُّحُف الّتي كانت عند حَفْصَة جعلت إمامًا في هذا الجمع الأخير، و يقول القُرطُبيّ: «هذا صحيح». و معنى صحّته أنّه بعد الجمع قام به زيد بأمر عُثمان، و عاونه المؤمنون الحافظون، قد روجع على مُصْحَف حَفْصَة (رضي الله عنها)، وكانت هي المقياس لصحّته، فبالمقابلة بينهما بعد الجمع تبيّنت صحّتهما بصفة قاطعة لا

ريب فيها. فكانت هذه الإمامة، حتّى ظنّ أنّه نسخ منها. ويلاحظ أمران؛

الأمر الأوّل ـ أنّ عُثمان رضي الله عنه كان غرضه من إعادة جمع المُصْحَف هو أن يكتبه على حرف واحد من الحروف السّبعة، أي اللّهجات واللّغات السّبع، فما كان جمعه إلّا لإثبات الحرف الباقي الّذي روي مكتوبًا عن النّبيّ ﷺ ليجتمع عليه المُسلمون، ولا يكونوا متفرّقين، وأن يكون ذلك موافقًا للمكتوب في عهد الرّسول ﷺ.

جاء في القُرطُبيّ: «قال كثير من علمائنا كالدّاوديّ، وابن أبي صفرة: هذه القراءات السّبع الّتي تنسب إلى هؤلاء القُرّاء السّبعة ليست هي الأحرف السّبعة الّتي اتّسعت الصّحابة في القراءة بها، وإنّما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السّبعة، وهو الّذي جمع عليه عُثمان، ذكره ابن النّحّاس وغيره».

الأمر الثّاني ـ أنّ عُثمان (رضي‌الله تبارك و تعالى عنه) حسم مادّة الفتنة بذلك الجمع، وعمل ما كان ينبغي أن يعمل، ولذلك نسخ من هذا الّذي جمعه نسخًا على قدر الأقاليم العربيّة، فأرسل إلى كلّ إقليم نسخة كانت هي الأصل لهذا الإقليم، فأرسل إلى مصر، وإلى الشّام، وإلى مكّة، واليَمن، والبَحرين، والبَصْرة، والكوفة، وحبس بالمدينة مُصْحَفًا كان هو الإمام لكلّ هذه النّسخ، وهو المرجع الأوّل في الدّولة، ترجع إليه كلّ المصاحف، وهو الحاكم عليها.

وإذا كان هو الأصل لكلّ هذه المصاحف فيجب القول بأنّه لا اختلاف بينها لأنّه الحكم، وأنّها صور لنسخة واحدة، ويلاحظ أنّ الإمام العظيم عُثمان قد كتب المُصْحَف خاليًا من النَّقْط والشَّكل، كما كان المُصْحَف الموجود عند حَفْصَة خاليًا من النَّقْط والشَّكل، ولم يكن نَقط وشَكل إلّا بعد ذلك. ولكن لماذا خلا من ذلك؟

والجواب عن ذلك: أنّ القرآن له قراءات مختلفة هي سبع قراءات، وليست هي الحروف كما ذكرنا من قبل، ولكي يكون المكتوب محتملاً لهذه القراءات المرويّة بطرق متواترة كلّها، كان لا بدّ أن يكون غير منقوط ولا مشكول، كما ذكرنا في اختلاف القراءة في أنفسكم، وكما ذكرنا في اختلاف القراءة في «فتبيّنوا»، وما كان يمكن أن يحتمل النّصّ

القراءتين إذا كان منقوطًا و مشكولاً.

و من جهة أُخرى: أنّ الأساس في تواتُر القرآن هو الحفظ في الصُّدور لا في السُّطور، حتّى لا يعتريه المحو والإثبات، فلو كان القرآن منقوطًا و مشكولاً لاستغنىٰ طالب القرآن عن أن يقرأه مقرئ، فلا يكون التّواتُر الصّحيح الّذي يقتضي الإجازة ممّن أقرأه، ولقد جاء التّحريف في الكتب الأُخرى، لاعتمادها على المكتوب في السُّطُور، لا المحفوظ في الصُّدُور.

و من جهة ثالثة: أنّ ترتيل القرآن ـ كما أثر عن النّبيّ ﷺ ـ لابدّ منه كما قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1]، و إنّ ذلك لا يتمّ إلّا إذا كان القرآن يقرأ على مقرئ يجيزه حفظًا و قراءةً و ترتيلاً.

و إنّ الرّواية الصَّحيحة بيّنة مستقيمة لا مجال للشّكّ فيها، وهي تدلّ على أُمور ثلاثة قطعيّة في ثبوتها وهي:

أوّلاً ـ على أنّ النّصّ الّذي كان عند حَفْصَة، هو النّصّ المكتوب في عصر النّبيّ ﷺ، وهو ذاته النّصّ المكتوب في مُصْحَف عُثمان رضي الله عنه فلا يصحّ الزّيادة عليه ولا يصحّ النّقص.

ثانيًا ـ على أنّ القرآن كتب بلُغة قُريش، وهي الحرف الّذي استقرّت القراءة عليه، و ما كان التّرخيص بالقراءة بالحروف الأُخرى إلّا مؤقّتًا، حتّى تطوّع الألسنة لحرف قُريش، ولقد جاء في القُرطُبيّ: «إنّ القرآن نزل بلُغة قُريش، معناه عندي في الأغلب والله أعلم، لأنّ غير لُغة قُريش موجود في صحيح القراءات من تحقيق الهمزة و نحوها، و قُريش لاتهمز».

و مؤدّى هذا الكلام أنّ الألفاظ والأساليب، والمنهج القرآنيّ أُنزل على لُغة قُريش، ولكنّ الحركات الّتي تعتري بُنية الكلمة من همز أو إمالة أو نحو ذلك جاء على لهجات من غير قُريش، و رويت كلّها عن النّبيّ ﷺ.

ثالثها ـ أنّ مُصْحَف عُثمان (رضي الله تبارك و تعالى عنه) يجب أن تكون كلّ قراءة

---

١ ـ الفُرقان /٣٢.

قرآنيّة متّفقة مع نصّه، و أنّ الشّكّ فيه كفر، و أنّ الزّيادة عليه لاتجوز، و أنّه القرآن المتواتر الخالد إلى يوم القيامة.

إذا كانت هذه حقائق ثوابتة تواترت في الأجيال، فلماذا كانت الرّوايات الغريبة البعيدة عن معنى تواتُر القرآن الكريم الّتي احتوتها بُطُون بعض الكتب كالبُرهان للزَّركَشيّ، والإتقان للسُّيوطيّ الّتي تجمع كما تجمع حاطب ليل ـ يجمع الحطب والأفاعي ـ مع أنّ القرآن كالبناء الشّامخ الأملس الّذي لا يعلق به غبار؟

قد أجاب عن ذلك الكاتب الكبير المسلم المرحوم مصطفى صادق الرّافعيّ، فقال في كتابه «إعجازالقرآن»: «ونحن ما رأينا الرّوايات تختلف في شيء من الأشياء... **[وذكر كما تقدّم عنه ثمّ قال :]**

وإنّ ذلك الّذي ذكره الكاتب الإسلاميّ الكبير حقّ لاريب فيه، فإنّ هذه الرّوايات الّتي جمعها من لا يفرّق بين الحابل والنّابل، و بين الحطب والأفعى، إنّما كانت بعد الفتن، ولعلّ للإسرائيليّات دورها الخفيّ المسموم، و أنّ الّذين تولّوها غُلاة الفِرق و الرُّواة الّذين لا يميّزون أو يغفلون ما لايُدركون.

ألم تر إلى أُولئك الغُلاة يطعنون في عُثمان ﵁ ؟ و يجعلون من أسباب الطَّعن أنّه جمع المُصْحَف و جعل له إمامًا عندما رأى الاختلاف قد تفاقم، و أنّه جمعهم على ما كتب في عهد رسول الله ﷺ.

و رأى عليّ ﵁ مثيري الفتنة بعد مقتل الشّهيد عُثمان، فقال (رضي الله عنه و كرّم الله وجهه): «يا معشر النّاس... **[و ذكر كما تقدّم عن القُرطُبيّ]**.

تحريق غير المُصْحَف الإمام و غير ما نسخ منه

كانت الفتنة قد بلغت ذَروَتَها و خَبّ فيها الّذين يريدونها ووضعوا، وكان قد دخل في الإسلام الّذين يريدون أن ينتقموا منه لدُوَلهم الّتي غزاها نور الإسلام، و انفتح في قلوب الأكثرين باب الهداية، ووجدوا في القرآن السّبيل إلى ما أرادوا أن يهدموه وهو الإسلام،

ليقتلعوه من جذوره، و يأتوه من قواعده، فجاءوا من القرآن عماده، ونورالله المبين، و حبله المتين.

وكان السّبيل إحياء الأحرف الّتي نسخت، فاندسّوا بين المسلمين يحيون المقبور، و يروّجون المهجور، و يبثّون روح الشّكّ والرّيب فيما هو متواتر ثابت.

وقد انبرىٰ لهم ذوالنُّورين، و اجتثّ شرّهم، فجمع المُصْحَف الإمام عَلَى الطّريق المأمون الّذي كان مستوثقًا غير متظنّن، ومتأكّدًا غير متشكّك، فكان ما كتب في عهده هو عين ما كتب في عهد الشّيخين أبي بكر و عمر، و ماكتب في عهد الشّيخين هو عين ما أُملي في عصر النّبيّ ﷺ، و ما حفظه أصحابه في صُدورهم.

حتّى إذا تمّ له ما احتسبه عند الله على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ الّذين شاهدوا وعاينوا واتّبعوا عن بيّنة، و فيهم الكثيرون ممّن حفظوا القرآن كلّه كعليّ (كرّم الله وجهه) و مُعاذ بن جبَل، فكان التّواتُر الكامل والصّيانة الكاملة والاستحفاظ على كتاب الله تعالى.

فلم يبق إلّا أنْ يزيلوا غيره من المصاحف، لأنّها كتبت بغير حرف قُريش أو به و بحروف أُخرى، فأحرقها جميعًا، ولم يبق إلّا مُصْحَف الإمام وما نسخ منه، فلا يرجع إلى سواه، ولا يعتمد على غيره، ولو بقيت مصاحف غيره، لكان الاحتجاج بها، ولعادت الفتنة جذعًا، وكان التّشكيك والرّيب، وقد حفظ الله تعالى كتابه.

حرّق عُثمان المكتوب كلّه، ولم يبق منه شيئًا، وردّ إلى السّيّدة أُمّ المؤمنين حَفْصَة المُصْحَف الّذي كان مودعًا عندها، والّذي كان إمامًا لمُصْحَف عُثمان، كما قرّر بحقٍّ ابن جَرير الطَّبَريّ، و قد ردّه إليها لموعدة وعدها إيّاها فوفى بوعده، ولكنّها لمّا توفّيت أمر عبد الله بن عُمر أن يحرق المُصْحَف الّذي كان عندها، و روي أنّها توفّيت (رضي الله عنها) في عهد معاوية بن أبي سُفيان، و أنّ الّذي حرّق المُصْحَف الّذي عندها والي المدينة مروان بن الحكم، و مهما يكن اختلاف الرّواية في تاريخ وفاتها، فإنّ عُثمان رضي الله عنه قد قرّر أن يحرق بعد وفاتها.

و **هنا يسأل المؤرّخ**: إذا حرّق عُثمان المصاحف الأُخرى، لما أثارته من فتنة، ولأنّه كان فيها حروف أُخرى غير حرف قُريش، فلماذا قرّر حرق المُصْحَف الّذي عند حَفْصَة، و قد كان إمام مُصْحَفه، والمرجع الّذي وزن به صحّة ماكتب في عهده، حتّى إنّه قيل إنّ المُصْحَف الّذي كتب في عهده قد نسخ منه نسخًا؟

ونقول في الجواب عن ذلك: إنّ المُصْحَف أودع حَفْصَة (رضي الله عنها) و عن أبيها، لأنّها كانت حريصة على أن يبقى عندها، و ما أراد الرّجل الطّيب عُثمان أن يحرمها ممّا أرادت، فأعاده إليها، و لكنّه الحريص على القرآن خشى أن يقع في يد أحد، فيمحو فيه ويثبت، ويقول: قد غيّر ما عندكم، وها هو ذا الأصل، فاحتكموا إليه، و يكـون صـالحًا للاحتكام، فأمر أن يحرق بعد وفاتها، و ما أبقاه عندهافي حياتها إلّا مرضاة لها، فاحتاط للقرآن، و ما أعنتها رضي الله تعالى عن ذي النُّورين بماصنع، و أكرمه في مثواه و رضي عنه و أرضاه.

ترتيب الآيات والسُّوَر

أجمع العلماء على أنّ الآيات رتّبت بتنزيل من الله تعالى، فكانت الآيـة إذا نـزلت يقولﷺ لكاتبه ولصحابته: ضعوها في موضع كذا من سورة كذا، و تكون لقفًا مع الّـتي وضعت بجوارها، وتكونان نسقا بيانيًّا، هوالإعجاز وإنّه يدلّ على وحدة المنزل وهوالله سبحانه و تعالى، وإنّ الآيات المكّيّة كانت توضع في السُّوَر المكّيّة، والمدنيّة كانت كذلك توضع في المدنيّة، إلّا بعض آيات مدنيّة وضعت في سُوَر مكّيّة و نبّه إليها.

على ذلك انعقد الإجماع، وكانت العَرْضَة الأخيرة الّتي قرأ فيها النّبيّ على جـبريل بترتيب الآيات ذلك التّرتيب، و من أنكر ذلك أو حاول تغييره فقد أنكرما عرف من الدّين بالضّرورة، و خرج عن إطار الإسلام، و حاول التّغيير والتّبديل، فتلك الدّعوات المنحرفة الّتي تدعوه إلى ترتيب القرآن على حَسب النّزول، أو عـلى حسب المـوضوعات هـي خروج على الإسلام، يبثّه بعض الّذين لا يرجون للإسـلام وقـارًا، إذ يـجعلون القـرآن

عضين، و يخالفون التّنزيل، و يعارضون الوحي و ذلك خروج عن الإسلام، هذا ترتيب الآيات.

أمّا ترتيب السُّوَر فإنّه من الثّابت أنّ المُصْحَف الإمام كان على هذا التّرتيب، وقالوا: إنّه ما ارتضاه زيد بن ثابت، و وافقه عليه الشّيخان أبو بكر وعمر وصحابة النّبيّ ﷺ وذو النُّورين عُثمان وهو المتّبع، فلا يغيّر ولا يبدّل، وقد قيل: إنّ بعض الصَّحابة كان له مُصْحَف بغير هذا التَّرتيب، فكان لأُبيّ مُصْحَف، وكان لعليّ (كرّم الله وجهه) مُصْحَف، وقد نقل ابن النَّديم في «الفهرست»: أنّه كان على حسب ترتيب النُّزول، و أنّه ابتدأ بقوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [1] و هي أوّل آية نزلت.

ولكنّ العَرضَة الأخيرة من جبريل كان على هذا التّرتيب: البقرة، ثمّ آل عمران على ما والاها... [ثمّ ذكر رواية ابن وَهْب و رواية ابن مسعود نقلاً عن القُرطُبيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

ولقد قال الإمام مالك (رضي الله تعالى عنه) إنّما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ، و ذكر أبو بكر الأنباريّ كما نقل عنه القُرطُبيّ: «أنزل القرآن جُملةً إلى سماء الدّنيا... [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

و من هذه الرّوايات المختلفة المؤتلفة المجمعة على أنّ ترتيب السُّوَر بتوقيف يتبيّن أنّ المُصْحَف الإمام هو الّذي يصوّر العَرْضَة الأخيرة للقرآن الكريم الّذي ﴿لاَيَاْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ [2].

ولكن ماذا يقال عن الرّوايات الّتي جاءت بأنّه كان لأُبيّ مُصْحَف بعين هذا التّرتيب، ولعليّ (رضي الله عنه وكرّم الله وجهه) مُصْحَف كان بترتيب النُّزول؟ لنا في الإجابة عن ذلك السُّؤال طريقان:

أوّلهما ـ أن نعتبر ماعليه الكثرة الكاثرة الّتي تكاد تكون إجماعًا يؤخذ به، و يكون

---

١ ـ العلق /١ ـ ٢.

٢ ـ فصّلت /٤٢.

ذلك الإجماع دليلاً على ضعف ما عداه، و أنّه لايؤخذ به لعدم صحّة السّند.

ثانيهما ـ أنّنا نقول: إنّ ذلك كان قبل العَرْضة الأخيرة، وفي العَرْضة الأخيرة وضعت السُّوَر في مواضعها، وهذا ما اختاره القُرْطُبيّ وغيره، فقد قال: «أمّا ما روي من اختلاف مُصْحَف أُبيّ وعليّ و عبدالله بن مسعود فإنّما كان قبل العَرض الأخير، وإنّ رسول الله تعالى رتّب لهم ترتيب السُّوَر بعد، إن لم يكن فعل ذلك من قبل.

وننتهي من هذا إلى أنّ ترتيب السُّوَر كترتيب الآيات كان بوحي من الله العليّ الحكيم. (٣٣ ـ ٤٩)

الفصل الخامس والأربعون

نصّ عِزَّة دَرْوَزَة (م: ١٤٠٠) في «القرآن المجيد»

جمع القرآن وتدوينه

مجموعات من الرّوايات والأقوال في تدوين القرآن

أمّا تدوين القرآن و جمعه و ترتيبه، فإنّ النّاظر في كتب علماء القرآن ورُواة الحديث عنهما يجد أقوالاً و روايات كثيرة حول هذا الموضوع مختلفة اختلافًا غير يسير، و متعارضة أحيانًا.

فأوّلاً ـ أنّ هناك أقوالاً وروايات تفيد أنّ النّبيّ ﷺ توفّي ولم يكن القرآن قد جمع في شيء، وأنّ جمعه وترتيبه إنّما تمّا بعد وفاته، وأنّ ما كان يدوّن منه في حياته كان يدوّن على الأكثر على الوسائل البدائيّة، مثل أضلاع النّخيل و رقائق الحِجارة وأكتاف العظام وقطع الأديم والنّسيج، وأنّ المدوّنات منه على هذه الموادّ لم تكن مضبوطة ولا مجموعة، وكانت على الأكثر متفرّقة عند المسلمين، وأنّ المعوّل في القرآن إنّما كان على القُرّاء و صُدور الرِّجال:

١ ـ فقد ورد حديث منسوب إلى زيد بن ثابت برواية الزُّهْريّ جاء فيه أنّ النّبيّ قبض ولم يكن القرآن قد جمع بشيءٍ. ولقد علّق الخطّابيّ على ما جاء في «إتقان السّيوطيّ» على هذا الحديث بقوله: إنّما لم يجمع النّبيّ القرآن لما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه و آياته.

فلمّا انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الرّاشدين ذلك بوفاء وعده الصّادق بضمان حفظه على هذه الأُمّة، فكان ابتداء ذلك على يد الصّدّيق بمشورة عمر. ثمّ قال: و أمّا ما

أخرجه مسلم من حديث أبي مسلم: «لا تكتبوا عنّي غير القرآن» فلا ينا في ذلك، لأنّ الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة. وقد كان القرآن كلّه كتب في عهد رسول الله لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتّب السُّوَر.

٢ ـ وقد روى البخاريّ حديثًا عن زيد بن ثابت عن جمع القرآن بعد وفاة النّبيّ هذا نصّه: قال زيد أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليَمامة... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢].

٣ ـ وقد روى ابن شِهاب حديثًا جاء فيه: أنّ أبابكر قال بعد أن تمّ جمع القرآن: التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم المُصْحَف، فإنّ الحبشة يسمّونه المُصْحَف، فسمّاه أبو بكر المُصْحَف.

وقد أورد المظفّريّ رواية أُخرى جاء فيها: أنّ أبابكر لمّا قال: سمّوه، قال بعضهم: سموّه إنجيلاً فكرهوه، و قال بعضهم: سموّه السِّفر، فكرهوه، فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابًا يدعونه المُصْحَف فسمّوه به. هذا في حين أنّ هناك حديثًا بخاريًّا آخر في نفس السّياق يذكر أنّ المجموعة كانت تسمّى «الصُّحُف». وعلى كلّ حال فحديث تسمية المجموعة بالمُصَحْف يفيد أنّ هذه التّسمية الّتي استفاضت حتّى صارت العَلَم على مجموعة القرآن، استعملت لأوّل مرّةً في جمع عهد أبي بكر.

٤ ـ وأخرج أبو داود حديثًا آخر جاء فيه: أنّ عمر أعلن للنّاس من كان تلقّى من رسول الله شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصُّحُف والألواح والعُسُب، وكان لايقبل من أحد شيئًا حتّى يشهد شاهدان.

٥ ـ وروى ابن شِهاب حديثًا آخر جاء فيه: إنّه لمّا أُصيب المسلمون باليَمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل النّاس بما معهم حتّى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أوّل من جمع القرآن.

٦ ـ وروى اللّيث بن سعد حديثًا جاء فيه: أنّ عمر أتى بآية الرّجم فلم يكتبها زيد، لأنّه كان وحده.

٧ ـ وروى عُمَارة بن غَزِّيّة حديثًا جاء فيه: أنّ زيدَ بن ثابت قال: أمرني أبو بكر

فكتبته في قطع الأديم والعُسُب، فلمّا هلك أبو بكر وكان عمر، كتبت ذلك في صحيفة واحدة.

٨ ـ وروى عِكرِمة: أنّ عليّ بن أبي طالب قعد في بيته... [وذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ].

٩ ـ وأخرج ابن سيرين حديثًا جاء فيه: أنّ عليًّا لمّا مات النّبيّ قال: آليت أن لا آخذ عليّ ردائي حتّى أجمع القرآن، فجمعه، وأنّه كتب في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ.

١٠ ـ وأخرج أبو داود حديثًا عن عليّ جاء فيه: أعظم النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله.

١١ ـ وأورد ابن أشتة في كتاب المصاحف حديثًا جاء فيه: أنّ أوّل من جمع مُصْحَفًا بعد وفاة النّبيّ هو سالم مولى حُذَيْفة.

١٢ ـ وأورد السّيوطيّ في «الإتقان» أنّ ابن فارِس وهو من علماء القرآن، قال: إنّ تأليف السُّوَر كتقديم السّبع الطُّوال وتعقيبها بالمئين قد تولّته الصَّحابة.

١٣ ـ وقال الحاكم: إنّ جمع القرآن الثّالث هو ترتيب السُّوَر، وقد تمّ ذلك في زمن عُثمان.

ثانيًا ـ أنّ هناك روايات كثيرة عن وجود اختلاف في ترتيب مصاحف بعض الصَّحابة وعن كلمات زائدة، كتبت في بعض المصاحف ولم تكتب في المُصْحَف المتداول، وعن آيات كانت تقرأ ولم تكتب كذلك هي هذا المُصْحَف، ممّا يفيد أنّ النّبيّ توفّي ولم يكن القُرآن قد جمع ورتّب أيضًا:

١ ـ فمن الرّوايات الّتي أوردها السُّيوطيّ نقلاً عن كتب علماء القرآن والمصاحف: أنّه كان لكلّ من أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ـ وهما صحابيّان وعالمان في القرآن[١] ـ مُصْحَف، وأنّ ترتيب سُوَر كلّ منهما مغاير لترتيب الآخر من جهة ومغاير لترتيب سُوَر

---

١ ـ في حديث عن عبد الله بن جابر أورده السُّيوطيّ أنّه سمع النّبيّ يقول: خذوا القرآن عن أربعة: عبد الله بن مسعود ومُعاذ وسالم و أُبيّ. وهناك أحاديث أُخرى في هذا المعنى فيها بعض الخلاف، ولكن اسمي عبد الله وأُبيّ موجودان فيها.

المُصْحَف العُثمانيّ المتداول من جهة أُخرى، و أنّ في أحدهما زيادة وفي أحدهما نقصًا، و أنّ المُصْحَفين ظلّا موجودين يقرآن إلى ما بعد عُثمان بمدّة طويلة.

وقد نقل السُّيوطيّ كلاًّ من التّرتيبين عن كتاب المصاحف لابن أشتة، وفي مُصْحَف أُبيّ سورتان صغيرتان زائدتان عن سُوَر المُصْحَف، واحدة اسمها سورة الحَفْد وهذا نصّها: «اللّهُمَّ إيّاكَ نَعْبُدُ. وَ لَكَ نُصَلّي و نَسْجُدُ. إلَيْكَ نَسْعى ونَحفِدُ و نخشى عذابك. ونَرجُو رَحْمَتَكَ. إنَّ عَذَابكَ بالكُفّار مُلْحَقٌ». والثّانية اسمها سورة الخَلْع و هذا نصّها: «اللّهُمّ إنّا نَسْتَعينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَ نُثْني عَلَيْكَ الخَيْر وَ لا نَكْفُرُكَ. ونَخْلَع و نَتْرُك مَن يَفْجُرُكَ».

وقد أخرج الطَّبَراني بسند صحيح عن أبي إسحاق على ما ذكره السُّيوطيّ: أنّ أُميّة بن خالد أمّ النّاس في خُراسان، فقرأ بسورتي الحَفْد والخَلْع. وهذا كان بعد عُثمان بمدّة طويلة.

وممّا أورده السّيوطيّ أنّ سورتي الفيل و قُريش في مُصْحَف أُبيّ سورة واحدة، و أنّ سورتي الضّحى والانشراح في مصاحف بعض الصّحابة سورة واحدة كذلك.

أمّا مُصْحَف ابن مسعود فليس فيه على ما رواه أُولئك الرُّواة سور الفاتحة والمعوّذتين، و من المرويّ كذلك أنّه كان يَحُكّ المعوّذتين ويقول: إنّهما ليستا من كتاب‌الله.

٢ ـ وروى عبدالله بن زُبَيْر الغافقيّ: أنّ عبد الملك بن مَرْوان قال له: لقد علمت ما حملك على حبّ أبي تراب[1] إلّا أنّك أعرابيّ جافٍ، فقال له: والله لقد جمعت القرآن[2] من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علّمني منه عليّ بن أبي طالب سورتين، علّمهما إيّاهما رسول الله، ما علمتَهما أنت ولا أبوك و هما سورتا الخَلْع والحَفْد.

٣ ـ وروى البَيْهَقيّ: أنّ عمر بن الخطّاب قَنَتَ بعد الرّكوع فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ثمّ سرد سورتي الحَفْد والخَلْع، واستدلّ على أنّهما سورتان من تقديم البَسْمَلة

---

١ ـ كان النّبيّ قال لعليّ مرّة: أبا تراب، من قبيل المداعبة على ما روي، فصار خصومه ينعتونه بهذا اللّقب على سبيل الانتقاص.

٢ ـ كانوا يعنون بجمع القرآن حفظه غيبًا أحيانًا.

عليهما.

٤ ـ وأورد السُّيوطيّ حديثًا عن عائشة برواية عُروَة بن الزُّبَير جاء فيه: أنّ سورة الأحزاب كانت تقرأ في زمن النّبيّ مئتي آية، فلمّا كتب عُثمان المصاحف لم نقدر منها إلّا ما هو الآن.

٥ ـ وأورد كذلك حديثًا عن أُبيّ بن كعب أنّه سأل زِرٍّ بن حُبَيش: كم تَعُدّ سورة الأحزاب؟ قال: اثنين وسبعين، أو ثلاثًا وسبعين، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنّا لنقرأ فيها آية الرّجم، قال: وما آية الرّجم؟ قال: «إذا زنى الشّيخ والشّيخة فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

٦ ـ وأورد عن أمامة بن سَهل قالت: لقد أقرأنا رسول الله آية الرّجم، الشّيخ والشّيخة فارجموهما البتّة بما قضيا من اللّذّة.

٧ ـ وأورد حديثًا رواه مُسلم عن ابن عبّاس جاء فيه: أنّ عمر بن الخطّاب خطب النّاس قائلاً: لقد خشيت أن يطول بالنّاس زمان حتّى يقول قائل: لا نجد الرّجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، إنّ الله بعث محمّدًا بالحقّ وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرّجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها، ورجم رسول الله فرجمنا معه، ألا وإنّ الرّجم حقّ على من زنى وقد أحصن، إذا قامت البيّنة أو كان الحمل أو الاعتراف.

٨ ـ وروي عن اللَّيث بن سعد: أنّ عمر أتى بآية الرّجم، فلم يكتبها زيد، لأنّه كان وحده.

٩ ـ وروي عن حميدة بنت أبي أُويس قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين في مُصْحَف عائشة: (إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ ياأيّهاالّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا وعلى الّذين يصلّون في الصُّفوف الأُولى) وذلك قبل أن يغيّر عُثمان المصاحف.

١٠ ـ ورُوي عن أُبيّ بن كعب بإخراج الحاكم: أنّ رسول الله قال لي: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن... [وذكر كما تقدّم عن البَلاغيّ].

١١ ـ وروي عن أبي واقد اللَّيثيّ: أنّ رسول الله كان إذا أوحي إليه بشيء أتيناه، فعلمنا

ما أوحي إليه، قال: فجئتُ ذات يوم فقال: إنّ الله يقول: «إنّا أنزلنا المال لإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة. ولوض أنّ لابن آدم واديًا لأحبّ أن يكون إليه الثّاني ولو كان إليه الثّاني لأحبّ أن يكون الثّالث. ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التّراب. ويتوب الله على من تاب».

١٢ ـ وروي عن عَدِيّ بن عَدِيّ عن عُمر قال: كنّا نقرأ: «ولا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم» ثمّ قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم.

١٣ ـ وروي عن أبي سُفيان الكَلاعيّ: أنّ مُسْلِمة بن مخلّد الأنصاريّ قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المُصْحَف، فلم يخبروه، و عندهم أبو الكُنُود سَعد بن مالك، فقال ابن مُسْلِمة: هما «إنّ الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والّذين آووهم ونصروهم و جادلوا عنهم القوم الّذين غضب الله عليهم أُولئك لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون».

١٤ ـ وروى المِسْوَر بن مَخرَمة: أنّ عبد الرّحمان بن عوف قال: ألم نجد في ما أنزل علينا «جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة» فإنّا لا نجدها، قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن.

١٥ ـ وروي عن ابن عُمر: لا يقولنّ أحدكم أخذت القرآن كلّه، و ما يدريه ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير، و لكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر.

١٦ ـ وروي عن أبي موسى الأشعريّ: كنّا نقرأ سورة نشبّهها بإحدى المسبّحات ممّا نسيناها، غير أنّي حفظت منها «يا أيّها الّذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون. فتكتب لكم شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة».

١٧ ـ و أورد محمّد صبيح في (كتاب القرآن: ١٦٤) رواية لم يورد مصدرها عن سورة اسمها سُورة النّورين، يزعم بعض المستشرقين أنّ عُثمان أسقطها من مُصْحَفه، وأنّها مثبتة في مُصْحَف عليّ بن أبي طالب وهذا نصّها... [إلى أن قال و إن شئت فراجع نفس المصدر].

١٨ ـ وقد ورد في موطّأ الإمام مالك عن أبي يونس مولى عائشة قال: أمرتني عائشة

أن أكتب لها مُصْحَفًا، ثمّ قالت: إذا بلغت هذه الآية فأذِنّي ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْـوُسْطىٰ﴾ فلمّا بلغتها أذنتها، فأملت عليّ «حافظوا على الصَّـلوات والصَّـلاة الوُسـطى و صلاة العصر» ثمّ قالت: سمعتها من رسول الله . وفي «الموطّأ» حديث عن عمر بن رافع: أنّ حَفْصَة أمرته أن يكتب لها مُصْحَفًا، ثمّ يتمّ الحديث بنفس الصّيغة السّابقة حرفيًّا.

١٩ ـ [ثمّ ذكر روايات في قراءات مختلفة ولا حاجة لذكرها هنا، و إن شئت فراجع].

٢٠ ـ إنّ هناك روايات عديدة تفيد أنّ بعض الصّحابة كانوا يقرأون كـلمات بـدل كلمات... [إلى أن قال:]

٢١ ـ ويصحّ أن تورد أحاديث نسخ المصاحف في عهد عُثمان في هذا الباب، لأنّ فيها ما يفيد أنّ المسلمين كانوا يختلفون في قراءة القرآن حتّى أفزع اختلافهم عُـثمان و غيره من كبار الصّحابة، و بالتّالي يفيد أنّ القرآن لم يكن في كتابته و مصاحفه و صُحُفه المتداولة و في قراءته محرّرًا بحيث يؤمن معه ذلك الخلاف.

١ ـ فقد أورد البخاريّ حديثًا عن أنس بن مالك أنّ حُذَيفة بن اليَمان قـدِم عـلى عُثمان... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤].

٢ ـ وقد روي حديث آخر عن أنس بن مالك أيضًا جاء فيه: أنّ النّاس اختلفوا في القراءة على عهد عُثمان... [و ذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ].

٣ ـ وقد أخرج أبو داود حديثًا وصف بأنّه بسند صحيح عن سُوَيد بن غَفَلة، قال: قال لي عليّ: لا تقولوا... [وذكركما تقدّم عنه الرّقم ١٤، ١٥].

٤ ـ وأخرج أبو داود حديثًا جاء فيه: لمّا أراد عُثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قُريش و الأنصار، فبعثوا إلى الرَّبْعَة الّتي في بيت عمر فجيء بها.

ثالثًا ـ إلى جانب تلك الأحاديث والأقوال والرّوايات توجد أحاديث و روايـات و أقوال يستفاد منها أنّ القرآن كان يُدَوَّن و تُرَتَّب آياته و سُوَره في حياة النّبيّ ﷺ و بأمره، و أنّ ترتيب المُصْحَف العُثمانيّ متّصل بعهد النّبيّ و توقيفه:

١ ـ [ثمّ ذكر رواية الحاكم عن زيد بن ثابت و كلام البَيْهَقيّ، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

و يصحّ أن يستفاد من الحديث أنّه كان يكتب ما ينزل به الوحي في رِقاع منفردة، ثمّ تنقل هذه الرِّقاع إلى صُحُف معدّة كالسِّجِلّ، فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير به النّبيّ.

٢ ـ وقد أخرج الإمام أحمد و أبو داود والتِّرمِذيّ والنَّسائيّ و ابن حيّان والحاكم حديثًا عن ابن عبّاس جاء فيه: قلت لعُثمان: ما حملكم... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال :]

و هذا يفيد أنّ الأنفال في زمن النّبيّ كانت تدوّن قبل براءة مباشرة، ولم يكن بينهما فاصل أو بَسْملة، فتركتا على ذلك وهو التّرتيب المتداول.

٣ ـ و أخرج الإمام مسلم حديثًا عن عمر قال: ما سألت النّبيّ عن شيء أكثر ممّا سألته عن الكلالة حتّى طعن في صَدْري بأصبعه، وقال: تكفيك آية الصَّيْف الّتي في آخر سورة النّساء.

وهذا يفيد أنّ سورة النّساء كانت مرتّبة على ما هو عليه في المُصْحَف المتداول في حياة النّبيّ، ولو لم يكن ترتيبها بتوقيف النّبيّ و إشارته لوضعت الآية المذكورة في مكان أكثر مناسبة من السّورة.

٤ ـ وأخرج الإمام البخاريّ حديثًا عن عبد الله بن الزُّبَير... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:] الآية النّاسخة في سورة البقرة و هي الآية (٢٣٤) متقدّمة في التّرتيب على الآية المنسوخة في نفس السّورة وهي (٢٤٠). وجواب عُثمان يفيد أنّ التّرتيب إنّما كان بإشارة النّبيّ، فلم ير تغيير شيء من مكانه.

٥ ـ وأخرج الإمام أحمد حديثًا بإسناد وصف أنّه حسن عن عُثمان بن أبي العاص قال... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ ،ثمّ قال:] و هذا يفيد أنّ النّبيّ كان يأمر بوحي الله بترتيب آيات السُّوَر، و أنّ التّرتيب المتداول هو مستند إلى ذلك.

٦ ـ وروى البُخاريّ حديثًا عن زيد بن ثابت: أنّ رسول الله أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ﴾... [و ذكر كما تقدّم نحوه عنه، الرّقم٦، ثمّ قال :] وهذا يفيد أنّ النّبيّ كان يستدعي

أحد كُتّاب الوحي حين نزول القرآن عليه، فيملي عليه ما ينزّل عليه فورًا.

٧ ـ وروى البُخاريّ أيضًا حديثًا قريبًا من هذا عن البَراء: لمّا نزلت آية: ﴿لاَ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ﴾ قال النّبيّ... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم٦].

٨ ـ و حديث زيد بن ثابت الّذي رواه عن جمع القرآن في عهد أبي بكر والّذي نقلناه في المجموعة الأُولى يفيد أنّ آيات السُّوَر كانت معروفة التّرتيب في حياة النّبيّ، حيث ذكر افتقاد آخر آيتين في سورة براءة و وضعهما في مكانهما حين وجودهما، و ترتيبهما هو وفاق ترتيب المُصْحَف المتداول.

وحديث البُخاريّ عن نسخ المصاحف في عهد عُثمان والّذي نقلناه في المجموعة الثّانية يفيد نفس الشّيء، حيث يذكر افتقاد آية الأحزاب ووضعها في مكانها المعروف في حياة النّبيّ والّذي هو وفاق المُصْحَف المتداول أيضًا.

٩ ـ وروى البُخاريّ عن ابن عبّاس: أنّ آخر آية نزلت آية الرّبا، و روى النِّسائيّ عن ابن عبّاس أيضًا: أنّ آخر آية نزلت: ﴿وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ اِلَى اللهِ﴾[١].

وأخرج ابن شِهاب عن سعيد بن المُسَيَّب: أنّ أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّين. و قد لا يكون تناقض بين الرّوايات، لأنّ هذه الآيات في سِلسِلة واحدة، و جميعها موضوعة في سورة البقرة بأمر النّبيّ و ترتيبه، و جاء في التّبيان للطُّوسيّ: أنّ أُبيّ بن كعب و سعيد بن جُبَير والحسن بن قَتادة رووا: أنّ الآيتين الأُخريين من سورة التّوبة هما آخر ما نزل من القرآن.

وهذا يفيد أنّ آيات السُّوَر كانت معروفة التّرتيب في حياة النّبيّ و بأمره كذلك.

١٠ ـ وروى عليّ بن إبراهيم عن أبي بكر الحَضْرميّ عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد ـ الإمام جعفر الصّادق ـ «أنّ رسول الله قال لعليّ: يا عليّ! إنّ القرآن خلف فراشي في المُصْحَف والحرير والقراطيس، فاجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التّوراة، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثمّ ختم عليه».

---

١ ـ البقرة /٢٨١.

وهذا يفيد أنّ القرآن كان يدوّن على وسائل الكتابة المعروفة، وكان مدوّنًا كذلك في حياة النّبيّ، وكان النّبيّ يعني بحفظه في بيته.

١١ ـ وقد روى علماء الحديث حديثًا ورد في أكثر من كتاب من كتب الحديث المشهورة جاء فيه «لا تكتبوا عنّي غير القرآن» حيث يفيد أنّ الصّحابة كانوا يدوّنون في حياة النّبيّ ما يسمعونه من النّبيّ من القرآن.

١٢ ـ وقد أخرج أبو داود حديثًا جاء فيه: أنّ عمر أعلن النّاس: من كان تلقّى عن رسول الله شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصُّحُف والألواح والعُسُب، وهذا يفيد ما أفاده الحديث السّابق.

١٣ ـ وروى واثَلَة عن النّبيّ قال: «أعطيت مكان التّوراة السّبع الطُّوال، و مكان الزّبور المئين، و مكان الإنجيل المثاني، و فضّلت بالمفصّل[1]».

وهذا يفيد أنّ ترتيب سُوَر القرآن حسب المُصْحَف المتداول الطُّوال أوّلاً، فالمئون ثانيًا، فالمثاني ثالثًا، فالمفصّل رابعًا من ترتيب النّبيّ وعهده.

١٤ ـ وروى البُخاريّ حديثًا عن ابن مسعود: أنّ النّبيّ قال: «إنّ بني إسرائيل[2] والكهف و مريم وطه والأنبياء هنّ من العُتاق الأُول، وهنّ من تلادي».

وهذه السُّوَر متسلسلة التّرتيب في المُصْحَف المتداول وفاق التّرتيب الوارد في الحديث.

١٥ ـ وأخرج الإمام أحمد و أبو داود حديثًا عن أبي أوس الثّقفيّ... [و ذكر كما تقدّم عن ابن كثير، ثمّ قال:].

و عدد السُّوَر من البقرة إلى الحُجُرات تسع وأربعون، و مجموع عدد السُّوَر المحزّبة

---

١ ـ المفصّل هي السُّوَر القصيرة، وسمّيت كذلك لكثرتها وكثرة الفصل بينها، وهناك أحاديث فيها بعض الخلاف في تعيين سُوَر كلّ مجموعة من مجموعات السُّوَر الأربع، فهناك حديث عن ابن عبّاس: أنّ السّبع الطُّوال هي البقرة و آل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف، قال الرّاويّ وذكر السّابعة فنسيتها. وعن مجاهد وسعيد: أنّها يوسف، وعن الحاكم: أنّها الكهف. والمفصّل يبدأ في رواية للبُخاريّ بالجاثية. وهناك قول: إنّه يبدأ بالصّافّات، وقول: إنّه يبدأ بسورة ق، وقول: إنّه يبدأ بحُجرات، وقول: إنّه يبدأ بتبارك، وقول: إنّه يبدأ بالفتح، وقول: إنّه يبدأ بالضّحى...

٢ ـ اسم آخر لسورة الإسراء.

هو تسعة و أربعون. والحديث يفيد أنّ سُوَر القرآن كانت مرتّبة وفاق ترتيب سُوَرالمُصْحَف المتداول منذ حياة النّبيّ.

١٦ ـ وروى حُذَيفة عن النّبيّ حديثًا جاء فيه: أنّه قرأ سُوَر البقرة و آل عمران والنّساء واحدة بعد أُخرى. و هذا يفيد أنّ السُّوَر الثّلاث كانت مرتّبةً في حياة النّبيّ وفاق ترتيبها في المُصْحَف المتداول.

١٧ ـ وروى البُخاريّ حديثًا عن فاطمة: أنّ النّبيّ أسرّ إليها بأنّ جبريل يعارضه بالقرآن كلّ سنة، و أنّه عارضه في العام الّذي توفّي فيه مرّتين، و قال لها: و لا أراه إلّا حَضَرأجَلي.

وروى البُخاريّ حديثًا آخر عن أبي هُرَيرة جاء فيه: كان القرآن يعرض على النّبيّ كلّ عام مرّة، فعرض عليه مرّتين في العام الّذي قبض فيه.

وقال البَغَويّ في شرح السُّنَّة[1]: إنّ زيد بن ثابت شهد العَرْضَة الأخيرة الّتي بيّن فيها ما نسخ و ما بقي، و كتبها لرسول الله و قرأها عليه، وكان يقرئ النّاس بها حتّى مات. ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه وولّاه عُثمان كتب المصاحف.

وهذا يفيد أنّ النّبيّ كان يستعرض القرآن جميعه في رمضان، وأنّه استعرضه مرّتين في رمضان الأخير، و أنّ المُصْحَف الّذي كتبه زيد في عهد أبي بكر إنّما كان وفاقًا لذلك نصًّا و ترتيبًا.

١٨ ـ و روى النّسائيّ عن عبد الله بن عمر حديثًا جاء فيه: جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النّبيّ فقال: اقرأه في شهر.

وقد روي عن ابن عمر أنّه قال: قال لي رسول الله: «اقرأ القرآن في شهر، قلت: إنّي أجد قوّة، قال: اقرأه في عشر، قلت: إنّي أجد قوّة، قال: اقرأه في سبع ولا تزد. و قد روي عن ابن مسعود حديث جاء فيه: «لا تقرأوا القرآن في أقلّ من ثلاث». و روي عن سعيد ابن المنذر حديث جاء فيه: قلت يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: نعم إن استطعت.

---

١ ـ رسالة الكلمات الحسان للشّيخ بَخِيت.

وروي عن قيس بن صَعْصَعة حديث جاء فيه: قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: في خمسة عشر. قلت: إنّي أجدني أقوى من ذلك، قال: اقرأه في جُمُعة.

و هناك روايات تذكر أسماء صَحابة عديدين كانوا يحفظون القرآن جميعه، مثل أبي بكر و عمر وعُثمان و عليّ و عبد الله بن مسعود و مُعاذ و سالم وأُبيّ و أبي الدّرداء و زيد بن ثابت و طَلحة و سعد و حُذَيفة و أبي هُرَيرة وعائشة و حَـفْصة وأُمّ سَـلَمة و عُـبَادة بـن الصّامِت و مَسْلَمة بن مُخَلَّد وعبد الله بن عمر و عبد الله بن عبّاس و سعيد بن المنذر و قَيْس ابن صَعْصَعة. ولا شكّ في أنّ هذه الأسماء ليست كلّ الأسماء، و إنّما هي الّـتي نـقلتها الرّوايات.

وقد جاء في البُخاريّ في حديث شُهداء بئر معونة: إنّ بعض العرب جاءوا يطلُبون مددًا من النّبيّ فأرسل معهم سبعين من الأنصار ممّن كانوا يسمّون القُرّاء في زمنهم. و في حديث جمع القرآن في عهد أبي بكر إشارة إلى القتل الّذي استحرّ بالقُرّاء والخشية من موتهم في المواطن الأُخرى.

فهذه الأحاديث والرّوايات تفيد:

أوّلاً ـ أنّ القرآن كان محفوظًا في الصّدور و مدوّنًا في الصُّحُف في تـرتيب ثـابت آيات في سُوَر و سُوَر في تسلْسُل، لأنّ حفظ القرآن لا يمكن أن يتيسّر إلّا بذلك.

و **ثانيًا** ـ أنّه كان من الصّحابة من يواظب على تلاوته تعبّدًا و تفقّها.

و **ثالثًا** ـ أنّ طبقة القُرّاء و الحُفّاظ كانت كثيرة العدد في حياة النّبيّ.

١٩ ـ و أخرج حاكم عن عبد الله بن قُسْطَنْطين أنّه قرأ ختمة على عبد الله بن كثير، و هذا إمام من أئمّة القُرّاء و هو تابعيّ، فلمّا بلغ الضُّحى قال: كبّر حتّى تختم، و أخبره أنّه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، و أنّ مجاهدًا أخبره أنّه قرأ على ابن عبّاس فأمره بذلك، و أنّ ابن عبّاس أخبره أنّه قرأ على أُبيّ فأمره بذلك، و أنّ أُبيًّا أخبر ابن عبّاس أنّه قرأ على النّبيّ فأمره بذلك.

وقد روي عن الإمام الشّافعيّ أنّه قال: إذا تركت التّكبير فقد تركت سُنَّة من سُـنَن

نبيّك. وهذا و ذاك يفيد أنّ القرآن كان مرتّب السُّوَر في حياة النّبيّ وفاق ترتيب المُصْحَف المتداول.

٢٠ ـ وروى أبو مَنْصور الأرجانيّ في كتاب «فضائل القرآن»: أنّ النّبيّ كان يقول عند ختم القرآن: اللّهمّ ارحمني بالقرآن، و اجعله لي إمامًا ونورًا وهُدًى و رَحمةً اللّهمّ ذكّرني منه ما نسيت، و علّمني منه ما جهلت، و ارزقني تلاوته آناء اللّيل و النّهار، واجعله حجّة لي ياربّ العالمين. وهذا يفيد ما تفيده الأحاديث السّابقة آنفًا.

٢١ ـ وفي مسند الإمام أحمد حديث عن عبد الله بن مسعود جاء فيه: أنّه سمع مِن فم رسول الله بضعًا وسبعين سورة. وهدا يفيد أنّ ما يقرب من ثُلثي سُوَر القرآن كان معروف الشّخصيّة، تامّ التّرتيب في آياته منذ حياة النّبيّ ﷺ.

٢٢ ـ وفي حديث البخاريّ: أنّ ابن عبّاس قال: إنّه جمع المحكم في عهد رسول الله، فسأله الرّاوي عن المحكم، فقال: المفصّل. وكان ابن عبّاس صبيًّا في حياة النّبيّ كما هو معروف.

وهذا يفيد أنّ السُّوَر كانت مرتّبةً وفاق ترتيبها المتداول الأطوَل فالمئون فالمثاني فالمفصّل، و أنّ القرآن كان يحفظ على ما اعتبر حفظه إلى اليوم الأقصر أوّلاً.

٢٣ ـ و أخرج الحاكم حديثًا عن ابن عبّاس وصف بأنّه صحيح أنّه قال: كان النّبيّ إذا جاءه جبريل فقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنّها سورة، و ورد حديث آخر عن ابن عبّاس جاء فيه: كان المُسلمون لا يعلمون انقضاء السّورة حتّى تنزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخرج البَيْهَقيّ عن ابن مسعود أنّه قال: كنّا لا نعلم فصلاً بين سورتين حتّى تنزل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهذا يفيد أنّ شخصيّات السُّوَر أو بالأحرىٰ ترتيب الآيـات سُوَرًا تامّة كان معروفًا في حياة النّبيّ.

٢٤ ـ و قد ذكر السُّيوطيّ أقوالاً لبعض علماء القرآن تفيد أنّهم كانوا يعتقدون صحّة ما احتوته الأحاديث والرّوايات في هذه المجموعة من تقريرات بوجه الإجمال. فقد أثـر

عن الحارث المَحاسِبيّ في كتاب «فهم السُّنن» قوله: إنّ كتابة القرآن ليست محدثة، فإنّ النّبيّ كان يأمر بكتابته.

وقال أبو بكر الأنباريّ: إنّ اتّساق السُّوَر كاتّساق الآيات والحروف، كلّه عن النّبيّ، فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الإمام مالك برواية ابن وَهْب: إنّما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النّبيّ.

وقال البيهقيّ: كان القرآن على عهد رسول الله مرتّبًا سُوَره وآياته على هذا التّرتيب. وقال البَغويّ في «شرح السّنّة»: إنّ الصّحابة... [و ذكر كما تقدّم عن أبي شامة].

وقال ابن الحَصّار: إنّ ترتيب السُّوَر في وضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحي، فكان رسول الله يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا.

و قد حصل اليقين من النّقل المتواتر بهذا التّرتيب من تلاوة رسول الله، و ممّا أجمع الصّحابة على وضعه هكذا في المُصْحَف.

٢٥ ـ و قال أبو بكر الباقِلّانيّ[١] والّذي نذهب إليه أنّ جميع القرآن الذي أنزل الله و أمر بإثباته... [و ذكر كما تقدّم عن أبي شَامَة].

٢٦ ـ وقال العالم المذكور في كتابه «الانتصار»: لم يقصد عُثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لَوحين... [و ذكر كما تقدّم عن السُّيُوطيّ].

٢٧ ـ وقال ابن الجوزيّ: و إنّما لم يجمع رسول الله لأنّه كان بمعرض أن ينسخ منه أو يزاد عليه، فلو جمعه كان الّذي عنده نقص ينكر على من عنده زيادة، فلمّا أمن هذا الأمر بموته جمعه أبو بكر. ولم يصنع عُثمان في القرآن شيئًا، وإنّما أخذ الصُّحُف الّتي وضعت عند حَفْصَة، و أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبَير وعبد الله بن الحارث بن هِشام و سعيد بن العاص وأُبيّ بن كعب في اثني عشر رجلاً من قُريش والأنصار، فكتب منها مصاحف وسيّرها للأمصار.

---

١ ـ الكلمات الحسان.

تعليقات على الرّوايات والأقوال و ترجيح تدوين و ترتيب القرآن في عهدالنّبيّ و مرجّحات ذلك

و من الحقّ أن نقول: إنّ في المجموعات الثّلاث الّتي أوردناها ما ليس موثّقًا بالأسناد القويّة، و ما يتحمّل النّظر والتّوقّف، و منها ما يتعارض بعض ما جاء في مجموعة منه مع بعض ما جاء في نفس المجموعة، و منها ما يصطبغ بصبغة الأهواء الحِزبيّة الأُولى أو فيه رائحتها، و منها ما يبدو عليه قرائن قصد التّوفيق أو التّلفيق، غير أنّ من الحقّ أن يقال: إنّ المجموعة الثّالثة أكثر توثّقًا في الإجمال من جهة، و أكثر اتّساقًا مع طبائع الأُمور والظّروف من جهة أُخرى.

فالقرآن أعظم مظاهر النّبُوّة و معجزتها الخالدة، و كان مدار الاحتجاج و الدّعوة مع العرب والكتابيّين الّذين كانت لهم كتبهم المتداولة في أيديهم. وقد تكرّر في القرآن كثيرًا الإشارة إلى كتب الكتابيّين من جهة، و ذكر الكتاب بمعنى القرآن كثيرًا من جهة أُخرى، فلا يعقل في حال أن يهمل النّبيّ ﷺ تدوين ما كان ينزل عليه من الوحي القرآنيّ، والعناية بهذا التّدوين عناية فائقة، والحرص على حفظ المدوّنات حرصًا شديدًا، بل والمعقول أن يكون ذلك من أُمّهات مشاغل النّبيّ المستمرّة أيضًا.

وهذا يجعلنا نعتقد أنّ ما روي من أنّ القرآن كان يدوّن على قطع عظيمة الحجم، ثقيلة الوزن، صعبة الحمل والحفظ والتّرتيب، كأضلاع النّخيل وأكتاف العظام و رقاق الحِجارة والخَشَب لا يمكن أن يكون هو الواقع على إطلاقه، كما أنّ هذا القول يطّرد في ما يمكن أن يستتبع ذلك من فقدان أو نقص وسائل الكتابة اللّيّنة المعروفة في ذلك العصر في البلاد المجاورة، كالقِرطاس والورق والحَرير والقُماش والرُّقوق النّاعمة المسوّاة. ولقد قيل فيما قيل: إنّ نطاق القراءة والكتابة كان ضيّقًا جدًّا في مكّة والمدينة، ممّا يظنّ أنّ هذا متّصل بالنّقطة الأُولى أو من أسبابها، و هذا أيضًا لا يمكن التّسليم بصحّته على إطلاقه كذلك.

و نحن لا نرسل هذا النّفي جزافًا، فالثّابت علميًّا و بصورة لا تقبل المراء أنّ الخطّ

العربيّ الّذي كان مستعملاً في بيئة النّبيّ و عصره يمتدّ وجوده إلى عشرات السّنين قبل بعثته، كما أنّه متطوّر عن أشكال لخطوط أُخرى كان يستعملها عرب الشّام واليَمن، و كذلك فإنّ من الثّابت علميًّا أنّ ذلك الخطّ كان منتشرًا بمقياس غير ضيّق في بلاد الشّام واليَمن والحِجاز والعراق حتّى كان يشمل بدو هذه البلاد ولو بمقياس ضيّق. و ما جاء في بعض الكتب العربيّة عن نشأة الخطّ العربيّ و وصوله إلى الحجاز وضيّق انتشاره فيه ضيقًا شديدًا، هو تخليط لا يتحمّل نقدًا[١].

والبيئة الحجازيّة إلى هذا وخاصّة مكّة والمدينة كانت بيئة تجاريّة متّصلة بالبلاد المجاورة الّتي كانت تتمتّع بحظّ غير يسير من الحِضارة والثّقافة.

وكان فيها جاليات كتابيّة نصرانيّة و يهوديّة نازحة من تلك البلاد، وكانت تتداول الكتب الدّينيّة و غير الدّينيّة قراءة و كتابة. فلا يعقل أن يظلّ العرب أهل هذه البيئة غافلين عن اقتباس وسيلة من أشدّ الوسائل ضرورة إلى الأشغال التّجاريّة و من أعظم مظاهر الحِضارة الّتي اقتبسوا منها من البلاد المجاورة الشّيء الكثير.[٢]

وهناك رواية مشهورة، و هي أنّ أسْرى قُريش الفقراء في وقعة بدر الّذين لم يستطيعوا أن يدفعوا فدية نقديّة كلّفوا بتعليم بعض أطفال المسلمين في المدينة القراءة والكِتابة، فإذا كان فقراء أهل مكّة يقرأون ويكتبون فأولى أن يكون كذلك أغنياؤها وتجّارها و نُبَهاؤها، و أن تكون القراءة والكتابة ممّا هو مألوف و منتشر بنطاق غير ضيّق.

ويضاف إلى هذا ما هو أقوى دلالة وهو محتويات القرآن، ففيه آيات كثيرة جدًّا احتوت تنويهًا بالعلم والقراءة والكتابة و حضّت عليهما، و حضّت خاصّة على تدوين المعاملات التّجاريّة نقدًا ودَيْنًا و صغيرةً و كبيرةً، كما أنّ فيه آيات عديدة حكت أقوال المشركين المكّيّين تدلّ على اتّساع نطاق القراءة والكتابة والمعرفة بوجه عامّ عندهم.[٣]

---

١ ـ اقرأ مثلاً العقد الفريد ٣: ٢٠٢. ونُنبّه على أنّ المستشرق الطّليانيّ كايتاني في كتابه: «تاريخ الإسلام» فصلاً قيّمًا في نشأة الخطّ العربيّ وانتشاره مستندًا إلى دراسات ومكتشفات وآثار حاسمة.

٢ ـ اقرأ فصل الحياة العقليّة في كتابنا «عصر النّبيّ و بيئته قبل البعثة»، ففيه بحث مسهب موثّق في هذ الأمر.

٣ ـ اقرأ المصدر السّابق.

و بيئة هذه صلاتها بالبيئات المجاورة المتمدّنة الّتي تتيسّر فيهاوسائل الكتابة والقراءة المألوفة على تنوّعها، وفيها كثيرون من أهل هذه البيئات يقرأون و يكتبون و يتداولون الكتب، وحركتها التّجاريّة قويّة واسعة، وقد احتوى القرآن من أوصاف حياتها و معايشها وحِضارتها و وسائلها ما فيه الدّلالة الوافية على أنّها هي أيضًا كانت على درجة غير يسيرة من الحضارة ووسائلها، والكتابة والقراءة فيها منتشرتان بمقياس غير ضيّق، لايعقل في حال أن لايكون فيها وسائل مدنيّة للكتابة و أن لا يوجد ما يدوّن عليه القرآن إلّا ألواح العظام ورقائق الحِجارة وأضلاع النّخيل و قطع الخشب، هذا بالإضافة إلى أنّ القرآن قد احتوى كلمة القرطاس أكثرمن مرّة ممّا يصحّ أن يكون دليلاً على أنّه كان معروفًا و مألوفًا كوسيلة للتّدوين والكتابة، بل إنّ هذه الكلمة مفردةً وجمعًا قد جاءت في سورة الأنعام في سياق الكلام عن كتب الله كما ترى:

١ ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1].

٢ ـ ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[2].

فهذا النّصّ القرآنيّ يُلهم أنّ الكتابة على القِرطاس وكون الكتب مؤلّفة من قراطيس هو الشّيء المألوف الّذي لم يكن ليتصوّر غيره.

كذلك فإنّ القرآن احتوى كلمة «الصُّحُف» أكثر من مرّةٍ في معرض الإشارة إلى القرآن والكتب السّماويّة كما ترى:

١ ـ ﴿فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[3].

٢ ـ ﴿إِنَّ هٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولٰى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسٰى﴾[4]

---

١ ـ الأنعام /٧.

٢ ـ الأنعام /٩١.

٣ ـ عبس / ١٣ـ١٤.

٤ ـ الأعلى /١٨ ـ ١٩.

٣ ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ اَنْ يُؤْتىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾[١].

ولم يذكر أحد أنّ كلمة الصَّحيفة كانت تطلق على تلك الوسائل البدائيّة، و إنّما كانت تطلق على ما كان معروفًا من وسائل الكتابة الّتي تـحمل بسـهولة، و تـطوى بسـهولة، و يجمع بعضها إلى بعض بسهولة، ولعلّ في آية القيامة قرينة على أنّ الصُّحُف كانت تنشّر و تطوى، وهو ما لا يمكن أن يتّصف به إلّا وسائل الكتابة اللّيّنة كالقماش و ورق القماش و ورق الحرير والرُّقوق النّاعمة المسوّاة إلخ. ولعلّ في آية: ﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٢] قرينة، أو بالأحرى دليلاً على أنّ طيّ الورق أو ما كان يقوم مقامه من وسائل الكتابة اللّيّنة ليكون سِجِلًّا للكتابة والتّدوين، كان مألوفًا شائعًا. وهذا لن يكون إلّا حيث تكون الكتب والقراطيس والوسائل الكتابيّة اللّيّنة الأُخرى. و ممّا يمكن إيراده لتـقوية هذه الملهمات والقرائن هذه الآيات:

١ ـ ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ اِنَّا كُـنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

٢ ـ ﴿اَوْ تَرْقىٰ فِى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾[٤].

حيث تخاطب الأُولى النّاس ـ مشركو مكّة من أوّل من خوطبوا ـ بما لا يعقل إلّا أن يكون من مألوفاتهم من الكتابة واستنساخ الكتب، و حيث تحكي الثّانية قول مشـركي مكّة ممّا يعبّر عن مفهوم الكتاب المكتوب المقروء المألوف والمنتشر بينهم.

ولقـد كـثرت كـما قـلنا الإشـارات القـرآنـيّة إلى كـتب الكـتابيّين وكـتابتها وتعليمهاو دراستها، و جُلّ الكتابيّين الّذين كانوا في الحجاز جاليات نازحة مـن البـلاد المجاورة الّتي كانت وسائل الكتابة اللّيّنة فيها معروفة ميسورة، فلا يعقل أن تكون كتبهم هذه مكتوبةعلى تلك الوسائل البدائيّة الثّقيلة الضّخمة، ولا يعقل إلّا أن يكون النّبيّ قد اهتمّ لتدوين القرآن معجزته الكبرى على نسق ما دوّنت عليه كـتب الكـتابيّين. ولقـد

---

١ ـ المدّثّر /٥٢.

٢ ـ الأنبياء /١٠٤.

٣ ـ الجاثية /٢٩.

٤ ـ الإسراء /٩٣.

احتوت المجموعات الثّلاث روايات عديدة تفيد أنّ الورق والقِرطاس ممّا استعمل في كتابة القرآن في عهد النّبيّ و في عهد أبي بكر ممّا هو متّسق مع الظّروف، ولا يكاد يتحمّل شكًّا في صحّته بقطع النّظر عن وثوق الرّوايات من الوجهة التّعديليّة والتّجريحيّة. ونشير بنوع خاصّ إلى ما كان في أيدي المسلمين من صُحُف و مصاحف و رقاع خاصّة، أمر عُثمان بإحراقها بعد ما فرغ من نسخ المصاحف الموحّدة، ليزول أهمّ سبب من أسباب الخلاف في القراءة ممّا ذكره حديث البُخاريّ والإحراق خاصّة لا يتوارد معه إلّا الورق والقِرطاس والرُّقُوق، ممّا يدلّ على أنّ التّدوين على هذه الوسائل كان هو المألوف السّائغ.

على أنّنا لا نريد أن ننفي بالمرّة ما ورد في الأحاديث العديدة عن كتابة القرآن على الألواح والأكتاف والرّقائق والأديم، فإنّ من الممكن أن يكون لها أصل صحيح أيضًا، ولكن على غير الصّورة أو المقصد الّذي عبّرت عنه الرّوايات أو تركته غامضًا.

فمن المحتمل أن يكون النّبيّ إذ يستدعي أحد كُتّابه لإملاء ما يكون نزل عليه من وحي فورًا أن لا يكون متيسّرًا إلّا شيء من هذه الوسائل البدائيّة، فيكتب الكاتب عليها ما يمليه النّبيّ موقّتًا رَيثما ينقله إلى مكانه من سِجِلّات القرآن، ممّا عبّر عنه زيد بن ثابت في الحديث الّذي نقلناه في المجموعة الثّالثة في قوله: «كنّا نؤلّف القرآن من الرّقاع في عهد رسول الله». و من المحتمل كذلك أنّ أصحاب رسول الله من أهل المُدُن أو البادية قد كانوا يكتبون بعض الفصول القرآنيّة الّتي يتلقّونها عن النّبيّ على قطعة من تلك القطع للتّبرّك والحفظ والنّقل، على اعتبار أنّها أبقى على الزّمن و أقلّ تعرّضًا للفناء والتّمزيق على نحو ما اعتاد المسلمون أن يفعلوه من قديم الأجيال في كتابة الألواح مع بعض التّعديل. فلمّا دعي المسلمون إلى الإتيان بما عندهم من قرآن بقصد زيادة الاستيثاق والضّبط والتّحرير والمعارضة، أتوا فيما أتوا به بهذه القطع، فحفظت الرّوايات هذه الصّورة و نقلتها.

هذا من جهة التّدوين، و ما نقلناه يصحّ إيراده بتمامه على ترتيب القرآن آيات في سُوَر و سُوَرًا في تسلسل أيضًا. فالنّبيّ الّذي لا شكّ في أنّ القرآن كان من أهمّ مشاغله لا

يمكن أن يكون قد أهمل ترتيبه و ترك مدوّناته مشوّشة فَوضى لا يعرف لها أوّل من آخر، سواء في التّدوين أو في القراءة و التّعليم، ولا بدّ من أن يكون قد عني بترتيبه نفس العناية الفائقة الّتي كانت منه بتدوينه و حفظ مدوّناته [إلى أن قال:]

و من النّقاط المهمّة الجديرة بالتّنبيه في هذا المقام أنّه لم يرد أيّ حديث منسوب إلى النّبيّ ﷺ أو أصحابه المعروفين يمكن أن يفيد أنّ القرآن لم يكن مرتّب الآيات والسُّوَر ومعروف التّرتيب في حياة النّبيّ، وكلّ ما جاء في هذا الباب تعليقات وتخمينات متأخّرة. وحديثا البُخاريّ في كتابة المُصْحَف في عهد أبي بكر و نسخه في عهد عُثمان ـ و هما المعوّل الأقوى و الأشهر ـ قد خلوا من أيّ إشارة إلى ذلك، بل فيهما على ما أوردناه في المجموعة الثّالثة ما يؤيّد كون آيات القرآن معروفة التّرتيب منذ حياة النّبيّ، و ننبّه بنوع خاصّ على أنّ حديث نسخ المُصْحَف في عهد عُثمان صريح جدًّا بأنّ ما كان ليس جمعًا أو تدويناً جديدًا كما توهّمه الحاكم على ما أوردناه في المجموعة الأُولى، وإنّما هو نسخ طبق الأصل عن مُصْحَف أبي بكر، و بأنّ القصد منه ضبط كتابة ألفاظ القرآن من حيث الإملاء و توحيدها حتّى لا يكون محلّ للاختلاف في قراءتها، حيث كانت المصاحف والصُّحُف الّتي في أيدي النّاس مكتوبة بخطوط متنوّعة، من المعقول جدًّا أن تكون متخالفة الإملاء والهجاء، وهو ما أدّى إلى الخلاف والفزع منه فعلاً.

و ما دام القرآن قد جمع و ضبط و حرّر في عهد أبي بكر على ملأ من الصَّحابة و خاصّة كبارهم، وفي وقت يكاد يكون فوريًّا بعد وفاة النّبيّ، و على هذا الوجه من الحِرص والتّحرّي الشّديدين دون أن يكون أيّ إشارة إلى قصد ترتيب الآيات أو السُّوَر، فإنّه يصحّ أن يقال بجزم: إنّ دفّتي المُصْحَف الّذي حرّر قد احتوتا كلّ ما ثبت عند كبار الصَّحابة و قُرّائهم و حُفّاظهم، بل و كلّ من شهد العمل منهم أنّه القرآن الّذي مات النّبيّ عنه وهو ثابت لم ينسخ بترتيبه المعروف في حياته. و ما دام النّسخ الّذي جرى في عهد عُثمان إنّما كان عن هذا المُصْحَف، و كان هذا أيضًا على ملأ من الصَّحابة والقُرّاء والحُفّاظ و بمعرفة علماء القرآن منهم، ولم يكن الباعث عليه إلّا إيجاد إمام يضبط فيه الإملاء

والقراءة، و يجمع به النّاس على رسم واحد، و ما دامت المصاحف المتداولة في أيـدي المسلمين هي طبق هذا المُصْحَف الإمام كما هو ثابت بالتّواتُر الفعليّ الّـذي لم يـنقطع والّذي هو يقينيّ ـ باستثناء بعض التّنظيمات الشّكليّة على ما سوف نذكره بـعد ـ فـهي بطبيعة الحال طبق مُصْحَف أبي بكر من حـيث الألفـاظ والآيـات والسُّـوَر و تـرتيبها، و بالتّالي طبق ما مات النّبيّ عنه من قرآن ثابت بترتيبه و تسَلسُله ... [ثمّ ذكر مطالب أُخرى، يرتبط أكثرها بموضوع التّحريف، سيأتي في بابه إن شاءالله تعالى]. (٥٢ ـ ٨٣)

نصّه أيضًا في «التّفسيرالحديث»

تعليق على ترتيب السُّوَر في المُصْحَف

و ننبّه بهذه المناسبة على أنّ عُلماء القرآن قالوا: إنّ ترتيب سُوَر القرآن في المُصْحَف قد جاء حسب أطوالها، حيث قدّمت السُّوَر المسمّاة بالطُّوال، ثمّ ما عرف بـالمئين، ثـمّ ماعرف بالمثاني، ثمّ ما عرف بالقصار، ثمّ ما عرف بالمفصّل، أي القصار جدًّا.[1]

غير أنّ الملاحظ أنّ ذلك ليس دقيقًا كلّ الدّقّة إلّا بالنّسبة إلى سورة البقرة فقط. فثانية السُّوَر في عدد الآيات هي سورة الشُّعراء مثلاً، غير أنّها وضعت في عداد المثاني و بعد عدد كبير من السُّوَر الّتي منهما ما هو أقلّ منها حيّزًا، أي أقصر طولاً، فضلاً عن كونه أقلّ في عدد الآيـات مـثل سـورة الرّعـد و إبـراهـيم والحِـجر والفـرقان والنّـور والمـؤمنون والأنبياءوالحجّ، و سورة الرّعد وإبراهيم والحِجر قد قدّمت في التّرتيب مع أنّ بعدها سُوَرًا كثيرة أكثر منها عدد آيات و أطول حيّزًا. ومثل هذا يلاحظ في سُوَر عديدة أُخرى في الطُّوال والمئين والمثاني والقصار والمفصّل. ولمّا كنّا نعتقد أنّ ترتيب السُّوَر في المُصْحَف قد تمّ في حياة النّبيّ ﷺ و بإرشاده و هو بمصطلح علماء القرآن توقيفيّ، فنحن نعتقد أنّه لابدّ من أن يكون لهذا التّرتيب حكمة، و إن كانت قد خفيت علیناوعلى غيرنا.

هذا، والّذي نرجّحه أنّ تأليف السُّوَر على الصُّورة الّتي شرحناها إنّما هو بالنّسبة إلى

---

١ ـ انظر أيضًا الإتقان في علوم القرآن للسيّوطيّ ١: ٦٠ ـ ٦٨.

السُّوَر المدنيّة فقط، و بخاصّة للطُّوال والمئين والمثاني منها دون السُّوَر المكّيّة. ففي السُّوَر المكّيّة وحدة مواضيع و تشابه قويّ في الفصول، وهي قاصرة على الدّعوة و مبادئها وتَدَعُّماتها المتنوّعة والحِجاج حول ذلك، ممّا لا يقتضي أن ينزل فصل من سورة، ثمّ يَعْقُبُه فصل من سورة أُخرى قبل أن تتمّ فصول السُّورة الّتي قبلها. وهذا بالنّسبة إلى السُّوَر الطّويلة منها حتّى الّتي فيها فصول تبدو غير مترابطة، حيث إنّها لا تخرج عمّا قلناه ممّا نبّهنا عليه و أوردنا قرائنه في سياق تفسيرها. وهذا القول يكون أقوى بالنّسبة إلى السُّوَر الطّويلة المسجّعة منها الّتي تكون وحدة السَّبك والنَّظم فيها من دلائل هذه القُوّة. ويمكن أن يكون أقوى و أكثر بالنّسبة إلى السُّوَر القصيرة والقصيرة جدًّا كما هو المتبادر، باستثناء سورة العلق على التّأكيد وسُوَر القلم والمزّمّل والمدّثّر على الاحتمال، على ما شرحناه في سياق تفسيرها، يضاف إلى هذا أنّ السُّوَر المكّيّة كانت قد تمّت نزولاً في آخر العهد المكّيّ.

ولا يتعارض هذا مع ما هو محقّق من إضافة بعض الآيات المدنيّة إلى بعض السُّوَر المكّيّة، إذ إنّ هذه الآيات قد أُضيفت إلى مناسباتها على ما شرحناه في سياقها في سُوَر المزّمّل والأعراف والشُّعراء. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أمّا مارُوي عن تدوين القرآن أو جمعه في زمن أبي بكر وعُثمان (رضي‌الله‌عنهما) فليس ذلك جمعًا وتدوينًا وترتيبًا جديدًا، فالقرآن كان مدوّنًا و مرتّبًا، وكان لكثير من أصحاب رسول الله مصاحف، و من الّذين ذكر لهم ذلك ابن مسعود وأُبيّ بن كعب (رضي الله عنهما).

غير أنّ القرآن كان مفتوح الصُّحُف لاحتمال نزول الوحي بقرآن جديد، فلمّا مات رسول الله ﷺ ولم يَعُد هناك احتمال لذلك، رأى أبو بكر و عمر و كبارالصّحابة أن يكون هناك مُصْحَف إمام، ليكون المرجع لما قد يكون من خلاف في المصاحف المتداولة، فكتب هذا المُصْحَف الّذي بذلت الجهود العظيمة في كتابته، و قورن و قوبل كلّ ما كان متداولاً مخطوطًا و محفوظًا من القرآن بسبيل ذلك... (٧: ١٥٤ ـ ١٥٥)

الفصل السّادس والأربعون

نصّ العلّامة الطّباطبائيّ (م: ١٤٠٢) في تفسيره «الميزان»

[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

في تاريخ اليعقوبيّ «قال عمر لأبي بكر... **[وذكر كماتقدّم عنه، ثمّ نقل عنه:]** و روى بعضهم: أنّ عليّ أبي طالب عليه السلام كان جمعه لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله و أتى به يحمله على جملٍ فقال: هذا القرآن قد جمعته، قال: و كان قد جزّأه سبعة أجزاء، ثمّ ذكر الأجزاء... **[راجع ج:٢ في قسم الجداوِل الرّقم٢]**.

وفي تاريخ أبي الفداء: وقُتِل في قتال مُسَيْلِمة جماعة من القُرّاء من المهاجرين والأنصار، ولمّا رأى أبو بكر كثرة من قُتِل، أمر بجمع القرآن من أفواه الرِّجال و جريد النّخل والجلود، و ترك ذلك المكتوب عند حَفْصَة بنت عمر زوج النّبيّ صلى الله عليه وآله، انتهى.

والأصل فيما ذكراه الرّوايات، فقد أخرج البُخاريّ في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليَمامة... **[وذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ١و ٢، ثمّ نقل روايات عن ابن أبي داود، أحدها: من طريق يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب. وثانيها: من طريق هِشام بن عُرْوة. وثالثها: من طريق محمّد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد. ورابعها: من طريق أبي العالية عن أُبيّ بن كعب، كما تقدّم عنه الرّقم ١١، ٦، ٥٠، ٧، ، ثمّ نقل أيضًا رواية ابن أشتة في المصاحف عن اللَّيث بن سعد و رواية الدَّيرعاقوليّ في فوائده كما تقدّم عن السّيوطيّ، إلى أن قال :]**

أقول: ولعلّ المراد ضمّ بعض الآيات النّازلة نجومًا إلى بعض السُّوَر، أو إلحاق بعض السُّوَر إلى بعضها ممّا يتماثل صنفًا كالطُّوال والمئين والمفصّلات، فقد ورد لها ذكر في

الأحاديث النّبويّة، وإلّا فتأليف القرآن و جمعه مُصْحَفًا واحدًا إنّما كان بعد ما قبض النّبيّ ﷺ بلا إشكال، وعلى مثل هذا ينبغي أن يحمل ما يأتي.

في صحيح النّسائيّ عن ابن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: اقرأه في شهر... **[ثمّ ذكر رواية البَيْهَقيّ عن ابن سيرين و رواية ابن أبي داود عن الشّعبيّ كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ ذكر أيضًا رواية ابن أشتة من طريق كَهْمَس، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]**

أقول: أقصى ما تدلّ عليه هذه الرّوايات مجرّد جمعهم ما نزلت من السُّوَر والآيات، و أمّا العناية بترتيب السُّوَر والآيات كما هو اليوم أو بترتيب آخر فلا. هذا هو الجمع الأوّل في عهد أبي بكر.

[جمع القرآن على عهد عُثمان]

وقد جمع القرآن ثانيًا في عهد عُثمان لمّا اختلفت المصاحف وكثرت القراءات.

[ثمّ ذكر قول اليَعقوبيّ في جمع عُثمان، كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر بعده رواية حُذَيفة بن اليَمان نقلاً عن البخاريّ، كما تقدّم عنه الرّقم ٤، فقال:]

وفيه أخرج ابن أشتة من طريق أيّوب عن أبي قِلابة، قال: حدّثني رجل من بني عامر يقال له: أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القرآن... **[وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ ثمّ ذكر رواية ابن سيرين عن كثير بن أفلح، ورواية سُوَيدبن غَفَلة و رواية ابن عبّاس، نقلاً عن ابن أبي داود وغيره كما تقدّم عنه الرّقم ٣٦، ٤٤، ٥١، فقال :]**

أقول:السّبع الطُّوال ـ على ما يظهر من هذه الرّواية، وروي أيضًا عن ابن جُبَير ـ هي البقرة و آل عمران و النّساء و المائدة والأنعام والأعراف و يونس، وقد كانت موضوعة في الجمع الأوّل على هذا التّرتيب، ثمّ غيّر عُثمان هذا التّرتيب، فأخذ الأنفال وهي من المثاني و براءة وهي من المئين قبل المثاني، فوضعهما بين الأعراف و يُونس مقدّمًا الأنفال على براءة.

[الفرق بين الجمع الأوّل والثّاني]

الرّوايات الموضوعة في الفصلين السّابقين هي أشهر الرّوايات الواردة في باب جمع القرآن و تأليفه بين صحيحة وسقيمة، وهي تدلّ على أنّ الجمع الأوّل كان جمعًا لشتات السُّوَر المكتوبة في العُسُب واللِّخاف و الأكتاف والجلود والرِّقاع، وإلحاق الآيات النّازلة متفرّقة إلى سُوَر تناسبها.

وأنّ الجمع الثّاني ـ وهو الجمع العُثمانيّ ـ كان ردّ المصاحف المنتشرة عن الجمع الأوّل بعد عروض تعارض النّسخ واختلاف القراءات عليها إلى مُصْحَف واحد مجمع عليه، عدا ما كان من قول زيد أنّه ألحق قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوامَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[1] في سورة الأحزاب في المُصْحَف، فقد كانت المصاحف تتلى خمس عشرة سنة وليست فيها الآية.

و قد روى البُخاريّ عن ابن الزُّبَير قال: قلت لعُثمان: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾[2] قد نسختها الآية الأُخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أُغيّر شيئًا منه من مكانه.

والّذي يعطيه النّظر الحُرّ في أمر هذه الرّوايات ودلالتها ـ وهي عمدة ما في هذا الباب ـ أنّها آحاد غير متواترة، لكنّها محفوفة بقرائن قطعيّة، فقد كان النّبيّ ﷺ يبلّغ النّاس مانزّل إليه من ربّه من غير أن يكتم منه شيئًا، وكان يعلّمهم و يبيّن لهم ما نزّل إليهم من ربّهم على ما نصّ عليه القرآن، ولم يزل جماعة منهم يعلّمون ويتعلّمون القرآن تعلّم تلاوة و بيان، وهم القُرّاء الّذين قُتِل جمّ غفير منهم في غَزوة اليَمامة.

وكان النّاس على رغبة شديدة في أخذ القرآن و تعاطيه، ولم يترك هذا الشّأن ولا ارتفع القرآن من بينهم و لا يومًا أو بعض يوم حتّى جمع القرآن في مُصْحَف واحد، ثمّ أُجمع عليه، فلم يبتل القرآن بما ابتليت به التّوراة والإنجيل و كتب سائر الأنبياء.

---

١ ـ الأحزاب /٢٣.

٢ ـ البقرة /٢٤٠.

أضف إلى ذلك روايات لا تحصى كثرة وردت من طرق الشّيعة و أهل السُّنّة في قراءاته ﷺ كثيرًا من السُّوَر القرآنيّة في الفرائض اليوميّة و غيرها بمسمع من ملأ النّاس، و قد سمّي في هذه الرّوايات جمّ غفير من السُّوَر القرآنيّة مكّيّتها و مدنيّتها.

أضف إلى ذلك ما تقدّم في رواية عُثمان بن أبي العاص في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1] من قوله ﷺ: إنّ جبريل أتاني بهذه الآية وأمرني أن أضعها في موضعها من السُّورة، و نظيرالرّواية في الدّلالة ما دلّ على قراءته ﷺ لبعض السُّوَر النّازلة نجومًا كآل عمران والنّساء وغيرها، فيدلّ على أنّه ﷺ كان يأمر كُتّاب الوحي بإلحاق بعض الآيات في موضعها.

وأعظم الشّواهد القاطعة ما تقدّم في أوّل هذه الأبحاث أنّ القرآن الموجود بأيدينا واجد لما وصفه الله تعالى من الأوصاف الكريمة.

وبالجملة الّذي تدلّ عليه هذه الرّوايات هي:

أوّلاً ـ أنّ الموجود فيمابين الدّفّتين من القرآن هو كلام الله تعالى، فلم يزد فيه شيء ولم يتغيّر منه شيء، و أمّا النّقص فإنّها لا تفي بنفيه نفيًا قطعيًّا، كما روي بعدّة طرق أنّ عمر كان يذكر كثيرًا آية الرّجم ولم تكتب عنه، و أمّا حملهم الرّواية وسائر ما ورد في التّحريف ـ و قد ذكر الآلوسيّ في تفسيره أنّها فوق حدّ الإحصاء ـ على منسوخ التّلاوة فقد عرفت فساده، و تحقّقت أنّ إثبات منسوخ التّلاوة أشنع من إثبات أصل التّحريف.

على أنّ من كان له مُصْحَف غير ما جمعه زيد أوّلاً بأمر من أبي بكر و ثانيًا بأمر من عُثمان كعليّ عليه السلام و أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، لم ينكر شيئًا ممّا حواه المُصْحَف الدّائر، غير ما نقل عن ابن مسعود أنّه لم يكتب في مُصْحَفه المعوّذتين، و كان يقول: إنّهما عَوْذتان نزل بهما جبريل على رسول الله ﷺ ليعوّذ بهما الحسنين عليهما السلام، وقد ردّه سائر الصّحابة وتواترت النّصوص من أئمّة أهل البيت عليهم السلام على أنّهما سورتان من القرآن.

و بالجملة الرّوايات السّابقة ـ كماترى ـ آحاد محفوفة بالقرائن القطعيّة نافية

---

١ ـ النّحل /٩٠.

للتّحريف بالزّيادة والتّغيير قطعًا دون النّقص إلّا ظنًّا، ودعوى بعضهم التّواتُر من حيث الجهات الثّلاث لا مستند لها.

والتّعويل في ذلك على ما قدّمناه من الحجّة في أوّل هذه الأبحاث أنّ القرآن الّذي بأيدينا واجد للصّفات الكريمة الّتي وصف الله سبحانه بها القرآن الواقعيّ الّذي أنزله على رسولهﷺ ككونه قولاً فصلاً ورافعًا للاختلاف وذكرًا وهاديًا ونورًا ومبيّنًا للمعارف الحقيقيّة والشّرائع الفطريّة وآية معجزة إلى غير ذلك من صفاته الكريمة.

ومن الحَريّ أن نعوّل على هذا الوجه، فإنّ حجّة القرآن على كونه كلام الله المنزل على رسولﷺ هي نفسه المتّصفة بهاتيك الصّفات الكريمة من غير أن يتوقّف في ذلك على أمر آخر وراء نفسه كائنًا ما كان، فحجّته معه أينما تحقّق وبيد من كان ومن أيّ طريق وصل.

وبعبارة أُخرى، لا يتوقّف القرآن النّازل من عندالله إلى النّبيّﷺ في كونه متّصفًا بصفاته الكريمة على ثبوت استناده إليهﷺ بنقل متواتر أو متظافر ـ وإن كان واجدًا لذلك ـ بل الأمر بالعكس، فاتّصافه بصفاته الكريمة هو الحجّة على الاستناد، فليس كالكُتُب والرّسائل المنسوبة إلى المصنّفين والكُتّاب، والأقاويل المأثورة عن العلماء وأصحاب الأنظار المتوقّفة صحّة استنادها إلى نقل قطعيّ وبلوغ متواتر أو مستفيض مثلاً، بل نفس ذاته هي الحجّة على ثبوته.

وثانيًا ـ أنّ ترتيب السُّوَر إنّما هو من الصّحابة في الجمع الأوّل والثّاني، ومن الدّليل عليه ما تقدّم في الرّوايات من وضع عُثمان الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس، وقد كانتا في الجمع الأوّل متأخّرتين.

ومن الدّليل عليه ما ورد من مغايرة ترتيب مصاحف سائر الصّحابة للجمع الأوّل والثّاني كليهما، كما روي أنّ مُصْحَف عليّ عليه السلام كان مرتّبًا على ترتيب النّزول، فكان أوّله اقرأ ثمّ المدّثّر، ثمّ نون ثمّ المزّمّل، ثمّ تبّت ثمّ التّكوير، وهكذا إلى آخر المكّيّ والمدنيّ نقله في الإتقان عن ابن فارِس، وفي تاريخ اليعقوبيّ ترتيب آخر لمُصْحَفه عليه السلام.

ونقل عن ابن أشتة في «المصاحف» بإسناده عن أبي جعفر الكوفيّ ترتيب مُصْحَف أُبيّ، وهو يغاير المُصْحَف الدّائر مغايرة شديدة، وكذا عنه فيه بإسناده عن جَرير بن عبدالحميد ترتيب مُصْحَف عبدالله بن مسعود، آخذًا من الطّوال ثمّ المئين ثمّ المثاني ثمّ المفصّل، وهو أيضًا مغاير للمُصْحَف الدّائر.

وقد ذهب كثير منهم إلى أنّ ترتيب السُّوَر توقيفيّ، وأنّ النّبيّ ﷺ هو الّذي أمر بهذا التّرتيب بإشارة من جبريل بأمر من الله سبحانه، حتّى أفرط بعضهم فادّعى ثبوت ذلك بالتّواتُر، وليت شعري أين هذا التّواتُر وقد تقدّمت عمدة روايات الباب ولا أثر فيها من هذا المعنى؟ وسيأتي استدلال بعضهم على ذلك بماورد من نزول القرآن من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا جملةً، ثمّ منها على النّبيّ ﷺ تدريجًا.

وثالثًا ـ أنّ وقوع بعض الآيات القُرآنيّة الّتي نزلت متفرّقة موقعها الّذي هي فيه الآن، لم يخل عن مداخلة من الصّحابة بالاجتهاد كما هو ظاهر روايات الجمع الأوّل وقد تقدّمت.

وأمّا رواية عُثمان بن أبي العاص عن النّبيّ ﷺ: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السُّورة ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [1] الآية، فلا تدلّ على أزيد من فعله ﷺ في بعض الآيات في الجملة لا بالجملة، وعلى تقدير التّسليم لا دلالة لما بأيدينا من الرّوايات المتقدّمة على مطابقة ترتيب الصّحابة ترتيبه ﷺ، و مجرّد حسن الظّنّ بهم لا يسمح للرّوايات بدلالة تدلّ بها على ذلك، وإنّما يفيد أنّهم ما كانوا ليعمدوا إلى مخالفة ترتيبه ﷺ فيما علموه لا فيما جهلوه. وفي روايات الجمع الأوّل المتقدّمة أوضح الشّواهد على أنّهم ما كانوا على علم بمواضع جميع الآيات ولا بنفسها.

ويدلّ على ذلك الرّوايات المستفيضة الّتي وردت من طرق الشّيعة وأهل السّنّة أنّ النّبيّ ﷺ والمؤمنين إنّما كانوا يعلمون تمام السُّورة بنزول البَسْمَلة، كما رواه أبو داود والحاكم و البَيْهَقيّ والبَزّار من طريق سعيد بن جُبَيْر ـ على ما في الإتقان ـ عن ابن عبّاس

---

١ ـ النّحل / ٩٠.

قال: كان النّبيّ ﷺ لا يعرف فصل السُّورة حتّى تنزل عليه: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، زاد البـزّار: فإذا نزلت عرف أنّ السُّورة قد ختمت و استقبلت أو ابتدأت سورة أُخرى.

و أيضًا عن الحاكم من وجه آخر عن سعيد عن ابن عبّاس، قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السّورة حتّى تنزل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت علموا أنّ السُّورة قد انقضت، إسناده على شرط الشّيخين.

و أيضًا عنه من وجه آخر عن سعيد عن ابن عبّاس: أنّ النّبيّ ﷺ إذا جاءه جبريل فقرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنّها سورة، إسناده صحيح.

أقول: وروي ما يقرب من ذلك في عدّة روايات أُخر، وروي ذلك من طرق الشّيعة عن الباقر عليه السلام.

والرّوايات ـ كما ترى ـ صريحة في دلالتها على أنّ الآيات كانت مرتّبةً عند النّبيّ ﷺ بحسب ترتيب النزّول، فكانت المكّيّات في السّورة المكّيّة والمدنيّات في سورة مدنيّة، اللّهمّ إلّا أن يفرض سورة نزل بعضها بمكّة و بعضها بالمدينة، ولا يتحقّق هذا الفرض إلّا في سورة واحدة.

ولازم ذلك أن يكون ما نشاهده من اختلاف مواضع الآيات مستندًا إلى اجتهاد من الصَّحابة.

توضيح ذلك أنّ هناك ما لا يحصى من روايات أسباب النّزول يدلّ على كون آيات كثيرة في السُّوَر المدنيّة نازلة بمكّة وبالعكس، و على كون آيات من القرآن نازلة مثلاً في أواخر عهد النّبيّ ﷺ وهي واقعة في سُوَر نازلة في أوائل الهجرة، و قد نزلت بين الوقتين سُوَر أُخرى كثيرة، و ذلك كسورة البقرة الّتي نزلت في السَّنة الأُولى من الهجرة و فيها آيات الرّبا، و قدوردت الرّوايات على أنّها من آخر ما نزلت على النّبيّ ﷺ حتّى ورد عن عمر أنّه قال: مات رسول الله ولم يبيّن لنا آيات الرّبا، و فيها قوله تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[1]، و قد ورد أنّها آخر ما نزل من القرآن على النّبيّ ﷺ.

---

١ ـ البقرة /٢٨١.

فهذه الآيات النّازلة مفرّقة، الموضوعة في سُوَر لاتجانسها في المكّيّة والمدنيّة، موضوعة في غير موضعها بحسب ترتيب النّزول وليس إلّا عن اجتهاد من الصّحابة.

و يؤيّد ذلك ما في الإتقان عن ابن حَجَر: و قد ورد عن عليّ أنّه جمع القرآن على ترتيب النّزول عقب موت النّبيّ ﷺ أخرجه ابن أبي داود، و هو من مسلّمات مداليل روايات الشّيعة.

هذا ما يدلّ عليه ظاهر روايات الباب المتقدّمة، لكنّ الجمهور أصرّوا على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ، فآيات المُصْحَف الدّائراليوم ـ و هو المُصْحَف العُثمانيّ ـ مرتّبة على ما رتّبها عليه النّبيّ ﷺ بإشارة من جبريل، و أوّلوا ظاهر الرّوايات بأنّ جمع الصّحابة لم يكن جمع ترتيب، و إنّما كان جمعًا لما كانوا يعلمونه و يحفظونه عن النّبيّ ﷺ من السُّوَر و آياتها المرتّبة، بين دفّتين وفي مكان واحد.

و أنت خبير بأنّ كيفيّة الجمع الأوّل الّذي تدلّ عليها الرّوايات تدفع هذه الدّعوى دفعًا صريحًا.

و ربّما استدلّ عليه بما ادّعاه بعضهم من الإجماع على ذلك، فقد نقل السّيوطيّ في الإتقان عن الزّركشيّ دعوى الإجماع عليه، و عن أبي جعفر بن الزُّبَير نفي الخلاف فيه بين المسلمين، و هو إجماع منقول لا يعتمد عليه، بعد وجود الخلاف في أصل التّحريف ودلالة ما تقدّم من الرّوايات على خلافه.

و ربّما استدلّ عليه بالتّواتُر، ويوجد ذلك في كلام كثير منهم ادّعوا تواتُر التّرتيب الموجود عن النّبيّ ﷺ وهو عجيب، و قد نقل في الإتقان بعد نقله ما رواه البخاريّ وغيره بعدّة طرق عن أنس أنّه قال: مات النّبيّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبوالدّرداء ومُعاذبن جَبَل وزيد بن ثابت و أبو زيد، و في رواية «أُبيّ بن كعب» بدل أبو الدّرداء...

[و ذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر].

أمّا دعواه أنّ ظاهر كلام أنس غير مراد فهو ممّا لا يصغى إليه في الأبحاث اللّفظيّة المبنيّة على ظاهر اللّفظ إلّا بقرينة من نفس كلام المتكلّم أو ما ينوب منابه، أمّا مجرّد

الدّعوى و الاستناد إلى قول آخرين فلا.

على أنّه لو حمل كلام أنس على خلاف ظاهره كان من الواجب أن يحمل على أنّ هؤلاء الأربعة إنّما جمعوا في عهد النّبيّ ﷺ معظم القرآن و أكثر سُوَره و آياته، لا على أنّهم و غيرهم من الصّحابة جمعوا جميع القرآن على ما في المُصْحَف العُثمانيّ، و حفظوا ترتيب سُوَره و آياته، و ضبطوا موضع كلّ واحدة واحدة منها عن آخرها، فهذا زيد بن ثابت نفسه ـ و هو أحد الأربعة المذكورين في حديث أنس والمتصدّي للجمع الأوّل والثّاني كليهما ـ يصرّح في رواياته أنّه لم يحفظ جميع الآيات.

ونظيره ما في «الإتقان» عن ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمّد بن سيرين قال: «مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن، و قُتِل عمر ولم يُجمع القرآن».

و أمّا قوله: سلّمناه، ولكن من أين لهم أنّ الواقع في نفس الأمر كذلك؟ فمقلوب على نفسه، فمن أين لهذا القائل أنّ الواقع في نفس الأمر كما يدّعيه، و قد عرفت الشّواهد على خلاف ما يدّعيه؟

و أمّا قوله: إنّه يكفي في تحقّق التّواتُر أن يحفظ الكلّ كلّ القرآن على سبيل التّوزيع فمغالطة واضحة، لأنّه إنّما يفيد كون مجموع القرآن من حيث المجموع منقولاً بالتّواتُر، و أمّا كون كلّ واحدة واحدة من الآيات القرآنيّة محفوظة من حيث محلّها و موضعها بالتّواتُر فلا، و هو ظاهر... [ثمّ ذكر قول البَغَويّ وقول ابن الحَصّار كما تقدّم عن أبي شامَة والسُّيوطيّ، فقال:]

ونقل أيضًا ما يقرب من ذلك عن جماعة غيرهم كالبَيْهقيّ والطّيّبيّ و ابن حَجَر.

أمّا قولهم: إنّ الصّحابة إنّما كتبوا المُصْحَف على التّرتيب الّذي أخذوه عن النّبيّ ﷺ من غير أن يخالفوه في شيءٍ، فممّا لا يدلّ عليه شيء من الرّوايات المتقدّمة، وإنّما المسلّم من دلالتها أنّهم إنّما أثبتوا ما قامت عليه البيّنة من متن الآيات، و لا إشارة في ذلك إلى كيفيّة ترتيب الآيات النّازلة مفرّقة وهو ظاهر، نعم في رواية ابن عبّاس المتقدّمة عن عُثمان ما يشير إلى ذلك، غير أنّ الّذي فيه أنّه كان ﷺ يأمر بعض كُتّاب الوحي بذلك وهو

غير إعلامه جميع الصَّحابة ذلك، على أنّ الرّواية معارضة بروايات الجمع الأوّل و أخبار نزول بسم الله و غيرها.

و أمّا قولهم: إنّ النّبيّ ﷺ لقّن الصَّحابة هذا التّرتيب الموجود في مصاحفنا بتوقيف من جبريل و وحي سَماويّ، فكأنّه إشارة إلى حديث عُثمان بن أبي العاص المتقدّم في آية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1] و قد عرفت ممّا تقدّم أنّه حديث واحد في خصوص موضع آية واحدة، و أين ذلك من مواضع جميع الآيات المفرّقة؟

و أمّا قولهم: إنّ القرآن مكتوب على هذا التّرتيب في اللَّوح المحفوظ، أنزله الله إلى السَّماء الدّنيا، ثمّ أنزله الله مفرّقًا عند الحاجة الخ، فإشارة إلى ما روي مستفيضًا من طُرُق الشّيعة و أهل السُّنّة من نزول القرآن جملة من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدّنيا ثمّ نزوله منها نجومًا إلى النّبيّ ﷺ، لكنّ الرّوايات ليس فيها أدنى دلالة على كون القرآن مكتوبًا في اللَّوح المحفوظ منظّمًا في السّماء الدّنيا على التّرتيب الموجود في المُصْحَف الّذي عندنا، وهو ظاهر.

على أنّه سيأتي إن شاء الله الكلام في معنى كتابة القرآن في اللَّوح المحفوظ، و نزوله إلى السّماء الدّنيا في ذيل ما يناسب ذلك من الآيات كأوّل سورتي الزُّخرف والدُّخان و سورة القدر.

و أمّا قولهم: إنّه قد حصل اليقين بالنّقل المتواتر عن رسول الله ﷺ بهذا التّرتيب الموجود في المصاحف، فقد عرفت أنّه دعوى خالية عن الدّليل، و أنّ هذا التّواتُر لا خبر عنه بالنّسبة إلى كلّ آية آية، كيف و قد تكاثرت الرّوايات أنّ ابن مسعود لم يكتب في مُصْحَفه المعوّذتين، وكان يقول: إنّهما ليستا من القرآن، و إنّما نزل بهما جبريل تعويذًا للحسنين، وكان يَحُكّهما عن المصاحف، ولم ينقل عنه أنّه رجع عن قوله، فكيف خفي عليه هذا التّواتُر طول حياته بعد الجمع الأوّل؟ (١٢: ١١٨ ـ ١٣٢)

---

١ ـ النّحل / ٩٠.

نصّه أيضًا في كتابه: «القرآن في الإسلام»

جمع القرآن في مُصْحَف

الحديث حول جمع القرآن الكريم لا بدّ أن يكون في مرحلتين هما:

أ ـ القرآن قبل الرّحلة

كان القرآن ينزّل آية آية و سورة سورة، ولمّا كان يتمتّع بالفصاحة الخارقة، و البلاغة الفائقة كان ينتشر بسرعة مذهلة، وكان العرب عُشّاق الفصاحة والبلاغة ينجذبون إليه، فيأتون من بلاد بعيدة لاستماع بعض آياته من شفة الرّسول ﷺ.

و عُظماء مكّة و أهل النّفوذ من قُريش كانوا عبّاد الأوثان، وألدّ أعداء الدّعوة الإسلاميّة، وكانت محاولاتهم شديدة في إبعاد النّاس عن النّبيّ و عدم إعطاء الفرصة لاستماع القرآن بحجّة أنّه سحر يلقى عليهم.

و مع هذا كلّه كانوا يأتون خفية في اللّيالي المظلمة إلى قرب بيت النّبيّ و يستمعون إلى الآيات الّتي كان يقرأها ﷺ.

وجدّ المسلمون أيضًا في حفظ القرآن و ضبطه، لأنّ النّبيّ أمر بتعليم القرآن إيّاهم[١]، ولأنّهم كانوا يعتقدون أنّه كلام الله تعالى، وهو السّند الأوّل لعقائدهم الدّينيّة، ويفرض عليهم في الصّلاة قراءة سورة الفاتحة و مقدار آخر من القرآن.

ولمّا هاجر النّبيّ إلى المدينة وانتظمت أُمور المسلمين، أمر الرّسول جماعة من أصحابه بالاهتمام في شأن القرآن و تعليمه وتعلّمه و نشر الأحكام الدّينيّة و ما ينزل عليه من الوحي، فكانت تسجّل هذه يومًا فيومًا حتّى لا تضيع، و أعفي هؤلاء عن الحضور في جبهات الجهاد كما هو صريح القرآن الكريم[٢].

و نظرًا إلى أنّ الصّحابة المهاجرين من مكّة إلى المدينة كان أكثرهم أُمّيّين لا يعرفون

---

١ ـ النّحل / ٤٤، و آيات كثيرة أُخرى.

٢ ـ التّوبة / ١٢٢.

القراءة والكتابة، استفاد الرّسول من الأُسراء اليهود، فأمر كلّ واحد من الأُسراء أن يعلّم عددًا من أصحابه، و بهذه الطّريقة وجد في الصّحابة جماعة متعلّمون يعرفون الكتابة والقراءة.

و من هؤلاء الجماعة أُناس اشتغلوا بقراءة القرآن و حفظه وضبط سُوَره وآياته، وهم الّذين عرفوا فيمابعد بـ«القُرّاء» و منهم استشهد في واقعة بئر معونة أربعون أو سبعون شخصًا[1].

وكان كلّ ما نزل من القرآن أو ينزّل تدريجًا، يكتب في الألواح أو أكتاف الشّاة أو جريد النّخل و يحفظ.

والّذي لا يقبل الشّكّ ولا يمكن إنكاره هو أنّ أكثر السُّوَر القرآنيّة كانت منتشرة دائرة على ألسنة الصّحابة قبل رحلة الرّسول، و قد وردت أسماء كثير من السُّوَر في أحاديث جمّة منقولة من طرق الشّيعة والسّنّة، تصف كيفيّة تبليغ النّبيّ الدّعوة الإسلاميّة والصّلوات الّتي كان يصلّيهاوسيرته في قراءة القرآن.

وهكذا نجد في الأحاديث أسماء خاصّة قبل رحلة الرّسول لطائفة من السُّوَر كالطُّوال والمئين والمثاني والمفصّلات.

ب ـ بعد رحلة الرّسول

بعدما ارتحل النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى الرّفيق الأعلى، جلس عليّ عليه السّلام ـ الّذي كان بنصّ من النّبيّ أعلم النّاس بالقرآن ـ في بيته[2] حتّى جمع القرآن في مُصْحَف على ترتيب النّزول، ولم يمض ستّة أشهر من وفاة الرّسول إلّا كان عليّ قد فرغ من عمل الجمع و حمله للنّاس على بعير.[3]

---

١ ـ الإتقان ١: ٧٢.

٢ ـ نفس المصدر ١: ٥٩.

٣ ـ المصاحف للسِّجستانيّ.

و بعد رحلة الرّسول الأعظم ﷺ بسنة واحدة[1] حدثت حَرب اليَمامة الّتي قتل فيها سبعون من القُرّاء، ففكّرت الخلافة حينذاك في جمع السُّوَر والآيات في مُصْحَف واحد، خوفًا من حدوث حرب أُخرى وفناء القُرّاء وذهاب القرآن على أثر موتهم.

أمرت الخلافة جماعةً من قُرّاء الصَّحابة تحت قيادة زيد بن ثابت الصَّحابيّ بالجمع، فجمعوا القرآن من الألواح و جريد النّخل والأكتاف الّتي كانت في بيت النّبيّ بخطوط كُتّاب الوحي والّتي كانت عند بقيّة الصَّحابة. وعندما كملت عمليّة الجمع استنسخوا عدّةً من النّسخ ووزّعت في الأقطار الإسلاميّة.

وبعد مدّة علم الخليفة الثّالث[2] أنّ القرآن مهدّد بالتّحريف والتّبديل على أثر المساهلة في أمر الاستنساخ والضّبط، فأمر بأخذ مُصْحَف حَفْصَة ـ وهي أوّل نسخة من نسخ الخليفة الأوّل ـ و أمر خمسةً من الصَّحابة منهم زيد بن ثابت أن يستنسخوا من ذلك المُصْحَف، كما أمر أن تجمع كلّ النّسخ الموجودة في الأمصار و ترسل إلى المدينة، فكانت تحرق عندما تصل نسخة من تلك النّسخ.

كتبوا خمس نُسَخ من القرآن، فجعلوا نسخة منها في المدينة، و أرسلوا نسخة إلى مكّة و نسخة إلى الشّام و نسخة إلى الكوفة ونسخة إلى البَصْرة. ويقال: إنّ غير هذه النّسخ الخمس أرسلت نسخة أيضًا إلى اليمن ونسخة إلى البَحْرين. وهذه النّسخة هي الّتي تعرف بـ«مُصْحَف الإمام»، وجميع نسخ القرآن مكتوبة على إحدى هذه النّسخ.

و ليس بين هذه النّسخ والمُصْحَف الّذي كتب بأمر الخليفة الأوّل من الاختلاف إلّا في شيء واحد، وهو أنّ سورة البراءة من مُصْحَف الخليفة الأوّل كانت بين المئين و سورة الأنفال كانت في المثاني، و في مُصْحَف الإمام وضعت سورة الأنفال والبراءة في مكان واحد بين سورة الأعراف و سورة يونس.

---

١ ـ الإتقان ١:٥٩ـ٦٠.

٢ ـ المصدر السّابق ١:٦١.

اهتمام المسلمين بالقرآن

لقد قلنا: إنّ الآيات والسُّوَر كانت موزّعة عند المسلمين قبل الجمع الأوّل والثّاني، وكانوا يهتمّون بشأنها بالغ الاهتمام. وبالإضافة إلى هذا كان جماعة من الصّحابة والتّابعين من القُرّاء، وجمع القرآن تمّ بحضور هؤلاء، وهم كلّهم قد قبلوا المُصْحَف الّذي وضع تحت تصرّفهم استنسخوا بلا ردّ ولا إيراد.

وحتّى في الجمع الثّاني (جمع عُثمان) أرادوا حذف الواو من آية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾[1] فمنعوهم من هذا، وهدّدهم أُبيّ بن كعب الصّحابيّ بإعمال السّيف لولم يثبتوا الواو فأثبتوها[2].

قرأ الخليفة الثّاني[3] في أيّام خلافته جملة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ من آية ﴿والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾[4] بدون واو العطف، فخاصموه حتّى ألزموه بقراءتها مع الواو.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالرّغم من أنّه كان أوّل من جمع القرآن على ترتيب النّزول، وردّوا جمعه ولم يشركوه في الجمع الأوّل والثّاني، مع هذا لم يبد أيّ مخالفة أو معارضة، وقبل المُصْحَف ولم يقل شيئًا عن هذا الموضوع حتّى في أيّام خلافته.

وهكذا أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أولاد عليّ عليه السلام وخلفاؤه، لم يخالفوا في الموضوع، ولم يقولوا شيئًا حتّى لأخصّ أصحابهم، بل كانوا دائمًا يستشهدون بما في هذا المُصْحَف، ويأمرون الشّيعة بالقراءة كما يقرأ النّاس[5].

ويمكننا القول بجرأة: أنّ سكوت عليّ عليه السلام الّذي كان مُصْحَفه يخالف في التّرتيب المُصْحَف المنتشر، كان لأنّ ترتيب النّزول لم يكن ذا أهمّيّة في تفسير القرآن بالقرآن الّذي

١ ـ التّوبة /٣٤.
٢ ـ الدّرّ المنثور ٣:٢٣٢.
٣ ـ نفس المصدر ٣:٢٦٩.
٤ ـ التّوبة /١٠٠.
٥ ـ الوافي ٥:٢٧٣.

يهتمّ به أهل البيت عليهم السلام بل المهمّ فيه هو ملاحظة مجموع الآيات و مقارنة بعضها ببعض، لأنّ القرآن الّذي هو الكتاب الدّائم لكلّ الأزمان والعصور والأقوام والشّعوب لا يمكن حصر مقاصده في خصوصيّة زمنيّة أو مكانيّة أو حوادث النّزول وأشباهها.

نعم، بمعرفة هذه الخصوصيّات يمكن استفادة بعض الفوائد، كالعلم بتاريخ ظهور بعض المعارف والأحكام والقصص الّتي كانت مقارنة لنزول الآيات، وهكذا معرفة كيفيّة تقدّم الدّعوة الإسلاميّة في ثلاث وعشرين سنة وأمثالها... ولكنّ المحافظة على الوحدة الإسلاميّة الّتي كانت الهدف الدّائم لأهل البيت هي أهمّ من هذه الفوائد الجزئيّة.

نصّه أيضًا في كتابه: «مِهْر تابان»[١]

جمع القرآن في عهد أبي بكر

حينما وقعت حرب اليَمامة في عهد أبي بكر، قُتل فيها أربعمائة قارئٌ من قُرّاء القرآن، وكان من المتوقّع أن تقتل البقيّة الباقية منهم، فيما لو وقعت معركة أُخرى، و حينئذ لم يبق للقرآن ذكر، لأنّه لم يكن مدوّنًا يوم ذاك. و لذا انتدب زيد بن ثابت لجمع القرآن و تأليفه، و عيّن لهذه المهمّة خمسة وعشرون من قُرّاء المهاجرين، وخمسة وعشرون من قُرّاء الأنصار، و قُبِلت الآيات و دُوّنت ممّن أتىٰ بشاهدين عدلين.

جمع القرآن في عهد عُثمان

و أمّا جمع القرآن في عهد عُثمان فقد جرىٰ حينما وقع الاختلاف في قراءته، إذ كتب عبد الله بن مسعود إلى عُثمان: أدرك القرآن، لأنّه مشرف على الزّوال، لكثرة اختلاف

---

١ ـ أُسلوب هذا الكتاب عبارة عن نِقاش بين تلميذ ـ هو آية الله السيّد محمّد حسين الطّهرانيّ ـ وأُستاذه، وهو العلّامة الكبير السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ؛ حيث وجّه التّلميذ فيه أسئلة إلى أُستاذه وأجاب عنها، فجمعها بعد وفاة أُستاذه في كتاب بالفارسيّة، يحمل عنوان «مهر تابان»، أي الشّمس المُشرقة وقمنا بترتيب نصوصه، بعيدًا عن أُسلوب الحوار؛ ليلائم كتابنا.(م)

القراءات الّتي أخلّت به. و استجاب عُثمان لندائه، فأمر بإحضار المصاحف الّتي يختلف بعضها عن بعض في القراءة، و جمعت في مكان، فاجتمعت كالتّلّ، كانت تُشكّل هذه المصاحف الّتي كتبت على الألواح وجلود الغزْلان و عظام أكتاف البقر وعلى الورق أيضًا كُتَلاً عظيمة، ثمّ أحرقت كلّها، عدا مُصْحَف ابن مسعود الّذي امتنع عن تسليمه، بالرّغم من كونه أوّل من كتب إلى عُثمان عن خطر تحريف القرآن، و على أثر كتابه أمر عُثمان بجمع المصاحف من البلاد المختلفة، حتّى قيل: إنّ ابن مسعود كان في الواقع المحرّك الأصليّ لهذا العمل، ولم يكن ابن مسعود حين ذاك في المدينة، بل كان أحد العُمّال خارجها، ولمّا جاء إلى المدينة واطّلع على هذا الأمر، قال: إنّ ما قلناه حفظًا للقرآن و صونًا له لا أن يحرق، إنّ هذا الأمر أسوء من ذاك، ولهذا لا أعطيكم مُصْحَفي ولا أدعه يحترق، و أصرّ ابن مسعود على موقفه هذا، ولم يعطهم مُصْحَفه أبدًا، فكان هذا الموقف ثمنًا لحياته.

وكان ابن مسعود حينما قدم إلى المدينة، ذهب إلى عُثمان و كلّمه حول هذا الأمر و عنّفه ووبّخه؛ الأمرالّذي أدّى إلى أن يتحامل عليه عُثمان.

و كان عُثمان يومًا على المنبر، فقطع ابن مسعود عليه خطبته، منتقدًا إيّاه لهذا العمل، فضاق عُثمان به ذرعًا و أمر عَبيده و جلاوزته أن يجرّوه على وجهه و يلقوه خارج المسجد، وامتثل عَبيده لأمره، فسحبوه على وجهه وألقوه خارج المسجد، ممّا سبّب هذا العمل كسر أحد أضلاعه و من ثَمّ موته.

و أرسل عُثمان إليه هَديّة وهو على فراش المرض، فردّها ابن مسعود، ثمّ أرسل إليه مالاً فلم يقبله أيضًا، و بعث إليه: لا حاجة إلى مالك، إذ ضننت به عليّ حينما كنت محتاجًا، وجدت به عند ما أصبحت مستغنيًا عنه. فكان عُثمان يدعو إلى حرق مصاحف المسلمين لمصلحتهم، وكان ابن مسعود لا يرىٰ مصلحة للمسلمين في ذلك، و يعتبر هذا العمل إهانة للقرآن.[1]

---

١ ـ تقدّم ذكر هذه المشادّة الّتي حدثت بين عُثمان وابن مسعود «حول جمع القرآن» و«مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام» عن اليعقوبيّ، ولكنّنا أوردناها مرّةً أُخرى لكونها أكثر بيانًا وتوضيحًا. (م)

[و قد عقّب العلّامة الطّباطبائيّ قائلاً:] و هناك طريقة أمثل لهذا العمل، وهو دفن هذه المصاحف في أرضٍ طاهرة، أو تحفظ في مكان مقدّس، أو تُلقىٰ في الماء.

هذا رأي الشّيعة في هذا الموضوع، و أمّا رأي العامّة فلا يذهب إلى حرق المصاحف، بل إلى إلقائها في ماء مغليّ، لكي تمحى الكلمات المكتوبة على العظام والألواح والأوراق.

مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام

نقل اليعقوبيّ في تاريخه: إنّ أميرالمؤمنين عليًّا عليه السلام لم يخرج من بيته بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وزاره بعض من وجوه الصّحابة مستفسرين عن علّة عدم خروجه من البيت و مجيئه إلى المسجد والانضمام إلى جماعة المسلمين، فقال عليه السلام: أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري، حتّى أُتمّ تنظيم القرآن، و أُرتّب تفسيره و تأويله، فأنا رهين هذا الأمر.

وقد نظّمه على حسب ترتيب النّزول، فكانت سورة العلق أوّل سورة فيه، والمائدة آخر سورة. وبعد أن أتمّه عليّ عليه السلام في ستّة أشهُر حمله على بعير وانطلق به إلى المسجد، وكان الصّحابة مجتمعين هناك، فقال لهم: هذا قرآنكم جمعته و أتيتكم به، فلم يردّ عليه أحد، فأرجع البعير إلى البيت، وطمس أثر ذلك المُصْحَف إلى الآن. (هذا ما جاء في كتب العامّة).

(وأمّا كتب الخاصّة) فإنّها تنصّ على أنّ عليًّا حينما حمل المُصْحَف على بعير، أتى به إلى المسجد و قال لهم: هذا قرآنكم، فقالوا له: لاحاجة لنا بقرآنك، فلم يقبلوه، ولم يتابع عليٌّ هذا الأمر، فأرجع البعير إلى البيت وهو يقول: لن تروه إلى يوم القيامة.

من مزايا و خصائص هذا المُصْحَف، مضافًا إلى ترتيب ا لسُّوَر والآيات بحسب نزولها، هو أخذه بالحُسبان شأن نزول الآيات والسُّوَر، ولهذا كان يعيّن وقت نزول كلّ آية وسبب نزولها. ويمتاز أيضًا بتشخيص السُّوَر المتقدّمة والمتأخّرة و ما بينهما، و يبيّن بعض النّواحي التّفسيريّة والتّأويليّة. (٤٠٦ ـ ٤١٢)

الفصل السّابع والأربعون

نصّ الأُشَيْقِر (معاصر) في «لمحات من تاريخ القرآن»

الجمع الأوّل للقرآن

يؤثر عن النّبيّ الكريمﷺ أنّه قال: «لا تكتبوا عنّي شيئًا غير القرآن، و من كتب غيره فليمحه[1]، و حدّثوا عنّي ولا حرج، و من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار».[2]

قولهﷺ هذا ما جاء إلّا لكي يحفظ للقرآن صفته وارتباطه المباشر بالله تعالى، و ليحول دون اختلاطه بشيء ليست له هذه الرّابطة وهذه الصّفة والسّمة القدسيّة، ودون أن تلتبس أقواله و شروحه و سيرتهﷺ بآيات القرآن.

لذا فعندما كانت تنزّل على النّبيّﷺ شيء من الآيات الكريمة كان يستدعي على الفور بعض من كان يكتب له بالخطّ المقرّر حينذاك وهو (الخطّ المكّيّ) و هم كُتّاب الوحي، فيملي عليهم ما ينزل عليه، و إذا فرغﷺ من ذلك يطلب من الكاتب إعادة قراءة ما كتبه، فإن كان فيه سقط أو زيادةٌ أو نُقصانٌ، أصلحه وأقامه، كما وكانﷺ يقرىء الفائزين بشرف الصّحبة و يحفّظهم كلّ ما كان ينزل عليه من الآيات أوّلاً بأوّل، فضلاً عن

---

١ ـ يروى أنّ الرّسولﷺ في السّنوات الأخيرة من حياته قد أذن في كتابة الحديث، وذلك بعد أن نزل أكثر القرآن وحفظه الكثيرون، وهناك من قال بأنّ هذا الإذن كان خاصًّا، و من قال بأنّه كان عامًّا، واستنادًا إلى هذا فقد كتب الأصحاب الحديث في عهد النّبيّﷺ ومنهم من كانت له مجموعة خاصة اشتهر به، فقد كان للإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام صحيفة، وكان لأنس صحيفة فضلاً عن حبر الأُمّة عبد الله بن عبّاس و عبد الله بن مسعود و جابر بن عبدالله... علمًا بأنّ التّدوين الرّسميّ للأحاديث كان في مطلع القرن الثّاني الهجريّ وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، كما مرّ تفصيله في فصل التّعريف بالقرآن.

٢ ـ صحيح مُسلم، فضائل القرآن لإسماعيل بن كثير القرشيّ.

أنّه ﷺ كان يبعث إلى من كان بعيد الدّار منهم من يعلّمه و يقرئه، و أنّه كان قد خصّص سيّدة لتعليم النّساء القرآن.

وكان الأصحاب يتنافسون في استظهار آيات الله و حفظها، ويتسابقون إلى مدارستها و تفهّمها، وكانوا كلّما نزل شيء من الآيات، تهفو قلوبهم إليها و تنشرح صُدورهم، و تلقّوها بالابتهاج والفرحة الغامرة...

ويتفاوت حفظ هؤلاء الأصحاب للآيات الكريمة تبعًا لمدىٰ حضورهم ووجودهم عند الرّسول ﷺ حال إملاء الآيات على كُتّاب الوحي، و على درجة فطنتهم و ملكتهم في الحفظ والاستظهار في لوح القلب، وسعة خبرتهم بأساليب اللُّغة وطرق البيان.

وكان هؤلاء أيضًا إذا حفظوا شيئًا من الآيات لم يتجاوزوها إلى غيرها حتّى يعلموا ما فيها من العلم والعمل... [إلى أن قال:]

وكُتّاب الوحي المومَى إليهم ـ الّذين كانوا يكتبون للرّسول ﷺ الآيات ـ يصل عددهم إلى ٤٣[1] نفرًا، و أشهرهم وأقدمهم إمام الهدى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و منهم أيضًا أبو بكر وعُمر و عُثمان و زيد بن ثابت و أُبيّ بن كعب و ثابت بن قَيْس والزُّبَير بن العوّام و حُذَيْفة بن اليَمَان و عبد الله بن رَواحة و سعيد بن العاص.

وكان ألزم كُتّاب الوحي للنّبيّ و أكثرهم كتابة و تدوينًا له هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و من بعده يأتي زيد بن ثابت...

ممّا تقدّم بيانه يظهر لنا أنّ حفظ القرآن وجمعه الأوّل (يطلق الجمع أيضًا على حفظ القرآن) قد تمّ في عهد الرّسول ﷺ بطريقتين اثنتين هما:

١ ـ في حفظه في صُدورالمسلمين و قلوبهم حفظًا لم يهمل حرفًا ولا حركةً ولا سكونًا ولا إثباتًا ولا حذفًا، ولا دخل عليهم في شيءٍ منه شكٌّ ولا وهم، وقد كان البعض يحفظه كلّه والبعض الآخر شطرًا منه.

وكان شغف المسلمين بحفظه وتلاوته حينئذٍ عظيمًا، فقد كانوا يتداولون ما استجدّ

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن.

منه في نواديهم و مجتمعاتهم، لأنّه بات يملك عليهم سويداء قلوبهم، وغدا همّهم الأوحد قراءة وكتابة الكِتاب أو الاستماع إليه، لأنّه قاعدة الدّين والدّنيا، وبه تتأيّد السّلطة والحكم. حتّى أنّ منازلهم كانت تدوي ليلاً من أصواتهم بالقرآن كدويّ النّحل حيث كانوا يهجرون لذّة النّوم وراحة الهجود إيثارًا للذّة القيام به في اللّيل.

كما وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجّة بتلاوة القرآن، حتّى أمرهم الرّسول ﷺ يخفضوا و يخفّفوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا ما بينهم...

هذا فضلاً عن أنّ المرأة المسلمة قد تجعل مهرها تعليمها سورة من القرآن أو أكثر، و هذا على عكس ما نلمسه الآن بصدد مشاكل الزّواج عندنا من مضاعفة أولياء الأُمور لمُهور الفتيات، ووضع ألف شَرط و شَرط في طريق زواج تلكم الفتيات المسلمات...[إلى أن قال:]

هذا وأنّ أشهر من حفظ القرآن كلّه أو قسم منه من آل و أصحاب رسول الله ﷺ هم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو بكر وعُمر وعُثمان وحبرالأُمّة وترجمان القرآن عبدالله بن عبّاس وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود وأبو الدّرداء وأبوموسى الأشعريّ ومُعاذ بن جَبَل وحُذَيفة بن اليَمان.

وطبيعيّ أنّ هؤلاء ليسوا هم كلّ الحُفّاظ، وإنّما هناك آخرون من المسلمين ممّن حفظ من القرآن كثيرًا أو قليلاً ممّا لا يسع المجال لإيراد أسمائهم برمّتهم.

ويروى بهذا الصّدد أنّ القبائل في صدر الإسلام كانت تتفاخر فيما بينها على كثرة ما بين أفرادها من حُفّاظ للقرآن كلّه، فيقال بهذه المناسبة: إنّ الخَزْرج كانت تفاخَرَ الأوس بأربعة أشخاص من قبيلتها ممّن حفظوا القرآن كلّه، وهم زيد بن ثابت ومُعاذ بن جَبَل وأُبيّ بن كعب وأبو زيد، بينما لا تملك الأوس هنا إلّا أن تفاخَر بأفراد منها لهم مناقب أُخرى، منهم ذو الشّهادتين وغيرهم[1]... [إلى أن قال:]

٢ ـ أمّا الطّريقة الثّانية الّتي تمّ عن طريقها حفظ وجمع القرآن فهو تدوينه وتسجيله

---

١ ـ تاريخ القرآن ـ محمّد طاهر الكُرديّ.

بواسطة الكُتّاب على الوسائل المتيسّرة والموجودة في ذلك العهد وهي...[١] [ثمّ ذكر أدوات التّدوين كما تقدّم عن السُّيُوطيّ، ثمّ قال:]

فقد حرص كثير من الصّحابة في حياة الرسولﷺ على الاحتفاظ وجمع كلّ أو قسم من الآيات الكريمة والّتي دوّنوها على الوسائل الآنفة الذّكر جمعها في مكان واحد «وليس في مُصْحَف واحد» بسبب أنّ الوحي لم ينقطع عن الأرض طَيْلة حياة الرّسولﷺ، وقبل انقطاعه لا يمكن إتمام جمع المُصْحَف فضلاً عن ترقّب ورود ناسخ لبعض الأحكام والآيات.

والمقصود هنا: مَن حَفَظ وجَمَع الآيات في مكان واحد هو أن يسجّل الحافظ أو الصَّحابيّ الآيات تباعًا، و يدعها في غرفة خاصّة أو صندوق معيّن، كما وكان هناك من هؤلاء من أكمل هذا الجمع عقب وفاة الرّسولﷺ مباشرة.

و يؤكّد قولنا هذا ما يروى من أنّ أكثر الصّحابة كان معتادًا على ختم القرآن، و معنى ختمه هو أن يقرأه من أوّله إلى آخره، فلو لم يكن القرآن مسجّلاً و مجموعًا من الأوّل إلى الآخر و محفوظًا في مكان خاصّ لما أُطلق على قراءته عنوان الختم.

كما و يثبت هذا القول ما يروى عن زيد بن ثابت من قوله بأنّنا كنّا نجمع آيات القرآن الكريم بحضور النّبيّﷺ من قصاصات من الورق.

أمّا بصدد ترتيب آيات السُّوَر فإنّ الرّسولﷺ لم ينتظر في ترتيب الآيات المنزلة نجومًا حتّى يكمل نزولها، ولم يتريّث في تأليف سورة واحدة حتّى تتمّ كافّة فصولها، بل كان كلّما أُلقيت عليه آية أو أكثر يأمر بوضعها حالاً في مكان مرتّب من سورة معيّنة، أي إنّ الأمر توقيفيّ.

و في بعض الأحيان كان يحدث أن تنزل آيتان لسُورتين مختلفتين في آن واحد، فيطلب الرّسولﷺ تدوينهامنفصلتين تفاديًا لأيّ لَبْس أو خلط، وليمكن وضع كلّ آية في سورتها المطلوبة و مكانها المعلوم.

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدّين السُّيُوطيّ.

وعلى هذا يمكن التّأكيد و الجزم بأنّ جميع الآيات قد نسقت ووضعت في أماكنها المطلوبة والثّابتة قُبَيْل وفاة الرّسول ﷺ، كما سمّيت السُّوَر بإذنه و توجيهه كما سلف بيانه.

هذا علمًا بأنّ هذه الآيات وهذه السُّوَر في القرآن الكريم لم تـتّخذ فـي ورودهـا التّنزيليّ سبيلها الّتي اتّبعته في وضعها التّرتيبيّ، فما أكثرالسُّوَر الّتي نزلت جميعًا أو أشتاتًا في الفترات الّتي نزلت بها سُوَر أُخرى! وكم آية في السُّورة الواحدة تقدّمت فيها نزولاً و تأخّرت ترتيبًا! وكم آية على عكس ذلك.

هذا و عندما كان الوحي ينزل بالبَسْمَلة في أوّل كلّ سورة كان يعرف الجميع أنّـها سورة جديدة، فتوضع في محلّها، لذا اعتبرت البَسْمَلة في الحقّ آية أصيلة وجزءًا من كلّ سورة لاتتجزّأ[١]، عدا سورة براءة. و الدّليل هو أنّ السّلف الصّالح قد جرى على إثباتها في المُصْحَف مع استقرار السّيرة واستمرارها بين المسلمين على قراءتها في أوّل كلّ سورة، فضلاً عن اشتمال جميع المصاحف منذ صدر الإسلام حتّى الآن على ذكرها في أوّل كلّ سورة، مع حرصهم الشّديد ـ المسلمين ـ على عدم إدخال ما ليس من القرآن فيه، حتّى أنّ بعض الصّحابة عارض في تنقيط المُصْحَف و تشكيله لكي لا يدخل في المُصْحف أيّ عنصر جديد... [ثمّ ذكر سبب حذف البَسْمَلة من سورة البراءة الّتي لا حاجة لذكرها هنا، فقال:]

وكان الرّسول ﷺ بدوره كذلك يستعيد قراءة (كُـتّاب الوحي) و غيرهم من الحُفّاظ في كلّ فرصة و مناسبة من أجل التّثبّت من سـلامة حـفظهم و اسـتظهارهم و لتـصحيح الأغلاط و السّقطات الّتي قد تشوب بعض ما حفظوه.

وقد فعل الرّسول ﷺ هذا وأكّد عليه، حتّى لايضيع الإسلام بضياع دستوره و كتابه الكريم، ولأنّ القرآن أمانة في عُنق الرّسول ﷺ عليه حتمًا أن يـؤدّيه كـاملاً و يسـلّمه مجموعًا، لئلّا تناله أيدي العابثين[٢]... [إلى أن قال:]

هؤلاء ليس هو كلّ الحقيقة بل أرى مع نفرقليل جدًّا من الكُتّاب إلى أنّ هذا التّدوين

---

١ ـ تفسيرالمنار.

٢ ـ وفي هذا المعنى قال الشّاعر في الشّطر الأوّل من بيته.

كلّ علم ليس في القِرطاس ضاع كـلّ سـرّ جـاوز الإثـنين شـاع

قد تمّ بالإضافة إلى كلّ تلك الوسائل الأوّليّة، تمّ على القراطيس والأوراق البدائيّة والرّقوق النّاعمة المسوّاة... بدليل أنّ الرّسولﷺ حرصًا منه على حفظ أعظم مظاهر النّبوّة ومعجزتها الخالدة ـ كان يكتب كلّ ما ينزل به الوحي في رقاع منفردة، ثمّ تنقل هذه الرّقاع إلى صُحُف مُعَدّة كالسِّجلّ، فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير به النّبيّﷺ و يطلبه.[1]

كما و أنّ وجود القراطيس والصُّحُف في عهد النُّبوّة ليس مستبعدًا بعد ما جاء ذكرها مرارًا عديدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِاَيْدِيهِمْ﴾[2]، و قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسىٰ نُورًا وَ هُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسىٰ﴾.[5]

إنّ القِرطاس و الصُّحُف المشار إليها في القرآن الكريم لا يمكن في الحقّ أن تدلّ على تلك الوسائل الأوّليّة والبدائيّة المعروفة، بل تطلق عادة على ما كان شائعًا حينئذٍ من وسائل الكتابة و موادّها الّتي تبسط و تطوى و تحمل و يكتب عليها بسهولة ويُسر، والّتي قد يكون لها شبه كبير أو قليل بالورق المستعمل حاليًّا في الكتابة، وإن كان دونه طبعًا في التّطوّر والجودة.[6]

هذا من جهة و من الجهة الأُخرى فقد سبق أن نوّهنا بانتشار التّعليم بصورة محدودة بين صفوف الأفراد داخل المدن الحجازيّة، فلا يمكن والحالة هذه أن تقتصر كتابات هؤلاء و مراسلاتهم على الوسائل البدائيّة في الكتابة و إلى جوارهم و بقربهم الدّول والجاليات الّتي عرفت واستعملت القراطيس و الأوراق، وسُجّلت عليها بعض مقاطع

---

١ ـ القرآن المجيد لعزّة دَرْوَزَة.
٢ ـ الأنعام /٧.
٣ ـ الأنعام /٩١.
٤ ـ عبس /١٣ ـ ١٤.
٥ ـ الأعلى /١٨ ـ ١٩.
٦ ـ القرآن المجيد لعزّة دَرْوَزَة.

و أجزاء من التّوراة والإنجيل وغيرهما.

كما ولا يمكن هنا أن نتصوّر أو أن نقول بأنّ إحراق عُثمان بن عفّان للآيات القرآنيّة بعد جمعه للقرآن ـ الجمع الثّالث ـ و إحراق مروان بن الحكم للآيات الّتي استنسخت في خلال الجمع الثّاني في عهد أبي بكر، والّتي كانت محفوظة لدىٰ حَفْصة بنت عُـمر بـعد وفاتها ـ كما سيرد تفصيله بعد قليل ـ لا يمكن أن نتصوّر أنّ كلّ هذا الإحراق كان على الرِّقاع والأحجار والأكتاف والعظام، وهذه كلّها لا يمكن أن ينالها لهيب النّار بطبيعتها، وإنّما جاء الحرق هذا على القراطيس والصُّحُف والرِّقاق الّتي دوّنت عليها الآيات القرآنيّة في حياة الرّسول و بعده.

كما ولا يمكن أن نعقل قيام أبي بكر بشدّ الصّحاف ببعضها بخيط واحد بعد ثقبها أو بدونه ـ كما أشرنا إلى ذلك من قبل ـ لا يمكن أن نعقل، إلّا أنّ الأمر والفعل هذا قد تمّ على القراطيس و الصُّحُف والرُّقوق النّاعمة المسوّاة لامحالة... [إلى أن قال:]

فبصدد هذه الوسائل أقول: إنّ الغالبيّة من المؤرّخين قد ذهبت إلى أنّ التّدوين في عهد النُّبوّة كان قد تمّ على الوسائل البدائيّة المشار إليها، وهي الأكتاف والعِظام ورِقاق الحِجارة و الخُشُب... إلخ.

وكان هناك آخرون أيضًا بالإضافة إلى الإمام عليّ عليه السلام قد وفّقوا و نجحوا في جمع القرآن في مُصْحَف واحد بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، وهم أُبيّ بن كعب و عبد الله بن مسـعود و عبد الله بن عبّاس و أبو موسى الأشعريّ و المقداد بن الأسود.

هذا و أنّ المصاحف المشار إليها آنفًا كانت موزّعة في الأمصار والمدن الإسلاميّة، فأهل الكوفة كانوا يقرأون على مُصْحَف عبد الله بن مسعود، و أهل البَـصْرة تـقرأ عـلى مُصْحَف أبي موسى الأشعريّ، وأهل الشّام بما فيهم أهل حِمْص على مُصْحَف أُبـيّ بـن كعب، و أهل دمشق على مُصْحَف المقداد بن الأسود.[1]

كما وقد كان ثَمّة خلاف بين هذه المصاحف، فضلاً عن أهل كلّ قطر كانوا ينتصرون

---

١ ـ الكامل في التّاريخ.

لمُصْحَفهم على حساب المصاحف الأُخرى، ويؤيّدون قراءاتهم على ما عداها.

وهذا الخلاف الّذي استفحل بمرور الأيّام هو الّذي أدركه الصَّحابيّ الجليل والقائد المشهور حُذَيْفة بن اليَمان[1] حين كان غازيًا في سبيل الله مع جيوش المسلمين في جبهات أذربايجان ـ شمال غرب إيران ـ وأرمينيا. فعند أوبته رحمه الله إلى الكوفة ذكر أمام أميرها سعيد بن العاص الخطر الّذي سيلحق بالإسلام من جرّاء هذا الاختلاف في المصاحف وقراءاتها...

الجمع الثّاني للقرآن

لايخفى على القارىء العزيز ممّا مرّ ذكره بأنّ القرآن الكريم كان مؤلّفًا في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله على ما هو عليه في المصاحف اليوم، ولكن لم يك مجموعًا في مُصْحَف واحد وكتاب واحد[2]. لأنّ الوحي كان لاينقطع في حياته صلى الله عليه وآله، وكان ما أوحي به صلى الله عليه وآله مجموعًا ـكما سلف ذكره ـ في قلوب المسلمين وكتاباتهم له، وذلك على خلاف ما يذهب إليه البعض من المستشرقين ممّن تصدّوا للكتابة عن القرآن أو الإشارة إليه[3] وخصوصًا في موضوع جمعه، حيث ذهب هذا البعض إلى أنّ سُوَر القرآن وآياته ظلّت مبعثرة ومفكّكة فيحياة الرّسول، ثمّ جمعت بعد وفاته تحت رحمة الأسانيد الشّفويّة للصّحابة ممّا جعل أصل القرآن مثارًا للقيل والقال والتّساؤل والاستفسار[4].

وهذا الزّعم ـ إن صحّ ـ فلا يصلح إلّا لإظهار مَدى جهل الّذين ابتدعوه وخلقوه، فليس أبعد من الحقيقة من أن يقال: إنّ آيات القرآن وسُوَره جمعت بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله،

١ ـ كان حُذَيْفة بن اليَمان العَبسيّ صاحب سرّ رسول الله، ويروى بصدده أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله كان قد أخبره بما كان وما يكون إلى أن تقوم السّاعة، بما في ذلك واقع وقرارة نفس كلّ صَحابيّ وعاقبته المنتظرة. توفّي رحمه الله في العراق عام ٣٦ هجريّة، ودفن إلى جوار الصَّحابيّ الجليل سَلْمان الفارسيّ في المدائن ـ قرب بغداد.

٢ ـ التّبيان في آداب حملة القرآن ـ يحيى بن شَرَف.

٣ ـ بصدد مصدر القرآن يذهب قسم من المستشرقين وغيرهم إلى أنّ القرآن هو من تأليف محمّد صلى الله عليه وآله وطبيعيّ أنّ هذا مخالف للحقّ ومجانب للواقع، وهو أنّ القرآن الكريم كلام الله، وأنّه وحي أنزله على رسوله.

٤ ـ التّاريخ الجغرافيّ للقرآن ـ السّيّد مظفّر الدّين نادفيّ.

لأنّ هناك ألف دليل و دليل يشير إلى أنّ آيات القرآن قد جمعت كلّها في عهد الرّسول، كما أنّ السُّوَر القرآنيّة قد سمّيت كلّها تحت إشرافه ونظره[1] كما سلف بيانه.

ولمّا اختار الله تعالى لرسوله دارالكرامة والسّعادة، وانقطع إثر ذلك نزول الوحي، فلا يرجى بعد ذلك للقرآن نزول تتمّة له، رأى المسلمون حينئذٍ أن يسجّلوه في مُصْحَف جامع واحد[2] وكتاب واحد.

و **قيل:** إنّ الدّافع الرّئيسيّ في ذلك قد جاء بعد أن اشتدّ القتل بأصحاب رسول الله ﷺ في واقعة اليَمامة، والّتي وقعت في أواخر سنة ١١ هجريّة و أوائل عام ١٢هـ تقريبًا، وهي الواقعة الّتي جرت مع مُسَيْلمة الكذّاب الّذي ادّعى النّبوّة بعد وفاة الرّسول ﷺ، كما وكانت ساحة المعركة في أرض نجد، وفيها استشهد سبعون أو مايقارب من خمسمائة شخص من القُرّاء ـ بقول آخر ـ[3] الّذين صحبوا النّبيّ وسمعوا حديثه ... [ثمّ ذكر فكرة جمع القرآن بعد مقتل القُرّاء في معركة اليَمامة، كما تقدّم نحوه سابقًا في مواضع مختلفة، فقال:]

وفي سبيل هذا الأمر الّذي صدق عليه استدعى أبو بكر زيد بن ثابت ـ وكان من أبرز كُتّاب الوحي ـ وقال له بأنّي قد عزمت على أمر خطير، آمل أن تعينني عليه، فإنّك رجل شابّ عاقل لا نتّهمك في شيء، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن وأجمعه[4] في مكان واحد.

وقد كان وقوع هذا القول على رأس زيد وقوع الصّاعقة، حيث استثقل الأمر في البداية واستبعده لأسباب، منها: أنّه لم يسبق له أن تلقّى طلبًا كهذا في عهد رسول الله، فضلاً عمّا سيكلّفه ويوقعه في المزيد من الأتعاب والمشاكل الّتي هو في غنى عنها، و

---

١ ـ المصدر السّابق.

٢ ـ آلاء الرّحمن في تفسير القرآن ـ الشّيخ محمّد جواد البلاغيّ.

٣ ـ كان يطلق لفظ قارئ قديمًا على الّذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب، ويساويه الآن لفظ الحافظ. أمّا لفظ المقرئ المتداول بيننا الآن فهو الّذي يقرأ القرآن بالمُصْحَف، وسيمرّ على القُرّاء الكرام شرح ذلك مسهبًا في فصل لاحق هو «العناية بالقرآن».

٤ ـ البرهان في علوم القرآن.

كذلك بصفته كصحابيّ شاهد رسول اللهﷺ و سمع حديثه، لا يحبّ أن يقوم بعمل أو بادرة أو محاولة لم يفعلها النّبيّ ولم يأمر بها، مضاف إلى ذلك أنّه كمسلم يتحاشى هكذا عمل خشية وقوعه في بعض الأخطاء عند تنفيذه هذه المهمّة و ما يترتّب على هذه الأخطاء من المحاذير الدّينيّة والأدبيّة...

وحسب زيد حينئذٍ أنّه لو كلّف بنقل جبل ـ كجبل أبي قُبَيس المُطِلّ على قلب مكّة ـ بصُخوره وترابه من مكانه، ما كان أثقل عليه من تنفيذ هذا الطّلب الّذي كلّف به.

ولكن لم تمضِ إلّا فترة قصيرة من الوقت إلّا وقد شرح الله صدره بقبول هذا العمل، كما شرح صدر أبي بكر في هذا الشّأن من قبل، فوافق على القيام بالعمل وابتدأ في تنفيذه و تحقيقه في الحال، بعد أن توسّل إلى الله تعالى في أن ينهي مهمّته بسرعة وانتظام، و أن يكلّل جهوده بالنّجاح والتّوفيق.

قام زيد بالأمر على خير وجه وسار على خطّة حكيمة وسليمة، فهو لم يعتمد فقط على ملكة الحفظ عند العرب؛ بل اشترط فضلاً عنها أن تعزّزها و تدعمها الكتابة، كما اشترط أيضًا ألّا يقبل آية آية مكتوبة من آيات القرآن إلّا بعد شهادة شاهدين عادلين، يفيدان على أنّها كتبت و حرّرت في حضرة الرّسولﷺ و أنّها سمعت من فمه[1].

والحقيقة أنّ كلّ هذه الإجراءات و التّعقيدات هي من أجل المبالغة في الاحتياط والأمانة في الجمع والحرص على سلامة الآيات.

وهكذا تتبّع زيد القرآن بأجمعه، يجمعه من العُسُب واللّخاف والصُّحُف والقَراطيس و صُدُور الرِّجال، فوجد قرب الانتهاء أنّ آخر سورة التّوبة كانت لدى أبي خُزَيْمة الأنصاريّ[2] وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3] فوافق على كتابتها في الحال، لأنّ الرّسولﷺ جعل

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن.

٢ ـ المعنى هنا أنّ زيدًا لم يجد هذه الآية مكتوبة عند غيره ممّن راجعهم، لم يك يحفظها غيره، بل كان يحفظها الكثيرون و يتلونها في الصّلاة وغيرها.

٣ ـ التّوبة /١٢٨.

شهادته مساوية لشهادة رجلين من المسلمين «وذلك في واقعة خاصّة لا مجال لإيرادها هنا» ولقّب إثر ذلك بذي الشّهادتين... [ثمّ ذكر آية الرّجم عن عمر وقوله، وإصرار أبي بكر على سُرعة جمع القرآن... كما تقدّم نحوه عن السّيوطيّ والكُرديّ وعِزَّة دَرْوَزَة...].

كما وقد كتب زيد بن ثابت القرآن كلّه بجميع أجزائه و أوجهه المعبَّر عنها بالأحرف السّبعة كما سيرد ذكرها في نهاية هذا الكتاب، وقد كتبه ـ كما صرّح هو به ـ على قطع الأديم وكسر الأكتاف والسَّعف وغيرها...

و الصُّحُف الّتي جمعت فيها القرآن وضعت لدى أبي بكر بعد أن شدّت بخيط خشيةَ سقوط أو فقدان شيءٍ منها، و بعد وفاته انتقلت هذه الصُّحُف إلى خلفه عمر، وظّلت لديه حتّى انتقاله لجوار ربّه، ثمّ حفظت عند ابنته حَفْصَة، وليس لدى عُثمان.

والحقيقة بصدد الفقرة الأخيرة هو أنّ عمر وضعها في أواخر أيّام حياته لدى ابنته حَفْصَة، وليس لدى خلفه عُثمان بسبب أنّ اختيار هذا الخلف لم يتمّ بعد، وكذلك لاعتقاده بأنّ الخلف كائنًا من كان في وسعه أن يستعيدها منها إذا تطلّبت الحاجة إليها لأنّ الصُّحُف هي مِلْك لكلّ المسلمين وليس في وسع أحد أن يستأثر بها دونهم، فضلاً عن أنّ حَفْصَة هي زوجة رسول الله ﷺ و أنّها كانت تعرف القراءة والكتابة... [ثمّ ذكر روايتين في جمع الإمام عليّ عليه السلام، كما تقدّم عن الزّنجانيّ].

لذا فما أن أكمل الإمام عليّ عليه السلام مواراة ابن عمّه ﷺ حتّى آلى على نفسه ألّا يرتدي برداء إلّا للصّلاة حتّى يجمع القرآن في مُصْحَف واحد[١]، وكان الرّجل ليأتيه فيخرج بغير رداء حتّى جمعه، و قد تمّ جمعه في ثلاثة أيّام و ربّما أكثر، وكان في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه، فكان بذلك أوّل مُصْحَف في دنيا الإسلام جمع فيه القرآن من قلبه[٢] و من تدوينه.

ولم يحتفظ الإمام عليّ عليه السلام بهذا المُصْحَف في بيته أو يستأثره لنفسه دون المسلمين، بل أتى به على جمل، فقال لجماعة المسلمين: هذا القرآن قد جمعته، وكان عليه السلام قد جزّأ

١ ـ آلاء الرّحمان في تفسير القرآن.

٢ ـ الفهرست (ابن النّديم).

المُصْحَف سبعة أجزاء[١] و وضعه (جمعه) على ترتيب نزوله و تقدّم منسوخه على ناسخه، كما و قد كتب فيه تأويل بعض الآيات و تفسيرها بالتّفصيل، فضلاً عن الإشارة إلى عامّه و خاصّه ومطلقه و مقيّده و مجمله و مبيّنه و محكمه ومتشابهه و رخصه و عزائمه و آدابه و سُنَنه و أسباب النّزول.

لذا فمُصْحَف الامام عليّ عليه السلام لم يك في الحقّ والحقيقة أوّل مُصْحَف في الإسلام فقط، بل كان يضمّ أوّل تفسير للقرآن أيضًا، و ليس كلّ هذا بمستكثر على الامام عليّ إذا ما علمنا بأنّه عليه السلام كان قد آمن بالإسلام و لمّا يمضِ على نزول الوحي ٢٤ ساعة، و أنّه شارك النّبيّ في أوّل صلاة صلّاها لله، وكان معه في حلّه وترحاله، عدا غزوة تبوك الّتي استخلفه فيها على المدينة.[٢]

فليس غريبًا أن نرى الرّسول صلى الله عليه وآله يثمّن كلّ هذه الجهود والمساعي، فيوشّح صدر الإمام بوسام العلم و العمل، خاطًّا عليه بأحرف من نور قولته الشّهيرة: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» ناهيك عن الأنواط و الأوسمة الأُخرى الّتي يتعذّر إحصاؤها و يصعب استقصاؤها.

كما لم يعدّ عجيبًا ولا بعيدًا أن نسمع الإمام عليه السلام يخطب جماهير المسلمين وهو ملء الثّقة والاعتزاز واليقين، يخطبهم بقوله عليه السلام: «إنّي لأعرف ناسخه من منسوخه (يقصد القرآن) و محكمه من متشابهه وفصله من فصاله و حروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمّد صلى الله عليه وآله إلّا أنّي أعرف فيمَن نزل وفي أيّ يوم، وفي أيّ موضع».

وقد سأله إثر ذلك بعض الأصحاب بعد ما لمس منه عليه السلام فنون الأدب والبلاغة وألوان العلم والفقه، ما أطاح بلُبّه، وأخذ بمجامع قلبه، سأله: «أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب» فضحك الإمام عليه السلام وقال: «ليس هو علم غيب، و إنّما هو تعلُّم من ذي علم».

كما ولم يعدّ مستبعدًا أن نسمع الإمام في مكان آخر يخطب بقوله: «إنّه لو تكلّم في

١ ـ تاريخ القرآن (لأبي عبد الله الزّنجانيّ).
٢ ـ عليّ والقرآن (محمّد جواد مُغنية).

الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرًا»...

هذا علمًا بأنّ الصّحابة كانوا متّفقين على أنّ علم القرآن مخصوص لأهل البيت، إذ كانوا يسألون عليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل خصّصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟... فاستثناء القرآن بالتّخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن و علمه و تنزيله و تأويله و تفسيره مخصوص بهم دون غيرهم.

أجل، إنّ مُصْحَف الإمام كان أوّل مُصْحَف في الإسلام، و قد طالما تأسّف الأصحاب بعد ذلك على عدم اطّلاعهم عليه بعد أن عرض عليهم.

فهذا محمّد بن سيرين يقول: «لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم».

و من قبله قال ابن عَوْف: «سألت عِكرِمة عن ذلك الكتاب فلم يعرف»[١]. فرحمك الله يا أبا الحسن، وطبت حيًّا و ميّتًا، و إليك منّي و من ملايين.

الجمع الثّالث للقرآن

قلنا في الفصل السّابق: إنّ حُذَيفة بن اليَمان عندما عاد من حرب أرمينيا و أذربايجان، دخل على عُثمان قبل دخوله لبيته، ليخبره بمخاوفه من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن، و ليعلمه بأنّ أهل الشّام الّذين كانوا معه في الحرب كانوايقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، بينما يقرأ أهل العراق بقراءة عبد الله بن مسعود، فتقرأ كلّ فئة منهم بما لم تسمع به الأُخرى ممّا دعا و أدّى إلى تكفير بعضهم للبعض.

كما وطلب حُذَيفة من عُثمان بعد أن وصل الأمر إلى هذه النّقطة من الحراجة والخطورة، طلب منه أن يدرك الأُمّة من قبل أن تختلف في القرآن، وتتشتّت أيدي سبأ و كاختلاف اليهود والنّصارى[٢]، من قبل في كتبهم الدّينيّة المنزلة عليهم[٣].

---

١ ـ آلاء الرّحمان في تفسير القرآن.

٢ ـ صحيح البُخاريّ؛ الفهرست ـ ابن النّديم.

٣ ـ بصدد كتب اليهود والمسيحيّين الدّينيّة و أنواعها فنقول:

و بعد انصرام مدّة وجيزة على طلب حُذَيفة هذا تسرّبت إلى عُثمان أخبار مقلقة و مفزعة، مفادها أنّ أهل حِمْص يزعمون أنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، و أهل دمشق يصوّبون بدورهم قراءتهم على ما سواها، و هكذا الأمر بصدد أهل الكوفة والبَصْرة.

فكّر عُثمان في الأمر مليًّا، و قلّبه على كافّة وجوهه، ولم تمضِ عليه إلاّ أيّام و ليالٍ ـ و هو في غمرة دراسة الموضوع، و ما يمكن اتّخاذه بشأنه من حلول ـ و إذا بمعلومات و أخبار جديدة مفزعة ترده و تطرق سمعه، خلاصتها هو اختلاف المعلّمين مع طُلّابهم في قلب المدينة المُنوّرة نفسها، و تطوّر هذا الاختلاف إلى نزاع و قتال مسلّح، شهرت فيه المدى واستعملت فيه السّكاكين، و عند التّحقيق والتّدقيق في الموضوع هذا، تجلّى أنّ الدّافع الرّئيس والأوحد لهذا النّزاع هو قراءة القرآن، و حرص كلّ فئة من أطراف النّزاع على تصويب قراءتها و ترجيحها على الأُخرى[1].

بعد كلّ هذه الوقائع والحوادث الّتي استأثرت من عُثمان كلّ تفكيره و وقته، وطّد العزم على أمرٍ هامّ هو جمع النّاس على مُصْحَف واحد، و مُفصحًا عن هذا العزم وهذا الأمر بقولته الشّهيرة: «أنتم عندي في المدينة مختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عنّي من الأمصار

← أ ـ المعروف عن أسفار العهد القديم عند اليهود أنّها تنقسم إلى أربعة أقسام هي:

١ ـ القسم الأوّل: وهي كتب موسى (الأسفار الخمسة) وهي سِفر التّكوين وسِفر الخروج وسِفر الأخبار (اللّاويّين) وسِفر العدد وسِفر تثنية الاشتراع.

٢ ـ القسم الثّاني: و تسمّى الأسفار التّاريخيّة، وعددها اثنا عشر سفرًا، و هي أسفار يوشع والقضاة و راعوث و صموئيل (اثنان) والملوك (اثنان) و أخبار الأيّام (اثنان) وعَزرا و تحميا واستير.

٣ ـ القسم الثّالث: و تسمّى أسفار الأناشيد (الشّعريّة) وعددهاخمسة، وهي سفر أيّوب ومزامير داود وأمثال سُلَيمان والجامعة من كلام سُلَيمان ونشيد الأناشيد لسُلَيمان.

٤ ـ القسم الرّابع: وتسمّى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر، وهي أسفار إشعيا وإرمياء ومراثي إرمياء وحذقيال ودانيال وهوشع و يوئيل وعاموس وعوبديا ويونس و ميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاحي...

ب ـ أمّا الإنجيل المعتمدة عند المسيحيّين فهي أربعة. إنجيل متّى وإنجيل مرقُس وإنجيل لُوقا وإنجيل يوحنّا.

أمّا الأناجيل الّتي لاتعتمدها الأكثريّة ويوثقها البعض فهي: إنجيل برنابا وإنجيل الحواريّ يعقوب وإنجيل الحواريّ توماس وإنجيل القدّيس نيكوديم وإنجيل نلامسن (السّبعين) وإنجيل الاثني عشر وإنجيل التّذكرة وإنجيل العربيّين (النّاصريّين) وإنجيل المصريّين وإنجيل ديصان وإنجيل ماني وإنجيل مرقيّون (مرسيّون) وإنجيل الأبيونيّين، الأسفار المقدّسة في الأديان السّابقة للإسلام ـ الدّكتور عبد الواحد وافي.

١ ـ تاريخ القرآن ـ محمّد طاهر الكُرديّ.

كان أشدّ اختلافًا و أكثر لحنًا، يا أصحاب محمّد اجتمعوا فاكتبوا للنّاس إمامًا».

من أجل هذا سمّي مُصْحَف عُثمان بعد نسخه «بالمُصْحَف الإمام».

هذا ولم يك عُثمان لينفرد بجمع القرآن، أو يتّخذ بشأنه قرارًا خطيرًا دون استشارة و مشاركة كبار الصّحابة و أهل الحلّ والعقد، ممّن عاصر الرّسول ﷺ وسمع حديثه، وخصوصًا الفارِس الهمام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والّذي سبق لسلفه (سلف عُثمان) أن كان يفزع إليه و يشاوره في كلّ أمر خطير، أو قضيّة التبس حلّها و غمّ جوابها، أو مسألة لم يعرف لها مخرجًا أو حلًّا، فكان يجد في الإمام الاستجابة الكاملة و النّصح والعون التّامّين.

لذا فقد دعا عُثمان جمهورًا من أصحاب الرّسول ﷺ فيهم الإمام عليّ عليه السلام، و طلب منهم تنسيب ما يرونه ملائمًا ولائقًا بصدد استنساخ القرآن و توحيده، من أجل وضع حدّ لتفاقم الاختلافات بين المسلمين في الأمصار بشأن قراءته.

ولم يكن جواب الأصحاب إلّا الاستحسان لهذه الخُطوة الجريئة والالتفاتة العظيمة و مباركتها، فضلاً عمّا أبدوا من استعدادهم لتقديم كلّ مساعدة ممكنة في سبيل تحقيقها وإخراجها إلى عالم النّور والواقع.

لذا عدّ جمهور من المؤرّخين أنّ جمع القرآن هذا (الجمع الثّالث) واستنساخه في المصاحف، والّذي قام به عُثمان، كان بتشجيع من الإمام عليّ عليه السلام و بموافقته[1]، حتّى أنّ قسمًا من هؤلاء الرُّواة والمؤرّخين قد نقلوا على لسان الإمام عليه السلام قوله: «لو لم يفعل عُثمان هذا الشّيء لفعلته أنا»[2].

بعد انتهاء و ارفضاض المشاورات والمداولات الآنفة الذّكر، أرسل عُثمان في الحال كتابًا إلى حَفْصَة بنت عمر، يلتمس منها فيه بأن تتكرّم، فترسل له الصُّحُف المحفوظة لديها من أجل استنساخها في المصاحف، كما وعدها وعدًا قاطعًا بإعادة هذه الصُّحُف إليها حال الفراغ منها ودونما إبطاء أو تأخير.

---

١ ـ تاريخ القرآن ـ أبي عبد الله الزّنجانيّ.

٢ ـ المصاحف للسِّجستانيّ.

لبّـت حَفْصَة الطّلب في الحال وأرسلت الصُّحُف لعُثمان، فأمر الأخير بتأليف لَجنة رباعيّة برئاسة زيد بن ثابت «من الأنصار» و عضويّـة كلّ من عبد الله بن الزُّبَير و سعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام «الثّلاثة من قُريش» و خوّلها صلاحيّة نسخ الصُّحُف في المصاحف، فقاموا بنسخها على الفور.

وقيل: إنّ عُثمان سأل عن أكتب هؤلاء الأربعة و أعربهم، فقيل له: في الكتابة زيد، و في الإعراب سعيد، فقال: ليكتب زيد وليملل سعيد.

والمقصود هنا من الكتابة هو معرفة قواعد الكتابة و حسن الخطّ، كما و أنّ المقصود من الإعراب هو الفصاحة... [إلى أن قال:]

ولا نعرف هنا لماذا لم يرسل عُثمان لكلّ بلدة من البلاد الإسلاميّة مُصْحَفًا أو بضعة مصاحف؟ و الظّاهر في عدم إرسال هذه المصاحف إلى هذه الجهات يعود إلى قلّة النُّساخ وإلى عدم وجود الورق عندهم بكثرة.

و بصدد اللَّجنة و تأسيسها أقول: إنّا لا نعرف الأسباب الحقيقيّة الّتي دعت عُـثمان لاختيار القُرشيّين الثّلاثة إلى جانب زيد بن ثابت في اللَّجنة[1]، علمًا بأنّ هذا الجمع للقرآن لا يعدوا أن يكون كتابة ما في صُحُف حَفْصة على المصاحف فقط.

فبصدد سعيد بن العاص فقد كان منذ سنة ٢٩ هجريّة أميرًا على الكوفة، ولا ندري هل استدعي إلى المدينة أم كان وجوده فيها صدفة فاختير للعضويّة؟

كما لا ندري عن القُرشيّين الآخرين سببًا وجيهًا لدعوتهم للاشتراك بهذه اللَّجنة.

وكلّما قيل بشأن هؤلاء الثّلاثة هو: إنّ السّبب في دعوتهم يعود لمـعرفتهم بـلسان قريش، أو أنّه يعود لأجل مساعدة زيد في الكتابة.

ويمكننا بعد هذا من اختصار و حصر المراحل والأدوار الثّلاثة لجمع الآيات القرآنيّة من صدور المسلمين وكتاباتهم إلى المُصْحَف العُثمانيّ، فنقول: إنّه قد تمّ في المـرحـلة الأُولى الجمع، و قد جرى ذلك كلّه في عهد الرّسول ﷺ، كما قد تمّ في المرحلة الثّـانية التّنسيق والتّبويب (في كتاب) و قد تمّ هذا في عهد أبي بكر، أمّا المرحلة الثّالثة والأخيرة

---

١ ـ نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلاميّ ـ الدّكتور عليّ حسن عبد القادر.

فقد كانت مرحلة الإلزام و النّشر، وكانت في عهد عُثمان بن عَفّان.

وقيل: بصدد رسم هذه المصاحف ـ موضوعة البحث ـ إنّه قد وجد اختلاف بسيط ما بين حروفها، و أنّها لم تك متشابهة ١٠٠٪.[١]

وبصدد تعليل هذه الظّاهرة قيل: إنّ عُثمان لمّا جمع القرآن في المصاحف، ونسخها على شكل واحد، وآثر في رسمها لُغة قُريش دون غيرها، برزت بوجهه مشكلة حروف القرآن، ولمّا ثبت لديه أنّ هذه الحروف هي من عند الله تعالى، و أنّ جمعها في مُصْحَف واحد غير ممكن إلّا بإعادة الكلمة لأكثر من مرّة، لذا آثر توزيعها و تفريقها في المصاحف المرسلة إلى الأقطار الإسلاميّة، فجاءت مثبتة في بعضها و محذوفة من البعض، لكي تحفظها الأُمّة كما نزلت من عند الله تعالى وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ، وقد ذهب البعض إلى خلاف هذا فقال: إنّ جمع عُثمان كان بحرف واحد وهو لُغة قُريش، بينما كان جمع أبي بكر من قبل بجميع الأحرف السَّبعة.

وسنشير إلى هذا الأمر مفصّلاً في نهاية الكتاب، و في فصل حروف القرآن.

هذا و بعد أن أرسل عُثمان المصاحف إلى الحواضر الإسلاميّة، طلب من الولاة والمسلمين في تلك الحواضر ألّا يعتمدوا على شيء من آيات الله البيّنات إلّا ما ورد في هذه النّسخ الرّسميّة المرسلة إليهم، كما و أحاطهم علمًا بأنّه قد محا و أحرق ما عداها، فعليهم بدورهم إمّا أن يرسلوا إليه المصاحف الموجودة لديهم لإحراقها أو محوها، و إمّا أن يضطلعوا هم بأنفسهم و يتولّوا مهمّة محو ما عندهم منها وإحراقها.

و بشأن حَرق عُثمان للصُّحُف والمصاحف (عدا الصُّحُف الّتي استنسخ من عليها وإعادها إلى حَفْصَة) فقد اعترض على خطوته هذه جملة كبيرة من المسلمين، و سمّوه بسببها (حرّاق القرآن) وكانت وجهة نظرهم و أملهم أنّه إذا كان و لا بدّ من إعدام هذه الصُّحُف والمصاحف، فلا أقلّ من أن تمحى و تغسل في الماء، أو ينقلها قارب صغير ليلقيها في عرض البحر الأحمر (القلزم) المجاور لهم.

ورغم وجاهة هذه النّظرة وهذا القول، إلّا أنّنا نرى هناك و في نفس الوقت من تقبّل

---

١ ـ تاريخ القرآن ـ محمّد طاهر الكُرديّ.

هذه الفعلة ـ الحرق ـ و باركها، لأنّه برأيهم أحسن وسيلة لجعل القرآن لا يستعمل، و ما في هذا العمل من قطع واستئصال لدابر كلّ ما قد يحدث مستقبلاً من خلاف أو نزاع في حالة بقاء شيءٍ من هذه الصُّحُف سالمة.

وأضاف هؤلاء إلى قولهم: إنّه إذا كان قول الفئة الأُولى هو حرمة حرق القرآن، لأنّها تضمّ أسماء الله الحُسنى فضلاً عن أسماء أنبيائه ورسله، فـإنّ غسـل هـذه الصُّـحُف أو محوها(كما طالبت به) هو كالحرق في إزالة هذه الأسماء و مسحها. و إذا كان الحرق أشدّ أثرًا و وقعًا من المحو كما تقول الأُولى، إلّا أنّ المعصية والذّنب عندالله حرام، سواء كان شديدًا أو دونه، كما أنّ الرّسول الأعظمﷺ قال: «لاتنظر إلى نوع المعصية، ولكن انظر إلى من تعصيه».

وللفئتين المومَى إليهما بصدد الحرق والغسل حجج و بيّنات أُخرى، ينتصر كلّ منهم بها لرأيه ممّا لامجال لإيرادها هنا بعد أن مررنا على أهمّها و أعظمها.

نعود للكلام الآن عن الصُّحُف الّتي أُعيدت إلى حَفْصَة بـنت عـمر بـعد أن جـرى استنساخ القرآن من عليها، فهذه لم يمسّها عُثمان بشيء بل بقيت محفوظة لديها ـ حَفْصَة ـ حتّى ولاية مروان بن الحكم على المدينة عام ٤٧ و ٤٨ هجريّة، وقد طلبها الأخير منها، فأبت بكلّ إصرار و قوّة أن تعطيه شيء منها خشية إحراقه، ولكن لمّا انتقلت إلى جـوار ربّها تنفّس مروان الصُّعداء و أرسل على الفور في طلب الصُّحُف، فقام عبد الله بن عـمر باستخراجها من بيت أُخته حَفْصَة و سلّمها إليه، وقام مروان بدوره بإحراق هذه الصُّحُف أو بشقّها. و ينقل عن مروان قوله بهذا الصّدد «أنّه إنّما فعل هذا لأنّ ما فيها قد كتب و حفظ بالمُصْحَف، فخشي أن طال بالنّاس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصُّحُف مُرتاب، ويقول: إنّه قد كان شيء منها لم يكتب». [1]

هذا وقد انصاع المسلمون في كافّة الأمصار لمُـصْحَف عُـثمان، و تـلقّوه بـالقبول، و اتّفقوا على العمل به، رغم أنّ عُثمان لم يك عنيفًا ولا شديدًا كسلفه، و ما هذا الانصياع والرّضا التّامّ إلّا لأنّ المصاحف المرسلة من قبله قد خرجت عن إجماع و اتّفاق اطمأنّت

١ ـ المصاحف للسِّجِستانيّ.

إليه القلوب والعُقُول،[1] وارتضته النّفوس، وباركه الأصحاب دونما استثناء. وحتّى أنّ الجميع قد اتّفقوا على أنّ من نقص حرفًا واحدًا قاصدًا لذلك، أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا ممّا لم يشتمل عليه المُصْحَف عامدًا، فقد كفر... إلخ[2].

ونحبّ هنا و قد وصلنا إلى هذا المكان ألّا نمرّ سراعًا، أو ننتقل إلى الفصول التّالية دون أن نسجّل ولو شيئًا يسيرًا عن زيد بن ثابت، فنحن هنا إذ نُثمّن جهود هذا الصَّحابيّ و عزيمته وإرادته الّتي لاتفلّ عند جمع القرآن من صُدُور النّاس وكتاباتهم (الجمع الثّاني) أو عند استنساخ المصاحف الّتي وُزّعت على الأمصار (الجمع الثّالث) من دون أن يؤثّر فيه مؤثّر، أو يفرض عليه اتّجاه خاصّ، بل نراه قد اتّجه في طريق مستقيم خطّته له الشّريعة الإسلاميّة من دون أن ينحاز لهذه الفئة أو يعادي تلك، فنراه مثلاً يقبل و يرحّب بسرور واطمئنان ما جاء به أبو خُزَيمة الأنصاريّ (ذوالشّهادتين) من آيات، ويرفض بإصرار وعناد ما يورده عمر بن الخطّاب بصددآية الرّجم رغم أنّ الأخير هو الآمر والنّاهي وبيده السُّلطة والسُّلطان، وأنّ الأوّل لايتعدّى أن يكون فردًا من سواد المسلمين، لا يملك من أسباب القُوّة والإكراه مايمكنه من فرض حرف واحد فضلاً عن آية كاملة أو آيات عدّة... [إلى أن قال :]

فمن يؤاخذ زيد على شيء يتّفق معه و مع عامّة المسلمين في المشرق والمغرب بأنّ القرآن هو الّذي نجده بين الدّفّتين بدون زيادة أو نقصان ولو حرف واحد، ولكنّ هذا الاتّفاق لا يبرّر لديهم عدم وجود تقديم أو تأخير في بعض الآيات، أي نقل بعض الآيات من أماكنها الطّبيعيّة و إقحامها وحشرها في أُخرى لسبب مقصود أو بدون سبب، وكذلك لايبرّر هذا الاتّفاق تقديم بعض السُّوَر أو تأخيرها عن بعضها عند الجمع.

إنّ خير مثلٍ يرده هؤلاء هنا بصدد تقديم بعض الآيات أو تأخيرها هو في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]...

١ ـ تاريخ القرآن ـ إبراهيم الأبياريّ.

٢ ـ القراءات واللّهجات ـ عبدالوهّاب حَمودة.

٣ ـ الأحزاب /٣٣.

فآية التّطهير هذه قد أُقحمت عند الجمع بين آيات يخاطب الله فيها النّساء ـ نساء النّبيّ ـ موردًا فيها جميعاً وطبعًا صيغ وعلامات التّأنيث مثل «كنتنّ، تعالين، امتّعكنّ، منكنّ، اتّقيتُنّ، تخضعن، قُلن، قَرن. تبرّجن. أقِمْن، آتين. اُذكرن»....

بينما آية التّطهير المتقدّمة تدلّ من ألفاظها و جملها على أنّها تخاطب الذّكور دون الأُناث، و أنّها لاتنسجم مع طبيعة و شكل الآيات الّتي تتقدّمها أو تليها مباشرة.

هذا مع العلم بأنّ آية التّطهير هذه سواء كان محلّها في غير هذا المكان أو في هذا المكان بالذّات لا تعني أبدًا من صياغتها ـ كما قد يظنّ ـ أنّها تنصرف فقط إلى الرِّجال دون النّساء، بل هي عند الجميع تخصّ الطّرفين، لأنّ أهل البيت منهم الرِّجال و منهم النِّساء، و إنّما الخلاف فيها يمكن في محلّها الصّحيح من القرآن الكريم.

أمّا بصدد تقديم بعض السُّوَر أو تأخيرها فيقول هؤلاء بأنّ ترتيب السُّوَر في المصاحف العُثمانيّة كان بأمر واجتهاد ممّن جمعها[1]، و أنّ نزول السُّوَر لم يكن وفقًا لترتيب المُصْحَف اليوم[2]، حتّى أنّ أحد الكُتّاب المعاصرين تمنّى لو أنّ عُثمان كان قد جمع القرآن حسب تاريخ السُّوَر، و لكان ذلك مفيدًا و نافعًا.[3]

وكلّ هؤلاء يتّخذون من اختلاف ترتيب السُّوَر في مصاحف كبار الصَّحابة كإمام الهُدىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و عبد الله بن عبّاس و أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود و مُعاذ بن جَبَل وغيرهم عن المصاحف العُثمانيّة خير دليل يعزّز قولهم و يؤيّد رأيهم.

[ثمّ ذكر وصف مصاحف كبار الصّحابة، سيجيء عنه في باب المصاحف].(٥٨ ـ ٩٢)

١ ـ البُرهان في علوم القرآن (بدر الدّين الزّركشيّ).
٢ ـ فوائد قرآنيّة ـ أحمد خيريّ.
٣ ـ القرآن ـ محمّد صبيح.

الفصل الثّامن والأربعون

نصّ الدّكتور العطّار (م: ١٤٠٣) في «موجز علوم القرآن»

جمع القرآن و تدوينه في عهد رسول الله ﷺ

تمهيد

من المعلوم أنّ القرآن الكريم كمل تنزيله خلال ما يقرب من ثلاث و عشرين سنة. وقد جاءت الرّوايات تذكر جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ. فما هي الأدوات الّتي استعملت لهذا الجمع؟ و ما معنى جمع القرآن؟ وكيف تمّ هذا الجمع في عهد النّبيّ ﷺ؟ وما أدلّته؟ هذا ما سنبحثه بإيجاز فيما يلي:

المطلب الأوّل: معاني جمع القرآن و أدواته

يكتب و يستدلّ بعض الباحثين في جمع القرآن، ويريدون به معاني شتّى. والرّوايات الّتي تذكر جمع القرآن تختلف في العهد الّذي تمّ فيه هذا الجمع. و من يتدبّر لفظ (الجمع) الوارد في الرّوايات، يتجنّب الوقوع في الوهم، فمن خلال دراسة الرّوايات والأبحاث في هذا الصّدد، يبدو أنّ لفظ (الجمع) استعمل و أُريد به أحد المعاني التّالية:

أ ـ حفظه على سبيل الاستظهار في لوح القلب، و منه يقال لحُفّاظ القرآن: جُمّاعه.

ب ـ كتابته على الأدوات المتوفّرة، ولكن مفرّق الآيات والسُّوَر، أو مرتّب الآيات مفرّق السُّوَر، وكلّ سورة على رُقعة من الرِّقاع.

ج ـ كتابته متسلسل الآيات، مرتّب السُّوَر في مُصْحَف واحد.

د ـ نسخه على قراءة واحدة متواترة في مُصْحَف موحّد.

أمّا تطبيقات هذه المعاني فقد مرّت بأكثر من عهد. أمّا المعنى الأوّل للجمع ـ وهو الاستظهار ـ فكان صدر رسول الله ﷺ و صُدور الصَّحابة ألواحًا نقش فيها القرآن في عهده ﷺ، وتمّ استظهاره من قبل المئات من المسلمين.

والمعنى الثّاني تمّ في عهد رسول الله ﷺ أيضًا، ووجد لدى قسم من الصَّحابة، و المعنى الثّالث تمّ في عهد أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ، أمّا المعنى الرّابع فهو ما قام به الخليفة عُثمان بن عَفّان.

أمّا الأدوات الّتي كانت تستعمل في تدوين القرآن الكريم، فقد جاءت الرّوايات تذكر قسمًا منها، وهو ما كان متوفّرًا آنذاك... [وذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ فقال:]

هذا بالإضافة إلى الحرير الّذي كان يكتب عليه. (وكانت الكتابة معروفة ومنتشرة في مكّة إلى حدّ أبعد ممّا ذهب إليه النّقد الحديث لمدّة طويلة. وقد دوّنت أجزاء من القرآن على موادّ مختلفة متيسّرة في بلاد العرب في القرن (٧م ـ ١هـ) كالرِّقاق والفخّار الّذي استعمله البابليّون والآشوريّون للكتابة، و عظام ألواح الكتف)[١].

المطلب الثّاني: استظهار القرآن في عهد رسول الله ﷺ

إنّ جمع القرآن بالمعنى الاستظهاريّ تمّ في عهد رسول الله ﷺ بصورة جَليّة واضحة، لا تقبل الشّكّ، ولا تحتاج إلى تدليل عليها. وكان رسول الله ﷺ أوّل الحُفّاظ و سيّدهم قاطبة. و مع ذلك فنحن نذكر بعض الشّواهد عليه.

والشّواهد على استظهار القرآن كثيرة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٢] و معناه لا تحرّك لسانك يا رسول الله للتّأكيد على كلمات الآيات قبل فراغ جبريل ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ عَليك، حتّى تحفظه، و يمكنك تلاوته، فلا تخف فوت شيء منه[٣].

---

١ ـ غود فروا، النّظم الإسلاميّة: ٧٣.

٢ ـ القيامة /١٦ـ١٧.

٣ ـ الطّبرسيّ، مجمع البيان ١:٣٩٧.

و إنّ علينا جمعه في صَدرك، و قرآنه، و إجراء قراءته على لسانك[١].

وإنّ أمر هذا الوحي، و حفظ هذا القرآن، و جمعه و بيان مقاصده، كلّ أُولئك موكول إلى صاحبه. ودور النّبيّ هو التّلقّي والبلاغ، فليطمئنّ بالله، وليتلقّ الوحي كاملاً، فيجده في صدره منقوشًا ثابتًا[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَاتَنْسٰى﴾[٣]، فإنّ النّبيّ عَلَيْهِ‌وَآلِهِ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي، يعيد عَلَيْهِ‌وَآلِهِ قراءة ما نزل، مخافة أن ينساه، فكان عَلَيْهِ‌وَآلِهِ لا يكاد جبريل يفرغ من آخرالوحي حتّى يبدأ النّبيّ عَلَيْهِ‌وَآلِهِ بقراءة أوّله، و ترديده آية آية، و تحريك لسانه به حرصًا عليه، و شغفًا به، و تأمينًا له لتبليغه الأُمّة، حتّى وافته بُشرى ربّه برفع مشقّة الاستظهار عنه، وإنّ الله تعالى تكفّل بقلبه فلا ينسى ما يقرئه ربّه.

٣ ـ كما إنّ جُمّاع القرآن ـ أي حُفّاظه على عهد رسول الله عَلَيْهِ‌وَآلِهِ كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم. ويكفي للإشارة إلى كثرتهم، أنّه قُتل منهم في عهد النّبيّ عَلَيْهِ‌وَآلِهِ (سبعون) سنة ٤هـ في بئر معونة... [ثمّ ذكر قول الزّنجانيّ وابن كثير، كما تقدّم عنهما فقال:]

ولقد كان مسجد رسول الله عَلَيْهِ‌وَآلِهِ ناديًا عامرًا بتلاوة القرآن، يضجّ بأصوات الحُفّاظ، فأمرهم رسول الله عَلَيْهِ‌وَآلِهِ (أن يخفضوا أصواتهم، لئلّا يتغالطوا).

٤ ـ كما أنّ الرّسول عَلَيْهِ‌وَآلِهِ كان يدفع كلّ مهاجر جديد إلى أحد الحُفّاظ ليعلّمه حفظ القرآن الكريم، فشاع حفظه بين الرّجال والنّساء، ولقد افتتن المسلمون بحفظ القرآن، و شغفوا به شغفًا جمًّا، حتّى إنّ المرأة المسلمة[٤] كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهرًا لها. [ثمّ ذكر قول أبي عُبَيْد في أسامي القُرّاء كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

بل إنّ اهتمام الرّسول عَلَيْهِ‌وَآلِهِ بالقرآن كان مواكبًا لنشر الدّعوة الإسلاميّة منذ خيوط

---

١ ـ تفسير شُبّر: ٥٤١.

٢ ـ في ظلال القرآن ٦: ٣٧٦٧.

٣ ـ الأعلى /٧.

٤ ـ عن سهل بن سعد قال: أتت النّبيّ عَلَيْهِ‌وَآلِهِ امرأة فقالت: إنّها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال: (مالي في النّساء من حاجة) فقال رجل: زوّجنيها؟ قال: (أعطها ثوبًا)، قال: لا أجد، قال: (أعطها ولو خاتمًا من حديد) فاعتلّ له، فقال: (ما معك من القرآن)؟ قال: كذا وكذا، قال: (زوّجتكها بما معك من القرآن). ابن كثير، فضائل القرآن: ٤٠.

فجرها الأُولى، فإنّه بادر فأرسل مُصْعَب بن عُمَير إلى المدينة مع من بايعه بالعقبة الأُولى، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام[١].

٥ ـ وبعد فتح مكّة راح استظهار القرآن وتعليمه ينتشر بين أهلها، فقد طلب النّبيّ ﷺ من مُعاذ بن جَبَل أن يبقى في مكّة بعد فتحها، لكي يفقّه النّاس في الدّين ويعلّمهم القرآن.[٢]

وجاء جماعة للرّسول، فبعث معهم عَبّاد بن بِشْر، وطلب منه أن يعلّمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن.[٣]

٦ ـ وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم المسلمين القرآن، بالإضافة إلى تعليم بعضهم بعضًا، قال عبد الله بن مسعود لأصحابه في الكوفة: إنّي قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة[٤].

وقد روى الطَّبَريّ عن أحدهم أنّه قال: حدّثنا الّذين كانوا يقرئوننا إنّهم كانوا يستقرئون من النّبيّ ﷺ فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتّى يعلّموا ما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعًا[٥].

وقال عبد الله بن عبّاس: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا التّشهّد كما يعلّمنا القرآن[٦]، وقال أُبيّ بن كعب: رُحْت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك فقال: رسول الله ﷺ[٧].

قال المستشرق الفرنسيّ. غود فروا: ومنذ الأيّام الأُولى للجماعة الإسلاميّة دعا الرّسول ﷺ أتباعه إلى الاجتماع ليفضي إليهم بالوحي... ويحتمل أن تكون هذه

---

١ ـ ابن هِشام، السّيرة ٢:٧٦.

٢ ـ الطّبريّ، تاريخ الرُّسل والمُلوك ٢:٣٦٢.

٣ ـ ابن سعد، الطّبقات، ٢:١١٦ (ليدن ١٣٢٢هـ).

٤ ـ الطّبَريّ، التّفسير ١:٢٨.

٥ ـ المصدر نفسه ١:٨٠.

٦ ـ السّهميّ، تاريخ جُرجان (حيدرآباد ١٩٥٠م): ٢٨٩.

٧ ـ الطّبريّ، التّفسير: ١:٣٢.

الاجتماعات لغرض العبادة، وتلاوة القرآن، واحتمال تفسير بعض غوامضه، و محاولة تثبيته في ذاكرة المؤمنين، و الواقع إنّ ذاكرة هؤلاء المؤمنين الأوائل أصبحت خير مؤتمن على الوحي وناقل له... و ممّا يميّز الإنسان ويرفع من قدره أن يكون حافظاً، يحوي القرآن كلّه في صدره[١].

أسباب اندفاع المسلمين لاستظهار القرآن

الواقع إنّ هناك أكثر من سبب يدفع بالمسلمين لاستظهار القرآن الكريم وحفظه في الصُّدور، و لعلّ من تلك الأسباب:

أ ـ إنّه دستورهم الّذي يسيرون بموجبه، وفِقْههم الّذي يبيّن لهم الحلال والحرام، وما لهم و ما عليهم، فلا بدّ أن يستظهروه، لا سيّما وأنّهم ما كانوا يتعلّمون القرآن إلّا للعمل بمقتضاه، و تحديد تصرّفاتهم وعلاقاتهم و مواقفهم حسب ما يأمر و ينهى، فلم يكونوا كما عليه اليوم الكثير من المسلمين في علاقتهم بالقرآن، و حفظه للتّكسّب به، و تلاوته في الحفلات والمناسبات لتجميع النّاس، أو ترتيله في آذان الموتى من على قبورهم، متناسين أنّه دستورهم، و سبيل سعادتهم وعزّتهم، و نجاتهم ورفعتهم في الدّنيا و الآخرة، به سعدوا وسادوا، و بتركه ذُلّوا و خُزوا، و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون، و أنّه لا سبيل إلى الهداية إلّا سبيله، ولا مفرّ إلّا إليه، ولا سعادة إلّا به، وهو ما كان عليه إيمان المسلمين الأوائل.

ب ـ إنّه آية كُبرى في البلاغة، وكانت عادة العرب استظهار النُّصوص البلاغيّة، فكيف بالقرآن و قد تحدّى كلّ بليغ، و حيّر كلّ فصيح؟

ج ـ كانت لحُفّاظ القرآن منزلة مَرْمُوقة بين المسلمين عامّة، ولدى رسول الله ﷺ خاصّة، وهذه الحالة الاجتماعيّة كافية بحدّ ذاتها، لأن يتزاحم المسلمون و يتنافسوا على استظهار القرآن الكريم؛ قال مُعاذ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِن رجلٍ عَلَّم وَلَدَه

١ ـ م. غود فروا، النّظم الإسلاميّة: ٧٣.

القرآن إلّا تَوَّجه الله به يوم القيامة تاج الملك، وكُسي حُلّتين لم ير النّاس مثلهما»[١].

وإذا كان الإجماع قائمًا على أنّ ما بين دفّتي المُصْحَف الكريم هو ما نقل إلينا بالتّواتُر، فإنّه شاهد صدق على كثرة الحُفّاظ في عهد رسول الله ﷺ، حتّى بلغوا كثرة يؤمن تواطؤهم، وصار نقلهم تواتُرًا.

المطلب الثّالث: تدوين القرآن في عهد رسول الله ﷺ

لقد تمّ تدوين القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ، فكان كلّما هبط الوحي بالآيات الكريمة، ثبتت في ذاكرة الرّسول ﷺ وصحابته، وسجّلتها فورًا أيدي أُمناء الوحي، على ما كان لديهم من أدوات من عُسُب ولِخاف ورِقاع ونحوها، وكانت تودع في بيت رسول الله ﷺ.

وفيما يلي بعض الشّواهد على تدوين القرآن في عهد الرّسول الأمين ﷺ:

١ ـ [ثمّ ذكر قول المَحاسِبيّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

٢ ـ قال زيد بن ثابت: فتتبّعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصُدور الرِّجال، وفي رواية: من العُسُب والرِّقاع والأضلاع، وفي رواية: من الأكتاف والأقتاب وصُدُور الرِّجال[٢].

وقول زيد بن ثابت: (.. وصُدور الرِّجال) أوهم بعض الباحثين: أنّ القرآن الكريم لم يدوّن في عهد رسول الله ﷺ، والشّواهد التّاريخيّة والوقائع تُثبت أنّ زيد بن ثابت أراد بقوله: (.. وصدُور الرِّجال) أن يعارض ماهو مدوّن لديه بما هو مستظهر من القرآن عند الحُفّاظ، ليجمع بذلك صحّة الاستظهار وصحّة التّدوين في مُصْحَف واحد.

٣ ـ حديث الثَّقَلين: وهو قول النّبيّ ﷺ: «إنّي تارِك فيكم الثَّقَلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدًا»[٣] وفي هذا الحديث دلالة على أنّ

---

١ ـ الطَّبَريّ، التّفسير ١: ١٢١.

٢ ـ ابن كثير، فضائل القرآن: ٩.

٣ ـ هذا الحديث يرويه فريق (وسنّتي) بدل (وعترتي أهل بيتي) وفي حسباننا أنّه لا كبير فرق، حيث إنّ العترة الطّاهرة

القرآن كان مكتوبًا عند وفاة رسول الله ﷺ، لأنّ لفظ (كتاب) بالتّبادر هو الصّحيفة أو الصّحائف الّتي تضبط طائفة من المعاني، فيكون القرآن قد كتب في عهد الرّسول ﷺ ولم يبق في الصُّدُور فحسب.

٤ ـ آيات التّحدّي: إنّ القرآن تحدّى المشركين وغيرهم بالإتيان بمثله، أو بعشر سُوَر أو بسورة من مثله، ممّا يدلّ على أنّ القرآن بآياته وسُوَره كان في متناول أيديهم، وسُوَره كانت متميّزة مشهورة في الخارج، مشهودة بحيث يتسنّى للمشركين أن يظفروا بها، أو أن تعطى لهم، وإلّا كان التّحدّي بغير الموجود، وهو لا يصحّ.

٥ ـ روى جماعة كالطَّبَرانيّ و ابن عَسَاكِر عن الشَّعْبيّ أنّه قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستّة من الأنصار: أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و مُعاذ بن جَبَل، و أبو الدَّرداء، وسعد بن عُبَيْد، و أبو زيد ـ قيل هو قَيْس بن السَّكَن ـ وكان مُجمِّع بن جارية قد أخذه إلّا سورتين أو ثلاث)[1]. ممّا يدلّ أنّ بين المسلمين من اشتهر بحيازته القرآن مدوّنًا.

على أنّ في هذه الرّواية تأمُّلاً، إذ كيف استطاع الرّاوي حصر جمع القرآن مدوّنًا عند هؤلاء السّتّة، إلّا أن يكون قد استفسر من جميع المسلمين عند وفاة الرّسول ﷺ عمّن دوّن القرآن، فلم يجده إلّا عند هؤلاء السّتّة، وهذا في غاية البعد عادة، لكثرة المسلمين واختلاف أماكنهم، لا سيّما إذا علمنا أنّ امرأة ـ فكيف بالرِّجال ـ كانت قد جمعت القرآن مدوّنًا، و أسماها الرّسول ﷺ الشّهيدة، وكان يزورها في بيتها[2]، وقد استشهدت في عهد عمر بن الخطّاب. الأمر الّذي يدلّ على أنّ من تمّ لهم جمع القرآن مدوّنًا هم أكثر من هؤلاء السّتّة.

← من أهل بيت الرّسول ﷺ هم خزنة السّنّة وطريقها اللّاحب ـ فصاحب الدّار أدرى بالّتي فيها ـ على أنّ المسلمين متّفقون على أنّه ﷺ ترك للأمّة (كتاب الله) وهو مورد الاستدلال.

١ ـ الزّركشيّ، البُرهان ١:٢٤٠؛ وانظر: القيسيّ، الإبانة: ٥٣.

٢ ـ وهي أمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسول الله قد أمرها أن تؤمّ أهل دارها. انظر: الزّنجانيّ، تاريخ القرآن ٤١؛ السُّيُوطيّ، الإتقان ١:٧٢.

ويضاف إلى ما سبق أنّ هؤلاء من الأنصار، و في المهاجرين من جمع القرآن في عهد النّبيّ مُدوّنًا قطعًا. ومن دون ريبٍ أو شكٍّ، وفي مقدّمتهم الإمام عليّ عليه السلام وقد ذكروا «أنّه جمعه على ترتيب ما أُنزل»[١].

٦ـ نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وآله خلال ما يقرب من ثلاث و عشرين سنة، وكان الرّسول طيلة هذه المدّة يقول لأصحابه، ويدعو من يكتب عنده كلّما نزل عليه شيء من القرآن «ضعوا هذا في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا» تنزل عليه الآيات فيقول: «ضعوا هذا في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا»[٢].

ممّا يدلّ أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله كان يأمر بتدوين القرآن، و يعلّم كتبة الوحي موضع ما ينزل من الوحي بالنّسبة إلى السّورة.

٧ـ وفي رواية عليّ بن إبراهيم عن أبي بِكر الحَضْرميّ عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ... **[وذكركما تقدّم عن الطُّرَيحيّ، ثمّ قال:]**

فإذا أضفنا إلى هذه الشّواهد رواية إسلام عمر[٣]، وحرص الرّسول على تعليم الكتابة صحابته، و من ذكرهم ابن إسحاق في الفهرست، بالإضافة إلى أهمّيّة القرآن بالنّسبة إلى الرّسول صلى الله عليه وآله والأُمّة الإسلاميّة والشّريعة الغرّاء، يتحصّل لدينا اليقين والقطع بأنّ القرآن لم يستظهر في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فحسب، بل دوّن كاملاً. **(١٤٩ ـ ١٥٨)**

ترتيب الآيات والسُّوَر

نبحث فيما يلي ترتيب كلّ من الآيات والسُّوَر من حيث النّزول والتّدوين والتّلاوة لما بين هذه الأُمور الثّلاثة من فوارق :

---

١ ـ ابن كثير، فضائل القرآن: ٢٨.

٢ ـ ابن أبي داود، كتاب المصاحف: ٣١؛ الزّركشيّ، البُرهان ١: ٢٣٢.

٣ ـ حين وجد في يد أُخته فاطمة (صحيفة) فيها آيات من القرآن، وكان بينها وبينه ما كان، ممّا أدّى إلى إسلامه، انظر: الزّنجانيّ، تاريخ القرآن: ٤٣.

١ ـ ترتيب الآيات

أ ـ ترتيب النّزول: سبق أن ذكرنا أنّ نزول الآيات تمّ تنجيمًا، ومع ذلك على نحو تتابعها الخاصّ المدوّن في سُوَر المُصْحَف فقد يفصل بين الآية وما بعدها من آيات السُّورة نفسها فاصل زمنيّ، يطول أو يقصر حسب الحكمة التّشريعيّة الإلهيّة، فتظلّ السُّورة طيلة هذه المدّة مفتوحة بانتظار بقيّة آياتها، وخلال ذلك الفاصل الزّمنيّ قد تنزل آيات سورة أُخرى، حتّى إذا اقتضت حكمةالله وحجّة النّاس إلى تكملة السُّورة الأُولى، نزلت بقيّة أو بعض آياتها.

ويعرف ترتيب نزول الآيات من الرّوايات المنقولة والنّصوص التّاريخيّة والشّواهد الّتي قارنت النّزول.

ب ـ ترتيب التّدوين: من الواضح أنّ لكلّ آية موضعها الخاصّ بين آيات سورتها، وهذا الموضع يعرف عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، وهو ثابت قطعيّ لا خلاف فيه بين المسلمين، وهو كما مدوّن في المصاحف الشّريفة الّتي بأيدينا، والمنقولة نقلاً متواترًا عن الرّسول الأمين ﷺ.

فلقد كان رسول الله ﷺ يلقّن أصحابه وكتبة وحيه ما ينزل من القرآن على التّرتيب الّذي هو عليه الآن في المصاحف، بتعليم من جبريل عند نزول كلّ مقدار من الآيات أنّها تكتب بعد آية كذا في سورة كذا.

ولهذا فإنّ ترتيب الآيات في السُّوَر ترتيب إلهيّ، تولّاه النّبيّ ﷺ كما أخبره به جبريل عن أمر ربّه، لأنّ القرآن محفوظ في اللّوح الثّابت على هذا التّرتيب، وليس في ترتيب الآيات أيّة رخصة.

ج ـ ترتيب التّلاوة: كان رسول الله ﷺ يقرأ سُوَرًا عديدة بترتيب آياتها ـ التّرتيب الموضعيّ ـ والّذي دوّنت بموجبه على التّواتُر، لا حسب ترتيب نزولها، فكان ذلك دليلاً صريحًا أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ في تدوينها وفي تلاوتها، فلا تجوز ولا تصحّ تلاوة الآيات على غير ترتيبها الّذي تمّ تدوينها بموجبه في المصاحف.

٢ ـ ترتيب السُّوَر

أ ـ ترتيب نزول السُّوَر: لا شكّ أنّ ترتيب نزول السُّوَر ليس على نسق ما هي عليه في المصاحف، فنحن نجد أنّ ترتيب نزول القرآن يبدأ بسورة (العلق) في مكّة، ثمّ (نَ والقلم)، ويستمرّ النّزول ما يقرب من ثلاث عشرة سنة، تعقبها الهجرة المباركة، حيث يبدأ النّزول في المدينة المُنوّرة بسورة (البقرة)، ثمّ (الأنفال)، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن الكريم هي سورة (النّصر) نزلت في (منى) في حجّة الوداع. وقيل: إنّ آخر ما نزل من الآيات: ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[١] نزلت بعرفات في حجّة الوداع أيضًا، وبعدها بقرابة شهرين دعا الله تعالى رسوله وحبيبه إلى دار الكرامة والبقاء.

ب ـ ترتيب التّدوين: ذكرنا قبل قليل ترتيب نزول السُّوَر، وهو يختلف تمامًا عن ترتيب تدوينها في المصاحف، حيث يبتدىء بسورة (الفاتحة) وهي مكّيّة، ثمّ سورة (البقرة) وهي مدنيّة نزلت بعد الهجرة، ثمّ سورة (آل عمران) وينتهي المُصْحَف بسورة (النّاس) وهي مكّيّة وآخر سورة في جميع المصاحف.

وقد اختلف النّاس في ترتيب تدوين السُّوَر في المصاحف إلى ثلاثة اتّجاهات: فمنهم من قال: إنّه اجتهاديّ، قال ابن كثير: «فأمّا ترتيب السُّوَر فمن أمير المؤمنين عُثمان ابن عَفّان رضي الله عنه»[٢] (وهذا مذهب مالك والقاضي الباقِلّانيّ)[٣].

ومنهم من قال: إنّه توقيفيّ كلّه، لا يدخله الرّأي والاجتهاد كترتيب الآيات ضمن كلّ سورة، ومنهم من فصّل، فقال: منه ما هو توقيفيّ، ومنه ما هو اجتهاديّ، وقد اجتهد كلّ فريق بحشد أدلّة من الرّوايات والسّيرة لتأييد وإسناد ما ذهب إليه[٤].

غير أنّ اختلاف مصاحف الإمام عليّ عليه السلام وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عبّاس

---

١ ـ المائدة /٣.

٢ ـ فضائل القرآن: ١٢.

٣ ـ البُرهان ١:٢٥٧.

٤ ـ انظر: الزّنجانيّ، تاريخ القرآن؛ ابن أبي داود، كتاب المصاحف؛ ابن كثير، فضائل القرآن: ٢٦، وما بعدها.

والإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد في ترتيب سُوَرها يشير إلى أنّ ترتيب السُّوَر كان باجتهاد الصَّحابة الجامعين، بخلاف وضع الآيات في محالّها، فإنّه كان بنصّ النّبيّ ﷺ، وتواتر عنه ذلك.

ج ـ **ترتيب تلاوة السُّوَر:** إنّ تلاوة السُّوَر ليست توقيفيّة كتلاوة الآيات، بل للقارىء أن يقرأ من السُّوَر ما يتيسّر له دون التزام بترتيب معيّن، دلّ عليه حديث حُذَيْفة، وهو في الصّحيح أنّه ﷺ قرأ في قيام اللّيل (البقرة) ثمّ (النّساء) ثمّ (آل عمران)[١].

كما أنّ للقارىء أن يرتّل ما يتيسّر له من آيات سورة من السُّوَر دون التزام بتكملة تلك السُّورة، ولكن على حسب ترتيب آياتها المدوّنة في المُصْحَف كما ذكرنا.

(١٧٦ ـ ١٤٩)

١ ـ ابن كثير، فضائل القرآن: ٢٤.

الفصل التّاسع والأربعون

نصّ صبحيّ الصّالح (م:١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

جمع القرآن وكتابته

[معنى الجمع]

لجمع القرآن معنيان وردت النّصوص بكليهما، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1] ورد الجمع بمعنى الحفظ، ومنه جُمّاع القرآن، أي حُفّاظه. والمعنى الثّاني لجمع القرآن هو كتابته كلّه مفرّق الآيات والسُّوَر، أو مرتّب الآيات فقط، وكلّ سورة في صحيفة على حدة، أو مرتّب الآيات والسُّوَر في صحائف مجتمعة تضمّ السُّوَر جميعًا، وقد رتّبت إحداها بعد الأُخرى.

فأمّا جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب: فقد أُوتيه رسول الله قبل الجميع، فكان ﷺ سيّد الحُفّاظ وأوّل الجُمّاع، وتيسّر ذلك لنخبة من صحابته على عهده، ولا بدّ أن يكون عدد هذه النّخبة غير قليل، «فقد قتل منهم ـ كما قال القُرطُبيّ ـ يوم بئر معونة سبعون، وقُتل في عهد رسول الله مثل هذا العدد». ولو أخذنا بظاهر الرّوايات الّتي يذكرها البُخاريّ في «صحيحه» لحسبنا أنّ عدد الحُفّاظ على عهد رسول الله ﷺ لا يزيد على السّبعة. وهؤلاء السّبعة أنفسهم لا تُسرد أسماؤهم متعاقبةً في رواية واحدة في «الصّحيح» وإنّما تجمع من ثلاث روايات فيه مع ترك الأسماء المكرّرة. ولذلك يُطلق المستشرق بلاشير الحكم «بأنّ الحديث النّبويّ لا يعرف للقرآن إلّا سبعة من

---

١ ـ القيامة /١٧.

الحُفّاظ»[١]. و يفوته ما علّق به العُلماء على هذه الرّوايـات مسـتبعدين صـيغة الحـصر، ومؤوّلين ماجاء فيها تأويلاً سائغًا مقبولاً. «قال الماوَرْديّ: وكيف يمكن الإحاطة بأنّه لم يكمله سوى أربعة، و الصّحابة متفرّقون في البلاد! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حـفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون، قال الشّيخ: وقد سمّى الإمام أبو عُبَيْد القاسم بن سَـلّام القُرّاء من الصَّحابة في أوّل كتاب القراءات له، فسمّى عددًا كثيرًا».

والسّيوطيّ في «الإتقان» يذكر بعض هؤلاء القُرّاء بأسمائهم الّتي وردت في كتاب «القراءات» المنسوب إلى أبي عُبَيد... [وذكركما تقدّم عن ابن حَجَر ثمّ قال:]

وهؤلاء الّذين عدّهم القاسم بن سَلّام من المهاجرين والأنصار و أُمّهات المـؤمنين ليسوا إلّا طائفة من الأصحاب الّذين جمعوا كتاب الله في صُـدورهم، و تـيسّر لهـم أن يعرضوه على النّبيّ ﷺ، فكانوا بذلك تلامذة له و كان شيخًا لهم. لكنّ الّذين حفظوا القرآن من الصّحابة من غير أن يعرضوه على الرّسول لا يحصون عددًا، ولا سيّما إذا أدخلنا في عدادهم من لم يكمل له الجمع إلّا بعد وفاة النّبيّ ﷺ. وفـي مـقدّمة «طـبقات القُـرّاء»[٢] للحافظ الذَّهَبيّ «ما يبيّن ذلك، و أنّ هذا العدد هم الّذين عرضوه على النّبيّ ﷺ و اتّصلت بنا أسانيدهم، و أمّا من جمعه منهم[٣] ولم يتّصل بنا سندهم فكثير»[٤].

وجُمّاع القرآن في عهد الرّسول ﷺ مهما يبلغ عددهم من الكثرة يظلّ دون تـصوير

---

١ ـ وهؤلاء السّبعة هم: عبدالله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حُذَيفة، ومُعاذ بن جَبَل، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السَّكن، وأبو الدَّرداء. انظر: Blachère, Introduction au Coran, P. 28 note 26. ولكن بلاشير في موضع آخر (P.20 note 20) يذكر اسمًا من أسماء هؤلاء الحفظة، لم يكن واردًا في روايات البُخاريّ الثّلاث، وهو سعيد بن عُبَيد، ويشير إلى أنّه كان يلقّب بالقارئ. وانظر: (الإصابة لابن حَجر ٢٨:٢ الرّقـم ٣١٧٦).

٢ ـ ذكر الأُستاذ محمّد أبو الفضل إبراهيم أنّ في دار الكتب المصريّة نسخة مصوّرة من كتاب «طبقات القُرّاء» برقم ١٥٣٧ تاريخ ـ عن نسخة كبريلي الرّقم ١١١٦ (انظر: البرهان ٢٤٢:١ من الحاشية ٢) والزّركشيّ يسمّي هذا الكتاب «معرفة القُرّاء».

٣ ـ مادّة (الجمع) بمعنى الحفظ درسها المستشرق شفالي، وعنى بتتبّع شواهدها، وأشار إلى أُمّهات مصادرها في كتابه: Schwally, geschichte des Qorans. t.II, Die Sammlung des Qorans, 6 note 2 (V. Blachère, Intr. Cor., 20, note 20).

٤ ـ البرهان ٢٤٢:١.

شغفهم بالقرآن الّذي كان يملك عليهم قلوبهم، حتّى أضحى همّهم الأوحد قراءة الكتاب والاستماع إليه. روى الشّيخان عن أبي موسى الأشعريّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأعرف أصواتَ رُفقة الأشعريّين باللّيل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن، باللّيل، وإن كنتُ لم أرَمنازلهم حين نزلوا بالنّهار».

وكانوا ـ فوق هذا ـ يتدارسون القرآن ويستظهرونه، ليتمكّنوا من قراءته في الصّلوات المكتوبة ليلاً أو نهارًا، سرًّا أو جهرًا، وفي النّوافل الّتي يتطوّعون بها. وكان الرّسول ﷺ يساعدهم على هذا التّدارس، ويرغّبهم فيه ويشجّعهم عليه، بل كان ﷺ يختار أعلمهم بكتاب الله ليفقّه إخوانه «فكان الرّجل إذا هاجر دفعه النّبيّ ﷺ إلى رجل من الصّحابة يعلّمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجّة بتلاوة القرآن حتّى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا». وقد اشتهر بإقراء القرآن من الصّحابة سبعة: عُثمان بن عفَّان، وعليّ بن أبي طالب، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدَّرداء، وأبو موسى الأشعريّ.

وقد قرأ على أُبيّ بن كعب جماعة من الصَّحابة، منهم: أبو هُرَيرة، وابن عبّاس، وعبدالله بن السّائب، وأخذ ابن عبّاس عن زيد بن ثابت أيضًا، وأخذ عنهم خلق من التّابعين، وهكذا كان في العصر النّبويّ شبه مدرسة لتحفيظ القرآن وتدارسه... [ثمّ ذكر قول ابن الجَزَريّ، كما تقدّم عن الزُّرقانيّ فقال:]

وأمّا جمع القرآن بمعنى كتابته فقد اتّخذ ثلاثة أشكال في ثلاثة عهود في الصّدر الأوّل، أوّلها: عهد النّبيّ ﷺ، وثانيها: عهد أبي بكر الصّدّيق ﵁، وثالثها: عهد عُثمان بن عفّان ﵁.

١ ـ جمع القرآن كتابةً على عهد الرّسول ﷺ

اتّخذ النّبيّ ﷺ كُتّابًا للوحي فيهم الخلفاء الأربعة ومعاوية وزيد بن ثابت وأُبيّ بن كعب وخالد بن الوليد وثابت بن قَيْس، كان يأمرهم بكتابة كلّ ما ينزل من القرآن، حتّى تظاهر الكتابة جمع القرآن في الصُّدور.

وقد أخرج الحاكم في «المستدرك» بسند على شرط الشّيخين عن زيد بن ثابت أنّه قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرّقاع»... [ثمّ ذكر أدوات التّدوين و معناها، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

و معنى تأليف القرآن من الرّقاع (الوارد في حديث زيد) ترتيب السُّوَر والآيات وِفْق إشارة النّبيّ ﷺ وتوقيفه. «فأمّا الآيات في كلّ سورة و وضع البَسْمَلة أوائلها فترتيبها توقيفيّ بلاشكّ، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها»[1].

ويستدلّ على ذلك بما أخرجه البُخاريّ عن ابن الزُّبَير قال: قلت لعُثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ...﴾[2] [وذكركما تقدّم عنه ثمّ قال:]. فعُثمان لا يجرؤ على تغيير آية من مكانها، ولو ثبت له أنّها منسوخة، لأنّه يعلم أن ليس له ولا لغيره دخل في ترتيب آيات القرآن بعد أن وقّف جبريل رسول الله على ترتيبها، ووقّف رسول الله بدوره كتبة الوحي على ذلك...

[ثمّ ذكر رواية أحمد بإسناد حسن عن عُثمان بن أبي العاص، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

كثير من الأحاديث الّتي تصوّر رسول الله ﷺ يُملي القرآن على كُتّاب الوحي، ويوقّفهم على ترتيب الآيات[3]. وقد ثبت أنّه ﷺ قرأ سُورًا عديدة بترتيب آياتها في الصّلاة أو في خطبة الجمعة بمشهد من الصَّحابة، فكان ذلك دليلاً صريحًا على «أنّ ترتيب آياتها توقيفيّ، و ما كان الصّحابة ليرتّبوا ترتيبًا سمعوا النّبيّ ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التّواتُر»[4].

---

١ ـ هذه عبارة الزّركشيّ في «البُرهان ١:٢٥٦» وقد أشار السُّيوطيّ إلى هذا الإجماع الّذي نقله الزّركشيّ حول ترتيب الآيات التّوقيفيّ، ثمّ ذكر في هذا الموضوع عبارة لأبي جعفر بن الزُّبَير في «مناسباته» يقول فيها: «ترتيب الآيات في سُوَرها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف بين المسلمين» (انظر: الإتقان ١:٤٠).

والمراد من قول الزّركشيّ «لا يجوز تعكيسها» وجوب التزام هذا التّرتيب التّوقيفيّ بين الآيات، بحيث لا يقدّم فيها ولا يؤخّر. و ميل الزّركشيّ إلى هذا الرّأي يزداد وضوحًا بقوله: «وفسّر بعضهم قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي اقرأه على هذا التّرتيب من غير تقديم ولا تأخير، وجاء النّكير على من قرأه معكوسًا» البُرهان ١:٢٥٩.

٢ ـ البقرة /٢٣٤.

٣ ـ انظر على سبيل المثال صحيح البُخاريّ: كتاب تفسير القرآن الباب الثّامن عشر، وكتاب الأحكام الباب السّابع والتّسعون، و مسند أحمد ٣:١٢٠ و ٤:٣٨١.

٤ ـ الإتقان ١:١٠٥.

وأمّا ترتيب السُّوَر فتوقيفيّ أيضًا، وقد عُلِم في حياته ﷺ، وهو يشتمل السُّوَر القرآنيّة جميعًا، ولسنا نملك دليلاً على العكس، فلا مُسوِّغ للرّأي القائل: إنّ ترتيب السُّوَر اجتهاديّ من الصّحابة، ولا للرّأي الآخر الّذي يفصّل: فمن السُّوَر ما كان ترتيبه اجتهاديًّا، ومنه ما كان توقيفيًّا.

وإذن فقول الزَّركشيّ: «وترتيب بعضها ليس هو أمرًا أوجبه الله، بل أمرٌ راجع إلى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكلّ مُصْحَف ترتيب»[١] لا ينبغي أن يسلّم على عِلّاته، لأنّ اجتهاد الصَّحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصّة كان اختيارًا شخصيًّا لم يحاولوا أن يلزموا به أحدًا، ولم يدّعوا أنّ مخالفته محرّمة، إذ لم يكتبوا تلك المصاحف للنّاس، وإنّما كتبوها لأنفسهم، حتّى إذا اجتمعت الأُمّة على ترتيب عُثمان أخذوا به وتركوا مصاحفهم الفَرديّة. ولو أنّهم كانوا يعتقدون أنّ الأمر مفوّض إلى اجتهادهم، موكول إلى اختيارهم، لاستمسكوا بترتيب مصاحفهم، ولم يأخذوا بترتيب عُثمان.

ثمّ إنّ الزَّركشيّ نفسه يرى أنّ «الخلاف يرجع إلى اللّفظ» بين القائلين بالتّوقيف والقائلين بالاجتهاد في ترتيب السُّوَر، ويستدلّ على ذلك بقول «الإمام مالك: إنّما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النّبيّ ﷺ، مع قوله بأنّ ترتيب السُّوَر اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنّه هل ذاك بتوقيف قوليّ أو بمجرّد استناد فعليّ؟»[٢].

وأمّا الرّأي الذّاهب إلى أنّ التّرتيب على قسمين: توقيفيّ واجتهاديّ، فلا يستند القسم الاجتهاديّ فيه إلى دليل صحيح، وهو على كلّ حال قسم ضئيل لا يكاد يؤبَه له. فإذا قال القاضي أبو محمّد بن عَطيّة: «إنّ كثيرًا من السُّوَر كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسّبع الطُّوَل[٣] والحواميم المُفصّل»[٤]، رأى أبو جعفر بن الزُّبَير[٥] أنّ القسم

---

١ ـ البُرهان ١:٢٦٢.

٢ ـ نفس المصدر ١:٢٥٧.

٣ ـ كذا في (البُرهان) ـ بضم الطّاء وفتح الواو والشّائع أنّها (السّبع الطُّوال) بكسر الطّاء. غير أنّ الزّركشيّ يقول: الطُول بضمّ الطّاء جمع طولى، كالكبر جمع كُبرى. قال أبو حيّان التّوحيديّ: وكسر الطّاء مرذول (البُرهان ١:٢٤٤).

٤ ـ البُرهان ١:٢٥٧.

٥ ـ هو أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَير الأندَلُسيّ، صاحب كتب الذّيل على «الصّلة» كان من النُّحاة الحُفّاظ. توفّي سنة ٨٠٧

التّوقيفيّ لا بدّ أن يكون أكبر من هذا، و أنّ القسم الاجتهاديّ هو الأقلّ. ويفهم هذا بوضوح من قوله: «الآثار تشهد بأكثر ممّا نصّ عليه ابن عطيّة ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف»[1].

وهذا القليل الّذي يمكن أن يجري فيه الخلاف يعتمد على حديث ضعيف جدًّا، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كلّ رواياته على «يزيد الفارسيّ» الّذي رواه عن ابن عبّاس»[2]، و يزيد الفارسيّ، هذا «يذكره البُخاريّ في الضّعفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، و فيه تشكيك في معرفة سُوَر القرآن الثّابتة بالتّواتُر القطعيّ قراءةً وسماعًا وكتابةً في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البَسْمَلة في أوائل السُّوَر، كأنّ عُثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك! فلا علينا إذا قلنا: إنّه «حديث لا أصل له»[3]، ولا داعي للإطالة بذكر هذا الحديث الباطل، بل نشير إلى أنّ موضع الشّاهد فيه جواب عُثمان لابن عبّاس، معلّلاً قرْنَ براءة بالأنفال من غير البَسْمَلة: «وكانت الأنفال من أوائل ما أُنزل بالمدينة، و براءةُ من آخر القرآن، فكانت قصّتها شبيهًا بقصّتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنّها منها، وظننتُ أنّها منها، فمن ثمّ قرنت بينهما...إلخ»[4].

الرّأي الرّاجح المختار إذن أنّ تأليف السُّوَر على هذا التّرتيب الّذي نجده اليوم في المصاحف هو كتأليف الآيات على هذا التّرتيب ـ توقيفيّ لا مجال فيه للاجتهاد. على أنّ رسول الله ﷺ، رغم هذا التّوقيف، لم يجد من الدّواعي ما يحمله على جمع آيات كلّ سورة في صحائف عدّة، ولا جمع القرآن كلّه بين دفّتي مُصْحَف واحد، لأنّ القُرّاء و مستظهري القرآن كانوا كثيرين، وكان ﷺ يترقّب توالي نزول الوحي عليه، و إمكان ناسخ لبعض

← (الدُّرَر الكامنة ١: ٨٤ ـ ٨٦).

١ ـ البُرهان ١: ٢٥٨.

٢ ـ تعليق العلّامة أحمد محمّد شاكر على الحديث الرّقم ٣٩٩ في مسند الإمام أحمد ١: ٣٢٩.

٣ ـ من التّعليق على الحديث نفسه، مسند أحمد ١: ٣٣٠ و يستحسن أن يقرأ جميع هذا التّعليق فإنّه نفيس، ولا يتّسع المقام لذكره.

٤ ـ مسند أحمد، طبعة شاكر ١: ٣٣١ (حديث الرّقم ٣٩٩) وفي الطّبعة القديمة ١: ٥٧.

أحكامه،[١] فالقرآن كلّه كتب في عهد رسول الله ﷺ غير مجموع في مُصْحَف واحد، فـقد أغنى عن ذلك حفظ الصَّحابة له في صُدورهم، كما وقّفهم عـليها الرّسـول و نـبّههم إلى مواضعها بتوقيف من الله. قال الزَّركشيّ: «وإنّما لم يُكْتَبْ في عهد النّبيّ ﷺ مُصْحَف لئلّا يفضي إلى تغييره في كلّ وقت، فلهذا تأخّرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ»[٢].

وأكثر العُلماء على أنّ جمع القرآن على عهد رسول الله لوحظ في كتابته أن تشمل الأحرف السّبعة الّتي أُنزل عليها. وسوف نناقش ذلك في فصل «الأحرف السّبعة».

وكان كلّ ما يكتب يوضع في بيت رسول الله ﷺ، وينسخ الكُتّاب لأنفسهم نسخة منه، فتعاونت نسخ هؤلاء الكُتّاب و الصُّحُف الّتي في بيت النّبيّ مع حافظة الصَّحابة الأُمّيّين و غير الأُمّيّين على حفظ القرآن وصيانته، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣].

٢ ـ جمع القرآن في عهد أبي بكر

لقد كتب القرآن كلّه على عهد رسول الله ﷺ إلّا أنّه كان مفرّق الآيات والسُّوَر، و أوّل مَن جمعه في صُحُف مرتّب الآيات ـ كما رويت محفوظة عن الرّسول ـ هو أبو بكر، قال أبو عبد الله المَحَاسِبيّ،... [و ذكر كما تقدّم عن الزَّركشيّ، ثمّ قال:]

وكان جمع أبي بكر للقرآن بعد موقعة اليَمامة سنة اثني عشرة للهجرة، فـفي تـلك الموقعة بين المسلمين وأهل الرِّدَّة من أتباع مُسَيلِمة الكذّاب استشهد سبعون من حَفَظَة القرآن من الصّحابة، فهال ذلك عمر بن الخطّاب، وجاء يقترح على أبي بكر جمع القرآن. وفي ذلك يروي البُخاريّ في صحيحه: أنّ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إليّ أبو بكر... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢، ثمّ قال:]

وقد يقع قارئ هذا النّصّ في إشكال، منشؤه تصريح زيد بأنّه لم يجد آخر سـورة

---

١ ـ الإتقان ١:٩٨؛ والبرهان ١: ٢٣٥.

٢ ـ البُرهان ١:٢٦٢

٣ ـ الحِجر/٩.

التّوبة إلّا مع أبي خُزَيمة الأنصاريّ، ويزول هذا الإشكال سريعًا إذا علم القارئ أنّ غرض زيد أنّه لم يجدها مكتوبة إلّا مع أبي خُزَيمة، وقد كان ذلك كافيًا لقبوله إيّاها، لأنّ كثيرًا من الصّحابة كانوا يحفظونها، ولأنّ زيدًا نفسه كان يحفظها، ولكنّه أراد ـ وَرعًا منه واحتياطًا ـ أن يشفع الحفظ بالكتابة، وظلّ ناهجًا هذا النّهج في سائر القرآن الّذي تتبّعه فجمعه بأمر أبي بكر، فكان لا بدّ لقبول آية أو آيات من شاهدَين، هما الحفظ والكتابة، وبهذا فسّر ابن حَجَر المراد من الشّاهدين في قول أبي بكر لعمر و زيد: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[١].

وهو حديث منقطع أخرجه ابن أبي داود من طريق هِشام بن عُرْوَة عن أبيه، لكن رجاله ثقات، و واضح أنّ تفسير ابن حَجَر يلاحظ فيه الاكتفاء بشاهد واحد على الكتابة، كالشّاهد الواحد على الحفظ. وتفسيرالجمهور يقوم على ضرورة شاهدين عدلَين على الكتابة، و شاهدَين عدلَين على الحفظ، فلا يكتفى بشاهد واحد على كلّ من الأمرين.

ويستدلّ على ذلك بما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب قال: «قَدِم عمر، فقال: من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأتِ به، وكانوا يكتبون ذلك في الصُّحُف والألواح والعُسُب، وكان لا يَقبل من أحد شيئًا حتّى يشهد شهيدان»[٢].

قال السّخاويّ في «جمال القُرّاء»: «المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ»[٣]. وكأنّ شذوذ آخر سورة التّوبة عن هذه القاعدة بوجودها عند أبي خُزَيمة وحده، إنّما روعي فيه تواترها لدى الكثير من الصّحابة الّذين كانوا يستظهرونها حفظًا في الصّدور، فهذا الاستظهار المتواتر قام مقام شاهدين بأنّ آخر تلك السّورة كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

«وقول زيد: «لم أجدها إلّا مع (أبي) خُزَيمة» ليس فيه إثباتُ القرآن بخبر الواحد،

---

١ ـ الإتقان ١: ١٠٠.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

لأنّ زيدًا كان قد سمعها و عَلم موضعها... و تتّبعه للرِّجال كان للاستظهار لا لا ستحداث العلم»[١].

وقد تمّ لأبي بكر جمع القرآن كلّه خلال سنة واحدة تقريبًا، لأنّ أمره زيدًا بجمعه كان بعد واقعة اليَمامة، وقد حصل الجمع بين هذه الواقعة ووفاة أبي بكر. وحين نتذكّر كيف جمع هذا القرآن من الرِّقاع والعُسُب واللِّخاف والأقتاب والجُلود في هذه المدّة القصيرة، لا يسعنا إلّا أن نكبر عزيمة الصّحابة الّذين بذلوا أنفسهم لله، ولا يسعنا إلّا أن نقول مع عليّ ابن أبي طالب: «رحم الله أبابكر، هو أوّل من جمع كتاب الله بين اللّوحين»[٢]. أمّا عمر فقد سجّل له التّاريخ أنّه صاحب الفكرة، كما سجّل لزيد أنّه وضعها موضع التّنفيذ.

وختام النّصّ الّذي رواه البُخاريّ عن زيد ينبّئنا بأنّ الصُّحُف الّتي جمع فيها القرآن كانت عند أبي بكر حتّى توفّاه الله، ثمّ صارت إلى عمر وظلّت عنده حتّى توفّاه الله، ثمّ صارت إلى حَفْصَة بنت عمر لا إلى الخليفة الجديد عُثمان. وقد أثارت «دائرة المعارف الإسلاميّة» شبهة حول هذا الموضوع فتساءلت: ألم يكن عُثمان أجدر أن تودع هذه الصُّحُف عنده؟[٣] ونجيب: بل حَفْصة أولى بذلك وأجدر، لأنّ عمر أوصى بأن تكون الصُّحُف مودعة لديها، وهي زوجة رسول الله أُمّ المؤمنين، فضلاً على حفظها القرآن كلّه في صدرها و تمكّنها من القراءة والكتابة، وكان عمر قد جعل أمر الخلافة شورى من بعده، فكيف يسلّم إلى عُثمان هاتيك الصُّحُف قبل أن يفكّر أحد في اختياره للخلافة؟

ويبدو أنّ تسمية القرآن «بالمُصْحَف» نشأت على عهد أبي بكر. فقد أخرج موسى ابن عُقْبَة... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

وقد ظفر مُصْحَف أبي بكر بإجماع الأُمّة عليه وتواتُر ما فيه، وأكثر العُلماء على أنّ طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السَّبعة الّتي أُنزل بها القرآن، فشابه في هذه النّاحية الأخيرة جمع القرآن الأوّل على عهد الرّسول الأمين.

---

١ ـ البُرهان ١:٢٣٤.

٢ ـ البُرهان ١:٢٣٩؛ المصاحف لابن أبي داود: ٥.

٣ ـ انظر: Encyclopèdie de l'Islam. II, p. 1130.

٣ ـ جمع القرآن على عهد عُثمان

روى البُخاريّ في «صحيحه» بسنده عن ابن شِهاب أنّ أنَس بن مالك حدّثه أنّ حُذَيفة بن اليَمان... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤، ثمّ قال:]. ينبّئنا هذا النّصّ الصّحيح بخمسة أُمور على جانب عظيم من الأهمّيّة:

أوّلاً ـ أنّ اختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساسيّ على أمر عُثمان باستنساخ صُحُف حَفْصَة وجمعها في مصاحف، فلا مستند لبلاشير وغيره من المستشرقين في التّشكيك بنيّات عُثمان في جمع القرآن، فمن أين لهم أنّ هذا الخليفة إنّما سعى إلى تحقيق هذا العمل العظيم بدافع من نزعته «الأرستقراطيّة»، فلم يجمع كتاب الله ـ بزعمهم ـ إلّا باسم الطّبقة «الأرستقراطيّة» المكّيّة الّتي كان خير ممثّل لها[1]؟!

لا مستند لهم في شيء من هذا إلّا خيالهم الخصيب، وظنّهم الكاذب... وإلّا فأين الرّواية التّاريخيّة الصّحيحة الّتي تثبت دعواهم؟ وهل يفضّل عاقل الأخذ بتخرّصاتهم على ما أورده رجل كالبُخاريّ ما عرف التّاريخ من يضارعه في الثّقة والضّبط والأمانة؟

ثانيًا ـ أنّ اللّجنة الّتي كُلِّفت بهذا العمل كانت رباعيّة. وإذا استثنينا زيد بن ثابت الّذي كان مدنيًّا من الأنصار، لاحظنا أنّ الأعضاء الثّلاثة الباقين كلّهم مكّيّون من قُريش[2]. وهؤلاء الأربعة جميعًا من ثقات الصّحابة وأفاضلهم.

---

١ ـ انظر: Blachère p. 57.

٢ ـ وهنا يذهب الخيال الخصيب ببلاشير كلّ مذهب، فيسرف في وصف الرّهط القُرشيّين الثّلاثة «بالأرستقراطيّة»، كما وصف بها عُثمان من قبل ـ وما ندري أيّ أرستقراطيّة يعني في ذاك المجتمع الإسلاميّ الوليد الّذي لا تزال تعاليم الدّين فيه غضّة! ـ ويشير بعد ذلك إلى صلات المصاهرة بين هؤلاء الرّهط وبين عُثمان، فجمعت بينهم ـ بزعمه ـ المصالح المشتركة، فما كان أحد منهم يتصوّر أن يتمّ جمع القرآن واستنساخ المُصْحَف في غير مكّة مدينتهم الغالية. ولكي يتمّ بلاشير نسج هذه القصّة الخياليّة يجعل ثالثة الأثافي موافقة زيد للمكّيّين الثّلاثة وتملّقه لهم، لعلمه أنّ زيدًا كان مدنيًّا أبعد ما يكون عن النّزعة الأرستقراطيّة (انظر: Blachère Intr. au Coran, 58).

وهذا الكلام يكاد ـ لتهافته وتناقضه ـ يكذب آخره أوّله. فحسبنا هذا التّكلّف في إشراك زيد المدنيّ في خطّة المكّيّين الثّلاثة دليلاً على فساد هذا الاستنتاج الّذي لا يستند إلى عقل ولا نقل.

وقد اعترف كثير من المستشرقين بورع أعضاء اللّجنة واحتياطهم في نسخ المصاحف، ونذكر على سبيل المثال قول بلاشير: «لا يسع أحدًا الشّكّ في عمق شعور أعضاء اللّجنة بمسؤوليّتهم. ولئن فاتَهُم منهج البحث الّذي لم يكن متيسّرًا لأحد في عصرهم، فلم يفتهم الاحتياط والورع». (Blachère, Intr. au Cor., 61).

ثالثًا ـ أنّ اللّجنة الرّباعيّة باتّخاذها صُحُف حَفْصَة أساسًا لنسخ المصاحف إنّما استندت إلى أصل أبي بكر.

رابعًا ـ أنّ القرآن نزل بلُغة قُريش، فهي اللُّغة المفضّلة لكتابةالنّصّ القرآنيّ عند حدوث الخلاف بين القُرشيّين الثّلاثة وزيد. وسنرى أنّ هذا لا ينافي كتابة القرآن بطريقة تجمع الأحرف السّبعة الّتي نزل عليها القرآن، لأنّ تلك الكتابة كانت غير معجمة ولا مشكولة، و لأنّ وجوه القراءات كانت توزّع على المصاحف حين لا يحتملها الرّسمالواحد.

خامسًا ـ أنّ عُثمان أرسل إلى الآفاق الإسلاميّة بمُصْحَف ممّا نسخه هؤلاء الأربعة، و رأى ـ حسمًا للنّزاع ـ أن يحرق ما عدا ذلك من الصُّحُف والمصاحف الخاصّة.

ويبدو أنّ حُذَيفة بن اليَمان لم يكن وحده فزعًا من اختلاف المسلمين في القراءة فقد كثر الخلاف وساور القلق أنفس الصَّحابة الكرام، وبلغ ذلك عُثمان ففزع بدوره و رأى أن يتدارك الأمر قبل استفحاله. وقد أشار إلى ذلك ابن جَرير الطَّبريّ في «تفسيره» في الخبر الّذي أخرجه من طريق أيّوب عن أبي قِلابَة...[و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٣ ثمّ قال:]

وساعد على هذا الاختلاف أنّ مصاحف أُخرى مشهورة قد عرفت إلى جانب صُحُف حَفْصَة في الزّمن الممتدّ من وفاة النّبيّ ﷺ حتّى جمع عُثمان النّاس على مُصْحَف واحد، وأشهر تلك الصُّحُف اثنان منسوبان إلى اللّذَين قاما بجمعهما: وهما مُصْحَف أُبيّ بن كعب و مُصْحَف عبد الله بن مسعود.

ولعلّ بعض المصاحف الأُخرى الّتي لم تعرف ولم تشتهر كانت كذلك موجودة، كما يذكر ابن النّديم في «الفهرست» و ابن أبي داود في «المصاحف» و ابن أشتة في «المصاحف»، و إن كنّا لا نميل إلى المبالغة في عددها، لأنّنا لا نملك مستندًا صحيحًا يؤكّد وجودها في زمن ما.

وجدير بالذّكر: أنّ هذه المصاحف لم تصل إلينا، و إنّما وردتنا نصوص عن ترتيب السُّوَر فيها وبعض أوجه قراءاتها، و ما تبرح في كثير من جوانبها بحاجة إلى الفَحص

والتّدقيق[١]. ولكن قرار عُثمان بإحراقها[٢] كان حكمًا بلاريب، لأنّ بقاءها كان لا بدّ أن يزيد في أسباب الشّقاق، ولا سيّما وقد بَعُد عهدالنّاس برسول الله ﷺ.

وقد وقع عمل عُثمان من قلوب النّاس موقع القبول والاستحسان[٣]، إلّا عبد الله بن مسعود الّذي كان له ـ كما رأينا ـ مُصْحَف خاصّ به، فإنّه عارض في ذلك في بادئ الأمر، وأبى أن يحرق مُصْحَفه[٤]، ثمّ ألهمه الله أن يرجع إلى رأي عُثمان الّذي كان في الحقيقة رأي الأُمّة كلّها[٥]، وهي حينئذ تنشد وحدة الكلمة والقضاء على أسباب النّزاع.

وقد شَرعت اللَّجنة الرُّباعيّة في تنفيذ قرار عُثمان سنة خمس وعشرين[٦]، وإنّما أمرهم عُثمان أن ينسخوا من صُحُف حَفْصَة مع أنّهم كانوا جُمّاعًا لكتاب الله في صُدورهم، لتكون مصاحفه مستندة إلى أصل أبي بكر المستند بدوره إلى أصل النّبيّ ﷺ المكتوب بين يديه بأمره وتوقيف منه، فسُدّت بذلك كلّ ذريعة للتّقوّل والتّشكيك... [ثمّ ذكر قول المَحاسِبيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، إلى أن قال:]

---

١ ـ وهنا لا يرى بلاشير بدًّا من الاعتراف بضرورة الاستناد إلى النُّصوص الصّحيحة إذا أردنا أن نعرف شيئًا عن تلك المصاحف. انظر Blachére, Intr. cor.p.37.

٢ ـ نطق حديث البُخاريّ ـ كما رأينا ـ بإحراقها، ولكنّ ابن أبي داود يأبى إلّا أن يذكر عددًا من الرّوايات المتضاربة في هذا الموضوع، فيتردّد بين إحراق الصُّحُف وتمزيقها وقذفها في الماء (انظر كتاب المصاحف: ١٣، ١٦، ٢٠).
ونحن بلا ريب إنّما نأخذ برواية البُخاريّ الصّحيحة، فلا داعي للتّردّد، فلقد أحرقت تلك المصاحف، وكفى الله المؤمنين شرّ بقائها.

٣ ـ كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١٢.

٤ ـ ويضعون في فيه ﷺ عبارات يعرّض فيها بزيد بن ثابت الّذي كان في صُلب أبيه حين اعتنق ابن مسعود الإسلام (ابن أبي داود: ١٧) أو كان يلعب مع الصّبية حين كان ابن مسعود يحفظ بضعًا وسبعين سورة أخذها كلّها من فم رسول الله ﷺ (انظر طبقات ابن سعد ٢ القسم الثّاني: ١٠٥ وكتاب المصاحف لابن أبي داود: ١٥). ولكنّنا نستبعد صدور هذه الأقوال عن ابن مسعود، وإن صدرت فهي لا تدلّ إلّا على الانفعال الّذي اعتراه حين نحّي عن لَجنة جمع القرآن ونسخه، ومع ذلك فإنّ ابن أبي داود نفسه هوالّذي ذكر عنه رجوعه إلى رأي عُثمان (كتاب المصاحف: ١٢). فلماذا يتعلّق بلاشير بالرّواية الأُولى ويتجاهل الأخيرة؟ (انظر Blachère; Intr. cor., 37).

٥ ـ كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١٢.

٦ ـ الإتقان ١: ١٠٢ وعلى هذا الأساس لا مسوّغ لما يتوهّمه بلاشير من أنّ اشتراك سعيد بن العاص في اللَّجنة كان «فخريًّا» لا عمليًّا، لأنّه كان واليًا على الكوفة في حدود سنة ٣٠، وهي السّنة الّتي يظنّ بلاشير أنّ اللَّجنة بدأت فيها تنفيذ قرار عُثمان. وقد أشرنا إلى خطأ هذا الظّنّ، وأخذنا بترجيح ابن حَجَر، راجع: ٧٩ الحاشية ١ (انظر Blachère, Intr cor., 56)

وقد اختلف في عدّة المصاحف الّتي أرسل بها عُثمان إلى الآفاق... [ثمّ ذكر قول عمروالدّانيّ في المقنع، كما تقدّم عن الزّركَشيّ].

أمّا السّيوطيّ فيروي «أنّ المشهور أنّها خمسة»،[١] وإذا أضفنا إليها المُصْحَف الإمام الّذي حبسه لنفسه بالمدينة أصبحت ستّة. وكما رددنا الخمسة إلى ستّة بإضافة المُصْحَف الإمام نستطيع أن نردّ السّبعة إلى ستّة إذا لم نجعل في عدادها ذلك المُصْحَف المذكور. لذلك نميل إلى الرّأي القائل: إنّ اللّجنة استنسخت سبعة مصاحف، فأرسل عُثمان بستّة منها إلى الآفاق، واحتفظ لنفسه بواحد منها. ويزيدنا ميلاً إلى هذا الرّأي ما علمناه من تمكّن بعض الأفراد من الحصول على نسخ لأنفسهم أخذوها من مُصْحَف عُثمان، كما فعل عبد الله بن الزُّبَيْر وأُمّهات المؤمنين عائشة وحَفْصَة وأُمّ سَلَمة (رضي الله عن الجميع)[٢]. و يخيّل إلينا أنّه ليس من المنطق أن يأذن الخليفة عُثمان لبعض الأفراد ـ مهما يبلغ نفوذهم ـ بالحصول على نسخ من مصاحفه الرّسميّة، ثمّ يضنّ على الأمصار الإسلاميّة بنسخ من هذه المصاحف توحّد كلمتهم و تقضي على أسباب النّزاع بينهم، ولا سيّما بعد أن اتّضح لنا أنّ اختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساسيّ على تفكير عُثمان بنسخ كتاب الله في المصاحف. [إلى أن قال:]

ولكي يزيد عُثمان من إقبال النّاس على تلقّي القرآن من صدور الرّجال واعتمادهم على الحفظ وعدم اتّكالهم على النّسخ و الكتابة، راح يرسل في الأكثر الأغلب مع المُصْحَف الخاصّ بكلّ إقليم حافظًا يوافق قراءته، فكان زيد بن ثابت مقرىء المُصْحَف المدنيّ، و عبد الله بن السّائب مقرىء المكّيّ، والمُغَيْرة بن شِهاب مقرىء الشّاميّ، وأبو عبد الرّحمان السُّلَميّ مقرىء الكوفيّ، و عامر بن عبد القَيْس مُقرىء البَصْريّ... [ثمّ ذكر إحراق عُثمان للمصاحف وقول عليّ عليه السلام كما تقدّم عن السّيوطيّ والزّركشيّ، فقال:]

---

١ ـ الإتقان ١:٤:١٠٤.

٢ ـ كتاب المصاحف لابن أبي داود: ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٦، وانظر:

Arthur Jeffery, Materials for the history of the Qur'an. 212, 231, 235, 262.

والكتاب المذكور هو مدخل النّاشر إلى كتاب المصاحف.

وإنّ الباحث ليتساءل: أين أصبحت المصاحف العُثمانيّة الآن؟ ولن يظفر بجواب شاف على هذا السّؤال، فإنّ الزّركشة والنُّقوش الفاصلة بين السُّوَر أو المبيّنة لأعشار القرآن تنفي أن تكون المصاحف الأثريّة في دار الكتب بالقاهرة عُثمانيّة، لأنّ المصاحف العُثمانيّة كانت مجرّدة من كلّ هذا. على أنّ بعض المستشرقين جمعوا الكثير من الرّوايات التّاريخيّة الّتي تؤكّد رُؤية بعض العلماء القُدامى للمصاحف أو لسُوَر منها في أمصار إسلاميّة معيّنة، وفي طليعة هؤلاء المستشرقين الأُستاذ كواترمير، كما أشار إلى ذلك كلّ من «برجشتراسر» و«برتزل» في دراستهما لتاريخ النّصّ القرآنيّ.

ثمّ إنّ المستشرق «كازانوفا» اعتمد على دراسة سلفه «كواترمير» فأعاد النّظر فيها واستدرك عليها الكثير، ومنه علمنا أنّ أحد المصاحف العُثمانيّة كان في مستهلّ القرن الرّابع الهجريّ معروفًا في بعض الأوساط العلميّة، وإنّ الرّحّالة المشهور ابن بَطّوطة رأى بنفسه بعض تلك المصاحف الّتي يظنّ أنّها عُثمانيّة، أو بعض صحائف منها فقط، في غرناطة ومراكش والبَصْرة وبعض المُدُن الأُخرى خلال رحلاته الكثيرة، غير أنّ «كازانوفا» ـ بعد إيراده تلك المعلومات الدّقيقة المفيدة ـ لا يلبث أن يصرّح بارتيابه بقيمتها التّاريخيّة، وإذا هو يأتي بأغرب رأي وأجرئه في عالم الدّراسات القرآنيّة، فما جمع عُثمان للمُصْحَف ـ في نظره ـ إلّا قصّة وهميّة أحكم نسجها في عهد الخليفة عبد الملك بن مَروان توطئة للمبالغة في شأن التّحسينات الّتي أدخلت على رسم المصاحف في عهد الخليفة المذكور! وأعجب من هذا كلّه إنّ «كازانوفا» لا يتورّع عن المجازفة بإلقاء حكم صبيانيّ لا يوافقه عليه عاقل بين النّاس، حتّى ولا إخوانه المستشرقون، فيجعل الحَجّاج بن يوسف الثّقفيّ أوّل جامع للقرآن.

وقد صرّح بلاشير بعُقم هذا الرّأي وفساده فقال: «لا يمكننا قطّ أن نتابع «كازانوفا» على هذا الزّعم الجريء الّذي تنقصه النُّصُوص الثّابتة[1]... [ثمّ ذكر قول ابن كثير حول المصاحف العُثمانيّة، كما تقدّم عنه فقال:]

---

١ ـ وانظر بقيّة استدلاله على خطأ هذا الرّأي في (Blachère, Intre, cor. p. 68).

ويبدو كذلك أنّ ابن الجَزَريّ صاحب «النّشر في القراءات العشر» وابـن فـضل الله العَمْريّ صاحب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» قد رأيا كلاهما هـذا المُـصْحَف الشّاميّ نفسه. و يميل بعض الباحثين إلى أنّ هذا المُصْحَف أمسى زمنًا مـا فـي حـوزة قياصرة الرّوس في دار الكتب في «لينينجراد»، ثمّ نقل إلى انجلترة[١]. بينما يرى آخرون أنّ هذا المُصْحَف بقي في مسجد دمشق حتّى احترق فيه سنة ١٣١٠هـ[٢]. والّذي نعلمه علم اليقين و يعلمه كلّ باحث منصف أنّ كتابًا غير القرآن لم يحظّ بالعناية الّتي أُحيط بها ولم يصل بالتّواتُر كما وصل، فجاء ـ كما قال شفالي ـ «أكمل وأدقّ ممّا يتوقّعه أيّ إنسان»[٣]. ولا غرو، فهو كتاب الله الّذي ﴿لَايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[٤] (٦٩ ـ ٨٩)

---

١ ـ من أراد مزيد الاطّلاع على المصاحف المخطوطة والمكتبات الّتي تشتمل على شيء منها فعليه بالمجلّد العاشر من كتاب شوفان. Chauvin, Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes. Liège t.x.p. 45-56.

٢ ـ انظر خطط الشّام ٥: ٢٧٩. وقد ذكر لي الزّميل الأُستاذ الدّكتور يوسف العشّ أنّ القاضي عبدالمحسن الأسطوانيّ أخبره بأنّه قد رأى المُصْحَف الشّاميّ قبل احتراقه، وكان محفوظًا بالمقصورة وله بيت خشب.

٣ ـ انظر Die Sammlung des Qorans, II, 93.

٤ ـ فصّلت /٤٢.

الفصل الخمسون

نصّ السّيّد الخُوئيّ (م:١٤١٣) في «البيان في تفسيرالقرآن»

فكرة عن جمع القرآن

إنّ موضوع جمع القرآن من الموضوعات الّتي يتذرّع بها القائلون بالتّحريف إلى إثبات أنّ في القرآن تحريفًا و تغييرًا، و أنّ كيفيّة جمعه مستلزمة ـ في العادة ـ لوقوع هذا التّحريف والتّغيير فيه.

فكان من الضّروريّ أن يعقد هذا البحث إكمالاً لصيانة القرآن من التّحريف و تنزيهه عن نقص أو أيّ تغيير.

إنّ مصدر هذه الشُّبهة هو زعمهم بأنّ جمع القرآن كان بأمر من أبي بكر بعد أن قتل سبعون رجُلاً من القُرّاء في بئر معونة، و أربعمائة نفر في حرب اليَمامة، فخيف ضياع القرآن و ذهابه من النّاس، فتصدّى عمر و زيد بن ثابت لجمع القرآن من العُسُب والرِّقاع واللِّخاف و من صُدور النّاس بشرط أن يشهد شاهدان على أنّه من القرآن، و قد صرّح بجميع ذلك في عدّة من الرّوايات، و العادة تقضي بفوات شيء منه على المتصدّي لذلك، إذا كان غير معصوم، كما هو مشاهد فيمن يتصدّى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر، إذا كان هذا الشّعر متفرّقًا، وهذا الحكم قطعيّ بمقتضى العادة، ولا أقلّ من احتمال وقوع التّحريف، فإنّ من المحتمل عدم إمكان إقامة شاهدين على بعض ما سمع من النّبيّ ﷺ، فلا يبقى وثوق بعدم النّقيصة.

والجواب: إنّ هذه الشُّبهة مبتنية على صحّة الرّوايات الواردة في كيفيّة جمع القرآن،

والأولى أن نذكر هذه الرّوايات ثمّ نعقّبها بما يرد عليها.

أحاديث جمع القرآن

١ ـ روى زيد بن ثابت، قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل يَمامة... [وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١ و ٢].

٢ ـ وروى ابن شِهاب؛ أنّ أنس بن مالك حدّثه: «أنّ حُذَيْفة بن اليَمان قدم على عُثمان... [وذكركما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤].

٣ ـ وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن عليّ، قال: «أعظم النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، إنّ أبا بكر أوّل من جمع ما بين اللّوحين».

٤ ـ وروى ابن شِهاب عن سالم بن عبد الله و خارجة: أنّ أبابكر كان جمع القرآن في قراطيس... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٨].

٥ ـ وروى هِشام بن عُرْوَة عن أبيه، قال:... [وذكر كما تقدّم عن المتّقي الهنديّ].

٦ ـ وروى محمّد بن سيرين، قال: «قُتِل عمر ولم يجمع القرآن».

٧ ـ وروى الحسن: «أنّ عمر بن الخطّاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقُتِل يوم اليَمامة، فقال: إنّالله، و أمر بالقرآن فجمع، فكان أوّل من جمعه في المُصْحَف».

٨ ـ وروى يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم١١].

٩ ـ وروى عُبَيْد بن عُمَيْر، قال: «كان عمر لا يثبت آية في المُصْحَف حتّى يشهد رجلان، فجاء رجلٌ من الأنصار بهاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾[1] إلى آخرها، فقال عمر: لا أسألك عليها بيّنة أبدًا، كذلك كان رسول الله ﷺ».[2]

---

١ ـ التّوبة /١٢٨.

٢ ـ الرّوايات الّتي نقلناها عن المنتخب مذكورة في كنز العُمّال «جمع القرآن» الطّبعة الثّانية ٣٦١:٢ عدى هذه الرّواية،

١٠ - وروى سُلَيمان بن أرقم عن الحسن و ابن سيرين وابن شِهاب الزُّهْريّ، قالوا...[وذكر كما تقدّم عن العامِليّ].

١١: وروى خُزَيْمة بن ثابت، قال: «جئت بهذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾. إلى عمر بن الخطّاب وإلى زيد بن ثابت، فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت: لا والله ما أدري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك».

١٢ - وروى أبو إسحاق عن بعض أصحابه، قال... [وذكركما تقدّم عن المتّقيّ الهنديّ].

١٣ - وروى عبدالله بن فَضَالة، قال: «لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرًا من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللُّغة فاكتبوها بلُغة مُضَر، فإنّ القرآن نزل على رجل من مُضَر».

١٤ - وروى أبو قِلابة... [وذكر عنه روايتين كما تقدّم عن الطَّبَريّ].

١٥ - وروى مُصعَب بن سعد، قال: قام عُثمان يخطب النّاس فقال: أيّها النّاس... [وذكركما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٤٠].

١٦ - وروى أبو المَليح قال: «قال عُثمان بن عَفَّان حين أراد أن يكتب المُصْحَف: تملي هذيل و تكتب ثقيف».

١٧ - وروى عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر القُرشيّ. قال: «لمّا فرغ من المُصْحَف أتى به عُثمان فنظر فيه. فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها».

١٨ - وروى عِكرِمة، قال: «لمّا أتى عُثمان بالمُصْحَف رأى فيه شيئًا من لحن، فقال: لوكان المُمليّ من هُذَيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا».

١٩ - وروى عَطاء: «أنّ عُثمان بن عَفَّان لمّا نسخ القرآن في المصاحف، أرسل إليّ أُبيّ بن كَعْب فكان يُملي على زيد بن ثابت، و زيد يكتب، و معه سَعيد بن العاص يعربه،

← ولكن بمضمونها رواية عن يحيى بن جَعْدة.

فهذا المُصْحَف على قراءة أُبيّ و زيد».

٢٠ ـ وروى مجاهد: «أنّ عُثمان أمر أُبيّ بن كعب يُملي، ويكتب زيد بن ثابت، و يعربه سعيد بن العاص وعبد الرّحمان بن الحرث».

٢١ ـ وروى زيد بن ثابت لمّا كتبنا المصاحف... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم٤٨].

٢٢ ـ وقد أخرج ابن أشتة، عن اللَّيث بن سعد. قال... [وذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ، ثمّ قال:]

هذه أهمّ الرّوايات الّتي وردت في كيفيّة جمع القرآن، وهي ـ مع أنّها أخبار آحاد لا تفيدنا علمًا ـ مخدوشة من جهات شتّى:

١ ـ تناقض أحاديث جمع القرآن

إنّها متناقضة في أنفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها، ومن الجدير بنا أن نشير إلى جملة من مناقضاتها في ضمن أسئلة و أجوبة:

أ ـ متى جمع القرآن في المُصْحَف؟ ظاهر الرّواية الثّانية أنّ الجمع كان في زمن عُثمان، و صريح الرّوايات الأُولى والثّالثة والرّابعة، وظاهر البعض الآخر أنّه كان في زمان أبي بكر، و صريح الرّوايتين السّابعة والثّانية عشرة أنّه كان في زمان عمر.

ب ـ من تصدّى لجمع القرآن زمن أبي بكر؟ تقول الرّوايتان الأُولى والثّانية والعشرون: إنّ المتصدّي لذلك هو زيد بن ثابت، و تقول الرّواية الرّابعة: إنّه أبو بكر نفسه، و إنّما طلب من زيد أن ينظر، فيما جمعه من الكتب، وتقول الرّواية الخامسة ـ و يظهر من غيرها أيضًا ـ إنّ المتصدّي هو زيد و عمر.

ج ـ هل فوّض لزيد جمع القرآن؟ يظهر من الرّواية الأُولى أنّ أبابكر قد فوّض إليه ذلك، بل هو صريحها، فإنّ قوله لزيد: «إنّك رجلٌ شابٌ عاقل لا نتّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن و أجمعه» صريح في ذلك، و تقول الرّواية الخامسة وغيرها: إنّ الكتابة إنّما كانت بشهادة شاهدين، حتّى أنّ عمر جاء بآية الرّجم فلم

تقبل منه.

د ـ **هل بقي من الآيات ما لم يدوّن إلى زمان عُثمان؟** ظاهر كثير من الرّوايات، بل صريحها أنّه لم يبق شيء من ذلك، و صريح الرّواية الثّانية بقاء شيء من الآيات لم يدوّن إلى زمان عُثمان.

هـ ـ **هل نقص عُثمان شيئًا ممّا كان مدوّنًا قبله؟** ظاهر كثير من الرّوايات بل صريحها أيضًا أنّ عُثمان لم ينقص ممّا كان مدوّنًا قبله، و صريح الرّواية الرّابعة عشرة أنّه محا شيئًا ممّا دوّن قبله، و أمر المسلمين بمحو ما محاه.

و ـ **من أيّ مصدر جمع عُثمان المُصْحَف؟** صريح الرّوايتين الثّانية والرّابعة أنّ الّذي اعتمد عليه في جمعه هي الصُّحُف الّتي جمعها أبو بكر، وصريح الرّوايات الثّامنة والرّابعة عشرة والخامسة عشرة أنّ عُثمان جمعه بشهادة شاهدين، و بإخبار من سمع الآية من رسول الله ﷺ.

ز ـ **من الّذي طلب من أبي بكر جمع القرآن؟** تقول الرّواية الأُولى: إنّ الّذي طلب ذلك منه هو عمر، وأنّ أبابكر إنّما أجابه بعد الامتناع، فأرسل إلى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع، و تقول الرّواية العاشرة: إنّ زيدًا وعمر طلبا ذلك من أبي بكر، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين.

ح ـ **من جمع الإمام و أرسل منه نسخًا إلى البلاد؟** صريح الرّواية الثّانية أنّه كان عُثمان، و صريح الرّواية الثّانية عشرة أنّه كان عمر.

ط ـ **متى أُلحقت الآيتان بآخر سُورة براءة؟** صريح الرّوايات الأُولى والحادية عشرة والثّانية والعشرين أنّ إلحاقهما كان في زمان أبي بكر، و صريح الرّواية الثّامنة، وظاهر غيرها أنّه كان في عهد عمر.

ي ـ **من أتى بهاتين الآيتين؟** صريح الرّوايتين الأُولى والثّانية والعشرين أنّه كان أبا خُزَيْمة، وصريح الرّوايتين الثّامنة والحادية عشرة أنّه كان خُزَيْمة بن ثابت، و هما رجلان

ليس بينهما نسبة أصلاً، على ما ذكره ابن عبد البرّ[١].

ك ـ بماذا ثبت أنّهما من القرآن؟ بشهادة الواحد، على ما هو ظاهر الرّواية الأُولى، و صريح الرّوايتين التّاسعة والثّانية والعشرين و بشهادة عُثمان معه، على ما هو صريح الرّواية الثّامنة، و بشهادة عمر معه، على ما هو صريح الرّواية الحادية عشرة.

ل ـ من عيّنه عُثمان لكتابة القرآن وإملائه؟ صريح الرّواية الثّانية أنّ عُثمان عيّن للكتابة زيدًا و ابن الزُّبَير وسعيد وعبد الرّحمان، و صريح الرّواية الخامسة عشرة أنّه عيّن زيدًا للكتابة و سعيدًا للإملاء، و صريح الرّواية السّادسة عشرة أنّه عيّن ثقيفًا للكتابة وهُذَيلاً للإملاء، و صريح الرّواية الثّامنة عشرة أنّ الكاتب لم يكن من ثقيف و أنّ المُملي لم يكن من هُذَيل، و صريح الرّواية التّاسعة عشرة أنّ المُملي كان أُبيّ بن كعب، و أنّ سعيدًا كان يعرب ما كتبه زيد، وهذا أيضًا صريح الرّواية العشرين بزيادة عبد الرّحمان بن الحارث للإعراب.

٢ ـ تعارض روايات الجمع

إنّ هذه الرّوايات معارضة بما دلّ على أنّ القرآن كان قدجمع، وكتب على عهد رسول الله ﷺ، فقد روى جماعة منهم: ابن أبي شيبة وأحمد بن حَنْبل، والتِّرمِذيّ، والنّسائيّ، وابن حَبان، والحاكم، والبَيْهَقيّ، والضّياء المَقْدِسيّ عن ابن عبّاس، قال: قلت لعُثمان بن عَفّان: ما حملكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

وروى الطَّبَرانيّ، و ابن عَساكِر عن الشَّعبيّ، قال... [وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ ذكر رواية قَتَادة عن أنس و رواية مَسْروق عن ابن مسعود كما تقدّم عن البُخاريّ].

و أخرج النّسائيّ بسند صحيح عن عبد الله بن عمر، قال: «جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النّبيّ ﷺ، فقال: اقرأه في شهر...». وستجيء رواية ابن سعد في جمع أُمّ وَرَقة القرآن.

---

١ ـ تفسير القُرطُبيّ ١: ٥٦.

ولعلّ قائلاً يقول: إنّ المراد من الجمع في هذه الرّوايات هوالجمع فـي الصُّـدُور لا التَّدوين، وهذا القول دعوىٰ لا شاهد عليها، أضف إلى ذلك أنّك ستعرف أنّ حُفّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستّة؟!! و إنّ المتصفّح لأحوال الصّحابة، و أحوال النّبيّ ﷺ يحصل له العلم اليقين بأنّ القرآن كان مجموعًا على عهد رسول الله ﷺ، و أنّ عدد الجامعين له لا يستهان به، و أمّا ما رواه البُخاريّ بإسناده عن أنس، قال: مات النّبيّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدَّرداء، و مُعاذ بن جَبَل، و زيد بن ثابت، وأبو زيد، فهو مردود مطروح، لأنّه معارض للرّوايات المتقدّمة، حتّى لماروواه البُخاريّ بـنفسه. ويـضاف إلى ذلك أنّـه غـير قـابل للتّصديق به، وكيف يمكن أن يحيط الرّاوي بجميع أفراد المُسلمين حين وفاة النّبيّ ﷺ على كثرتهم و تفرّقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكّنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة؟ وهذه الدّعوىٰ تخرّص بالغيب، وقول بغير علم.

وصَفْوة القول: إنّه مع هذه الرّوايات كيف يمكن أن يصدّق أنّ أبا بكر كان أوّل مـن جمع القرآن بعد خلافته؟ و إذا سلّمنا ذلك فلماذا أمر زيدًا وعـمر بـجمعه مـن اللِّـخاف والعُسُب و صُدور الرِّجال، ولم يأخذه من عبد الله و مُعاذ و أُبيّ، وقد كانوا عـند الجـمع أحياء، و قد أمروا بأخذ القرآن منهم و من سالم؟ نعم إنّ سالمًا قد قتل في حرب اليَمامة، فلم يمكن الأخذ منه، على أنّ زيدًا نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرّواية فلا حاجة إلى التّفحّص والسّؤال من غيره، بعد أن كان شابًّا عاقلاً غير متّهم كما يقول أبو بكر، أضف إلى جميع ذلك أنّ أخبار الثّقَلين المتظافرة تدلّنا على أنّ القرآن كان مجموعًا على عهد رسول الله ﷺ على ما سنشير إليه.

٣ـ تعارض أحاديث الجمع مع الكتاب

إنّ هذه الرّوايات معارضة بالكتاب، فإنّ كثيرًا من آيات الكتاب الكريمة دالّة على أنّ سُوَر القرآن كانت متميّزة في الخارج بعضها عن بعض، و أنّ السُّوَر كانت منتشرة بين النّاس حتّى المشركين و أهل الكتاب، فإنّ النّبيّ ﷺ قد تحدّى الكفّار والمشركين على

الإتيان بمثل القرآن، و بعشر سُوَر مثله مفتريات، و بسورة من مثله، و معنى هذا أ نّ سُوَر القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النّبيّ ﷺ: «إنّي تارِكٌ فيكم الثَّقَلَيْن كتابَ الله و عِترتي»، وفي هذا دلالة على أنّه كان مكتوبًا مجموعًا، لأنّه لا يصحّ إطلاق الكتاب عليه وهو في الصُّدُور، بل ولا على ما كتب في اللِّخاف والعُسُب والأكتاف، إلّا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللّفظ عليه من غير قرينة، فإنّ لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعيّ، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزّءًا غير مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم يكتب، وكان محفوظًا في الصُّدور فقط.

٤ ـ مخالفة أحاديث الجمع لحُكم العقل

إنّ هذه الرّوايات مخالفة لحُكم العقل، فإنّ عظمة القرآن في نفسه، و اهتمام النّبيّ ﷺ بحفظه وقراءته، و اهتمام المسلمين بما يهتمّ به النّبيّ ﷺ و ما يستوجبه ذلك من الثّواب، كلّ ذلك ينافي جمع القرآن على النّحو المذكور في تلك الرّوايات، فإنّ في القرآن جهات عديدة كلّ واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن موضعًا لعناية المسلمين، و سببًا لاشتهاره حتّى بين الأطفال والنّساء منهم، فضلاً عن الرِّجال. وهذه الجهات هي:

١ ـ بلاغة القرآن: فقد كانت العرب تهتمّ بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهليّة و خطبها، فكيف بالقرآن الّذي تحدّى ببلاغته كلّ بليغ، و أخرس بفصاحته كلّ خطيب لَسِن؟ وقد كانت العرب بأجمعهم متوجّهين إليه، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفّظ به، لأنّه يتمنّىٰ معارضته وإبطال حجّته.

٢ ـ إظهار النّبيّ ﷺ رغبته بحفظ القرآن والاحتفاظ به: وكانت السّيطرة والسُّلطة له خاصّة، والعادة تقضي بأنّ الزّعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته، فإنّ ذلك الكتاب يكون رائجًا بين جميع الرّعيّة الّذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا.

٣ ـ إنّ حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين النّاس وتعظيمه عندهم: فقد علم كلّ مطّلع على التّاريخ ما للقُرّاء والحُفّاظ من المنزلة الكبيرة والمقام الرّفيع بين النّاس، وهذا أقوى سبب لاهتمام النّاس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

٤ ـ الأجر والثّواب الّذي يستحقّه القارىء والحافظ بقراءة القرآن وحفظه: هذه أهمّ العوامل الّتي تبعث على حفظ القرآن والاحتفاظ به، وقد كان المسلمون يهتمّون بشأن القرآن، و يحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم و بما يهمّهم من مال وأولاد. وقد ورد أنّ بعض النّساء جمعت جميع القرآن، أخرج ابن سعد في الطّبقات: «أنبأنا الفضل بن دُكَيْن، حدّثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدّثتني جدّتي عن أُمّ وَرَقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمّيها الشّهيدة، وكانت قد جمعت القرآن. إنّ رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا، قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أُداوي جرحاكم، وأُمرّض مرضاكم، لعلّ الله يهدي لي شهادة؟ قال: إنّ الله مهّد لك شهادة...»[١] وإذا كان هذا حال النّساء في جمع القرآن فكيف يكون حال الرِّجال؟

وقد عدّ من حُفّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ جمّ غفير، قال القرطبيّ: «قد قتل يوم اليَمامة سبعون من القُرّاء، وقتل في عهد النّبيّ ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد»[٢].

وقد تقدّم في الرّواية «العاشرة» أنّه قتل من القُرّاء يوم اليَمامة أربعمائة رجل.

على أنّ شدّة اهتمام النّبيّ ﷺ بالقرآن، وقد كان له كُتّاب عديدون، ولا سيّما أنّ القرآن نزل نجومًا في مدّة ثلاث وعشرين سنة، كلّ هذا يورث لنا القطع بأنّ النّبيّ ﷺ كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده. روى زيد بن ثابت، قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين ولم يخرجاه» وفيه الدّليل الواضح أنّ القرآن إنّما جمع على عهد رسول الله ﷺ[٣].

---

١ ـ الإتقان، النّوع ٢٠، ١:١٢٥.

٢ ـ نفس المصدر، ١:١٢٢، وقال القُرطُبيّ في تفسيره ١:٥٠: وقتل منهم «القُرّاء» في ذلك اليوم «يوم اليَمامة» فيما قيل سبعمائة.

٣ ـ المستدرك ٢:٦١١.

وأمّا حفظ بعض سُوَر القرآن أو بعض السُّورة فقد كان منتشرًا جدًّا، وشذَّ أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين، روى عُبَادَة بن الصّامِت قال: «كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجلٍ منّا يعلّمه القرآن»[1].

وروى كُلَيب، قال: «كنت مع عليّ عليه السلام فسمع ضجّتهم في المسجد يقرأون القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء...»[2].

وعن عُبَادَة بن الصّامِت أيضًا... [وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ قال:]

نعم إنّ حفظ القرآن ولو ببعضه كان رائجًا بين الرّجال والنّساء من المسلمين، حتّى أنّ المُسلمة قد تجعل مَهْرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر[3]. ومع هذا الاهتمام كلّه كيف يمكن أن يقال: إنّ جمع القرآن قد تأخّر إلى زمان خلافة أبي بكر، وأنّ أبا بكر احتاج في جمع القرآن إلى شاهدين يشهدان أنّهما سمعا ذلك من رسول الله ﷺ؟

٥ ـ مخالفة أحاديث الجمع للإجماع!

إنّ هذه الرّوايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أنّ القرآن لا طريق لإثباته إلّا التّواتُر، فإنّها تقول: إنّ إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصرًا بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا فاللّازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضًا، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحّة هذه الرّوايات الّتي تدلّ على ثبوت القرآن بالبيّنة، مع القول بأنّ القرآن لا يثبت إلّا بالتّواتُر؟ أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواترًا سببًا للقطع بكذب هذه الرّوايات أجمع؟ ومن الغريب أنّ بعضهم كابن حَجَر فسّر الشّاهدين في الرّوايات بالكتابة والحفظ[4].

---

١ ـ مسند أحمد ٥:٣٢٤.

٢ ـ كنز العُمّال. فضائل القرآن الطّبعة الثّانية ٢:١٨٥.

٣ ـ رواه الشّيخان وأبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ، التّاج ٢:٣٣٢.

٤ ـ الإتقان ـ النّوع ١٨، ١:١٠٠.

وفي ظنّي أنّ الّذي حمله على ارتكاب هذا التّفسير هو ما ذكرناه من لزوم التّواتُر في القرآن. وعلى كلّ حال فهذا التّفسير واضح الفساد من جهات:

أمّا أوّلاً ـ فلمخالفته صريح تلك الرّوايات في جمع القرآن، وقد سمعتها.

وأمّا ثانيًا ـ فلأنّ هذا التّفسير يلزمه أنّهم لم يكتبوا ما ثبت أنّه من القرآن بالتّواتُر، إذا لم يكن مكتوبًا عند أحد، ومعنى ذلك أنّهم أسقطوا من القرآن ما ثبت بالتّواتُر أنّه من القرآن.

وأمّا ثالثًا ـ فلأنّ الكتابة والحفظ لا يحتاج إليهما إذا كان ما تراد كتابته متواترًا، وهما لا يثبتان كونه من القرآن، إذا لم يكن متواترًا. وعلى كلّ حال فلا فائدة في جعلهما شرطًا في جمع القرآن.

وعلى الجملة لا بدّ من طرح هذه الرّوايات، لأنّها تدلّ على ثبوت القرآن بغير التّواتُر، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين.

٦ ـ أحاديث الجمع والتّحريف بالزّيادة!

إنّ هذه الرّوايات لو صحّت، وأمكن الاستدلال بها على التّحريف من جهة النّقص، لكان اللّازم على المستدلّ أن يقول بالتّحريف من جهة الزّيادة في القرآن أيضًا، لأنّ كيفيّة الجمع المذكورة تستلزم ذلك، ولا يمكن له أنّ يعتذر عن ذلك بأنّ حدّ الإعجاز في بلاغة القرآن يمنع من الزّيادة عليه، فلا تقاس الزّيادة على النّقيصة، وذلك لأنّ الإعجاز في بلاغة القرآن وإن كان يمنع عن الإتيان بمثل سورة من سُوَره، ولكنّه لا يمنع من الزّيادة عليه بكلمة أو بكلمتين، بل ولا بآية كاملة، ولا سيّما إذا كانت قصيرة، ولولا هذا الاحتمال لم تكن حاجة إلى شهادة شاهدين، كما في روايات الجمع المتقدّمة، فإنّ الآية الّتي يأتي بها الرّجل تثبت نفسها أنّها من القرآن أو من غيره. وإذن فلا مناص للقائل بالتّحريف من القول بالزّيادة أيضًا وهو خلاف إجماع المسلمين.

وخلاصة ما تقدّم، أنّ إسناد جمع القرآن إلى الخُلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب والسُّنّة والإجماع والعقل، فلا يمكن القائل بالتّحريف أن يستدلّ به على دعواه. ولو

سلّمنا أنّ جامع القرآن هو أبو بكر في أيّام خلافته، فلا ينبغي الشّكّ في أنّ كيفيّة الجمع المذكورة في الرّوايات المتقدّمة مكذوبة، و أنّ جمع القرآن كان مستندًا إلى التّواتُر بين المسلمين، غاية الأمر أنّ الجامع قد دوّن في المُصْحَف ما كان محفوظًا في الصُّدور على نحو التّواتُر.

نعم لا شكّ أنّ عُثمان قد جمع القرآن في زمانه، لا بمعنى أنّه جمع الآيات والسُّوَر في مُصْحَف، بل بمعنى أنّه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد، وأحرق المصاحف الأُخرى الّتي تخالف ذلك المُصْحَف، و كتب إلى البُلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، و نهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة، وقد صرّح بهذا كثير من أعلام أهل السّنّة.

قال الحارث المَحاسِبيّ: «المشهور عند النّاس ... [وذكر كماتقدّم عن الزّركشيّ ثمّقال:].

أقول: أمّا أنّ عُثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة، وهي القراءة الّتي كانت متعارفة بين المسلمين، والّتي تلقّوها بالتّواتُر عن النّبيّ ﷺ، وأنّه منع عن القراءات الأُخرى المبتنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، الّتي تقدّم توضيح بطلانها. أمّا هذا العمل من عُثمان فلم ينتقده عليه أحد من المسلمين، و ذلك لأنّ الاختلاف في القراءة كان يؤدّي إلى الاختلاف بين المسلمين، و تمزيق صفوفهم، و تفريق وحدتهم، بل كان يؤدّي إلى تكفير بعضهم بعضًا. وقد مرّ ـ فيما تقدّم ـ بعض الرّوايات الدّالّة على أنّ النّبيّ ﷺ منع عن الاختلاف فيالقرآن، ولكنّ الأمر الّذي انتقد عليه هو إحراقه لبقيّة المصاحف، و أمره أهالي الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عُثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتّى سمّوه بحرّاق المصاحف.

النّتيجة: و ممّا ذكرناه قد تبيّن للقارىء أنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة و خيال، لا يقول به إلّا من ضعف عقله، أو من لم يتأمّل في أطرافه حقّ التّأمّل، أو من ألجأه إليه يحبّ القول به، والحبّ يعمي ويصمّ، و أمّا العاقل المنصف المتدبّر فلا يشكّ في بطلانه وخرافته. (١: ٢٥٧ ـ ٢٧٧)

الفصل الحادي والخمسون

نصّ لبيب السّعيد (مُعاصرٌ) في «المُصْحَف المرتّل»

جمع القرآن

يطلق «الجمع» ـ في كلام أهل القرآن ـ إمّا على حفظه جميعه عن ظهر قلب، و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و قُرْآنَهُ﴾[1]، وإمّا على جمع متفرّقه في صُحُف، ثمّ جمع تلك الصُّحُف في مُصْحَف واحد، مرتّب الآيات والسُّوَر على النّحو الّذي تلقّته الأُمّة من النّبيّ[2]. والجمع بالمعنى الثّاني هوالّذي نقصده هنا.

[جمع القرآن في عهد النّبيّ ﷺ]

والثّابت أنّ القرآن لم يجمع على عهد النّبيّ في مُصْحَف واحد، عن زيد بن ثابت، قال: «قُبض النّبيّ ﷺ ولم يكن القرآن جُمع في شيءٍ»[3].

وربّما كان ذلك لأنّ القرآن ظلّ عشرين سنة أو يزيد ينزّل منجّمًا، ولأنّ النّسْخ كان يرد على بعض الآيات، فلو جُمِعَ القرآن و قتئذٍ، ثمّ رُفِعَت تلاوة بعضه «لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدّين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النّسخ»[4].

وقيل في هذا أيضًا: إنّ الله تعالى كان أمّن النّبيّ من النّسيان بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ

---

١ ـ القيامة /١٧.

٢ ـ فتح الباري ٩:٨ (بتصرّف).

٣ ـ نقله ابن حَجَر عن الجزء الأوّل من فوائد الدِّير عاقُوليّ، انظر: فتح الباري ٩:٩، انظر: الإتقان في علوم القرآن ١:٥٧.

٤ ـ البرهان في علوم القرآن ١: ٢٣٥.

تَنْسىٰ* اِلَّا مَا شَـاءَ اللهُ﴾[1]، أي ما شاء الله أن يُرفع حكمه بالنّسخ، فلمّا تُوفّي النّبيّ أصبح النّسيان ممكن الوقوع من النّاس، و من هنا أصبحت الحـاجة مـاسّة إلى جـمع القـرآن و حفظه و تدوينه.[2]

والنّبيّ ـ في حياته ـ كان بين ظهرانيّ المسلمين، يقرأون القرآن بين يديه، ويملكون الاسترشاد به هو نفسه في شأن هذا الكتاب و في كلّ شأن، ولذلك كان الخطأ في القرآن ـ على عهده ـ مأمونًا تمامًا.

وفي ذلك العهد كان الإسلام النّاشئ لايزال محدود الرّقعة، فلم تكن الحاجة إلى جمع القرآن في نفس شدّتها على عهد أبي بكر ثمّ على عهد عُثمان.

على أنّ الثّابت أنّ النّبيّ كان يستحفظ أصحابه ما ينزل عليه من القرآن عَقِب نزوله، وكان له كُتّاب، يكتبون بين يديه و بأمره وإقراره ـ ما ينزل عليه، وكانوا ـ على ما اعتاد العرب ـ يكتبونه في اللِّخاف و العُسُب والأكتاف والرِّقاع والأقتاب و قِطَع الأديم... [ثمّ ذكر رواية البخاريّ عن البَراء الرّقم ٦، و رواية الحاكم عن زيد بن ثابت و قول البَيْهقيّ في ذلك، كما تقدّم عنهم، فقال:]

وقد كان كلّ ما يكتب من القرآن ـ على عهد النّبيّ ـ يحفظ في بيته: والشّيعة يروون في هذا «أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّ القرآن خلف فراشي فـي الصُّـحُف والحَرير والقراطيس فخذوه، أجمعوه ولا تضيّعوه... إلخ».

ولئن قيل: إنّ الثّابت المتواتر هو ما ألمَعْنا إليه قبلاً، وهو أنّ النّبيّ لحق بالرّفيق الأعلى والقرآن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السُّوَر[3]، لقد علمنا أنّ هذا كان من حيث الكتابة فقط لامن حيث الحفظ في الصُّدور.

---

١ ـ الأعلى /٦ـ ٧.
٢ ـ البرهان ١:٢٣٨.
٣ ـ الإتقان ١:٥٧.

جمع القرآن في عهد أبي بكر

وتوفّي النّبيّ، فقام بالأمر بعده أبو بكر، وارتدّ بعض العرب عن الإسلام، وظهر مُسَيْلِمة وأصحابه يدّعون النُّبوّة، فتصدّى أبو بكر لقتال هؤلاء جميعًا، وقُتِلَ من الصَّحابة وقتئذ ممّن حَفِظَ القرآن جمعٌ كبير، فأثار ذلك الخوف على القرآن، فكان أوّل جمع كتابيّ له... **[ثمّ ذكر رواية زيد بن ثابت في قصّة أهل اليَمامة، كما تقدّم عن البخاريّ الرّقم ١ و٢]**.

ومع أنّ الصَّحابة كانوا قد شاهدوا تلاوة القرآن من النّبيّ عشرين سنة، ومع أنّ القرآن كان ـ كما قلنا ـ مكتوبًا فعلاً على عهد النّبيّ إلّا أنّه كان مفرّقًا، ومع أنّ تزوير ما ليس منه كان مأمونًا، ومع أنّ هذا الجمع جمع أبي بكر كان ـ كما قال الحارث المحَاسِبيّ... **[وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ فقال:]**

ومع أنّ زيد بن ثابت ـ الّذي كان في حكم رئيس لجنة الجمع ـ كان هو وغيره من الصَّحابة يحفظون القرآن، ومع أنّهم كانوا حُرَّاسًا أُمناء على القرآن، فقد اتّبع في هذا الجمع منهجٌ دقيق حَريص متحرِّج، أعان على وقاية القرآن من كلّ ما لحق النُّصُوص الأُخرى من مظنّة الوضع والانتحال وعوامل النِّسيان والضَّياع: **[إلى أن قال:]**

والتزمت اللَّجنة بهذه القواعد، حتّى قيل: إنّ عمر نفسه أتى بما سمّوه بآية الرَّجم، فلم يكتبها زيد، لأنّ عمر كان وحده[1].

وكذلك من دلائل الالتزام بتلك القواعد ما أخرجه ابن الأنباريّ في (المصاحف)، ونقله السُّيوطيّ في تفسيره للآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطىٰ﴾[2] من أنّ حَفْصَة أُمّ المؤمنين وابنة عمر بن الخطّاب ـ كما أسلفنا ـ قالت: إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبروني، فلمّا بلغوا إليها، قالت: اكتبوا: «والصّلاة الوُسطى وهي صلاة العصر»، فقال لها عمر أبوها: ألك بيّنة بهذا؟ قالت: لا، قال: فوالله لا نُدخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا

---

١ ـ الإتقان ١: ٥٧.

٢ ـ البقرة /٢٣٨.

إقامة بيّنة[١].

وحَظِيَ عمل أبي بكر هذا برضى المسلمين؛ أخرج ابن أبي داود في (المصاحف) بسند حسن عن عَبْد خَيْر، قال... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١ و ٢ فقال:]

وقد قيل: إنّ آخرين من الصّحابة سبقوا أبابكر إلى جمع القرآن، ونحن مناقشو هذه الرّوايات:

١ ـ روى الشّيعة: أنّ عليًّا لمّا أراه النّبيّ القرآن خلف فراشه في الصُّحُف... [وذكر كما تقدّم عن المَجْلِسيّ، إلى أن قال:]

والوضع ظاهر في هذه القصّة الحاشدة بالأقوال الخطيرة، وذات اللّون الشّيعيّ الفاقع، والّتي سنناقشها في فصل تالٍ فنجدها تحمل أسباب رفضها.

وثمّة رواية أُخرى بأنّ عليًّا جَمَع القرآن عقب وفاة النّبيّ مباشرةً، وإنّ ذلك شغله عن بيعة أبي بكر[٢]، ولكنّ التّحقيق يثبت أنّ بعض طرق هذه الرّواية ـ وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن سيرين ـ ضعيف، وبعض طرقها ـ وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حَيّان التّوحيديّ ـ موضوع. أمّا الّذي صحّ ـ كرواية أبي الضُّرَيس في فضائل عليّ فمحمول على الجمع في الصَّدر، أي الحفظ عن ظهر قلب.[٣]

هذا وقد قيل: إنّ جمع عليّ كان أشبه بكتاب علم، وكانت فيه أشياء كالنّاسخ والمنسوخ، وإذن فصورته غير صورة الجمع البَكْريّ، وغرضه غير غرضه.[٤]

على أنّ وجود هذا الكتاب مشكوك فيه أصلاً، فابن سيرين يقول: «تطلّبتُ ذلك الكتاب، وكتبتُ فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه»... [ثمّ ذكر رواية السِّجستانيّ عن عليّ عليه السلام الرّقم ٩ كما تقدّم عنه، فقال:]

٢ ـ ورواية أُخرى أخرجها ابن أبي داود من طريق الحسن، ونصّها: «إنّ عمر سأل

---

١ ـ الدّرّ المنثور ١:٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٢ ـ المصاحف ١:١٠؛ الإتقان ١:٥٧ ـ ٥٨.

٣ ـ انظر: روح المعاني ١:٢١.

٤ ـ انظر: نفس المرجع.

عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قُتِل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله! و أمر بـجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في الصُّحُف».

ولكنّ إسناد هذه الرّواية منقطع[1]، والظّنّ أنّها لا تقصد أن تعدُو رواية البُخاريّ الّتي أسلفناها، والّتي تُقرّر أنّ عمر هو فعلاً صاحب فكرة الجمع الأوّل، و أنّه أشار بها على أبي بكر، ولم يزل يراجعه حتّى شرح الله لها صدره[2].

٣ـ وروي عن أبي بُريدة أنّه قال: «أوّل من جمع القرآن في مُصْحَف سالمٌ مولى أبي حُذَيْفة؛ أقسم لا يرتدي برداء حتّى يجمعه، فجمعه[3]».

والشّكّ يحيط بهذه الرّواية أيضًا إحاطة تسقطها؛ ففي رأي السُّيوطيّ ـ كـما يـذكر الآلوسيّ ـ أنّ قول أبي بُرَيْدة مع غرابته وانقطاعه محمول على أنّ سالمًا هو أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

ولكنّ الآلوسيّ يصف قول السُّيوطيّ بأنّه عثرة لا يقال لها: لعًا، لأنّ سالمًا قتل في وقعة اليَمامة الّتي كان موت الحُفّاظ فيها هو سبب الجمع[4].

وقد أورد أبو عُبَيد القاسم بن سَلّام في أوّل كتابه في القراءات أسماء مَن نُقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصّحابة، فذكر منهم ابن عبّاس، و ذكر ذلك ابن الجَزَريّ في «النّشر»[5] فقال آرثُر جِفري[6] في غير تثبّت: إنّ اسم ابن عبّاس ورد في قوائم الّذين جمعوا القرآن في حياة النّبيّ. و لكنّ هذه الرّواية ـ بهذا الفهم الخاطئ ـ تتعرّض للشّكّ إذا عرفنا أنّ ابن عبّاس وُلِدَ ـ على الأثبت ـ قبل الهجرة بثلاث، و كان له ثلاث عشرة سنة عند وفاة

---

١ ـ السُّيوطيّ، الإتقان ١:٥٨.

٢ ـ انظر: ابن حَجَر العَسْقلانيّ، فتح الباري ٩:١٠.

٣ ـ السُّيوطيّ، الإتقان ١: ٥٨.

٤ ـ روح المعاني ١:٢٢.

٥ ـ كان أبو عُبَيْد مفتيًا في القرآن والفقه والأخبار والعربيّة، حسن الرّواية، صحيح النّقل، وكان أوّل أمره حمّالاً. وعرف من كتبه نيّف وعشرون كتابًا، وهو أوّل من استقصى وجوه القراءات في كتاب، و قد روى القراءة عن الأعمش، مات بمكّة سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ عن ٦٧ سنة، وقيل سنة ٢٣٠؛ (انظر: السُّيُوطيّ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة ٢:٢٥٣ و ٢٥٤؛ وابن النّديم، الفهرست: ٧١؛ وابن الجَزَريّ، طبقات القُرّاء ١ الرّقم ٢٥٢٢).

٦ ـ انظر: Materials for the History of the Text of the Quran. p.183.

الرّسول[١]، وهذه سنّ لا يقوى صاحبها ـ غالبًا ـ على مثل هذه المهمّة الدّقيقة. وقد عبّر جِفري نفسه عن مثل هذا الشّكّ، و لكن بعد أن قال ما قاله.

جمع القرآن في عهد عُثمان

تلقّى الصّحابة القرآن، عن النّبيّ، ثمّ انتشروا بعيدًا عن منزل الوحي، يلقّنون النّاس القرآن على النّحو الّذي تلقّوه من النّبيّ، فوقعت بينهم اختلافات يسيرة:

أ ـ إمّا بألفاظ مختلفة في السّمع لا في المعنى، كقراءة «جذوة» مثلّثة الجيم[٢].

ب ـ وإمّا في السّمع والمعنى، كقراءة: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ و ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾.[٣]

ج ـ و إمّا مخالفة للخطّ وغير مخالفة:

١ ـ بزيادة و نقص، نحو: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾[٤]. بنقص لفظ «وَمَا خَلَقَ».[٥]

٢ ـ واختلافات حركات و أبنية، نحو: ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾[٦] مبنيّة للفاعل في إحدى الكلمتين، و «يُقْتَلونَ» مبنيّة للمفعول في الكلمة الأُخرى.

٣ ـ واختلاف حروف في موضع أحرف أُخر، مثل: ﴿طَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ و «طَلْعٍ مَنْضُودٍ»...[٧] **[ثمّ ذكر قول مكّيّ القَيْسيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]**

على أنّه من الواضح؛ إنّ الاختلاف في القرآن يُفضي إلى مخالفته، و يُسهِّل تحريفَه وتبديلَه، فوق ما يؤدّي إليه من المناقضة والملاحاة بين المسلمين.

---

١ ـ ابن حَجَر العَسْقَلانيّ؛ الإصابة في تمييز الصّحابة ٤: ٩٠.

٢ ـ ويقرأ عاصم بفتح الجيم، و يفتحها حمزة وخلف، و يكسرها الباقون. (انظر: النّشر في القراءات العشر ٢: ٣٤١).

٣ ـ يونس /٢٢. والثّانية قراءة ابن عامر و أبي جعفر (انظر: ابن الجَزَريّ، نفس المرجع ٢: ٢٨).

٤ ـ اللّيل /٣.

٥ ـ روي أنّ ابن مسعود و أبا الدّرداء كانا يسقطان «وَمَا خَلَقَ» (انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠: ٨١).

٦ ـ أهل الكوفة ـ غير عاصم ـ يقرأون: «فيقتلون» بضمّ الياء، و يقتلون بفتح الياء. والباقون يقرأون الأُولى بفتح الياء، والثّانية بضمّها (انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠: ١٤٥ ـ ١٤٦، وانظر: التّفسير الكبير ١٦: ٢٠٠).

٧ ـ رُوي أنّ عليّ بن أبي طالب قرأ: «وطلع» بالعين، ثمّ عاد فرجع إلى ما في المُصْحَف، وعلم أنّه هو الصّواب. (الجامع لأحكام القرآن ١٧: ٢٠٨).

و في سنة ٢٥ من الهجرة؛ السّنة الثّالثة أو الثّانية من خلافة عُثمان، بعد أن قُبِض الرّسول بخمس عشرة سنة، فُتحت أرمينيّة، وكان عُثمان أمَر أهل الشّام و أهل العراق أن يجتمعوا على ذلك[١]، كان حُذَيْفة بن اليَمان من جملة من غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن، و هي من جملة أعمال العراق... **[ثمّ ذكر اختلاف أهل الشّام والعراق و البَصْرة في القرآن نقلاً عن ابن حَجَر وابن الأثير، كما تقدّم عنهما، فقال:]**

وغضب حُذَيْفة لمّا سمع، و «احمرّت عيناه» كما تقول الرّواية[٢]. و قيل في سبب غضبه: إنّ اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة؛ قرأ هذا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٣]، و قرأ هذا: (وأتمّوا الحجّ والعمرة للبيت).[٤]

فقام حُذَيفة، فحمدالله و أثنى عليه، ثمّ قال: هكذا كان مَنْ قَبْلَكم، اختلفوا! والله لأركبنّ إلى أميرالمؤمنين. وجاء مفزعًا إلى المدينة، ولم يدخل بيته حتّى أتى عُثمان، فقال له: يا أميرالمؤمنين! أدرك هذه الأُمّة... **[راجع نصّ ابن الأثير و ابن حَجَر، ثمّ ذكر رواية ابن عَليّة عن أبي قلابة واستشار عُثمان الصّحابة لجمع القرآن، كما تقدّم عن الطّبَريّ الرّقم ٣ و ابن حَجَر، فقال:]**

هنالك أرسل عُثمان إلى حَفْصَة بنت عمر: أن أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها في المصاحف، يريد ما كان أبو بكر قد أمر زيد بن ثابت بجمعه.[٥]

و تقول بعض الرّوايات: إنّ حَفْصَة أبَتْ، حتّى عاهدها عُثمان ليردّنّ المُصْحَف إليها، فنسخ منها ثمّ ردّها.

واللّافت أنّ المحافظة على هذه الصُّحُف كانت بالغَةً، فقد كانت عند أبي بكر لم

---

١ ـ فتح الباري ٩:١٤.
٢ ـ نفس المرجع ٩:١٣.
٣ ـ البقرة /١٩٦، وهكذا هي في المُصْحَف العُثمانيّ.
٤ ـ قيل: إنّما كانت هكذا في قراءة: عبدالله بن مسعود وابن عبّاس و عَلْقَمة. (انظر: الطّبَريّ، جامع البيان في تفسير القرآن ٢:١٢٠).
٥ ـ فتح الباري ٩:١٠.

تفارقه في حياته، ثمّ عند عمر أيّامه، ثمّ كانت عند حَفْصَة لا تُمكّن منها كما أوضحنا.[١]

وأمر عُثمان زيد بن ثابت و عبد الله بن الزُّبَير و سعيد بن العاص[٢]. و عبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام[٣]، فنسخوا هذه الصُّحُف في المصاحف... [ثمّ ذكر رواية مُصْعَب بن سَعْد وقول عُثمان للرّهط القُرشيّين كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٤٠ و ٤١، فقال:]

كان اختيار زيد و سعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مُصْعَب، ثمّ احتاجوا إلى...

[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر فقال:]

وعن محمّد بن سيرين: إنّ عُثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت في جمع القرآن[٤].

بيد أنّ الذّهبيّ يقول: «وما أحسب أنّ عُثمان ندب للمُصْحَف أُبيًّا، ولو كان كذلك لاشتهر، ولكان الذِّكر لأُبيّ لا لزيد»[٥].

وتفيد بعض الرّوايات أنّ هذه اللَّجْنة ضمّت أيضًا عبد الله بن عمر بن الخطّاب و عبد الله بن عمرو بن العاص و أبان بن سعيد.[٦]

وفي شأن «أبان» تذكر بعض الرّوايات أنّ عُثمان قال لزيد: «إنّي جاعل معك رجلاً لبيبًا فصيحًا، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه ما عندي، فامحُوا ما عندكم[٧].

يقول ابن قيّم الجوزيّة في هذا التّحريق: «إنّه كان رأيًا اعتمدوا فيه على مصلحة الأُمّة»[٨]...

قال زيد بن ثابت: فرأيت أصحاب محمّد يقولون: أحسن والله عُثمان! أحسن والله

---

١ ـ البرهان ١:٢٣٩.

٢ ـ في البرهان للزّركشيّ (١:٢٣٦) سعد بن أبي وَقّاص، ولعلّه خطأ في النّسخ.

٣ ـ أنظر: النّشر في القراءات العشر ١:٧.

٤ ـ الطّبقات الكُبرى ـ في ترجمة أُبيّ بن كعب ٣:٦٣ (ط: ليدن ١٣٢١هـ)

٥ ـ سير أعلام النّبلاء: ٢٨٧.

٦ ـ انظر: الحدّاد خلف الحسينيّ، الكواكب الدّرّيّة: ٢١.

٧ ـ فتح الباري ٩: ١٧.

٨ ـ الطّرق الحكميّة: ١٤.

عُثمان![1]

ويقول الذَّهَبيّ في عُثمان بن عَفّان: «مَن نَظَر في تحرّيه ـ وقت أمره بجمع القرآن ـ عَلِم مرتبته و جلالته[2]».

وروى ابن أبي داود بإسناد صحيح عن مُصعَب بن سَعْد بن أبي وَقّاص قال: «أدركت النّاس متوافرين حين حرق عُثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، ولم ينكر عليه أحد»[3]...
[ثمّ ذكر قول الزَّركشيّ حول حديث عُثمان وردّه على من اعترض عليه كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وفي رواية: «لو لم يصنعه هو لصنعته»[4].

وقد نقل عن ابن مسعود أنّه قال لمّا أُحرق مُصْحَفه: «لو مَلَكْتُ كما مَلَكُوا لصنعتُ بمُصْحَفهم كما صنعوا». والآلوسيّ يرى هذا كذبًا، شأنه شأن ما زعمه الشّيعة من سوء معاملة عُثمان معه حين أخذ الصُّحُف منه...[5] [إلى أن قال:]

على أنّ ابن حَزْم يردّ على من يقولون بأنّ عُثمان ـ إذ كتب المُصْحَف الّذي أجمع النّاس عليه ـ أسقط ستّة أحرف من الأحرف المنزلة، واقتصر على حرف منها، بأنّ قولهم باطل «ببرهان كالشّمس، وهو أنّ عُثمان ﷺ لم يك إلّا و جزيرة العرب كلّها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد، والقُرّاء يعلّمون الصِّبيان والنّساء وكلّ من دَبَّ وهَبَّ، واليمن كلّها، وهي في أيّامه مدن وقرى، والبَحْرين كذلك، وعُمان كذلك، وهي بلاد واسعة؛ مُدُنٌ وقُرىٰ، وملكها عظيم، و مكّة والطّائف والمدينة، والشّام كلّها كذلك، والجزيرة كذلك، ومِصر كلّها كذلك، والكوفة والبَصْرة كذلك، في كلّ هذه البلاد من المصاحف والقُرّاء ما لا يُحصي عددهم إلّا الله تعالى وحده، فلو رام عُثمان ماذكروا ماقدر على ذلك أصلاً».

و يردّ ابن حَزْم أيضًا على من يقولون: إنّ عُثمان جمع النّاس على مُصْحَف، فيقول:

---

١ ـ انظر: نظام الدّين النّيسابوريّ: غرائب القرآن و رغائب الفُرقان ١:٢٧.
٢ ـ المصاحف: ١٢.
٣ ـ تذكرة الحُفّاظ ١:٩.
٤ ـ ابن أبي داود: المصاحف: ١٢.
٥ ـ روح المعاني ١:٢٢.

«وأمّا قولهم كذا فباطل، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرناه، ولا ذهب عُثمان قطّ إلى جمع النّاس على مُصْحَف كَتَبَه، وإنّما خَشي ﷺ أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدّين، أو أن يَهِم واهم، فيكون اختلاف يؤدّي إلى الضّلال، فكتب مصاحف مُجْتَمعًا عليها، و بعث إلى كُلّ أُفق مُصْحَفًا، لكي ـ إن وهم واهمٌ أو بَدّلَ مبدِّلٌ ـ رُجع إلى المُصْحَف المجتَمَع عليه، فانكشف الحقّ، وبَطَل الكيد والوهم فقط». [1]

ويقول ابن قيّم الجوزيّة، وهو يعرض سياسة الإسلام في بعض النّواحي:

«و من ذلك جمع عُثمان ﷺ النّاس على حرف واحد من الأحرف السّبعة الّتي أطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها، لمّا كان ذلك مصلحة.

فلمّا خلف الصّحابة (رضي الله عنهم) على الأُمّة أن يختلفوا في القرآن، و رأوا أنّ جمعهم على حرف واحد أسلم و أبعد من وقوع الاختلاف، فَعَلوا ذلك، و منعوا النّاس من القراءة بغيره. وهذا كما لو كان للنّاس عدّة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطّرق يوقعهم في التّفرُّق والتّشتُّت، و يُطْمع فيهم العدوّ، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، وترْك بقيّة الطّرق، جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لها، لكون تلك الطّرق موصّلةً أيضًا إلى المقصود، و إن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأُمّة [2].

ويصف «طه حسين» عمل عُثمان هذا بأنّ فيه كثيرًا من الجراءة، ولكن فيه من النّصح للمسلمين أكثر ممّا فيه من الجراءة [3]، ثمّ يقول: «فلو قد ترك عُثمان النّاس يقرأون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها لكان هذا مصدر فُرقة لاشكّ فيها، ولكان من المحقَّق أنّ هذه الفُرقة حَوْل الألفاظ ستؤدّي إلى فُرقةٍ شرٍّ منها حول المعاني، بعد أن كان الفتح، و بعد أن استعرب الأعاجم، و بعد أن أخذ الأعراب يقرأون القرآن». [4]

---

١ ـ روح المعاني ١: ٢٢.

٢ ـ الطّرق الحُكميّة: ٢٠.

٣ ـ الفتنة الكُبرى ـ عُثمان: ١٨٢.

٤ ـ نفس المرجع: ١٨٣.

[منهج الجمع العُثمانيّ]

ويمكن أن يتّسق لنا ـ فيما يلي ـ منهج الجمع العُثمانيّ:

١ ـ الاعتماد على عمل اللّجنة الأُولى الّتي تولّت الجمع على عهد أبي بكر، أي على رَبْعة حَفْصَة الّتي أشرنا إليها[١]، والّتي هي ـ كما يستفاد من منهج جمعها آنفًا ـ مستندة إلى الأصل المكتوب بين يدى النّبيّ بأمره، وبذلك ينسدّ باب القالة[٢]، فلا يزعم زاعم أنّ في الرَّبْعة شيئًا لم يكتب في المُصْحَف العُثمانيّ، أو أنّه كُتِب في هذا ما لم يكن في تلك.[٣]

٢ ـ أن يتعاهد اللّجنة خليفة المسلمين نفسه.[٤]

٣ ـ أن يأتي كلّ مَن عنده شيء من القرآن سمعه من الرّسول بما عنده[٥]، وأن يشترك الجميع في علم ما جُمَع، فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء، ولا يرتاب أحد فيما يودَع المُصْحَف، ولا يُشَكُّ في أنّه جُمِع عن ملأٍ منهم.[٦]

٤ ـ إذا اختلفوا في أيّة آية، قالوا: هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلانًا، فيُرسَل إليه، وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا... فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكانًا[٧].

٥ ـ يقتصر ـ عند الاختلاف ـ على لُغة قُريش[٨].

---

١ ـ فتح الباري ٩:١٥.

٢ ـ انظر: الحدّاد خلف الحسينيّ، الكواكب الدُّرّيّة: ٢١.

٣ ـ انظر: عليّ سلطان القاري، شرح العقيلة ـ المخطوطة الرّقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، الورقة ١٤.

٤ ـ الإتقان ١:٥٩.

٥ ـ المصاحف ١:٣٤.

٦ ـ البُرهان ١:٢٣٩.

٧ ـ أبو عمرو الدّاني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ـ المخطوطة رقم: ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة: ٨ و ٩؛ والنّسخة المطبوعة: ٧؛ والإتقان ١:٥٩.

٨ ـ احتجّ عُثمان في هذا بأنّ القرآن نزل بلُغة قُريش، وإن كان قد وُسّع في قراءته بلغة غيرهم، رفعًا للحرج والمشقّة في ابتداء الأمر، فرأى أنّ الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لُغة واحدة (السُّيوطيّ الإتقان ١:٦٠).

وقد اختلفوا في كتابة كلمة «التّابوت» فقال زيد: «التّابوه» بالهاء، وقال القُرشيّون: «التّابوت» بالتّاء المفتوحة، لأنّه كذلك

←

٦ ـ والمقصود من الجمع على لُغة واحدة: الجمع على القراءة المتواترة المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النّبيّ، وإن اختلفت وجوهها، حتّى لا تكون فُرقة واختلاف، فإنّ ما يعلم الجميع أنّه قراءة ثابتة عن رسول الله ﷺ لا يختلفون فيها، ولا يُنكر أحدٌ منهم ما يقرأه الآخر.[1]

٧ ـ وعند كتابة لفظٍ تواتر ـ عن النّبيّ ـ النّطق به، على أكثر من وجه، تُبقي اللّجْنة هذا اللّفظ خاليًا من أيّة علامة تَقْصِر النُّطق به على وجه واحد، «لتكون بدلالة اللّفظ الواحد على كلا اللّفظين المنقولَيْن المسموعَين المتلوَّين شبيهة بدلالة اللّفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولَين المفهومَيْن».[2]؛

٨ ـ وخشية دخول الفساد والشُّبهة على من يأتي بعد يمنع عن كتابة ما يأتي، فضلاً عن قراءته و سماعه... [إلى أن قال:]

و ربّما كان القصد من كلّ هذه الجماعة المساعدة المشتهر أعضاؤها بالضّبط والمعرفة أن ينضمّ العدد إلى العدالة، وإلّا فقد كان زيد قادرًا بذاته على هذه المهمّة ... [ثمّ ذكر قول الباقِلّانيّ كماتقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وقد أثار تشكيل لَجنة الجمع على ذلك النّحو عبد الله بن مسعود الّذي شقّ عليه صرفه عن كتابة المُصْحَف، حتّى قال: يا معشر المسلمين... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٣٢].

و ابن مسعود حقيق أن يكون حاضر لَجنةٍ تجمع القرآن:

١ ـ فهو أوّل من جَهَر به بعد رسول الله بمكّة، أيّام شدّة المسلمين وضعفهم، روى ابن إسحاق: «اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما سَمِعَت قُريش هذا القرآن يُجهر لها به قطّ، فَمَنْ رَجَلٌ يُسْمَعْهُمُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا... [ثمّ ذكر القصّة نقلاً

← في لُغة قُريش (ابن حَجَر العَسْقلانيّ، فتح الباري ٩: ١٦)، فرفعوا ذلك إلى عُثمان، فقال: اكتبوه: «التّابوت»، فإنّما أُنزل القرآن على لسان قُريش (انظر: أبو عمرو الدّانيّ، المقنع: ٤ط. دمشق).

١ ـ انظر: محمّد بخيت المطيعيّ، الكلمات الحسان: ٢٨.

٢ ـ ابن الجَزَريّ، النّشر ١: ٣٣.

عن سيرة ابن هِشام ١:٣٣٦، و إن شئت فراجع].

٢ ـ وقد أعطى ابن مسعود حظًّا عظيمًا في تجويد القرآن و تحقيقه و ترتيله، حتّى لقد كان النّبيّ نفسه يقول: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل فليقرأه قراءة ابن أُمّ عبد» يعني عبد الله بن مسعود [1].

وقد أحبّ النّبيّ أن يسمع القرآن منه، ولمّا قرأ أبكى رسول الله ﷺ [2].

٣ ـ بل إنّ النّبيّ أمر بتعلّم القرآن من أربعة، أوّلهم عبد الله بن مسعود. روى البُخاريّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: استقرئُوا القرآن من أربعة: عبد الله ابن مسعود (فبدأ به)، و سالم مولى أبي حُذَيْفة، و أُبيّ بن كَعْب، و مُعاذ بن جَبَل [3].

٤ ـ و كان ابن مسعود يقول: «لقد أخذت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة، و إنّ زيد ابن ثابت لصبيّ من الصّبيان»... [4] [ثمّ ذكر رواية عبد الله عن مَسْروق كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١٠].

٥ ـ و ثَمّة رواية تقرّر أنّ ابن مسعود شهد ـ عقب العَرْضَة الأخيرة ـ ما نُسخ من القرآن و ما بُدّل [5].

٦ ـ وكان ابن مسعود ـ فيما يذكر الرّواة ـ «ممّن يتحرّى في الأداء، و يشدّد في الرّواية، ويزجر تلامذته عن التّهاوُن في ضبط الألفاظ» [6].

---

١ ـ انظر: مسند أحمد بن حنبل، باب فضل القراءة على قراءة عبد الله بن مسعود؛ وانظر: أحمد عبد الرّحمان البنّا، الفتح الرّبّانيّ لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشّيبانيّ ٢١:١٨.

٢ ـ أخرجه البُخاريّ في: ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن و ٣٥ باب البكاء عند قراءة القرآن؛ وانظر: الفتح الرّبّانيّ ٢١:١٨.

٣ ـ أخرجه البُخاريّ في: ٦٢ ـ كتاب فضائل أصحاب النّبيّ ﷺ و ٢٦ باب مناقب سالم مولى أبي حُذَيْفة، وسالم قتل يوم اليَمامة شهيدًا. (انظر: النّوويّ، تهذيب الأسماء واللّغات ٢٠٦:١ الرّقم ١٩٥).
أمّا أُبيّ بن كعب فقد روى البُخاريّ أنّ النّبيّ ﷺ قال له: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: وسَمّاني؟ قال: نعم، فبكى. (أخرجه البُخاريّ في ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار: ١٦ ـ باب مناقب أُبيّ بن كعب. وأمّا مُعاذ ابن جَبَل، فأحد الّذين كانوا يفتون على عهد الرّسول، وظفر منه بالثّناء الكثير (انظر: الفتح الرّبّاني ٩٩:١ الرّقم ١٤٣).

٤ ـ انظر: فتح الباري ١٦:٩.

٥ ـ ابن الجَزَريّ، النّشر ٢٢:١.

٦ ـ انظر: الذّهبيّ، تذكرة الحُفّاظ ١ـ١٣؛ وانظر ترجمة ابن مسعود في النّوويّ، تهذيب الأسماء واللّغات ٢٨٨:١ ـ ٢٨٩؛ ←

ولكن لعلّ لعُثمان عذرًا في هذا الشّأن:

أ ـ فقد جُمع القرآن بالمدينة، وعبد الله بن مسعود وقتئذ بالكوفة، ولم يؤخّر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر[١].

ب ـ وأيضًا فإنّ عُثمان إنّما أراد نسخ الصُّحُف الّتي كانت جُمعت في عهد أبي بكر، و أن يجعلها مُصْحَفًا واحدًا، وكان الّذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت، لكونه كان كاتب الوحي، فكانت له في ذلك أوّليّة ليست لغيره[٢]. وكما قيل: فهلّا عِبت على أبي بكر؟[٣]

ج ـ وزيد شهد ـ بيقين ـ العَرْضَة الأخيرة الّتي بيّن فيها ما نسخ و ما بقي، وكتبها لرسول الله، و قرأها عليه، وكان يقرئ النّاس بها حتّى مات.[٤]

د ـ وكان زيد معروفًا بكمال الدّين، وحسن السّيرة، والعدالة والعلم، وَصَفَه النّبيّ ـ فيما روى أحمد، والنّسائيّ من حديث أبي قِلابة عن أنس ـ بأنّه أعلم أصحابه بالفرائض[٥].

وكان زيد بن ثابت ـ مثل ابن مسعود ـ من السّتّة الصّحابة أصحاب الفتوى، وهم: عمر، و عليّ، وابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، و أبو موسى، و زيد بن ثابت[٦].

ويقول سعد بن أبي وَقّاص في شيء من القضاء: ما عرفناه حتّى عَلّمَنَاه زيد بن ثابت.[٧]

هـ ـ وكان زيد يكتب للنّبيّ إلى الملوك، مع ما كان يكتبه من الوحي[٨]، وقد اختصّه

← وابن الأثير، أُسد الغابة ٢٥٦:٣ ـ ٢٦٠؛ وابن حَجَر العسقلانيّ، الإصابة ٨٩٠:٢ ـ ٨٩٣؛ وابن الجَزَريّ، غاية النّهاية ١٩١٤.

١ ـ انظر: ابن حَجَر العَسْقَلانيّ، فتح الباري ١٦:٩.

٢ ـ نفس المرجع.

٣ ـ انظر: الذّهبيّ، سير أعلام النّبلاء: ٣٤٩.

٤ ـ انظر: السُّيوطيّ، الإتقان ٥٠:١؛ والزّركشيّ، البُرهان ٢٣٧:١.

٥ ـ انظر: أبو الفداء الدّمشقيّ، البداية والنّهاية في التّاريخ ٣٤٦:٥.

٦ ـ انظر: ابن حَجَر العسقلانيّ، الإصابة ٢٣:٣. وانظر: وكيع محمّد بن خلف بن حَيّان، أخبار القضاة ١٠٥:١.

٧ ـ وكيع محمّد بن خلف بن حَيان، المرجع السّابق ١٠٧:١.

٨ ـ الثّعالبيّ، لطائف المعارف: ٤٠.

النّبيٍّ بمهمٍّ خطير هو أن يتعلّم لغة اليهود، ليكتب ـ للنّبيّ ـ إليهم، و ليقرأ له ما يكـتبون[١]، و هذا دليل ثقة النّبيّ بفهم زيد وأمانته.

و ـ وأعطاه النّبيّ ـ يوم تبوك ـ راية بني النّجّار، وقال: القرآن مُقدَّم، و زيدٌ أكثر أخذًا للقرآن.[٢]

ز ـ وكان عمر يستخلفه إذا حجّ، وكان معه حين قدم الشّام[٣].

ح ـ وزيد هو الّذي تولّى قَسْم غنائم اليَرْموك، واشترك في واقعه اليَمامة، و رُمِي فيها بسهم لم يضرَّه[٤].

ط ـ ولزيد عند الصَّحابة منزلته الكريمة كعالم؛ روى الشَّعْبيّ: وضع زيد بن ثـابت رِجْله في الرّكاب ليركب، فأمسكه له ابن عبّاس، فقال له: تنحّ يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، فقال: إنّا هكذا نصنع بالعلماء، أو قال: بأهل بيت نبيّنا[٥].

وكان ابن عبّاس يقول عن زيد: إنّه من الرّاسخين في العلم[٦]. ولعلّ ممّا يزيد من قيمة هذا التّكريم إنّ ابن عبّاس ـ فوق كونه ابن عمّ النّبيّ ـ كان له من الشّأن في الإسلام ما جعله يُلقَّب بربّانيّ الأُمّة، و قد دعا له النّبيّ أن يفقّهه الله في الدّين، و يعلّمه التّأويل[٧]. وقد كان ابن عبّاس هذا وأبو عبد الرّحمان السُّلَميّ ممّن قرأوا على زيد[٨].

ي ـ ويفيد قول أبي بكر وهو يخاطب زيدًا يوم طلب إليه الجمع الأوّل: «إنّك رجل شابٌّ... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

وهذه الصّفات الّتي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرّقة.

---

١ ـ انظر: البُخاريّ، الصّحيح ـ باب ترجمة الحُكّام ٦:٩٤؛ وانظر: الحاكم النّيسابوريّ، المستدرك ١:٢٧٥؛ والبلاذُريّ، فتوح البُلدان ـ ١١١٥ القسم الثّالث: ٥٨٣.

٢ ـ النَّوَويّ، تهذيب الأسماء واللّغات ١:٢٠١؛ وانظر: وكيع محمّد بن خلف بن حيّان، أخبار القضاة ١:١٠٨.

٣ ـ المرجعان السّابقان.

٤ ـ المرجعان السّابقان.

٥ ـ انظر: أبو حيّان التّوحيديّ، البصائر والذّخائر، ١: ١١٢.

٦ ـ انظر: الحدّاد خلف الحسينيّ، الكواكب الدّرّيّة: ١٨.

٧ ـ نفس المرجع: ٢٩.

٨ ـ انظر: الذّهبيّ، تذكرة الحُفّاظ ١:٣٧ ـ ٣٨.

ك ـ ولئن كان النّبيّ أثنى على ابن مسعود قارئ القرآن كما أثنى على غيره، إنّ ذلك لا يمنع أن يكون زيدٌ أحفظ و أوثق.

و ثمّة روايتان جديرتان ـ لو صحّتا ـ أن تردّا ابن مسعود عن مهمّة الجمع ... [ثمّ ذكر قول القُرطُبيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

وأرسل عُثمان إلى كلّ جُند من أجناد المسلمين بـمُصْحَف، والمشهور أنّ هذه المصاحف خمسة، و قيل: أربعة... [ثمّ ذكر قول أبي عمروالدّانيّ في «المُقنع» كما تقدّم عن الزّركشيّ فقال:] وأمر عُثمان بما سوى مُصْحَفه من القرآن في كلّ صحيفة أو مُصْحَف أن يُحرَق، وبعث إلى الأمصار أنّي قد صنعت كذا وكذا، و محوت...

١٠ ـ في شأن ترتيب آيات كلّ سورة يُلتزم ما كان النّبيّ قد اتّبعه في العَرْضَة الأخيرة في السَّنَة الّتي تُوفّي فيها، و يعتبر هذا التّرتيب توقيفًا من الله.[١] وكذلك تلتزم اللّجنة في ترتيب السُّوَر ما كان في عهد النّبيّ.

ولمّا لم يكن النّبيّ قد أفصح بأمر سُورة براءة، ولم تكن مبدوءةً بالبَسْملة، وهي علامة بدء كلّ سُورة، فإنّ هذه السُّورة تضاف إلى سُورة الأنفال اجتهادًا من الخليفة.[٢]

١١ ـ بعد الفراغ من كتابة المُصْحَف الإمام، و قبل حمل النّاس على كتابة المصاحف على نمطه، يراجعه زيد بن ثابت ثلاث مرّات، ثمّ يراجعه خليفة المسلمين بنفسه، أمانًا من النِّسيان والخطأ. [ثمّ ذكر كيفيّة تدوين الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[٣] والآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[٤] كما تقدّم عن الطّبَريّ، فقال:]

أمّا المراجعة الثّالثة فلم تكشف عن شيءٍ[٥]... [ثمّ ذكر ترتيب السُّوَر في مصاحف الصّحابة كما تقدّم سابقًا وسيأتي لاحقًا]. (٣٧ـ٧٨)

---

١ ـ ابن حَجَر العَسْقَلانيّ، فتح الباري ٩: ٣٢ـ٣٦.

٢ ـ انظر: نفس المرجع: ٣٥.

٣ ـ الأحزاب /٢٣.

٤ ـ التّوبة /١٢٨ـ١٢٩.

٥ ـ انظر «محمّد طاهر بن عبد القادر الكُرديّ، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه: ٥٤ـ٥٦.

الفصل الثّاني والخمسون

نصّ الفاضل اللّنكرانيّ (مُعاصر) في «مدخل التّفسير»

[ذَكَر الشّبهة الأُولى حول التّحريف الّتي لاحاجة لذكرها هنا، ثمّ قال:]

الشّبهة الثّانية

إنّ كيفيّة جمع القرآن و تأليفه مستلزمة ـ عادة ـ لوقوع التّغيير والتّحريف فيه، وقد أشار إلى ذلك العلّامة المَجلِسيّ في محكيّ «مرآة العقول»، حيث قال: والعقل يحكم بأنّه إذا كان القرآن متفرّقًا منتشرًا عند النّاس، و تصدّى غير المعصوم لجمعه، يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملاً موافقًا للواقع.

وهذه الشّبهة تتوقّف:

أوّلاً ـ على عدم كون القرآن مجموعًا مرتّبًا في عهد النّبيّ ﷺ، وإنّما كان منتشرًا متشتّتًا عند الأصحاب في الألواح والصُّدور، مع احتمال أنّه لم يكن بعضه عند أحد منهم، كما أُشير إليه في بعض الأخبار، نعم جمعت عند النّبيّ ﷺ نسخة متفرّقة في الصُّحُف والحَرير و القَراطيس، ورثها عليّ عليه السلام، ولمّا جمعها بعده بأمره و وصيّته، وألّفه كما أنزل الله تعالى، ثمّ عرضها عليهم، فأعرضوا عنه وعمّا جاء به لدواعٍ كانت ملازمة لدعوى الخلافة، و طلب الرّئاسة.

ثانيًا ـ على امتناع كون الجمع الصّادر من غير المعصوم كاملاً موافقًا للواقع من دون تغيير. فهنا دعويان:

الأُولى ـ عدم كون القرآن مجموعًا في عهد النّبيّ ﷺ و زمانه، والدّليل على إثباتها

الرّوايات الكثيرة الواردة في هذا الباب الّتي سيجيء نقلها والجواب عنها.

الثّانية ـ امتناع كون الجمع والتّأليف الواقع موافقًا للواقع، وقد ذكر في إثباتها أنّ الّذين باشروا هذا الأمر الجسيم، وضادّوا النّبأ العظيم، هم أصحاب الصّحيفة: أبو بكر وعمر وعُثمان وأبو عُبَيْدة وسعد بن أبي وَقّاص، وعبد الرّحمان بن عَوْف، ومعاوية، واستعانوا بزيد بن ثابت ومن الواضح أنّ مضامين القرآن ومطالبه ومعانيه، وكيفيّة ترتيب آياته وكلماته وسُوَره، لاتشبه كتاب مصنّف، وتأليف مؤلّف، وديوان شاعر، ممّا يسهل جمعه وتأليفه وترتيبه لمن بلغ أدنى مرتبة من مراتب العلم، وأخذ حظًّا قليلاً منه، ويعلم نقصانه وتحريفه بأدنى ملاحظة، ولا يمكن معرفة ترتيب القرآن وتماميّة جمعه من نفسه، إذن هو موقوف على معرفة مراد الله تعالى، وحكمة وضع ترتيب السُّوَر والآيات بالتّرتيب المخزون، وكيفيّة ارتباط الآيات بعضها ببعض، وهذا من العلوم الّتي قصرت أيدي المذكورين عن تناول أدنى مراتبه، بل هم بمعزل عن تصوّر موضوعه، وعن تصديق المتوقّف على تصديق أصله المفقود فيهم، بل كانوا قاصرين عن معرفة نفس الآيات، وأنّها ممّا جاء به النّبيّ ﷺ أو ممّا دسّها المدلّسون، واختلقها الكذّابون، فاحتاجوا إلى إقامة الشُّهود، فضلاً عن معرفة ارتباط بعضها بالبعض الموقوف.

وكان أعرف هؤلاء بالقرآن زيد بن ثابت الّذي قال عمر في حقّه: زيد أفرضكم، مع أنّه روى الشّيخ (ره) في التّهذيب عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام: أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهليّة. وأمّا كتابته الوحي فهو على ما ذكره أرباب السّير إذا لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام أو عُثمان حاضرًا، وقد طعن عليه أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود.

روى الشّيخ الطُّوسيّ في «تلخيص الشّافي» عن شريك، عن الأعمش، قال: قال ابن مسعود: لقد أخذت من رسول الله ﷺ سبعين سورة وأنّ زيد بن ثابت لغلام يهوديّ في الكتاب له ذؤابة.

وأمّا الخلفاء فمقامهم في العلم غير خفيّ، حتّى أنّ الأوّل كان جاهلاً بمعنى الكلالة،

و قال السُّيوطيّ في «الإتقان»: ولا أحفظ عن أبي بكر في التّفسير إلّا آثارًا قليلة جـدًّا، لاتكاد تجاوز العشرة.

وأمّا عمر فذكر الشّيخ زين الدّين البياضيّ في «الصّراط المستقيم»: أنّه اجتهد في حفظ سورة البقرة تسعة عشر سنة، و قيل: اثنتي عشر، و نَحَر جزورًا وليمة عند فراغـه، وفيه: ورووا أنّه لم يحفظ القرآن أحد من الخُلفاء، و قد صحّ أنّه أنكر مـوت النّـبيّ ﷺ، لجهله بالكتاب حتّى قرئ عليه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1]، وقد جمع الأصحاب أشياء كثيرة ممّا يتعلّق بهذا الباب.

وأمّا عُثمان فهو وإن كان من كُتّاب الوحي إلّا أنّه لم يكتب منه إلّا قليلاً، فعن مناقب «ابن شهراشوب» في ذكر كُتّابه ﷺ: كان عليّ عليه السلام يكتب أكثر الوحي، و يكتب أيضًا غير الوحي، وكان أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت يكتبان الوحي، وكان زيد و عبد الله بن الأرقم يكتبان إلى الملوك، وعلاء بن عَقَبة وعبد الله بن الأرقم يكتبان القبالات، و زُبَيْر بن العوّام وجَهم بن الصّلت يكتبان الصّدقات، و حُذَيْفة يكتب صدقات التّمر، وقد كتب له عُثمان وخالد و أبان ـ ابنا سعيد بن العاص ـ والمُغَيرة بن شُعبة، والحُصَيْن بن نُمَيْر، والعلاء بن الحَضْرميّ، وشُرَحْبيل بن خمسة الطّائحيّ، و حنظلة بن ربيع الأسديّ، وعبد الله بن سعد ابن أبي سَرح، و هو الخائن في الكتابة، فلعنه رسول الله ﷺ وقد ارتدّ.

وروى عِكرِمة و مُجاهِد والسُّدّيّ والفرّاء والزَّجّاج والجُبّائيّ و أبو جعفر الباقر عليه السلام: أنّ عُثمان كان يكتب الوحي فيغيّره، فيكتب موضع ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ «سَمِيعٌ عَلِيمٌ» و مـوضع ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «عَزِيزٌ حَكِيمٌ» و نحو ذلك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْـزَلَ اللهُ﴾[2].

قال السّيّد في «الطّرائف»: «و من طريف ما ذكروه عن عُثمان بن عَفّان مـن سـوء إقدامه على القول في ربّهم ورسولهم، ما ذكر الثّعلبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هٰـذَانِ

---

١ ـ الزّمر / ٣٠.

٢ ـ الأنعام / ٩٣.

لَسَاحِرَانِ﴾[١] و رُوي عن عُثمان أنّه قال: إنّ في الصُّحُف لحنًا وستقيمه العرب بألسنتهم، وقيل له: ألا تغيّره؟ فقال: دعوه فإنّه لا يحلّل حرامًا ولا يحرّم حلالاً.

وذكر نحو هذا الحديث ابن قُتَيبة في كتاب «المشكل» قال رحمه الله: فليت شعري هذا اللّحن في القرآن ممّن هو؟ إن كان عُثمان يذكر أنّه من الله فهو كفر جديد، و إن كان من غير الله فكيف ترك كتاب الله مبدّلاً مغيّرًا؟ لقد ارتكب بذلك بُهتانًا عظيمًا و منُكرًا.

وأمّا مُعاوية فعدّه جماعة من مخالفينا من كُتّاب الوحي، مع أنّ جمهور الجمهور نقلوا أنّه أسلم بعد فتح مكّة، وقبل وفاة النّبيّ ﷺ بستّة أشهر تخمينًا.

قال في «الطّرائف»: «فكيف تقبل العقول أن يوثق في كتابة الوحي بمعاوية مع قرب عهده بالكُفر، وقصوره في الإسلام حيث دخل فيه»؟

وقال ابن أبي الحَديد: واختلف في كتابته كيف كانت، فالّذي عليه المحقّقون من أهل السّيرة أنّ الوحي كان يكتبه عليّ عليه السلام و زيد بن ثابت و زيد بن أرقم، و أنّ حَنْظَلَة بن الرَّبيع و معاوية بن أبي سُفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، و يكتبان حوائجه بين يديه، و يكتبان ما يجيء من أموال الصّدقات ما يقسّم له في أربابها.

والجواب عن هذه الشُّبهة

مضافًا إلى إمكان منع الدّعوى الثّانية ـ منع الدّعوى الأُولى جدًّا، وعليه فلا تصل النّوبة إلى الثّانية أصلاً.

ولتوضيح ذلك: لا بُدّ لنا من إيراد الرّوايات الّتي يظهر منها أنّ جمع القرآن لم يتحقّق إلّا بعد وفاة النّبيّ ﷺ والجواب عنها:

فنقول: قد أوردت هذه الرّوايات في الجزء الثّاني من كتاب «كنز العمّال في سُنَن الأفعال والأقوال» في باب جمع القرآن ص: ٣٦١، وهي كثيرة:

١ ـ «مسند الصّدّيق» عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة...

---

١ - طه /٦٣.

[وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ١ و ٢].

٢ ـ عن صَعْصَعَة، قال: أوّل من جمع القرآن وورث الكلالة أبو بكر.

٣ ـ عن عليّ عليه السلام قال: أعظم النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، إنّ أبابكر أوّل من جمع بين اللّوحين، وفي لفظ: أوّل من جمع كتاب الله.

٤ ـ عن هِشام بن عُرْوَة، قال:... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٦].

٥ ـ [ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب عن سالم بن عبد الله كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم٨].

٦ ـ عن هِشام بن عُرْوَة عن أبيه قال: [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر].

٧ ـ «مسند عمر» عن محمّد بن سيرين، قال: قتل عمر ولم يجمع القرآن.

٨ ـ عن الحسن: أنّ عمر بن الخَطَّاب سئل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، و قتل يوم اليَمَامة، فقال: إنّالله، وأمر بالقرآن فجمع، فكان أوّل من جمعه في المُصْحَف.

٩ ـ عن يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب، قال:... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١١].

١٠ ـ عن عبد الله بن فَضَالة، قال: لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرًا من أصحابه، فقال: إذا اختلفتم في اللُّغة فاكتبوها بلغة مُضَر، فإنّ القرآن نزل على رجل من مُضَر.

١١ ـ عن جابر بن سَمُرة، قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: لا يملينّ في مصاحفنا هذه إلّا غِلْمَان قُريش، أو غِلْمان ثقيف.

١٢ ـ عن سُلَيْمان بن أرقم عن الحسن وابن سيرين وابن شِهاب الزُّهْريّ وكان الزُّهْريّ أشبعهم حديثًا... [وذكر كما تقدّم عن العامليّ].

١٣ ـ عن خُزَيمة بن ثابت، قال جئت بهذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى عمر بن الخطّاب وإلى زيد بن ثابت، فقال زيد: من يشهد معك؟ قلت: لا والله ما أدري، فقال: كان عمر لايقبل آية من كتاب الله حتّى يشهد عليها شاهدان. فجاء رجل من

الأنصار بآيتين، فقال عمر: لا أسئلك عليها شاهدًا غيرك ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السّورة.

١٤ـ عن أبي إسحاق، عن بعض أصحابه، قال... [و ذكر كما تقدّم عن المتّقيّ الهِنديّ].

١٥ ـ إسماعيل بن عَيّاش عن عمر بن محمّد بن زيد... [و ذكر كما تقدّم عن المتّقيّ الهِنديّ].

١٦ ـ عن الزُّهْريّ عن أنس بن مالك عن حُذَيْفة بن اليَمان: قدم على عُثمان، و كان يغازي أهل الشّام... [و ذكر كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤].

١٧ ـ عن أبي قِلابة، قال: لمّا كان في خلافة عُثمان جعل المعلّم... [و ذكر كما تقدّم عن الطَّبَريّ الرّقم ٣].

١٨ ـ عن ابن شِهاب، قال بلغنا أنّه كان أُنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليَمامة الّذين كانوا قدوعوه... [إلى أن قال:]

١٩ ـ عن مُصْعَب بن سعد، قال: سمع عُثمان قراءة أُبيّ و عبد الله و مُعاذ، فخطب النّاس، ثمّ قال: «إنّما قبض نبيّكم ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٤١].

٢٠ ـ عن أبي المَليح، قال: قال «عُثمان بن عَفّان حين أراد أن يكتب المُصْحَف: تُملي هُذَيل، و تكتب ثقيف.

٢١ ـ عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القُرَشيّ، قال: لمّا فرغ من المُصْحَف أتى به عُثمان، فنظر فيه فقال: «قد أحسنتم و أجملتم، أرى شيئًا من لحنٍ ستقيمه العرب بألسنتها».

٢٢ ـ عن عِكرِمة قال: لمّا أُتي عُثمان بالمُصْحَف رأى فيه شيئًا من لحنٍ، فقال: «لو كان المُملي من هُذَيل، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا».

٢٣ ـ عن عطاء: أنّ عُثمان بن عَفّان لمّا نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى أُبيّ بن كعب، فكان يُملي على زيد بن ثابت، و زيد يكتب و معه سعيد بن العاص يعربه، فهذا المُصْحَف على قراءة أُبيّ و زيد.

٢٤ ـ عن مجاهد: أنّ عُثمان أمر أُبيّ بن كعب يُملي، و يكتب زيد بن ثابت، و يعربه سعيد بن العاص و عبد الرّحمان بن الحارث.

٢٥ ـ عن زيد بن ثابت لمّا كتبنا المصاحف... **[و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٤٨، ثمّ قال:]**

وهنا بعض الرّوايات الأُخر... **[ثمّ ذكر رواية «ابن أشتة عن اللّيث» و رواية الدّيرعاقُوليّ نقلاً عن السُّيوطيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]**

هذه هي أهمّ الرّوايات الواردة في باب جمع القرآن، والظّاهرة في أنّه لم يتحقّق في زمن النّبيّ ﷺ المتوافقة على هذه الجهة.

نقد روايات (جمع) القرآن

وهذه الرّوايات مخدوشة من جهات مختلفة

الجهة الأُولى ـ تناقضها في نفسها

أنّها متناقضة في أنفسها، فلا تصلح للاعتماد عليها والرُّكون إليها، و التّناقض فيها في أُمور متعدّدة متكثّرة، عمدتها ترجع إلى الأُمور التّالية:

الأوّل ـ ظاهر جملة من الرّوايات المتقدّمة، كالرّواية الأُولى والثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة والسّادسة: أنّ الجمع كان في زمن أبي بكر، و أنّه فرق على القرآن أن يضيع، وظاهر البعض الآخر كالرّواية الثّامنة المصرّحة بأنّ عمر أمر بالقرآن فجمع، و أنّه أوّل من جمعه في المُصْحَف، و كذا الرّواية الخامسة عشر: أنّ الجامع للقرآن هو عمر، و صريح البعض الآخر الجمع كان في زمن عُثمان، و في الرّواية السّابعة تصريح بأنّه قُتِل عمر ولم يجمع القرآن، و هنا رواية أُخرى تدلّ على أنّ الجامع سالم مولى أبي حُذَيفة... **[ثمّ ذكر رواية ابن أشتة عن ابن بُرَيدة، كما تقدّم عن السُّيوطيّ فقال:]**

ولكنّ الرّواية غريبة، و فيها جهات من الإشكال:

الثّاني ـ ظاهر الرّواية الخامسة: أنّ أبابكر بنفسه كان قد جمع في قراطيس، وسأل زيد بن ثابت النّظر في ذلك، فأبى حتّى استعان عليه بعُمر، و ظاهر الرّواية الأُولى و بعض الرّوايات الأُخَر أنّ الجمع قد وقع بيد زيد بن ثابت، وأنّه لم يصدر من أبي بكر في هذه الجهة إلّا الأمر والمطالبة والاستدعاء و يظهر من بعضها أنّ المتصدّي لذلك هو زيد بن ثابت و عمر بن الخطّاب.

الثّالث ـ ظاهر الرّواية الأُولى أنّ الّذي طلب من أبي بكر جمع القرآن، وأخبره بأنّ القتل قد استحرّ بقُرّاء القرآن في يوم اليَمامة هو عمر بن الخطّاب، و أنّ زيدًا امتنع من ذلك أوّلاً. وظاهر الرّواية الثّانية عشر: أنّ زيد بن ثابت لقي عمر بن الخطّاب وأخبره بعزمه على جمع القرآن، و قال عمر له: انتظر حتّى أسأل أبابكر، فمضيا إليه، فأخبره بذلك، فنهاهما عن العجلة حتّى يشاور المسلمين، و ظاهر الرّواية الرّابعة: أنّ أبابكر فَرَقّ على القرآن أن يضيع، فأمر عمر بن الخطّاب وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد لجمع القرآن.

الرّابع ـ ظاهر الرّواية الأُولى أنّ الّذي جمع القرآن بعد ما أمر به هو زيد بن ثابت فقط، وأنّه الّذي فوّض إليه ذلك، و تتبّع القرآن بأجمعه من الرّقاع واللّخاف والأكتاف والعُسُب و صُدور الرِّجال. وظاهر مثل الرّواية السّادسة: أنّه أمر أبو بكر عمر بن الخطّاب و زيد بن ثابت، فقال: اجلسا على باب المسجد، و اكتبا ما شهد به شاهدان.

الخامس ـ ظاهر الرّواية الخامسة والسّابعة عشر أنّ الّذي استند إليه عُثمان في جمعه، و اعتمد عليه هي الصُّحُف الّتي كانت عند حَفْصَة زوج النّبيّ ﷺ و هي الّتي كتبت في زمن أبي بكر، وكانت عنده في حياته، ثمّ عند عمر زمن حياته، ثمّ انتقل إلى حَفْصَة، و ظاهر مثل الرّواية التّاسعة: أنّه قام عُثمان بعد عمر، فقال: مَن كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، و كان لا يقبل من ذلك شيئًا حتّى يشهد عليه شاهدان، وقد وقع التّصريح في بعض الرّوايات ـ و هي الرّواية العشرون ـ بأنّه اعتمد في ذلك على ما أتاه به الرّجل من اللّوح والكتف والعَسيب، و على أخباره بأنّه سمعه من رسول الله ﷺ.

السّادس ـ صريح الرّواية السّابعة عشر والسّادسة والعشرين: أنّ الآية الّتي فقدها زيد بن ثابت، و وجدها عند خُزَيْمة بن ثابت، هي آية واحدة من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[1]، و صريح مثل الرّواية الأُولى أنّ ما وجد عند خُزَيْمَة آيتان من البراءة، مضافًا إلى أنّ ظاهر الرّواية الأُولى أنّ إلحاق ما جاء به خُزَيْمَة كان في زمن أبي بكر، و ظاهر الرّواية التّاسعة أنّ الإلحاق كان في زمن عُثمان، و ظاهر البعض الآخر كالرّواية الثّالثة عشر أنّ الإلحاق كان في زمن عمر، مضافًا إلى أنّ ظاهر بعض الرّوايات أنّه قبل ما جاء به خُزَيْمة من دون أن يقترن بشهادة شاهدين، نظرًا إلى أنّ رسول الله ﷺ أجاز شهادته بشهادة رَجُلين، و في بعضها أنّه قبل لاقترانه بشهادة عمر، و تصديقه إيّاه في كون ما جاء به من القرآن، مع أنّ كلًا منهما يناقض مع ما يدلّ على أنّه لا يقبل إلّا ما شهد به شاهدان، لأنّ الظّاهر أنّ الشّاهدين غير المدّعي، فهما بضميمة المدّعي ثلاث نفرات، فإجازة رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رَجُلين لاتدلّ إلّا على كونه قائمًا مقام اثنين في مقام الشّهادة، لاقبول دعواه من دون بيّنة، أو كونه معدودًا من الشّاهدين، فيكفي الشّاهد الواحد كما لا يخفى. و مضافًا إلى عدم احتياج الأمر إلى الشّهادة أصلاً، وذلك لأنّ المفروض بحسب تعبير الرّواية كون الموجود عند خُزَيْمة هي الّتي فقدها زيد، و مع وضوح كون المفقود هوالموجود عنده لاحاجة إلى الشّهادة، كما لا يخفى على أولي الدّراية.

السّابع ـ ظاهر الرّواية الخامسة عشر: أنّ الّذي أرسل المصاحف إلى البلاد هو عمر ابن الخطّاب، و ظاهرالبعض الآخر ـ كالرّواية السّابعة عشر ـ أنّ الّذي بعث مُصْحَفًا إلى كلّ أُفقٍ هو عُثمان.

الثّامن ـ ظاهر بعض الرّوايات ـ كالرّواية السّابعة عشر ـ أنّ عُثمان عيّن للكتابة والنّسخ زيد بن ثابت و سعيد بن العاص و عبد الرّحمان بن الحارث و عبد الله بن الزُّبَيْر، وظاهر الرّواية العشرين: أنّه عيّن زيدًا للكتابة، لأنّه أكتب النّاس، وسعيدًا للإملاء، لأنّه

---

[1] ـ الأحزاب /٢٣.

أفصح النّاس، و ظاهر الرّواية الواحدة والعشرين أنّه أمر بأن يُملي هُذَيل، و يكتب ثقيف، والرّواية الثّالثة والعشرين أنّه لم يتحقّق إملاء هُذَيل و كتابة ثَقيف، وظاهر الرّواية الرّابعة والعشرين والخامسة والعشرين: أنّ الإملاء كان من أُبيّ بن كعب، و الكتابة من زيد بن ثابت، والإعراب من سعيد بن العاص، كما في الأُولى منهما، وزيادة عبدالرّحمان بن الحارث كما في الثّاني منهما.

هذه هي عُمدة الأُمور الّتي تكون الرّوايات المتقدّمة متناقضة فيها، و هنا بعض الأُمور الأُخر يظهر بالتّأمّل ودقّة النّظر، و مع هذه المناقضات كيف تصلح هذه الرّوايات للرّكون و الاعتماد عليها في هذا الأمر الخطير، الّذي لا يساعده شيء من العقل والنّقل؟ كما سيظهر عن قريب إن شاءالله تعالى.

إن قلت: هذه الرّوايات مع كونها متكثّرة جدًّا، و إن لم تكن متّصفة بوصف التّواتُر لما ذكر من ثبوت المناقضة والمعاندة بينها، إلّا أنّ اتّصافها بوصف التّواتُر المعنويّ، الّذي مرجعه في المقام إلى اتّفاقها على عدم تحقّق الجمع في زمن النّبيّ ﷺ و وقوعه بعده إجمالاً، وإن لم تعلم كيفيّته و خصوصيّاته، و أنّه وقع بيد الأوّل أو الثّاني أو الثّالث أو غيرهم ممّا لايكاد ينبغي أن ينكر، ولو نوقش في هذا الاتّصاف فلا أقلّ من اتّصافه بالتّواتُر الإجماليّ الّذي يرجع إلى العلم الإجماليّ بمطابقة إحداها للواقع و نفس الأمر، وهو يكفي للقائل بالتّحريف، بعد اتّفاقها على عدم تحقّق الجمع في حياة النّبيّ ﷺ.

قلت: الاتّصاف بالتّواتُر الإجماليّ ـ كما اعترف به ـ وفرع تحقّق العلم الإجماليّ بمطابقة إحداها للواقع، أو بصُدورها عن المعصوم عليه السلام، وبدون تحقّق هذا العلم لامجال لهذا الاتّصاف أصلاً، و نحن نمنع تحقّقه، لعدم ثبوت العلم و اليقين وجدانًا لابصدورها عن المعصوم، لعدم كون شيءٍ من تلك الرّوايات منسوبة إليه، و حاكية لقوله ونحوه، ولا بالمطابقة للواقع، لأنّ الوجدان يقضي بعدمه، فدعوى التّواتُر ولو إجمالاً ممّا لا يدّعيها المنصف.

الجهة الثّانية: تعارضها مع روايات أُخرى

إنّ هذه الرّوايات معارضة بما يدلّ على أنّ القرآن كان قد جمع وكتب في عهد النّبيّ ﷺ، وهذه الرّوايات أيضًا كثيرة:

١ ـ روى البُخاريّ في إحدى رواياته عن قَتادة، قال:... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١١].

٢ ـ روى الخوارزميّ في محكيّ مناقبه عن عليّ بن رياح، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأُبيّ بن كعب.

٣ ـ روى الحاكم في «المستدرك» بسند على شرط الشّيخين عن زيد بن ثابت، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع.

٤ ـ وفي (الإتقان): أخرج أحمد وأبو داود والتِّرمِذيّ والنّسائيّ وابن حبّان والحاكم عن ابن عبّاس، قال: قلت لعُثمان... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١].

٥ ـ خرّج البَيْهَقيّ وابن أبي داود عن الشَّعبيّ... [وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة].

٦ ـ خرّج ابن سعد في محكيّ «الطّبقات»: أنبأنا الفضل بن دُكَيْن، حدّثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدّثتني جدّتي عن أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمّيها الشّهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله قد أمرها أن تؤُمّ دارها، وأنّ رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أُداوي جرحاكم، وأُمرّض مرضاكم، لعلّ الله يهدي لي شهادة، قال: «إنّ الله مهّد لك شهادة».

٧ ـ عن محمّد بن كعب القُرظيّ، قال: جمع القرآن في زمان رسول الله ﷺ خمسة نفر من الأنصار: مُعاذ بن جَبَل، وعُبَادة بن الصّامت، وأُبيّ بن كعب وأبو الدَّرداء، وأبو أيّوب.

٨ ـ ابن عبّاس: جمعت المحكم على عهد رسول الله ﷺ بناء على أن يكون المراد بالمحكم هو مجموع القرآن، وأمّا بناء على أن يكون المراد به هو خصوص السُّوَر المفصّلة ـ كما تقدّم في عبارة السُّيُوطيّ ـ فالرّواية لا تدلّ على تعلّق الجمع بمجموع

القرآن، لكنّ الظّاهر أنّ هذا الاحتمال بعيد.

٩ ـ الرّواية السّادسة من الرّوايات المتقدّمة المشتملة على التّعليل بأنّه قُتِل باليَمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن.

١٠ ـ روى مسروق: ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود، قال: لاأزال أُحبّه سمعت النّبيّ ﷺ يقول: خُذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، و سالم، و مُعاذ، و أُبيّ بن كعب.

هذه هي الرّوايات الواردة الظّاهرة في أنّ الجمع للقرآن قد تحقّق في عهد النّبيّ ﷺ ... [ثمّ نقل قول ابن النّديم في أسماء جُمّاع القرآن كما تقدّم عنه، وذكر أيضاً قول المُحاسبيّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

الجهة الثّالثة: تعارضها مع الكتاب والعقل

إنّ هذه الرّوايات الّتي استند إليها القائل بالتّحريف مخالفة للكتاب والعقل؛ أمّا مخالفتها للكتاب فلأنّه قد وقع في الكتاب العزيز تعبيرات لاتلائم إلّا مع تحقّق الجمع في زمن النّبيّ ﷺ و تميّز السُّوَر بعضٌ عن بعض، وحصول التّأليف والتّركيب بين الآيات، بل و بين السُّوَر، و ذلك مثل التّعبير: بـ «السُّورة» في آيات متعدّدة: كآيات التّحدّي بالسُّورة، أو بعشر سُوَر، فإنّ هذا التّعبير لا يلائم مع تفرّق الآيات و تشتّتها، وعدم تحقّق التّأليف والتّركيب بينها، ضرورة أنّ السُّورة عبارة عن مجموعة آيات متعدّدة مركّبة منضمّة متناسبة من حيث الغرض المقصود منها، فالتّعبير بها لا يناسب إلّا مع التّميّز والاختصاص.

ومثل التّعبير عن القرآن بـ «الكتاب» كما في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] و ﴿كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ﴾[2] وقد وقع هذا الإطلاق في لسان النّبيّ ﷺ في مثل حديث الثّقلين المعروف بين

---

١ ـ البقرة /١.

٢ ـ إبراهيم /١.

الفريقين، فإنّ لفظ الكتاب ظاهر في المكتوب الّذي كان مجموعًا مؤلّفًا، ولو نوقش في هذا الظّهور بملاحظة أصل اللّغة، فلا مجال للمُناقشة بالنّظر إلى العرف العامّ الّذي أُلقي عليهم مثل هذه التّعبيرات ضرورة أنّ ظهوره في المجموع المؤلّف ممّا لا ينبغي الارتياب فيه بهذا النّظر، فتدبّر.

وأمّا مخالفتها للعقل فلأنّ الدّعوة الإسلاميّة كانت من أوّل شروعها مبتنية على أمرين، و مشتملة على جهتين:

إحداهما ـ أصل النّبوّة و السّفارة والوساطة.

ثانيتهما ـ كونه خاتمة للنّبوّات والسّفارات، و مرجع الأخير إلى بقاء الدّين القويم إلى يوم القيامة، واستمرار الشّريعة المقدّسة و دوامها، بحيث لا نبيّ بعده، ولا ناسخ له أصلاً، حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى يوم القيامة.

و من الواضح أنّ الإتيان بالمعجزة المثبّتة لهذه الدّعوى لابدّ وأن يكون صالحًا لإثبات كلا الأمرين، و قابلاً للاستناد إليه في كلتا الدّعويين، فالمعجزة في هذا الدّين تمتاز عن معجزات الأنبياء السّالفين، و تختصّ بخصوصيّة لا توجد في معجزات السُّفراء الماضين، ولأجله تختلف ـ سنخًا و نوعًا ـ مع تلك المعجزات غيرالباقية، والأُمور الخارقة للعادة الّتي كان الغرض منها إثبات أصل النّبوّة.

ومن المعلوم أيضًا أنّ هذا الوصف إنّما يختصّ به القرآن المجيد، ولا يوجد في معجزات النّبيّ ﷺ فإنّه هو المعجزة الوحيدة الخالدة والدّليل الفذّ الباقي إلى يوم القيامة، فالقرآن من حين نزوله كان ملحوظًا بهذا الوصف، و منظورًا من هذه الجهة الّتي ليس فوقها جهة، ولا يرى شأن أعظم منها، كما لا يخفى.

و مع وجود هذه الخصوصيّة، وثبوت هذه العظمة كيف يمكن توهّم أنّه لم يجمع في عصرالنّبيّ ﷺ ولم يعتن بشأنه ـ من جهة الجمع ـ الرّسول الأعظم ولا أحد من المُسلمين، مع شدّة اهتمامهم به و بحفظه و قراءته و تعليمه و تعلّمه، و تدريسه و تدرّسه، و أخذ فنون المعارف والأحكام والقصص والحكم وسائر الحقائق منه؟! وهل يتوهّم من له عقل

سليم، وطبع مستقيم أن يُوكِل النّبيّ ﷺ أمر جمع القرآن إلى من بعده، سيّما مع علمه بأنّ الّذي يتصدّىٰ للجمع بعده هو الّذي لا يكون متّصفًا بوصف العصمة، بل و أعظم من ذلك ـ ولا حظّ له من العلم والمعرفة بوجه ـ إذ لا محالة يكون جمعه ناقصًا من جهة التّحريف، و من جهة عدم تحقّق التّناسب الكامل بين الآيات، و من الواضح مدخليّته في ترتّب الغرض المقصود منه، ضرورة أنّ ارتباط أجزاء الكتاب، و وقوع كلّ جزء في موضعه له كمال المدخليّة في ترتّب غرض الكتاب، خصوصًا في القرآن الّذي كان غرضه أهمّ الأغراض من ناحية، و عدم كونه منحصرًا بعلم خاصّ، و فنّ مخصوص من جهة أُخرى، فإنّ التّناسب في مثله لولم يراع لا يتحقّق الغرض أصلاً.

فلا محيص عن الالتزام بتحقّق الجمع والتّأليف في عصره، وكون سُوَره و آياته متميّزة بعضها عن بعض، خصوصًا مع أنّه فيالقرآن جهات عديدة يكفي كلّ واحدة منها لأن تكون موضعًا لعناية المسلمين، و سببًا لاشتهاره بين النّاس، حتّى الكافرين والمنافقين، و ذلك:

مثل بلاغته و فصاحته الّتي هي الغرض المهمّ للعرب في ذلك العصر، و وضوح كون بلاغته واقعة في الدّرجة العليا، و فصاحته حائزة للمرتبة القصوى، و من هذه الجهة كان موضع توجّه لعموم النّاس ـ المؤمن وغيره ـ المؤمن يحفظه و يقرأه لإيمانه، و التّلذّذ بألفاظه المقدّسة، و معانيها العالية، والكافر والمنافق يمارسه رجاء معارضته، والإتيان بمثله، وإبطال حجّته.

ومثل الجهات الأُخر، كالأجر والثّواب المترتّب على حفظه وقراءته و تعليمه، بل و على مجرّد النّظر إلى آياته و سوره، وكون النّبيّ ﷺ مرغّبًا في حفظه و محرّكًا للمؤمنين إلى الرّجوع إليه، وكون الحافظ له شأن عظيم، و مرتبةً خاصّة بين المسلمين وغير ذلك من الجهات.

ولا بأس هنا بذكر كلام السّيّد المرتضى (قدّس سرّه الشّريف) في هذا الشّأن، وكلام البلخيّ المفسّر من علماء العامّة، والجواب عمّا أورد عليهما المحدّث المعاصر في كتابه

الموضوع في التّحريف... [ثمّ ذكر قول الشّريف المرتضى في تأليف القرآن على عهد النّبيّ ﷺ كما تقدّم عنه].

وقال البلخيّ في تفسيره المسمّى بـ«جامع علم القرآن» ـ على ما نقله عنه السّيّد بن طاووس في محكيّ «سعدالسّعود» ـ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و أورد المحدّث المعاصر على السّيّد المرتضى:

أوّلاً ـ بأنّ القرآن نزل نجومًا، و تمّ بتمام عمره ﷺ فإن صحّ ما نقله فالمراد درس ما كان عنده من السُّوَر.

وثانيًا ـ بأنّ قعود أميرالمؤمنين عليه السلام في بيته بعده ﷺ لجمع القرآن و تأليفه خوفًا من ضياعه ممّا لا يقبل الإنكار بعد استفاضة الأخبار بذلك، وكيف يجتمع هذا مع كونه مجموعًا مؤلّفًا مرتّبًا متداولاً بين الصّحابة في حياته؟

وثالثًا ـ بما ملخّصه أنّ ما نقله: أنّ ابن مسعود و أُبيّ وغيرهما... فإنّما هو من خبر ضعيف، رواه المخالفون، ثمّ ذكر طائفة من الرّوايات المتقدّمة الدّالّة على أنّ الجمع وقع في عصرالنّبيّ ﷺ.

و أورد على البَلْخيّ:

أوّلاً ـ بالنّقض على مذهبه، فإنّه ﷺ مع علمه بأنّه يموت في مرضه، و تختلف أُمّته بعده ثلاثًا و سبعين فرقة، و أنّه يرجع بعده يضرب بعضهم رقاب بعض، كيف لم يعيّن لهم من يقوم مقامه، ولا قال لهم: اختاروا أنتم، حتّى تركهم في ضلالٍ مُبين إلى يوم الدّين؟ فإذا جاز توكيل هذا الأمر العظيم إليهم مع اختلاف الآراء و تشتّت الأهواء جاز توكيل أمر جمع القرآن و تأليفه إليهم.

وثانيًا ـ بأنّا نسلّم أنّ القرآن بتمامه كان عنده ﷺ متفرّقًا، وإنّما فوّض أمر الجمع والتّأليف الّذي هو سبب لبقائه وحفظه إلى من فُوِّض إليه جميع أُموره و أُمور أُمّته بعده، و احتياج النّاس إليه بحيث يختلّ عليهم أمرهم لولاه إنّما هو بعده، وليس في ذلك تنقيص

في نبوّته أصلاً، بل في ذلك إعلاء لشأن من فُوِّض إليه الأمر، و تثبيت لإمامته، وإعلام برفعته، وقد امتثل ما أمره به فجمعه بعده، و حينئذ فإن أراد أنّ ما كان بأيديهم إنّما نسخوه من هذا المجموع المعيّن، لا من الأماكن المتفرّقة من الصُّدور والألواح، ففيه:

١ ـ إنّه لم يكن مرتّبًا، وإنّما ألّفه و رتّبه أميرالمؤمنين عليه السلام وقد هجروا مُصْحَفه.

٢ ـ إنّ ما تقدّم بطرقهم المستفيضة صريح في أنّهم جمعوه من الأفواه والألواح المتفرّقة.

والجواب: أمّا عن إيراده على السّيّد المرتضى رحمه الله: أنّ نزول القرآن نجومًا وتماميّته بتمام عمره الشّريف لا ينافي ما أفاده السّيّد المرتضى بوجه، خصوصًا بعد ملاحظة ما قدّمناه من أنّ القرآن كان سن حين نزوله متّصفًا بأنّه هي المعجزة الوحيدة الخالدة الّتي يتوقّف أساس الدّين، و أصل الشّريعة على بقائها و وجودها بين النّاس، كما نزلت إلى يوم القيامة.

و سيأتي البحث عن مُصْحَف أميرالمؤمنين عليه السلام وامتيازه عن المُصْحَف المعروف، و أنّه لا يتفاوت معه في شيءٍ يرجع إلى أصل القرآن و آياته أصلاً، و ما نقله من أنّ ابن مسعود وأُبيّ... لا يكون الاعتماد فيه على ضعاف الأخبار العامّيّة، بل على الأمر المعروف بين المسلمين من وجود مُصْحَف لكلّ واحد منهم، وظهور كون جمعهم في عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله و عصره.

و أمّا عن إيراده على البَلخيّ فإنّ النّقض بمسألة الخلافة على طبق عقيدته فاسد، خصوصًا لو كان مستنده ما ينسبونه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله «لا تجتمع أُمّتي على خطأ» كما هو واضح، و اختلاف المسألتين و تفاوتهما، وانحصار الإعجاز في الكتاب ممّا لاريب فيه، و أنّ المراد من الجمع والتّأليف الّذي فَوّض النّبيّ صلى الله عليه وآله أمره إلى من فَوّض إليه جميع أُموره، إن كان الجمع بنحو يرجع إلى ترتيب الآيات والسُّوَر بحيث لم يكن في عهده صلى الله عليه وآله مواقع الآيات مبيّنة، ولا مواضعها مشخّصة، فنحن نمنع ذلك حتّى يحتاج النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى التّفويض إلى عليّ عليه السلام، و إن كان المراد الجمع في محلّ واحد كقِرطاس و مُصْحَف، فهذا لا

ينافي ما ذكره البلخيّ بوجه، ولا يرجع إلى عدم كون القرآن مرتّبًا في زمن النّبيّ ﷺ.

الجهة الرّابعة: مخالفتها لضرورة تواتر القرآن

إنّ هذه الرّوايات الدّالّة على أنّ القرآن قد جمع بيد الخلفاء وفي زمنهم، وأنّ الاستناد في ذلك كان منحصرًا بشهادة شاهدين، أو شاهد واحد إذا كان معادلاً لشخصين، مخالفة لما قدّمناه ـ سابقًا ـ من ثبوت الإجماع، بل الضّرورة على أنّ طريق ثبوت القرآن منحصر بالتّواتُر، وأنّه فرق بينه وبين الخبر الحاكي لقول المعصوم عليه السلام المشتمل على حكم من الأحكام الشّرعيّة.

ومع هذه المخالفة كيف يمكن الأخذ بها والالتزام بمضمونها، وتفسير الشّهادتين بالحفظ والكتابة ـ كما عن بعضهم ـ مع أنّه مخالف للظّاهر، ولنفس تلك الرّوايات، لايجدي في رفع الإشكال، وأنّ القرآن لا يثبت بغير طريق التّواتُر؟

الجهة الخامسة: استلزامها للقول بالتّحريف

إنّ الاستناد إلى هذه الرّوايات لعدم تحقّق الجمع في زمن النّبيّ ﷺ وبيد المعصوم، واستكشاف وجود النّقص في القرآن من هذا الطّريق لا ينطبق على المدّعى، بل اللّازم على المستدلّ أن يقول بالتّحريف من جهة الزّيادة أيضًا، وذلك لقضاء العادة بأنّ المستند ـ وهي شهادة الشّاهدين ـ لا يكون مطابقًا للواقع دائمًا، ضرورة أنّ الالتزام بكونها كذلك، ودعوى حصول القطع بأنّ كلّ ما شهد به شاهدان، أو من بحكمهما، على أنّه من القرآن مطابق للواقع في غاية البعد، بل الظّاهر هو العلم الإجماليّ بتحقّق الكذب في البعض، خصوصًا مع ثبوت الدّواعي من الكُفّار والمنافقين على تخريب الدّين، والسّعي في اضمحلاله وانهدام بنائه، وحينئذ فيعلم ـ إجمالاً ـ بوجود الزّيادة في القرآن كالنّقيصة.

ودعوى أنّ الآية بمرتبتها الواقعة فوق مراتب الكلام البَشَريّ فيها قرينة على كونها من القرآن، وعدم كونها كلام البشر. مدفوعة بأنّه على ذلك لا تكون شهادة الشّاهدين مصدّقة للآية، وكونها من كلام الله، بل كانت الآية مصدّقة لها، ولكونها شهادة مطابقة

للواقع، و عليه فلا حاجة إلى الشّهادة أصلاً، و هو خلاف مفادّ الرّوايات المتقدّمة.

وقد انقدح من جميع ما ذكرنا ـ بطوله و تفصيله ـ بطلان هذه الرّوايات، و عدم إمكان الأخذ بمضمونها، وإنّه لا محيص عن الالتزام بكون الجمع والتّأليف الرّاجع إلى تميّز الآيات بعضهما عن بعض، و تبيّن كون الآية الفلانيّة جزء من السُّورة الفلانيّة، بل و موقعها من تلك السُّورة، وإنّها هي الآية الثّانية منها ـ مثلاً ـ أو الثّالثة أو الرّابعة و هكذا، وكذا تميّز السُّوَر بعضها عن بعض واقعًا في عهد النّبيّ عليه السلام و عصره بأمره وإخباره، غاية الأمر تفرّقها وتشتّتها من جهة الأشياء المكتوبة عليها، والمنقوشة فيها كالعَسيب واللِّخاف ومثلهما.

نعم لا ينبغي إنكار ارتباط جهة من القرآن بأبي بكر وكذا بعُثمان، أمّا ارتباطه بأبي بكر فهو أنّه قد جمع تلك المتفرّقات الّتي كان شأنها مبنيًّا من جميع الجهات، وكانت خالية من نقاط الإبهام والإجمال بتمام المعنى في قِرطاس أو مُصْحَف هو بمعنى القِرطاس، أو قطع الجلد المدبوغ، وقد وقع التّصريح في بعض الرّوايات المتقدّمة بأنّ أبابكر هو أوّل من جمع القرآن بين اللّوحين، وقد عرفت تصريح الحارث المَحاسِبيّ بذلك، وأنّ جمع أبي بكر بمنزلة خيط ربط الأوراق المتفرّقة الموجودة في بيت النّبيّ عليه السلام، ولا يبعد الالتزام بما في بعض تلك الرّوايات من كون المُصْحَف الّذي جمع أبو بكر فيه القرآن هو الّذي كان عنده زمن حياته، وكان بعده باختيار عمر، وانتقل منه إلى حَفْصَة بنته زوج النّبيّ عليه السلام.

و ممّا ذكرنا ظهر: أنّ الإشكال والاشتباه إنّما نشأ من الخلط، و عدم تبيّن مفهوم كلمة «الجمع» الواقعة في الرّوايات، و تخيّل كون المراد من هذه الكلمة هوالّذي يكون محلّ البحث فيالمقام، و موردًا للنّقض والإبرام، ولا بدّ من التّوضيح، و إن كان المتأمّل قد ظهر له الفرق ممّا ذكرنا، فنقول: أمّا الجمع الّذي هو محلّ البحث في المقام هوالجمع بمعنى التّأليف والتّركيب و جعل كلّ آية في السُّورة الّتي هي جزء لها، و في موضعها من تلك السُّورة، والجمع بهذا المعنى لا يكون إلّا وظيفة النّبيّ ـ بما هو نبيّ ـ ولم يتحقّق إلّا منه، ولا معنى لصُدوره من غيره، حتّى في عصره و زمن حياته، و منه يظهر أنّ الرّوايات الدّالّة

على تحقّق الجمع من أشخاص معيّنين في زمن النّبيّ لا يكون المراد بها هذا المعنى، فإنّ مثل أُبيّ بن كعب لا يقدر على ذلك، وإن كان في حياة النّبيّ ﷺ ضرورة أنّه من شوؤن القرآن و ما به تقوم حقيقته، ولا طريق له إلّا الوحي.

و أمّا الجمع الوارد في الرّوايات المتقدّمة، أعمّ من الرّوايات الدّالّة على عدم تحقّقه في زمن النّبيّ ﷺ والرّوايات الدّالّة على تحقّقه في زمنه من ناحية الأشخاص، فالمراد به هو جمع المتفرّقات والمتشتّتات من جهة الأشياء المكتوبة عليها والمنقوشة فيها، غاية الأمر أنّ الجمع في زمن النّبيّ ﷺ كان بمعنى القدرة على تحصيل القرآن بأجمعه، و حصوله له كذلك.

و بعبارة أُخرى كان عنده جميع القرآن في الأشياء المتفرّقة، والجمع بعد حياته بمعنى جمعه في اللّوحين والقِرطاس والمُصْحَف.

فقد ظهر أنّ الجمع ـ بمعناه الّذي هو محلّ الكلام ـ بعيد عن مفاد جميع الرّوايات بمراحل، و أنّ المتّصف به لا يكون غير النّبيّ ﷺ بوجه، فالرّوايات و كذا التّواريخ الدّالّة على تحقّق الجمع من أشخاص في زمن النّبيّ ﷺ أجنبيّ عن المقام بالمقدار الّذي تكون الرّوايات الّتي هي مورد لاستدلال القائل بالتّحريف كذلك، وعدم الالتفات إلى ذلك صار موجبًا للخلط والاشتباه والانحراف عن مسير الحقيقة كما عرفت.

وأمّا ارتباطه بعُثمان ـ الّذي اشتهر إضافة القرآن وانتسابه إليه، واشتهر عنه حرق مصاحف غيره، حتّى سمّي بحرّاق المصاحف، و انتقد عليه من هذه الجهة ـ فليس لأمر يرجع إلى الجمع والتّأليف بالمعنى الّذي ذكرنا من تميّز الآيات والسُّوَر و تبيّن بعض كلّ واحدة منهما عن البعض الآخر، بل الظّاهر ـ كما دلّ عليه بعض الرّوايات المتقدّمة ـ أنّ ارتباطه بعُثمان إنّما هو من جهة أنّه جمع المسلمين على قراءة واحدة، بعد تحقُّق اختلاف القراءة بينهم، من جهة اختلاف القبائل والأمكنة في اللّحن والتّعبير... [ثمّ ذكر قول المَحاسِبيّ كما تقدّم عن السُّيُوطيّ، ثمّ قال:]

نعم، يقع الكلام في أنّ القراءة الواحدة الّتي جمع عُثمان المسلمين عليها ما هي؟

وأنّه اعتمد في ذلك على أيّ شيءٍ؟.

يمكن أن يقال: إنّ تلك القراءة هي القراءة الواحدة المتعارفة بين المسلمين، الّتي أخذوها بالتّواتُر عن النّبيّﷺ، لما عرفت في مبحث تواتُر القراءات من أنّ استناد جميع القراءات إلى النّبيّﷺ أمر موهوم فاسد، وأنّ أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ـ على فرض صحّتها وجواز الالتزام بها ـ لا ارتباط له بباب القراءات السّبعة بوجه... [ثمّ ذكر قول أبي جعفر محمّد بن منصور نقلاً عن ابن طاووس، وذكر أيضًا قول الزّنجانيّ في وصف مسجد الشّام والمُصْحَف العُثمانيّ ورُؤيته مُصْحَفًا بخطّ الإمام عليّعليه السلام في النّجف، كما تقدّم عنهما، فقال:]

هذا ولكنّ الاستناد إلى رأي مولانا عليّ بن أبي طالبعليه السلام بعيد، خصوصًا مع ملاحظة وجود مُصْحَف لهعليه السلام لا يحتاج معه إلى شخص آخر أو شيء آخر، إلّا أن يكون الاستناد إلى الرّأي دون المُصْحَف، لأجل كون مُصْحَفه زائدًا على القرآن وآياته كما سيظهر، فلعلّهعليه السلام لم يرض أن يجعله باختيارهم، لعدم صلاحيّتهم ملاحظته والنّظر فيه، كما يساعده الاعتبار.

وقد تحصّل من جميع ما ذكرنا أنّ لفظ «الجمع» الّذي يستعمل في مسألة جمع القرآن له أربعة معان، وقد وقع بينها الخلط، ولأجله تحقّق الانحراف الّذي أدّى إلى الالتزام بالتّحريف، الّذي يوجب تزلزل الدّين، وضعف المسلمين، كما عرفت في أوّل المبحث، وهذه المعاني الأربعة عبارة عن:

١ ـ الجمع بمعنى التّأليف والتّركيب، وجعل كلّ آية في السُّورة الّتي هي جزء لها وفي موضعها من تلك السُّورة، وكونها آية ثانية له ـ مثلاً ـ أو ثالثة أو رابعة وهكذا، والجمع بهذا المعنى هو محلّ البحث والكلام، وقد عرفت أنّ الجامع بهذا المعنى لا يكون إلّا النّبيّ بما أنّه نبيّ، وبعبارة أُخرى لا طريق له إلّا الوحي، ولا يصلح إسناده إلى غير النّبيّ بوجه. وسيأتي له مزيد توضيح في الجواب عن الشّبهة الثّالثة للقائل بالتّحريف فانتظر.

٢ ـ الجمع بمعنى تحصيل القرآن بأجمعه من الأشياء المتفرّقة المكتوب عليها

و مرجعه إلى كون الجامع واجدًا لجميع القرآن من أوّله إلى آخره، و هذا هوالجمع المتحقّق في عصر النّبيّ ﷺ والمنسوب إلى غيره من الأشخاص المعدودين، وربّما يراد من الجمع بهذا المعنى جمع القرآن بجميع شؤونه من التّأويل والتّفسير و شأن النّزول و غيره، و هوالمراد من الجمع الّذي تدلّ الرّوايات الكثيرة الآتية على اختصاصه بمولانا أميرالمؤمنين (عليه أفضل صلوات المصلّين).

٣ ـ الجمع بمعنى جمع المتفرّقات وكتابتها في شيء واحد كالقِرطاس والمُصْحَف بناء على مغايرته للقِرطاس، وهذا هو الجمع المنسوب إلى أبي بكر، و يدلّ بعض الرّوايات المتقدّمة على نسبته إلى عمر بن الخطّاب.

٤ ـ الجمع بمعنى جمع المسلمين على قراءة واحدة من القراءات المختلفة الّتي نشأت من اختلاف ألسنة القبائل والأماكن، وهذا هو المراد من الجمع المنسوب إلى عُثمان كما عرفت آنفًا.

و عدم الخَلط بين هذه المعاني يرشد الباحث و يهديه إلى الحقّ، و يبعّده عن الانحراف المؤدّي إلى التّحريف، و ما رأيت أحدًا يسبقني إلى البحث في مسألة جمع القرآن بهذه الكيفيّة، فافهم واغتنم... [ثمّ ذكر الشّبهة الثّالثة في مُصْحَف عليّ عليه السلام كما سيجيء في باب صيانة القرآن عن التّحريف]. (٢٣٨ ـ ٢٦٧)

الفصل الثّالث و الخمسون

نصّ العلّامة العسكريّ (معاصر)
في «القرآن الكريم وروايات المدرستين»

من قرأ القرآن على النّبيّ و من جمعه على عهده و من كتبه من الصّحابة؟

أقرأ الرّسول جميع الصّحابة ما تيسّر له من القرآن أداءً لواجبه التّبليغيّ، و قرأ عليه جميع الصّحابة ما تيسّر لهم من القرآن أداءً لواجبهم الإسلاميّ. أمّا من جمع منهم القرآن على عهده ﷺ وكتب فلا يمكن إحصاؤهم، وما جاء في بعض الرّوايات من جمع القرآن على عهدالرّسول ﷺ أو كتب ليس من باب الحصر والإحصاء، و إنّما ذكرت أسماؤهم لمناسبة في المقام، و ما جاء عن الصّحابيّ أنس بن مالك في حصر من جمع القرآن على عهد الرّسول ﷺ ببعض الأنصار، مردود كما نبيّنه في ما يأتي بإذنه تعالى... [ثمّ ذكر رواية البخاريّ عن أنس و قَتادة في من جمع القرآن... كما تقدّم عنه الرّقم ١١].

دراسة الحديث: نرى أنّه اعتمد أحاديث الصّحابيّ أنس من قال بحصر جمع القرآن على الأنصار مثل الشّعبيّ[١] و محمّد بن كعب القُرَظيّ[٢] و ابن كثير[٣] وغيرهم.[٤]

و قد أنكر العلماء على أنس هذا القول، و حاول بعضهم توجيهه، مثل: السّنديّ في حاشيته على الرّواية الأُولى في صحيح البخاريّ، حيث قال: «أي لم يجمعه غيرهم في علمي، أو من الأوس، و إلّا فقد كان ممّن يجمعه إذ ذاك كثير من الصّحابة، كما هو

---

١ و ٢ ـ كنز العمّال ٢: ٣٧٤، الحديث ١٩١٥ و ١٩١٦.

٣ ـ راجع ترجمة أُبيّ بن كعب و مُعاذ بن جَبَل في تاريخ ابن كثير ٧: ٩٥ ـ ٩٧.

٤ ـ راجع ترجمة قيس بن السَّكَن في الإصابة.

معلوم»[١].. [ثمّ ذكر قول ابن الطّيّب نقلاً عن القُرطُبيّ، كما تقدّم عنه].

وقال الماورديّ: وكيف يمكن الإحاطة بأنّه لم يكمله سوى أربعة، والصّحابة متفرّقون في البلاد! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون؟!

قال الشّيخ: وقد سمّى الإمام أبو عُبَيد القاسم بن سَلّام القُرّاء من الصّحابة في أوّل كتاب القراءات له، فسمّى عددًا كثيرًا.[٢]

وفي عمدة القارئ في شرح صحيح البخاريّ: إنّ قصارى الأمر أنّ أنسًا قال: جمع القرآن على عهده أربعة، قد يكون المراد إنّي لا أعلم سوى هؤلاء، ولا يلزمه أن يعلم كلّ الحافظين لكتاب الله تعالى.[٣]

وروي في الإتقان عن البخاريّ: وفيه ـ في الحديث الأوّل ـ المخالفة لحديث قَتادة من وجهين؛ أحدهما: التّصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخر ذكر أبي الدَّرداء بدل أُبيّ بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمّة الحصر في الأربعة... [ثمّ ذكر قول المازِريّ في قول أنس، كما تقدّم عن ابن حَجَر].

وقال القُرْطُبيّ: قد قتل يوم اليَمامة سبعون من القُرّاء، وقتل في عهد النّبيّ ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد، وإنّما خصّ أنس الأربعة بالذّكر لشدّة تعلّقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.[٤]

ويرد على قول أنس بالإضافة إلى ما ذكروا أنّ المهاجرين سبقوا الأنصار إلى الإسلام عشر سنوات وأكثر من ذلك أو أقلّ، فكيف لم يكن فيهم مهاجريّ واحد قد جمع القرآن؟ وقد كان الصّحابة الآتية أسماؤهم ممّن جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ:

أ ـ عليّ بن أبي طالب[٥]. ب ـ سعد بن عُبَيد بن النُّعمان بن زيد. ج ـ أبو الدَّرداء عُوَيمر

---

١ ـ حاشية السِّنديّ على صحيح البخاريّ ط. دار الكتب المصريّة سنة ١٣٢٧هـ. ٣:١٥٢، وطبعة الأُفست لبنان، دار المعرفة، سنة ١٣٩٨هـ، ٣:٢٢٨.

٢ ـ البرهان للزّركشيّ ١:٢٤٢.

٣ ـ عمدة القارئ ٢٠:٢٧ـ٢٨.

٤ ـ الإتقان للسّيوطيّ ١:٧٢ـ٧٣.

٥ ـ جاء تفصيل أخذ الإمام عليّ القرآن وتفسير القرآن من الرّسول في الجزء الثّاني من معالم المدرستين في بحث أسناد حديثهم إلى جدّهم الرّسول من الفصل الرّابع.

ابن زيد. د ـ أبو زيد ثابت بن زيد بن النّعمان. هـ ـ عُبَيد بن معاوية بن زيد بن الضّحّاك. و أُمّ وَرَقة بنت عبد الله.

[أوّل من جمع القرآن كلّه بعد رسول الله ﷺ]

ينقسم الّذين جمعوا القرآن على عهد الرّسول إلى صنفين؛ منهم من اشتهروا بذلك، وهم من مشاهير الصّحابة و في مقدّمتهم الإمام عليّ. وفي ما يأتي نورد مثالاً بخبر واحد من أخبار من اشتهر بالقراءة والإقراء من المهاجرين.

جاء في كنز العُمّال: عن زِرّ بن حُبَيش، قال: قرأت القرآن من أوّله إلى آخره على عليّ بن أبي طالب، فلمّا بلغتُ الحواميم، قال: لقد بلغت عرائس القرآن، فلمّا بلغتُ رأسَ آية من حمعسق: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ الآية، بكى حتّى ارتفعَ نحيبه، ثمّ رفعَ رأسه إلى السّماء وقال: يا زِرُّ أمِّن على دعائي، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أسألك إخبات المخبتين، و إخلاص الموقنين، و مرافقة الأبرار...

وقال في آخر الدّعاء: يا زِرّ إذا ختمت فادع بهذه، فإنّ حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن أدعو بهنّ عند ختم القرآن.

وزِرّ بن حُبَيش أبو مريم أبو مُطرِّف الكوفيّ، مُخَضْرَم أدرك الجاهليّة، روى عن عمر وعُثمان و عليّ و أبي ذر.

قال ابن سعد و ابن معين: كان ثقة كثير الحديث، وكان عالمًا بالقرآن، توفّي سنة ٨٣ و عمره ١٢٧.[1]

وهذا الحديث يدلّ على أنّ الإمام عليًّا كان قد جمع القرآن كلّه على عهد الرّسول ﷺ إمّا عن ظهر قلب، أو مكتوبًا في نسخة...

إنّ الرّسول ﷺ والإمام عليّ كانا يجتمعان يوميًّا، ويملي الرّسول ﷺ عليه ما أوحي

---

١ ـ كنز العمّال ٢:٣٥١، الرّقم الحديث ٤٢٢١؛ و ذكر سنة وفاته بترجمته من الإصابة ٢:٥٦٠؛ و تهذيب التّهذيب ٣:٣٢١؛ وحلية الأولياء لأبي نُعَيم ٤:١٨١.

إليه خلال تغيّب أحدهما عن الآخر، فلا بدّ أن يكون الإمام عليّ قد أخذ القرآن من الرّسول ﷺ وعلى أيّ حال فإنّ الحديث يدلّ على أنّ الإمام عليًّا كان يختم القرآن على عهد الرّسول ﷺ و ممّن أقرأ القرآن غيره.

ويضاف إلى المشهورين من القُرّاء في الصّحابة القُرّاء السّبعون من أصحاب الرّسول ﷺ الآتي خبرهم.

خبرالقُرّاء السّبعين من أصحاب رسول الله الّذين استشهدوا

قال ابن سعد: في صفر على رأس ستّة وثلاثين شهرًا من الهجرة قدم عامر بن مالك أبوبَراء ملاعب الأسنّة الكلابيّ على رسول الله ﷺ فأهدى له فلم يقبل منه، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم ولم يُبعد، وقال: لو بعثت معي نفرًا من أصحابك إلى قومي لرجوتُ أن يجيبوا دعوتك، و يتّبعوا أمرك، فقال: إنّي أخاف عليهم أهل نجد، فقال: أنا لهم جارٌ إن يعرض لهم أحدٌ. فبعث معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الأنصار شبَبَةٌ يُسمّون القُرّاء، و أمَّر عليهم المنذر بن عمرو السّاعديّ، فلمّا نزلوا ببئرمعونة، وهو ماء من مياه بني سُلَيم، وهو بين أرض بني عامر و أرض بني سُلَيم، كلا البلدين يُعدّ منه وهو بناحية المعدن، نزلوا عليها وعسكروا بها، وسرحوا ظهرهم، وقدّموا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفيل، فوثب على حرام فقتله، واستصرخ عليهم بني عامر، فأبوا وقالوا: لا يُخفر جوار أبي بَراء، فاستصرخ عليهم قبائل من سُلَيم عُصَيّة و رِعلاً و ذكوان، فنفروا معه و رأسوه. واستبطأ المسلمون حرامًا فأقبلوا في أثره، فلقيهم القوم فأحاطوا بهم، فكاثروهم فتقاتلوا، فقُتل أصحاب رسول الله ﷺ، و فيهم سُلَيم بن مِلْحان والحكم بن كَيسان في سبعين رجلاً، فلمّا أُحيط بهم قالوا: اللّهمّ إنّا لا نجد من يُبلغ رسولك منّا السّلام غيرك، فاقرئه منّا السّلام. فأخبره جبرائيل عليه السلام بذلك فقال: و عليهم السّلام. وبقي المنذر بن عمرو، فقالوا: إن شئت آمنّاك، فأبى و أتى مَصرَع حرام فقاتلهم حتّى قُتل؛ وكان معهم عمروبن أُميّة الضّمريّ، فقتلوا جميعًا غيره، فقال عامر بن الطُّفيل: قد كان على أُمّي نَسَمَةٌ

فأنتَ حُرٌّ عنها، وجزّ ناصيته . وفقد عمرو بن أُميّة عامر بن فُهَيرة من بين القتلى، فسأل عنه عامر بن الطُّفيل، فقال: قتله رجل من بني كلاب يُقال له: جَبّار بن سُلَميّ، لمّا طعنه قال: فزتُ والله!

وفي «صحيح البخاريّ»: قال أنس: كنّا نسمّيهم القُرّاء، يحطبون بالنّهار ويصلّون باللّيل .

وجاء أكثر تفصيلاً في طبقات ابن سعد، حيث قال: جاء ناس إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلّمونا القرآن والسّنّة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القُرّاء فيهم خالي حرام،كانوا يقرأون القرآن، و يتدارسون باللّيل و يتعلّمون، وكانوا بالنّهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد، و يحتطبون فيبيعونه، و يشترون به الطّعام لأهل الصُّفّة والفقراء، فبعثهم النّبيّ صلى الله عليه وآله إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان...

ومن القُرّاء من لم يشتهر في عداد قُرّاء الصّحابة، مثل:

أ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص .

جاء في «كنز العمّال»: عن عبد الله بن عمرو، قال: جمعت القرآن، فقرأت به في ليلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأه في شهرٍ، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوّتي و شبابي، قال: اقرأه في عشر، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوّتي و شبابي، قال: اقرأه في سبع ليالٍ، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوّتي و شبابي فأبى[1] .

ب و ج ـ ابن أُمّ عبد ـ عبد الله بن مسعود و سالم مولى أبي حُذَيفة .

روي عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خذوا القرآن من أربعة، من ابن أُمّ عبد، و بدأ به و من أُبيّ بن كعب، و من سالم مولى أبي حُذَيفة، و من مُعاذ بن جَبَل .[2]

وهذا الحديث يدلّ على أنّ هؤلاء الأربعة إمّا أن يكون كلّ واحد منهم قد جمع

١ ـ كنز العمّال ٢:٣٥١، الرّقم الحديث ٤٢٢١.

٢ ـ راجع ترجمته في الاستيعاب ١:٣٦٠ و ٢:٥٦٢؛ وأُسد الغابة ٢:٣٠٧؛ والإتقان للسّيوطيّ ١:٧٢.

القرآن عن ظهر قلب، ولاطمئنان الرّسولﷺ بذلك، يهدي المسلمين أن يأخذوا القرآن منهم، أو أن يكون لدى كلّ واحد منهم نسخة كاملة من القرآن الكريم، ودلالة الحديث على الأمر الثّاني أقوى و أهمّ.

د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط: أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و عُثمان بن عَفّان و تميم الدّاريّ و مُعاذ بن جَبَل و أبو الدَّرداء.

لمّا جاء في طبقات ابن سعد[1]، باب ذكر من جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ :

أوّلاً ـ عن محمّد بن سيرين، قال: جمع القرآن على عهد النّبيّﷺ أُبيّ بن كعب و زيد ابن ثابت و عُثمان بن عَفّان و تميم الدّاريّ.[2]

ثانيًا ـ عن عامر الشَّعبيّ، قال: جمع القرآن... [و ذكر كما تقدّم عن ابن سعد الرّقم ١و٢].

ى ـ ثابت بن زيد بن قيس بن زيد الخزرجيّ الحارثيّ، و يكنّى أبا زيد.

أخبرنا أبو زيد الأنصاريّ البَصْريّ النّحويّ، واسمه سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير ابن أبي زيد، قال: وثابت بن زيد بن قَيس هو جدّي، و قد شهد أُحدًا، وهو أحد السّتّة الّذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللهﷺ، وكان قد نزل البصرة واختطّ بها، ثمّ قدم المدينة فمات بها في خلافة عمر بن الخطّاب، فوقف عمر على قبره فقال: رحمك الله أبا زيد، لقد دُفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة.

و موجز الخبر بترجمته في «الإصابة» (١: ٢٢٠) و في «أُسد الغابة» (١: ٢٦٩): و هذا غير أبو زيد الّذي جاء اسمه في رواية أنس والّذي جمع القرآن على عهد النّبيّﷺ اختلفوا في اسمه، و قد رجعنا في ترجمته إلى الإصابة، حيث قال: (أبو زيد) الّذي جمع القرآن ـ وقع في حديث أنس في «صحيح البخاريّ» غير مسمّى، وقال أنس: هو أحد عمومتي، و اختلفوا في اسمه، فقيل: أوس، و قيل: ثابت بن زيد، و قيل: مُعاذ، و قيل: سَعد

---

١ ـ طبقات ابن سعد ٢: ٣٥٥.

٢ ـ محمّد بن سيرين الأنصاريّ، أبوبكر بن أبي عمرة، البَصْريّ، ثقة، ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرّواية بالمعنى، من الثّالثة ـ الطّبقة الوسطى من التّابعين، مات سنة عشر و مائة (تقريب التّهذيب ٢: ١٦٩).

بن عُبَيد، و قيل: قَيْس بن السَّكَن، وهذا هو الرّاجح كما بيّنته في حرف القاف.

وقال في حرف القاف ما موجزه: (قَيْس) بن السَّكَن بن زعوراء، وقيل ابن السَّكَن، وزعوراء قَيْس آخر الأنصاريّ ـ ذكره موسى بن عُقْبة فيمن شهد بدرًا.

وفي «صحيح البخاريّ»: عن أنس في تسمية من جمع القرآن أبو زيد، قال أنس: هو أحد عمومتي، و قد أخرجه أبو نُعَيم في «المستخرج» عن البخاريّ و ابن حبّان وابن السَّكَن وابن مَنْدَه من الوجه الّذي أخرجه منه البخاريّ، و زادوا أنّ اسمه قَيْس بن السَّكَن، وكان من بني عُديّ بن النَّجَّار، و مات ولم يدع عقبًا، قال أنس: فورثناه.

وإنّما قلنا: إنّ أبا زيد الثّاني غير أبي زيد الأوّل، لأنّ الأوّل كان له عقب بالبَصْرة، وتوفّي في خلافة عمر بن الخطّاب وأبو زيد الثّاني، والمستخرج ترجمته من رواية أنس، قال عنه: استشهد ببدر و نحن ورثناه. وهذا الصّحابيّ لم نجد له ذكرًا في روايات أنس، وعلى ذلك يسوغ لنا أن نعدّه من الصّحابة المختلقين. (١٧٧ ـ ١٨٧)

الفصل الرّابع والخمسون

نصّ الشّيخ معرفة (معاصر) في «التَّمهيد في علوم القرآن»

تأليف القرآن

تأليف القرآن في شَكله الحاضر، في نظم آياته و ترتيب سُوَره، وكذلك في تشكيله وتنقيطه و تفصيله إلى أجزاء و مقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فَترة الوحي الأُولى، فقد مرّت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد الرّسالّيّ، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عُثمان، ثمّ إلى عهد الخليل بن أحمد النّحويّ الّذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود...

والبحث الحاضر يكتمل في ثلاث مراحل أساسيّة:

أوّلاً ـ نظم كلمات القرآن بصُورة جمل و تراكيب كلاميّة ضمن الآيات.

ثانيًا ـ تأليف الآيات ضمن السُّوَر قصيرة أم طويلة.

ثالثًا ـ ترتيب السُّوَر بين دفَّتين على صورة مُصْحَف كامل...

١ ـ نظم كلماته

لا شك أنّ العامل في نظم كلمات القرآن وصياغتها جملاً و تراكيب كلاميّة بديعة، هوالوحي السّماويّ المعجز، لم يتدخّل فيه أيّ يد بشريّة إطلاقًا. كما ولم يحدث في هذا النّظم الكلميّ أيّ تغيير أو تحريف عبر العصور ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] إذ

---

١ - الحِجر /٩.

في ذلك يتجسّد سرّ ذلك الإعجاز الخالد الّذي لايزال يتحدّى به القرآن الكريم. ولمزيد التّوضيح نعرض مايلي:

أوّلاً ـ إسناد الكلام إلى متكلّم خاصّ يستدعي أن يكون هو العامل في تنظيم كلماته و تنسيق أُسلوبه التّعبيريّ الخاصّ. أمّا إذا كان هو منتقيًا كلمات مفردة، و جاء آخر فنظمها في أُسلوب كلاميّ خاصّ، فإنّ هذا الكلام ينسب إلى الثّاني لا الأوّل. و هكذا القرآن المجيد هوكلام الله العزيز الحميد، فلا بدّ أن يكون الوحي هوالعامل الوحيد في تنظيم كلماته جملاً و تراكيب كلاميّة بديعة، أمّا نفس الكلمات من غير اعتبار التّركيب والتّأليف فكان العرب يتداولونها ليل نهار، إنّما الإعجاز في نظمها جاء من قبل وحي السّماء.

ثانيًا ـ كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامنًا و راء هذا النّظم البديع و في أُسلوبه هذا التّعبيريّ الرّائع، من تناسب نغميّ مَرِن، وتناسق شعريّ عجيب، وقد تحدّى القرآن فُصحاء العرب و أرباب البيان ـ بصورة عامّة ﴿أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] فلوجوّزنا ـ محالاً ـ إمكان تدخّل يد بشريّة في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال ذاك التّحدّي الصّارخ. و من ثمّ كان ما ينسب إلى ابن مسعود جواز تبديل ﴿الْعِهْنِ﴾ بـ (الصّوف) في الآية الكريمة[2]، أوقراءة أبي بكر: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقّ بالموت)[3] مكذوبًا، أوهو اعتبار شخصيّ لا يتّسم بالقرآنيّة في شيء.

ثالثًا ـ اتّفاق كلمة الأُمّة في جميع أدوار التّاريخ على أنّ النّظم الموجود والأُسلوب القائم في جمل و تراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السّماويّ لا غيره، الأمر الّذي التزم به جميع الطّوائف الإسلاميّة على مختلف نزعاتهم و آرائهم في سائر المواضيع. و مِن ثَمّ لم يتردّد أحد من علماء الأدب والبيان في آية قرآنيّة جاءت مخالفة لقواعد رسموها في أخذ الآية حجّة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها إلى مايلتئم

---

١ ـ الإسراء / ٨٨. تأويل مشكل القرآن (ابن قُتَيبة):١٩.

٢ ـ القارعة / ٥. تفسير الطّبريّ ٢٦:١٠٠.

٣ ـ وفي القرآن الكريم: ﴿ٱلْمَوتِ بِالْحَقِّ﴾ ؛ قٓ / ١٩.

وتركيب الآية. وذلك علمًا منهم بأنّ النّظم الموجود في الآية وحي معروف[١].

و من ذلك أيضًا ما نجده في سورة البقرة فيما يخصّ آيات الامتاع والاعتداد، كان التّشريع الأوّل في المرأة المتوفّى عنها زوجها أن تعتدّ حولاً كاملاً، ولا تخرج من بيت زوجها، وكان ميراثها هوالإنفاق عليها ذلك الحول فقط، والآية الّتي نزلت بهذا الشّأن هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾الآية[٢]. ثمّ نسخ هذا التّشريع بآية الاعتداد أربعة أشهر وعشرًا برقم (٢٣٤) من نفس السُّورة، وبآية المواريث برقم (١٢) من سورة النّساء.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «نسختها ـ أي آية الامتاع ـ آية: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٣]، ونسختها آية المواريث»[٤]. هذا وطبيعة النّسخ تستدعي تأخّر النّاسخ عن المنسوخ، في حين تقدّمه عليه بستّ آيات!.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ...﴾[٥] قيل: إنّها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يعش بعدها سوى بضعة أيّام أو بضعة أسابيع. والآية مثبتة في سورة البقرة في حين أنّها أوّل سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة، ونزلت بعدها نيّف وعشرون سورة. وروي أنّ جبرئيل عليه السلام هوالّذي أشار على النّبيّ صلى الله عليه وآله بأن يضعها موضعها من البقرة، وقد تقدّم ذلك.

وآية الإكمال: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٦].

قال ابن عبّاس: لم ينزل بعدها فريضةٌ، وكذا قال السُّدّيّ والجُبّائيّ والبَلْخيّ[٧]، وروي

---

١ ـ بحار الأنوار، ٩٢: ٦٧.

٢ ـ البقرة /٢٤٠.

٣ ـ البقرة /٢٣٤.

٤ ـ البُرهان، البحرانيّ ٢: ٢٢؛ مستدرك الوسائل ٣: ٢٠.

٥ ـ البقرة /٢٨١.

٦ ـ المائدة /٣.

٧ ـ الدّرّ المنثور ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٩؛ مجمع البيان ٣: ١٥٩.

عن الإمامين الصّادقين عليهما السلام أيضًا[١]. قال ابن عَساكِر والخطيب: إنّها نزلت في غدير خم عند منصرفه صلى الله عليه وآله من حَجّة الوداع بعد ما نصب عليًّا عليه السلام بالولاية، فنزل بها جبرئيل عليه السلام، وفي عبارة السُّدّيّ: لم ينزل بعدها حلال ولاحرام[٢].

هذا وهي مثبتة في سورة المائدة برقم(٣)، وآيات الأحكام بعدها كثيرة، كآية تحليل الطّيّبات والصّيد برقم(٤)، وآية طعام أهل الكتاب برقم (٥)، وآية الوُضُوء برقم (٦)، وآية السّارق برقم (٣٨)، وآية الأيمان برقم (٨٩)، وآية الخمر برقم(٩٠)، وآية تحريم الصّيد برقم (٩٥)، وآية تحريم ما حلّله المُشركون برقم (١٠٣)، وآية الإشهاد على الوصيّة برقم (١٠٧). كلّ ذلك أحكام تشريعيّة سجّلت بعد آية الإكمال في حين أنّها نزلت قبلها قطعًا.

ثمّ ماهي المناسبة لإقحام مثل هذه الآية ضمن آيات تحريم الميتة والدّم ولحم الخنزير؟! وفي ذلك كلام طويل.

ونزلت: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ اَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٣] عندما تحرّج المسلمون من السّعي بين الصّفا والمَروة، ظنًّا منهم أنّ السّعي بينهما شيء صنعه المشركون، تكريمًا لموضعي «أساف» و«نائلة» على هذين الجَبَلَيْن[٤]. فنزلت هذه الآية دفعًا لهذا التّوهُّم الخاطىء، فيستدعي أن يكون نزولها بعد العام السّادس، عام صلح الحُدَيبيّة، حيث تمكّن المسلمون من إقامة فريضة الحجّ، هذا مع العلم بأنّ سورة البقرة هي أوّل سورة نزلت بالمدينة، فلا بدّ أن نزلت بعدها سُوَر وآيات، فتقدّم موضع ثبتها عن وقت نزولها. لا يتسرّب إليه خطأ البتّة، وإنّما الخطأ في فهمهم هم وفيما استنبطوه من قواعد مرسومة.

١ ـ مجمع البيان ٣: ١٥٩.
٢ ـ الدّرّ المنثور ٢: ٢٥٩.
٣ ـ البقرة /١٥٨.
٤ ـ تفسير الطّبريّ ٢: ١٢٣.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[١] فزعموا أنّ الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور بحرف، والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة. ومِن ثَمّ وقع بينهم جدل عريض ودار بينهم كلام في صحّة تلك القاعدة وسقمها[٢]، ولجأ ابن مالك أخيرًا إلى نبذ القاعدة بحجّة أنّها مخالفة للآية، قال:

وسبق حال ما بحرف جرّ قد ... أبوا ولا أمنعه فقد ورد

٢ ـ تأليف الآيات

وأمّا تأليف الآيات ضمن كلّ سورة على التّرتيب الموجود، فهذا قد تحقّق في الأكثر... وفق ترتيب نزولها؛ كانت السّورة تبتدأ بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فتسجّل الآيات الّتي تنزّل بعدها من نفس هذه السُّورة واحدة تِلو أُخرى تدريجيًّا حسب النُّزول، حتّى تنزل بَسْمَلة أُخرى، فيعرف أنّ السُّورة قد انتهت وابتدأت سورة أُخرى.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «كان يعرف انقضاء سورة بنزول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ابتداء لأُخرى»[٣].

قال ابن عبّاس: كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يعرف فصل سورة بنزول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فيعرف أنّ السُّورة قد ختمت وابتدأت سورة أُخرى»[٤].

كان كتبة الوحي يعرفون بوجوب تسجيل الآيات ضمن السُّورة الّتي نزلت بَسْمَلتها، حسب ترتيب نزولها واحدة تِلو أُخرى كما تنزل، من غير حاجة إلى تصريح خاصّ بشأن كلّ آية آية.

هكذا ترتّبت آيات السُّوَر وِفق ترتيب نزولها على عهد الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهذا ما نسمّيه «التّرتيب الطّبيعيّ» وهو العامل الأوّل الأساسيّ للتّرتيب الموجود بين الآيات في

---

١ ـ سبأ /٢٨.

٢ ـ راجع خالد الأزهريّ في شرح التّوضيح، والكشّاف الزّمخشريّ.

٣ ـ تفسير العيّاشيّ ١:١٩.

٤ ـ المستدرك، الحاكم ١: ٢٣١؛ تاريخ اليعقوبيّ ٢:٢٧.

الأكثريّة الغالبة.

والمعروف أنّ مُصْحَف عليّ عليه السلام وضع على دقّة كاملة من هذا التّرتيب الطّبيعيّ للنُّزول، الأمر الّذي تخلّفت عنه مصاحف سائر الصّحابة، على ما سنشير.

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله و تعيينه الخاصّ؛ كان يأمر ـ أحيانًا ـ بثبت آية في موضع خاصّ من سُورة سابقة كانت قد ختمت من قبل. ولا شكّ أنّه صلى الله عليه وآله كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الآية النّازلة والآيات الّتي سبق نزولها، فيأمر بثبتها معها بإذن الله تعالى.

وهذا جانب استثنائيّ للخروج عن ترتيب النُّزول، كان بحاجة إلى تصريح خاصّ؛ روى أحمد في مسنده عن عُثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ...

[وذكر كما تقدّم عن النّهاونديّ، ثمّ ذكر رواية يزيد الفارسيّ عن ابن عبّاس كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١، فقال:]

هذا... وقد نجد تغييرًا موضعيًّا في آية أو آيات على خلاف ترتيبها الطّبيعيّ، في حين عدم نصّ خاصّ بشأن هذا التّغيير. وربّما كانت الآية نزلت فكتبها كاتب، ثمّ نزلت أُخرى فكتبها كاتب آخر في غيبة الأوّل، فسجّلها قبل الأُولى من غير أن يعلم بماسجّله ذاك، فعند الجمع الأخير في حياة الرّسول صلى الله عليه وآله أو بعد وفاته حصل ذلك التّغيير الموضعيّ لعدّة قليلة من الآيات.

وهذا احتمال نحتمله بشأن هكذا آيات خرجت عن التّرتيب الطّبيعيّ، ولم نجد عليها نصًّا خاصًّا. هذا الاحتمال بنفسه كافٍ في عدم إمكان الاستدلال ـ لفحوى آية ـ بسياقها الخاصّ، اللّهمّ إلّا إذا كانت المناسبة واضحة أو علمنا بها من خارج.

من ذلك ما نجده في سُورة الممتحنة؛ تبتدئ هذه السُّورة بآيات (١ـ٩) نزلت في العام الثّامن بعد الهجرة بشأن حاطب بن أبي بَلْتَعَة؛ كان قد كاتب قُريشًا يخبرهم بتأهُّب النّبيّ صلى الله عليه وآله لغزو مكّة، وكان النّبيّ يحاول الإخفاء.

وتتعقّب هذه الآيات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الأسلميّة العام السّادس من الهجرة،

كانت قدأتت النّبيّ ﷺ مسلمة مهاجرة، تاركة زوجها الكافر، فجاء في طلبها، فاستعصمت بالنّبيّ ﷺ، و صادف مجيؤه صلح الحُدَيْبيّة، كان النّبيّ ﷺ عاهد قريشًا أن يردّ عليهم كلّ من يأتيه من مكّة. فأخذالزّوج في محاجّة النّبيّ ﷺ قائلاً: أردد عليّ امرأتي علىٰ ما شرطت لنا وهذه طينة الكتاب لم تجف، فتحرّج النّبيّ ﷺ في أمرها، فنزلت الآيتان.

و بعد هاتين الآيتين آيات نزلت بشأن مبايعة النّساء عام الفتح وهي السّنة التّاسعة من الهجرة!

وأمّا الآية الأخيرة من السُّورة فإنّها ترتبط مع آيات الصّدر تمامًا، و مِن ثمّ قالوا: إنّ دراسة هذه السُّورة تُعطينا خروجًا على النّظم الطّبيعيّ للآيات، من غير ما سبب و هكذا آيات الحجّ نزلت العام السّادس فثبتت في سُورةالبقرة.

و ينتج هذا البحث فيما يأتي ـ على الإجمال ـ عدم إمكان الاستناد في تفسير آية أو فهم فحواها إلى موقعيّتها الخاصّة من آيات سابقة أو لاحقة، إلّا بعد التّأكّد القطعيّ من أصالة التّرتيب الموجود بينها و بين قريناتها في جملة من آيات نزلت دفعةً واحدةً.

٣ـ ترتيب السُّوَر

وأمّا جمع السُّوَر و ترتيبها بصورة مُصْحَف مؤلّف بين دفّتين، فهذا قد حصل بعد وفاة النّبيّ ﷺ انقضى العهد النّبويّ والقرآن منثور على العُسُب واللّخاف[١] والرّقاع و قطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع و بعض الحَرير والقراطيس و في صُدور الرّجال.

كانت السُّوَر مكتملة على عهده ﷺ مرتّبةً آياتها و أسماؤها، غير أنّ جمعها بين دفّتين لم يكن حصل بعد، نظرًا لترقّب نزول قرآن على عهده ﷺ، فمادام لم ينقطع الوحي لم يصحّ تأليف السُّوَر مُصْحَفًا، إلّا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الّذي لم يكن يتحقّق إلّا بانقضاء عهد النُّبوّة واكتمال الوحي.

---

١ ـ العَسيب: جريدة النّخل إذا كشط خوصها، واللّخف: حِجارة بيض رقاق، والأديم: الجلد المدبوغ.

قال جلال الدّين السُّيوطيّ: «كان القرآن كُتِب كلّه في عهد رسول الله ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السُّوَر»[١]. وقال الإمام الصّادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ! القرآن خلف فراشي في الصُّحُف والحَرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه»[٢].

وأوّل من قام بجمع القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ مباشرة، وبوصيّة منه ﷺ هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر. كما قام بجمعه كلّ من ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وأبي موسى الأشعريّ وغيرهم، حتّى انتهى الأمر إلى دور عُثمان، فقام بتوحيد المصاحف، وإرسال نسخ موحّدة إلى أطراف البلاد، وحمل النّاس على قراءتها وترك ما سواها، على ما سنذكر.

كان جمع عليّ عليه السلام وفق ترتيب النّزول؛ المكّيّ مقدّم على المدنيّ، والمنسوخ مقدّم على النّاسخ، مع الإشارة إلى مواقع نزولها ومناسبات النّزول. قال الكلبيّ: «لمّا توفّي رسول الله ﷺ قعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وُجد مُصْحَفه لكان فيه علم كبير»[٣]. وقال عِكرِمة: «لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يُؤَلّفوه كتأليف عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما استطاعوا»[٤].

وأمّا جمع غيره من الصَّحابة فكان على ترتيب آخر؛ قدّموا السُّوَر الطُّوال على القصار، فقد أثبتوا السّبع الطُّوال (البقرة، آل عمران، النّساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال) قبل المئين (براءة، النّحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشُّعراء، الصّافّات) ثمّ المثاني (هي الّتي تقلّ آياتها عن مائة وهي عشرون سورة تقريبًا) ثمّ الحواميم (السُّوَر الّتي افتتحت بحمَ) ثمّ المفصّلات (ذوات الآيات القصار) لكثرة فواصلها، وهي السُّوَر الأخيرة في القرآن... [إلى أن قال:]

---

١ ـ الإتقان ١:٥٧؛ مناهل العِرفان ١:٢٤٠.

٢ ـ بحار الأنوار ٩٢:٤٨ عن تفسير عليّ بن إبراهيم.

٣ ـ التّسهيل لعلوم التّنزيل ١:٤.

٤ ـ الإتقان ١:٥٧.

تمحيص الرّأي المعارض

ما قدّمناه هوالمعروف عن رواة الآثار وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذالصّدر الأوّل فإلى يومنا هذا، و يوشك أن يتّفق عليه كلمة أرباب السِّيَر والتّواريخ، ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذاك التّفصيل في جمع القرآن، ويرى أنّ القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرّسول ﷺ.

وقد ذهب إلى هذا الرّأي جماعة من علماء السّلف كالقاضي وابن الأنباريّ والكَرمانيّ والطيّبيّ، و وافقهم علم الهدى السّيّد المرتضى رحمه الله قال: كان على عهده ﷺ ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

لكن حفظ القرآن هو بمعنى حفظ جميع سُوَره الّتي اكتملت آياتها، سواءً أكان بين السُّوَر ترتيب أم لا. وهكذا ختم القرآن هو بمعنى قراءة جميع سُوَره من غير لحاظ ترتيب خاصّ بينها. أوالحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النّازل لحدّ ذاك والتّحفّظ عليه دون الضّياع والتّفرقة، الأمر الّذي لا يدلّ على وجود ترتيب خاصّ كان بين سُوَره كما هو الآن... [ثمّ ذكر نقض الأُستاذ آية الله الخوئيّ على روايات الجمع، كما تقدّم عنه، فقال:]

وزاد بعضهم: أنّ في المناسبة الموجودة بين كلّ سورة مع سابقتها ولاحقتها لدليلاً على أنّ نظمها وترتيبها كان بأمر الرّسول ﷺ إذ لا يعرف المناسبة بهذا الشّكل المبدع البالغ حدّ الإعجاز غيره ﷺ.

لكن يجب أن يعلم أنّ قضيّة جمع القرآن حدث من أحداث التّاريخ، وليست مسألة عقلانيّة قابلة للبحث والجدل فيها. وعليه فيجب مراجعة النُّصوص التّاريخيّة المستندة، من غير أن يكون مجال لتَجْوال الفكر فيها على أيّة حال!

وقد سبق اتّفاق كلمة المؤرّخين ونُصوص أرباب السّير وأخبار الأُمم، و وافقهم أصحاب الحديث طرًّا، على أنّ ترتيب السُّوَر شيء حصل بعدوفاة الرّسول ﷺ، ولم يكن بالتّرتيب الّذي نزلت عليه السُّوَر.

وبعد فلانرى أيّ مناقضة بين روايات جمع القرآن، إذ لا شكّ أنّ عمر هوالّذي أشار على أبي بكر بجمع القرآن، وهذا الأخيرأمر زيدًا أن يتصدّى القضيّة من قبله، فيصحّ إسناد الجمع الأوّل إلى كلّ من الثّلاثة بهذا الاعتبار.

نعم، نسبة الجمع إلى عُثمان كانت باعتبار توحيده للمصاحف ونسخها في صورة موحّدة، و أمّا نسبة توحيد المصاحف إلى عمر فهو من اشتباه الرّاوي قطعًا، لأنّ الّذي فعل ذلك هو عُثمان بإجماع المؤرّخين.

وحديث ستّة أو أربعة جمعوا القرآن على عهده ﷺ فمعناه الحفظ عن ظهر القلب؛ حفظوا جميع الآيات النّازلة لحدّ ذاك الوقت، أمّا الدّلالة على وجود نظم كان بين سُوَره فلا.

وأمّا حديث التّحدّي فكان بنفس الآيات والسُّوَر، وكلّ آية أو سورة قرآن، ولم يكن التّحدّي يومًا ما بالتّرتيب القائم بين السُّوَر، كي يتوجّه الاستدلال المذكور! على أنّ التّحدّي وقع في سُوَر مكّيّة أيضًا، ولم يجمع القرآن قبل الهجرة قطعيًّا.

واهتمام النّبيّ ﷺ بشأن القرآن شيء لا ينكر، و من ثَمّ كان حريصًا على ثبت الآيات ضمن سُوَرها فور نزولها، وقد حصل النّظم بين آيات كلّ سورة في حياته ﷺ، أمّا الجمع بين السُّوَر و ترتيبها كمُصْحَف موحّد، فلم يحصل حينذاك، نظرًا لترقُّب نزول قرآن عليه، فما لم ينقطع الوحي لا يصحّ جمع القرآن بين دفّتين ككتاب، و من ثمّ لمّا أيقن بانقطاع الوحي بوفاته ﷺ أوصى إلى عليّ عليه السلام بجمعه.

ومعنى تواتُرالنّصّ القرآنيّ هوالقطع بكونه وحيًا، الأمر الّذي يحصل من كلّ مستند وثيق، وليس التّواتُر ـ هنا ـ بمعناه المصطلح عندالأُصوليّين... [إلى أن قال:]

جمع عليّ بن أبي طالب عليه السلام

أوّل من تصدّى لجمع القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ مباشرة و بوصيّة منه[1] هو عليّ بن أبي

١ ـ راجع: تفسير القُمّيّ: ٧٤٥؛ وبحار الأنوار ٤٨:٩٢، ٥٢.

طالب عليه السلام، قعد في بيته مشتغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح و تفاسيرلمواضع مبهمة من الآيات، وبيان أسباب النُّزول و مواقع النّزول بتفصيل حتّى أكمله على هذا النّمط البديع.

قال ابن النّديم ـ بسند يذكره ـ أنّ عليًّا عليه السلام رأى... **[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ نقل قول عِكرِمة و ابن سيرين، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]**

قال ابن جُزَيّ الكلبيّ: كان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله مفرّقًا في الصُّحُف و في صُدور الرِّجال، فلمّا توفّي، جمعه عليّ بن أبي طالب على ترتيب نزوله، ولو وجد مُصْحَفه لكان فيه علمٌ كَبير، و لكنّه لم يوجد[1]... **[ثمّ ذكر رواية الإمام الباقر عليه السلام و قول الشّيخ المفيد كما تقدّم عن المَجلِسيّ]**.

وقال العلّامة البلاغيّ: من المعلوم عند الشّيعة أنّ عليًّا... **[و ذكر كما تقدّم عنه]**.

قال ابن حَجَر: وقد ورد أنّ عليًّا جمع القرآن على ترتيب النّزول عقب موت النّبيّ صلى الله عليه و آله أخرجه ابن أبي داود[2].

قال ابن شهراشوب: و من عجب أمره في هذا الباب أنّه لاشيء من العلوم إلّا و أهله يجعلون عليًّا قُدْوة، فصار قوله قبلة في الشّريعة، فمنه سمع القرآن. ذكر الشّيرازيّ في نزول القرآن عن ابن عبّاس قال: ضمن الله محمّدًا أن يجمع القرآن بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فجمع الله القرآن في قلب عليّ، وجمعه عليّ بعد موت رسول الله بستّة أشهر... **[ثمّ ذكر رواية أبي رافع و أبي العلاء و أبي نُعَيم في الحلية، كما تقدّم عن المَجلِسيّ، ثمّ عقّب وصف مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام كما سيأتي في باب المصاحف...]**.

جمع زيد بن ثابت

كان ذاك الرّفض القاسي لمُصْحَف عليّ عليه السلام يستدعي التّفكير في القيام بمهمّة جمع

---

١ ـ في كتاب «الصّاحبيّ»: ١٦٩ هامش تأويل مشكل القرآن: ٢٧٥.

٢ ـ آلاء الرّحمان ١:١٨؛ الطّبقات ٢:١٠١؛ الاستيعاب ٢:٢٥٣.

القرآن مهما كلّف الأمر، بعد أن أحسّ النّاس بضرورة جمع القرآن في مكان، ولا سيّما كانت وصيّة نبيّهم ﷺ بجمعه لئلّا يضيع، كما ضيّعت اليهود توراتهم[1].

هذا والقرآن هو المرجع الأوّل للتّشريع الإسلاميّ، والأساس الرّكين لبناية صرح الحياة الاجتماعيّة في كافّة شؤونها المختلفة آنذاك، ولا يصحّ أن يبقى مفرّقًا على العُسُب واللِّخاف أو في صُدُور الرِّجال ولا سيّما و قد استحرّ القتل بكثير من حامليه، و يوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامليه، فقد قتل منهم سبعون في واقعة اليَمامة، و في رواية: أربع مائة[2]... [ثمّ ذكر فكرة جمع بعد رسول الله ﷺ وخصوصيّات زيد و رواية البخاريّ في قضيّة مقتل أهل اليَمامة، كما تقدّم نحوه عنه الرّقم ١ و ٢].

منهج زيد في جمع القرآن

قام زيد بتنفيد الفكرة، فجمع القرآن من العُسُب واللِّخاف والأدم والقراطيس، وكانت متفرّقة على أيدي الصَّحابة أو في صُدورهم، وعاونه على ذلك جماعة.

و أوّل عمل قام به: أن وجّه نداء عامًّا إلى ملاء النّاس: «من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به».

و ألّف لَجنةٌ من خمسة وعشرين عضوًا ـ كما جاء في رواية اليعقوبيّ[3] ـ وكان عمر يشرف عليهم بنفسه.

وكان اجتماعهم على باب المسجد يوميًّا، و النّاس يأتونهم بآي القرآن و سُوَره، كلّ حسب ما عنده من القرآن... [ثمّ ذكر شهادة خُزَيْمة و آية الرَّجم وقول عمر فيها، كما تقدّم عن السِّجستانيّ و السّيوطيّ والزّركشيّ...].

ثمّ إنّ زيدًا لم ينظّم سور القرآن، ولم يرتّبهنّ كمُصْحَف، و إنّما جمع القرآن في

---

١ ـ تفسير القمّيّ: ٧٤٥.

٢ ـ القَسْطَلانيّ على البُخاريّ ٤٤٧:٧؛ وفي الطَّبَريّ ٢٩٦:٣ قتل من المهاجرين والأنصار من قصبة المدينة يومئذٍ ثلاثمائة وستّون، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلاثمائة ومن التّابعين ثلاثمائة؛ وفي كتاب أبي بكر إلى خالد: ٣٠٠ «دَم ألف و مأتي رجل من المسلمين لم يجفّف بعد...».

٣ ـ تاريخ اليعقوبيّ ١١٣:٢.

صُحُف، أي أودع الآيات والسُّوَر في صُحُف و جعلها في إضبارة، فكان جمعًا عن التّفرقة والضّياع، و من ثمّ لم يسمّ جمعه مُصْحَفًا ... [ثمّ ذكر قول المَحاسبيّ نقلاً عن السّيوطيّ وقول ابن حَجَر في الفرق بين الصُّحُف والمُصْحَف، كما تقدّم عنهما، فقال:]

وقال أحمد أمين: و في عهد أبي بكر أمر بجمع القرآن، لكن لا في مُصْحَف واحد، بل جمعت الصُّحُف المختلفة الّتي فيها آيات القرآن و سُوَره، و أودعت الصُّحُف الكثيرة الّتي فيها القرآن عند أبي بكر[1].

وقال الزُّرقانيّ: صُحف أبي بكر كانت مرتّبة الآيات دون السُّوَر[2]... [إلى أن قال:]

جاء في نصّ البخاريّ: ووجدت آخر سورة براءة مع أبي خُزَيْمة... و من ثمّ يتساءل البعض: من هو أبو خُزَيْمة؟

قال القَسْطَلانيّ: هو: ابن أوس بن يزيد بن حزام، المشهور بكنيته من غير أن يعرف اسمه[3]. واحتمل ابن حَجَر أنّه الحرث بن خُزَيمة، كما جاء في رواية أبي داود[4].

والصّحيح أنّه من زيادة الرّاوي أو النّاسخ خطأ، و إنّما هو خُزَيْمة من غير إضافة الأب إليه، بدليل أنّ زيدًا قبل شهادته مكان شهادتين، و ليس في الصّحابة من يتّسم بهذه السّمة الخاصّة سواه[5]، و هكذا جزم الإمام بدر الدّين الزّركَشيّ أنّه خُزَيْمة الّذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رَجُلين[6]، و من ثمّ أدرجه في النّصّ هكذا بلا إضافة الأب.[7]

أو يقال: إنّ أبا خُزَيْمَة هو خُزَيْمة بن ثابت، كان يقال له: أبو خُزَيْمَة أيضًا، كما جاء في نصّ ابن أشتة: أبو خُزَيْمة بن ثابت[8].

---

١ ـ فجر الإسلام: ١٩٥.
٢ ـ مناهل العِرْفان ١:٢٥٤.
٣ ـ شرح البخاريّ ٧:٤٤٧.
٤ ـ فتح الباري ٩:١٢.
٥ ـ راجع: ابن سعد في الطّبقات ٢:٩٠.
٦ ـ البرهان ١:٢٣٤.
٧ ـ المصدر :٢٣٩.
٨ ـ الإتقان ١:٥٨.

وفي سائر الرّوايات ـ غير رواية البُخاريّ ـ خُزَيْمة بن ثابت، بلا إضافة الأب[١]، و من ثمّ رجّحنا خطأ النّسخة.

وسؤال آخر: ماذا كان يعني بالشّاهدين في جعلهما شرط قبول النّصّ القرآنيّ؟ كماجاء في نصّ ابن داود بإسناد معتبر، و تلقّته أئمّة الفنّ بالقبول[٢].

[ثمّ ذكر قول ابن حَجَر والسَّخاويّ وأبي شامَة والسُّيوطيّ، كما تقدّم عن السُّيوطيّ، فقال:]

قلت: المراد أنّ شاهدين عدلين ـ أحدهما الّذي أتى بالآية وعدل آخر يشهدان بسماعهما قرآنًا من النّبيّ ﷺ، بدليل قبول شهادة خُزَيْمَة بن ثابت الّذي جاء بآخر سُورة براءة مكان شهادة رَجُلين. وهكذا جاء في نصّ ابن أشتة... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ].

شكوك واعتراضات

يقول بلاشير: لماذا اختار أبو بكر لهذه المُهمّة الخطيرة مثل زيد وهو شابّ حدث لم يتجاوز العشرين، في حين وجود ذوي الكفاءات من كبارالصَّحابة؟ ولنفرض عُكُورة المورد حالت دون اللّجوء إلى شخصيّة كبيرة مثل عليّ بن أبي طالب، فلماذا أغفلوا سائر فضلاء الصَّحابة ممّن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن و صحبة الرّسول؟ وهل إنّ واقعة اليَمامة أطاحت بجميع قُرّاء الصَّحابة القدامىٰ، ولم يبق سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن؟ الأمر الّذي يثير شكوكنا في القضيّة ولانكاد نصدّق بأنّ زيدًا هوالّذي جمع القرآن...

أضف إلى ذلك أنّ التّاريخ لم يحدّد بالضّبط بدء قيامه بهذا العمل، و متى انتهى منه؟ فلو صحّ أنّه قام بجمع القرآن بعد واقعة اليَمامة، لكان بقي من عمر أبي بكر خمسة عشر شهرًا، وهذه فترة تضيق بإنجاز هكذا عمل خطير، الّذي يتطلّب جهودًا واسعة لجمع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات أو سُوَر، وكانوا قد انتشروا في البلاد، فإنّ

---

١ ـ راجع: الدّرّ المنثور ٣:٢٩٦.

٢ ـ راجع الإتقان ١:٥٨.

هذا وذاك يتطلّبان وقتًا أوسع وأعوانًا كثيرين، ممّا لا يمكن إنجازه في تلك المدّة القصيرة.

هذا والرّواية تقول: إنّ زيدًا جمع القرآن في صُحُف و أودعها عند أبي بكر، ثمّ صارت عند عمر، ثمّ ورثتها ابنته حَفْصَة!

فإذا كانت الغاية من جمع القرآن هي ملاحظة المصلحة العامّة، كما ينبّه على ذلك أنّ ورثة أبي بكر، لم يختصّوا بتلك الصُّحُف، وإنّما انتقلت إلى عمر، الخليفة بعده. فلماذا خصّصها عمر بابنته حَفْصة، ولم يجعلها في متناول المسلمين عامّة؟ كما أنّه لم صارت الصُّحُف وديعة اختصاصيّة عند أبي بكر من غير أن تجعل في مكان هو معرض عامّ؟

وهكذا اعترض المستشرق «شفالي» على قضيّة جمع زيد للقرآن. والّذي يستنتجه «بلاشير» من شكوكه هذه أنّ كبار الصّحابة هم الّذين قاموا بجمع القرآن بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وآله، و رتّبوه و رتّبوا سُوَره، الأمر الّذي كانت وظيفة الخلافة الإسلاميّة أن تقوم به ولكنّها غفلت عنه. و ربّما أدّت هذه الغفلة إلى الطّعن في القائمين بإعضادها، و من ثمّ أوعزت إلى شابّ حدث لا يتّهموه أن ينسخ عن بعض مصاحف الصّحابة مُصْحَفًا يمتاز به الخليفة أيضًا، أمّا أصل القيام بجمع القرآن فلا.[1]

قلت: إذا كانت شرائط إنجازعمل ـ مهما كان ضخمًا ـ متوفّرة، و في المتناول القريب، فإنّ إنجازه يتحقّق في أقرب وقت ممكن، ولا سيّما إذا كان العمل فوتيًا يحاول المتصدّون إنجازه في أقرب فرصة ممكنة. وهكذا كانت قضيّة جمع القرآن في الصّدر الأوّل.

أمّا المصادر الأوّليّة فكانت متوفّرة في نفس المدينة، محفوظة على أيدي الصّحابة الأُمناء، وكان حملة القرآن و حفظته موجودين لايفارقون مسجد سيّدهم، الّذي ارتحل من بينهم في عهد قريب، ليل نهار، والاتّصال بهم سهل التّناول، لا سيّما و سُوَر القرآن كانت مكتملة، و بقي جمعها في مكان لا أكثر، إذن فقد كانت الأسباب مؤاتية والظّروف

---

١ ـ مترجم و ملخّص عن مجلّة «خواندنيها» الفارسيّة في سنتها الثّامنة، العدد: ٤٤ بتاريخ ١٣ بهمن ١٣٢٦هـ. ش طهران.

مساعدة. أضف إليها أنّ السّلطة ـ و بيدها القدرة ـ إذا حاولت إنجاز هكذا عمل متهيّى ء الأسباب، فإنّه لا يستدعي طولاً في مدّة العمل بعدتوفّر هذه الشُّروط.

هذا وزيد لم يعمل سوى جمع القرآن في مكان وحفظه عن الضّياع والانبثاث، و لم يعمل فيه نظمًا ولا ترتيبًا ولا أيّ عمل فكريّ آخر، فإنّ هكذا عمل بسيط لا يتطلّب جهودًا طويلة ولا فراغًا واسعًا.

نعم، كانت الغاية من ذلك هي مراعاة المصلحة العامّة؛ حفظ القرآن عن الضّياع، الأمر الّذي تحقّق بإيداع الصُّحُف المشتملة على تمام القرآن في مكان أمين. ولم يكن يومذاك احتياج إلى مراجعة تلك الصُّحُف بعد أن كان حفظة القرآن و حاملوه منتشرين بين أظهر النّاس بكثرة، والنّاس يومذاك حافظون لجلّ آيات ترتبط والحياة المعيشيّة والسّياسيّة وما أشبه.

هذا و في أواخر عهد عمر أصبحت نسخ المصاحف المحتوية على جميع آي القرآن وسُوَره كثيرة، و مجموعة على أيدي كبار الصّحابة الموثوق بهم، رأى أنّ الحاجة العامّة إلى تلك الصُّحُف المودعة عنده هبطت إلى درجة نازلة جدًّا، و من ثمّ تملّكها هو، ولم تعد الحاجة إليها سوى في دور توحيد المصاحف على عهد عُثمان.

جدارة زيد الخاصّة!

وأمّا قضيّة اختيار مثل زيد لهكذا عمل خطير... [ثمّ ذكر قول الزُّرقانيّ كما تقدّم عنه، فقال:]

تلك نعوت ثمانية عدّدها الزُّرقانيّ، زعمها متوفّرة في زيد وحده، لم تجتمع جميعًا في غيره من صحابة الرّسول ﷺ الموجودين آنذاك...! هذا ما لا نكاد نصدّقه بتاتًا...!

إنّا نعلم أنّ الّذين جمعواالقرآن كلّه وحفظوه على عهد رسول الله ﷺ، و قد كان أمر النّاس بالرّجوع إليهم واستقراء القرآن منهم ـ على ما جاء في صحيح البُخاريّ و غيره ـ أربعة، ليس فيهم زيد، هم: عبد الله بن مسعود. وأُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل، و سالم

مولى حُذَيْفة[١].

وكانوا على وفرة من سائر النّعوت الّتي ذكرها الزُّرقانيّ، فلماذا لم يختر أبو بكر واحدًا من هؤلاء؟!

أمّا الّذي شهد العَرْضَة الأخيرة فهو ابن مسعود، ولم يكن زيدًا...! قال ابن عبّاس كان القرآن يعرض على رسول الله ﷺ في كلّ رمضان مرّة إلّا العام الّذي قبض فيه، فإنّه عرض عليه مرّتين، و قد حضره عبد الله بن مسعود، فشهد ما نسخ و بدّل[٢].

هذا وسابقة ابن مسعود بالقرآن و بعناية الرّسول ﷺ الّذي كان يعلّمه القرآن من فيه معروفة[٣].

وكان أُبيّ بن كعب أقرأ أصحاب النّبيّ ﷺ و قد أمره الله أن يعرض القرآن كلّه على أُبيّ[٤]، وكان معروفًا بسيّد القُرّاء[٥].

وكذلك مُعاذ بن جَبَل الّذي قال الرّسول ﷺ في حقّه: هو إمام العلماء رتبةً ـ أي اعتلاء ـ و خلّفه في أهل مكّة يفقّههم ويقرئهم القرآن[٦].

الأمر الّذي يجعل من زيد مَعُوزًا كفاءة سائر الصّحابة الكبار! كما أنّ قضيّة كتابته للوحي كانت عند فقد الآخرين؛ قال ابن عبدالبِرّ: كان النّبيّ ﷺ إذا لم يكن أُبيّ بن كعب حاضرًا دعا زيدًا ليكتب له[٧]، هذا ولم يأت الزُّرقانيّ لمّا ذكره من نعوت خاصّة بمستند!

نعم، كان الّذي يختصّ به زيد دون سائر رجالات الأصحاب هو امتيازه بصفة جاءت الإشارة إليها في نصّ البُخاريّ: «إنّك شابّ عاقل! ولا نتّهمك»! كان ذا نزعة متلائمة مع أهداف السّلطة القائمة، و قد أبدى ذلك يوم السّقيفة، وقف موقف المدافع

١ ـ البُخاريّ ٥:٣٤ و٦:٢٢٩.

٢ ـ طبقات ابن سعد ٢:٣٤٢.

٣ ـ راجع البُخاريّ ٥:٣٥ و٦: ٢٢٩ ـ ٢٣٠؛ والطّبقات ٢:٢٥٥؛ ومستدرك الحاكم ٢:٢٢٠.

٤ ـ راجع البُخاريّ ٦:٢٣٠؛ والطّبقات ٢:٣٤١.

٥ ـ تهذيب التّهذيب ١:١٨٧.

٦ ـ راجع الطّبقات ٢:٣٤٧ ـ ٣٤٨.

٧ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١:٢٩؛ وأُسد الغابة ١:٥٠.

الحادّ، دون المهاجرين، وهو أنصاريّ قائلاً: **إنّ رسول الله ﷺ كان من المُهاجرين وكنّا أنصاره، وإنّما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره فانبسط وجه أبي بكر لهذا** الكلام المبتكر وجزاه خيرًا، قال: جزاكم الله **خيرًا من حيّ يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم** ـ يعني زيدًا ـ والله لو قلتم غير هذا ما صالحناكم...[١]

ولم ينس له أبو بكر هذا الموقف الخطير، ومن ثمّ انتدبه لجمع القرآن، معتمدًا عليه كلّ الاعتماد، من غير أن يتّهمه في عقله الّذي كان يرى مجرى الرّياح من أين تهب! أو أن يشكّ في اتّجاه سلوكه الانتهازيّ. وقال له يومًا معجبًا به: **وأنت عندنا كلّنا أمين**[٢]، هذا والحديث ذو شُجُون. (٢٠٩ ـ ٢٤٥)

١ ـ تهذيب ابن عساكر ٥: ٤٤٤ ـ ٤٤٦.

٢ ـ نفس المصدر.

الفصل الخامس والخمسون

نصّ أبي شهبة (معاصر) في «المدخل لدراسة القرآن»

جمع القرآن و تاريخه

جمع القرآن يطلق تارةً و يراد به حفظه و تقييده في الصُّدور، و يُطلق تارةً و يراد به كَتابته في الصُّحُف والسُّطور، وجمع القرآن بهذا المعنى الثّاني مرّ بأطوار ثلاثة.

١ ـ جمعه في عهد النّبيّ ﷺ.

٢ ـ جمعه في عهد الخليفة الأوّل أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.

٣ ـ جمعه في عهد الخليفة الثّالث عُثمان بن عَفّان رضي الله عنه.

وسنتكلّم عن كلّ جمع منها مبيّنين خصائصه ومميّزاته والأسباب الباعثة عليه.

جمع القرآن بمعنى حفظه في الصُّدُور

كان النّبيّ ﷺ ينزل عليه القرآن الكريم فيقرؤه على صحابته على تُؤَدَة و تَمَهُّل، كي يحفظوا لفظه و يفقهوا معناه. وكان النّبيّ ﷺ شديد العناية بحفظ القرآن و تلقّفه حتّى بلغ من شدّة عنايته به و حرصه عليه أنّه كان يحرّك به لسانه، و يعالجه أشدّ المعالجة حتّى كان يجد من ذلك شدّة، يقصد بذلك استعجال حفظ القرآن خشية أن تَفْلَت منه كلمة أو يضيع منه حرف، و ما زال كذلك حتّى طمأنه ربّه و وعده أن يحفظه له في صدره و أن يقرئه لفظه و يفهمه معناه، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذَا

قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١] وكان من دواعي حفظ القرآن وتثبيته في قلب النّبيّ (صلوات الله عليه) معارضة جبريل عليه السلام إيّاه بالقرآن في رمضان من كلّ عام حتّى كان العام الّذي توفّي فيه الرّسول فعارضه مرّتين، وفهم النّبيّ من ذلك قرب انتهاء أجله، وكان القرآن شغل النّبيّ الشّاغل في سرّه وعلانيّته، وفي حَضَره وسَفَره، وفي وحدته وبين صحابته، وفي عُسره ويُسره، ومَنشَطه ومَكرَهه، لا يغيب عن قلبه، ولا يألو جهدًا في الائتمار بأوامره ونواهيه، والاعتبار بمواعظه وقصصه، والتّأدّب بآدابه وأخلاقه، وتبليغه إلى النّاس كافّة، فمن ثمّ كان النّبيّ (صلوات الله وسلامه عليه) مرجع المسلمين في حفظ القرآن وفهمه، والوقوف على أسراره ومراميه.

وأمّا الصّحابة (رضوان الله عليهم) فقد جعلوا القرآن في المحلّ الأوّل، يتنافسون في حفظ لفظه، ويتسابقون في فهم معناه، وجعلوه مَسْلاتهم في فراغهم ومتعبّدهم في ليلهم، حتّى لقد كان يسمع لهم بقراءته دَويّ كدَويّ النّحل ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢] ولقد وصفهم واصف فقال: «كانوا رُهبانًا باللّيل، فُرسانًا بالنّهار» وكان اعتمادهم في الحفظ على التّلقّي والسّماع من الرّسول، وما كانوا يعتمدون في حفظه على النّقل من الصُّحُف والسُّطور.

ومن خصائص هذه الأُمّة حفظها لكتاب ربّها وهوالقرآن، ففي الحديث الّذي رواه مسلم: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال:«إنّ ربّي قال لي: قُم في قُريش فأنذرهم، قلت... [وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ قال:]

فلا عجب والحال كما سمعت أن حفظ القرآن جمّ غفير من الصّحابة، منهم: الخلفاء الأربعة، وحُذَيفة، وسالم مولى أبي حُذَيفة، وابن مسعود. وأبو هُرَيْرة، وابن عبّاس، وابن الزُّبَير، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه وغيرهم من المهاجرين، ومن الأنصار: أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومُعاذ بن جَبَل، وأبو الدَّرداء، وأبو زيد. ومهما

---

١ ـ القيامة /١٦ـ١٩.

٢ ـ الذّاريات /١٧ ـ ١٨.

يكن من شيء فقد حفظ القرآن الكثيرون من الصَّحابة في عهد النَّبيّ، ولقد روي أنّه قتل في يوم بئر معونة سبعون من القُرّاء.

ولكن يشكل على ما ذكرنا ما رواه البُخاريّ في صحيحه عن أنس بن مالك قال: مات النّبيّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة...[إلى أن قال:]

عن أنس: أنّ أبا زيد الّذي جمع القرآن اسمه قيس بن سَكَن...[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]

والحقّ أن لا إشكال، لأنّ مراد أنس الحصر الإضافيّ لا الحقيقيّ حتّى يشكل الأمر، إذ لايتمّ له الحصر الحقيقيّ إلّا إذا كان أنس لقي كلّ الصَّحابة وسألهم واحدًا واحدًا حتّى يتمّ له الاستقراء، وهذا أمر مستبعد في العادة، و يدلّ أيضًا على أنّ أنس لم يقصد القصر الحقيقيّ أنّه سأله قَتادة عمّن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن البُخاريّ ثمّ قال:]

فقد ذكر في هذه الرّواية «أُبيّ بن كعب» بدل «أبي الدَّرداء» زد على هذا ما استفاض من أنّ الّذين حفظوا القرآن على عهد الرّسول كثيرون غير هؤلاء، منهم الخلفاء الأربعة...

وقد أجاب العلماء السّابقون (أثابهم الله) على حديث أنس، فمن قائل: لم يجمع القرآن غير هؤلاء الأربعة تلقينًا من الرّسول، أمّا غيرهم فأخذوا بعضه بالتّلقين وبعضه بالواسطة.

ومن قائل: إنّ المراد بالجمع الكتابة.

ومن قائل: لم يجمعه بجميع حروفه وقراءاته غير هؤلاء، إلى غير ذلك من التّأويلات.

والحقّ ما ذهب إليه الحافظ ابن حَجَر في «الفتح» من أنّ ذلك بالنّسبة إلى الخزرج دون الأوس، فلاينافي أنّ الكثيرين غيرهم من المهاجرين قد حفظوه. قال الحافظ: «وفي غالب هذه الاحتمالات تكلّف...[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النّبيّ ﷺ

لم يكتف النّبيّ ﷺ بحفظ القرآن وإقرائه لأصحابه وحفظهم له، بل جمع إلى ذلك كتابته و تقييده في السُّطور، وكان للنّبيّ كُتّاب يكتبون الوحي، منهم: أبو بكر، وعمر، وعُثمان، وعليّ، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد ومُعاوية بن أبي سُفيان، وزيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب وغيرهم، فكان إذا نزل على النّبيّ من الوحي شيء دعا بعض من يكتب، فيأمره بكتابة ما نزل، وإرشاده إلى موضعه وكيفيّة كتابته على حسب ما كان يرشده إليه أمين الوحي جبريل؛ روي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: «ضعوا هذه السّورة في الموضع الّذي يذكر فيه كذا وكذا» [إلى أن قال:]

وأمّا الصّحابة فقد كان بعضهم لا يكتب القرآن، اعتمادًا على الحفظ وسيلان الأذهان، كما هو شأن العرب في حفظ شعرها ونثرها وأنسابها، وبعضهم كان يكتب ولكن كان مفرّقًا، وكان بعض الصَّحابة لا يقصرون فيما يكتبونه على ما ثبت بالتّواتُر، بل كانوا يكتبون المنسوخ تلاوة وبعض تفسيرات وتأويلات لمعانيه، وذلك كما فعل ابن مسعود وأُبيّ وغيرهما [إلى أن قال:]

وعلى ما هو عليه اليوم والسّبب الباعث على كتابته في عهد النّبيّ ﷺ:

١ ـ معاضدة المكتوب للمحفوظ، لتتوفّر للقرآن كلّ عوامل الحفظ والبقاء، ولذا كان المعوّل عليه عند الجمع الحفظ والكتابة.

٢ ـ تبليغ الوحي على الوجه الأكمل، لأنّ الاعتماد على حفظ الصَّحابة فحسب غير كافٍ، لأنّهم عُرضة للنّسيان أو الموت، أمّا الكتابة فباقية لا تزول، وإنّما لم يجمع النّبيّ ﷺ القرآن في مكان واحد لما يأتي:

ألف ـ ما كان يترقّبه النّبيّ من تتابع نزول الوحي ونزول بعض آيات ناسخة لبعض أحكامه وألفاظه.

ب ـ ترتيب آيات القرآن وسُوَره لم يكن على حسب النّزول، بل كان على حسب

تناسب الآي و ترابطها، و قد تنزّل الآية أو السُّورة بعد الآية أو السُّورة و تكون في ترتيب الكتابة قبلها.

فلو كتب النّبيّ ﷺ القرآن كلّه في مكان واحد ـ والشّأن كما ذكرنا ـ لكان عرضة للتّغيير والإزالة والكَشْط والمحو، وقد تكون كتابته في موضع واحد متعذّرة إن لم تكن مستحيلة في كتاب نزل منجّمًا في بضع و عشرين سنة، فلمّا انقضى الوحي بوفاة النّبيّ ﷺ و أمن النّسخ و عرف التّرتيب، ألهم الله سبحانه الخلفاء الرّاشدين، فقاموا بجمع القرآن في الصُّحُف كما حدث في عهد الصّدّيق رضي الله عنه وفي المصاحف كما حدث في عهد عُثمان رضي الله عنه.

وهكذا نرى أنّ كتابته مفرّقًا في العهد النّبويّ ضرورة لا محيص عنها.

جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

[بعد أن ذكر بإيجاز محاربة أهل الرِّدَّة و قصّة حرب اليَمامة في خلافة أبي بكر، واقتراح عمر لجمع القرآن، كما تقدّم نحوه سابقًا في مواضع متعدّدة، قال:]

ما رواه البخاريّ في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة... **[وذكركما تقدّم عنه، ثمّ نقل رواية هِشام بن عُروة و قول ابن حَجَر والسَّخاويّ كما تقدّم عن السُّيوطيّ، فقال:]**

وفي رواية أُخرى مع خُزَيمة أو أبي خُزَيْمة بالشّكّ، والأُولى هي المعتمدة... **[إلى أن قال:]**

والسّبب الباعث على كتابته في عهد أبي بكر خوف ضياع شيء منه بموت الكثير من القُرّاء والحُفّاظ في الحروب، وقد يكون عند أحدهم شيء من القرآن المكتوب يضيع بموته، وقد سمعت آنفًا أنّ الاعتماد في الجمع كان على الحفظ والكتابة، ولذلك كانت العناية بالغة بالصُّحُف الّتي جمعت في عهد أبي بكر فكانت عنده حتّى توفّاه الله، ثمّ عند عمر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند حَفْصَة حتّى طلبها منها عُثمان رضي الله عنه في الجمع الثّالث.

ولا يعارض هذا ما أخرجه ابن أبي داود من طريق ابن سيرين قال:... **[و ذكر كما**

تقدّم عنه، ثمّ نقل قول ابن حَجَر ورواية عبد خير بسند حسن، كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: وعلى فرض صحّة ما روي عن سيّدنا عليّ، وأنّ المراد بالجمع الكتابة لا يعارض الثّابت المشهور من أنّ أبابكر هو أوّل من جمع القرآن، إذ ليس في رواية ابن سيرين التّصريح بالأوّليّة، بل الّذي صحّ عن عليّ خلافها، وغاية ما تدلّ عليه أنّه سارع إلى كتابة القرآن، فهو كغيره من الصّحابة الّذين عَنوا بكتابة مصاحف لأنفسهم خاصّة، ولم تكن لهذه المصاحف من الثّقة بها والإجماع عليها والقبول لها مثل ما لمُصْحَف أبي بكر، فجمع الصّديق أبي بكر بهذه الاعتبارات يعتبر بحقّ أوّل جمع.

وقد امتاز الجمع في عهد أبي بكر بما يأتي:

١ـ أنّه اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته وجرّده من كلّ ما ليس بقرآن.

٢ـ أنّه لم يقبل فيه إلّا ما أجمع الجميع على أنّه قرآن وتواترت روايته، وأمّا ما روي عن زيد في آخر سورة براءة فقد علمت المراد منه.

٣ـ أنّه كان مكتوبًا بجميع الأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن.

٤ـ أنّه كان مرتّب الآيات على الوضع الّذي نقرؤه اليوم، ولم يكن مرتّب السُّوَر، فكانت كلّ سورة مستقلّة في الكتابة بنفسها في صُحُف، ثمّ جمعت هذه الصُّحُف وشُدَّت بعضها إلى بعض.

وممّا ينبغي أن يعلم أنّ الجمع بهذه الدّقّة الفائقة والتّثبّت البالغ والاشتمال على هذه المميّزات لم يكن لغير صُحُف أبي بكر ﵁ فهي النّسخة الأصليّة الموثوق بها الّتي يجب الاعتماد عليها، نعم، قد كانت هناك صُحُف ومصاحف لبعض الصّحابة كتبوا فيها القرآن، إلّا أنّها لم تحظ بما حظيت به صُحُف أبي بكر من الدّقّة والميّزات، فبعض الصّحابة كان يكتب المنسوخ، وما ثبت برواية الآحاد، وبعض تفسيرات وتأويلات لآية وبعض أدعية ومأثورات. فكن على ذكر من هذا، فإنّه سيفيدنا في إزالة إشكال بعض الرّوايات الواردة عن بعض أصحاب هذه المصاحف، والّتي اتّخذ منها بعض المارقين وسيلة للطّعن في القرآن الكريم.

جمع القرآن في عهد عُثمان ﷺ

لمّا كان عهد عُثمان ﷺ و تفرّق الصَّحابة في البُلدان، و حمل كلّ منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله ﷺ و قد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند غيره، اختلف النّاس في القراءات، و صار كلّ قارئ ينتصر لقراءته، و يخطىء قراءة غيره، و عظم الأمر، واشتدّ الخلاف، فأفزع ذلك عُثمان ﷺ وخشي عواقب هذا الاختلاف السّيّئة في التّقليل من الثّقة بالقرآن الكريم وقراءته الثّابتة، و هو أساس عُروة المسلمين، و رمز وحدتهم الكُبرىٰ... [ثمّ ذكر رواية أبي قِلابة كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ۳، فقال:]

وقد تحقّق ظنّه لمّا جاء حُذَيْفة بن اليَمان و أخبره بما وقع بين أهل الشّام والعراق من الاختلاف في القراءة في غزوة أرمينيّة، فهاله الأمر، و تشاور هو والصّحابة فيما ينبغي، فرأى و رأوا معه أن يجمع النّاس على مُصْحَف واحد، لا يتأتّى فيه اختلاف ولا تنازع، فأرسل إلى حَفصَة (رضي الله عنها) أن أرسلي إلينا بالصُّحُف الّتي كتبت في عهد أبي بكر، ثمّ انتقلت بعد موته إلى عمر، ثمّ بعد عمر إلى حَفْصَة، لتكون أساسًا في جمع القرآن، جمعًا يقلّل من الاختلاف والتّنازع، ثمّ عهد عُثمان إلى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبَير و ابن العاص وعبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام أن ينسخوا الصُّحُف في مصاحف، وقال للرّهط القُرشيّين: إذا اختلفتم أنتم و زيد فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، فقاموا بمهمّتهم خير قيام، و كتبوا المصاحف مرتّبةً السُّوَر على الوجه المعروف اليوم، فلمّا انتهوا أرسل عُثمان إلى كلّ مصر من الأمصار المشهورة بمُصْحَف، ليجتمع النّاس في القُرّاء عليه تلافيًا لما حدث في ذلك الوقت من الاختلاف والتّنازع، و أمر بما سواها من المصاحف أن يحرق أو يخرق، وبذلك وفّق الله عُثمان والصَّحابة إلى هذا العمل الجليل، ثمّ ردّ الصُّحُف إلى حَفْصَة، فبقيت عندها إلى أن توفّيت، فأرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر عقب انصرافه من جنازتها أن يرسل إليه هذه الصُّحُف، فأرسلها إليه، فأمر بها مروان، فشقّقت، و في رواية أنّه أمر بها فغسلت، وفي رواية أُخرى أنّه حرّقها[1]، وقال: إنّما فعلت

---

۱ ـ لا تنافي بين الرّوايات لجواز أن تكون غسلت أوّلاً ثمّ شقّقت ثانيًا ثمّ حرّقت ثالثًا.

هذا لأنّي خشيت أن طال بالنّاس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصُّحُف مُرتاب، وكانت وفاتها (رضي الله عنها) عام واحد وأربعين، وقيل: عاشت إلى سنة خمس وأربعين.

يدلّ على ذلك ما رواه البُخاريّ في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: إنّ حُذيفة بن اليَمان قدم... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤، ثمّ قال:]

وكان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين، وهوالوقت الّذي ذكر أهل التّاريخ أنّ أرمينيّة فتحت فيه [إلى أن قال:]

كتابة المُصْحَف مَكْرُمة لعُثمان: وقد اتّخذ بعض المغرضين من أمر عُثمان بتحريق ما عدا المصاحف الّتي كتبها ووجّه بها إلى الآفاق ذريعة للطّعن فيه، مع أنّه لم يفعل ما فعل إلّا بموافقة من الصَّحابة... [ثمّ ذكر روايتين عن سُوَيد بن غَفَلَة، أحدهما: عن القُرطُبيّ، وثانيهما: عن ابن أبي داود كما تقدّم عنهما ثمّ تساءل قائلاً:]

هل يجوز حَرْق كُتُب العلم ونحوها؟

وقد أخذ العُلماء من أمر عُثمان رضي الله عنه بتحريق الصُّحُف والمصاحف الأُخرى ـ حين جمع القرآن في المصاحف المعتمدة ـ جواز تحريق المصاحف البالية والكتب الّتي يذكر فيها اسم الله تعالى، وإنّ في ذلك إكرامًا لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وكان طاووس يحرق الصُّحُف إذا اجتمعت عنده وفيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وحرّق عُرْوَة بن الزُّبَير كتب فقه كانت عنده يوم الحَرّة.

السّبب الباعث على جمع عُثمان

وقد تبيّن ممّا ذكرنا أنّ السّبب الباعث على جمع عُثمان هو رفع الاختلاف والتّنازع في القرآن وقطع المراء فيه، وذلك بجمع النّاس على القراءة بحرف واحد وهو لُغة قُريش، وأمّا قبله فكانت الصُّحُف مكتوبة بالأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن وما تحتمله من قراءات، وقد وفّق الله عُثمان لهذا العمل الجليل الّذي رفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأُمّة، فرضي الله عنه وأرضاه.

ويعجبني في هذا ما قاله الحارث المَحاسبيّ:... [و ذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ].

ما امتاز به الجمع في عهد عُثمان

وقد امتاز الجمع في عهد عُثمان بما يأتي:

١ ـ الاقتصار فيه على حرف واحد وهو حرف قُريش.

٢ ـ الاقتصار فيه على ما ثبت بالتّواتُر و ما استقرّ عليه الأمر في العَرْضَة الأخيرة، ولم يكتبوا ما ثبت بطريق الآحاد ولا منسوخ التّلاوة.

٣ ـ ترتيب آياته وسُوَره على الوجه المعروف اليوم.

٤ ـ تجريده من النَّقط والشَّكل و من كلّ ما ليس بقرآن، بخلاف ما كان مكتوبًا عند بعض الصَّحابة، فقد كان فيه بعض تأويلات و تفسيرات لبعض ألفاظه.

عدد المصاحف العُثمانية

وقد اختلف في عدد المصاحف الّتي كتبت في عهد عُثمان و وجّه بها إلى الأمصار، فقيل: ستّة، وقيل: أكثر من ذلك، و قال القُرطبيّ في تفسيره: «قيل: سبعة، و قيل: أربعة وهو الأكثر، ووجّه بها إلى الآفاق، فوجّه للعراق والشّام ومصر بأُمّهات، فاتّخذها قُرّاء الأمصار معتمد اختياراتهم، ولم يخالف أحد منهم في مُصْحَفه على النّحو الّذي بلغه، وما وجد بين هؤلاء القُرّاءالسّبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم، فذلك لأنّ كلًّا منهم اعتمد على ما بلغه في مُصْحَفه و رواه، إذ كان عُثمان كتب هذه المواضع في بعض النّسخ ولم يكتبها في بعض، إشعارًا بأنّ كلّ ذلك صحيح، و أنّ القراءة بكلّ منها جائزة». والّذي ذكره الشّاطِبيّ أنّها ثمانية: خمسة متّفق عليها، وثلاثة مختلف فيها، و مراده بالخمسة الكوفيّ والبَصْريّ والشّاميّ والمدنيّ العامّ والمدنيّ الخاصّ الّذي حبسه لنفسه، وهو المسمّى بالإمام، وبالثّلاثة المكّيّ ومُصْحَف البَحْرين واليمن، و قيل: إنّ مصر سُيّر إليها بمُصْحَف أيضًا والّذي تميل إليه النّفس أن يكون عُثمان أرسل بمُصْحَف إلى كلّ مصر من الأمصار الإسلاميّة المشهورة، لتكون مرجعًا يرجع إليه عند الاختلاف.

الاعتماد في القرآن على التّلقّي الشّفاهيّ لا على المكتوب

ولمّا كان المعوّل عليه في تلقّي القرآن هو الأخذ بالرّواية والمشافهة لا على المكتوب في المصاحف، فقد أمر أو أرسل سيّدنا عُثمان مع هذه المصاحف من يقرىء المسلمين بما فيها، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدنيّ، وبعث عبد الله بن السّائب مع المكّيّ، والمغيرة بن شِهاب المخزوميّ مع الشّاميّ، وأبا عبد الرّحمان السُّلَميّ مع الكوفيّ، و عامر بن عبد القَيس مع البَصْريّ وهكذا، وقد أجمع أهل كلّ مصر على ما في مُصْحَفهم، و ترك ما عداه، وبذلك زال الخلاف بين القُرّاء، و توحّدت كلمة الأُمّة.

السّبب في تعدّد المصاحف

والسّبب في تعدّد المصاحف أنّ عُثمان والصَّحابة قصدوا كتابة المصاحف على ما وقع عليه الإجماع ونقل متواترًا عن النّبيّ ﷺ من القراءات، فعدّدوا المصاحف لتكون مشتملة على جميع القراءات المتواترة، و اختلاف المصاحف له حالتان:

١ ـ أن تحتمل صورة اللّفظ خطًّا للقراءتين المختلفتين أوالقراءات، و في هذه الحالة يكتب اللّفظ في جميع المصاحف بصورة واحدة تحتملهما ذلك، مثل: «ننشزها» بالزّاي، «و ننشرها» بالرّاء، ومثل: «فتثبّتوا» بالثّاء والباء، «فتبيّنوا» بالتّاء والباء، و «هيت لك» فإنّها كانت تكتب بصورة واحدة تحتمل القراءات، و من المعروف أنّ المصاحف كانت مجرّدة من الشّكل والنَّقط.

٢ ـ أن لا تكون صورة اللّفظ خطًّا محتملة للقراءات المختلفة، و حينئذ تكتب في بعض المصاحف بصورة و في بعضها بصورة أُخرى، وذلك مثل: «ووصّى» «وأوصى» من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[1]. فإنّها في مُصْحَف أهل المدينة «وأوصى» و في مُصْحَف أهل العراق «ووصّى»، ومثل: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ و «تجري

---

١ ـ البقرة /١٣٢.

من تحتها الأنهار» في سورة التّوبة[1] ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[2] «و ما عملت أيديهم» إلى غير ذلك، فإنّها كتبت في بعض المصاحف بلفظ و في بعضها بلفظ آخر.

وإنّما لم يكتب مكرّرة في مُصْحَف واحد لئلاّ يتوهّم أنّها نزلت هكذا مكـرّرة، ولم تكتب إحداهما في الأصل والأُخرى في الحاشية لئلّا يتوهّم أنّها تصحيح لها.

وإنّما جرّدت المصاحف من النّقط والشّكل:

۱ ـ لما روي عن ابن مسعود: «جرّدوا مصاحفكم».

۲ ـ لتحتمل الكلمة الّتي تكتب بصورة واحدة أكثر من وجه، ممّا صحّ نقله وثبتت تلاوته عن النّبيّ ﷺ من وجوه القراءات كما بيّنّا آنفًا.

أين المصاحف العُثمانيّة الآن؟

قال صاحب مناهل العرفان[3] ﷺ: «ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العُثمانيّة الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها، قصارى ما علمناه عنها أخيرًا أنّ ابن الجَزَريّ رأىٰ في زمانه مُصْحَف أهل الشّام، ورأىٰ في مصر مُصْحَفًا أيضًا... [وذكر بقيّة كلامه، كما سيجيء عنه في مصاحف الصّحابة، ثمّ نقل قول ابن كثير حول المصاحف العُثمانيّة كما تقدّم عنه].

وذكر السّيّد محمّد رشيد رضا في تعليقاته على كتاب «فضائل القرآن» أنّ صُحُف الأخبار العامّة نقلت أنّ أحد المصاحف الأئمّة العُثمانيّة ـ و هو الّذي محفوظًا عند قياصرة الرّوس ـ وهبه خلفهم الشّيوعيّين لأمير بخارىٰ بعد أن أخذوا صورة منه بالآلة الشّمسيّة «الفوتوغرافيّة»، و يقال: إنّ الأصل فُقِدَ ولم يصل إلى الأمير. (۲٦۲ ـ ۲۸٤)

---

۱ ـ التّوبة / ۱۰۰.

۲ ـ يسٓ / ۳٥.

۳ ـ مناهل العرفان ۱: ۳٦۱.

ترتيب الآيات

ترتيب الآيات في سُوَرها توقيفيّ، فقد كان جبريل عليه السلام يوقف النّبيّ ﷺ على مواضع الآيات من سُوَرها، وكان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا؛ روى أحمد وأصحاب السُّنن الثّلاثة، و صحّحه ابن حبّان والحاكم من حديث ابن عبّاس عن عُثمان بن عفّان، قال: كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزّمان ينزل عليه من السُّور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشّيء يدعو بعض من يكتب، فيقول: «ضعوا هذا في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا» الحديث.

وقد حصل اليقين من النّقل المتواتر بهذا التّرتيب من قراءة رسول الله ﷺ و ممّا أجمع الصّحابة على وضعه هكذا في المُصْحَف، و قد أجمع العلماء: أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ، و تواردت النُّصوص الصّحيحة على ذلك.

أمّا الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزّركشيّ في البُرهان، و أبو جعفر بن الزُّبَير في مناسباته، و نصّ عبارته: «ترتيب الآيات في سُوَرها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، بلا خلاف في هذا بين المسلمين»... **[ثمّ ذكر قول ابن الحَصّار كما تقدّم عن السُّيوطيّ، فقال:]**

وأمّا النُّصوص فكثيرة، منها: ما أخرجه البُخاريّ عن ابن الزُّبَير، قال: قلت لعُثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ و يَذَرُونَ اَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِاَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا اِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ اِخْرَاجٍ﴾[1]: قد نسختها الآية الأُخرى،[2]، فلم تكتبها أو تدعها؟ أي لم تكتبها وهي منسوخة، أو لم تدعها مكتوبة و قد نسخت، ف«أو» للشّكّ من الرّاوي، أي اللّفظين، قال: قال: «يا ابن أخي لا أُغيّر شيئًا منه من مكانه» وكأنّ ابن الزُّبَير فهم أن ما ينسخ حكمه لا يكتب، فأفهمه سيّدنا عُثمان أنّ الأمر في إثبات الآيات في مواضعها إنّما هو بالتّوقيف، وليس لأحد أن يغيّر شيئًا من مكانه.

و منها: ما رواه مُسلم عن عُمر، قال: ما سألت النّبيّ ﷺ عن شيء أكثر ممّا سألته عن

---

١ ـ البقرة/ ٢٤٠.

٢ ـ البقرة / ٢٣٤.

الكلالة، حتّى طعن بأصبعه في صدري وقال: «أما تكفيك آية الصّيف الّتي في آخر النّساء»، و منها الأحاديث الصّحيحة في خواتيم سورة البقرة: «من قرأ الآيتين من خواتيم سورة البقرة في ليلة كفتاه»[۱] رواه البُخاريّ وغيره... [ثمّ ذكر رواية الإمام أحمد بإسناد حسن، كما تقدّم عن السُّيوطيّ].

وروى أبو يعلى في مسنده عن المِسوَر بن مَخْرَمة، قال: قلت لعبد الرّحمان بن عَوْف: يا خال، أخبرني عن قصّتكم يوم أُحد، قال: اقرأ بعد العشرين و مائة من «آل عمران» تجد قصّتنا ﴿وَاِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾[۲] الآية، وهو من أقوى الأدلّة على أنّ التّرتيب اليوم هو الّذي كان في عهدي النّبيّ والصّحابة، فإذن هذه الآية رقمها المائة و واحد و عشرين من المُصْحَف.

و من النُّصوص الإجماليّة الدّالّة على ذلك ما ثبت من قراءته ﷺ لسُوَر عديدة كسُورة البقرة، و آل عمران، والنّساء، وألم تنزيل، وهل أتى على الإنسان في صبح الجمعة، وقٓ واقتربت في العيد وغير ذلك من السُّوَر، وكان يقرؤها على ترتيبها المعروف و بمشهد من الصّحابة الّذين أخذوا عنه، و نقل ذلك عنهم نقلاً متواترًا، فدلّ ذلك على أنّ التّرتيب توقيفيّ.

وإليك بعض ما قاله العلماء في هذا: أخرج ابن وَهْب، قال: سمعت مالكاً يقول: إنّما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النّبيّ ﷺ، و قال مكّيّ بن أبي طالب القَيْسيّ و غيره: «ترتيب الآيات في السُّوَر بأمر النّبيّ ﷺ ولمّا لم يأمر بذلك في أوّل براءة تركت بلا بَسْملة»... [ثمّ ذكر قول الباقِلّانيّ، كما تقدّم عن السُّيُوطيّ، فقال:]

و من المجمع عليه أنّ ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها، و إنّما يرجع إلى المناسبات والرّوابط البلاغيّة، فقد تنزّل الآية بعد الآية بسنين، و تكون في ترتيب الكتابة قبلها. و ليس أدلّ على هذا من تقدّم بعض الآيات النّاسخة على الآيات المنسوخة، مع أنّ

---

۱ ـ هما من قوله تعالى: ﴿اٰمَنَ الرَّسُولُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

۲ ـ آل عمران /۱۲۱.

النّاسخ متأخّر عن المنسوخ في النّزول قطعًا، وذلك مثل آيـة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1] فإنّها ناسخة لآية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[2] فالأُولى متقدّمة في التّرتيب متأخّرة في النّزول.

وفي الأثر عن محمّد بن سيرين، قال: قلت لعِكْرِمة: ألّفوه ـ أي القرآن ـ كما أُنزل الأوّل فالأوّل؟ قال: «لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه هذا التّأليف ما استطاعوا» وصدق عِكرِمة، فإنّ ترتيبه على حسب النّزول غير مستطاع لأحد من البشر، لأنّ الله لم يرد أن يكون تأليف كتابه المعجز على حسب النّزول، وإنّما اقتضت حكمته أن يكون على حسب المناسبات البلاغيّة وأسرار الإعجاز...

ترتيب سُوَر القرآن

اختلف في ترتيب السُّوَر على أقوال ثلاثة:

الرّأي الأوّل ـ ما ذهب إليه جماعة من العلماء، وهو أنّ ترتيب السُّوَر بتوقيف من النّبيّ ﷺ فلم توضع سورة في موضعها من المُصْحَف إلّا بناء على أمر النّبيّ ﷺ وتعليمه، أو برمزه وإشارته على حسب ما فهموه من تلاوته ﷺ، وممّن ذهب إلى هذا أبو جعفر بن النَّحّاس والكَرمانيّ وأبو بكر... **[ثمّ ذكر قول الأنباريّ ورواية سُلَيمان بن بَلال نقلاً عن ابن أشتة، بحسب ما تقدّم عن السّيوطيّ والزَّركَشيّ، ثمّ قال:]**

استدلّ هؤلاء:

١ ـ بأنّ الصّحابة أجمعوا على ترتيب المُصْحَف الّذي كتب في عهد عُثمان، ولم يخالف في ذلك أحد حتّى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر، فلو لم يكن الأمر توقيفيًّا لحصل من أصحاب المصاحف الأُخرى المخالفة في التّرتيب التّمسُّك

---

١ ـ البقره /٢٣٤.

٢ ـ البقرة /٢٤٠.

بترتيب مصاحفهم، لكن عدولهم عنها و عن ترتيبها ـ بل وإحراقها ـ دليل على أنّ الأمر ليس للرّأي فيه مجال. ولا يشترط أن يكون التّوقيف بنصّ صريح، بل قد يكفي فيه الفعل أو الرّمز والإشارة.

٢ ـ بالآثار الواردة الّتي تدلّ على التّوقيف، منهاما أخرجه أحمد و أبو داود عن حُذَيفة الثّقفيّ، قال... [وذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ، ثمّ قال:]

ويمكن أن يناقش هذا الدّليل بأنّ غاية ما يدلّ عليه هو ترتيب المفصّل أمّا ما عداه فلا، لأنّه عرض للتّخريب لا للتّرتيب.

٣ ـ ممّا يدلّ على التّوقيف كون الحواميم رتّبت ولاء، أي متتابعة، ولم ترتّب المسبّحات ولاء، بل فُصِل بين سُوَرها بالمجادلة والممتحنة والمنافقون، كما فُصِل بين طسٓمٓ الشُّعراء. وطسٓمٓ القصص بطس النّمل، مع أنّها أقصر منها، فلو كان التّرتيب اجتهاديًّا لما حصل الفرق بين المتماثلات من السُّوَر في الفواتح مع التّناسب في الطُّول والقصر[١].

الرّأي الثّاني ـ أنّ التّرتيب كان باجتهاد من الصَّحابة (رضوان الله عليهم) و نسب هذا القول السُّيوطيّ إلى الجمهور، و ممّن قال بهذا الإمام مالك وأبو بكر الطّيّب في أرجح قوليه، واستدلّ القائلون بهذا باختلاف ترتيب مصاحف الصَّحابة قبل الجمع في عهد عُثمان رضي الله عنه فلو كان التّرتيب توقيفيًّا لما اختلفت مصاحفهم في ترتيب السُّوَر، لكنّها اختلفت؛ فمنهم من رتّب على النّزول كمُصْحَف عليّ عليه السلام كان أوّله اِقرأ، ثمّ المدّثّر، ثمّ نٓ، ثمّ المزّمّل إلخ. و أمّا مُصْحَف ابن مسعود فكان مبدوءًا بالبقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران، ثمّ الأعراف، و مُصْحَف أُبيّ كان مبدوءًا بالحمد، ثمّ البقرة، ثمّ النّساء، ثمّ آل عمران، ثمّ الأنعام إلخ.

وأُجيب عن هذا: بأنّ الخلاف لا يصلح أن يكون دليلاً على أنّه ليس توقيفيًّا، وذلك لأنّ مصاحفهم لم تكن مصاحف عامّة، بل كانت مصاحف خاصّة، جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم والتّأويل و بعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم والتّأويل أقرب منها إلى المصاحف المجرّدة، لذلك لم يعتمد عليها عند جمع المصاحف في عهد عُثمان في

١ ـ استوعبت كلّ من الشّعراء والقصص نحوًا من تسع صفحات.

زيادة أو نقص، وكذلك لم يعوّل عليها في التّرتيب، أو يقال: إنّ اختلافهم كان قبل العلم بالتّوقيف، فلمّا علموا تركوا ترتيب مصاحفهم، واتّبعوا ترتيب المصاحف العُثمانيّة.

محاولة التّوفيق بين الرّأيين... [ثمّ ذكر قول الزّركشيّ في التّلفيق بين الرّأيين، كما تقدّم عنه].

الرّأي الثّالث ـ أنّ الكثير من السُّوَر علم ترتيبها بالتّوقيف، والبعض كان ترتيبها باجتهاد من الصَّحابة، وإلى هذا ذهب بعض فطاحل العلماء كالقاضي أبي محمّد بن عَطيّة، حيث قال: «ظاهر الآثار أنّ السّبع الطُّوال والحواميم والمفصّل كان مرتّبًا في زمن النّبيّ ﷺ وكان في السُّوَر ما لم يرتّب، فهذا هو الّذي رتّب وقت الكتب».

وقال البَيْهَقيّ في المدخل: «كان القرآن على عهد النّبيّ ﷺ مرتّبًا سُوَره وآياته على هذا التّرتيب إلّا الأنفال وبراءة» فقد حصرالبعض الّذي هو باجتهاد في هاتين السُّورتين فقط.

وقال الحافظ ابن حَجَر: «ترتيب بعض السُّوَر على بعضها أومعظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيًّا». وقد اختار السُّيوطيّ ماذهب إليه البَيْهَقيّ، حيث قال... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ويشهد لما ذكره البَيْهَقيّ مارواه أحمد والتِّرمِذيّ وغيرهما عن ابن عبّاس، قال: قلت لعُثمان: ما حملكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

وأُجيبَ عن هذا الدّليل

١ ـ بأنّ هذا الحديث غير صحيح، لأنّ التِّرمِذيّ الّذي هو أحد من خرّجه، قال: حسنٌ غريبٌ، لا نعرفه إلّا من حديث يزيد القاضي عن ابن عبّاس، ويزيد هذا مجهول الحال، فلا يصحّ الاعتماد على حديثه الّذي انفرد به في ترتيب سُوَر القرآن.

٢ ـ على تسليم صحّته، فيجوز أن يكون عُثمان حين إخباره لابن عبّاس لم يكن عنده شيء مسموع بشأن التّرتيب بين السُّورتين، فلا ينافي أنّه عَلِم بعد ذلك.

وسواء أكان التّرتيب توقيفيًّا أم اجتهاديًّا فإنّه ينبغي احترامه والأخذ به في كتابة

المصاحف، لأنّه عن إجماع من الصَّحابة، و لأنّ مخالفته تجرّ إلى الفتنة، و درء الفتنة و سدّ ذرائع الفساد واجب.

وأمّا ترتيب السُّوَر في التّلاوة فليس بواجب إنّما هو مندوب، قال الإمام النَّوَويّ في التّبيان: «قال العلماء: الاختيار... [وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ قال:]

ولو خالف الموالاة، فقرأ سورة لاتلي الأُولى، أو خالف التّرتيب، فقرأ سورة قبلها جاز، فقد جاءت بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في الرّكعة الأُولى من الصّبح بالكهف، وفي الثّانية بيوسف. وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المُصْحَف؛ روي عن الحسن أنّه كان يكره أن يقرأ القرآن إلّاعلى تأليفه في المُصْحَف؛ قال: وأمّا قراءة السُّورة من آخرها إلى أوّلها فممنوع منعًا مؤكّدًا، لأنّه يذهب ببعض الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآي، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قيل له: إنّ فلانًا يقرأ القرآن منكوسًا، فقال: ذلك منكوس القلب، وأمّا تعليم الصّبيان القرآن من آخر المُصْحَف إلى أوّله فحسن وليس من هذا الباب، فإنّ ذلك قراءة منفصلة في أيّام متعدّدة على ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم.

(٣١٨ ـ ٣٣٣)

الفصل السّادس والخمسون

نصّ منّاع القطّان (معاصر) في «مباحثٌ في علوم القرآن»

جمع القرآن و ترتيبه

يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين:

المعنى الأوّل ـ جمعه بمعنى حفظه، وجُمّاع القرآن حُفّاظه، وهذا المعنى هوالّذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيّه ﷺ، وقد كان يحرّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، حرصًا على أن يحفظه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[1]... [ثمّ ذكر قول ابن عبّاس كما تقدّم عن البخاريّ في قسم النّزول].

المعنى الثّاني ـ جمع القرآن بمعنى كتابته كلّه، مفرّق الآيات والسُّوَر، أو مرتّب الآيات فقط، وكلّ سُورة في صحيفة على حدة، أو مرتّب الآيات والسُّوَر في صحائف مجتمعة تضمّ السُّوَر جميعًا، وقدرتّب إحداها بعد الأُخرى.

١ ـ جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ

أ ـ جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النّبيّ ﷺ

كان رسول الله ﷺ مولعًا بالوحي، يترقّب نزوله عليه بشوق، فيحفظه و يفهمه، مصداقًا

---

١ ـ القيامة /١٦ـ١٩.

لوعد الله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فكان بذلك أوّل الحُفّاظ، ولصحابته فيه الأُسوة الحسنة، شغفًا بأصل الدّين و مصدر الرّسالة، وقد نزل القرآن في بضع و عشرين سنة، فربّما نزلت الآية المفردة، و ربّما نزلت آيات عدّة إلى عشر، و كلّما نزلت آية حفظت في الصُّدور، و وعتها القلوب، والأُمّة العربيّة كانت بسجيّتها قويّة الذّاكرة، تستعيض عن أُميّتها في كتابة أخبارها و أشعارها و أنسابها بسجلّ صُدورها... [ثمّ ذكر حُفّاظ القرآن و رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقَتادة و أنس، نقلاً عن البُخاريّ الرّقم ٧، ١١، ١٢، كما تقدّم عنه و عن ابن حَجَر، إلى أن قال:]

وذكر هؤلاء الحُفّاظ السّبعة أو الثّمانية لا يعني الحصر، فإنّ النّصوص الواردة في كتب السِّيَر والسُّنَن تدلّ على أنّ الصّحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، و يحفظونه أزواجهم وأولادهم، ويقرأون به في صلواتهم بجوف اللّيل، حتّى يسمع لهم دَويّ كدَويّ النّحل، وكان رسول الله ﷺ يمرّ على بيوت الأنصار، و يستمع إلى نديّ أصواتهم بالقراءة في بيوتهم؛ عن أبي موسى الأشعريّ: «أنّ رسول الله ﷺ قال له: لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أُعطيت مزمارًا من مزامير داود».[١]

و عن عبد الله بن عمرو، قال: «جمعت القرآن، فقرأت به كلّ ليلة، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: اقرأه في شهر».[٢]

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إنّي لأعرف رفقة الأشعريّين باللّيل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن باللّيل، و إن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنّهار».[٣]

ومع حرص الصّحابة على مدارسة القرآن واستظهاره فإنّ رسول الله ﷺ كان يشجّعهم على ذلك، و يختار لهم من يعلّمهم القرآن... [ثمّ ذكر قول ابن صامِت كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ قال:]

---

١ ـ رواه البُخاريّ، وفي رواية لمسلم بزيادة «فقلت: لو علمت والله يا رسول الله أنّك تسمع لقراءتي لحبّرته لك تحبيرًا».

٢ ـ أخرجه النّسائيّ بسند صحيح.

٣ ـ رواه البخاريّ و مُسلِم.

فهذا الحصر للسّبعة المذكورين من البُخاريّ بالرّوايات الثّلاث الآنفة الذّكر محمول على أنّ هؤلاء هم الّذين جمعوا القرآن كلّه في صُدورهم، وعرضوه على النّبيّ ﷺ. واتّصلت بنا أسانيدهم، أمّا غيرهم من حفظة القرآن ـ وهم كثير ـ فلم يتوافر فيهم هذه الأُمور كلّها، لا سيّما وأنّ الصَّحابة تفرّقوا في الأمصار، وحفظ بعضهم عن بعض، ويكفي دليلاً على ذلك أنّ الّذين قتلوا في بئر معونة من الصَّحابة كان يقال لهم القُرّاء، وكانوا سبعين رجلاً كما في الصّحيح... [ثمّ ذكر قول القُرطُبيّ والماوَرديّ كما تقدّم عن ابن حَجَر فقال:]

والماوَرديّ بهذا ينفي الشّبه الّتي توهم قلّة عدد الحُفّاظ بأُسلوب مقنع، ويبيّن الاحتمالات الممكنة لصيغة الحصر في حديث أنس بيانًا شافيًا. وقد ذكر أبو عُبَيْد في كتاب «القراءات»... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر].

وذكر الحافظ الذّهبيّ في «طبقات القُرّاء»: إنّ هذا العدد من القُرّاء هم الّذين عرضوه على النّبيّ ﷺ، واتّصلت بنا أسانيدهم، وأمّا من جمعه منهم ولم يتّصل بنا سندهم فكثير.

ومن هذه النُّصوص يتبيّن لنا أنّ حفظة القرآن في عهد الرّسول ﷺ كانوا جمعًا غفيرًا، فإنّ الاعتماد على الحفظ في النّقل من خصائص هذه الأُمّة؛ قال ابن الجَزَريّ شيخ القُرّاء في عصره: «إنّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصُّدُور، لا على خطّ المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأُمّة».

ب ـ جمع القرآن بمعنى كتابته على عهد الرّسول ﷺ

اتّخذ رسول الله ﷺ كُتّابًا للوحي من أجلّاء الصّحابة كعليّ، ومُعاوية، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سُورتها، حتّى تظاهر الكتابة في السُّطور الجمع في الصُّدور.

كما كان بعض الصَّحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النّبيّ ﷺ، فيخطّونه في العُسُب واللِّخاف والكرانيف والرِّقاع والأقتاب وقطع الأديم

والأكتاف، عن زيد بن ثابت قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع»[١].

وهذا يدلّ على مَدى المشقّة الّتي كان يتحمّلها الصَّحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسّر لهم أدوات الكتابة إلّا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ.

وكان جبريل يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كلّ سنة في ليالي رمضان... [ثمّ ذكر رواية ابن عبّاس كما تقدّم عن أبي شامَة، فقال:] وكان الصَّحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابةً كذلك.

ولم تكن هذه الكتابة في عهد النّبيّ ﷺ مجتمعة في مُصْحَف عامّ، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقد نقل العلماء: أنّ نفرًا ـ منهم: عليّ بن أبي طالب، و مُعاذ بن جَبَل، وأُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن مسعود ـ قد جمعوا القرآن كلّه على عهد رسول الله ﷺ، و ذكر العلماء أنّ زيد بن ثابت كان عرضه متأخّرًا عن الجميع.

وقُبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصُّدور، ومكتوب في الصُّحُف على نحو ما سبق، مفرّق الآيات والسُّوَر، أو مرتّب الآيات فقط وكلّ سُورة في صحيفة على حدة بالأحرف السّبعة الواردة، ولم يجمع في مُصْحَف عامّ، حيث كان الوحي يتنزّل تباعًا فيحفظه القُرّاء، ويكتبه الكتبة ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مُصْحَف واحد، لأنّه عليه السلام كان يترقّب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه النّاسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النُّزول، بل تكتب الآية بعد نزولها، حيث يشير ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا و آية كذا في سُورة كذا، ولو جمع القرآن كلّه بين دفّتي مُصْحَف واحد لأدّى هذا إلى التّغيير كلّما نزل شيء من الوحي.

قال الزّركشيّ: «وإنّما لم يكتب في عهد النّبيّ ﷺ مُصْحَف لئلّا يفضي إلى تغييره في كلّ وقت، فلهذا تأخّرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ وبهذا يفسّر ما روي عن زيد بن ثابت؛ قال: «قبض النّبيّ ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء» أي لم يكن في مُصْحَف واحد، قال الخَطّابيّ... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:] و يسمّى هذا الجمع

---

١ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشّيخين، نؤلّف القرآن: أي نجمعه لترتيب آياته.

في عهدالنّبيّ ﷺ: أ ـ حفظًا ـ ب ـ كتابةً «الجمع الأوّل».

٢ ـ جمع القرآن في عهد أبي بكر

[ثمّ ذكر مبدأ وجود الجمع في عهد أبي بكر و اقتراح عمر له كما تقدّم نحوه عن الزُّرقانيّ، ثمّ نقل رواية البخاريّ في قضيّة اليَمامة الرّقم ١ و٢، كما تقدّم عنه، فقال:]

وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التّثبّت، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، و قوله في الحديث: «ووجدت آخر سورة التّوبة مع أبي خُزَيْمة الأنصاريّ لم أجدها مع غيره» لا ينافي هذا، ولا يعني أنّها ليست متواترة، و إنّما المراد أنّه لم يجدها مكتوبة عند غيره، وكان زيد يحفظها، وكان كثير من الصّحابة يحفظونها كذلك، لأنّ زيدًا كان يعتمد على الحفظ والكتابة معًا، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم و يشهدون بأنّه كتبت، ولكنّها لم توجد مكتوبة إلّا عند أبي خُزَيمة... **[ثمّ ذكر رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب و رواية هِشام بن عُرْوَة كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١١، ٦ و قول ابن حَجَر والسَّخاويّ و أبي شامَة، كما تقدّم عن السّيوطيّ، إلى أن قال:]**

٣ ـ جمع القرآن في عهد عُثمان

...فلمّا كانت غزوة «أرمينيّة» وغَزوة «أذربيجان» من أهل العراق، كان فيمن غزاهما «حُذَيْفة بن اليَمان» فرأى اختلافًا في وجوه القراءة، و بعض ذلك مشوب باللَّحن، مع إلف كلٍّ لقراءته، ووقوفه عندها، و مماراته مخالفة لغيره، و تكفير بعضهم الآخر، حينئذ فزع إلى عُثمان ﷺ وأخبره بما رأى، وكان عُثمان قد نمي إليه أنّ شيئًا من ذلك الخلاف يحدث لمن يُقرئون الصّبية، فينشأ هؤلاء و بينهم من الاختلاف ما بينهم، فأكبر الصَّحابةهذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التّحريف والتّبديل، و أجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصُّحُف الأُولى الّتي كانت عند أبي بكر، و يجمعوا النّاس عليها بالقراءات الثّابتة على حرف واحد، فأرسل عُثمان إلى حَفْصَة، فأرسلت إليه بتلك الصُّحُف، ثمّ أرسل إلى زيد بن

ثابت الأنصاريّ، و إلى عبد الله بن الزُّبَير، و سعيد بن العاص، و عبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام القُرشيّين، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، و أن يُكتب ما اختلف فيه زيد مع رهط القُرشيّين، الثّلاثة بلسان قُريش، فإنّه نزل بلسانهم... [ثمّ ذكر رواية أنس قضيّة حُذَيْفة كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤، فقال:]

ودلّت الآثار على أنّ الاختلاف في وجوه القراءة لم يفزع منه حُذَيْفة بن اليَمان وحده، بل شاركه غيره من الصّحابة في ذلك، عن ابن جَرير قال: «حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عُليّة، قال: حدّثنا أيّوب عن أبي قِلابة...[و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٣، ثمّ قال:]

و أخرج ابن أشتة من طريق أيّوب عن أبي قِلابة مثله، و ذكر ابن حَجَر في «الفتح»: أنّ ابن أبي داود أخرجه في المصاحف من طريق أبي قِلابة. و عن سُوَيْد بن غَفَلة، قال:...

[و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٣٦ فقال:]

وهذا يدلّ على أنّ ماصنعه عُثمان قد أجمع عليه الصّحابة، كتبت مصاحف على حرف واحد من الأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن، ليجتمع النّاس على قراءة واحدة، وردّ عُثمان الصُّحُف إلى حَفْصَة، وبعث إلى كلّ أُفُق بمُصْحَف من المصاحف، واحتبس بالمدينة واحدًا هو مُصْحَفه الّذي يسمّى الإمام، و تسميته بذلك لما جاء في بعض الرّوايات السّابقة من قوله: «اجتمعوا يا أصحاب محمّد، فاكتبوا للنّاس إمامًا» و أمر أن يحرق ماعدا ذلك من صحيفة أو مُصْحَف، وتلقّت الأُمّة ذلك بالطّاعة، و تركت القراءة بالأحرف السّتّة الأُخرى. ولا ضير في ذلك، فإنّ القراءة بالأحرف السّبعة ليست واجبة، ولو أوجب رسول الله ﷺ على الأُمّة القراءة بها جميعًا لوجب نقل كلّ حرف منها نقلاً متواترًا تقوم به الحجّة، و لكنّهم لم يفعلوا ذلك، فدلّ هذا على أنّ القراءة بها من باب الرّخصة، و أنّ الواجب هو تواتُر النّقل ببعض هذه الأحرف السّبعة، وهذا هو ما كان.

قال ابن جَرير فيما فعله عُثمان: «وجَمَعَهم على مُصْحَف واحد، و حرف واحد...

[وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

الفرق بين جمع أبي بكر و جمع عُثمان

يتبيّن من النُّصوص أنّ جمع أبي بكر يختلف عن جمع عُثمان في الباعث والكيفيّة.

فالباعث لدى أبي بكر ﵁ لجمع القرآن خشية من ذهابه بذهاب حملته، حين استحرّ القتل بالقُرّاء.

والباعث لدى عُثمان ﵁ كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار و تخطئة بعضهم بعضًا.

وجمع أبي بكر للقرآن كان نقلاً لما كان مفرّقًا في الرِّقاع والأكتاف والعُسُب، و جمعًا له في مُصْحَف واحد مرتّب الآيات والسُّوَر، مقتصرًا على ما لم تنسخ تلاوته، مشتملاً على الأحرف السّبعة الّتي نزل بها القرآن.

وجمع عُثمان للقرآن كان نسخًا له على حرف واحد من الحروف السّبعة، حتّى يجمع المسلمين على مُصْحَف واحد و حرف واحد، يقرأون به دون ما عداه من الأحرف السّتّة الأُخرى... [ثمّ ذكر قول ابن التّين في الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عُثمان و قول المَحاسِبيّ، بحسب ما تقدّم عن ابن حَجَر والسُّيوطيّ، فقال:]

وبهذا قطع عُثمان دابر الفتنة، وحسم مادّة الخلاف، و حصن القرآن من أن يتطرّق إليه شيء من الزّيادة والتّحريف على مرّ العُصور و تعاقب الأزمان.

[عدد المصاحف]

وقد اختلف العلماء في عدد المصاحف الّتي أرسل بها عُثمان إلى الآفاق:

أ ـ فقيل: كان عددها سبعة، أرسلت إلى مكّة والشّام والبَصْرة والكوفة واليَمن والبَحرين والمدينة... [ثمّ ذكر قول أبي حاتم السِّجِستانيّ، نقلاً عن ابن أبي داود كما تقدّم عنه الرّقم ٥٣، فقال:]

ب ـ وقيل: كان عددها أربعة: العراقيّ والشّاميّ والمصريّ والمُصْحَف الإمام، أو

الكوفيّ والبَصْريّ والشّاميّ والمُصْحَف الإمام؛ قال أبو عمرو الدّانيّ في المقنع[1]: «أكثر العلماء على أنّ عُثمان لمّا كتب المصاحف جعلها أربع نسخ، و بعث إلى كلّ ناحية واحدة: الكوفة والبَصْرة والشّام، وترك واحدًا عنده».

ج ـ وقيل: كان عددها خمسة، و ذهب السّيوطيّ إلى أنّ هذا هو المشهور، أمّا الصُّحُف الّتي رُدّت إلى حَفْصَة فقد ظلّت عندها حتّى ماتت، ثمّ غسلت غسلاً[2]، وقيل: أخذها مروان بن الحكم وأحرقها.

والمصاحف الّتي كتبها عُثمان لا يكاد يوجد منها مُصْحَف واحد اليوم، والّذي يروى عن ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن»... [وذكر كما تقدّم عنه].

وجمع عُثمان للقرآن هو المسمّى بالجمع الثّالث، وكان سنة (٢٥) هجريّة... [ثمّ ذكر ترتيب الآيات والسُّوَر، كما تقدّم نحوه سابقًا عن نصوص مختلفة]. (١٠٣ـ١٢٦)

---

١ ـ انظر: الإتقان ١: ٥٩ ـ ٦٠.

٢ ـ تفسير الطَّبَريّ ١:٦١.

الفصل السّابع والخمسون

نصّ الدّكتور شاهين (معاصر) في «تاريخ القرآن»

النّصّ القرآنيّ بعد وفاة النّبيّ ﷺ

أوّلاً ـ في عهد أبي بكر و عمر

حدث أمر لم يكن في حُسبان أحد، ففي معركة اليَمامة سقط من المسلمين عدد كبير جدًّا، نحو من ألف شهيد، بينهم نحو من أربعمائة وخمسين صحابيًّا، و بلغ الأمر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فاهتمّ له.

روى البُخاريّ بإسناده عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر... [وذكر كما تقدّم **عنه الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]**

ونقف من هذا الحديث عند عرض عمر رضي الله عنه الأمر على أبي بكر، و موقف أبي بكر من عرضه، فقد كان عمر ممتلئًا إحساسًا بالخطر الدّاهم الّذي لاحت نُذُره في معركة اليَمامة، و يوشك أن يلتهم كلّ حُفّاظ القرآن من الصّحابة (رضوان الله عليهم) وهم الشّهود العدول على وثاقة النّصّ المكتوب، و قد كان ـ كما علمنا ـ مفرّقًا في لخاف وكرانيف و عُسُب وأضلاع وأكتاف، إلى جانب ما كان في الصُّدُور، ولم يأخذ بعد صورة الكتاب الواحد، اللّهمّ إلّا في صُدور الصّحابة الّذين جمعوه حفظًا على عهد رسول الله ﷺ.

وجاء عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه فعرض عليه احتمال ذهاب كثير من القرآن إذا استحرّ القتل بالقُرّاء في المواطن كلّها. لكن أبا بكر تردّد في اتّخاذ قرار بموافقة عمر على رأيه، وكانت حُجّته أنّ ذلك أمر لم يفعله رسول الله، فكيف يفعله هو، أو يوافق على فعله؟ هذا من ناحية، و من ناحية أُخرى كانت تجربة المسلمين لا زالت وليدة في مواجهة ما كان

يستجدّ أمامهم من مشكلات، تتطلّب حلولاً وقرارات، لا يجدون سندها في كتاب ولا سُنّة، وكان أوّل المواقف الخطيرة الّتي واجهت أبابكر موقفه من الرِّدّة، حين بلغه أنّ قومًا منعوا الزّكاة، و آخرين تبعوا المتنبّئين ورفضوا الدّين كلّه.[1]

فأبو بكر في هذا الموقف الخطير كان ينفذ نصًّا صريحًا بقتال مانعي الزّكاة والمرتدّين، و هو نصّ يؤنسه ويدفعه و يشدّ أزره. أمّا هذا الموقف الجديد الّذي عرضه عمر بضرورة جمع القرآن فقد كان تجربة من نوع جديد، لا نصّ يحلّها، ولا سابقة تعين على معالجتها، هل لأبي بكر ـ خليفة المسلمين ـ أن يفعل أمرًا لم يفعله رسول الله، وهو أن يجمع القرآن بين دَفّتين؟ إنّ ذلك في الحقيقة كان أوّل موقف من نوعه، و قد كان من المحتمل جدًّا ـ لو أنّ عمر لم يتمكّن من إقناع أبي بكر ـ أن يلجأ الرّجلان إلى جمهور الأُمّة يستفتيان الصّحابة و يحتكمان إليهم، فليس خطر القرار الواجب اتّخاذه بمقتصر على رجلين، إنّما هو قضيّة دستور الأُمّة كلّها، و كتابها المنزل... [إلى أن قال:]

و من هنا كان قرار أبي بكر ـ فيما نرى ـ هو أخطر قرار اتّخذه في حياته، وأعظم الخطوات الّتي تمّت في تاريخ هذه الأُمّة، لأنّه حلّ أساسًا مشكلة أُصوليّة، و ترتّب على حلّها سلامة النّصّ القرآنيّ من التّحريف، وهو الأساس الّذي انطلقت منه حركة الحِضَارة الإسلاميّة في التّاريخ مطمئنّة إلى دستورها المنزل المحفوظ، و هو أيضًا القاعدة الّتي اتّخذت مقياسًا لكلّ إصلاح لرسم المُصْحَف، أو كتابته فيما بعد، ولذلك قال عليّ عليه السلام فيما حدّث به سُفيان عن السُّدّيّ عن عبد خير ـ قال: سمعت عليًّا يقول: «أعظم النّاس أجرًا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع بين اللّوحين».[2]

والرّوايات الكثيرة تجمع على أنّ هذه الخطوة كانت من أبي بكر و في عهده بمشورة من عمر، وأنّ ذلك كان للمرّة الأُولى في تاريخ الأُمّة، تأثّرًا بما حدث من نكبة عامّة يوم اليَمامة. فأمّا ما روي من أنّ عليًّا فعل ذلك فمردود، و ذلك مارواه أشعث عن محمّد بن

---

١ ـ أخبار الرّدّة موجودة بالتّفصيل في الكامل لابن الأثير ٢: ٢٢٣ ـ ٢٦٠؛ وانظر: محاضرات تاريخ الأُمَم الإسلاميّة ١: ٢٦٠، الطّبعة الأُولى.

٢ ـ المصاحف: ١: ٥.

سيرين «لمّا توفّي النّبيّ ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٩، ثمّ قال:]

فمثل هذا مردود بما ثبت من وقائع حديث البُخاريّ السّابق، وبأنّ الحديث منقطع السّند.

وقد يكون المراد بقوله: وكان أوّل من جمعه، أشار بجمعه[1]. وقد ذكر السُّيُوطيّ أنّ من غريب ماورد في أوّل من جمعه ما أخرجه ابن أشتة في كتاب المصاحف من طرق كَهْمَس، عن ابن بُرَيْدَة... [وذكر كما تقدّم عنه ثمّ قال:]

على أنّ لنا ملاحظة نثبتها هنا عن كلمة (مُصْحَف) والقول بحبشيّتها، فإنّ مقياسنا الّذي أخذنا به في دراستنا لمشكلة الاقتراض والتّعريب لا يقرّ ذلك، بل هي ـ على الأكثر ـ من المشترك السّاميّ، مادامت ذات أصل كامل التّصرّف، قال في اللِّسان: «المُصْحَف والمِصْحَف: الجامع للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفّتين، كأنّه أُصْحِف، والكسر والفتح فيه لُغة، قال أبو عُبَيد: تميم تكسِرها، وقَيس تضمّها، ولم يذكر من يفتحها، ولا أنّها تفتح، إنّما ذلك عن اللِّحْيَانيّ عن الكِسائيّ»[2].

ليس هذا استطرادًا عديم القيمة، إنّما نسوقه لنستأنس به في تضعيف متن الخبر، فقد عرفت العرب كلمة (المُصْحَف) قبل أن تستعمل هذا الاستعمال الخاصّ، لا أنّها بمعناها منقولة في هذه المناسبة عن الحبشيّة... [ثمّ ذكر روايات في منهج الجمع كما تقدّم عن السِّجستانيّ والسُّيُوطيّ، فقال:]

ونقف هنا وقْفَةً يسيرة للتّعليق على منهج زيد ومعاونيه في جمع القرآن. يقول الدُّكتُور محمّد حسين هيكل: «تستطيع أن تقول في غير تردّد: إنّه اتّبع طريقة التّحقيق العلميّ المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتّبع هذه الطّريقة بدقّة دونها كلّ دقّة»[3].

ولعلّنا لو عُدنا إلى ماسبق أن نقلناه عن البَحْر بشأن قراءة عمر «والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار الّذين اتّبعوهم» بدون واو، وما كان من محاولة زيد إقناعه،

---

١ ـ ارجع إلى هذا الموضوع في كتابنا القراءات القُرآنيّة في ضوء علم اللُّغة الحديث.

٢ ـ اللّسان ٩:١٨٦.

٣ ـ الصّدّيق أبو بكر، الطّبعة الرّابعة: ٣٤٣.

و من الطّريقة الّتي استشهد بها أُبيّ على وجود الواو، و أنّ تصديق ذلك في ثلاثة. مواضع من القرآن، و تأييده بذلك لقراءة زيد، ندرك حينئذ مَدىٰ ماعانى من أجل سلامة منهجه، فقد كان هذا دأبه وهو يؤلّف القرآن من الرِّقاع والعِظام، و كلّما جاءه صحابيّ بشيءٍ من القرآن، فالخلاف بينه و بين عمر حول (الواو) ذو دلالة على مَدىٰ تحرّيه و دقّته في العمل كلّه.

ولقد يعرض لنا في هذا الموضع سؤال، كان أيضًا موضع تعليق لكثير من المستشرقين و ملاحظة[١]، وهو: لماذا اختير زيد بن ثابت للقيام بهذه المهمّة دون غيره من الصَّحابة؟ و نحسب أنّ حديث الجاحظ في هذا الصّدد هو خير إجابة على كلّ وسوسة من هذا النّوع، قال: «رأوا أنّ قراءة زيد أحقّ بذلك، إذ كانت آخرالعرض، و لأنّ الجمع الّذين سمعوا آخر العرض أكثر ممّن سمع أوّله، فحملوا النّاس على قراءة زيد، دون أُبيّ و عبد الله، و إن كان الكلّ حقًّا، إذ كان ـ رُبّ حقّ في بعض الزّمان أقطع للقيل و القال، و أجدر أن يميت الخلاف، و يحسم الطّمع، فتركوا حقًّا إلى حقٍّ، العملُ به أحقّ، ولو أنّ فقيهًا رأى إطباق العلماء على صوم يوم عرفة، واستنكارهم الإفطار فيه، فأفطر و أظهر ذلك، ليعلمهم موضع الفريضة من النّافلة، أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيّام ما ليس فيه، كان مصيبًا، و لكان قد ترك حقًّا إلى أحقّ منه، وللحقّ درجات، وللخلاف درجات، وللحرام درجات...»[٢].

على أنّ هذه القضيّة ربّما اتّضحت جوانبها خلال ما يلي من الحديث.

وقد ذكر الدّكتور هيكل: أنّ زيدًا إنّما اختير لهذا العمل دون غيره من الصَّحابة لأنّه شابّ، فهو أقدر على العمل منهم، وهو لشبابه أقلّ تعصّبًا لرأيه، واعتزازًا بعلمه، وذلك يدعوه إلى الاستماع لكبار الصَّحابة من القُرّاء والحُفّاظ، والتّدقيق في الجمع، دون إيثار لما حفظه هو، و إن كان المتواتر أنّه حضر العَرْضَة الأخيرة للقرآن، حين عرضه رسول الله

---

١ ـ انظر: مدخل بلاشير: ٣٢ و ما بعدها.

٢ ـ مختارات فصول الجاحظ ـ بخطوط مصوّر بدار الكتب ٢٤٠٦٩، برسم خزانة الأمير الفاضل موسيوكريمر التّمساويّ سنة ١٨٧٧، ورقة ٩٢ب و ١٩٣.

على جبريل للمرّة الثّانيّة، في السّنة الّتي كانت فيها وفاته[١]. لكن موقفه السّابق مع عمر يدلّنا على أنّه كان حافظًا متثبّتًا، واعيًا لما حفظ، و أنّه لم يترك الصّواب لأيّ اعـتبار. وحسبك أن ترجع إلى حديث أبي بكر إليه لتتعرّف الأسباب والدّوافع من وراء اختياره لهذه المهمّة الجليلة في بساطتها و روعتها.

وبهذا المنهج ألّف زيدالنّص القرآنيّ، ثمّ أودعت الصُّحُف عند أبي بكر حياته حتّى مات، ثمّ عند عمر حياته حتّى مات، ثمّ عند حَفْصَة بنت عمر أُمّ المؤمنين.[٢]

و ملاحظة انتقالها من أبي بكر إلى حَفْصَة تدلّنا على أنّ هذه الصُّحُف ـ منذ كتبت ـ كانت معدودة من الملكيّة العامّة، إذ لو كانت ملكًا خاصًّا لأبي بكر لما ورثها غير أبنائه من بعده، و أغلب الظّنّ أنّها لم توضع لدى حَفْصَة إلّا لتكون رهن تصرّف الخليفة الثّالث حين يطلبها، و بخاصّة إذا كانت حَفْصَة من أُمّهات المؤمنين، وهو ما حدث فعلاً.

نقول: هذا ردًّا على المُستشرق «بلاشير» الّذي حاول أن يزرع الشّكوك حول عمليّة جمع القرآن على عهد أبي بكر، حين رجّح أوّلاً أنّ نَسْخَ المُصْحَف الّذي بدأ في حياته لم ينته إلّا في عهد عمر، إذ كان قد بدأ قبل موت أبي بكر بخمسة عشر شهرًا. ثمّ تساءل: هل كان عمل هذا المُصْحَف حلًّا للموقف الّذي خشيه عمر؟ وأجاب قائلاً: لقد كان المجتمع ـ منطقيًّا ـ بحاجّة إلى مجموعة مكتوبة من الوحي، معترف بها من الجميع، ليطبّقها الجميع، فهل كانت هذه هي صُحُف أبي بكر؟ كلّا، إذ إنّ هذه الصُّحُف كانت ملكًا خاصًّا لأبي بكر و عمر بصفتهما الشّخصيّة، لا للخليفة رئيس الجماعة، ولقد دلّ كلّ شيء ـ إجمالاً ـ على أنّ الخليفة الأوّل و صاحبه حين أحسّا مَغَبّة ألّا يكون لديهما نصّ كامل للوحي، كلّفا أحد كُتّاب الوحي ممّن سبق أن استخدمهم محمّد في هذه الوظيفة ـ بأن يهيّـئه لهما. ولنا أن نتساءل عن إمكان أن تصدر محاولة عمر ـ مؤيّدة أو معارضة بسلطة أبي بكر ـ عن سبب آخر، هو الرّغبة في تملّك نسخة شخصيّة من الوحي، كما كان يملكها صحابة آخـرون

---

١ ـ الصّدّيق أبو بكر: ٣٤١؛ وانظر أيضًا: المقنع: ١٢١.

٢ ـ المصاحف ١: ٩.

للنّبيّ، فإنّ الأمر لم يكن في ذهن أبي بكر و عمر أمر فرض مُصْحَف إمام على جماعة المؤمنين، و إنّما يبدو أنّه من المستحسن ألّا يكون رئيس الجماعة في وضع أقلّ من بعض الصَّحابة ممّن هم أحسن حالاً[١]. وهذا الحديث من «بلاشير» يقوم على عدّة دعاوٍ، هي:

١ ـ إنّ جمع القرآن كان عملاً شخصيًّا، قصد به تحقيق رغبة أبي بكر و عمر.

٢ ـ إنّ هذه الرّغبة كانت منبعثة عن غيرة شخصيّة، و إحساس لديهما بالنّقص بالنّسبة إلى بعض الصَّحابة.

٣ ـ إنّ عملهما هذا كان مسبوقًا بأعمال أُخرى مشابهة لدى كثير من الصَّحابة[٢].

وقد شايعه في هذه الادّعاءات تلميذه الدُّكتور مُصطفى مندور في رسالته المشار إليها آنفًا، بل زاد أحيانًا كلمات خلال التّعبيرات الّتي قبسها عنه. فإذا قال بلاشير (Infèriorité) قال مندور (Complexe d'Infèriorité) أي مركّب نقص، وإذا قال «بلاشير»: إنّها كانت ملكيّة شخصيّة (Personnelle Propnrieté)، قال مندور: إنّ حَفْصَة ورثتها على أنّها ذمّة ماليّة شخصيّة (patrimoine personnel)، ونقول: و ماذا عن انتقالها إلى عمر بعد أبي بكر؟...

ثمّ ما القيمة الحقيقيّة لنسخة من القرآن لدى رجل جمعه حفظًا على عهد رسول الله[٣]، و في عصر كان المحفوظ فيه أوثق ثبوتًا، و أعظم حياة في وجدانه وعلى لسانه، إن لم يكن ذلك من أجل الأُمّة بأسرها!

ولعلّ موقفنا من هذه الادّعاءات واضح بعد ما قدّمنا، لكنّا نشير إلى مغالطة وقع فيها بلاشير، هي القول بأنّ جمع أبي بكر للقرآن كان مَسبوقًا أو مَصحوبًا بمحاولات أُخرى فرديّة، وهو يشير إلى أسماء عدد من الصَّحابة، منهم مُعاذ بن جَبَل، و أُبيّ بن كعب، و زيد ابن ثابت، وأبو الدَّرداء، و أبو زيد بن السَّكَن وغيرهم، كما يستدلّ على ذلك بخبر أُبيّ

---

١ ـ المدخل إلى القرآن: ٣٣ ـ ٣٤.

٢ ـ المدخل: ٣٥ ـ ٣٦.

٣ ـ الإتقان ١: ٧١؛ وانظر أيضًا: تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ١٨.

السّابق ذكره في جمع القرآن[1]. ونحن لا ننكر أنّ محاولات فرديّة سبقت و صحبت جمع أبي‌بكر للقرآن، و لكنّها لم تكن لجمع‌القرآن، بل لتقييد محفوظ كلّ‌منهم، كان‌ذلك‌على‌عهد رسول الله ﷺ و كان ذلك بعده مخافة النّسيان أو الخطأ، ولسوف يكون لنا في ذلك حديث.

فلمّا كان أمر أبي بكر لزيد، وفدالصّحابة سراعًا بما لديهم، يضعونه بين يدى زيد، و يوثّقونه بشهادة العدول. هذا كلّ ما في الأمر، لكن أهداف الاستشراق تريد أن تخلع عن عمل أبي بكر ميزة الجدّيّة، و أن تجرّده من كونه عملاً تضافرت عليه جهود، و توفّرت له صفة التّواتُر، أي قطعيّة الثّبوت، ليصبح في نظر النّاس عملاً فرديًّا، لم تدفع إليه مصلحة عامّة، وليس هو بأولى من غيره بالالتزام والمتابعة.

وعودة إلى حال هذا المُصْحَف في عهد عمر ﷺ حين أصبح أميرًا للمؤمنين، لنؤكّد أنّه استمرّ على ما كان عليه أيّام أبي بكر، مع مزيد من النّشاط في تعليم النّاس القرآن، و تجنيبهم أن يخطئوا في قراءته على الوجه الّذي ينبغي أن يقرأ به في حدود الأحرف السّبعة، وقد عثرنا على خبر يدلّ دلالة واضحة على ما نقول، فقد روى محمّد بن سعد في طبقاته عن محمّد بن كعب القُرَظيّ بإسناده، قال: جمع القرآن في زمان النّبيّ ﷺ... [و ذكر كما تقدّم عنه]

ثانيًا ـ في عهد عُثمان بن عَفّان

وفي زمان عُثمان تفاقم الأمر، فقد تولّى الخلافة سنة أربع و عشرين، و اتّسم عهده بكثرة الفتوحات، ومضت ستّ سنوات من الغزو والتّوسّع، و أمر إقراء القرآن موكول إلى المسلمين الّذين حملوا معهم محفوظهم منه ما وسعهم اقتدارهم على الضّبط والأداء، وكانت الفروق بين ما يقرأون و ما ينبغي أن يكون عليه النّصّ المنزل تتّسع شيئًا فشيئًا، وهم لم يكونوا في ذلك عامدين، بل متحرّين وجه الصّحّة بقدر الإمكان، إلى أن كانت سنة ثلاثين، حين توجّه حُذَيفة بن اليَمان و معه سعيد بن العاص إلى أذربيجان، فأقام سعيد حتّى عاد حُذَيفة من بعض أسفاره، ثمّ رجعا إلى المدينة، و في الطّريق قال حُذَيفة لسعيد

---

١ ـ المدخل إلى القرآن: ١٢، ٣٥ ـ ٤٥.

ابن العاص: «لقد رأيت في سفرتي هذه أمرًا... [وذكر كما تقدّم عن ابن الأثير، ثمّ قال:]

وبمقارنة صدر هذا الخبر بالخبر السّابق عن نشاط عمر في توزيع القُرّاء على الأمصار، نجد أنّ حِمْص ـ هناك ـ أقام بها عُبَادَة بن الصّامِت، ثمّ رحل عنها إلى فلسطين فمات بها، و هي ـ هنا ـ تأخذ القرآن عن المِقداد، وهذا الجزء من الخبرين كافٍ في تبيان مَدىٰ نشاط الصَّحابة في نشر القرآن في مختلف الأمصار، حتّى ليقيم بها صحابيّان من معلّمي القرآن في زمن واحد تقريبًا.

والخبر يكتفي بالإشارة إلى وجود خلاف ما بين القُرّاء، دون أن يحدّد مَدىٰ هذا الخلاف، و لكنّه يعطينا تفصيلاً ثمينًا في نظرنا، حين يذكر رأي جمهور الصَّحابة في مواجهة قراءة أهل الكوفة آنذاك، حين قالوا لهم: «إنّما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنّكم على خطأ»... [ثمّ ذكر قول الرّافعيّ في وجوه القراءات كما تقدّم عنه، فقال:]

ولا ريب لدينا في أنّ الفرق الملحوظ لدى هؤلاء الصّحابة ـ بين قراءتهم و قراءة هؤلاء الأعراب ـ لم يكن ممّا يمكن أن تتحمّله رخصة الأحرف السّبعة، كما فقهوها عن النّبيّ، بل تعدّاه إلى مستوى الخطأ في هذه الرّواية أو الأداء، وهو خطأ لم يكن متعمّدًا قطعًا.

و قد وردت في كتاب المصاحف روايات عدّة يكشف مجموعها عن مدى الخلاف بين هذه القراءات، و من نصوصها: «فتذاكروا القرآن، فاختلفوا فيه، حتّى كاد يكون بينهم فتنة»، و كذلك...[ثمّ ذكر رواية أبي قِلابة كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ٣، فقال:]

و أيضًا أنّ ناسًا كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها قال: فإنّي أكفر بهذه، ففشا ذلك في النّاس، و اختلفوا في القرآن»[١]، و في رواية: «كان الرّجل يقرأ، حتّى يقول الرّجل لصاحبه: كفرت بما تقول»[٢].

وكلّها نصوص شاهدة بخطورة المدىٰ الّذي بلغه الاختلاف، وهو خلاف لا يدخل ـ في نظرنا ـ في نطاق الرّخصة العامّة. غير أنّ رواية من الرّوايات منحتنا نموذجًا للخلاف الّذي ثار له حُذَيْفة، وهي عن يزيد بن مُعاوية، قال: «إنّي لفي المسجد زمن الوليد بن

١ ـ إعجاز القرآن: ٣٤ـ٣٥.

٢ ـ المصاحف ١: ٢١.

عَقَبة... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ١٣، إلى أن قال:]

وأكثر الرّوايات على أنّ مُصْحَف عُثمان كان نسخة من جمع أبي بكر، و أنّ الرَّهط الّذين تولّوا كتابته كانوا أربعة كما ذكرت الرّواية[١]، و قد تقتصر بعض الرّوايات على زيد و سعيد[٢]، و قد تبلغ بعض الرّوايات بالرّهط اثني عشر رجلاً[٣].

ولا مانع لدينا في أن يكون هذا العدد قد اشترك في الكتابة، ولكن يغلب أن يكون الأربعة الأوّلون قد انفردوا بكتابة النّسخة الأُولى، ثمّ جاء الباقون فأخذوا عنها بقيّة النّسخ الّتي أرسلها عُثمان إلى الأمصار.

و من أهمّ أخبار كتابة المصاحف على عهد عُثمان ما ذكره الحسين بن فارِس بإسناده عن (هانيء)قال: «كنت عند عُثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبيّ بن كعب، فيها: «لم يَتَسنَّ» و «فأمهل الكافرين» و «لا تبديل للخلق»، قال: فدعا بالدّواة، فمحا إحدى اللّامين، وكتب «لخلق الله» و محا «فأمهل» وكتب «فمهّل»، وكتب «لم يَتَسنّه» ألحق فيها «هاء»[٤]. و معنى ذلك أنّ عمليّة الكتابة كانت مشتركة بين مُجيّدي الكتابة من صحابة رسول الله، وهي شركة تخلع على العمل كلّه توثيقًا ينفي عنه كلّ احتمال. [ثمّ ذكر حول صُحُف حَفْصَة في عهد مَروان، كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٣٥ إلى أن قال:]

ومعنى هذا أنّ مُصْحَف أبي بكر كان مكتوبًا ـ كما هو المنطق ـ على حرف واحد، كما سبق أن قرّرنا ذلك بالنّسبة إلى كتابة كُتّاب الوحي على عهد رسول الله، و إذا كان زيد بن ثابت على ما ورد في الأحاديث الصّحيحة[٥]، من أكثر كُتّاب الوحي ملازمة لرسول الله ﷺ، ثمّ هو قد قام بكتابته عَلى عهد أبي بكر، و على عهد عُثمان، فإنّ ذلك يدلّنا على أنّ منهج الكتابة كان واحدًا في المراحل الثّلاث تقريبًا، إلّا ما ارتآه عُثمان من تجريد رسمه من

١ ـ انظر أيضًا: صحيح البُخاريّ ٣: ١٩٦ ـ ١٩٧.

٢ ـ المصاحف ١: ٢٥.

٣ ـ نفس المصدر ١: ٢٢ ـ ٢٣.

٤ ـ الصّاحبيّ: ٩.

٥ ـ المصاحف ١: ١٦.

الإعجام، على ماسبقت مناقشته، حتّى يتّسع الرّسم لكثير من الوجوه الّتي صحّ نقلها عن النّبيّ ﷺ.

ثمّ إنّ هدفًا آخر قد تحقّق بعمل عُثمان، هو التّقريب اللّغويّ ما بين وجوه القراءة المتلوّة آنذاك في الأمصار المختلفة، والقضاء على الخلاف الّذي كاد يعصف بوحدة الجماعة، أي أنّ عمل عُثمان كان من مقاصده أساسًا نشر النّصّ القرآنيّ بلسان قُريش، وإرساء هذا التّقليد اللُّغويّ الّذي سبقته مقدّمات كثيرة في عهد أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

وقد ساعد على ذلك أمر عُثمان بإحراق كلّ ماعدا مُصْحَفه من صُحُف أو مصاحف كان قيّدها الصَّحابة والآخذون عنهم، وقد انصاع لأمره النّاس في سائر الأمصار، فيما عدا ماروي عن عبد الله بن مسعود من أنّه عارض ذلك، وأمر النّاس في الكوفة بالتّمسُّك بمُصْحَفه، قائلاً... [ثمّ ذكر قول ابن مسعود في قراءة زيد، كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٢٧، فقال:]

فابن مسعود عارض في إحراق مُصْحَفه، وفي عمل عُثمان أيضًا، لشبهة اعترته، هي ظنّه أنّ زيدًا قد تفرّد بالعمل، وقد كان هو أولى من يقوم به، فلمّا علم بعد ذلك أنّ موقفه قائم على شُبهة لا أكثر، وأنّ المُصْحَف الّذي أرسله عُثمان هو نسخة من جمع أبي بكر الّذي أخذ عن صُدور الرِّجال، وعن العُسُب واللِّخاف الّتي كتبت على عهد رسول الله، وإنّ زيدًا لم ينفرد بالعمل، بل شركه فيه جمع كبير من الصَّحابة، وأجمع عليه المسلمون جميعًا، وافق اقتناعًا أوّلاً[1]، وحفاظًا على وحدة الأُمّة ثانيًا. وبذلك تمّت موافقة الأُمّة كلّها على مُصْحَف عُثمان... [ثمّ ذكر قول مُصْعَب بن سعد وقول عليّ عليه السلام كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ١٥ و ١٦]. (١٠١ـ١١٧)

١ ـ المصاحف ١:١٨.

الفصل الثّامن والخمسون

نصّ مكارم الشّيرازيّ (معاصر) في تفسيره «الأمثل ...»

في جمع القرآن

لماذا سُمّيت فاتحة الكتاب؟

«فَاتِحَةُ الْكِتاب»، اسم اتّخذته هذه السُّورة في عصر رسول الله ﷺ، كما يبدو من الأخبار والأحاديث المنقولة عن النّبيّ الأعظم.

وهذه المسألة تفتح نافذة على كثير من المسائل الإسلاميّة، وتلقي الضّوء على قضيّة جمع القرآن، و توضح أنّ القرآن جُمع بالشّكل الّذي عليه الآن في زمن الرّسول ﷺ خلافًا لما قيل بشأن جمع القرآن في عصر الخلفاء، فسُورة الحمد ليست أوّل سورة في ترتيب النّزول، و تسميتها بفاتحة الكتاب تعود إلى الموضع الّذي اتّخذته بين السُّوَر في التّرتيب القرآنيّ خلال عصر نزول الوحي. وثَمّة أدلّة أُخرى تؤيّد حقيقة جمع القرآن بالتّرتيب الّذي بأيدينا اليوم في عصر الرّسول ﷺ و بأمره... **[ثمّ ذكر رواية عليّ بن إبراهيم عن الإمام الصّادق عليه السلام و رواية الخوارَزميّ عن ابن رياح، كما تقدّم عن الزَّنجانيّ].**

و روى (الحاكم) في «المستدرك» عن (زيد بن ثابت) قال: «كُنّا نُؤلّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقاعِ».

ويقول السّيد المرتضى رحمه الله: «إنَّ القرآنَ كانَ عَلىٰ عَهْدِ رسول الله ﷺ مَجْمُوعًا مُؤَلَّفًا عَلىٰ ما هُو عَلَيْهِ الآنَ».

ويروي الطّبرانيّ وابن عساكر عن الشَّعبيّ: أنّ القرآن جمعه ستّة من الأنصار في عصر النّبيّ ﷺ... **[ثمّ ذكر رواية البُخاريّ عن أنس كما تقدّم عنه الرّقم ١١ و١٢، فقال:]**

وهناك روايات أُخرى يطول ذكرها .

على أيّ حال، اتّخاذ سورة الحمد اسم «فاتحة الكتاب» دليل واضح على إثبات هذه المسألة، إضافة إلى الأدلّة الأُخرى المستفيضة في مصادر الشّيعة والسّنّة .

سؤال: وهنا يثار سؤال حول المشهور بين بعض العلماء بشأن جمع القرآن بعد عصر النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

وفي الجواب نقول: ما روي بشأن جمع القرآن على يد عليّ عليه السلام بعد عصرالرّسول،لم يكن القرآن وحده، بل مجموعة تتضمّن القرآن وتفسيره وأسباب نزول الآيات، و ما شابه ذلك ممّا يحتاجه الفرد لفهم كلام الله العزيز .

وأمّا ما فعله عُثمان في هذا الصّدد، فتدلّ القرائن أنّه أقدم على كتابة قرآن واحد عليه علامات التّلاوة والإعجام، منعًا للاختلاف فيالقراءات، إذ لم يكن التّنقيط معمولاً به حتّى ذلك الوقت . وما نراه من إصرار لدى جماعة على عدم جمع القرآن في عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله ، و على نسبة هذا الأمر للخليفة عُثمان أو للخليفة الأوّل أو الثّاني، فإنّما يعود إلى ظروف و ملابسات و عصبيّات تاريخيّة لسنا بصددها الآن .

وإذا رجعنا إلى استقصاء طبيعة الأشياء في مجال جمع القرآن، ألفينا أنّه من غيرالمعقول أن يترك النّبيّ صلّى الله عليه وآله هذه المهمّة الكبيرة، بينما نجده يهتمّ بدقائق الأُمورالمرتبطة بالرّسالة .

أليس القرآن دستور الإسلام، وكتاب هداية البشريّة، وأساس عقائدالإسلام و أحكامه؟ أليس من الممكن أن يتعرّض القرآن إن لم يجمع في عصرالرّسول صلّى الله عليه وآله إلى الضّياع، وإلى الاختلاف فيه بين المسلمين؟!

حديث الثّقلين المرويّ في المصادر الشّيعيّة والسّنّيّة، حيث أوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله بوديعته: كتاب الله، و عترته، يؤكّد أيضًا أنّ القرآن كان قد جُمع في مجموعة واحدة في عصر الرّسول الأعظم .

أمّا اختلاف الرّوايات في عدد الصّحابة الّذين جمعوا القرآن خلال عصر النّبيّ، فلا يشكل عقبة في البحث، و من الممكن أن تتّجه كلّ رواية إلى ذكر عدد منهم . (١:١٩ـ٢١)

الفصل التّاسع والخمسون

نصّ آل عُصفور (معاصر) في «إتْحاف الفُقهاء...»

القراءات القرآنيّة في عهد أبي بكر

روى البُخاريّ بإسناده عن عُبَيد بن السَّبّاق أنّ زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل اليمامة... **[وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]**

أقول: لا يخفى على الفطن النّبيه ما في هذه الرّواية من التّهافت.

أمّا أوّلاً ـ فلمخالفتها لما تقدّم ذكره، حيث تمّ التّعرّض لمن جمع القرآن في عصر النّبوّة فضلاً عمّن دونه، وهم من الكثرة بما لايدع مجالاً للشّكّ فيه.

وأمّا ثانيًا ـ في قوله: «كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ» حيث دلّ على نقض صريح لمقام النّبوّة الخاتمة، وهو نظير ما جيك ضدّ شخصيّة النّبيّ ﷺ من أنّه لم يعرف بنبُوّته لولا إخبار ورقة بن نُوفَل بتوسّط زوجته خديجة(رضي الله عنها)، فالرّسول الأكرم ـ صاحب الرّسالة الخاتمة والّتي شرعت لكافّة الأجيال وللعالمين إلى قيام السّاعة ـ لا يدوّن قرآنه، و يرجع الفضل في ذلك لغيره و بعد زمنه، يا سبحان الله وكيف كان فبطلانه ممّا شهد به الوجدان، مؤيّدًا بالعيان، فضلاً عن إقامة البُرهان، و تمام التّحقيق في هذا المقام سنودعه في كتابنا (كنز القُرّاء) إن شاء الله تعالى.

وأمّا ثالثًا ـ ما جاء فيه في قوله: «قد كنت تكتب الوحي لرسول الله» فإذا كان زيد كاتبًا للوحي، فكيف يكون النّبيّ ﷺ لم يفعله ولم يأمر به؟

وأمّا رابعًا ـ إذا كان القرآن قد جمع في عهد النّبيّ ﷺ ـ حسبما تقدّم بيانه ـ فلماذا لم

يعتمد أو يشار ولو إلى نسخة من تلك النّسخ المجموعة؟

وأمّا خامسًا ـ فما هو الدّليل على أنّ النّبيّ ﷺ كان يأمر كُتّاب الوحي بكتابة القرآن على العَسيب واللِّخاف على الرّغم من وجود الرَّقّ والورق، وهو زعيم الدّولة يومذاك وقائدها، ووفرة الإمكانات في يده و تحت إمْرته، لكي يأتي من يوجّه جمع أبي بكر بأنّه كان أوّل جمع للقرآن على الورق و في مُصْحَف واحد، وكان القرآن في عهد النّبيّ ﷺ مجموعًا مكتوبًا مفرّقًا على العُسُب واللِّخاف؟!

وأمّا سادسًا ـ فلماذا يغفل أيّ ذكر لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب وحواريّ رسول الله ﷺ من أمثال سَلْمان و أبي ذرّ والمقداد في هذا الموضع المهمّ؟ ألم يكونوا من حُفّاظه وكُتّابه وحملته و أعيان قُرّائه؟!!

القراءات القرآنيّة في عهد عُمر بن الخطّاب

قال ابن سعد في طبقاته: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أُويس، حدّثني سُلَيْمان بن بَلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة عن محمّد بن كَعْب القُرَظيّ... [**وذكر كما تقدّم عنه**].

أقول: ولا يخفى ما في هذا الخبر أيضًا و مخالفته للخبر المتقدّم الحاكي لجمع أبي بكر للقرآن بإشارة من عُمر، فإذا كان أُولئك الخمسة من الأنصار قد جمعوا القرآن في زمان النّبيّ ﷺ، وهم العمدة في ضبطه و تدوينه و جمعه وتأليفه فأيّ خطر خيف منه على القرآن من جرّاء اشتداد القتل بقرّائه في اليَمامة؟ و إذا كانوا على قيد الحياة في زمن عمر، وكان لهم من الصّيت والشُّهرة ما دفع عُمر لإرسال بعضهم للشّام، فما هو المانع من الاعتماد عليهم في زمن أبي بكر بدلاً من زيد بن ثابت على الرّغم من صغر سنّه وحداثة عهده قياسًا بأُولئك؟

بل لماذا لم يعوّل على ما جمعوه؟ إذ مع وجوده لا يكون هناك خطرًا على بقاء القرآن، يضاف إلى ذلك أنّه لم ينقل أنّ ما جمعه أُولئك كان بينه اختلاف فيما بينهم فيه بل

لم ينكر على أحد منهم في آية تفرّد بها على من سواه في تدوينها و ضبطها، بل لم ينقل عنهم أدنى من ذلك كاختلاف في هيئة كلمة أو حركة إعراب.

ولا يخفى على كلّ من له ذرّة نباهة و عقل يعقل به وفكر يعي به أنّ ما روي عن أبي بكر في طريقة جمعه للقرآن على حدّ تعبير السّيوطيّ في الإتقان عن مغازي موسى بن عُقْبة عن ابن شِهاب... **[وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثمّ قال:]**

ليس له أيّ قيمة تاريخيّة و أيّ اعتبار علميّ، لما فيه من التّهافُت والتّناقُض والنّقض والاضطراب بحدّ لم يدع مجالاً لإمكان الأخذ به بعين الاعتبار.

وخلاصة القول في المقام: إنّ الرّوايات الواردة في كتب أهل السُّنّة حول هذا الموضوع بلغت من الاضطراب و التّناقُض حدًّا يقطع بسقوطها جميعًا من دون حاجة بنا إلى الاستدلال بشواهد خارجة عن دائرتها لنقضها وردّها.

القراءات القرآنيّة في عهد عُثمان بن عَفّان

روى الذّهبيّ في «سير أعلام النّبلاء» عن عامر الشَّعبيّ، قال: ولم يجمع أحد من الخُلفاء من الصّحابة القرآن غير عُثمان.[١]

وقال ابن سعد في طبقاته الكُبرى: أخبرنا محمّد بن عمر، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبَرة عن مُسلم بن يَسار عن ابن مَرْسا مولى لقُريش، قال: عُثمان بن عَفّان جمع القرآن في خلافة عمر.[٢]

أقول: وقد وقع في هذا الموضع أيضًا من الاضطراب نظير ما تقدّم... **[ثمّ ذكر رواية ابن شِهاب في قصّة حُذَيفة كما تقدّم و رواية ابن أبي داود عن ابن سيرين وعن كثيربن أفلح الرّقم ٤٤ و قول ابن حَجَر، والزّنجانيّ كما تقدّم عنهما فقال:]**

أقول: ولقائل أن يقول: من أين ذلك المُصْحَف لحَفْصَة؟ و من أعطاها إيّاه؟ و ما هي

١ ـ سير أعلام النّبلاء ٢: ٣٤٠.

٢ ـ الطّبقات الكُبرى ٢: ٣٥٦.

قيمته الاعتباريّـة لكي يرسل عُثمان إليها في طلبه، و تدفعه له بشرط إرجاعه، فيرجعه بعد استنساخه وكأنّـه ملك لها؟ فإذا كان هوالقرآن الّذي جمعه أبو بكر برأي عمر ـ على حدّ دعوى ما تقدّم ـ و أنّه وصل إلى يد عمر بالوصاية، فاللّائق بل اللّازم أن ينقل إلى يد عُثمان بعد وفاة عمر، إذ لا داعي لإيداعه في يد حَفْصَة، لأنّها لم تكن خليفة للمسلمين، ولم تكن من قُرّائه و مقرئيه، فيحتاج إلى إبقائه عندها.

وإذا كان مُصْحَف حَفْصَة غير ما دُوّن في عصر أبي بكر، فلِمَ لم يحدّثنا التّاريخ عن أصله و فصله؟ يضاف إلى ذلك كلّه أنّ ذلك المُصْحَف على الاحتمالين من كونه مُصْحَف أبي بكر أو حَفْصَة كان على درجة من الاعتبار والاستناد، فليس هـناك داع أصـلاً إلى تجشّم عناء جمعه مرّةً أُخرى، بل إن ثبت أنّه تمّ تدوينه على أيدٍ أمينة و تحت إشراف و رعاية من لا يشكّ في أمره وعمله وضبطه و دقّته، و أنّه تمّ استنساخه في عهد يقرب من عهد الرّسالة، لِمَ لا يؤخذ و يستنسخ ويجعل حجّة يعوّل عليه وفيصلاً ينتهي إليه.

وإذا عرفنا ممّا سبق أنّ عُثمان بن عَفّان من كُتّاب الوحي، لِمَ لَمْ يكتبه بنفسه و يضبطه حسبما سمعته أُذناه من الرّسول الأعظمﷺ و حسبما أفاده من مصدر الوحي والرّسالة؟ وقد أشرنا في صدر حديثنا في أوّل هذا المقام إلى حديثين يدلّان على كونه ممّن جمع القرآن، بل أوّل من جمعه من الخُلفاء و لمرّتين على حدّ تعبيرهما، أوّلهما: في زمن عمر، ولم ينقل له على شاهد، والثّاني: في عهده وفترة خلافته، بل ربّما يـضاف إليـها زمـن الرّسول الأكرمﷺ، و كلّ ذلك مخدوش و قابل للطّعن والتّزييف.

وقيل: ولمّا نسخوا الصُّحُف في المصاحف ردّها عُثمان إلى حَفْصَة، ونسخوا أربعة مصاحف، وأبقى عنده واحدًا منها، و أرسل عُثمان الثّلاثة للبَصْرة والكوفة والشّام، و عيّن زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدنيّ، و بعث عامر بن قيس مع البَصريّ، و أبا عبد الرّحمان عبد الله ابن حبيب بن ربيعة السُّلَميّ مع الكوفيّ، والمغيرة بن شِهاب مع الشّاميّ و قرأ كلّ مصر بما في مُصْحَفه... [ثمّ ذكر حكاية ابن طاوُوس عن أبي جعفر بن منصور ورواية محمّد بن زيد بن مروان... كما تقدّم عنه، فقال:]

أقول: انظر إلى هذه النّقول الّتي لا يمكن التّوفيق بين أحدها بوجه من وجوه المعقول، و قد ورد في جملة من كتب التّاريخ أنّ عُثمان بن عَفّان قام بحرق جميع المصاحف الّتي كانت في عهده، ولم يستثن إلّا مُصْحَف حَفْصَة، حيث أعاده إليها ـ كما تقدّم ـ بعد استنساخه، و يرد عليه:

أوّلاً ـ إذا كان الأصل نسخة حَفْصَة و هي كاملة، فلا معنى لعدّ عُثمان جامعًا للقرآن.

ثانيًا ـ إذا قام عُثمان بتغيير بعض الآيات في النُّسخة الّتي نقلها عن مُصْحَف حَفْصَة، فعمله هذا لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون عمله هذا تحريفًا للقرآن أو إصلاحًا له، فإن كان الأوّل فلا ريب ولا شُبهة في شناعة فعله و قبح صنيعه، و إذا كان الثّاني فلا بدّ له أن يعامل مُصْحَف حَفْصَة بما صنعه في بقيّة المصاحف، لأنّه مُصْحَف وفيه أخطاء، فيجب أن يقضي عليه، لإحكام القرآن وصونه عن كلّ تحريف، و كذلك لو أخذنا بعين الاعتبار هذا الأمر، لتوجّه النّقض على أبي بكر و عمر و نسبتهما إلى الجهل وعدم الأمانة.

ثالثًا ـ أنّ العهد لا زال قريبًا بعصر النّبوّة، و إذا سلّمنا بدعوى أنّ القرآن كان مكتوبًا على العُسُب واللّخاف، فلِمَ لا يرجع إليها مباشرة ويعوّل عليها؟ لأنّها عبارة عن الخطوط الأُولى الّتي دوّنت بإشراف النّبيّ ﷺ ومحضره.

رابعًا ـ إن كان عُثمان بن عَفّان من كُتّاب الوحي، لماذا لم يأت بما كتبه و خطّته يده في زمن امتهانه مهنة كتابة ما يوحى إلى النّبيّ ﷺ منه؟ فأين ذهب يا ترى!!؟

خامسًا ـ إن كان القرآن كتابًا مقدّسًا، ونصّ في جملة آياته على وجوب احترامه وتقديسه والعمل به، وكذا دلّت السّنّة النّبويّة، فلماذا تنتهك قدسيّة القرآن بحرقه؟ و إذا كان عُثمان غيورًا على القرآن لِمَ لم يعمل بأحكامه؟ و وزّع العالم الإسلاميّ بين بني عمومته و أبناء أُرومته، فعاثوا في الأرض الفساد، ومزّقوا كلّ حرمة شرّ ممزّق، و هتكوا الحقوق وبذّروا أموال بيت المال في إشباع نَهْم شهواتهم من دون إنكار، حتّى كثرت الشّكايا منهم، فلم يأبه بذلك، ولم يقابلهم بأُذنٍ صاغية، فاجتمعوا عليه وقتلوه في داره.

وإذا كان لتلك النُّسخ الّتي بعث بها إلى الأمصار وجود، فلِمَ لم ينقل عنها مؤرّخ من

مؤرّخي التّاريخ على الرّغم من وفرتهم وانتشارهم وسياحتهم سوى ابن فضل الله العُمَريّ و في القرن الثّامن الهجريّ وكأنّ الأرض قد خليت في تلك الفترة الزّمنيّة المتمادية ممّن في يده دواة وقلم، وكذا بعد تلك الفترة إلى يومنا هذا؟

وخلاصة ما نصل إليه أنّ أكثر الأحاديث الواردة في هذا الشّأن من الموضوعات مبالغ فيها، حاكها خلفاء بني أُميّة و من بعدهم بنو العبّاس خدمة لأغراضهم الخاصّة، ولإسدال السّتار على الشّنائع الّتي عرفت عمّن نسبت إليه، و الأعمال المزرية الّتي صدرت عنهم.

مُواصفات المُصْحَف العُثمانيّ

قال الباجيّ في المحكيّ عنه: «لاسبيل إلى تغيير حرف من تلك الحروف الّتي في هذا المُصْحَف، لأنّ عُثمان والصَّحابة حرّقوا المصاحف الأُولى ماسوى هذا المُصْحَف، ولوكان فيها شيئًا من بقيّة تلك الحروف الّتي أُنزل عليها القرآن لم يحرّقوه، وأيضًا حرّقوها لأنّها كانت على غير ترتيب هذا المُصْحَف المتّفق على ترتيبه».

أقول: و معنى كلامه هذا أنّ أوّل من رتّب القرآن بالنّحو المتعارف عليه اليوم بيننا هو عُثمان بن عَفّان، وهو أمر باطل قطعًا، لأنّه لاسبيل له إلى ذلك، بل هو أمر توقيفيّ، ثبت النّصّ عليه من الباري جلّ وعلا في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ * فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾[1] كما أنّه ورد أنّ القرآن نزل جملةً واحدةً في ليلة القدر إلى سَماء الدّنيا، وأنّه نزل بعد ذلك على النّبيّ ﷺ نجومًا أو منجّمًا بحسب الوقائع والأحداث، وكان يخبر النّاس بمواضع الآيات واحدة تلو الأُخرى، كما كان يأمرهم بمواضع السُّوَر و ترتيبها، وكان ينظّم ذلك كلّه كما يتلقّاه من الوحي، و يأمر بضبطه و إثباته.(٣٥ – ٤٥)

---

١ ـ القيامة /١٧ـ١٩.

الفصل السّتّون

نصّ الدّكتور حجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

جمع القرآن في عصر الرّسول ﷺ

التّدوين

أمّا بالنّسبة إلى تدوين القرآن في عصر الرّسول ﷺ هناك ثلاثة احتمالات:

أ ـ أن يكون القرآن قد كتب بأجمعه بشكل متفرّق من دون ترتيب بين سُوَره وآياته.

ب ـ أن يكون القرآن قد دوّن على شكل سُوَر مستقلّة منتظمة الآيات، ولكن من دون ترتيب بين السُّوَر.

ج ـ أن يكون القرآن قد دوّن في عصر الرّسول ﷺ مرتّبًا بسُوَره وآياته.

وليس من شكّ لدى أيّ باحثٍ في العلوم القرآنيّة أنّ جمع القرآن قد تمّ في حياة النّبيّ ﷺ على الاحتمالين الأوّل والثّاني، لكنّ الاختلاف قائم بين العلماء حول جمع القرآن على الاحتمال الثّالث، وهو بين مؤيّد ومعارض.

أدلّة المؤيّدين

ويستفاد ممّا روي عن زيد بن ثابت: «كنّا عند رسول الله نؤلّف القرآن من الرِّقاع»[١].

إنّ كُتّاب الوحي كانوا ـ إضافة إلى اهتمامهم بتدوين القرآن ـ يجمعون القرآن، ويؤلّفون بين أجزائه في زمن النّبيّ ﷺ لأنّ التّأليف لا يعني التّدوين وحده، بل يدلّ أيضًا على

---

١ - الإتقان ١: ٩٩؛ والبرهان: ٣٢٧؛ ومقدّمتان: ٤٩.

التّنظيم والتّرتيب، ولكنّ هذه الرّواية وحدها لا يمكن أن تثبت بشكل قاطع جمع القرآن كلّه في زمن الرّسول بين دفّتي كتاب.

وقد ذكر في بعض الرّوايات أنّ أُبيّ بن كَعب قرأ القرآن على رسول الله ﷺ بالتّرتيب الموجود، ابتداء من سُورة الفاتحة حتّى نهاية سورة النّاس. و يروي أُبيّ بن كعب فضيلة كلّ سُورة من سُوَر القرآن عن النّبيّ ﷺ و يتدرّج في ذكر السُّوَر بالتّرتيب الموجود فعلاً في القرآن.

ويستفاد من أحاديث كثيرة أنّ الرّسول ﷺ كان يأمر ـ حين تنزل الآية أو الآيات ـ أن توضع في الموضع الفلانيّ من السُّورة الفلانيّة[1]. و معنى ذلك أنّه ﷺ كان «يُملي عليهم القرآن و يوقفهم على ترتيب الآيات».

ومن الباحثين من يضيف إلى الاستدلال الرّوائيّ أدلّة أُخرى، منها: أنّ طبيعة الأشياء تقتضي أن يكون الرّسول ﷺ قد اهتمّ شخصيًّا بتنظيم القرآن و ترتيبه، باعتبار أنّ هذا الكتاب المقدّس أساس الدّعوة وعمادها، و مبيّن أحكامها و فرائضها...

أحد المفسّرين المعاصرين ذهب إلى أنّ جمع القرآن تمّ على ثلاث مراحل:

الأُولى ـ في عصر النّبيّ ﷺ حيث جمع القرآن مقرونًا بأسباب النّزول.

الثّانية ـ في زمن خلافة أبي بكر، إذ كلّف زيد بن ثابت أن يجمع القرآن، ويرتّبه بدون ذكر أسباب النّزول، لكن الاختلاف في القراءات كان موجودًا في هذه المرحلة.

الثّالثة: زمن خلافة عُثمان، حيث أُزيلت اختلافات القراءات[2].

أدلّة المعارضين

في قبال الأدلّة المؤيّدة لجمع القرآن وترتيبه في زمن النّبيّ ﷺ، توجد أدلّة معارضة، منها ما روي عن زيد بن ثابت، راوي حديث تأليف القرآن من الرِّقاع عند رسول الله ﷺ:

---

١ ـ مقدّمتان: ٢٦ـ٢٧.

٢ ـ تفسير جامع (فارسيّ) ١:٢١.

أنّ رسول الله ﷺ رحل إلى الرّفيق الأعلى، ولمّا يُجمع القرآن في مُصْحَف واحد.

التّعارض بين الموقفين يمكن حلّه في رأينا بنحوين:

الأوّل ـ أنّ زيد بن ثابت و آخرين عكفوا على جمع القرآن في زمن النّبيّ ﷺ، لكنّ النّبيّ ﷺ رحل من دون أن يتمّ هذا المشروع.

الثّاني ـ أنّ النّبيّ ﷺ بيّن للصّحابة ترتيب القرآن و تنظيمه، وهذا هو المقصود من التّأليف، ولم يتسنّ للصّحابة أن يجمعوا القرآن في مُصْحَف واحد.

أضف إلى ذلك أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام شمّر عن ساعد الجدّ بعد وفاة رسول الله ﷺ لجمع القرآن، ولوكان القرآن قد جمع في عصر النّبيّ ﷺ، فما الّذي فعل عليّ عليه السلام؟ وهناك من يجيب على هذا السّؤال: أنّ القرآن جمع في عهد الرّسول ﷺ بالشّكل الموجود بين أيدينا اليوم، أمّا ما فعله عليّ فهو جمع القرآن حسب التّسلسُل الزّمانيّ لنزول الآيات والسُّوَر[١].

وممّن عارض القول بجمع القرآن في زمن النّبيّ ﷺ الخطّابيّ[٢]، و الطَّبَريّ[٣]، والمحدث النُّوريّ[٤].

الرّأي المختار

من دراسة آراء الفريقين يمكن أن نخلص إلى رأي جامع، هو أنّ القرآن قد دُوّن بشكل كامل في عصر النّبيّ ﷺ على رقاع لم يكن بالإمكان جمعها بين دفّتي مُصْحَف واحد، ورسول الله ﷺ بيّن دون شكّ ترتيب السُّوَر والآيات.

وقد سبق أن بيّنّا عند دراستنا ترتيب السُّوَر أنّ التّرتيب الموجود في القرآن اليوم

---

١ ـ هناك روايات كثيرة تؤيّد ذلك، وسنفصّل الحديث في هذه المسألة عند دراستنا لجمع القرآن بعد وفاة صاحب الرّسالة ﷺ.

٢ ـ راجع الإتقان ١:٩٨ ـ ٩٩.

٣ ـ تفسير الطَّبَريّ ١: المقدّمة.

٤ ـ فصل الخطاب: ١٤ ـ ١٥.

هو على الإجمال نفس التّرتيب الّذي كان موجوداً في زمن النّبيّ ﷺ. و ما نراه من اختلاف في ترتيب بعض المصاحف يعود إلى أنّ هذا التّرتيب ليس بتوقيفيّ إلزاميّ.

وبعد وفاة الرّسول ﷺ تحقّق على يد المسلمين قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] فقد بذلت الجهود لجمع القرآن و توحيده ليكون مصُونًا من أيّ تحريف.

حفظ القرآن

ذكرنا فيما سبق أنّ لجمع القرآن معنيين؛ الأوّل: كتابة القرآن، و الثّاني: حفظه، و في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[2] ورد الجمع بمعنى الحفظ، و منه جُمّاع القرآن، أي حُفّاظه.

ومن العلماء من يسمّي حفظ القرآن الجمع الأوّل، وكان رسول الله ﷺ أوّل الحُفّاظ والجُمّاع بهذا المعنى للجمع... [ثمّ ذكر تفسير آية: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ و تفسير آية: ﴿لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ كما تقدّم عن الطَّبرسيّ والطّوسيّ في كيفيّة النّزول...] (٩٧ـ١٠٢)

جمع القرآن و تدوينه بعد وفاة الرّسول ﷺ

[١] عليّ عليه السلام ينهض بالخُطوة الأُولى

أجمع علماء الشّيعة على أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أوّل من جمع القرآن بعد وفاة الرّسول ﷺ، و دوّنه و رتّب سُوَره عملاً بوصيّته ﷺ. أمّا علماء السُّنّة فاختلفوا في ذلك، و ذكروا أربعة أشخاص اعتبروا أوّل من جمع القرآن، و هم: عليّ عليه السلام، وأبو بكر، وعمر، وسالم مولى حُذَيْفة، و إن كانوا يذكرون عليًّا عليه السلام على رأس هؤلاء

---

١ ـ الحِجر /٩.

٢ ـ القيامة /١٧.

الأربعة... [ثمّ ذكر رواية ابن سيرين و رواية عِكرِمة، كما تقدّم عن السُّيُوطيّ، ثمّ قال:]

ويحدِّد ابن النّديم مدّة جلوس عليّ عليه السلام في بيته لجمع القرآن بثلاثه أيّام[1]. ومثل هذه الرّواية جاءت في كتاب «المصاحف»[2] أيضًا، وفي كثير من كتب أهل السُّنّة.

واستفاضت الرّوايات في مصادر علماء الشّيعة بشأن جمع القرآن على يد عليّ عليه السلام، و منها: ما روي عن سُلَيْم بن قَيْس: أنّ عليًّا لزم البيت بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، وما خرج حتّى جمع القرآن على ترتيب نزوله ذاكرًا فيه النّاسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.[3]

و نقل المحدّث النّوريّ روايات كثيرة في هذا الباب، وجاء في بعضها أنّ عليًّا عليه السلام عرض مُصْحَفه على عِلية القوم، فرفضوه وقالوا: لاحاجة لنا به.[4]

وروى المحدّث القُمّيّ بسنده عن عليّ عليه السلام أنّه قال بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله... [ثمّ ذكر ترتيب و مصير مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام كما سيجيء في باب المصاحف].

[٢] جمع القرآن و تدوينه على عهد أبي بكر

تولّى أبو بكر أُمور المسلمين بعد وفاة النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله، و خلال فترة خلافته أعلن مُسَيلِمة الكذّاب ادّعاءه النّبوّة في اليَمامة، فجهّز الخليفة جيشًا فيه قُرّاء القرآن و حُفّاظه لمحاربة مُسَيلِمة، فانتهت الحرب بانتصار المسلمين، لكنّها أدّت إلى استشهاد عدد من القُرّاء والحُفّاظ، قيل: إنّ عددهم بلغ السّبعين. وقد ذكر المؤرّخون أنّ هذه الواقعة كانت الحافز لأبي بكر على الاهتمام بجمع القرآن... [ثمّ ذكر قصّة مقتل أهل اليَمامة نقلاً عن البخاريّ، كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢، فقال:]

يتّضح ممّا سبق أنّ القائمين على أمر جمع القرآن كانوا متردّدين أمام هذا العمل، خشية أن يحدثوا بدعة في الدّين، و هذا لا يعني طبعًا أنّ القرآن لم يكن مدوّنًا في عصر

---

١ ـ الفهرست: ٤١ ـ ٤٢.

٢ ـ المصاحف، ابن أبي داود: ١٠.

٣ ـ تاريخ القرآن(ف): ٥٨ـ٥٩.

٤ ـ فصل الخطاب: ٩٧؛ والكافي ٤: ٤٤.

رسول الله ﷺ ؛ لكنّه كان قبل وفاة الرّسول ﷺ مكتوبًا على الرِّقاع والعُسُب واللِّخاف، وجمعه في هذا العصر يعني تحويله إلى مجموعة واحدة منتظمة... [ثمّ ذكر قول المَحَاسبيّ ورواية ابن أشتة عن اللَّيث، كما تقدّم عن الزّركشيّ والسّيوطيّ، فقال:]

وهذه الرّواية تثير تساؤلاً حول سبب إصرار زيد بن ثابت على استشهاد شخصين بشأن كلّ آية مع أنّه حافظ للقرآن. [إلى أن قال:]

المُصْحَف

وقد جاء في كتاب «المصاحف» أنّ أبا بكر قال بعد جمع القرآن: التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم: «السّفر»، قال ذلك اسم تسمّيه اليهود، فكرهوا ذلك، وقال بعضهم: «المُصْحَف»، فإنّ الحبشة يسمّون مثله «المُصْحَف»، فاجتمع رأيهم على أن سمّوه «المُصْحَف»، وهذه كلمة ضبطت بفتح الميم وضمّها وكسرها[1].

وهذه التّسمية لا تختصّ بالقرآن، بل ورد عن طريق أئمّة أهل البيت: أنّ ثمّة كتابًا منسوبًا إلى فاطمة الزّهراء عليها السلام بهذا الاسم[2]، ولكنّ الشّيعة لم يعثروا له على أثر.

وثمّة روايات أُخرى تشير إلى أنّ ما جُمع في زمن أبي بكر إنّما كان صُحُفًا لا مُصْحَفًا واحدًا، أي لم يكن ما جمع مضمومًا بين دفّتي كتاب، وإنّما صار ذلك في زمن عُثمان، وراح بعضهم يلفّق بين روايتي المُصْحَف والصُّحُف[3]. ولا حاجة إلى الإطالة في دراسة هذه المسألة.

ترتيب السُّوَر في صُحُف أبي بكر

من خلال دراسة الرّوايات المختلفة بشأن جمع القرآن نخلص إلى أنّ القرآن كان مكتوبًا في زمن رسول الله ﷺ على جريد النّخل والعظام والجلود، كما أنّه

---

١ ـ والضّمّ أشهر من الفتح والكسر (راجع مجمع البحرين، مادّة: صُحُف).

٢ ـ راجع مجمع البحرين، مادّة: صُحُف.

٣ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٦٣ـ٦٤.

كان أيضًا محفوظًا في الصُّدور، وخلال عصر خلافة أبي بكر تمّ جمع كلّ سُوَر القرآن وكتابتها حسب ترتيب آياتها على الورق أو الجلد، لكنّ السُّوَر لم تترتّب في هذا العصر ... [ثمّ ذكر قول ابن عطيّة كما تقدّم عنه، فقال:]

وجدير بنا أن نورد ما ذكره صاحب«المباني»[1] بشأن ما عمله أبو بكر و عُثمان في جمع القرآن مع أنّه كان مجموعًا في زمن رسول الله ﷺ، قال...[وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ممّا سبق نفهم أنّ سُوَر القرآن جمعت منظومة الآيات في عصر أبي بكر، ولم يكن بين السُّوَر توالٍ، لكنّ المسلمين كانوا يعرفون هذا التّوالي من رسول الله ﷺ،و في عصر خلافة عُثمان، تمّ الجمع مع مراعاة توالي السُّوَر بين دفّتي كتاب.

مصير صُحُف أبي بكر

بعد وفاة أبي بكر صارت الصُّحُف الّتي جمعت في عهده إلى عمر، و بعد عمر صارت إلى ابنته «حَفْصَة»، و عندما عزم عُثمان على جمع القرآن أرسل إلى حَفْصَة أن ابعثي إليّ بالرُّقعة، فقالت: إنّي أخاف أن تحبسه عنّي، فحلف لها عُثمان ليردّنّه عليها. و روي أنّه لمّا هلكت حَفصَة أرسل عُثمان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة لمّا أرسل إليه بالرُّقعة، فأخذها وأحرقها. وقيل: إنّ عُثمان غسل الصَّحيفة غسلاً فانمحى ما فيها.[2]

وروي أنّ مروان هوالّذي أحرق صُحُف أبي بكر بعد وفاة حَفْصَة.[3]

وقد نشر أخيرًا البُروفسور Kordabi shirotoni رئيس جامعة طوكيو في كتاب «الشّرق الإسلاميّ» ورقة زعم أنّها منسوبة إلى أبي بكر أو إلى عصره، ولكنّ هذه الورقة فيها علامات إملائيّة تجعل احتمال كونها من عهد أبي بكر أو أنّها تعود إلى عصره.

---

١ ـ غير معروف، بدأ بتأليف تفسيره (كتاب المباني في نظم المعاني) سنة ٤٢٥هـ راجع مقدّمة كتاب «مقدّمتان».

٢ ـ مقدّمتان: ٢٢.

٣ ـ راجع البُرهان ١: ٢٣٩؛ المصاحف: ٢٤.

موقف الصَّحابة من صحائف أبي بكر

ليس من اليسير أن نفهم موقف بقيّة كبار الصَّحابة من القرآن الّذي جمعه زيد بن ثابت في عهد خلافة أبي بكر، فالرّوايات متناقضة في هذا الباب. فهناك روايات تشير إلى تأييد عليّ عليه‌السلام لمّا قام به أبو بكر... [ثمّ ذكر هاهنا روايتين عنه، كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١ و ٢، فقال:]

والرّواية الأخيرة يوردها صاحب «المباني» ثمّ يطرح بعد ذلك سؤالاً وجوابًا، يريد به التّأكيد على أنّ ما قام به أبو بكر إنّما كان بالتّشاور مع بقيّة أصحاب الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله فيقول:

«فإن قيل: وكيف لم يجمعه النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في المُصْحَف؟ فلو كان ذلك خيرًا لكان هو الأولى بفعله. قُلنا... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

والرّوايات المذكورة لا تخلو من نقاط إبهام، فهي تذكر:

أوّلاً ـ أنّ أبا بكر هو أوّل من نهض لجمع القرآن، بينما تذكر روايات أُخرى أنّ عليًّا أوّل من همّ بذلك بعد وفاة الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله.

وثانيًا ـ هناك روايات تذكر ـ كما مرّ ـ أنّ عليًّا عرض القرآن الّذي جمعه على عِلية القوم فرفضوه، ممّا أسخط عليًّا عليه‌السلام.

[٣] جمع القرآن و تدوينه على عهد عُثمان

دافع عُثمان في الجمع والتّدوين

زاد اختلاف النّاس في قراءتهم القرآن ازديادًا شديدًا خلال عهد عُثمان، وأهمّ عوامل هذا الاختلاف عدم وجود مُصْحَف مكتوب بين أيديهم، فالقرآن وإن كان قد جمع قبل هذا العصر، لم ينتشر بين أيدي المسلمين. ولذلك بقي التّعويل في القراءة على الحفظ والاستظهار، والحافظ قد يغيّر كلمة بمترادفها سهوًا، وقد يظنّ ما في ذهنه هو الصّحيح وما في ذهن الآخرين خطأ، فيحدث الاختلاف بين الأفراد. وهذا ما حدث بالفعل خلال عهد عُثمان، وارتفع الخصام إلى حدٍّ تراشق التُّهم والتّكفير. وهذا الّذي دفع بالخليفة الثّالث

لأن يخاطب النّاس قائلاً: «أنتم عندي تَختلفون فيه و تُلحِنون؟! فمن نأى عنّي من أهل الأمصار أشدّ فيه اختلافًا وأشدّ لحنًا ...»[١].

ومن عوامل ازدياد الاختلاف في القراءة خلال هذا العهد اختلاط العرب بغير العرب في البلدان المفتوحة، وسراية العجمة واللّحن إلى اللّغة العربيّة، ممّا يؤثّر دون شكّ على قراءة القرآن... [ثمّ ذكر رواية حُذَيفة بن اليَمان كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٤].

مصادر زيد بن ثابت في جمع القرآن

١ ـ الصُّحُف الّتي دوّنت على عهد أبي بكر بإشراف زيد بن ثابت نفسه.

٢ ـ مُصْحَف أُبيّ بن كعب: وهو كما يقول الطَّبَريّ ـ أوثق مُصْحَف اعتمد عليه في تدوين القرآن خلال هذا العهد.

٣ ـ حفظ النّاس وكتاباتهم: على حدّ ما يروي الطَّبَريّ أيضًا، من أنّه حين أراد عُثمان والرّهط معه أن يدوّنوا القرآن نادى منادٍ في النّاس: أن هاتوا ما عندكم من القرآن.

٤ ـ خُزَيمة بن ثابت: لم يجد زيد بن ثابت فيما توفّر له من مصادر آية كان قد سمعها من رسول الله ﷺ في سورة الأحزاب، وهي: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَابَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٢] فبحث عنها فوجدها عند خُزَيْمة بن ثابت الأنصاريّ، فوضعها في مكانها من السُّورة، وكان ذلك سنة (٢٥) للهجرة.[٣]

ولم يكتف زيد و من معه بشاهد واحد على كتابة آية من القرآن، بل كان يطلب المزيد من الشّهود، وكانت المجموعة المكلّفة بكتابة القرآن تتوقّف عن كتابة الآية إذا حدث بينها اختلاف حتّى «ينظروا أحدثهم عهدًا بالعَرْضة الأخيرة فيكتبونه على قوله»[٤].

---

١ ـ جامع البيان ١: ٢١؛ الإتقان ١: ١٠٢ ـ ١٠٣.

٢ ـ الأحزاب /٢٣.

٣ ـ الإتقان ١: ١٠٢.

٤ ـ رواية ابن سيرين، الإتقان ١: ١٠٣.

٥ ـ إشراف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: تتّفق روايات أهل السُّنّة والشّيعة على أنّ إشراف عليّ بن أبي طالب عليه السلام على عمليّة جمع القرآن في عهد عُثمان أهمّ مصدر في جمع المُصْحَف العُثمانيّ وأكبر ضمانة... [ثمّ ذكر قول السّيّد بن طاووس كما تقدّم عنه، فقال:]

وثَمّةَ روايات أُخرى تدلّ على تأييد عليّ عليه السلام لعمل عُثمان في جمع القرآن، و ممّا جاء في ذلك: «.. لو وُلِّيت ما ولِّي عُثمان لعملت بالمصاحف ما عمل».[١]

من هنا لا نجد اختلافًا بين الفرق الإسلاميّة ـ و خاصّة بين أهل السُّنّة والشّيعة ـ في تأييد المُصْحَف العُثمانيّ، و في اعتباره كاملاً لا نقص فيه ولا زيادة.[٢]

و بشأن ما ذكره السّيّد بن طاوُوس من معارضة البعض لعُثمان، فلعلّ الصّحابيّ الوحيد الّذي عارض عُثمان على عمله هو عبدالله بن مسعود، فامتنع في الابتداء من تسليم مُصْحَفه إلى عُثمان، و كَرِه تولية زيد بن ثابت كتابة المُصْحَف دونه.

وروي عنه قوله: أأُعزَل عن المصاحف، وقد أخذت مِن في رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة، وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الصّبيان؟!

وقيل أيضًا: إنّه رجع إلى رأي الجماعة وندم على ما قال[٣]... [ثمّ ذكر المصاحف العُثمانيّة وعددها و مصدرها، كما سيأتي في باب المصاحف].

إحراق المصاحف

تُجمع الرّوايات على أنّ عُثمان عمد بعد جمع المُصْحَف و تدوينه إلى حرق بقيّة المصاحف للقضاء على ما كان بينها من اختلاف.

وعمليّة الإحراق هذه كانت موضع بحث لدى المُحقّقين، فمنهم من قال: إنّ هذه العمليّة بالتّشاور مع كبار الصّحابة، و خاصّة مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و منهم من

---

١ ـ البُرهان ١: ٢٤٠؛ و قريب منه في «المصاحف»: ١٢.

٢ ـ راجع تأكيد الشّيخ المفيد على عدم وجود الزّيادة والنّقص في كلام الله المجموع بين دفّتي القرآن الكريم في سفينة البَحار ٣: ٤١٤.

٣ ـ طبقات ابن سعد ٢: ١٠٥؛ المصاحف: ١٥؛ مقدّمتان: ٩٥.

قال غير ذلك.

و تنصّ روايات أهل السّنّة على تأييد عليّ عليه السلام لخُطوة عُثمان، فقد روي عن سُوَيْد ابن غَفَلَة قوله: «قال عليّ لاتقولوا... [وذكر كما تقدّم عن الباقِلّانيّ ثمّ قال:]

ويروي صاحب «المباني» حادثة طريفة في حَقْل الدّفاع عن عمل عُثمان بشأن حرق المصاحف، يقول: لمّا دخل المُختار بن أبي عُبَيد الكوفة كنّا أيّها الحيّ فيمن تسرّع إليه، فأتانا سُوَيْد بن عَطِيّة إلى مسجدنا... [وذكر كما تقدّم، عن صاحب المباني، ثمّ قال:]

وهناك من يعتقد أنّ عليًّا عليه السلام أيّد عُثمان في جمع القرآن و تدوينه، ولم يؤيّده في حَرْق المصاحف الأُخرى، منهم المُستشرق «بلاشير»، وردّ عليه صُبحيّ الصّالح، و اتّهمه بأنّه يريد التّشكيك بموقف عليّ عليه السلام من صنيع عُثمان، و قال: إنّ الرّوايات تضافرت حتّى عند شيعة عليّ عليه السلام بأنّ عليًّا تلقّى عمل عُثمان بالرّضى والقبول[1].

ولكن «بلاشير» أطلق في الحقيقة حكمه استناداً إلى روايات شيعيّة تذكر اعتراض عليّ عليه السلام على حَرْق المصاحف.

ترتيب الآيات في السُّوَر القرآنيّة

هل هذا التّرتيب الموجود في آيات السُّوَر توقيفيّ، أم أنّ هذا التّرتيب والتّوالي في آيات السُّوَر وليد ذوق الصّحابة؟ يظهر من مجموع الوثائق والرّوايات المتوفّرة أنّ هذا التّرتيب كان بإرشاد نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وآله... [ثمّ ذكر قول الزّركشيّ في ترتيب السُّوَر و رواية زيد ابن ثابت، كما تقدّم عن الزّركشيّ والحاكم، فقال:]

وجود البَسْمَلة في كلّ السُّوَر ـ عدا سورة «براءة» يوضح أنّ وجود هذه الآية في مطالع السُّوَر كان أيضًا بأمر إلهيّ، فلم يكن ترتيب آي القرآن حسب زمن نزولها، ولذلك نرى آيات مدنيّة في مطلع سورة ثمّ تليها في نفس تلك السّورة آيات مكّيّة. وهذا التّرتيب كان يتمّ بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله.

---

١ ـ مباحث في علوم القرآن: ٨٧، الهامش.

وهناك روايات تذكر أنّ رسول الله كان ينصّ على أنّ جبرائيل أخبره أن يضع الآية الفلانيّة في المكان الفلانيّ.

والآلوسيّ في (رُوح المَعاني)[1] ذهب إلى ما ذهب إليه جلّ علماء أهل السُّنّة بشأن التّرتيب التّوقيفيّ لآيات القرآن الكريم... [ثمّ ذكر قول الباقِلّانيّ كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

وقال بعض المُحقّقين الشّيعة: إنّ ترتيب آيات القرآن تمّ حسب اجتهاد الصّحابة و ذوقهم، وإلى ذلك ذهب العلّامة المَجلِسيّ[2]، والمُحَدّث النُّوريّ[3]، و العلّامة الطّباطبائيّ[4].

ومع ما بين العلماء من اختلاف في كون التّرتيب الحالي للآيات توقيفيًّا أو غير توقيفيّ، يَجْمعون على تأييد وتصديق التّرتيب الحالي للآيات. (٣٧ـ٣٨)

ترتيب السُّوَر القرآنيّة

لقد أشرنا إلى أنّ التّرتيب الموجود في السُّوَر القرآنيّة ـ حيث يبدأ بسورة الحمد و ينتهي بسورة النّاس ـ لا يقوم على أساس ترتيب النّزول، و ذلك بإجماع علماء الإسلام، و يذكرون السُّوَر المنزلة حسب نزولها على الشّكل التّالي: سورة العلق، سورة نّ، سورة المُزّمّل، سورة المُدّثّر[5].

ولو استثنينا سورة الحمد ـ الّتي ذكرت بعض الرّوايات أنّها أوّل سورة نزلت في مكّة ـ لوجدنا أنّ معظم النّصف الأوّل من القرآن مدنيّ، بينما نرى أنّ معظم النّصف الثّاني من القرآن مكّيّ، وهذا يعني أنّ التّرتيب الفعليّ للقرآن عكس ترتيب نزوله تقريبًا.

وهنا يطرح السّؤال حول الأساس الّذي رتّبت عليه السُّوَر القرآنيّة، أهو توقيفيّ تمّ بأمر النّبيّ ﷺ، أم هو اجتهاديّ ذوقيّ تمّ حسب ما ارتآه الصّحابة؟ وانقسم المحقّقون على

---

١ ـ روح المعاني ١:٢٥.

٢ ـ بحار الأنوار للمَجْلِسيّ ٩:٥٤.

٣ ـ فصل الخطاب: ٩٧ـ٩٨.

٤ ـ القرآن في الإسلام: ٢٠٥ من الأصل الفارسيّ للطّباطبائيّ.

٥ ـ راجع على سبيل المثال: الإتقان ١:٤٢؛ مجمع البيان ١٠:٣٠٥؛ سفينة البحار ٢:٤٢١.

فريقين، ولكلّ أدلّته، و نحن نستعرض هنا باختصار هذه الأدلّة:

أدلّة القائلين بالاجتهاد في التّرتيب الموجود

اتّفق أكثر العلماء على أنّ التّرتيب الحالي للسُّوَر القرآنيّة اجتهاديّ، جاء على يد الصَّحابة حسب ذوقهم، بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد رجّح القاضي أبو بكر البَاقِلّانيّ هذا الرّأي، كما ذكرنا... [ثمّ ذكر قول ابن فارس و ابن أشتة كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

هذه الأدلّة وغيرها ـ ممّا لم نذكره رعاية للاختصار ـ تشير إلى أنّ ترتيب السُّوَر في القرآن اجتهاديّ، تمّ حسب ذوق الصَّحابة بعد رسول الله ﷺ . لكنّنا لا نستطيع أن نجزم بالحقيقة دون عرض أدلّة المعارضين.

أدلّة القائلين بتوقيفيّة ترتيب السُّوَر

يقول الكَرْمانيّ في «البُرهان»: ترتيب السُّوَر هكذا... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ ثمّ ذكر قول أبي جعفر النَّحّاس كما تقدّم عن الزَّركشيّ، فقال:]

و ثمّة رواية مُسهبَة عن أُبيّ بن كعب يستدلّ بها على أنّ ترتيب السُّوَر... [وذكر كما تقدّم عن العاصميّ في آخرالصّفحة، ثمّ ذكر قول صبحيّ الصّالح، كما تقدّم عنه].

الرّأي المختار في ترتيب السُّوَر

نستطيع أن نضيف رأيًا ثالثًا في ترتيب السُّوَر، وسطًا بين الرّأيين السّابقين، هو أنّ القسم الأكبر من ترتيب السُّوَر توقيفيّ قطعًا. و يمكن أن يكون ترتيب قسم قليل من هذه السُّوَر قد تمّ حسب رأي الصَّحابة واجتهادهم، و إن كان عندي أنّ ترتيب هذا القسم القليل توقيفيّ أيضًا.

يؤيّد ذلك ما ذهب إليه ابن عطيّة من أنّ أكثر سُوَر القرآن ـ كالسَّبع الطُّوال والحواميم والمفصّل ـ رُتّبت في زمن الرّسول ﷺ، و بقي في السُّوَر ما لم يرتّب فرتّبه المسلمون![1].

وكثير من الوثائق المعتبرة لدى أهل السّنّة و أهل الشّيعة تؤكّد وجود مثل هذا

---

١ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٢٧٦.

التّرتيب في زمن رسول الله ﷺ، لكن هناك ما يشير أيضًا إلى أنّ ترتيب السُّوَر كترتيب الآيات لم يكن بأجمعه توقيفيًّا، بل يحتمل أن يكون لِرأي الصَّحابة دور فيه.

وثمّة دليل آخر على أنّ التّرتيب الموجود في القرآن توقيفيّ هو تأييد الصَّحابة وأئمّة أهل البيت عليهم السلام لهذا التّرتيب والتزام جميع الفرق الإسلاميّة على صعيد العمل والقراءة به. ولا نرى بين جميع المصاحف المكتوبة خلال العُصور الإسلاميّة المختلفة مُصْحَفًا واحدًا مدوّنًا بغير التّرتيب الموجود بين أيدينا اليوم.

هذا إلى أنّ كثيرًا من مفسّري الشّيعة والسّنّة تحدّثوا عن علاقات السُّوَر فيما بينها، ممّا يدلّ على أنّ هذا التّرتيب كان قائمًا بين أكثر هذه السُّوَر منذ عصر الرِّسالة الأوّل[1].

ونذكر فيما يلي بعض الشّواهد على أصالة التّرتيب الموجود في كثير من سُوَر القرآن، وعلى أنّ هذا التّرتيب كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ.

روي أنّ الرّسول ﷺ قال: «أُعطيت السّبع الطُّوال (من سورة البقرة حتّى سورة التّوبة) مكان التّوراة، والمِئين (من سورة بني إسرائيل حتّى سورة المؤمنون) مكان الإنجيل، والمثاني (السُّوَر الّتي تلي المئين) مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصَّل (السُّوَر الّتي تبدأ بـ(حمٓ)[2].

وهذه السُّوَر المذكورة في الحديث تحكي عن نفس التّرتيب الموجود فعلاً في القرآن.

ومن الشّواهد الأُخرى على ذلك أنّ السُّوَر القرآنيّة في ترتيبها الحالي لم يراع فيها تنسيق معيّن، ففي حين نجد السُّوَر الّتي تبدأ بـ«حمٓ» و«طسٓ» متتالية، نجد السُّوَر المسبّحات ـ السُّوَر الّتي تبدأ بمادّة «سبّح» ـ غير متتالية. ونرى أيضًا أنّ سُورة «طسٓ» تفصل بين «طسٓمٓ» في سورة الشُّعراء و«طسٓمٓ» في سُورة القصص، بينما سورة «طسٓ» أقصر ممّا قبلها وما بعدها.

---

١ ـ راجع على سبيل المثال نهاية تفسير السُّوَر في «مجمع البيان» للطَّبَرسيّ، «مفاتيح الغيب» للفخر الرّازيّ، «روض الجنان» لأبي الفتوح الرّازيّ.

٢ ـ راجع: مجمع البيان ١:١٤؛ مقدّمتان: ٢٣٥؛ روض الجنان ١:١١؛ الإتقان ١:٨٩؛ سفينة البحار ٢:٤٢٢.

وهذه الظّواهر تشير إلى عدم إعمال ذوق بشريّ في التّرتيب.

ولا يفوتنا بعد ذلك أن نشير إلى رواية زيد بن ثابت، حيث يقول: «كنّا عند رسول الله نؤلّف القرآن من الرّقاع» فهي تؤيّد تأليف السُّوَر في زمن رسول الله ﷺ.

ومع كلّ ذلك يحتمل أن يكون ذوق الصَّحابة ذا تأثير في ترتيب بعض السُّوَر، كما قيل: بشأن جعل سورتي الأنفال وبراءة متجاورتين بأمر عُثمان، وسمّيتا «القرينتين» [1].(٤٨ـ٥٣)

---

١ ـ الإتقان ١:١٠٧.

الفصل الحادي والسّتّون

نصّ الآصفيّ (معاصر) في «دراسات في القرآن الكريم»

[في معنى الجمع]

الجمع: ضمّ الأشياء المتفرّقة بعضها إلى بعض في أيّ وعاء مناسب لها، و إن لم تكن كالشّيء الواحد فهو ضدّ التّفرّق، و الاجتماع: ضدّ الافتراق، والجمع والاجتماع متضايفان، و منه جمع القرآن.

قد يقال: جمع القرآن، و يراد به حفظه، وهذا جمع له في الصُّدور.

وقد يقال ويراد به ترتيب آياته و وضعها في موضعها من السُّوَر، وهذا نحو جمع للقرآن أيضًا، و قد كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ، و يأتي ما يدلّ عليه من الأحاديث.

وقد يقال ويراد به كتابته كلّه في مُصْحَف، فإنّ القرآن، و إن كان مجموعًا في اللّوح المحفوظ، و عند نزوله منه إلى بيت المعمور في السّماء الدّنيا، إلّا أنّه قد تفرّقت آياته في النّزلة الثّانية منه إلى صاحب الرّسالة النّبيّ الأكرم، لأسباب وحكم يشير إليها قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[1] فربّما كان هناك سبب لنزول آيات من أوساط سورة أو أواخر أُخرى، ولم ينزل من أوّلها بعد شيءٍ.

وكلّما ورد من الرّوايات في جمع القرآن و تأليفه على عهد النّبيّ ﷺ فهو إمّا دليل على جمعه بالمعنى الأوّل، أو دليل على جمعه بالمعنى الثّاني، ولم يدلّ على جمعه بالمعنى الثّالث دليل قطّ، بل قد دلّ الدّليل على عدمه.

---

١ ـ الفرقان /٣٢.

أمّا ما دلّ على جمعه «بالمعنى الأوّل» فهو عدّة روايات وردت فيمن جمع القرآن على عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله، و بعضها صريح و بعضها كالصّريح في أنّ المراد به حفظه، و قد تقدّم البحث الرّوائيّ عنها مستقصى.

وأمّا ما دلّ على جمعه «بالمعنى الثّاني» فهو ما أخرجه صاحب كنز العمّال في منتخبه بسنده عن ابن عبّاس عن عُثمان... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١ فذكر بعدها رواية الحاكم عن زيد بن ثابت و قول البَيْهَقيّ، كما تقدّم عن السّيوطيّ].

أقول: و يدلّ على أنّ المراد هو هذا الّذي فهمه البَيْهَقيّ، لا تأليف القرآن بمعنى جمع سُوَره وترتيبها في مُصْحَف. إنّ هذا الحديث والحديث السّابق عليه إنّما هما من الأحاديث الدّالّة على توقيفيّة ترتيب الآيات، والعلماء لا يزالون يتمسّكون بهما وبأشباههما عليه.

ومعلوم أنّ ترتيب الآيات و وضعها في موضعها من سُوَرها بإرشاد النّبيّ صلى الله عليه وآله شيء، وترتيب السُّوَر شيء آخر، والأوّل توقيفيّ دون الثّاني، ولم يدلّ على الثّاني دليل، بل قد دلّ الدّليل على عدمه.

فعن الدّيرعاقوليّ بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يكن القرآن قد جمع في شيء. قال الخطّابيّ: إنّما لم يجمع صلى الله عليه وآله القرآن في مُصْحَف لما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته.

وهذا الحديث من أدلّ الدّليل على أنّ مراد زيد بن ثابت من قوله في حديثه الأوّل: «كنّا عند رسول الله نؤلّف القُرآن» هو الّذي فهمه البَيْهَقيّ كما تقدّم.

ولا ريب ـ كما لا خلاف ظاهرًا بيننا و بين إخواننا العامّة ـ في أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام اشتغل بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله بجمع القرآن، و آلى أن لا يرتدي برداء إلّا إلى الصّلاة حتّى يجمعه كلّه، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله قد أوصاه بذلك حين حضرته الوفاة، فجمعه كما نزل، و قدّم المنسوخ منه على ناسخه، ويعدّ ذلك من فضائله، و قد وردت فيه أحاديث متواترة ـ ولو معنى ـ من الطّريقين. فلو كان مجموعًا مؤلّفًا على عهده صلى الله عليه وآله كما ادّعاه السّيّد المرتضى رحمه الله في «أجوبة المسائل الطّرابلسيّة» والبلخيّ في «تفسيره» على ما حكاه عنه

السّيّد في «سَعْد السُّعود» لمّا كان ﷺ يوصي إلى عليّ عليه السلام بجمعه، و ما كان عليه السلام يقول: إنّ رسول الله ﷺ أوصاني أنّي إذا وارَيْته في حُفرته أن لا أخرج من بيتي حتّى أُؤلّف كتاب الله.

فعن تفسير العيّاشيّ عن عمرو بن أبي مقدام عن أبيه عن جدّه، قال: ما أتى عَلَيّ يوم قطّ أعظم من يومين، فأمّا اليوم الأوّل يوم قبض فيه رسول الله ﷺ، وأمّا اليوم الثّاني فوالله إنّي لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر و النّاس يبايعونه، إذ قال له عمر: هذا ليس في يديك شيء منها، ما لم يبايعك عليّ بن أبي طالب، ثمّ ذكر بعثه قنفذًا إليه، قال: فما لبث أن يرجع إليه، فقال: قال لك: إنّ رسول الله ﷺ أوصاني أنّي إذا وَارَيتُه في حُفرته لا أخرج من بيتي حتّى أُؤلّف كتاب الله... [ثمّ ذكر رواية الخوارَزميّ وقول ابن سيرين وابن حَجَر في كتاب عليّ عليه السلام، كما تقدّم عن الزّنجانيّ و ابن حَجَر، فقال:]

فلو كان القرآن مجموعًا على عهد رسول عليه السلام، لكانت هذه الأحاديث من الموضوعات، إذ لامعنى لجمعه عليه السلام القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ بعد أن كان مجموعًا على عهده بإرشاده، كما عن السّيّد المرتضى والبلخيّ.

وقد استدلّ له بعض الأساطين بأُمور، منها الأحاديث الواردة فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله بدعوى أنّ أحاديث جمع القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ معارضة في نفسها، ثمّ معارضة بالطّائفة الأُولى.

والجواب: أوّلاً ـ إنّ المراد بالجمع في الطّائفة الأُولى الحفظ، كما صرّح به في بعضها، و تقدّم بيانه غير مرّة.

ثانيًا ـ إنّ الطّائفة الأُولى أيضًا معارضة في نفسها، فلا ترجيح لها على الطّائفة الثّانية.

و منها: ما جاء عن زيد بن ثابت و غيره، أنّه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن.

والجواب: أنّ المراد ترتيب الآيات و وضعها في سُوَرها، بإرشاد النّبيّ ﷺ لا ترتيب السُّوَر و جمعها في مُصْحَف، و قد تقدّم بيان ذلك أيضًا.

و منها: الآيات الدّالّة على أنّ سُوَر القرآن كانت متمايزة بعضها عن بعض، فإنّ الله تعالى قد تحدّى الكُفّار على الإتيان بمثل القرآن و بعشر سُوَر و بسُورة من مثله، و معنى

هذا أنّ سُوَر القرآن كانت في متناول أيديهم.

وهذا الاستدلال أقلّ من أن ينتدب للرّدّ عليه، فإنّ القرآن ما كان نازلاً كلّه حين التّحدّي بمثل هذه الخطابات، فضلاً من أن يكون مجموعًا مرتّبًا كلّه حين ذاك، كما يدّعيه القائل به.

و منها: قول النّبيّ ﷺ في حديث متواتر عنه: «إنّي تارِكٌ فيكم الثّقَلَين كتابَ الله وعترتي»، فإنّ لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعيّ، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزّءًا غير مجتمع.

وهذا الاستدلال أيضًا كسابقه. فإنّ كتاب الله ما كان نازلاً كلّه على النّبيّ حين صدور هذا القول عنه ﷺ فضلاً من أن يكون مجموعًا مؤلّفًا كلّه حين ذاك، وقد قال الله تعالى ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، وكلمة ذلك إشارة إلى القرآن، ولم يكن نازلاً كلّه حين نزلت الآية، فضلاً من أن يكون مجموعًا مؤلّفًا، وقد قيل في وجه الإشارة وجوه، منها: أنّها إشارة إلى ما كان نزل من القرآن بمكّة، وهذه السُّورة مدنيّة.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، فقدجاء في تفسير الآية: أنّ المراد بالكتاب هنا أجزاء القرآن المتفرّقة، كانت في دار النّبيّ ﷺ، فورثها منه عليّ عليه السلام وجمعها، و ورثها من عليّ عليه السلام الأئمّة من بعده، رواه السّيّد المحدّث البَحرانيّ عن ابن شهراشوب وعن الباقر والصّادق عليهما السلام في تفسير: ﴿اَلَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إنّهما قالا: هي لنا خاصّة، و إيّانا عنى.

قال الطَّبَرسيّ بعد نقل الأقوال: وهذا أقرب الأقوال، لأنّهم أحقّ النّاس بوصف الاصطفاء، و إيراث علم الأنبياء، إذ هم المتعبّدون بحفظ القرآن[3].

ثمّ إنّه عليه السلام جاء بالقرآن بعد أن جمعه إلى المهاجرين والأنصار، وهم مجتمعون حول الخليفة في المسجد، فقال ما مضمون بعض الأخبار: أيّها النّاس هذا كتاب ربّكم، إنّي لم

---

١ ـ البقرة/١ ـ ٢.

٢ ـ فاطر /٣٢.

٣ ـ مجمع البيان ٤:٨٠٤.

أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً به، حتّى جمعته كلّه، فلم ينزل الله تعالى على نبيّه آية إلّا وقد أقرأنيها، وعلّمني تأويلها و تنزيلها، و النّاسخ منها والمنسوخ، فلا تقولوا: إنّي لم أدعُكم إلى كتاب الله، ولم أذكُرْكم حقّي، فقام إليه الرّجل، وقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، أُردُده، فلا حاجة فيكما، فعاد به و أودعه في ولده، يتوارثه إمام عن إمام وهو الآن عند الإمام الحجّة عليه السلام ولا شكّ في مخالفته لما في أيدي المسلمين الآن، من حيث ترتيب السُّوَر، وتقدّم المنسوخ على ناسخه، واشتماله على وجوه التّأويل، وسبب التّنزيل. ثمّ قاموا بجمعه منفردين و مجتمعين؛

فالأوّل ـ ما جمعه أُبيّ بن كعب و عبد الله بن مسعود و غيرهما، كما يأتي تفصيله.

والثّاني ـ ما جمعه أبو بكر بعد وقعة اليَمامة بإشارة عمر و مباشرة زيد بن ثابت، و أحاديثه في كتب (المصاحف) وغيرها، و في صحيح البُخاريّ باب جمع القرآن، و كتب التّفسير كثيرة... [ثمّ ذكر روايتين عن زيد بن ثابت نقلاً عن البخاريّ، كما تقدّم عنه الرّقم ١، ٢ فقال:]

يستفاد من الحديثين وأحاديث أُخرى أنّ جمع القرآن كان بإشراف جماعة من قُرّائه و حُفّاظه، و أنّ الاعتماد في المجمع لم يكن على ما كتبه كُتّاب الوحي فقط، بل كان الاعتماد على حفظ الصُّدُور أيضًا. و إنّهم كانوا لا يقبلون من أحد شيئًا إلّا بشهادة عدلين، إلّا ذا الشّهادتين أبي خُزَيمة الأنصاريّ أو خُزَيْمَة بن ثابت الأنصاريّ على اختلاف الحديثين، أو أبي خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ كما عن ابن أشتة في «المصاحف»، حتّى أنّ عمر أتى بآية الرّجم، فلم يكتبوها لأنّه كان وحده... [ثمّ ذكر رواية ابن أشتة عن اللَّيث، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

وفي مسند أحمد بإسناده إلى عبد الرّحمان بن عَوْف: أنّ عمر بن خطّاب خطب النّاس، فسمعه يقول: ألا إنّ أُناسًا يقولون: ما بال الرّجم وفي كتاب الله الجلد؟ وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، ولولا أن يقول القائلون، أو يتكلّم المتكلّمون: أنّ عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتّها كما نزلت[1].

---

١ ـ مسند أحمد ١:٤٧.

وفي صحيح البُخاريّ، باب رجم الحُبلى من الزّنى بسنده عن عمر: أنّ الله بعث محمّدًا بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، وكان ممّا أنزل الله آية الرّجم، الحديث[1]. [إلى أن قال:]

تسمية القرآن بالمُصْحَف: حكى المُظفّريّ في تاريخه قال... [وذكر كما تقدّم عن عِزّة دَرْوَزَة].

تحرير المصاحف على عهد عُثمان

لمّا مات أبو بكر انتقل مُصْحَفه إلى عمر، ولمّا قتل عمر انتقل المُصْحَف منه إلى ابنته حَفْصَة زوجة النّبيّ فخبّأته، وظهرت بعدئذٍ مصاحف أُخرى لجماعة من الصّحابة، كعبد الله ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وسالم مولى حُذَيْفة وأبي موسى الأشعريّ ومقداد ومُعَاذ وغيرهم، وكانوا قد جمعوا تلك المصاحف قبل ذلك، ولكنّهم ما استطاعوا أن يظهروها مع وجود مُصْحَف أبي‌بكر، فوجدوا في تلك الفترة لإظهارها مجالاً واسعًا! ولمّا كان جمع كلّ مُصْحَف من تلك المصاحف بنظر صاحبه، لتفرّده بجمعه، كانت طبيعة الحال تقتضي اختلاف تلك المصاحف من ناحية الكمّيّة والكيفيّة، وصار هذا سببًا لاختلاف أهل الأمصار في إقراء القرآن بعد أن تفرّقت نسخ تلك المصاحف فيها، واتّفق أهل كلّ مصر على مُصْحَف منها، فكان أهل كلّ مصر من الأمصار الإسلاميّة يرى أنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم... [إلى أن قال:]

فجعل يكفّر بعضهم بقراءة بعض، وكاد أن تكون فتنة في الإسلام وفساد كبير، فتعاظم ذلك في نفس الخليفة عُثمان، إذ كان ذلك بمرأى منه في المدينة ومسمع.

فانقدحت في نفسه إرادة تحرير المصاحف على قدر ما تحتاج إليه المراكز الإسلاميّة، وجمع الأُمّة على القراءات المسموعة عن النّبيّ ﷺ، وإلغاء ما ليس بهذا الوصف، إذ رأى أنّ هذا العمل هوالعلاج النّاجع والدّواء النّافع لهذا الدّاء، داء الاختلاف في

---

١ ـ صحيح البُخاريّ ٨: ٢٦.

القرآن، الّذي سيجعله كتوراة اليهود وإنجيل النّصارىٰ، غير أنّه كان يفكّر فيمن يستعين به لمثل هذا المشروع العظيم الّذي يحتاج إلى لَجنة قرآنيّة يعقدها فريق من قُرّاءه.

وبينما هو يفكّر في ذلك إذ ورد عليه حُذَيفة بن اليَمان، وكان يُغازي أهل الشّام في فتح أرمينيّة وأذربيجان، فأخبره بمارآه من اختلاف أهل الأمصار الإسلاميّة في قراءة القرآن، و تكفير بعضهم بقراءة بعض، و قال له: يا أميرالمؤمنين أدرك الأُمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنّصارى، فأكّد هذا الخبرما كان في نفس الخليفة، فقام خطيبًا في أصحاب النّبيّ ﷺ، فقال: «إنّما قبض نبيّكم منذ خمس عشرة سنة... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٤١ وغيره ثمّ ذكر رواية البخاريّ بسنده عن أنس الرّقم ١١، ورواية ابن الأثير في قضيّة حُذَيْفة، كما تقدّم عنهما، فقال:]

هؤلاء الأربعة هم الّذين عيّنهم عُثمان للقيام بتحرير المصاحف بتصريح ابن أبي عامر، وكثير بن أفلح، و أنس بن مالك، و عبد الله بن عبّاس و مُصعَب بن سعد و غيرهم، إلى أن تمّ أعضاء هيئة تحرير المصاحف اثني عشر رجلاً صحابيًّا، على ما في بعض الرّوايات.

قال ابن حَجَر: وكأنّ ابتداء الأمر كان لزيد و سعيد المعنى المذكور فيهما في رواية مُصْعَب، ثمّ احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف الّتي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثمّ استظهروا بأُبيّ بن كعب في الإملاء.

وكانوا لا يكتبون إلّا ما صحّ سنده وثبتت قرآنيّته، ولم تنسخ تلاوته في العَرْضَة الأخيرة و تركوا ماسوى ذلك، ممّا كان في بعض المصاحف، مثل كلمة صالحة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1] بزيادة كلمة «صالحة» بعد السّفينة، وكلمة «فامضوا» بدل «فاسعوا» في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا اِلىٰ ذِكْرِاللهِ﴾[2] وجملة: ﴿اِلىٰ اَجَلٍ مُسَمًّى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاٰتُوهُنَّ﴾[3] بعد كلمة «منهنَّ» في الآية، و ما

---

١ ـ الكهف /٧٩.

٢ ـ الجُمُعة /٩.

٣ ـ النّساء /٢٤.

إلى ذلك ممّا لم يصحّ سنده عندهم، أو صحّ ولم يثبت كونه قرآنًا، بل كان ممّا نزل على النّبيّ ﷺ تفسيرًا و تأويلاً للآية، و يسمّى بالحديث القُدسيّ، أو كان قرآنًا، ولكن نسخت تلاوته في حياة النّبيّ ﷺ، كآية الرّجم، و مانزل في الآباء: «لَا تَرْغَبُوا عَن اٰبَاءِكُم»، و ما نزل في قتلى بئر معُونة من الأنصار: «بلّغوا عنّا قومنا إنّا لقينا ربّنا فَرضي عنّا» و غير ذلك ممّا مثل به العلماء وقوع منسوخ التّلاوة بعد الفراغ عن إمكانه، كالعلّامة في «النّهاية»، والمحقّق الكَرَكيّ في «جامع المقاصد» في مسألة وجوب الوضوء لمسّ كتابة القرآن، وأنّه هل يجوز مسّ منسوخ التّلاوة بغير وضوء أم لا؟ وعليّ بن إبراهيم القُمّيّ والشّيخ الطَّبرسيّ في تفسيريهما، وغيرهم من الخاصّة ومن العامّة عدد لا يحصى.

وجاء في الأحاديث الكثيرة: أنّ مثل هذه الآيات كانت تُتلى، ثمّ رفعت في حياة النّبيّ ﷺ في العَرْضَة الأخيرة الّتي بيّن فيها جميع ما نسخت تلاوته،[1] أو نسخ حكمه فقط، أو نسخ حكمه و تلاوته معًا.

وقد شهد العَرْضة الأخيرة جمع من الأصحاب منهم زيد بن ثابت، و قرأها على النّبيّ ﷺ ولم يزل يقرئ بها إلى أن توفّي، ولأجل ذلك اعتمد عليه أبو بكر في جمع القرآن وولّاه عُثمان كتابة المصاحف.

و إذن نستطيع أن نقول: إنّ القرآن الّذي نقرؤه اليوم على اختلاف القراءات الّتي لا تمسّ حقيقته هوالقرآن الّذي عرض على النّبيّ ﷺ في العام الّذي قبض فيه.

وقد جاء في الأحاديث من الطّريقين: أنّ عُثمان إنّما فعل بالقرآن ما فعل برأي الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و إملائه، و أنّه عليه السلام قال: لو وُلّيت منه ما وُلّي عُثمان لسلكت سبيله، أو قال: عن إملائنا فعل. نعم إحراقه المصاحف الّتي ظهرت على عهده، و أوجبت اختلاف الأُمّة فيالقرآن يعدّ من مطاعنه، وقد كان له طريق آخر إلى إعدامها، و رُوي أنّه عجنها بالماء أو طبخها، والله العالم.

---

١ ـ نسخ التّلاوة والالتزام بوقوعه مشكل، و أشكل منه نسخ التّلاوة والحكم، لا لأنّه يستلزم التّحريف الّذي لا نقول به، كما نسب إلى المحقّق السّيّد الصّدر، وقال به بعض متأخّري المتأخّرين، فإنّ النّسخ تنقيص في القرآن بتصرّف من الله، والتّحريف تنقيص فيه بتصرّف من النّاس، بعد استقراره في العَرْضَة الأخيرة، بل لأمر آخر ليس هنا مجال بحثه.

ترتيب السُّوَر في المصاحف العُثمانيّة

هذا هو التّرتيب الّذي نراه اليوم، و على هذا كانت المصاحف الّتي جمعت بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و آله إلّا ما جمعه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه جمعه على ترتيب نزوله، بادءًا بسورة «اقرأ» ثمّ «المدّثّر» إلى آخر ما نزل كما نزل[١].

وقد سبق فيما تقدّم أنّ ترتيب السُّوَر الّذي نراه غير توقيفيّ بخلاف ترتيب الآيات، فالأوّل كان بنظر الجامع، فجمعه بادءًا بسورة الحمد، ثمّ السّبع الطُّوال، وآخرها الأعراف، ثمّ المئين، ثمّ المثاني الّتي لا تبلغ آياتها المائة، ثمّ الحواميم، ثمّ المفصّل و هي السُّوَر ذوات الفواصل القريبة، غير أنّ مُصْحَف عُثمان خالف هذا التّرتيب في خصوص الأنفال من المثاني، فإنّه تخلّل في ترتيب مُصْحَفه الّذي نراه بين الأعراف آخر السّبع الطُّوال، و بين براءة أوّل المئين وكأنّ هذا كان في مُصْحَف أبي بكر أيضًا.

وأمّا حديث ابن عبّاس و اعتراضه على عُثمان بقوله: ما حملكم على أن... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

ففيه ضعف ظاهر، لأنّ ترك البَسْمَلة في أوّل براءة كان لعدم نزولها صدرًا لتلك السُّورة، لا لأنّ عُثمان زعم أنّ براءة من تمام الأنفال، و أنّهما سورة واحدة، فوضعهما في السّبع الطُّوال، و ذلك لأنّ «بسم الله» للأمان، و«براءة» نزلت لرفع الأمان بالسّيف، وهذا هوالمرويّ عن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، و سُفيان بن عُيَينة و اختاره أبوالعبّاس المبرّد[٢].

وهناك شيء آخر ربّما يرد على مُصْحَف عُثمان من حيث عدّ السُّوَر دون ترتيبها، وهو أنّه كان في مُصْحَف بعض الصَّحابة سورتي(الخَلْع): «اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك... و نخلع من يفجّرك»، (والحَفْد): «اللّهمّ إيّاك نعبد، ولك نصلّي و نسجد وإليك نسعى و نحفد» فقال عُثمان: اجعلوهما في القنوت.

قال جمال الدّين العلّامة في بحث القُنوت من كتاب التّذكرة: روى واحد من

---

١ ـ الإتقان ١:١٠٧.

٢ ـ مجمع البيان ٣:٢.

الصَّحابة سورتين؛ أحدهما: اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك...، والثّانية: اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي... فقال عُثمان: اجعلوهما في القُنُوت، ولم يثبتهما في المُصْحَف، لانفراد الواحد به، وكان عمر يقنت بذلك، ولم ينقل من طريق أهل البيتعليهم السلام فلو قنت بذلك جاز، لاشتماله على الدُّعاء. ويظنّ أنّهﷺ يريد بواحد من الصَّحابة أُبيّ بن كعب، كما في حديث ابن سيرين، قال: كتب أُبيّ بن كعب في مُصْحَفه فاتحة الكتاب والمعوّذتين واللّهمّ إنّا نستعينك... واللّهمّ إيّاك نعبد، وكتب عُثمان منهنّ فاتحة الكتاب و المعوّذتين.

ولا يخفى أنّ هذا الحديث و أمثاله من أحاديث تحريف القرآن و دواعي القول به، ولهذا قال العلّامة: لم ينقل من طريق أهل البيت، ومنه يعلم أنّ كلّما ورد من طريق أهل البيت حديث في تحريف القرآن فهو إمّا موضوع أو محمول على معنى آخر، و يأتي بيان ذلك في بحث التّحريف.

عدّة المصاحف العُثمانيّة

اختلفوا في عدّة المصاحف العُثمانيّة؛ قال السُّيُوطيّ: المشهور أنّها كانت خمسة.

وأخرج ابن أبي داود من طريق حَمْزة الزّيات قال... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٥٢].

و في كتاب سَعْد السُّعُود عن أبي جَعْفر محمّد بن منصور بن يزيد المُقرىء، قال: إنّ القرآن... [وذكر كما تقدّم عن السّيّد ابن طاووس، ثمّ ذكر قول ابن الأثير وقول ابن طاوُوس حول عدد المصاحف بحسب ما تقدّم عنهما، فقال:]

أقول: إن كان المدّعى أنّ هذة الاختلافات صدرت عن عمدٍ، وأنّهم وضعوا المصاحف على الخلاف في أحرف الأداء تحفّظًا. على اختلاف القراءات في الأحرف، فهو ممنوع جدًّا، لأنّه كان ينافي غرض عُثمان من تحريرالمصاحف و داعيه إليه، و إن كان المدّعى أنّها كانت من خطأ الكُتّاب، فهو محتمل، ولكنّ شُذُوذاً لا بهذا الشّياع والاتّساع، مع أنّ احتمال ذلك بعد عرضهم المصاحف بعضها على بعض بدقّة نهائيّة ممنوعة أيضًا.

(٢٠٦ ـ ٢١٣)

الفصل الثّاني والسّتّون

نصّ مرتضى العامليّ(معاصر) في «حقائق هامّة ...»

جمع القرآن

بداية

لعلّ من يراجع ما ورد ويرد في هذا البحث بدقّة، يستطيع أن يستخلص الكثير من الشّواهد والأدلّة القاطعة على أنّ القرآن قد جمع في عهد الرّسول ﷺ.

آراء حول الجمع في عهد الرّسول ﷺ

هذا وقد أكّد على جمع القرآن في عهد الرّسول الأعظم ﷺ عدد من العُلماء والباحثين، مثل: الحارث المَحَاسِبيّ، و الخَازِن، والزُّرقانيّ، والزَّركَشيّ، وعبد الصَّبور شاهين، و محمّد الغزاليّ، وأبي شامَة، والباقِلّانيّ[1]، والحُرّالعَامِليّ[2]، والبَلخيّ، وابن طاوُوس[3]، والسّيّد شرف الدّين[4].

وقال الدُّكتور الصَّغير: «.. والتّحقيق العلميّ يقتضي أن يكون القرآن كلّه قد كتب

---

١ ـ راجع فيما تقدّم كلّاً أو بعضًا في: البرهان للزّركَشيّ ١: ٢٤٠، ٢٣٨؛ ومناهل العِرفان للزُّرقانيّ ١: ٢٤٠ ـ ٢٤١؛ والإتقان للسّيوطيّ ١: ٦٠؛ وتاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٤٦ ـ ٤٧؛ ولُباب التّأويل للخازِن ١: ٧؛ وغرائب القرآن للنّيسابوريّ بهامش جامع البيان للطّبَريّ ١: ٢٤؛ وأكذوبة تحريف القرآن: ١٧ ـ ١٨ عن بعض من تقدّم؛ وعن نظرات في القرآن: ٣٥؛ وعن الانتصار: ٩٩.

٢ ـ الفصول المهمّة: ١٦٦ للحرّ العَامليّ.

٣ ـ سعد السّعود: ١٩٢.

٤ ـ أجوبة مسائل موسى جار الله: ٢٩.

و جمع في عهد النّبيّ ﷺ، كما يرى ذلك ابن حَجَر»[1]. و من أراد المزيد، فعليه أن يتتبّع أقوال العلماء في مصادرها.

ضرورة التّعرّض لأُمور ثلاثة:

ولا بدّ لنا قبل أن نذكر مستندنا فيما نذهب إليه أن نشير إلى أُمور ثلاثة:

الأمر الأوّل: الاهتمام بالقرآن

١ ـ روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن حتّى يستظهره و يحفظه، أدخله الله الجنّة، و شفّعه في عشرة من أهل بيته، كلّهم قد وجبت لهم النّار»[2].

وفي هذا المعنى وحول تعليم القرآن أحاديث كثيرة...[3] [و ذكر قول عُبَادة بن الصَّامِت، كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ قال:]

وفي نصّ آخر: «كان الرّجل إذا هاجر إلى المدينة، دفعه النّبيّ ﷺ إلى رجل من الحفظة، ليعلّمه القرآن. و كثر عدد الحفظة في عهد رسول الله، وقتل في عهده في بئر معونة زهاء سبعين من القُرّاء»[4].

وحينما جاءه ﷺ وفد عبد القيس، أمر بكلّ رجلٍ منهم رجلاً من المسلمين ينزله عنده، ويقرأه القرآن، و يعلّمه الصّلاة. فمكثوا جمعة ثمّ دعاهم، فوجدهم قد كادوا أن يتعلّموا، و أن يفقهوا، فحولهم إلى غيره، ثمّ تركهم جمعةً أُخرى، فوجدهم قد قرأوا و فقهوا[5].

أضف إلى ذلك أنّهم يقولون: إنّ رسول الله ﷺ قد بعث مُعاذاً و أبا موسى إلى اليمن،

---

١ ـ تاريخ القرآن للصّغير: ٨٥ و راجع: ٨٧؛ كلام ابن حَجَر في فتح الباري ٩: ١٠.

٢ ـ مجمع البيان ١: ١٦.

٣ ـ راجع: المصدر السّابق؛ و صحيح البُخاريّ ٣: ١٤٩؛ و مستدرك الحاكم؛ ومجمع الزّوائد ٧: ١٥٩ ـ ١٦٥؛ و حلية الأولياء ٤: ١٩٤؛ والتّرغيب والتّرهيب ٢: ٣٤٢ فما بعدها.

٤ ـ راجع: كنز العمّال ٢: ٢٢٣ عن الطَّبَرانيّ في الكبير، والحاكم في المُستدرك، والبُخاريّ، و مُسلم و مناهل العِرفان ١: ٣٠٨ و ٢٣٥؛ و تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٤٠.

٥ ـ المصنّف للصّنعانيّ ٩: ٢٠١.

و أوصاهما أن يعلّما النّاس القرآن[١]. ويقولون كذلك: إنّه ﷺ قد أرسل مُصْعَب بن عُمَير إلى المدينة قبل الهجرة، و مُعاذاً إلى مكّة بعد الفتح، من أجل ذلك أيضًا[٢].

و ذكر البعض: أنّ ابن أُمّ مكتوم ومُصْعَب بن عُمَير قدِما إلى المدينة، وجعلا يعلّمان النّاس القرآن[٣]... [إلى أن قال:]

وأخيرًا... فإنّ النّبيّ ﷺ قد قرّر أنّه إنّما يصلّي بالنّاس، و يتأمّر عليهم، أكثرهم جمعًا أو أخذًا للقرآن، أو أقرؤهم حسبما ورد في الرّوايات[٤].

٢ ـ وقد استمرّ هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ أيضًا، قال أبو عُبَيْدة: إنّ ابن مسعود إذا أصبح خرج، أتاه النّاس إلى داره، فيقول: على مكانكم، ثمّ يمرّ بالّذين يقرئهم القرآن، فيقول: يا فلان بأيّ سورة أنت؟ فيخبره إلخ...[٥]

بل يقول أبو هلال العَسكريّ: «إنّ أكثر القُرّاء والفُقهاء كانوا من الموالي، وكانوا جلّ من خرج عليه (أي على الحَجّاج) مع ابن الأشعث»[٦]. وجملة من كان مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممّن يأخذ العطاء، و معهم مثلهم من مواليهم[٧]. وكلّ ذلك يدلّ على مَدى اهتمام النّاس بالقرآن وحفظه، وعلى كثرة حفظته وقُرّائه.

الأمر الثّاني: عرض القرآن

وبعد... فإنّهم يقولون: إنّ ابن مسعود قد شهِد العَرْضَة الأخيرة، فعلم ما نسخ

---

١ ـ حلية الأولياء ١:٢٥٦؛ وحياة الصَّحابة ٣:٢٢١ عنه.

٢ ـ راجع: مناهل العِرفان ١:٣٠٨؛ وأنساب الأشراف ١:٢٥٧، ٢٤٣.

٣ ـ طبقات ابن سعد ٢: ٢٠٦.

٤ ـ الطّبقات الكُبرى ٧:٨٩؛ وراجع: أنساب الأشراف ١:٢٦٤؛ وكشف الأستار ٢:٢٦٦ و ١:٢٢٩ ـ ٢٣٠؛ ومجمع الزّوائد ٥:٢٥٥ و ٧:١٦١ و ٢: ٦٣ ـ ٦٤؛ و حياة الصَّحابة ٢: ٥٤؛ والتّرغيب والتّرهيب ٢:٣٥٢؛ وتفسير القرآن العظيم ٤ (الذّيل): ٢٨.

٥ ـ المصنّف لعبد الرّزّاق ٣:٣٦٦؛ ومجمع الزّوائد ٧:١٦٧ عن الطّبَرانيّ؛ وحياة الصَّحابة ٣:٢٥٥.

٦ ـ الأوائل ٢:٦٢.

٧ ـ البداية والنّهاية ٩:٤١.

و ما بدّل[١].

وقال البَغَويّ في شرح السّنّة: «إنّ زيد بن ثابت شهِد العَرْضَة الأخيرة الّتي بيّن فيها ما نسخ و ما بقي، و كتبها لهﷺ وعرضها عليه، وكان يقرئ النّاس بها حتّى مات، ولذلك اعتمده عمر و أبو بكر و جمعه، وولّاه عُثمان كتب المصاحف»[٢].

وقال الرّاغب عن أُبيّ بن كَعْب: «إنّما أخذ النّاس بقراءته، لكونه كان آخر من يقرأ على رسول الله». وقال ابن عبّاس رضي الله عنه: «إنّا نأخذ بالآخر من قول رسول اللهﷺ و فعله»[٣].

ونقل الزّركَشيّ عن الذّهبيّ: إنّ الّذين عرضوا القرآن على النّبيّﷺ سبعة: عُثمان بن عَفّان، و عليّ عليه السلام، و أُبيّ، و ابن مسعود، و زيد، و أبو موسى، و أبو الدَّرداء[٤]. ولكن ما ذكره البَغويّ بالنّسبة لزيد بن ثابت محلّ شكّ كبير، لاسيّما وأنّ محمّد بن كعب لم يذكره في جملة من جمع القرآن في عهد رسول اللهﷺ.

وسيأتي المزيد من الأُمور الّتي توجب المزيد من الرّيب في هذا الأمر في سياق البحوث الآتية.

الأمر الثّالث: ختم القرآن في العهد النّبويّ

قد ورد في الرّوايات:

١ ـ إنّ النّبيّﷺ قد أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يختم القرآن في كلّ سبع ليالٍ، أو ثلاثٍ، مرّةً. وقد كان يختمه في كلّ ليلةٍ، والقصّة معروفة و مشهورة في كتب الحديث عند أهل السُّنّة[٥].

---

١ ـ راجع: طبقات ابن سعد ٢ قسم ٢: ١٠٤، ٤ ؛ وكنز العمّال ٢:٢٢٤ـ٢٢٥ عن ابن عساكر؛ وكشف الأستار ٣: ٢٥١؛ ومجمع الزوائد ٩: ٢٨٨ عن أحمد، والبزّار، ورجال أحمد ورجال الصّحيح ؛ وفتح الباري ٩:٤٠ ـ ٤١ ؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٢:٣٢٢؛ ومشكل الآثار ١:١١٥ و ٤:١٩٣ ؛ والنّشر ١:٣٢.

٢ ـ تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٣٩ـ٤٠ ؛ والإتقان ١:٥٠ ؛ وراجع: المعارف لابن قُتيبة: ٢٦٠ ؛ والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨:١٣٤ عنه.

٣ ـ محاضرات الأُدباء ٤:٤٣٨.

٤ ـ راجع: البُرهان للزّركشيّ ١:٢٤٢ ـ ٢٤٣.

٥ ـ راجع: صحيح البُخاريّ ٣:١٥١ ـ ١٥٢ ؛ و تفسير ابن كثير ٤ (الذّيل): ٤٩عن البُخاريّ، ومسلم، وأبي داود والنّسائيّ؛

٢ ـ عن مُحمّد بن كعب القُرَظيّ: كان ممّن يختم القرآن و رسول الله حيّ؛ عُثمان بن عَفّان، و عليّ بن أبي طالب، و عبد الله بن مسعود[1].

كما و يظهر أنّ عليًّا أميرالمؤمنين كان أيضًا يقوم بمهمّة تـعليم القـرآن، فـقد قـال أبوعبد الرّحمان السُّلَميّ الّذي أخذ عاصم القرآن عنه: قرأت القرآن كلّه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

و عن عاصم بن كُلَيْب عن أبيه، قال: كان عليّ عليه السلام في المسجد ـ أحسبه قال: مسجد الكوفة ـ فسمع ضجّة شديدة، قال: ماهؤلاء؟.

قالوا: قوم يقرأون القرآن، أو يتعلّمون القرآن. فقال: أما إنّهم كانوا أحبّ النّـاس إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله[3]. كما أنّ عليًّا عليه السلام قد فرض لمن قرأ القرآن ألفين ألفين[4].

ويروى عنه عليه السلام أنّه قال: من ولد في الإسلام، فقرأ القرآن، فله في بيت المال في كلّ سنة مائتا دينار، إن أخذها في الدّنيا، و إلّا أخذها في الآخرة[5].

وفي زمن عمر بن الخطّاب بعث أبو موسى الأشعريّ إلى القُرّاء الّذين جمعوا القرآن في البَصْرة، فدخل عليه منهم زهاء ثلاث مائة...[6]

وعند ابن زنجُويه: إنّ عمر بن الخطّاب هو الّذي طلب من أبي موسى إحصاء القُرّاء عنده، فأرسل إليه: أنّهم عنده ثلاث مائة و بضعة رجال[7].

← وكنزالعُمّال ١:٥٤١ و ٢:٢٠٨، ٢١١ عن بعض هؤلاء، وعن: ابن عَساكر، و ابن مَنده؛ و سنن الدّارميّ ٢:٤٧١؛ و البُرهان للزَّركَشيّ ١:٤٧١ عن الباجيّ؛ و سنن أبي داود ٢:٥٤ ـ ٥٥؛ والجامع الصّحيح للتِّرمِذيّ ٥:١٩٦ ـ ١٩٧؛ والمُصنَّف للصّنعانيّ ٣:٣٥٦؛ و مسند أحمد ٢:١٦٣؛ ونوادر الأُصول: ٢٢١؛ والإتقان ١:١٠٤ ـ ١٠٥ عن بعض من تقدّم.

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ١:٥٨؛ كنز العُمّال ٢:٣٧٤.

٢ ـ الكُنى والألقاب ١:١١٦ وسيأتي المزيد من المصادر إن شاء الله تعالى.

٣ ـ كشف الأستار عن مسند البزّار ٣:٩٤؛ ومجمع الزّوائد ٧:١٦٢ عنه، وراجع: ١٦٦ عن الطَّبَرانيّ في الأوسط والبزّار.

٤ ـ كنز العُمّال ٢:٢١٩ عن البَيْهَقيّ في شُعَب الإيمان، وسعيد بن منصور.

٥ ـ كنز العُمّال ٢:٢١٩ عن البَيْهَقيّ في شُعَب الإيمان: والخصال ٢:٦٠٢؛ ومجمع البيان ١:١٦ ووسائل الشّيعة ٤:٨٣٨ ـ ٨٣٩.

٦ ـ صحيح مُسلم ٣:١٠٠؛ ومشكل الآثار ٢:٤١٩؛ وحـلية الأولياء ١:٢٥٧، ٣٦٦؛ وكـنز العُـمّال ٢:١٤٠ ـ ١٤١. وبقيّة المصادر ذكرناها في فصل: أوهام و أباطيل في نسخ التّلاوة، حين الحديث عن فقرة: ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التّراب، و يتوب الله على من تاب.

٧ ـ كنز العُمّال ٢:١٨٣ عن ابن زنجُويه.

بل إنّهم ليقولون: إنّ من حضر معركة صِفّين من القُرّاء كانوا زهاء ثلاثين ألفًا[١]. فكيف بمن لم يحضرها منهم.

و مهما فرضنا أنّ في هذا الرّقم مبالغة و ارتفاع، فإنّه يحكي ولا شكّ عن كثرة ساحقة لهم، تقدّر بالألوف الكثيرة... و ممّا يشير إلى ذلك أنّهم يقولون: إنّه قد رفع في صِفّين ـ بمناسبة التّحكيم ـ زهاء خمس مائة مُصْحَف، قال المنقريّ: هي عظام مصاحف العسكر[٢].

كما و يقولون: إنّ مُعاوية شخص من مسكن إلى الكوفة، فنزل بين النّخيلة ودارالرّزق، معه قصاص أهل الشّام و قُرّائهم ؛ فقال كعب بن جُعَيْل التَّغْلَبيّ:

من جسر مِنْبَج أضحى غبّ عاشرة   فينخل ممكن تتلى حوله السُّوَر[٣]

وكان أبوالدَّرداء الّذي توفّي في أواخر خلافة عُثمان، أو أواخر خلافة عليّ عليه السلام كان يقول: «أعددت من يقرأ عندي، فعددتهم ألفًا وستّ مائة ونيفًا»[٤].

وحين خرج عبد الرّحمان بن محمّد بن الأشعث، كان في جيشه سريّة تسمّى سريّة القُرّاء، وكان فيها كُمَيل بن زياد (رحمه الله تعالى) و سعيد بن جُبَيْر، وعبد الرّحمان بن أبي ليلى، و غيرهم[٥].

٣ ـ كان سعيد بن عُبَيد يلقّب بـ«القارئ»[٦].

٤ ـ أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله سعد بن المنذر أن يقرأه القرآن في ثلاث، فكان يقرأه كذلك حتّى توفّي[٧]. [إلى أن قال:]

٥ ـ وقد أيّد الصَّدوق عدم صحّة القول بتحريف القرآن، بما روي من ثواب ختم

---

١ ـ صِفّين للمنقريّ: ١٨٨.

٢ ـ راجع: صِفّين: ٤٧٨ ؛ و مروج الذّهب ٢:٣٩٠؛ و تاريخ القرآن للأبياريّ: ١٥٢.

٣ ـ أنساب الأشراف، بتحقيق المحموديّ ٣:٤٢.

٤ ـ راجع: التّمهيد في علوم القرآن ٢:١٨٦.

٥ ـ تاريخ الأُمم والمُلوك ٦:٣٥٠؛ والكامل فيالتّاريخ ٤:٤٧٢ ؛ والبداية والنّهاية ٩:٤٢، ٤٧.

٦ ـ الإصابة ٢:٥٠ ؛ و مباحث في علوم القرآن: ١٢٠ وغير ذلك من مصادر تقدّمت.

٧ ـ الإتقان ١:١٠٤، ٧٢ عن أحمد، وأبي عُبَيد؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ (الذّيل) ٤٩ ؛ وفتح الباري ٩:٤٩ ؛ و محاضرات الرّاغب، المجلّد الثّاني، الجزء الرّابع: ٤٣٦ ؛ و مجمع الزّوائد ٧:١٧١.

القرآن، والنّهي عن قراءة القرآن كلّه في ليلة واحدة، وأنّه لا يجوز أن يختم في أقلّ من ثلاثة أيّام، فراجع[١]...[ثمّ ذكر فضائل ختم القرآن، وإن شئت فراجع، فقال:]

أقول: و معنى ذلك هو أنّ القرآن كان مجموعًا، معروفًا أوّله من آخره... والحديث يفيد أنّ القرآن كان مجموعًا، معروفًا أوّله و آخره في زمنه.

وبعد كلّ ما تقدّم فإنّنا نشير إلى أن ما نستند إليه ـ في أنّ القرآن قد جمع في عهد الرّسول ﷺ ـ لا يمكن الإحاطة به مع مصادره في عجالة كهذه، ولكن ما لا يدرك كلّه، لا يترك كلّه... فلا بدّ من التّعرّض لذلك، ولو على نِطاقٍ محدود، فنقول:

شواهد و أدلّة

ومهما يكن من أمر، فإنّ ما نريد أن نسجّله هنا لسوف يقتصر على الأُمور التّالية:

الدّليل الأوّل: الحكمة البالغة

لاشكّ في أنّ ترك النّبيّ ﷺ الّذي هو حجّة على أُمّته، والّذي تقوم به دعوته والفرائض الّتي جاء بها من عند ربّه، و به يصحّ دينه ـ إن تركه ـ مفرّقًا ولم يجمعه، ولم ينصّه ولم يحفظه، ولم يحكم الأمر في قراءته، وما يجوز من الاختلاف و ما لا يجوز، وفي إعرابه و مقداره و تأليف سُوَره و آيه... لهو خلاف الحكمة، و خلاف التّدبير الصّائب، بل إنّ هذا لا يتوهّم في رجل من عامّة المسلمين، فكيف برسول ربّ العالمين، كما قال البَلْخيّ، و أيّده السّيّد بن طاوُوس رحمه الله تعالى[٢]؟

وعلى حدّ قول الإمام شرف الدّين: «... و من عرف النّبيّ ﷺ في حكمته البالغة، ونبوّته الخاتمة، و نُصْحِه لله ولكتابه ولعباده، وعرف مَبْلَغ نظره في العواقب، واحتياطه على أُمّته في مستقبلها، أنّ من المحال عليه أن يترك القرآن منثورًا مبثوثًا، و حاشا هِمَمِه

---

١ ـ راجع المحجّة البيضاء ٢: ٢٦٤ عن اعتقادات الصّدوق، وأوائل المقالات والنّشر ٢: ٤٤٥ ـ ٤٤٧ بعدّة أسانيد، و بألفاظ مختلفة.

٢ ـ راجع: سعد السُّعُود: ١٩٢ـ١٩٣.

و عزائمه و حكمة المعجزة عن ذلك»[1].

الدّليل الثّاني: الواقع التّاريخيّ

إنّه لايرتاب أحد من النّاس في أنّه قد كان للنّبيّ ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي، كـان النّبيّ ﷺ قد رتّبهم لذلك، و قد نصّ المؤرّخون على أسمائهم، وقد أنهاهم البعض إلى اثنين و أربعين رجلاً[2].

ويدلّ على ذلك أيضًا نصوص كثيرة جدًّا، نذكر منها بالإضافة إلى أنّه قد أُشير إلى كتابةالقرآن في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[3]. أنّه قد روي عن زيد بن ثابت، قال: «كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ ... [وذكر كما تقدّم عن الصّغير، فقال:]

كما أنّه كان «الوحي إذا نزل، أمر أحد الكُتّاب كزيد و غيره أن يكتب ذلك الوحي»[4].

وعن البَراء: أنّ النّبيّ ﷺ قال له: ادع لي زيدًا، وقل له يجيء بالكِتْف والدّواة واللّوح، فلمّا جاء قال له: اكتب: ﴿لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ﴾ إلخ...[5]

ويؤيّد ذلك ما قالوه من أنّه «قد ورد أنّ جبرئيل عليه السلام كان يقول: ضعوا كذا في موضع كذا...»[6].

وعن ابن عبّاس: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشّيء دعا من كـان يكـتب،

---

١ ـ أجوبة مسائل موسى جار الله: ٣١.

٢ ـ راجع أسماء هؤلاء في: الوزراء والكُتّاب: ١٢ ـ ١٣ والسّيرة الحلبيّة ٣:٣٢٦ـ٣٢٧؛ و تجارب الأُمم ١:١٦١ـ١٦٢؛ والبداية و النّهاية ٧:٣٣٩ فما بعدها. وراجع بحث (كُتّاب الوحى) في كتاب: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه... وراجع أيضًا: فتح الباري ٩:١٩ ـ ٢٠ ملاحظة: لقد استدلّ الباقِلّانيّ على جمع الكتاب في عهده ﷺ بما يذكر من وضعه ﷺ الكتاب للقرآن، راجع: أُكذوبة تحريف القرآن: ١٨ عن الانتصار :٩٩.

٣ ـ البيّنة /٢.

٤ ـ دلائل النّبوّة للبيهقيّ ١: ٢٤١. وراجع: سير أعلام النّبلاء ٢:٤٢٩ وفي هامشه عن الطّبرانيّ؛ ومجمع الزّوائد ٩:١٧.

٥ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٥:٤٤٧؛ وصحيح البخاريّ ٣:١٤٥؛ وفتح الباري ٩:٢٠؛ والبَداية والنّهاية ٧:٣٤٧؛ وسيرأعلام النّبلاء ٢:٤٢٩ـ٤٣٠؛ ومسند أحمد ٥:١٨٤، ١٩١.

٦ ـ راجع: لُباب التّأويل للخازن ١:٨؛ ومناهل العِرفان ١:٢٤٠؛ ومباحث في علوم القرآن: ١٤٢ عن الإتقان: ١:١٦٢ عن الحَصّار.

فيقول: ضعوا هذه الآيات في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا[١].

ورُوي قريب من هذا من عُثمان بن عَفَّان أيضًا... [وذكر في الهامش منابع هذه الرّواية ولطولها لم نذكرها، وإن شئت فراجع].

ولكنّنا نعتقد أنّ ذلك قد حصل في موارد قليلة، حيث إنّ القرآن نزل في معظمه سُوَرًا كاملة، باستثناء سورة البقرة على ما يظهر، وسيأتي بعض ما يرتبط بذلك حين الحديث عن المصاحف في زمنه صلّى الله عليه وآله.

ويلاحظ هنا:

الف ـ أنّه يبدو أنّ كتابة القرآن قد بدأت في مكّة، ويشهد لذلك ما روي في حديث إسلام عمر بن الخطّاب...

كما وصرّح العَسْقلانيّ وغيره بأنّ أوّل من كتب القرآن بمكّة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح[٢].

وقال ابن كثير معلّقًا على دعوى أنّ أُبيّ بن كعب أوّل من كتب الوحي: «السُّوَر المكّيّة لم يكن أُبيّ بن كعب حال نزولها، وقد كتبها الصَّحابة بمكّة»[٣].

ب ـ هذا ولا يبعد أن يكون المسلمون قد نقلوا ما كتبوه من القرآن إلى المدينة، ولأجل ذلك نجد بعض الآيات المكّيّة في سُوَر مدنيّة وبالعكس[٤]، وإن كان ربّما يقال: إنّهم قد حفظوا تلك الآيات، ثمّ دَوّنوها من جديد في المدينة.

ج ـ أنّنا نلاحظ: أنّ أوّل مانزل عليه صلّى الله عليه وآله من القرآن قد جاء فيه ذكر القراءة والكتابة

---

١ ـ الجامع الصّحيح للتِّرمِذي ٥:٢٧٢؛ وتاريخ اليعقوبيّ ٢:٤٣؛ والإتقان ١:٦٢؛ والبُرهان للزَّرْكَشيّ ١:٢٤١ عن التِّرمِذيّ، والحاكم والتّمهيد ١:٢١٣؛ وتاريخ القرآن للصّغير :٨١ عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدرّاز: ٣٤. لكن في غرائب القرآن للنّيسابوريّ، بهامش جامع البيان للطَّبَريّ ١:٢٤؛ ومناهل العِرفان ١:٢٤٠ هكذا: «ضعوا هذه السُّورة في الموضع الّذي يذكر فيه كذا».

٢ ـ فتح الباري ٩:١٩؛ والسّيرة الحلبيّة ٣:٣٢٦.

٣ ـ البداية والنّهاية ٧:٣٤٠.

٤ ـ الإتقان ١:٢٤ عن ابن أُشتة في كتاب المصاحف وراجع: علوم القرآن الكريم: ١٥٤.

بالقلم، بل قيل: إنّه مكتوبًا في قطيفة[1]، إلّا وهو قوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾ كما ونجد إشادة القرآن بالقلم و ما يسطرون، ثمّ هو قد ذكر أدوات الكتابة، كالقلم والرّقّ والقرآن والمداد في مواضع من كتابه الكريم.

الدّليل الثّالث: لا تكتبوا عنّي سوى القرآن

هذا وقد روى أهل السّنّة عن النّبيّ ﷺ ـ و إن كنّا نعتقد بعدم صحّة ذلك ـ أنّه ﷺ قد منع من كتابة أيّ شيءٍ سوى القرآن، و أنّه ﷺ قال: لا تكتبوا عنّي إلّا القرآن، و من كتب عنّي شيئًا غير القرآن فليمحه.

ولعلّه ـ لو صحّ الحديث ـ قد قال ذلك لخصوص من كانوا يكتبون الوحي بين يديه ﷺ حرصًا منه ﷺ على أن لا يختلط القرآن بتفسيراته و تأويلاته الّتي يذكرها ﷺ من وقت لآخر، إذ قد يوجب ذلك أن يشتبه الأمر على البعض، أو حتّى قد يحاول البعض أن يدخل بعض ذلك من عند نفسه، لا أنّه ﷺ قد منع من كتابة غيرالقرآن مطلقًا في زمانه، كما زعمه البعض[2].

الدّليل الرّابع: تأليف القرآن عند الرّسول ﷺ

عن زيد بن ثابت، قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرّقاع» قال الحاكم: «وفيه الدّليل الواضح على أنّ القرآن إنّما جمع على عهد رسول الله ﷺ». وفي نصّ آخر عن الحاكم عن زيد: «كنّا حول رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن، إذ قال إلخ...»[3].

---

١ ـ راجع: تأويل مختلف الحديث: ٢٨٦ ؛ وجامع بيان العلم ٧٦:١ ؛ و مسند أحمد ٢١:٣، ١٢، ٣٩، ٥٦ و ١٨٢:٦ ؛ وسنن الدّارميّ ١١٩:١ ؛ و تقييد العلم: ٢٨ ـ ٣٢ ؛ و مجمع الزّوائد ١٥١:١ عن البزّار ؛ وكَنْز العمّال ١٧٩:١ عن البزّار أيضًا. والأسرار المرفوعة: ٩ عن مسلم والتّرمذيّ والنّسائيّ و صحيح مسلم ٢٢٩:٨؛ وفَتْح الباري ١٠:٩ ـ ١١.

٢ ـ تاريخ القرآن للأبياريّ: ١٠٨.

٣ ـ راجع: مستدرك الحاكم: ١٢٩ و ٦١١ و تلخيصه للذّهبيّ بهامشه، و صحّحاه على شرط الشّيخين. والبُرهان للزّركشيّ ٢٣٧:١، ٢٣٥، ٢٥٦ عن الحاكم والبَيْهَقيّ في كتاب المدخل، وفي الدّلائل، و فواتح الرّحموت، بهامش المستصفى ١٣:٢ ؛ والإتقان ٥٧:١ و ٦٠ ؛ ومناهل العِرفان ١: ٢٤٠ ؛ والبيان للخوئيّ: ٢٧٣ ؛ و بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ←

الدّليل الخامس: حديث عليّ عليه السلام

عن عليّ عليه السلام قال: «ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا القرآن، و ما في هذه الصّحيفة[1] إلخ...». وفي هذا الحديث كلام طويل، إذ قد كتبوا عنه صلى الله عليه وآله أشياء أُخرى، و تحقيق ذلك موكول إلى مقام آخر.

الدّليل السّادس: المُصْحَف الّذي تركه الرّسول صلى الله عليه وآله

لقد كانت: حسبما صرّحت به بعض الرّوايات ـ هناك نسخة من القرآن الكريم، المكتُوب في العُسُب والحَرير والأكتاف في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله خلف فراشه[2]. وقد أمر صلى الله عليه وآله عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام بأن يأخذه و يجمعه، حسبما سيأتي إن شاء الله تعالى...

وسيأتي أيضًا تصريح أميرالمؤمنين عليه السلام بأنّه ما من آية نزلت إلّا وقد أملاها عليه رسول الله، وكتبها بخطّ يده.

الدّليل السّابع: القرآن أساس الإسلام

لقد نصّ المؤرّخون على أنّه قد كان عند النّبيّ صلى الله عليه وآله كُتّاب مخصوصون للمعاهدات، ولخرص النّخل، والمداينات، كما أنّه صلى الله عليه وآله قد أمرهم بأن يكتبوا له كلّ من تلفّظ بالإسلام قبل عام الحُدَيبِيّة، فكتب له مُعاذ ألفًا و خمس مائة رجُلٍ.

← ١٠٥ و ١٢٦ و ١٣٠؛ ومسند أحمد ١٨٥:٥. ؛ وأُكذوبة تحريف القرآن: ١٦ عن بعض من تقدّم، وعن المصنّف لابن أبي شيبة ١٤٥:٣.

١ ـ تاريخ واسط: ١٠٢؛ و كنز العمّال ١٠٥:١٧ عن أحمد، و عبد الرّزّاق، و البُخاريّ، و مسلم، و أبي داود، والتّرمِذيّ، والنّسائيّ، وابن خُزَيمة، و أبي عَوانة، والطّحاويّ، و ابن حَبان، والبَيْهَقيّ، و أبي يعلى، والطّيالسيّ. تذكرة الحُفّاظ ١٢:١.

٢ ـ راجع: تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٤٤ ـ ٤٥ و ٦٤ وراجع: تفسير البُرهان (المقدّمة): ٣٦ عن تفسيرالقُمّيّ وعمدة القارئ ١٦:٢٠؛ وبحارالأنوار ٤٨:٨٩ وراجع: ٥٢؛ وراجع أيضًا: الإتقان ٥٧:١ ـ ٥٨ ومناقب آل أبي طالب، لابن شهراشوب ٤١:٢ و تفسير القُمّيّ ٤٥١:٢؛ والمحجّة البَيْضاء ٢٦٤:٢؛ و تاريخ القرآن للأبياريّ: ٨٤ و ١٠٦؛ و تفسير الصّراط المستقيم ١: ٣٦٦ (الهامش)؛ والوافي ٢٧٤:٥. وأُكذوبة تحريف القرآن: ١٧ عن: المصاحف للسِّجِستانيّ، وعن العينيّ. وستأتي بقيّة المصادر في فصل: مُصْحَف عليّ عليه السلام.

كما أنّهم كان لديهم دَواوين للجُيوش، ومن يتعيّن خروجه للمغازي[1] و ما إلى ذلك.

فهل يعقل: أن يهتمّ النّبيّ ﷺ بكتابة كلّ ذلك، ولا يهتمّ بكتابة القرآن الّذي هو أساس الإسلام و عمادالدّين؟!.

وهل كتابة بعض الدّراهم المقترضة أولى عند نبيّ الله من كتابة كتاب الله سبحانه؟!.

ثمّ إنّه هل كان يكتب كلّ ذلك على العُسُب والأكتاف واللِّخاف المتفرّقة، أم أنّها كانت مرتّبةً و محفوظة على شكل كتب، يسهل تناولها والرُّجوع إليها؟!.

إنّ ذلك ـ لو صحّ ـ فإنّه لا يصدر عن أيّ إنسان عادي، فكيف بالنّبيّ الأكرم ﷺ، عقل الكُلّ و مُدبّرالكُلّ، و رئيس الكُلّ؟!....

الدّليل الثّامن: المصاحف في عهد رسول الله ﷺ

وهناك طائفة من الأحاديث تفيد أنّ المصاحف كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ عند الصَّحابة، تامّة أو ناقصة وكانوا يقرأونها، و يتداولونها، و قد قرّر النّبيّ الأكرم ﷺ لها طائفة من الأحكام، كما سيتّضح من النُّصُوص الّتي سوف نوردها إن شاء الله تعالى...

ولو لم يكن هناك تدوين و جمع بالمعنى الّذي يتبادر إلى الذّهن، لما كانت تلك المصاحف أصلاً، ولا كان ثمّة مبرّرٍ لإطلاق لفظ (مُصْحَف) أو (مصاحف) عليها، ولا كان معنى لاختلاف هذه المصاحف فيما بينها، حسبما تدّعيه الرّوايات، كما يتّضح من كتاب المصاحف للسِّجِستانيّ، و تاريخ القرآن للزّنجانيّ وغيرهما..

بل لقد ادّعى الآمديّ: «أنّ المصاحف المشهورة في زمن الصَّحابة كانت مقروءةً عليه ﷺ و معروضة»[2] وإليك طائفة من النُّصُوص، الّتي صرّحت بوجود المُصْحَف أوالمصاحف في زمنه ﷺ:

١ ـ عن عُقْبَة بن عامر عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ قال: تعلّموا كتاب الله و تعاهدوه

---

١ ـ راجع طائفة من مصادر ما ذكرناه هنا في كتابنا: السّوق في ظلّ الدّولة الإسلاميّة: ٦٨.

٢ ـ تاريخ القرآن للصَّغير: ٧٧ ؛ و تاريخ القرآن للزَّنجانيّ: ٣٩.

واقتنوه و تغنّوا به، فوالّذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلّتًا من المخاض في العُقل[١].

٢ ـ عن المهاجر بن حبيب، قال: قال رسول الله ﷺ: يا أهل القرآن، لا توسّدوا القرآن، واتلوه حقّ تلاوته اناء اللّيل والنّهار، وتغنّوه و تقنّوه، واذكروا ما فيه لعلّكم تفلحون، وهذا مرسل.

ثمّ قال أبو عُبَيْد: قوله: (تغنّوه)، أي اجعلوه غناءكم من الفقر، ولا تعدّوا الإقلال فقرًا، وقوله: (وتقنّوه) يقول: اقتنوه، كما تقتنوا الأموال، اجعلوه مالكم..[٢]

٣ ـ عن عبد بن عمرو: أنّ رجلاً أتى النّبيّ ﷺ بابن له، فقال: يا رسول الله، إنّ ابني هذا يقرأ المُصْحَف بالنّهار، و يبيت باللّيل. فقال رسول الله ﷺ: «أما تَنْقِمُ أنّ ابنك يظلّ ذاكرًا، و يبيت سالمًا؟!»[٣].

٤ ـ عن عُثمان بن عبد الله بن أوس عن النّبيّ ﷺ: «من قرأ القرآن في المُصْحَف، كانت له ألفا حَسَنةٍ، ومن قرأه في غير المُصْحَف ـ فأظنّه قال ـ: كألف حَسَنةٍ...»[٤].

٥ ـ عن أوس الثّقفيّ، عنه ﷺ قال: «قراءة الرّجل في غير المُصْحَف ألف درجة، وقراءته في المُصْحَف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة»[٥].

٦ ـ وعن عائشة مرفوعًا في حديث: «... والنّظر في المُصْحَف عبادة...»[٦].

٧ ـ عن ابن مسعود مرفوعًا: «من سرّه أن يحبّ الله و رسوله، فليقرأ في المُصْحَف»، و قد وصفوا هذا الحديث بأنّه منكر[٧].

---

١ ـ سُنَن الدّارميّ ٢:٤٣٩؛ وراجع: مسند أحمد ٤:١٥٠، ١٥٣؛ و تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير ٤ (الخاتمة): ٣٤ عن أبي عُبَيد، وعن النّسائيّ.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ (الخاتمة): ٣٤.

٣ ـ مسند أحمد ٢:١٧٣.

٤ ـ البُرهان للزّركشيّ ١:٤٦٢ عن البَيْهَقيّ في شُعَب الايمان، وكنز العمّال ١:٤٧٧ عنه أيضًا، وعن ابن عَديّ في الكامل؛ وراجع: الإتقان ١:١٠٨.

٥ ـ البُرهان للزّركشيّ ١:٤٦٢ عن الطَّبَرانيّ؛ والإتقان ١:١٠٨؛ وكنز العمّال ١:٤٦٠ عن الطَّبَرانيّ وعن البَيْهَقيّ في شُعَب الايمان، ؛ و تاريخ القرآن للصّغير: ٨٤؛ ومجمع الزّوائد ٧:١٦٥.

٦ ـ البرهان للزّركَشيّ ١:٤٦٣ عن أبي داود.

٧ ـ الإتقان ١:١٠٨؛ وكنز العمّال ١:٥٣٤ عن البَيْهَقيّ في شُعَب الايمان، وعن حلية الأولياء لأبي نُعَيم؛ و تاريخ القرآن

٨ ـ وأخرج البَيْهَقيّ بسند حسن عن ابن مسعود موقوفًا: «أديموا النّظر في المُصْحَف»[1].

٩ ـ عن عبد الله بن الزُّبَيْر، عنه ﷺ «من قرأ القرآن ظاهرًا أو نظرًا، أعطاه شجرة في الجنّة» إلخ...[2].

١٠ ـ عن أبي سعيد الخُدريّ، عن النّبيّ ﷺ «أعطوا أعينكم حظّها من العبادة قالوا: وما حظّها من العبادة يا رسول الله؟! قال: النّظر في المُصْحَف، والتّفكّر فيه، والاعتبار عند عجائبه»[3].

١١ ـ وعنه ﷺ : «ليس شيء أشدّ على الشّيطان من القراءة في المُصْحَف نظرًا»[4].

١٢ ـ نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالمصاحف إلى أرض الشّرك، مخافة أن يتناول منه شيء.

وفي بعض النّصوص كلمة (بالقرآن) بدل المُصْحَف، وفسّر السُّيوطيّ وابن قُتَيبة وصاحب المعتصر كلمة «القرآن» بالمُصْحَف[5].

وهو الصّحيح، فإنّ المراد السّفر بالقرآن المكتوب، لا المحفوظ في الصُّدور.

١٣ ـ عن أبي أمامة، عنه ﷺ: «لا تغرّنّكم هذه المصاحف المعلّقة، إنّ الله تعالى لا

← للصّغير: ٨٤ عن البَيْهَقيّ.

١ ـ الإتقان ١:١٠٨ ؛ وتاريخ القرآن للصّغير: ٨٤ عن البَيْهَقيّ ؛ ومجمع الزّوائد ٧:١٦٥ عن الطَّبَرانيّ.

٢ ـ كشف الأستار عن مسند البزّار ٣: ٩٣ـ٩٤ ؛ وعن مجمع الزّوائد ٧:١٧١.

٣ ـ المحجّة البيضاء ٢:٢٣١ عن البَيْهَقيّ في شُعَب الإيمان، كما عن الجامع الصّغير؛ وكنز العمّال ١:٤٥٥ ؛ ونوادر الأُصول: ٣٣٣؛ وعن صحيح ابن حَبان...

٤ ـ ثواب الأعمال: ١٢٩ ؛ ووسائل الشّيعة ٤:٨٥٣.

٥ ـ كنز العمّال ٢:٢٢٣، ٤٢٤ عن ابن أبي داود. وراجع: ٢١٤ و ١:٤٦٤ و ٥٤٤ و ٥٤٧ عن مسلم، وأبي داود، وابن ماجة، وابن أبي داود، ومستدرك الحاكم، وحلية الأولياء. وراجع أيضًا: سنن أبي داود ٣:٣٦؛ وصحيح مسلم ٦:٣٠؛ و تاريخ القرآن للصّغير: ٨٥؛ ومسند الحَميديّ ٢: ٣٠٦؛ و صحيح البخاريّ ٢:١٠٩؛ و مُوطّأ مالك (المطبوع مع تنوير الحوالك) ٢:٥؛ وشرح الموطّأ للزُّرقانيّ ٣:٢٨٧؛ وكشف الأستار ٢:٢٧٢؛ ومشكل الآثار ٢:٣٦٨ ـ ٣٧٠؛ والمصنّف لعبدالرّزّاق ٥:٢١٢ ؛ والمحلّى ٧:٣٤٩؛ والمعتصر من المختصر ١:٢٧؛ وسُنَن ابن ماجة ٢:٩٦١؛ وسُنَن البَيْهَقيّ ٩:١٠٨ ؛ ونصب الرّاية ٣:٣٨٣ ـ ٣٨٤؛ وفتح الباري ٦:٩٣ وفيه بحث؛ و تأويل مختلف الحديث: ٢٠٢؛ ومجمع الزّوائد ٥:٢٥٦ عن البزّار وعن صحيح مسلم ؛ كتاب الإمارة ٢:١٣١.

يعذّب قلبًا وعى القرآن»[١].

١٤ ـ عن ابن عبّاس، عنه ﷺ: «من أدام النّظر في المُصْحَف، متّع ببصره مادام في الدّنيا»[٢].

١٥ ـ وعنه ﷺ: «لا تمسّ المُصْحَف و أنت غير طاهر».

روى ذلك عنه ﷺ عُثمان بن أبي العاص، و بمعناه عن حكيم بن حَزام، و عن ابن عمر، عنه ﷺ[٣].

١٦ ـ عن أبي الدَّرداء، عن النّبيّ ﷺ «إذا زَخْرَفْتم مساجدكم، وحَلَّيْتم مصاحفكم، فالدّمار عليكم»[٤].

١٧ ـ وروى ابن ماجة وغيره عن أنس مرفوعًا: «سبع يجري للعبد أجرهنّ وهو في قبره، وعدّ منهنّ: من ورث مُصْحَفًا»[٥].

١٨ ـ وعنه ﷺ في حديث: «فإنّه سيأتي زمان يَسرِي على القرآن في ليلة، فيسلخ من القُلوب والمصاحف»[٦].

١٩ ـ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من علّم ابنه القرآن نظرًا، غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، و من علّمه إيّاه ظاهرًا، بعثه الله يوم القيامة كالقمر ليلة البدر...»[٧].

٢٠ ـ وعنه ﷺ: «الغرباء في الدّنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، و مسجد في نادِي قوم لا يُصلّى فيه، و مُصْحَف في بيت لا يقرأ فيه، و رجل صالح مع قوم سوء»[٨].

---

١ ـ كنز العمّال ١:٤٧٧؛ و نوادر الأُصول: ٣٣٣.

٢ ـ نفس المصدر ١:٤٧٧ عن أبي الشّيخ.

٣ ـ نفس المصدر ١: ٥٤٣، ٥٤٨ عن ابن أبي داود في المصاحف، وعن التّرمذيّ، وأبي داود، ومستدرك الحاكم، والطّبَرانيّ في الكبير، والدّارقُطنيّ في سننه.

٤ ـ نوادر الأُصول: ٣٣٤.

٥ ـ تاريخ القرآن للصّغير: ٨٤ عن الإتقان للسُّيُوطيّ ٤:١٦٦.

٦ ـ كنز العمّال ١:١٧٠ عن الدّيلميّ، عن مُعاذ.

٧ ـ مجمع الزّوائد ٧:١٦٥ ـ ١٦٦ عن الطّبَرانيّ في الأوسط...

٨ ـ كنز العمّال ١:٥٤٤ عن الدّيلميّ في الفردوس، و تاريخ القرآن للصّغير: ٨٤ عن فيض القدير للمناويّ.

النّبيّ ﷺ يعطي البعض مُصْحَفًا: أضف إلى ما تقدّم أنّنا نجد النّبيّ ﷺ يعطي البعض مُصْحَفًا طلبه منه، فقد روي ذلك عن عُثمان بن أبي العاص، حين جاء وفد ثقيف إلى النّبيّ ﷺ، قال عُثمان: «فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته مُصْحَفًا كان عنده، فأعطانيه ...»[1].

الدّليل التّاسع: شيوع كتابة القرآن في عهد رسول الله ﷺ

و ممّا يشهد لكتابة كثير من الصّحابة للقرآن في عهد رسول الله ﷺ إضافة إلى ما تقدّم، و إلى الأحاديث الّتي صرّحت بوجود المُصْحَف في عهده ﷺ بصورة واسعة، الرّوايات التّالية:

١ ـ ما روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «فضل القرآن نظرًا على من قرأ ظاهرًا كفضل الفريضة على النّافلة»، قال السُّيوطيّ عنه: إنّ سنده صحيح[2].

٢ ـ عن أبي الدَّرداء مرفوعًا: «من قرأمائتي آية كلّ يوم نظرًا، شفّع في سبعة قبور حول قبره إلخ...»[3].

٣ ـ وعنه ﷺ: «أفضل عبادة أُمّتي تلاوة القرآن نظرًا»[4].

٤ ـ وعن أنس، عنه ﷺ: «من قرأ القرآن نظرًا، متّع ببصره»[5].

٥ ـ عن عائشة، عنه ﷺ: «أكرموا القرآن، ولا تكتبوه على حَجَر ولا مَدَر، ولكن اكتبوه فيما يمحى، ولا تمحوه بالبُزاق، و أمحوه بالماء».[6]

٦ ـ عن ابن الزُّبَير، عنه ﷺ: «من ختم القرآن عن ظهر قلبه أو نظرًا، أعطاه الله شَجَرة

---

١ ـ مجمع الزّوائد ٩:٣٧١؛ و حياة الصّحابة ٣:٢٤٤.

٢ ـ البُرهان للزّركشيّ ١:٤٦٢؛ والإتقان ١:١٠٨ عن أبي عُبَيد في فضائل القرآن؛ وكنز العمّال ١:٤٥٩ عنه أيضًا، وقريب منه في: ٤٦٠، ٥٤١، عن ابن مردويه، و محاضرات الأدباء، المجلّد الثّاني، جزء ٤: ٤٣٥، ٤٣٧.

٣ ـ البُرهان للزّركشيّ ١:٤٦٢، عن أبي داود؛ وكنز العمّال ١:٤٧٧ عنه أيضًا، وعن الدّيلميّ.

٤ ـ آداب المتعلّمين للطّوسيّ الملحق بشرح الباب الحادي عشر: ١٥١؛ والمحجّة البيضاء ٢:٢٣١؛ وكنز العمّال ١: ٤٥٥، ٤٦٩، عن نوادر الأُصول للحكيم التّرمذيّ.

٥ ـ كنز العمّال ١:٤٧٧ عن ابن النّجّار.

٦ ـ نفس المصدر ١:٤٩٣ عن الدّيلميّ.

في الجنّة»[١].

٧ ـ عن حُذَيْفة، عنه ﷺ: «من قرأالقرآن ظاهرًا أو ناظرًا حتّى يختمه، غرس الله له به شَجَرة في الجنّة» إلخ[٢].

٨ ـ وعن مُعاذ، عنه ﷺ: «لا تمحوا كتاب الله بالأقدام»[٣].

٩ ـ عن عمر بن عبد العزيز، قال: مرّ رسول الله ﷺ بكتاب في الأرض، فقال: «لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلّا موضعه»[٤].

الدّليل العاشر: الّذين جمعوا القرآن في عهده ﷺ

لقد ذكر المؤرّخون والمؤلّفون، جمعًا من الصّحابة، قالوا: إنّهم قد جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ و يستثنون بعضهم، فيقولون: إنّه قد جمع القرآن باستثناء سورتين أو ثلاثة.

ومن الواضح أنّ المراد بالجمع، هو ما قابل التّفرّق، فإنّ القرآن قد نزل متفرّقًا ونجومًا، فكان الصّحابة ـ أو طائفة منهم ـ يهتمّون بالحصول على ما نزل، وضمّه إلى ما عندهم، و يتابعون ذلك باستمرار، وطبيعيّ أن يكون ذلك على سبيل الكتابة، و ضمّ الجديد إلى القديم على هذا النّحو.

والقول بأنّ المراد بجمعه هوالحفظ في الصُّدُور لايستقيم، لأنّ حُفّاظ القرآن في عهده ﷺ كثيرون، وقد قتل في بئر معونة كما رووا ـ وإن كنّا لم نوافق على هذا العدد[٥] ـ سبعون رجلاً من القُرّاء...

١ ـ نفس المصدر ١:٤٧٨ عن ابن مَرْدُوَيه؛ و راجع: كشف الأستار ٣: ٩٣ ـ ٩٤ ؛ ومجمع الزّوائد ٧:١٦٥.

٢ ـ نفس المصدر ١:٤٧٨ عن الرّافعيّ، عن الطّبَرانيّ، وعن الحاكم في المستدرك، وابن مَرْدُوَيه، وعن البَيْهقيّ في شُعَب الإيمان.

٣ ـ نفس المصدر ١:٥٤٩ عن أبي نصر السّجزيّ في الإبانة.

٤ ـ نفس المصدر ١:٥٤٨ ـ ٥٤٩ عن الحكيم التّرمِذيّ في نوادر الأُصول ويحتمل أن يكون مورد الحديث: أنّ النّبيّ ﷺ رأى بعض الآيات مكتوبة في الأرض، فقال ذلك.

٥ ـ بحثنا ذلك في الجزء الخامس من كتابنا: الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم ﷺ حين الحديث على غزوة بئر معونة.

وسيأتي أنّه قتل في وقعة اليَمامة ـ أي بعد وفاته ﷺ بأشهر قليلة ـ مثل هذا العدد من القُرّاء أيضًا، بل قيل: إنّ المقتولين في اليَمامة كانوا أربع مائة، أو قريب خمس مائة.

وحسب تعبير عُرْوَة بن الزُّبَيْر في مقام بيانه لسبب أمر أبي بكر بجمع القرآن: «إنّه قتل باليَمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن»[1].

كما أنّ هؤلاء الّذين عدّوهم في من جمع القرآن، قد كانت لهم مصاحف تخصّهم، كزيد و ابن مسعود و عليّ وأُبيّ، و قد بقي بعضها بعد موتهم مئات السّنين[2].

هذا عدا عن مصاحف أُخرى كانت منتشرة في عهده ﷺ حسبما قدّمناه.

فإذا أردنا إضافة الصّحابة القُرّاء الّذين قتلوا في حرب اليَمامة إلى من ورد ذكرهم فيما يلي من نُصوص، فإنّ الرّقم لسوف يصبح كبيرًا جدًّا، كما هو ظاهر...

بقي أن نشير إلى أنّ من الجائز أن يكون الّذي لدى هؤلاء و أُولئك يختلف في ترتيبه عن بعضه البعض، و قد تنقص السُّورة أو السُّوَرتان من بعض المصاحف أيضًا، و ذلك لا يضرّ فيما نريد إثباته، و إنّما هو يثبته و يؤكّده ...[ثمّ ذكر بعض أسماء من جمعوا القرآن على عهد النّبيّ، كما تقدّم عن البُخاريّ والقُرطُبيّ و الزّركشيّ و ابن حَجَر و غيره، إلى أن قال:]

وقد ذكر أبو عمر نفس ما تقدّم في ترجمة قيس بن السَّكَن بزعم أنّه هو نفسه أبو زيد، وهو ما قاله غيره أيضًا[3].

ولكن قال آخرون: إنّ أبا زيد هو «سعد بن عُمَير، و قيل: ثابت، و قيل: قَيْس بن السَّكَن»[4]. و ذكره المرزبانيّ وغيره باسم ثابت، و ذكر أنّه أحد السّتّة الّذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ[5].

ولكنّنا بالنّسبة لحديث جمع زيد للقرآن في عهد رسول الله نجد ابن عبدالبرّ يذكر ما

---

١ ـ كنز العمّال ٢: ٣٦٣ عن ابن سعد.

٢ ـ راجع: الفهرست لابن النّديم: ٢٩؛ والتّمهيد في علوم القرآن ١: ٢٥٠ عنه.

٣ ـ راجع: الإصابة ٣: ٢٥٠؛ والاستيعاب بهامشه ٣: ٢٢٤؛ وأُسد الغابة ٤: ٢١٦.

٤ ـ أُسد الغابة ٤: ٢١٦؛ والإصابة ٤: ٧٨ و ٢: ٣٠؛ والاستيعاب بهامشه ٤: ٧٨.

٥ ـ نور القبس: ١٠٤ ـ ١٠٥؛ و راجع: المحبّر: ٣٨٦؛ وفتح الباري ٩: ٤٩؛ والإتقان ١: ٤٢ عن المحبّر و عن أبي أحمد العَسكريّ، و عمدة القارئ ٢٠: ٢٧ عن المحبّر أيضًا.

يفيد تشكيك البعض في ذلك، فهو يقول: «. وقد عارضه قوم بحديث ابن شِهاب عن عُبَيد ابن السَّبّاق عن زيد بن ثابت: أنّ أبابكر أمره ـ في حين مقتل القُرّاء في اليَمامة ـ بجمع القرآن. قال: فجعلت أجمع القرآن من العُسُب والرِّقاع وصدُور الرِّجال حتّى وجدت آخر آية من التّوبة مع رجل يقال له: خُزَيْمة، أو أبو خُزَيمة.

قالوا: فلوكان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ لأملاه من صدره، وما احتاج إلى ما ذكر ...»[1] انتهى.

ونزيد نحن هنا: أنّ محمّد بن كَعب القُرظَيّ لم يذكر زيد بن ثابت في عداد من جمع القرآن في عهده ﷺ كما سيأتي.

ولكن يمكن المناقشة في كلام ابن عبدالبِرّ بأنّه قد يكون إنّما فعل ذلك من أجل أن يشعر النّاس بالتّحرّي والاطمئنان، وعدم الاستبداد بالرّأي في مجالات كهذه كما ذكروه.

كما أنّ محمّد بن كَعب القُرَظيّ قد أهمل ذكر غير زيد أيضًا، فهو لم يذكر ابن مسعود ولا عليًّا عليه السلام مثلاً.

ولكن هذه المناقشة لا تكفي لإزالة التّساؤل المطروح، لأنّها لا تعدوا عن أن تكون مجرّد احتمال موهون وضعيف، إذ لعلّ محمّد بن كَعب إنّما أراد ذكر من اطّلع عليهم ممّن جمعوا القرآن من الأنصار، هذا بالإضافة إلى أنّ ابن مسعود قد سجّل اعتراضًا قويًّا على تكليفهم زيدًا بكتابة القرآن وأهليّته لذلك، وحجّته في ذلك أنّه هو نفسه قد أخذ مِن في النّبيّ ﷺ سبعين سورة، وإنّ زيدًا ليلعب مع الصّبيان في الكُتّاب[2]، فيبقى ما ذكره ابن عبدالبِرّ على قوّته.

ومهما يكن من أمرٍ، فإنّ رواية أنس ليست هي الوحيدة في هذا المجال، إذ إنّ هناك رواية عن ابن سيرين يرد فيها نفس هذا السّؤال، فهي قد ذكرت من تقدّمت أسماؤهم،

---

١ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٢٢٤؛ وأُسد الغابة ٤:٢١٦.

٢ ـ مصادر ذلك كثيرة فراجع على سبيل المثال: فتح الباري ٩:٤٤ ابن أبي داود؛ وتاريخ القرآن: ٤٧؛ وكنز العمّال ٢:٣٦٥، ٣٧٤؛ ومناهل العِرفان ١:٢٣٧؛ وعمدة القاريّ ٢٠:٢٧ عن ابن عساكر، لكن فيه: عُبَادَة بن الصّامت، بدل: عُبَادَة بن ثابت؛ وحياة الصّحابة ٣:٢٢١ عن بعض من تقدّم؛ وعن التّاريخ الصّغير: ٢٢ مختصرًا.

واختلفوا في رجلين من ثلاثة... [ثمّ ذكر بقيّة أسماء من جمع القرآن، كما تقدّم في مواضع متعدّدة سابقًا].

تتميم:

ونذكر هنا بعض النُّصوص الّتي تؤيّد الجمع في زمنه ﷺ و إن لم تصل إلى درجة الدّلالة القاطعة، فنقول: إنّ ثَمّة نصوصًا أُخرى تعدّد القُرّاء من أصحاب النّبيّ ﷺ، أو أنّ راويها قد ذكر أنّه قرأ القرآن في عهد رسول الله ﷺ، و ذلك مثل ما رواه سعيد بن جُبَير عن:

١ ـ ابن عبّاس، قال: «توفّي رسول الله ﷺ و قد قرأت القرآن، و أنا ابن عشر سنين»[١].

٢ ـ وقال العينيّ و غيره: «ذكر أبو عُبَيْد القُرّاء من أصحاب النّبيّ ﷺ، فعدّ من المهاجرين... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر، ثُمّ قال:]

وذكر ابن أبي داود من المهاجرين أيضًا. تميم بن أوس الدّاريّ، و عُقْبة بن عامر. و من الأنصار مُعاذاً الّذي يكنّى أبا حليمة، و فَضَالة بن عُبَيْد، ومُسلِمة بن مَخْلَد»[٢]، وذكر الزُّرقانيّ أسماء آخرين فليراجع.

وقال الشِّبْلَنجيّ الشّافعيّ: «وأمّا من جمع القرآن حفظًا على عهده ﷺ فأُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل، وأبو زيد الأنصاريّ، وأبوالدّرداء، و زيد بن ثابت، و عُثمان بن عَفّان، و تميم الدّاريّ، و عُبادة بن الصّامت، وأبو أيّوب الأنصاريّ»[٣].

وقال السُّيُوطيّ عن أبي بكر: أحد الصّحابة الّذين حفظوا القرآن كلّه[٤]. أي في عهد رسول الله ﷺ. ونحن في نهاية هذا الفصل نسجّل الأُمور التّالية.

الأمر الأوّل: دعوى أنّ الجمع معناه الحفظ

إنّنا نلاحظ أنّ الأسماء الّتي ذكرها الشِّبْلَنجيّ هي نفس الأسماء الّتي ذكرها أنس

---

١ ـ عُمدة القارئ ٢٠: ٢٧.

٢ ـ نفس المصدر ٢٠: ٢٧؛ ومناهل العرفان ١: ٢٣٥؛ والإتقان ١: ٧٢.

٣ ـ نور الأبصار: ٤٨، وقال: أورده العلّامة الدَّميريّ في حياة الحيوان.

٤ ـ راجع: تاريخ الخلفاء: ٤٤.

والشَّعبيّ وغيرهما، و قالوا: إنّهم ممّن جمع القرآن.

لكنّ الشِّبلَنجيّ زاد على هؤلاء كلمة واحدة، وهي كلمة «حفظًا» وذلك اجتهادًا منه في تفسيرالمراد من «جمعهم القرآن» و ذلك ليدلّ على أنّ المراد بالجمع هو الحفظ والجمع في الصُّدُور، وليس كتابته في عهده صلى الله عليه وآله وهذه الدّعوى قد ذهب إليها آخرون أيضًا[1].

ولكنّها دعوى لا تصحّ، وهي لا تعدُو عن أن تكون اجتهادًا منهم في تفسير النّصّ التّاريخيّ، ولا تستند إلى أيّ دليل أو شاهد تاريخيّ يذكر، بل إنّ الشّواهد المتقدّمة كلّها تدلّ على خلاف ذلك، فقد اتّضح أنّ المصاحف كانت موجودة في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله بكثرة، وما أكثر ما حثّ صلى الله عليه وآله على قراءة القرآن نظرًا، و بيّن ما لذلك من فضل و ثواب عندالله سبحانه!.

و يعترف الجميع بأنّه قد كان لدى عدد من كبارالصّحابة مصاحف تخصّهم، كمُصْحَف عليّ عليه السلام و أُبيّ و ابن مسعود وغيرهم.

قال الرّافعيّ «اتّفقوا على أنّ من كتب القرآن فأكمله، وكان قرآنه أصلاً للمصاحف المتأخّرة عليّ بن أبي طالب، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن مسعود»[2].

ولا بدّ وأن يريد أنّ هذه المصاحف قد كانت مجموعة قبل جمع زيد للمُصْحَف في زمن الخليفة بعدالرّسول صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك أنّ قُرّاء القرآن و حُفّاظه في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله كانوا كثيرين جدًّا من الأنصار ومن غيرهم، وقد تقدّم الكثير ممّا يدلّ على ذلك، فلا معنى لتخصيص هؤلاء بالذّكر، و يكفي أن نذكر أنّهم يروون أنّ الّذين قتلوا من القُرّاء يوم بئرمعونة كانوا سبعين

---

١ ـ فراجع أيضًا: فتح الباري ٩٦:٧؛ والبرهان للزَّركَشيّ ٢٣٥:١؛ وراجع: فواتح الرّحموت، بهامش المستصفى ١٢:٢؛ وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ١٥٧، ١٣١؛ والبيان للخوئيّ: ٢٦٩ بصيغة: ولعلّ قائلاً يقول... وراجع: ما قاله ابن حَجَر حول جمع عليّ عليه السلام للقرآن، فإنّه ادّعى أنّ المراد ـ بجمع عليّ عليه السلام له أنّه حفظه في صدره... راجع: تأسيس الشّيعة لعلوم الإسلام: ٣١٧.

٢ ـ بحوث في تاريخ القرآن وعُلومه: ١١٥، ١٢٤ عن: إعجاز القرآن للرّافعيّ: ٣٥ وراجع ٣٦ منه. وكذا في: مباحث في علوم القرآن، للقطّان: ١٢٤، لكنّه زاد: مُعاذ بن جَبَل.

رجلاً، و قتل مثلهم في اليَمامة أيضًا[1].

بل قيل: إنّ الّذين قتلوا في اليَمامة كانوا قريب خمس مائة من القُرّاء[2]، وقيل: أربع مائة[3].

وعن الزُّهْريّ: «كان مجلس عمر مغتصًّا من القُرّاء، شبابًا وكهولاً، فربّما استشارهم»[4]. إلخ . فدعوى أنّ المقصود هوالحفظ في الصُّدُور لايمكن المساعدة عليها بوجه.

الأمر الثّاني: حصر القُرّاء بعدد محدود لا يصحّ

وأمّا بالنّسبة لما ذكره العينيّ و غيره من حصر من قرأ القرآن بهذا العدد المحدود، والّذي لم يرتضه أيضًا العسقلانيّ حيث اعتبر أنّ عددًا منهم لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ، و لعلّهم جمعوه أو أتمّوا جمعه بعده[5] ـ أمّا بالنّسبة لهذا ـ فهو لا يصحّ، لا بالنّسبة لكلام العينيّ، ولا بالنّسبة لكلام العَسقلانيّ، و أولى منه بعدم الصّحّة ما قاله الفيض الكاشانيّ، وإليك نصّ عبارته: « . مات رسول الله عن عشرين ألفًا من الصّحابة، لم يحفظ القرآن منهم إلّا ستّة، اختلف منهم في اثنين، وكان أكثرهم يحفظ السُّورة والسُّورتين، وكان الّذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم»[6].

ولعلّه ﵀ لم يطّلع إلّا على رواية الشّعبيّ المتقدّمة، والظّاهرة في حصر جامعي القرآن في ستّة نفر.

لكنّ ما قدّمناه يوضح أنّ الحُفّاظ و القُرّاء كانوا أكثر من ذلك بأضعاف كثيرة، و قد قُتِل منهم العشرات، أو المئات في واقعة اليَمامة، وقلنا: إنّ المصاحف كانت منتشرة لدى

---

١ ـ راجع: فتح الباري ٩: ٤٣، ٤٨ ؛ والبُرهان للزّركشيّ ١: ٢٤٢ ؛ ومناهل العِرفان ١: ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٢؛ والإتقان ١: ٧ و ٧١؛ وراجع: تاريخ القرآن للأبياريّ: ١٠٨ ؛ والبيان للخوئيّ: ٢٦٠ و ٢٧٣.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ (الذّيل): ٩ ؛ ومناهل العِرفان ١: ٢٤٢.

٣ ـ كنز العمّال ٢: ٣٦٤ عن ابن الأنباريّ في المصاحف؛ والبيان للخوئيّ: ٢٦٢، ٢٧٣.

٤ ـ جامع بيان العلم ١: ١٩٤.

٥ ـ راجع: فتح الباري ٩: ٤٧ ؛ ومناهل العرفان ١: ٢٣٥ ؛ والإتقان ١: ٧٢.

٦ ـ المحجّة البيضاء ٢: ٢٤٦.

الصَّحابة على نِطاق واسع، وكان ﷺ يحثّهم باستمرار على قراءة القرآن نظرًا، وعلى ختمه وحفظه بما لا مزيد عليه...

فالحصر بمن ذكرهم العينيّ أو بعدد أقلّ من ذلك، كما يقوله العَسْقلانيّ والكاشانيّ غير معقول ولا مقبول... سواء أُريد بذلك مَنْ ختم القرآن، أو مَنْ حفظه أو مَنْ كتبه. لا سيّما وأنّ العينيّ والكاشانيّ قد أهملوا ذكر أسماء كثيرين من دون مبرّرٍ، ولا شاهد ظاهر.

الأمر الثّالث: التّبجّح والسّياسة

إنّنا نلاحظ أنّ الّذين ذكرت أسماؤهم في رواية أنس، قد كانوا كلّهم من الأنصار، مع أنّ من المهاجرين كأميرالمؤمنين وابن مسعود من لا يرتاب أحد في جمعه القرآن!!

ولعلّ أنسًا أراد التّبجّح بذلك، وإظهار فضل قومه، وامتيازهم على غيرهم، ثمّ تبعه غيره على ذلك.

ولكنّ الحقيقة هي أنّ الأمر لم يكن مقتصرًا على إرادة التّبجّح والافتخار، بل إنّ ذلك كان يغذّيه، وينمّيه اتّجاه سياسيّ معيّن، له مصلحة كبيرة في عدم ذكر حتّى أسماء هؤلاء أيضًا.

ولعلّ أنسًا قد ندّ عن هذه السّياسة ـ ونرجح أن يكون ذلك عن غير قصد ـ فذكر بعض الأسماء، ثمّ تبعه آخرون، غفلة منهم عن حقيقة الحال وعن واقع النّوايا والاتّجاهات الّتي كانت تتحرّك في هذا الاتّجاه أو ذاك.

نقول: هذا لأنّنا نكاد نقطع بأنّه قد كان ثَمَّةَ تعمّدٍ واضح في إرادة نسبة وتكريس فضيلة جمع القرآن لصالح الهيئة الحاكمة، بدعوى تصدّيها لجمعه بعد الرّسول من العُسُب واللِّخاف وصدور الرِّجال، بشاهدين أو بشاهدٍ واحدٍ، إذا كان ذا شهادتين، حسبما رووه في العديد من المصادر.

وتكريس هذه الفضيلة لها لا يتناسب ـ بالتّأكيد ـ مع الكلام عن شيوع المصاحف في عهد الرّسول ﷺ ولا مع شيوع القراءة في المصاحف نظرًا، ولا مع ثبوت جمع القرآن في عهده ﷺ كذلك.

مع أنّ ما حصل في عهد الخُلفاء بعد الرّسول ﷺ ـ لو صحّ ـ و نحن نشكّ في صحّته، بسبب ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام من الكلام المشعر بأنّ ذلك من مزاعم معاوية، و بسبب ما في الرّواية المثبتة لذلك من الاختلاف والتّناقض. مع ما سيأتي عن الزّركَشيّ من أنّ هناك من يقول: إنّ جمع أُبيّ بن كعب و زيد للقرآن (أي بمبادرة من الخُلفاء)، ليس بمحفوظ[١] و لغير ذلك من أُمور.

نعم ـ إنّ ما حصل في عهد الخُلفاء ـ لو صحّت روايته ـ فإنّما هو لا يعدو عن أن يكون الخليفة قد جمع مُصْحَفًا لنفسه، لا للأُمّة.

الأمر الرّابع: إطلاق لفظ الكتاب على القرآن

وأخيرًا فقد استدلّ السّيّد الإمام شرف الدّين (رحمه الله تعالى) على جمع القرآن في زمانه ﷺ بأنّه قد أُطلق عليه لفظ (الكتاب) مُنذُ ئذٍ والألفاظ قبل الكتابة لا يقال لها: كتاب، و إنّما تسمّى بذلك بعد الكتابة[٢].

ولكنّنا لا نستطيع أن نوافق هذا الإمام البحّاثة على هذا الاستنتاج، فقد يقال: إنّ إطلاق هذه الكلمة ـ كلمة «كتاب» على القرآن ـ قد ورد في آيات كثيرة كانت تنزّل تدريجًا، و هذا الإطلاق يصحّ بالنّسبة لله تعالى، الّذي يريد لما ينزّله أن يصبح كتابًا، ولو بعد تماميّة نزوله.

فلا يبعد أن يكون سبحانه قد استعمل هذه الكلمة في كتابه على هذا الأساس، ثمّ جرت استعمالات النّاس لها على مقتضى هذا التّعليم التّلقائيّ العفويّ الّذي تلقّوه، و إن لم يكونوا قد كتبوه بعد، أو كانوا مشغولين في كتابته، ولو في بداياتها قبل تماميّة نزوله.

وحاول البعض أن يستدلّ لذلك ببعض الآيات والأدلّة الأُخرى، ولكنّنا لم نر فيها ما يكفي لإثبات ذلك، و إن كان ربّما يرجّحه، ولأجل ذلك فقد اكتفينا بما قدّمناه.

---

١ ـ راجع: البرهان للزّركَشيّ ١: ٢٣٨.

٢ ـ أجوبة مسائل موسى جار الله: ٣١.

ماذا عن جمع القرآن في عهد الخُلفاء؟

البلاغيّ وابن شاذان و روايات جمع القرآن

لقد اختلفت روايات أهل السُّنّة حول موضوع جمع القرآن بواسطة زيد بن ثابت، أو هو مع غيره في عهد الخلفاء و في عهد رسول الله ﷺ، يكفي أن نذكر هنا ما قاله البلاغيّ والفضل بن شاذان الّذين أشارا إلى جانب من هذه التّناقضات، على أن نترك بقيّة موارد ذلك إلى من يرغب بتتبّع الرّوايات، ثمّ المقارنة فيما بينها، فنقول: قال ابن شاذان مخاطبًا أهل السُّنّة: «و رويتم: أنّه جمع القرآن على عهد رسول الله ستّة نفر، كلّهم من الأنصار... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ثمّ يتابع ابن شاذان رحمه الله أسئلته هذه، وكلّها أسئلة صحيحة و دقيقة، ولا مفرّ منها، ونحن نحيل القارىء على كتابه القيّم(الإيضاح)، فليرجع إليه من أراد، فإنّ فيه ما ينقَعُ الغلّة، و يبُلّ الصَّدا، مع العلم أنّ المتتبّع لرواياتهم في هذا المجال يجد فيها من التّهافُت والتّناقُضات أضعاف ما ذكره رحمه الله ولسنا هنا في صدد تقصّي ذلك.

قال البلاغيّ رحمه الله : إنّ أبا بكر هوالّذي أدّى رأيه أوّلاً إلى جمع القرآن... [وذكر كما تقدّم عنه].

حديث جمع القرآن في عهد الخُلفاء

وإذا كانت روايات أهل السُّنّة قد اختلفت حول موضوع جمع القرآن في عهد الخُلفاء بواسطة زيد بن ثابت، فنحن نختار واحدةً من تلك الرّوايات، و نحيل القارىء إلى الكتب والمصادر الّتي ذكرت سائرها؛ فنقول: روى البُخاريّ في صحيحه عن زيد بن ثابت، قال... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١، ٢].

نحن وهذه الرّواية

أمّا بالنّسبة لخصوص هذه الرّواية و مثيلاتها، فإنّنا نحسب أنّ ما تقدّم في السّابق

يكفي لإثبات عدم صحّتها ونظائرها.

وذلك لأنّ جمع القرآن قد تمّ في عهد الرّسول الأكرمﷺ الّذي كان قد وضع له كُتّابًا مخصوصين، وكان يشرف بنفسه على أعمالهم، وكانوا ـ كما يروي لنا زيد بن ثابت ـ عند رسول اللهﷺ يؤلّفون القرآن من الرِّقاع.

وكان لدى الصّحابة مصاحف كثيرة، يحُثُّهم الرّسولﷺ على احترامها، وعلى قراءة القرآن نظرًا فيها وغير ذلك، وكانوا يعرضون ما عندهم عليهﷺ باستمرار، وكان كثير من الصّحابة قد جمعوا القرآن في عهدهﷺ إلى آخر ما قدّمناه، ممّا لا مجال لأعادته.

وإذن فلم يكن القرآن منتشِرًا في العُسُب واللِّخاف والأكتاف و صُدور الرّجال، بل هو قد خرج من تلك الصُّدور، ليصبح مثبتًا في السُّطُور، وصار له أوّل وله آخر، وكانﷺ يشرف بنفسه على وضع كلّ شيء في المكان الّذي ينبغي أن يكون فيه، إلى آخر ما تقدّم من شواهد و أدلّة قاطعة، و براهين ساطعة.

و نزيد هنا:

أوّلاً ـ إنّ هذه الرّواية و روايات أُخرى تدّعي أنّ بعض القرآن على الأقلّ قد أثبت بشاهدين، أو بشاهد واحدٍ ذي شهادتين، أو بدونها.

وهي دعوى خطيرة جدًّا، ولا ريب في بطلانها، إذ لا ريب في أنّ القرآن كلّه قد نقل بطريق التّواتُر، من طبقة إلى طبقة، و من جيل إلى جيل، إلى أن ينتهي الأمر إلى رسول اللهﷺ فهذا النّصّ إذن يخالف ما هو ثابت بالضّرورة.

ويتّضح ذلك إذا علمنا أنّه قد كان هناك المئات، إن لم يكن الأُلوف من الصّحابة يحفظون القرآن، و يقال: إنّ عشرات أومئات منهم قد قتلوا في واقعة اليَمامة، و قبل ذلك في بئرمعونة.

فهل يعقل ـ بعد هذا ـ أن يختصّ خُزَيْمة بن ثابت أو أبو خُزَيمة الأنصاريّ أو غيره بالاطّلاع على آيتين منه، دون سائر الصَّحابة، و حتّى دون أميرالمؤمنينعليه السلام، و أُبيّ و ابن مسعود وغيرهم؟!.

وثانيًا ـ ما الدّاعي إلى جمع القرآن من العُسُب واللِّخاف و صُدور الرِّجال؟ فقد كان بوسعهم أن يرجعوا إلى القرآن الّذي كتبه كُتّاب الوحي للرّسولﷺ، وكانوا يؤلّفونه بين يديهﷺ من الرّقاع، حسبما تقدّم، ولا تصل النّوبة إلى خُزَيمَة بن ثابت ولا إلى غيره.

ولماذا لا يرجعون إلى مُصْحَف ابن مسعود، أو مُصْحَف أُبيّ، أو مُصْحَف زيد نفسه، أو مُصْحَف عليّعليه السلام؟ فإنّها كانت جاهزة وقريبة المأخذ، وإن كانت مختلفة التّرتيب حسب روايتهم[١]، أو زاد بعضهم في هوامشها بعض الأدعية، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

وثالثًا ـ لماذا لا يأخذون القرآن من ابن مسعود، الّذي كان يُملي القرآن عن ظهر قلبه في الكوفة؟[٢] أو من أحد الأربعة الّذين أمر النّبيّﷺ النّاس بأخذ القرآن عنهم، وهم ابن مسعود، وسالم مولى أبي حُذَيفَة، و أُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل[٣]؟.

كما أخبرهمﷺ أنّهم إذا أرادوا أن يأخذوا القرآن رطبًا كما أُنزل، فليأخذوه من ابن أُمّ عبد، أو فليقرأوه على قراءة ابن أُمّ عبد، أي ابن مسعود[٤]، وأخبرهم أنّ أقرأهم أُبيّ بن كَعْب، أو قال: أقرأُ أُمّتي أُبيّ[٥].

وعن عُمر بن الخطّاب: أُبيّ أقرأُنا، و أقضانا عليًّا، و إنّا لندع من لحن أُبيّ، وذلك أنّ

---

١ ـ راجع للاطّلاع على اختلاف ترتيب مصاحفهم: الإتقان ٦٢:١ و ٦٤ وفتح الباري ٣٨:٩ و ٣٩. ولا سيّما آخر ٣٦ ومناهل العرفان ٢٤٠:١ و تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٧٠ ـ ٨٠ والتّمهيد في علوم القرآن ٢٦٨:١ ـ ٢٧٤ و ٢٥٢ فما بعدها. و تاريخ اليعقوبيّ ١٣٥:٢ ـ ١٣٦. والفهرست لابن النّديم: ٢٩ـ٣٠.

٢ ـ صفة الصّفوة ٣٩٨:١ عن أحمد، وفي هامشه عن: البزّار، والطّبرانيّ، وأبي يعلى. ومجمع الزّوائد ٢٨٧:٩ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣٢٢:٢.

٣ ـ راجع: صحيح البُخاريّ ١٤٦:٣ ؛ و تهذيب الأسماء ١٠٩:١ ؛ و تفسير القرآن العظيم ٤ (الذّيل): ٢٧ ؛ ولُبَاب التّأويل ٧:١ عن التِّرمِذيّ ؛ ومجمع الزّوائد ٣١١:٩ ؛ وأنساب الأشراف ٢٦٤:١؛ والإتقان ٧٠:١ ؛ وكنز العُمّال ٢: ٣١، ٣٣ عن التِّرمِذيّ، ومستدرك الحاكم، والبُخاريّ ومُسلم ؛ والبيان للخوئيّ: ٢٩٦.

٤ ـ راجع: كشف الأستار ٢٤٩:٣ ـ ٢٥٠ ؛ ومستدرك الحاكم ٣١٨:٣ و تلخيصه للذّهبيّ بهامشه، وصحّحاه على شرط الشّيخين ؛ والإيضاح لابن شاذان: ٢٢٣، ٢٣٢ ؛ ومجمع الزّوائد ٢٨٧:٩، ٢٨٨ عن أحمد، (أبي يعلى، والبزّار، والطّبرانيّ وصفة الصّفوة ٣٩٩:١ ؛ و تذكرة الحُفّاظ ١٤:١ ؛ والإصابة ٣٦٩:٢ ؛ والاستيعاب بهامشه ٣٢٠:٢ ؛ و تفسيرالقرآن العظيم ٤ (الذّيل): ٢٨.

٥ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٩:١ ـ ٥٠ ؛ تهذيب الأسماء ١٠٩:١ ؛ و أُسد الغابة ٤٩:١ ؛ وتهذيب التّهذيب ١٨٨:١ وراجع: الإيضاح لابن شاذان: ٢٢٣ ، ٢٣٠ـ٢٣١ وفي هامشه عن مصادر أُخرى والجامع الصّحيح للتِّرمذيّ ٦٦٥:٤ ـ ٦٦٥؛ والجامع لأحكام القرآن ٨٢:١؛ ومشكل الآثار ٣٥٠:١ ـ ٣٥١.

أُبيًّا يقول: لا أدع شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ، و قد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾[١].

وإذا كان الله سبحانه قد أمر نبيّه ﷺ: أن يعرض، أو يقرأ القرآن على أُبيّ بن كعب[٢]، فلماذا لا يأمر النّبيّ ﷺ أُمّته بذلك أيضًا؟ أضف إلى ذلك أنّهم يقولون: إنّ أُبيّ بن كعب قد قرأ القرآن على النّبيّ ﷺ[٣]. أو لماذا لا يرجعون إلى عليّ عليه السلام؟ الّذي يقول عنه أبو عبد الرّحمان السُّلَميّ: «ما رأيت ابن أُنثى أقرأ لكتاب الله تعالى من عليّ»، وقال أيضًا: «ما رأيت أقرأ من عليّ، عرض القرآن على النّبيّ ﷺ، وهو من الّذين حفظوه أجمع بلاشكّ عندنا»[٤] و قال ابن مسعود: «ما رأيت أحدًا أقرأ من عليّ بن أبي طالب للقرآن»[٥].

و بعد فهل يزيد الشّاهدان على كلّ هؤلاء في الثّقة والجلالة والعلم والضّبط؟! وهؤلاء أليسوا أكثر من شاهدين، و قد جاء توثيقهم والأمر بالرُّجوع إليهم في قراءة القرآن على لسان رسول الله ﷺ؟!.

والأعجب من ذلك: إنّ كلّ واحد من هؤلاء الكبار يصرّ على القراءة حسب ترتيب مُصْحَفه، ولا يُعير المُصْحَف الّذي جمعه زيد أيّ اهتمام!! حتّى لتشيع قراءاتهم في الأُمّة، وتنتشر بعد ذلك بصورة مُطّردة، إلى أن حزمت الهيئة الحاكمة أمرها، و تصدّت للقضاء على كلّ ما لا يوافق السّبيل الّذي هي عليه.

بل إنّ بعضهم حينما أصرَّ عُثمان على جمع المصاحف، وعدم السّماح إلّا لمُصْحَفه بالانتشار والتّداول، إنّ هذا البعض ـ وهو ابن مسعود يمتنع عن تسليم مُصْحَفه لهم كما هو

---

١ ـ راجع: الاستيعاب بهامش الإصابة ١:٥٠؛ وصحيح البُخاريّ ٣:١٤٧؛ ومستدرك الحاكم ٣:٣٠٥ وراجع: طبقات ابن سعد ط صادر ٢:٣٣٩.

٢ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١:٤٩؛ ومستدرك الحاكم ٢:٢٢٤؛ وتلخيصه للذّهبيّ، بهامشه؛ ومسند أحمد ٥:١٣١ والجامع الصّحيح للتّرمذيّ ٥:٦٦٦؛ وحلية الأولياء ١:٢٥١ و ٤:١٨٧؛ ومجمع الزّوائد ٩:٣١٢؛ والدّرّ المنثور ٦:٣٧٨ عن أحمد، والتّرمذيّ، والحاكم، وصحّحه هذان الأخيران والبداية والنّهاية ٧:٣٤٠.

٣ ـ تذكرة الحُفّاظ ١:١٦.

٤ ـ راجع: الغدير، للعلّامة الأمينيّ ٦:٣٠٨ عن: طبقات القُرّاء ١:٥٤٦؛ وعن: مفتاح السّعادة ١:٣٥١.

٥ ـ المناقب، لابن شهراشوب ٢:٤٢. يحتمل أن يريد بذلك: أنّه أكثر النّاس في قراءة القرآن من حيث الضّبط والحفظ، ويحتمل أن يريد: أنّه كثير القراءة له، ويحتمل إرادته لكلا الأمرين.

معروف ومشهور[1] ولو كان جمع أبي بكر للقرآن قد أُريد به أن يكون قرآنه عامًّا لجميع المسلمين، لم يكن لهؤلاء أن يحتفظوا بمصاحفهم من زمان أبي بكر إلى زمان عُثمان وبعده.

وأخيرًا فإنّنا نجد الطَّحَاويّ يروي لنا: أنّ زيدًا قال عن المُصْحَف الّذي جمعه لأبي بكر: «فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعُسُب يعني الجريد، فلمّا هلك أبو بكر، فكان عمر، كتب ذلك في صَحيفة واحدة، فلمّا هلك كانت عند حَفْصَة، ثمّ إنّ حُذَيْفَة بن اليَمان قدِم من غزوة إلخ ...»[2].

ومعنى ذلك أنّ زيدًا هوالّذي كتب المُصْحَف لأبي بكر في العُسُب والأكتاف وغيرها، لا أنّه قد جمعها منها، وكتبه عنها، كما يظهر من الرّواية المتقدّمة وغيرها.

مصاحف الصّحابة بعد جمع زيد

ومع أنّهم يَدّعون جمع أبي بكر للقرآن على يد زيد بن ثابت، فإنّهم يقولون: إنّ عددًا من الصَّحابة قد احتفظوا بمصاحفهم[3]، مع أنّها كانت تختلف في ترتيبها عن المُصْحَف الّذي جمعه زيد.

واحتفاظهم بمصاحفهم يدلّ على أنّهم لم يعبأوا بجمع زيد للقرآن في عهد أبي بكر، أو لعلّهم فهموا أنّ ما قام به زيد وأبو بكر لا يعنيهم، لأنّه أراد أن يكتب مُصْحَفًا للخليفة، لا لعموم المسلمين.

ومهما يكن من أمر، فإنّهم يقولون: إنّه حتّى بعد جمع زيد للقرآن كان أهل الكوفة يقرأون على مُصْحَف ابن مسعود، وأهل البَصْرة يقرأون على مُصْحَف أبي موسى الأشعريّ، وأهل الشّام على مُصْحَف أُبيّ، وأهل دمشق خاصّة على مُصْحَف المِقداد،

---

١ ـ شهرة هذا الأمر تغني عن ذكر مصادره، وإن شئت فراجع: مستدرك الحاكم ٢:٢٢٨؛ وتاريخ اليعقوبيّ ٢:١٧٠؛ وطبقات ابن سعد ٢ قسم ٢:١٠٥؛ والإيضاح لابن شاذان :٢٢٥؛ وفتح الباري ٩:٣٦، ٤٤؛ وتاريخ القرآن للأبياريّ: ١١١؛ والتّراتيب الإدارية ٢:٢٨٤؛ والتّمهيد في علوم القرآن ١:٢٩٠؛ عن المصاحف للسِّجستانيّ: ١٥.

٢ ـ مشكل الآثار ٤:١٩٣.

٣ ـ راجع: التّمهيد في علوم القرآن ١:٢٤٨، ٢٥٠. وقد ذكرنا آنفًا: أنّ ابن مسعود قد امتنع عن تسليم مُصْحَفه.

وعند ابن الأثير أنّ أهل حِمْص كانوا على قراءة المِقداد[١].

عائشة و جمع القرآن

هذا ورغم جمع زيد للمُصْحَف، و رغم جمع عُثمان النّاس على قراءة واحدة، وكتابته المصاحف و إرسالها إلى الأقطار، و حرق ما خالفها، فقد روى يوسف بن ماهِك الّذي لم يدرك إرسال عُثمان للمصاحف إلى الآفاق[٢] ـ روى لنا ما يدلّ على أنّ عائشة كانت لاتزال ترى أنّ القرآن غير مؤلّف ولا مجموع، قال ابن ماهِك: إنّي لعند عائشة... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وقد احتمل العَسْقَلانيّ أن يكون ذلك لأجل كون القرآن غير مرتّب ولا منظّم، أو لاختلاف النّاس في نظم آيه وعددها.[٣]

ونقول: إنّه لاشكّ في أنّ هذه القضيّة تدلّ دلالة واضحة على أنّ القرآن حتّى بعد حرق عُثمان للمصاحف ـ كان لايزال يقرأ غير مؤلّف، وأنّ النّاس لم يلتزموا إلى ذلك الوقت بنظم مُصْحَف عُثمان، وأنّ عائشة قد وافقت النّاس وذلك العراقيّ على ذلك، حينما قالت: وما يضرّك أيّه قرأت والظّاهر أنّه كان يأخذ بقراءة ابن مسعود الّذي عاش برهة في الكوفة، حسبما احتمله العَسْقلانيّ[٤].

موقف المعارضة من مُصْحَف عُثمان

إنّ حديث عائشة المتقدّم يشير إلى أنّ ما فعله عُثمان لم يلق قبولاً لدى الكثيرين، ولا سيّما طائفة من المناوئين له، و لعلّ منهم عائشة أُمّ المؤمنين أيضًا.

---

١ ـ راجع: الكامل في التّاريخ ٣:١١١؛ و تاريخ القرآن للأبياريّ :١٠٧؛ والتّمهيد في علوم القرآن ١:٢٤٧ عن الكامل؛ و عن المصاحف للسِّجستانيّ: ١١ـ١٤.

٢ ـ فتح الباري ٩:٣٦.

٣ ـ راجع: فتح الباري ٩: ٣٦ ـ ٣٩؛ والتّمهيد ١: ٢٤٧ عنه.

٤ ـ راجع: نفس المصدر ٩:٣٦.

وقد احتفظ ابن مسعود بمُصْحَفه، ولم يسلّمه للسُّلطة، كما أسلفنا[١].

كما أنّنا نجد في بعض النُّصُوص ما يشير إلى اتّساع هذه المعارضة، فقد جاء أنّ أميرالمؤمنين عليًّا عليه السلام قد نهاهم عن التّكلّم في عُثمان، وعن توجيه الانتقادات له، وأخبرهم عليه السلام أنّه لم يفعل ذلك إلّا عن ملأٍ منهم وأنّه لو وُلّي لفعل مثل الّذي فعل[٢].

وعن فُلْفُلة الجُعفيّ، قال... **[وذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٣٣، ثمّ قال:]**

وقال ابن الأثير: «إنّ أهل الكوفة قبلوا مُصْحَف عُثمان، إلّا أنّ بعضهم ـ وهو كثير ـ أمسكوا مُصْحَف ابن مسعود؛ فيقرأون بقراءته»[٣].

وهكذا يتّضح ممّا تقدّم أنّ ما فعله عُثمان قد أفزع الكثيرين، وأثار انتقادات واسعة، دفعت عليًّا أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أن يقف موقف المدافع والمؤيّد للإجراء الّذي اتّخذ.

ولكنّ ابن مسعود لم يؤيّد هذا الإجراء، وأجاب الّذين فزعوا إليه بجواب تحريضيّ، عبّر فيه عن إصراره على تخطئة عُثمان فيما فعل، حيث اعتبر أنّ الجمع على قراءة واحدة ومُصْحَف واحد يتصادم مع حقيقة أنّ القرآن قد نزل من سبعة أوجه، على سبعة أحرف.

ولكنّ هذه المعارضة لم تستطع أن تؤثّر أثرها في قبال السُّلطة، ولا سيّما بعد تأييد أمير المؤمنين عليه السلام لهذا العمل، حيث بدأ التّحوّل إلى المصاحف الّتي أرسلها عُثمان إلى الأقطار بصورة تدريجيّة، واحتلّت بعد فترة من الزّمن مكانها الطّبيعيّ، وبدأت سائر المصاحف الّتي تخالفها في التّرتيب أو كتبت فيها بعض التّفسيرات أو الأدعية ونحوها بدأت تغيب عن السّاحة، حتّى أصبحت بمرور الأيّام أثرًا بعد عين، وفي خبر كان، وحفظ الله القرآن عن أن يتطرّق إليه أيّ لَبسٍ أو اختلاف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

---

١ ـ قد تقدّمت مصادر ذلك، قبل صفحات يسيرة، فلا نعيد..

٢ ـ راجع: فتح الباري ٩:١ قد ذكرنا مصادر ذلك، في الباب الثّاني، في الفصل الثّاني، في أوائله تحت عنوان: تأييد عليّ عليه السلام لعُثمان. [وإن شئت فراجع]

وقد قلنا في موضع آخر: إنّ تأييد أحد في أمر لا يعني تأييده في كلّ ما يصدر عنه، كما أنّ موقف عليّ هذا، إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على واقعيّته، وعلى أنّه ليس له هَمّ إلّا الإسلام، وإلّا إعلاء كلمة الله سبحانه، ولا ينطلق في مواقفه من مصلحة شخصيّة أو فئويّة أو ما إلى ذلك.

٣ ـ الكامل ١١٢:٣.

الحَجّاج وقراءة عُثمان

وبعد، فإنّ اهتمام الأُخطُبُوط الأُمويّ بدعم موقف عُثمان و خطّه، و اضطهاد كلّ ما ومن يخالفه أو يعترض عليه، قد أسهم في تلاشي قراءة ابن مسعود في مجتمع أهل الكوفة والعراق بصورة عامّة، لاسيّما و أنّ الحَجّاج هو الّذي تصدّى لذلك إيّان حكمه للعراق من قبل خُلفاء الأُمويّين.

قال الإسكافيّ ما ملخّصه: والّذي ساعد على ذلك بصورة أتمّ و أوفى أنّ الحَجّاج قد أخذ النّاس بقراءة عُثمان، و ترك قراءة ابن مسعود وأُبيّ بن كَعْب، و توعّد على ذلك، وكان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحَجّاج حتّى اجتمع أهل العراق على قراءة عُثمان، و نشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلّمين عن تعليمها، حتّى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله و أُبيّ ما عرفوها، و لظنّوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان؛ لأُلف العادة، و طول الجهالة[١].

وقد بلغ من شدّة الحَجّاج في هذا الأمر وقَسْوته و وقاحته، أنّه كان يقول: يا عجبًا من عبد هُذيل! (يعني ابن مسعود) يزعم أنّه يقرأ قرآنًا من عندالله، والله ما هو إلّا رَجَزٌ مِن رَجَزِ الأعراب، والله لو أدركت عبد هُذيل لضربت عنقه، ولأُخلِّيَنّ منها (أي من قراءة ابن مسعود) المُصْحَف، ولو بضلع خنزير، أو لأحُكَّنّها من المُصْحَف، ولو بضلع خنزير[٢]... [ثمّ ذكر أوّل مَن جمع القرآن في مُصْحَف، و ذكر مزايا مُصْحَف أبي بكر، كما تقدّم في مواضع متعدّدة].

مصالحة غير موفّقة ولا مقبولة

ويرى الزّركشيّ «أنّ القرآن كان على هذا التّأليف و الجمع في زمن النّبيّ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول المَحَاسِبيّ كما تقدّم أيضًا عنه، فقال:]

---

١ ـ راجع: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزليّ الحنفيّ ١٣:٢٢٣.

٢ ـ مستدرك الحاكم ٣:٦٥٦ وتلخيصه للذّهبيّ، بهامش نفس الصّفحة؛ و تهذيب تاريخ دمشق ٤:٦٩؛ والغدير ١٠:٥١ عنهما؛ والبداية والنّهاية ١:١٢٨ عن أبي داود، و ابن أبي خَيثمة.

ولعلّ المحَاسِبيّ قد أخذ ذلك من حديث الزُّهْريّ الّذي يقول: «قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العُسُب والقُضُم والكرانيف».

ومهما يكن من أمر فإنّنا نقول: إنّ ذلك ممّا لا يمكن لنا أن نتعقّله، ولا أن نقبله، و ذلك:

أوّلاً ـ لأنّ ما قاله الزَّركَشيّ من أنّ الجمع و التّأليف كان في عهد النّبيّ ﷺ ثمّ جمع في المُصْحَف في عهد أبي بكر، إن كان يريد به.

إنّ التّأليف كان أوّلاً في القلوب، كما يدلّ عليه قوله: «وحفظه الله في القُلوب، إلى انقضاء زمن النّسخ»[1].

فهو ممّا لم يعهد في استعمالات العرب أن يقولوا: جمعنا القرآن، وألّفناه في قلوبنا.

وإن كان يريد أنّه كان مُتفرّقًا في العُسُب واللِّخاف والأكتاف، كما يقوله الحارث المَحاسِبيّ، لكنّه غير مؤلّف ولا مجموع، ثمّ جمع في عهد أبي بكر، فهو ينا في قول زيد: إنّهم كانوا عند رسول الله ﷺ يؤلّفون القرآن من الرّقاع.

إلّا أن يكون الّذي تمّ في عهد أبي بكر هو التّجليد فقط، أو هو استنساخ نسخ أُخرى من قرآن مجموع في مكان واحدٍ، و مؤلّف و منسّق، ولا ينقصه شيء، و لكنّنا لم نعهد في كلام العرب أن يقولوا لمن يكتب نسخة أُخرى من كتاب: إنّه قد جمع ذلك الكتاب.

ثانيًا ـ قد تقدّم أنّ القرآن كان مكتوبًا في المصاحف في زمنه ﷺ وكانت متداولة لدى الصّحابة آنئذٍ، وكان النّبيّ ﷺ يحثّهم على قراءة القرآن نظرًا حسبما تقدّم، وقد ذكر النّبيّ ﷺ لها أحكامًا، كعدم جواز تنجيسها، و عدم الإذن بالسّفر بها إلى أرض العدوّ، و عدم جواز محوها بالأقدام...

ثالثًا ـ لقد نصّ المؤرّخون على أنّه كان عند النّبيّ ﷺ كُتّاب مخصوصون للمعاهدات، ولخرص النّخل، و للمداينات، كما أنّه ﷺ أمرهم بأن يكتبوا له كلّ من تلفّظ بالإسلام، فكتب له حُذَيفة ألفًا وخمس مائة رجل قبل عام الحُديبيّة، كما وكانت هناك

١ ـ راجع ذلك مع مصادره في كتابنا: السّوق في ظلّ الدّولة الإسلاميّة: ٦٨.

كتابة دواوين الجُيوش، و من يتعيّن خروجه في المغازي[1] و ما إلى ذلك.

فهل كان كلّ ذلك يكتب على العُسُب والأكتاف واللِّخاف المتفرّقة؟! أم أنّها كانت مرتّبة ومحفوظة على شكل كتب، يسهل تناولها والرُّجوع إليها كلّما مسّت الحاجة إلى ذلك؟!

رابعًا ـ هذا ولا يفوتنا هنا التّنبيه إلى أنّ الزَّركَشيّ الّذي تبع الحاكم[2]، و قبل بالجمع في عهد النّبيّ ﷺ، بعد أن قيّده بالبعض في مورد[3]، و أطلقه في مورد آخر[4]، أنّ الزَّركَشيّ هذا قد ناقض نفسه في موارد مختلفة من كتابه[5].

خامسًا ـ أنّهم يروون أنّ عليًّا عليه السلام قد جاءهم بالمُصْحَف الّذي كتبه على عهد رسول الله ﷺ فلم يقبلوه كما سيأتي.

سادسًا ـ لو صحّ قول الحارث المَحَاسِبيّ، لم يصحّ جمع زيد للقرآن من العُسُب واللِّخاف و صدُور الرِّجال، إذ أنّ ما في صُدور الرِّجال لا يراد مقابلته بالمجتمع حسبما زعم، ولو كان الأمر كذلك أيضًا لم يكن ثَمَّةَ حاجة إلى شهادة شاهدين، أو شاهد واحد ذي شهادتين، إذ يكفي حينئذٍ أن يوجد المأتيّ به في ضمن مُصْحَف رسول الله ﷺ، فتحصل المقابلة، و يتمّ الأمر.

مبرّرات واهية لإعادة الجمع

وبعد، فإنّنا نجدهم يوردون أسبابًا و عللاً مختلفة لتبرير ما يزعم من جمع القرآن في عهد الخُلفاء بعد رسول الله ﷺ.

قال الزَّركَشيّ، و غيره: «إنّ القرآن كان على هذا التّأليف، والجمع ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ نقل قول زيد بن ثابت، كما تقدّم أيضًا عنه، فقال:]

---

١ ـ البُرهان ١:٢٣٥.

٢ ـ راجع ذلك مع مصادره في كتابنا: السّوق في ظلّ الدّولة الإسلاميّة: ٦٨.

٣ ـ البُرهان للزَّركَشيّ ١:٢٣٧.

٤ ـ نفس المصدر ١: ٢٣٨.

٥ ـ راجع: البُرهان ١ وقارن بين الصّفحات: ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٦٢.

ونقول: إنّنا لا نرى ـ بعد كلّ الّذي قدّمناه ـ إنّنا بحاجة إلى ردّ هذه الأقوال أو مناقشتها، فقد اتّضح بُطلانها بما لا مزيد عليه. ولكنّنا مع ذلك نعود فنذكّر هنا ببعض ذلك في ضمن النّقاط التّالية:

أوّلاً ـ لقد أثبتنا في الفصل الّذي خصّصناه للحديث عن نسخ التّلاوة أنّ هذا النّوع من النّسخ باطلٌ، ولا يصحّ من الأساس، وأنّ ما ذكر من أمثلة وشواهد له لا يصلح لذلك، ولا يجدي شيئًا.

وثانيًا ـ قال بعض الباحثين بالنّسبة لنسخ التّلاوة: «.. وعلى فرض وجود النّسخ المدّعى، فالإشكال نفسه يرد...[و ذكر كما تقدّم عن الصّغير].

وثالثًا ـ أنّه بعد ثبوت أنّ النّبيّ ﷺ قد جمع القرآن و رتّبه و حفظه، فإنّ كلّ من عنده شيء من القرآن أصبح يعرف أنّ المرجع والميزان و المعيار هو ذلك الّذي كتبه نفس رسول الله ﷺ.

فدعوى الزّركشيّ: أنّ الجمع الجديد كان يهدف إلى المقابلة بين المتفرّق والمجتمع، حتّى لا يشكّ أحد فيما يودع في المُصْحَف، تصبح بلا معنى، ولا يصلح ذلك تعليلاً مقبولاً لإعادة الجمع.

ورابعًا ـ أنّهم يروون: أنّ أقرأ الأُمّة أُبيّ، و أنّ النّبيّ ﷺ قد أمر النّاس بأن يأخذوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، و أُبيّ، وسالم، و مُعاذ، وأنّ مَن أراد أن يأخذ القرآن رطبًا، فليأخذه عن ابن مسعود، إلى آخر ما تقدّم، فلا حاجة إذن إلى جمع زيد للقرآن مرّة أُخرى، ولا إلى الرُّجوع إلى العُسُب واللِّخاف و صُدور الرِّجال، بل عليه أن يرجع هو وغيره إلى هؤلاء، ويأخذوا القرآن عنهم.

السّرّ الحقيقيّ وراء جمع زيد للقرآن

ولكنّنا رغم كلّ ما تقدّم من الأدلّة الكثيرة المثبتة بصورة قاطعة أنّ القرآن قد جمع في عهد رسول الله ﷺ.

نعم رغم ذلك، فإنّنا لانقول: إنّ حديث جمع زيد للقرآن من العُسُب واللِّخاف وصُدورالرِّجال لأبي بكر، حديث لا أصل له، و باطل من الأساس.

بل نقول: إنّ جمع زيد هذا لم يكن هو المرّة الأُولى، كما أنّه لم يكن بهدف جمع القرآن للمسلمين، خدمة للدّين وللأُمّة. و إنّما كان في زمن رسول الله ﷺ مصاحف كثيرة في أيدي الصّحابة تامّةً وناقصةً، كانوا يكتبونها تدريجًا حين نزول القرآن، إمّا بأمره ﷺ أو من عند أنفسهم[1]، وكان لرسول الله ﷺ كُتّاب يكتبون القرآن، يؤلّفونه من الرِّقاع، أو يُملي على بعضهم قرآنًا، مع بيان تفسيره و تأويله و ناسخه و منسوخه، كما هو الحال بالنّسبة لعليّ عليه السلام.

ولكن لم يكن لدى أبي بكر مُصْحَف تامّ على ما يظهر ـ كما صرّح به ابن سيرين فيما سبق ـ فطلب من زيد إعداد نسخة تامّة من المُصْحَف له.

ويظهر أنّ زيدًا نفسه أيضًا لم يكن يملك حتّى ذاك الوقت مُصْحَفًا تامًّا، ولأجل ذلك لم تعدّه بعض الرّوايات المتقدّمة في جملة من جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ، كرواية محمّد بن كَعب القُرظيّ وغيرها.

و من جهة أُخرى فلعلّ المنافسة المستترة أيضًا قد منعت زيدًا من أن يعتمد على المصاحف التّامّة الّتي كانت لدى بعض الصَّحابة الآخرين، كأُبيّ وابن مسعود و عليّ و مُعاذ، وغير هؤلاء ممّن تقدّم أمر النّبيّ ﷺ النّاس بأخذ القرآن عنهم، وكانت لديهم مصاحف، بعضها أملاها رسول الله ﷺ مباشرة.

فكان أن اعتمد زيد على ما عند أبي بكر، ثمّ على ما عنده و عند الآخرين من المصاحف الّتي لم تكن تامّة، كما اعتمد على حفظه وحفظ غيره، و ما أكنّته صُدور الرِّجال من أجل تكميله، فكتب لأبي بكر مُصْحَفًا شخصيًّا و خاصًّا به، كان على شكل صُحُف، بقيت عند أبي بكر، ثمّ عمر، ثمّ حَفْصَة[2]، ولم يستنسخ منه نسخة واحدة، لترسل

---

١ ـ بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ١٢٤ عن إعجاز القرآن للرّافعيّ: ٣٦.

٢ ـ تاريخ القرآن للصّغير: ٨٦ ـ ٨٧ عن مستدرك الحاكم، وكذا في الإتقان ١:١٦٥ وعن المصاحف لابن أبي داود: ١٩، ←

إلى مكّة ولا إلى غيرها، لا في زمن أبي بكر ولا في زمن عمر ولا في شـطر مـن عـهد عُثمان[١].

وإن كنّا نجد في رواية أُخرى أنّهم كتبوه في مصاحف في خلافة أبي بكر[٢]، و رواية ثالثة تقول: إنّ أبابكر و عمر قد توفّيا ولم يجمعا القرآن، و رابعة تقول: إنّ زيدًا كتبه فـي العُسُب واللِّخاف إلخ. ثمّ كتبه عمر في صحيفة واحدة، إلى آخر ما تقدّم.

و يقول ابن شِهاب: إنّ أبابكر «كان جمع القرآن في قراطيس» و قد سأل زيد بن ثابت النّظر في ذلك فأبى، فاستعان عليه بعمر ففعل[٣].

وذلك يؤكّد ما قلناه من أنّ أبابكر أراد أن يكمل نسخته، فأكملها له زيد ممّا عنده و عند غيره مكتوبًا أو محفوظًا، ولم يستعن بمن عندهم نسخة كاملة لأجل تلك المنافسة الّتي ذكرناها.

السّياسة الذّكيّة

ثمّ جاء الأنصار والمحبّون و أصحاب الأهواء، فعملوا على استغلال ذلك سياسيًّا، والاستفادة منه إعلاميًّا الأمر الّذي تطلّب منهم القيام بعملية التّعتيم على روايات جمع القرآن في عهده ﷺ، و على روايات الأمر بالقراءة نظرًا، وعلى الرّوايات الّتي صرّحت بوجود المصاحف عند الصّحابة في ذلك الوقت و قبل وفاته ﷺ، ثمّ على كلّ ما يدخل في سياق يخالف ما يرمون إليه.

ثمّ جاءت دعوى أنّ جمع القرآن إنّما تمّ ـ أساسًا ـ على يـد الخـليفة الأوّل بـعد رسول الله ﷺ أو الّذي بعده، و روّج لهذه الدّعوى كلّ أُولئك الّذين يستفيدون من الحكم، أو يلتقون معه فكريًّا و سياسيًّا، وحاولوا تأويل، أو حتّى أن أمكن إبعاد كلّ مامن شأنه أن

← ٢١، ٢٣ ـ ٢٥؛ و تاريخ واسط: ٢٥١؛ و تهذيب تاريخ دمشق ٥:٤٤٧؛ وفتح الباري ٩:١٣؛ و صحيح البُخاريّ ٣:١٤٥؛ والفهرست لابن النّديم: ٢٧؛ و تاريخ الخُلفاء: ٧٧.

١ ـ تاريخ القرآن للصّغير: ٨٦ ـ ٨٧ ونقله أيضًا عن دَرّاز في كتابه: مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٨.

٢ ـ راجع: مسند أحمد ٥:١٣٤.

٣ ـ مشكل الآثار ٣:٤ و ٤:١٩٢؛ البيان للخوئيّ: ٢٤٢ عن عدّة مصادر؛ و تاريخ القرآن للصّغير: ٨٧.

يسيء إلى ذلك، أو يوجب الرّيب فيه، بالإضافة إلى وضع ما يوجب الرّيب والطّعن في مصاحف كبراء الصّحابة وعظمائهم و هكذا كان!!

ولو أنّنا تغاضينا عن ذلك، فقد نجد في بعض الشّواهد ما يؤيّد أن يكون المقصود بالجمع في عهد الخُلفاء وهو جمع النّاس على مُصْحَف، ليس فيه شيء من التّفسير أو التّأويل، أو بيان موارد النُّزول و مناسباته، ممّا يمكن إن يتضمّن بعض ما يضرّ بمصلحة الهيئة الحاكمة، أو لايتلاءم مع بعض توجّهاتها... [ثمّ ذكر قول القاضي الباقِلّانيّ تقدّم عن الزَّركشيّ، فقال:]

وعن عامر الشَّعبيّ، قال: «كتب رجل مُصْحَفًا، وكتب عند كلّ آية تفسيرها، فدعا به عمر، فقرّضه بالمقراضين»[1].

وكتابة أميرالمؤمنين للتّأويل والتّنزيل و غير ذلك في مُصْحَفه معروفة و مشهورة، و سيأتي أنّهم ردّوا مُصْحَفه، لأنّهم رأوا فيه بعض ما يسوؤهم، فانظر.

الخطّ السّياسيّ لزيد بن ثابت

وأمّا عن السّبب في الاهتمام بالتّأكيد على دور زيد في جمع القرآن و في غير ذلك من أُمور فهو أنّه كان عُثمانيًّا، و منحرفًا عن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، فعدا عن أنّه قد كان له موقف في السّقيفة، يؤيّد فيه صرف الأمر عن الأنصار إلى المُهاجرين، وقد أثنى عليه أبو بكر، و مدحه لأجله[2]، فإنّه كان أحد الّذين لم يبايعوا عليًّا عليه السلام[3]، و «كان زيد عُثمانيًّا، ولم يشهد مع عليّ شيئًا من حُروبه»[4].

وقد قطع أميرالمؤمنين عليه السلام العطاء عمّن لم يشهد معه، وأقامهم مقام أعراب

---

١ ـ كنز العُمّال ٢:٢٠٤ عن ابن أبي شيبة.

٢ ـ راجع: سير أعلام النّبلاء ٢:٤٣٣؛ ومسند أحمد ٥:١٨٦؛ و تهذيب تاريخ دمشق ٥:٤٤٩؛ والتّمهيد في علوم القرآن ١:٢٤٤عنه.

٣ ـ راجع: تاريخ الأُمم والمُلوك ط دار المعارف ٤:٤٣٠ ـ ٤٣١؛ والكامل في التّاريخ ٣:١٩١.

٤ ـ أُسد الغابة ٢:٢٢٢؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١:٥٥٤؛ و قاموس الرّجال ٤:٢٣٩؛ و تنقيح المقال ١:٣٩٢.

المسلمين[١].

و«كان زيد عُثمانيًّا يحرّض النّاس على سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام»[٢] و«كان عُثمان يحبّ زيد بن ثابت»[٣]، وكان أحد الأربعة الّذين نصروا عُثمان، ولم ينصره من الصَّحابة غيرهم[٤].

و يظهر من البلاذُريّ أنّه كان أحدالمهاجمين لبيت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

وكان على قضاء عُثمان[٦]، و على بيت المال والدّيوان له[٧] وكان عُثمان يستخلفه على المدينة[٨] وكان يذبّ عن عُثمان، حتّى رجع لقوله جماعة من الأنصار[٩].

وقد قال للأنصار: إنّكم نصرتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنتم أنصار الله، فانصروا خليفته تكونوا أنصارًا لله مرّتين، فقال الحَجّاج بن غزيّة: والله إن تدري هذه البقرة الصَّيحاء ما تقول، إلخ.

وفي نصّ آخر: أنّ سَهْل بن حُنيف أجابه، فقال: يا زيد، أشبعك عُثمان من عضدان المدينة؟ والعضيدة: نخلة قصيرة، ينال حملها[١٠].

وكان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على عُثمان، وكان زيد يذبّ عنه، فقال له قائل منهم: و ما يمنعك؟! ما أقلّ والله من الخَزرج من له من عضدان العجوة مالك! فقال زيد: اشتريت بمالي، وقطع لي إمامي عمر، وقطع لي إمامي عُثمان، فقال له ذلك الرّجل أعطاك

---

١ ـ دعائم الإسلام ١:٣٩١ـ٣٩٢.

٢ ـ سفينة البحار ١:٥٧٥.

٣ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١:٥٥٤.

٤ ـ أنساب الأشراف ٥:٦٠ نقله في الغدير ٩:١٥٩ ـ ١٦٠ عن تاريخ الطّبريّ ٥:٩٧ وعن تاريخ ابن خَلْدون ٢:٣٩١ وعن تاريخ أبي الفداء ١:١٦٨.

٥ ـ أنساب الأشراف ١:٣٧٥.

٦ ـ الكامل لابن الأثير ٣:١٨٧.

٧ ـ راجع: الكامل لابن الأثير ٣:١٩١، وأُسد الغابة ٢:٢٢٢؛ وأنساب الأشراف ٥:٥٨ و٨٨؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١:٥٥٣ ـ ٥٥٤؛ والتّراتيب الإداريّة ١:١٢٠؛ و تهذيب الأسماء ١:٢٠١ و تاريخ الأُمم والمُلوك ٤:٤٣٠.

٨ ـ راجع المصادر المتقدّمة باستثناء الأوّل منها والبداية والنّهاية ٧:٣٤٧؛ و شذرات الذّهب ١:٥٤؛ وأُسد الغابة ٢:٢٢٢.

٩ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٥:٤٥١.

١٠ ـ أنساب الأشراف ٥: ٧٨، ٩٠ وراجع: الكامل لابن الأثير ٣:١٩١؛ و تاريخ الأُمم والمُلوك ٤:٤٣٠.

عمر عشرين ألف دينار؟

قال: لا ولكن كان عمر يستخلفني على المدينة، فوالله ما رجع من مغيب قطّ إلّا قطع لي حَديقة من نخل[١]. واستخلاف عمر له في أسفاره معروف و مشهور[٢].

هذا وقد أعطاه عُثمان يومًا مائة ألف، مرّةً واحدةً[٣]، وقد بلغ من ثراء زيد أن خلّف من الذّهب والفضّة ماكان يكسّر بالفؤوس، غير ماخلّف من الأموال و الضّياع بقيمة ألف دينار[٤].

وكان محلّ العناية التّامّة من قبل عمر، فعدا عن استخلافه له في كلّ سفر يسافره وإقطاعه الحدائق، فإنّه كان كاتب عمر[٥]، وكان على قضائه، وفرض له رزقًا[٦]. و يكفي أن نذكر هنا عبارة ابن سعد وابن عَساكر، وهي:

«كان عُمر يستخلف زيدًا في كلّ سفر، و قلّ سفر يسافره ولم يستخلفه، وكان يفرّق النّاس في البُلدان وينهاهم أن يفتوا برأيهم، و يحبس زيدًا عنده، إلى أن قال: وكان عمر يقول: أهل البلد ـ يعني المدينة ـ محتاجون إليه فيما يجدون إليه، و فيما يحدّث لهم ممّا لا يجدونه عند غيره[٧].

«وما كان عُمر و عُثمان يقدّمان على زيد أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة»[٨].

---

١ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤٥١:٥ و راجع: ٤٥٠ وراجع: سير أعلام النّبلاء ٤٣٤:٢؛ وفي هامشه عن أخبار القُضاة ١٠٨:١. وراجع: الإصابة ٥٦٢:١.

٢ ـ وراجع في ذلك عدا عمّا تقدّم وسيأتي: تذكرة الحُفّاظ ٣١:١؛ والإصابة ٥٦٢:١؛ والاستيعاب بهامشها ٥٥٢:١ ـ ٥٥٣؛ والبداية والنّهاية ٣٤٧:٧؛ وشذرات الذّهب ٥٤:١؛ وسير أعلام النُّبلاء ٤٢٧:٢ و ٤٣٤؛ وتهذيب تاريخ دمشق ٤٥٠:٥؛ وتهذيب الأسماء ٢٠١:١؛ وأُسد الغابة ٢٢٢:٢.

٣ ـ أنساب الأشراف ٣٨:٥، ٥٢؛ والغدير ٢٩٢:٨، ٢٨٦.

٤ ـ الغدير ٢٨٤:٨ عن مروج الذّهب ٤٣٤:١.

٥ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤٤٨:٥؛ وأشار إلى كتابته في المعارف: ٢٦٠.

٦ ـ طبقات ابن سعد ١١٥:٢ ـ ١١٦؛ و تهذيب تاريخ دمشق ٤٥١:٥؛ و تذكرة الحُفّاظ ٣٢:١؛. و سير أعلام النّبلاء ٤٣٥:٢.

٧ ـ راجع: تهذيب تاريخ دمشق ٤٥٠:٥؛ و طبقات ابن سعد ١١٦:٢ ـ ١١٧؛ وكنز العمّال ٧:١٦؛ و حياة الصَّحابة ٢١٨:٣؛ وراجع: سير أعلام النّبلاء ٤٣٤:٢.

٨ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤٥٠:٥؛ وطبقات ابن سعد ١١٥:٢؛ وراجع: تذكرة الحُفّاظ ٣٢:١؛ وكنز العمّال ٦:١٦؛ وسير

ثمّ كان زيد في زمن مُعاوية على ديوان المدينة، فقد قال ابن قُتَيْبة عن عبد الملك بن مروان، الّذي ولد سنة أربع و عشرين هجريّة: «كان مُعاوية جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينة، وهو ابن ستّ عشرة سنة»[1].

ثمّ كان عبد الملك بن مروان من الّذين يقولون بقول زيد[2]، أمّا أبوه مروان فكان قد بلغ من اهتمامه بزيد أن دعاه، و أجلس له قومًا خلف ستر، فأخذ يسأله وهم يكتبون، ففطن لهم زيد، فقال: يا مروان أعذر، إنّما أقول برأيي[3].

وأتاه أُناس يسألونه، و جعلوا يكتبون كلّ شيء قاله، فلمّا أطلعوه على ذلك قال لهم: «لعلّ كلّ الّذي قلته لكم خطأ، إنّما قلت لكم بجهد رأيي»[4].

ومع أنّه يعترف بأنّه إنّما يفتي لهم برأيه، فقد بلغ من عمل النّاس بفتواه المدعومة من قبل الحُكّام أنّ سعيد بن المسيّب يقول: «لا أعلم له قولاً لا يعمل به، فهو مجمع عليه في المشرق والمغرب»[5].

الخلل في قول الرّافعيّ

و بعد فقد تقدّم في الفصل السّابق قول الرّافعيّ: «اتّفقوا على أنّ من كتب القرآن فأكمله، و كان قرآنه أصلاً للمصاحف المتأخّرة: عليّ بن أبي طالب، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن مسعود».

ولكن من الواضح أنّ هذا القول يفتقر إلى الدّقّة الكافية، لأنّه لو صحّ هذا لم يكن معنى لاعتماد زيد على ما في صُدور الرِّجال، حسب الرّواية الّتي يروونها في جمعه المُصْحَف لأبي بكر.

← أعلام النّبلاء ٢:٤٣٤.

١ ـ المعارف: ٣٥٥.

٢ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٥:٤٥٢.

٣ ـ نفس المصدر؛ و طبقات ابن سعد ٢:١١٦؛ و سير أعلام النّبلاء ٢:٤٣٨ و في هامشه عن الطَّبَرانيّ.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر ٥: ٤٥١ ؛ و طبقات ابن سعد ٢:١١٦.

إلّا أن يكون المراد أنّها أصل لما سوى المُصْحَف الّذي جمعه زيد لشخص أبي بكر، و لكنّه احتمال بعيد عن مساق كلام الرّافعيّ.

هذا ولربّما يصحّ ذلك بالنّسب إلى أُبيّ بن كعب الّذي يذكرون أنّه أملى المصاحف، وكتب زيد ـ كما سنشير إليه ـ حين الحديث عن المصاحف الّتي كتبها عُثمان.

و أمّا عليّ و ابن مسعود فلا يصحّ ما ذكره الرّافعيّ بالنّسبة إليها، نعم يمكن أن يقال: إنّ الّذين دوّنوا المُصْحَف قد اعتمدوا على مُصْحَف ابن مسعود أيضًا، بدليل: ما رواه البُخاريّ عن عَلْقَمة: «عشرون سورة من أوّل المفصّل على تأليف ابن مسعود، آخرهنّ الحواميم ...»[1]. و لكنّه أيضًا، لا يكفي للدّلالة على ذلك:

فأوّلاً ـ لعلّ مرادهم من كونها على تأليف ابن مسعود أنّها موافقة لتأليف مُصْحَفه، وإن كانت قد كتبت من مُصْحَف غيره.

وثانيًا ـ أنّ المُصْحَف الموجود يخالف التّرتيب المرويّ لمُصْحَف ابن مسعود، حتّى بالنّسبة للعشرين سورة المذكورة، فليراجع[2]. (٦٣ ـ ١٣٨)

١ ـ صحيح البُخاريّ ٣:١٤٦.

٢ ـ راجع: الإتقان ١:٦٢، ٦٤ وغير ذلك ممّا قدّمناه من مصادر حين الإشارة لاختلاف المصاحف.

الفصل الثّالث والسّتّون

نصّ مير محمّديّ (معاصر) في «بحوث في تاريخ القرآن وعلومه»

من جمع القرآن؟

قد اختلفوا في جمع القرآن ؛ متى جمع و دوّن، و من الآمر بذلك على أقوال :

١ ـ إنّ الجمع كان في عصر النّبيّ ﷺ .

٢ ـ إنّه جمع في عهد أبي بكر، بمعنى أنّه جمع من الصُّحُف المتفرّقة، أو جمع من صُدور الرِّجال بشهادة شهود.

٣ ـ إنّه جمع في عصر عمر بن الخطّاب .

٤ ـ إنّ ابتداء جمعه كان في عصر أبي بكر، و تمامه كان في عصر عمر .

٥ ـ إنّه جمع في عهد عُثمان .

والحقّ هو القول الأوّل، وقد ذهب إليه كثير من العُلماء، منهم: المحقّق الإمام الخوئيّ (دام ظلّه) و بالغ في نفي غيره من الأقوال، و اعتبرها مخالفة للكتاب و السّنّة والعقل[1].

ومنهم: العلّامة الرّافعيّ حيث قال: «وللنّبيّ ﷺ صحابة كانوا يكتبون القرآن إذا أُنزل، إمّا بأمره، أو من عند أنفسهم تامًّا و ناقصًا» .

و أمّا الّذين جمعوا القرآن بتمامه بالاتّفاق فهم خمسة، ثمّ عدّهم .[2]

---

١ ـ تفسير البيان: ١٦٢.

٢ ـ إعجاز القرآن: ٣٦.

ومنهم: منّاع القطّان، حيث قال:... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:] فلاحظ تعبيره: أنّ أبابكر أمر بجمعه في مُصْحَف واحد، المشير إلى **أنّه كان في صُحُف موجودة متعدّدة**، خلافًا لمن قال: إنّ القرآن جمع من صُدور **الصَّحابة بشاهدين أو بشاهد واحد**، إذا كان ذلك الواحد هو ذا الشّهادتين.

ومنهم: الزُّرقانيّ الّذي يرى: «أنّ الجمع ليس من محدثات الأُمور... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

هذا كلام عدّة من المتأخّرين الذّاهبين **إلى القول الأوّل**، وأمّا المتقدّمون فمنهم: السّيّد المرتضى علم الهُدىٰ... [وذكر كما تقدّم عنه، **ثمّ نقل قول السُّيوطيّ**، كما تقدّم عنه، فقال:]

وهذا ـ كما ترى ـ يدلّ على أنّ جمع و ترتيب الآيات في السُّوَر كان بأمر منه ﷺ كما عليه الإجماع، و يدلّ أيضًا على جمع القرآن بأجمعه من الرّقاع بيد زيد، و شركائه في عصره ﷺ... [ثمّ ذكر قول القاضي والبغويّ نقلاً عن السُّيوطيّ كما تقدّم عنه فقال:]

هذا ولا يسع المجال لتعداد كلّ من ذهب إلى هذا القول، فإنّهم كثيرون.

ما المقصود من الجمع في عهد النّبيّ ﷺ؟

ثمّ إنّ هذا القول ـ وهو الأولى بالقبول ـ لا يستلزم أن يكون القرآن مجموعًا في مُصْحَف واحد، قد خيط بخيوط، و وضع له جلد، بل المهمّ فيه هو إثبات أنّه جمع بأمره ﷺ، ولو في ضمن قراطيس متعدّدة كثيرة. و قد أوصى النّبيّ ﷺ إلى وصيّه أن يجمعه في مُصْحَف واحد، حتّى لا يضيع منه شيء، و يكون النُّسخة الأُولى الّتي تنسخ عنها المصاحف كلّها، ويثق الجميع به و بقرآنيّته، بخلاف ما لو قلنا بعدم وجود مُصْحَف عند النّبيّ ﷺ، فإنّ معنى ذلك أن لا يكون لدى المسلمين ثمّة قرآن مضبوط و مرتّب.

وإذا أخذنا بقول من يقول: إنّ القرآن جمع من صدور الرّجال ـ جمعه زيد بن ثابت ـ اعتمادًا على شهادة شاهدين بأنّ ما عنده قرآن، و ربّما يكتفي بشهادة شخص واحد كذي الشّهادتين ـ إذا أخذنا. بهذا ـ فعلى القرآن السّلام، إذ أنّ معنى ذلك أنّ القرآن قد وصل

إلينا اعتماداً على أخبار الآحاد، مع أنّ ممّا لا شكّ فيه لدى كلّ مسلم هو أنّ القرآن متواتر سنداً، و مستند إلى النّبيّ ﷺ استناداً قطعيًّا لا شكّ فيه، ولا ندري ما هوالسّرّ في أقوال كهذه؟ ولعلّها ترجع إلى تعصّب، وإن كان ذلك على حساب القرآن و العقيدة والدّين، نسأل الله أن يهبنا و كلّ من يكتب عن القرآن خلوص النّيّة والإخلاص في العمل والابتعاد عن مزالق التّعصّب، والله هو الموفّق والمسدّد.

أدلّة هذا القول:

والدّليل على أنّ الجمع للقرآن كان في عصر النّبيّ ﷺ على النّحو الّذي ذكرناه ما يلي:

١ ـ العقل والاعتبار العقلائيّ، فإنّهما يدلّان على أنّ القرآن قد جمع في عصره ﷺ، والقول بأنّ النّبيّ ﷺ قد أهمل القرآن، ولم يجمعه، حتّى جاء زيد و جمعه من صدور الرّجال بشاهدين، أو بذي الشّهادتين، هذا القول لا يصحّ، وهل يصحّ ذلك من رسول الله الّذي بلغ من شدّة اهتمامه بالقرآن وضبطه و حفظه أن ينهى عن العجلة به في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ﴾[1] والّذي يعلم أنّ قرآنه سيكون محور الحِضارة الإسلاميّة إلى يوم الدّين، و معه كيف يمكن تصوّره و هو يتركه موزّعًا في صدور متفرّقة؟

٢ ـ طوائف من الأخبار دلّت على أنّ القرآن قد جمع في عصر النّبيّ ﷺ:

الطّائفة الأُولى ـ أحاديث الثّقلين المشهورة والمعروفة لدى جميع المسلمين، و في هذه الأحاديث قد أطلق الكتاب على ما تركه النّبيّ ﷺ في أُمّته، عندما قال: «إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي...»[2].

والظّاهر أنّ الكتاب لا يطلق إلّا على شيء مكتوب ذي خصوصيات معيّنة، فلا

---

١ ـ القيامة /١٦ـ١٧.

٢ ـ رواه التّرمذيّ في سُنَنه ٥ باب مناقب أهل بيت النّبيّ ﷺ؛ وأحمد في مسنده ٣:١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩. والحاكم في مستدركه ٣:١٠٩ بعدّة أسانيد، وقد صحّحها على شرط الشّيخين، وذكره الذّهبيّ في التّلخيص ولم يتعقّبه؛ وبحار الأنوار ٣:١٠٦ ط جديد باب فضائل أهل البيت عليهم السلام بأسانيد كثيرة. وقد جمع الفاضل الوشنويّ طرق حديث الثّقلين في رسالة خاصّة، نشرتها دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة في القاهرة.

يصدق على ما يحفظه النّاس في صُدورهم، و ما يقرأه النّبيّ ﷺ لهم أنّه كتاب، بحيث يصحّ أن يقال: هذا كتاب تركه النّبيّ ﷺ لأُمّته، كما لا يقال لأشعار يحفظها النّاس في صُدورهم لشاعر معيّن: أنّ المحفوظ هو ديوان شعره، مع أنّه لم يكتب منها شيء بل غاية ما يقال لها: إنّ هذه أشعار فلان، ولا يطلق عليها كلمة ديوان... [ثمّ ذكر قول الخوئيّ كما تقدّم عنه].

الطّائفة الثّانية ـ الأخبار الدّالّة على أنّه كان له ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي إذا نزل، بل كان هو ﷺ يرسل في طلبهم إذا نزل الوحي، ولم يكونوا حاضرين.

وهي مشهورة و معروفة، وقد بسطنا الكلام فيها في مقال سابق تحت عنوان: «من هم كُتّاب الوحي» وذلك يدلّ على أنّه ﷺ لم يُهمِل القرآن في حياته حتّى يأتي زيد، و يجمعه من صُدُور الرِّجال، و إنّما اعتنى به ﷺ و كتبه، كما هو المنتظر من قائد معصوم مثله.

الطّائفة الثّالثة ـ روايات تدلّ على أنّ القرآن كان يجمع في عصر النّبيّ ﷺ من الصَّحابة، و هي كثيرة... [ثمّ ذكر رواية قَتادة نقلاً عن البُخاريّ و قول ابن حَجَر، كما تقدّم عنهما، و ذكر عقيبها رواية الحاكم عن زيد بن ثابت كما تقدّم عنه، إلى أن قال:]

وبعد كلّ ما تقدّم فلا مجال للقول بأنّ زيدًا قد جمع القرآن بعد النّبيّ بشاهد أو بشاهدين من صُدور الرِّجال، سيّما مع وجود هذه الأخبار الّتي لا يسع من يقول بصحّتها إلّا الأخذ والالتزام بها بشكل كامل.

و أمّا احتمال أن يكون المراد في هذه الرّوايات هو الجمع في الصُّدور[1] فهو خلاف الظّاهر من هذه الأحاديث سيّما حديث زيد: «كنّا نؤلّف القرآن من الرِّقاع».

وأمّا ما يعارض ما ذكرناه

وإذا ثبت أنّ القرآن قد جمع في عصر النّبيّ ﷺ بدليل العقل والاعتبار والأحاديث

---

١ ـ فتح الباري ٧:٦٦.

المعتبرة الصّحيحة، فلا بدّ و أن ننظر إلى ما يظهر منه المنافاة لما ذكرناه، و نوفّق بينه و بين ما ذكرناه، ولو بأن نحمله على معان غريبة، و لكن لا تنافي حكم العقل والاعتبار والرّوايات على النّحو الّذي قدّمناه، فنقول: إنّ ما يظهر منه المنافاة لما قلناه:

١ ـ الأحاديث الدّالّة على أنّ زيدًا جمع القرآن في عصر أبي بكر.

٢ ـ وما دلّ على أنّ الجمع وقع في عهد عمر.

٣ ـ و ما دلّ على أنّ الجمع وقع في عهد عُثمان.

٤ ـ ما دلّ على أنّ عليًّا عليه السلام جمع القرآن بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة. ففي كتاب سُلَيم ابن قَيْس عن سَلْمان... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ونحن لا نجد في ما ذكر ما يصلح دليلاً على خلاف ما قدّمناه:

أمّا بالنّسبة لما ورد من أنّ الجمع كان في زمن أبي بكر، فالظّاهر أنّ مقصودهم هو أنّ أبا بكر قد أمر زيدًا أن يستنسخ مُصْحَفًا له من تلك الصُّحُف المكتوبة على عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله والمجموعة في مكان واحد، وقد أشار إلى هذا أبو شامَة، حيث قال في المقام: «وكان غرضهم أن لا يكتب إلّا من عين ما كتب بين يدي النّبيّ صلى الله عليه وآله ».

هذا كلّه مضافًا إلى أنّ روايات الجمع في زمن أبي بكر متعارضة فيما بينها... [ثمّ ذكر الرّوايتين المتعارضتين عن البُخاريّ عن عمر و عن أنس، كما تقدّم عنه].

وعليه فكيف يمكن الجمع بين هاتين الرّوايتين هنا؟ إلّا إذا قلنا: إنّ كلمة: «وصُدور الرِّجال» في الرّواية الأُولى زيادة من الرُّواة، فحينئذٍ لا يبقى تناقض بين الرّوايات و يصحّ ما ذكره أبو شامَة آنفًا.

سؤال؟ وجوابه:

وإذا قبلنا أنّ أبابكر إنّما نقل مُصْحَفه عمّا كان قد كتب و جمع بأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فإنّنا نبقى أمام سؤال: هل أنّ زيدًا و معاونيه قد نقلوا مُصْحَفهم من الأوراق الّتي كانت جمعت في بيت النّبيّ، كما يراه الحارث المَحاسِبيّ في كتاب «فهم السُّنن»...[وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

أم أنّ زيدًا كتب المُصْحَف لأبي بكر من الأوراق الّتي كانت في أيدي الصّحابة الجامعين، حيث أنّهم كانوا يعطون للنّبيّ نسخة ممّا نسخوه وكتبوه، كما نصّ عليه البعض،[١] والظّاهر أنّهم كانوا يحتفظون لأنفسهم أيضًا بنسخة مماثلة، فنسخة أبي بكر كتبت ممّا في أيديهم.

وأمّا ما كان في بيت النّبيّ ﷺ فأخذه عليّ عليه السلام بأمر الرّسول، حيث قال له ﷺ: يا عليّ هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه عليّ في ثوب و مضى إلى منزله، فلمّا قبض النّبيّ ﷺ جلس فألّفه كما أنزل الله، وكان به عالمًا[٢].

نحن أمام هذين الاحتمالين، ولا يسعنا التّوسُّع في البحث عن المتعيّن منهما في هذه العجالة، ولكنّنا نشير إلى أنّ ممّا يؤيّد هذا الاحتمال الأخير ما ورد من أنّ طلحة قال: ما أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك عنه... [وذكر كما تقدّم عن العلّامة المَجْلِسيّ].

الافتراءات المغرضة

وأذكر هنا ـ بالمناسبة ـ أنّ البعض ينسب إلى الإماميّة أنّهم يشكّون في نسبة هذا القرآن إلى النّبيّ ﷺ، وكلّ من شكّ في النّسبة إليه فهو كافر، فالإماميّة كُفّار[٣].

وهذا افتراء لا يحتاج إلى تكذيب، إذ يكفي إلقاء نظرة قصيرة على عقائد الإماميّة وكلماتهم النّاطقة بأنّ هذا القرآن هو كتاب الله الّذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ بل لقد ذكر الإمام الخوئيّ في كتابه البيان: «أنّ القول بأنّ زيدًا وأعوانه هم الّذين جمعوا القرآن يستلزم عدم تواتُر القرآن، وحيث إنّ القرآن الّذي بين أيدينا لا ريب في تواتُره عن النّبيّ ﷺ تواترًا قطعيًّا، فيكون القول بأنّ زيدًا هو جامع القرآن باطلاً من أساسه، وبذلك يثبت أنّه إنّما جمع في عصر النّبيّ ﷺ لا بعد عصره».

---

١ ـ تاريخ القرآن للدّكتور راميار: ٧١(فارسي).

٢ ـ التّمهيد في علوم القرآن ١:٢٢٧ عن ابن شهراشوب.

٣ ـ مجلّة الدّعوة السّعوديّة رقم ٦١٢.

الجمع في زمان عمر

وأمّا القول بأنّ عمر أوّل من جمع القرآن في المُصْحَف،[١] فهو أضعف ناصرًا، و أوهن حجّة بعد كلّ الّذي قدّمناه. و ربّما يكون المقصود منه هو الإشارة إلى التّسبيب لا المباشرة، بمعنى أنّ عُمر قد طلب من أبي بكر وأصرّ عليه أن يجمع القرآن، فقبل أبو بكر ما أشار به عمر، و أقدم على ذلك بأن استنسخ قرآنًا ممّا كان الصّحابة يحتفظون به.

الجمع في زمان عُثمان

و أمّا أنّ الجمع كان في زمان عُثمان، فالّذي حصل في زمان عُثمان هوجمع النّاس على قراءة واحدة، لا الجمع في المُصْحَف، فعن ابن داود عن سُوَيد بن غَفَلَة قال: قال عليّ عليه السلام ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ نقل قول المحاسِبيّ مؤيّدًا لذلك بحسب ما تقدّم عن السّيوطيّ].

جمع عليّ عليه السلام للقرآن

و أمّا جمع عليّ عليه السلام للقرآن، فالمقصود أنّه كتبه عمّا كان عند النّبيّ صلى الله عليه وآله، و أضاف إليه التّنزيل و التّأويل، كما في الرّواية، أي أنّه أضاف إليه كلّ ما نزل من الله حول القرآن، و إن لم يكن منه. والتّأويل :معناه أنّه أضاف إليه كلّ ما يرجع إليه الكلام، فإنّه أعرف به من الكلّ، كما عن الكلبيّ قال: لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله قعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مُصْحَفه لكان فيه علم كبيرٌ[٢]. وعن محمّد بن سيرين: ولو أُصيب ذلك الكتاب لكان فيه العلم[٣].

وخلاصة القول: أنّه لا منافاة بين القول في أنّ القرآن جمع في عصر النّبيّ صلى الله عليه وآله وبين القول بأنّه جمع بيد باب علمه، مع التّفسير والتّأويل و غيرهما من خصائص القرآن

١ ـ منتخب كنز العمّال هامش مسند أحمد ٢:٤٥.
٢ ـ التّمهيد في علوم القرآن ١:٢١٩ عن التّسهيل لعلوم التّنزيل.
٣ ـ تاريخ الخلفاء للسُّيوطيّ: ١٨٥.

و دقائقه بعد وفاة النّبيّ ﷺ.

النّتيجة والختام

إنّ وجه الجمع بين الأخبار هو أنّ القرآن الّذي بين أيديناقد جمع في عصر النّبيّ، وأنّهم كانوا يؤلّفون القرآن بين يدي النّبيّ ﷺ من الرّقاع، وكانت المصاحف تكتب عن ذلك المُصْحَف الّذي جمع في عصر النّبيّ ﷺ لا من صُدُور الصّحابة بشاهدين أو شاهد واحد إذا كان ذا الشّهادتين[1].

ولعلّ مُصْحَف النّبيّ ﷺ كان مع عليّ عليه السلام حينئذ يكتب عنه مضيفًا التّفسير والتّأويل، فلم يتمكّن منه أبو بكر... **(١٢٤ ـ ١٣٦)**

وأمّا ترتيب الآيات

فهو أيضًا توقيفيّ و من الله عَزَّوجَلَّ، و يدلّ عليه الوجوه التّالية:

الأوّل ـ ما استدللنا به في نظائر البحث من أنّ العقل والاعتبار لا يريان للاجتهاد في القرآن مجالاً، الأمر الّذي يؤثّر في إعجازه الخالد، إذ لو جاز إعمال الرّأي والقياس في ترتيب آياته، لأمكن حدوث الخطأ أحيانًا في التّرتيب، بحيث يقدّم ما حقّه التّأخير وبالعكس، وهذا يوجب اختلالاً في الأُسلوب القرآنيّ المعجز.

أضف إلى ذلك أنّ ترتيب القرآن الموجود ليس له ملاك واحد، يكون أساسًا مطّردًا في تقديم هذا و تأخير ذاك، وكمثال على ذلك تأمّل في الآيتين في سورة الشّمس: **﴿وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّٰيهَا * وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰيهَا﴾**[2] فترى ذكر النّهار فيها مقدّمًا على ذكر اللّيل، بخلاف الآيتين في سورة اللّيل:١ **﴿وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى * وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى﴾** فاللّيل فيها مقدّم

---

١ ـ وهو خُزَيمة بن ثابت، قال في جامع الرُّواة: قال الفضل بن شاذان: إنّه من السّابقين الّذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام. وفي مجمع البحرين: أنّه من كبار الصّحابة، وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا خُزَيمة شهادتك شهادة رَجُلين.

٢ ـ الشّمس /٣ـ٤.

على النّهار، الأمر الّذي يقوّي الظّنّ بأنّ التّرتيب لم يكن بالاجتهاد والاستحسان، وإلّا لقدّم أحدهما في جميع المواضع.

الثّاني ـ الأحاديث الدّالّة على أنّ النّبيّ الأعظم ﷺ قد ذكر بعض الآيات بأنّها آخر أو أوّل سورة كذا، ممّا يكشف عن أنّ أوّل السّورة و آخرها قد أحدث في عصره ﷺ.

و كذا الحال في الرّوايات الّتي ورد فيها ذكر أسامي بعض السُّوَر و هي كثيرة، و تدلّ على أنّ السُّوَره قد تكوّنت في عصره ﷺ، و نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ ما تقدّم عن الشّيخ الثّقة ماجيلُوَيه عن عليّ بن الحُسين عليهما السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة، و آية الكُرسيّ، و آيتين بعدها و ثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه و ماله...إلخ.

٢ ـ ما عن البُخاريّ في كتاب فضائل القرآن: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة...

قال العَسْقَلانيّ: و من حديث النُّعمان بن البشير، رفعه: أنّ الله كتب كتابًا أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، و قال في آخره: آمن الرّسول. و أصله عند التِّرمِذيّ والنّسائيّ، و صحّحه ابن حبّان والحاكم[١].

٣ ـ ما عن أنس عن رسول الله ﷺ قال: من قرأ آخر سورة الحشر، ثمّ مات من يومه أو ليلته، كُفِّر عنه كلّ خطيئة عملها.[٢]

٤ ـ ما عن ثقة الإسلام الكُلينيّ عن سعد الإسكاف، قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت السُّوَر الطُّوال مكان التّوراة، و أُعطيت المئين مكان الإنجيل، و أُعطيت المثاني مكان الزّبور، و فُضّلت بالمفصّل، ثمان و ستّون سورة، وهو مهيمن على سائر الكُتُب[٣].

٥ ـ ما رواه العلّامة المَجْلِسيّ في فضائل سُوَر القرآن و آياته، وهي روايات عديدة ذكر فيها أسماء سُوَر على لسان النّبيّ ﷺ، الأمر الّذي يدلّ على أنّها قد أُلّفت في

١ ـ فتح الباري ٩: ٥٠ هامش و ٥١، شرح.
٢ ـ بحار الأنوار ٩٢: ٣٠٩.
٣ ـ مصباح الفقيه للمحقّق الهمدانيّ، كتاب الصّلاة: ٣٠٦.

عصره ﷺ على النّحو الموجود، وحيث لا يسع المجال ذكر الرّوايات بنصوصها، فنحن نكتفي بذكر أسماء السُّوَر الّتي ورد لها ذكر على لسانه ﷺ.[١]

وهي: سُورة حمٓ الدُّخان، والحواميم، واقتربت السّاعة، والحشر، والجُمُعة والمُسبّحات،[٢] والمنافقين، و تبارك، والبُروج، والطّارق، والأعلى، وجميع السُّوَر الّتي نزلت دفعةً، فإنّ التّرتيب موجود فيها، و قد أسلفنا الكلام عليها في مقال سبق.[٣]

هذا ولا يخفى أنّنا لا نريد أن نأتي بشاهد و دليل من الأخبار على وضع و ترتيب كلّ آية آية. بل كلّ ما ذكرناه إنّما هو على سبيل الموجبة الجزئيّة، لتوجيه الأذهان إلى أنّ بعض السُّوَر كانت قد استكملت تكوّنها في عصر النّبيّ ﷺ، وحصل لها طبعًا ترتيب في آياتها، حتّى مثل سورة البقرة، و إذا كانت سورة البقرة الطّويلة قد رتّبت وجعل و عيّن لها أوّل و آخر، فكيف بغيرها.

الثّالث ـ ما دلّ على أنّ وضع الآيات في أماكنها كان يحصل بأمره ﷺ، و أنّه ﷺ كان يقول لكُتّابه: ضعوا هذه الآيات في مكان كذا، و تلك في مكان كذا، و نذكر منها:

١ ـ ما رواه أحمد[٤]، وأبو داود و التّرمِذيّ والنَّسائيّ و ابن حبّان والحاكم عن ابن عبّاس[٥]، واللّفظ لأحمد: قلت لعُثمان بن عفّان: ما حملكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١].

٢ ـ ما عن أحمد عن عُثمان بن أبي العاص... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ].

الرّابع ـ ما دلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ سورة كذاوكذا، ممّا يدلّ على أنّ هذه السُّوَرة كانت موجودة في عصره ﷺ.

منها: ما رواه الفقيه الهمدانيّ (بسند قَد وثّقه) عن عيسى بن عبد الله القُمّيّ عن أبي

---

١ ـ بحار الأنوار ٩٢: ٢٢٤ـ٣٢١.

٢ ـ المُسبّحات: على الظّاهر هي السُّوَر الّتي أوّلها التّسبيح، كالإسراء، والحديد، والحشر، والجُمُعة، والتّغابن، والأعلى.

٣ ـ مبحث هل نزل القرآن سُوَرًا كاملة.

٤ ـ مسند أحمد ١:٥٧ مسند عُثمان...

٥ ـ الإتقان ١:٦٢.

عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالغداة «بعمّ يتساءلون»، و«هل أتاك حديث الغاشية»، و «لا أُقسم بيوم القيامة...إلخ»[١].

منها: ما رواه السُّيوطيّ عن حُذَيفة: أنّه صلى الله عليه وآله قرأ سورة البقرة، و آل عمران والنّساء. و عن صحيح البُخاريّ: أنّه قرأ الأعراف[٢].

فهذه الرّوايات المذكورة و غيرها ممّا لم نذكره يدلّ في الجملة على أنّ السُّوَر كانت موجودة ولها أسماء، كما هي الآن. هذا كلّه بالإضافة إلى الإجماعات المنقولة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ.

وأمّا ترتيب السُّوَر

ففيه ثلاثة أقوال:

الأوّل ـ أنّها رتّبت في عصر النّبيّ صلى الله عليه وآله.

الثّاني ـ أنّها رتّبت بالاجتهاد بعده.

الثّالث ـ أنّ كثيرًا من السُّوَر قد علم ترتيبها في حياته كالسّبع الطُّوال، و الحواميم، و المفصّل، وما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوّض الأمر فيه إلى الأُمّة كما نقل عن ابن عطيّة[٣]. والّذي نختاره هو القول الأوّل، و قد نسبه في الإتقان إلى جماعة، منهم:

القاضي في أحد قوليه، و أبو بكر الأنباريّ، والكرمانيّ في البُرهان، والطّيّبيّ، و قال في الإتقان: قال الزَّركشيّ في البُرهان: فالخلاف بين الفريقين لفظيّ، لأنّ القائل بالثّاني (أي بالاجتهاد بعده صلى الله عليه وآله) يقول: إنّه رمز إليهم ذلك.

وأمّا دليلنا على ذلك هو ما أشرنا إليه غير مرّة في نظائر المقام من أنّ العقل والاعتبار يدلّان على أنّه لا يجوز التّسامح في أمر القرآن المعجز الخالد، حتّى في ترتيب سُوَره، بأن يوكّل الرّسول صلى الله عليه وآله أمر ترتيبه إلى غيره من الصَّحابة، فيؤلّفونه حسب أهوائهم

---

١ ـ مصباح الفقيه، كتاب الصّلاة: ٣٠٧.

٢ ـ الإتقان ١:٦٢.

٣ ـ نفس المصدر ١:٦٥.

واجتهاداتهم، وهل هذا إلّا إلقاء للأُمّة الّتي يختلف أفرادها اختلافًا شديدًا في الفهم والذّوق، إلى مزالق الخلاف والتّشتّت؟

وعن ابن الأنباريّ: أنّ اتّساق السُّوَر كاتّساق الآيات والحروف، كلّه من النّبيّ ﷺ، فمن قدّم سُورة أو أخّرها، فقد أفسد نظم القرآن.

ويشهد لما ذكرناه عدّة أحاديث ذكرها في الإتقان، وهي:

١ ـ ما عن ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق ابن وَهْب...[وذكر كما تقدّم عن السُّيُوطيّ].

٢ ـ ما رواه الحاكم عن زيدبن ثابت...[وذكر كما تقدّم عنه].

فالمستفاد من هذا الحديث هو: أنّ القرآن كان متفرّقًا في الرِّقاع، وأنّ زيدًا ومن معه كانوا يجمعون القرآن في مُصْحَف واحد، وهو عند رسول الله ﷺ، وواضح أنّ التّأليف يستلزم التّرتيب، فإذا كان التّرتيب عند الرّسول ﷺ فالتّرتيب عنه أيضًا وبأمره. ويدلّ على ذلك اتّفاق الأُمّة، وقبول الصّحابة ومن بعدهم لهذا التّرتيب الموجود. حتّى فيما قبل عُثمان، لأنّ عُثمان لم يفعل في القرآن إلّا أنّه أمر بكتابته على قراءة واحدة، وحمل النّاس عليها، ثمّ أحرق سائر المصاحف، أمّا التّرتيب فإنّما حصل بأمر النّبيّ ﷺ.

مناقشتان وجوابهما

ثمّ إنّه ربّما يورد على ما قلناه سؤال، وهو أنّه إذا كان التّرتيب قد حصل بأمر النّبيّ ﷺ. فلِمَ اختلف الأصحاب في ترتيب مصاحفهم؟ حتّى إنّ أُبيّ بن كعب وابن مسعود قد رتّبا مُصْحَفيهما على خلاف ترتيب المُصْحَف الّذي بأيدينا اليوم.

وربّما يورد سؤال آخر أيضًا هنا، وهو ماذا تصنع بالرّواية المتقدّمة الدّالّة على أنّ عُثمان هو الّذي رتّب سُوَر المُصْحَف؟

والرّواية هي ما سبق عن أحمد في مسنده: من أنّ ابن عبّاس قال لعُثمان: ما حملكم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ٥١، ثمّ قال:]

والجواب: أمّا عن السّؤال الأوّل، فبما قيل: من أنّ اختلاف الجامعين في ترتيب سُوَر

القرآن لعلّه كان قبل وقوفهم على أنّه أمر توقيفيّ، ولا بدّ و أن يؤخذ من النّبيّ ﷺ . وقبل أمر النّبيّ ﷺ بتأليف القرآن من الرّقاع، فهم رتّبوا ما سمعوه من النّبيّ ﷺ ، لأنفسهم بحسب آرائهم وأمّا بعد تأليف القرآن من الرّقاع بأمرالرّسول ﷺ و معرفتهم بترتيبه له لجميع المسلمين على هذا النّحو، فالواجب عليهم متابعته في ذلك أيضًا.

وأمّا عن السّؤال الثّاني، فبما قيل أيضًا:من أنّ الحديث ضعيف، لأنّ في السّند يزيد الفارسيّ، الّذي عدّه البُخاريّ في الضُّعفاء، و عن الشّيخ أحمد شاكر في تعليقه له على هذا الحديث أنّه حديث لا أصل له[1].

ويزيد الرّواية ضعفًا ما ورد عن أبي هلال، حدثّنا مالك بن دينار عن يزيد الفارسيّ، كاتب عُبَيدالله بن زياد.

فالرّجل إذن لا يبالي أن يكون من أعوان حتّى قتلة الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . هذا في سند الحديث.

وأمّا في دلالته على ما نحن بصدده فهي أيضًا محلّ إشكال، حيث إنّه خاصّ في ترتيب سورتي الأنفال و براءة، فمن تمّ عنده سند الحديث، فعليه أن يقول: إنّ ترتيب هاتين السّورتين فقط قد حصل بيد عُثمان، كما فعل السّيوطيّ في الإتقان، حيث قال: والّذي ينشرح له الصّدر ما ذهب إليه البيهقيّ، و هو أنّ جميع السُّوَر ترتيبها توقيفيّ، إلّا براءة والأنفال[2].

أمّا نحن فنقول: سند الحديث ضعيف، و عُثمان لم يفعل شيئًا فيالقرآن، سوى كتابته على قراءة واحدة، ولم يتصرّف في ترتيبه، فيكون ترتيب جميع سُوَر القرآن توقيفيًّا و مأخوذاً من الرّسول ﷺ ، كما أنّ ترتيب آياته أيضًا كذلك، و كذلك تقسيم السُّورة إلى آيات ذات بداية ونهاية، فإنّ كلّ ذلك قد حدث في عصر النّبيّ ﷺ ، ولم تنله يد الرّأي والاستحسان والاجتهادات. (٩٦ـ١٠٨)

١ ـ مباحث في علوم القرآن، لمنّاع القطّان: ١٤٤.
٢ ـ الإتقان ١:٦٥.

الفصل الرّابع والسّتّون

نصّ السّيّد الحكيم (م: ١٤٢٤) في «علوم القرآن»

جمع القرآن وتاريخه

[معنى الجمع]

جمع القرآن له معنيان، أحدهما: حفظه على سبيل الاستيعاب، ومنها قولنا: جُمّاع القرآن، أي حُفّاظه. والمعنى الآخر لجمعه: كتابته و تسجيله.

[١ ـ] فأمّا جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب فقد أُوتيه رسول الله قبل الجمع، فكان ﷺ سيّد الحُفّاظ، و أوّل الجُمّاع، كما كان يرغّب المسلمين باستمرار في حفظ القرآن و تدارسه واستظهاره، و يدفع كلّ مهاجر جديد إلى أحد الحُفّاظ من الصّحابة ليعلّمه القرآن، و يستعمل مختلف أساليب التّشجيع لتعميم حفظ القرآن و إشاعة تلاوته، حتّى أصبح مسجد الرّسول ناديًا عامرًا بتلاوة القرآن؛ يضجّ بأصوات القُرّاء، فأمرهم النّبيّ أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا، و شاعت قراءة القرآن في كلّ مكان في المجتمع الإسلاميّ، وافتتن المسلمون بتلاوته، و شغفوا بقراءته والاستماع إليه، وكان همّهم الّذي ملك عليهم قلوبهم، حتّى روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّي لأعرف أصوات رفقة الأشعريّين باللّيل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم باللّيل، و إن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنّهار» وكان تدارس القرآن و استظهاره رائجًا بين الرّجال والنّساء.

[٢ ـ] أمّا جمعه بمعنى كتابته و تسجيله، فقد عرفنا في بحث ثُبوت النّصّ القرآنيّ أنّ القرآن الكريم قد تمّ جمعه زمن الرّسول الأعظم ﷺ، لكنّ الرّأي السّائد في أبحاث علوم القرآن أنّ جمعه قد تمّ في عهد الشّيخين، و قد عرفنا أيضًا سلامة النّصّ القرآنيّ من دون

فرق بين الفرضيّة الأُولى والثّانية، وأشرنا إلى بعض الشّبهات الّتي أُثيرت حول الجمع بناء على الفرضيّة الثّانية وناقشناها.

جمع القرآن في زمن النّبيّ ﷺ

نقصد بطبيعة الأشياء مجموع الظّروف والخصائص الموضوعيّة والذّاتيّة الّتي عاشها النّبيّ والمسلمون والقرآن أو اختصّوا بها، ممّا يجعلنا نقتنع بضرورة قيام النّبيّ ﷺ بجمع القرآن في عهده. وهذه الظُّروف والخصائص هي ما يلي:

أ ـ يعتبر القرآن الكريم الدُّستور الأساسيّ للأُمّة الإسلاميّة، وهو يشكّل الزّاوية الرّئيسيّة الّتي يقوم عليها كيان الأُمّة العقيديّ والتّشريعيّ والثّقافيّ، إلى جانب المناهج الإسلاميّة الأُخرى عن المجتمع والأخلاق. كما أنّه يعتبر أتقن المصادر التّاريخيّة لديها وأروَع النُّصوص الأدبيّة. ولم يكن المسلمون في صَدر حياتهم الاجتماعيّة يملكون شيئًا من القدرات الفكريّة والثّقافيّة في مختلف الميادين الّتي يخوضها الفكر الإنسانيّ، فالقرآن بالنّسبة لهم كأُمّة حديثة يمثّل المحتوى الرّوحيّ والفكريّ والاجتماعيّ لهم...

[إلى أن قال:]

ب ـ لقد عكف المسلمون منذ البدء على حفظ القرآن واستظهاره، انطلاقًا من نظرتهم إلى القرآن الكريم، وشعورًا بالأهمّيّة الّتي يحتلّها في حياتهم الاجتماعيّة ومركزه من الدّور الّذي ينتظرهم في الحياة الإنسانيّة.

وقد تكوّنت نتيجة هذا الإقبال المتزايد منهم على حفظه واستظهاره جماعة كبيرة، عُرفت بحفظها القرآن الكريم، واستظهارها لنصّه بشكل مضبوط.

ولكنّ السّؤال عن كفاية هذه الوسيلة في جعل القرآن بمأمن عن التّحريف والتّزوير نتيجة للخطأ والاشتباه، أو تعرُّضهم لظروف وعوامل أُخرى تمنعهم عن القيام بدورهم في حفظ النّصّ القرآنيّ من هذه الأخطار؟؟.

إنّ الصّحابة الّذين عرفوا بحفظ القرآن، مهما بلغوا من الورع والتّقوى والأمانة والإخلاص، فهم لا يخرجون عن كونهم أشخاصًا عاديّين يعتورهم الخطأ والنِّسيان، كما

أنّ ظرفهم التّاريخيّ و طبيعة المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم كانت تعرّضهم للاستشهاد فالقتل والانتشار في الأقطار الإسلاميّة بغية الدّعوة لله سبحانه. وكلّ هذه الأُمور الّتي كانت متوقّعة تصبح خطرًا على النّصّ القرآنيّ إذا ترك مرتبطًا في حفظه بهذه الوسيلة و مرتهنًا بهذا الأُسلوب.

ويكفينا في تحقيق الخطر على النّصّ القرآنيّ أن يقع بعض الصّحابة البعيدين عن المدينة المنوّرة في اشتباه معيّن في النّصّ القرآنيّ، ليقع الاختلاف بعد ذلك حينما يفقد المسلمون المرجع الأصيل لضبط النّصّ...

ج ـ وقد كان الرّسول صلى الله عليه وآله يعيش مع الأُمّة في آمالها و آلامها، مدركًا لحاجاتها وواعيًا للمسؤوليّة العظيمة الّتي تفرضها طبيعة الظُّروف المحيطة بتكوينها والأخطار الّتي تتهدّدها، وهذا الإدراك والوعي نتيجة الدّور العظيم الّذي قام به منذ البعثة حتّى وفاته صلى الله عليه وآله ... [إلى أن قال:]

فالإنسان الّذي يكون قد خبرالحياة الإنسانيّة بهذا الشّكل، وحمل أعباء الرّسالة والدّعوة، وقاد الإنسان في مجاهل الظّلام، حتّى أورده مناهل النُّور والحقّ لا يمكن أن نشكّ في إدراكه لمدى ما يمكن أن يتعرّض له النّصّ القرآنيّ من خطر، حينما يربط مصيره بالحفظ والاستظهار في صُدور الرِّجال.

د ـ وإمكانات التّدوين والتّسجيل كانت متوفّرة لدى الرّسول صلى الله عليه وآله، حيث لا تعني هذه الإمكانات حينئذٍ إلّا وجود أشخاص قادرين على الكتابة، يتوفّر فيهم الإخلاص في العمل إلى جانب توفّر أدوات الكتابة، وليس هناك من يشكّ تاريخيًّا في تمكّن المسلمين من كلّ ذلك.

هـ ـ والإخلاص للقرآن الكريم و أهدافه لا يمكن أن نجد من يشكّ في توفّره لدى النّبيّ صلى الله عليه وآله مهما بلغ ذلك الشّخص من التّطرّف في الشّكّ و التّفكير، لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى على أسوأ التّقاديروالفروض الّتي يفرضها الكافرون برسالته والمنكرون لنبوّته ـ لا يمكن إلّا أن يكون مخلصًا للقرآن الكريم، لأنّه يؤمن بأنّ القرآن معجزته وبرهان دعوته الّذي به

تحدّى المشركين، وهو على هذا الإيمان بالقرآن لابدّ وأن يحرص على حُفّاظه، ويكون مخلصًا في ذلك أبعد الإخلاص.

وهذه العناصر الخَمسة هي الّتي تكوّن اليقين بأنّ القرآن الكريم قد تمّ جمعه و تدوينه في زمن الرّسولﷺ، لأنّ أهمّيّة القرآن الذّاتيّة مع وجود الخطر عليه والشّعور بهذا الخطر، و توفّر أدوات التّدوين والكتابة ثمّ الإخلاص للقرآن حين تجتمع، لا يبقى مجال للشّكّ بتدوين القرآن في عهد رسول الله و كتابته في زمانه.

الشُّبهة حول طبيعة الأشياء

وليس عندنا في مقابل دلالة طبيعة الأشياء هذه غير الرّوايات الّتي جاءت تذكر أنّ القرآن الكريم قد جمع في عهد أبي بكر، حيث جمع القرآن من العُسُب والرِّقاق واللِّخاف و من صُدورالنّاس بشرط أن يشهد شاهدان على أنّه من القرآن، كما جاء ذلك في قصّة جمع القرآن المرويّة عن زيد بن ثابت[١].

والواقع أنّ النُّصوص والرّوايات الّتي جاءت تتحدّث عن قصّة الجمع ليست متّفقة على صيغة واحدة ولا على مضمون واحد، فهي تنسب الجمع إلى أشخاص مختلفين، كما أنّهاتختلف في زمان الجمع وطريقته والعهد الّذي تمّ فيه[٢].

وهي من أجل ذلك كلّه لا يمكن الأخذ بمضمونها الفعليّ، و إنّما يمكن أن تفسّر وجودها بأحد تفسيرين:

الأوّل ـ أنّ هذه الرّوايات جاءت بصدد الحديث عن جمع القرآن بشكل مُصْحَف منتظم الأوراق والصَّفحات، الأمر الّذي تمّ في عهد الصَّحابة، وليست بصدد الحديث عن عمليّة جمع القرآن بمعنى كتابته عن بعض الأوراق و صُدور الرِّجال، كما تشير إليه بعض هذه الأحاديث.

وهذا التّفسير هو ما يفرضه منطق الالتزام بصحّة المضمون الإجماليّ الّذي تؤكّد

---

١ ـ البُخاريّ: باب جمع القرآن ٦:٩٨.

٢ ـ السّيّد الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن: ١٦٢ـ١٦٤.

عليه الرّوايات بأكملها.

الثّانيّ ـ أنّ ظهور هذه الرّوايات على أساس أنّها قصص وضعت في عهود متأخّرة عن عهد الصّحابة لإشباع رغبة عامّة في معرفة كيفيّة جمع القرآن، ونحن نعرف من دراستنا للتّاريخ الإسلاميّ أنّ حركة القصّة حين بدأت، فإنّما بدأت تعيش الإطار الدّينيّ، وكان ذلك في أواخر عهد الصّحابة، و تطوّرت في عهد التّابعين، ونمت في عُصور متأخّرة، و اعتمدت بشكل رئيسيّ على الإسرائيليّات وعلى الوضع والخيال الّذي يحاول أن يحقّق أغراضًا اجتماعيّة معيّنة.

وهذه الحركة القصصيّة ليست بدعًا في التّاريخ الإسلاميّ فحسب، بل هي رغبة عامّة عاشت في مختلف العُصور التّاريخيّة القديمة منها والحديثة، ولا زِلنا نشاهد القصّة الّتي تعتمد على أحداث و وقائع خياليّة، و تستمدّ مقوّماتها واتّجاهاتها وأغراضهامن الواقع الاجتماعيّ المعاش.

ونحن وإن كنّا نرغب أن نتّجه في تفسير هذه الأحاديث إلى الطّريقة الأُولى، ولكن لا نجد مانعًا من طرح هذا التّفسير الآخر كأساس للدّراسة الموضوعيّة المفصّلة لهذه الأحاديث وغيرها.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه نجد نصوصًا أُخرى تصرّح بأنّ القرآن الكريم قد تمّ جمعه في زمن الرّسول ﷺ، بحيث تصلح أن تقف في مواجهة هذه النّصُوص[١].

إذن فمن الضّروريّ أن نلتزم بأنّ القرآن الكريم قد تمّ جمعه وتدوينه زمن رسول الله ﷺ بشكل كامل متقن، يمنع من تسرّب التّشويه والتّزوير إليه... [ثمّ ذكر مباحث تحريف القرآن كما سيجيء في بابه]. (٩ـ١٤)

وهناك بعض الشُّبهات الأُخرىٰ تثار حول فرضيّة الجمع في عهد الشّيخين أيضًا، نذكر منهما الشّبهتين التّاليتين، و لعلّ من الجدير بالذّكر أنّ هاتين الشُّبهتين قد أُثيرتا في الأبحاث الإسلاميّة، فضلاً عن أبحاث المستشرقين ومقلّديهم من الباحثين.

---

١ ـ راجع البيان: ١٦٤ـ١٦٦.

الشُّبهة الأُولى

إنّ بعض النُّصوص التّاريخيّة المرويّة عن أهل البيتعليهم السلام و غيرهم تذكر وجود مُصْحَف خاصّ لعليّ بن أبي طالبعليه السلام يختلف عن المُصْحَف الموجود المتداول بين المسلمين في الوقت الحاضر، و يشتمل هذا المُصْحَف على زيادات وموضوعات ليست موجودة في المُصْحَف المعروف.

وتتحدّث هذه النّصوص عن مجيء عليّ بن أبي طالبعليه السلام بهذا المُصْحَف إلى الخليفة الأوّل أبي بكر بقصد أن يأخذ المُصْحَف المذكور مكانه من التّنفيذ بين المسلمين، ولكنّ أبا بكر لم يقبل بذلك و رفض هذا المُصْحَف.

ولمّا كان عليّ بن أبي طالب أفضل الصَّحابة علمًا و دينًا والتزامًا بالإسلام وحِفاظًا عليه، فمن الواضح حينئذٍ أن يكون المُصْحَف الموجود فعلاً قد دخل عليه التّحريف والنّقصان نتيجة للطّريقة الخاطئة الّتي اتّبعت في جمعه، والّتي عرفنا بعض تفاصيلها.

ومن أجل إيضاح هذه الشُّبهة يورد أنصارها بعض هذه النُّصوص التّاريخيّة، و هي:

١ ـ النّصّ الّذي جاء في احتجاج عليّعليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار: فقال له عليّعليه السلام يا طلحة! إنّ كلّ آية أنزلها الله جلّ و علا... [وذكر كما تقدّم عن سُليم بن قَيْس].

٢ ـ النّصّ الّذي يتحدّث عن احتجاج عليّعليه السلام على الزّنديق، والّذي جاء فيه: أنّه أتى بالكتاب على الملأ مُشتملاً على التّأويل والتّنزيل والمحكم والمتشابه والنّاسخ والمنسوخ لم يسقط منه حرف ألف ولا لام، فلم يقبلوا منه[١].

٣ ـ النّصّ الّذي رواه محمّد بن يعقوب الكُلَيْنيّ في «الكافي» عن أبي جعفر الباقرعليه السلام أنّه قال: «ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٢].

---

١ ـ تفسير الصّافي المقدّمة السّادسة: ١١.

٢ ـ أُصول الكافي ١: ٢٢٨.

٤ ـ النّصّ الّذي رواه محمّد بن يعقوب الكُلَيْنيّ أيضًا في «الكافي» عن الباقر عليه السلام ما ادّعى أحد من النّاس أنّه جمع القرآن كلّه كما أنزل إلّا كذّاب، و ماجمعه و حفظه كما نزّله الله تعالى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام .

[والرّدّ على هذه الشّبهة]

و تناقش هذه الشّبهة: أنّه لا نشكّ في وجود مُصْحَف لعليّ عليه السلام ، يختلف مع المُصْحَف الموجود فعلاً من حيث التّرتيب، بل قد يختلف عنه أيضًا لوجود إضافات أُخرى فيه.

ولكنّ الشّكّ في حقيقة هذه الزّيادة، إذ لا دليل على أنّها زيادات قرآنيّة، وإنّما تفسير هذه الزّيادات على أنّها تأويلات للنّصّ القرآنيّ بمعنى ما يؤول إليه الشّيء، أو أنّها تنزيلات من الوحي الإلهيّ نزلت على صدر رسول الله صلّى الله عليه وآله في تفسير و شرح القرآن، و علّمها أخاه عليّ بن أبي طالب.

وليست كلمتا التّأويل و التّنزيل تعنيان في ذلك الوقت ما يراد منهما في اصطلاح علماء القرآن، حيث يقصد من التّأويل حمل اللّفظ على غير ظاهره، و التّنزيل خصوص النّصّ القرآنيّ، و إنّما يراد منهما المعنى اللُّغويّ الّذي هو في الكلمة الأُولى ما يؤول إليه الشّيء و مصداقه الخارجيّ، و في الثّانية ما أنزله الله وحيًا على نبيّه سواءً كان قرآنًا أم شيئًا آخر.

وعلى أساس هذا التّفسير العامّ للموقف تتّضح كثير من الجوانب الأُخرى، حيث يمكن أن تحمل الرّوايات الّتي أشارت لها الشُّبهة على معنى ينسجم مع هذا الموقف أيضًا، كما فعل العلّامة الطّباطبائيّ ذلك في بعض هذه الرّوايات.

وبالإضافة إلى ذلك نجد بعض هذه الرّوايات ضعيفة السّند لا يصحّ الاحتجاج أو الاعتماد عليها في قبال ثبوت النّصّ القرآنيّ. (٩ـ٢٥)

[ثمّ ذكر شُبهات أُخر حول الرّدّ على تحريف القرآن كما سيجيء في بابه إن شاءالله تعالى].

الفصل الخامس والسّتّون

نصّ الأبياريّ (معاصر) في «تاريخ القرآن»[1]

جمع القرآن

لقد مات رسول الله والقرآن كلّه مكتوب على العُسُب ـ جَريد النّخل ـ واللِّخاف ـ صفائح الحِجارة ـ والرّقاع والأديم والأكتاف ـ عِظام الأكتاف ـ والأقتاب ـ ما يوضع على ظهور الإبل ـ كما كان محفوظًا في صُدُورِ الرِّجال، يحفظه حَفظة من المسلمين.

وقبل أن يقبض الله رسوله إليه عارض الرّسول ما أنزله عليه ربّه بسُوَره وآياته على ما حفظه عنه حَفظة المسلمين، فكان مافي صُدُور الحفظة صورةً ممّا كان في صَدْر الرّسول.

وكان لا بدّ لهذا المكتوب على الرِّقاع وغيرها من أن يُعارض على المحفوظ في الصُّدُور، ليخرج من بينهما كتاب الله في صورة مقروءة، كي يفيد منه النّاس جميعًا على تعاقُب الأزمان، فما تُغني الرِّقاع، ثمّ هي عُرضة بِلًى وتشتُّتٍ، وما يغني الحفظة وهم إلى فناء، والنّاقلون عنهم ليس لهم ميزة المعاصرة.

ويُحرِّك الله المسلمين لهذه الحسنة حين استحرّ القتل يوم اليَمامة بقُرّاء القرآن... **[ثمّ ذكر اقتراح عُمَر من أبي بكر على جمع القرآن، كما تقدّم نحوه عن البُخاريّ الرّقم ١ و٢].**

---

١ ـ ذكر مثل هذا النّص في كتابه الآخر «الموسوعة القرآنيّة» ١:٣٤٨ [ط: مؤسّسة سجلّ العرب، ١٤٠٥].

مُصْحَف عُثمان

وكما حرّكت مِحنة اليَمامة عمر إلى حسنة، حَرّكت محنة أُخرى ـ بعد مقتل عمر ـ عُثمان إلى حسنة، فقد قدم حُذَيْفة بن اليَمان من حرب أرمينيّة و أذربيجان على عُثمان فَزِعًا من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن؛ يقول لعُثمان: أدرك الأُمّة قبل أن يختلفوا.

وكما استجاب أبو بكر إلى عمر، استجاب عُثمان إلى حُذَيْفة، فأرسل عُثمان يطلب الصُّحُف من عند حَفْصَة... [وذكركما تقدّم عن ابن أبي داود، ثمّ ذكر رواية سالم بن عبد الله في أخذ مروان مُصْحَف حَفْصَة، كما تقدّم أيضًا عنه الرّقم ٤٣، فقال:].

ولا ندري إلى أيّ حدّ كان توفيق مَروان فيما فعل، و لكنّه ـ و هو الرّجل الّذي كان معاصرًا لما وقع ـ كان عليه أن يطمئنّ إلى أنّ الأمر قد تمّ على أحسن ما يكون دقّة و ضبطًا، و ما نظنّه غاب عنه كيف احتاط عُثمان لذلك، و ما نظنّه إلّا كان شاهد عُثمان وهو يخطب النّاس، يناشدهم أن يأتوه بما معهم من كتاب الله، وكان عهدهم بالنّبيّ قريبًا، إذ لم يكن مضى على وفاته أكثر من ثلاث عشرة سنة، و ما نظنّ النّاس إلّا قد وفوا لعُثمان، و جاءه كلّ رجل بما كان عنده، فلقد كان الرّجل يأتيه بالورقة والأديم فيه القرآن.

ولقد جمع من ذلك عُثمان الشّيء الكثير، و ماوقف عُثمان عند هذه، بل لقد دعاهم رجلاً رجلاً، فيناشده... [وذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٤٠، ثمّ قال:].

هذا كلّه فعله عُثمان، و فعل إلى جانبه الاستئناس بالصُّحُف الّتي تمّ جمعها في عهد أبي بكر و شارك فيها عمر، و الّتي كانت عند حَفْصَة، تلك الصُّحُف الّتي مثّلت المُصْحَف الأوّل المعتمد... [إلى أن قال:].

وقد مرّ بك أنّ عليّ بن أبي طالب كان له مُصْحَف باسمه، أعني كان إليه جمعه، و أنّه بعد موت النّبيّ كان قد أقسم ألّا يرتدي برداء إلّا لجُمُعةٍ حتّى يجمع القرآن في مُصْحَف، ففعل.

وينقل أبو بكر السِّجِستانيّ بسَند مُتّصل عن أشعث عن ابن سيرين، أنّه حين تخلّف عن بيعة أبي بكر... [وذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود الرّقم ٩، ثمّ ذكر قول ابن النّديم في

مُصْحَف الإمام عليّ عليه السلام، كما تقدّم عنه].

ولقد كان إلى مُصْحَف عليّ مصاحف أُخرى مرّت بك، وهي مُصْحَف أُبيّ، و مُصْحَف ابن مسعود، و مُصْحَف ابن عبّاس، وكان ثمّة مصاحف أُخرى، هي: مُصْحَف أبي موسى الأشعريّ، ومُصْحَف للمقداد بن الأسود، و مُصْحَف لسالم مولى أبي حُذَيْفة.

ولقد كانت هذه المصاحف موزّعة في الأمصار، فكان أهل الكوفة على مُصْحَف ابن مسعود، و أهل البَصْرة على مُصْحَف أبي موسى الأشعريّ، وأهل دمشق على مُصْحَف المقداد بن الأسود، و أهل الشّام على مُصْحَف أُبيّ بن كَعب.

وكان ثمّة خلاف بين هذه المصاحف، وهذا الخلاف هوالّذي شهد به حُذَيْفة حين كان مع الجيش في فتح أذربيجان، وهذا الخلاف هوالّذي فَزع من أجله عُثمان، فنهض يجمع أُصول القرآن، و يجمع إلى هذه الأُصول الحفظة الموثوق بهم... [ثمّ ذكر المراحل الثّلاث في تدوين المُصْحَف، لم نذكرها لعدم وجود شيءٍ إضافيّ فيها إلى ذكر غيره، وإن شئت فراجع].

ولقد كان «عليّ» صاحب مُصْحَف اختفى بظهور مُصْحَف عُثمان، ولكن هذا لم يمنعه من نصرة الحقّ الّذي جاهد من أجله حياته كلّها.

والّذي قَبِله «عليّ» قَبِله «ابن مسعود»، و لكن بعد لأْي، و قَبِله بعد هذين كثيرون من الصَّحابة ... [ثمّ ذكر رواية مُصْعَب بن سَعْد و عبد الرّحمان بن مهديّ، كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم١٦، فقال:]

وحسبك أن تعلم أنّ الحال في اختلاف النّاس لم تكن أيّام عُثمان في الأمصار دون المدينة، بل شملت المدينة أيضًا، فلقد كان المعلّمون فيها لكلّ مُعلّم قراءته، فجعل الغِلمان يَلتقون فيختلفون...[وذكر كما تقدّم عن الطّبَريّ، ثمّ قال:]. من أجل هذا سُمّي مُصْحَف عُثمان الإمام... (٨٦ـ٩٨)

الفصل السّادس والسّتّون

نصّ الصّابونيّ (معاصر) في «التّبيان في علوم القرآن»

جمع القرآن في عهد النّبوّة

وقد كان لجمع القرآن في عصر النّبوّة الأمران معًا:

أوّلاً ـ الجمع في الصّدور، عن طريق الحفظ والاستظهار.

ثانيًا ـ الجمع في السُّطور، عن طريق الكتابة والنّقش.

وسنتحدّث عن كلا الجمعين بشيء من التّفصيل، ليتبيّن لنا العناية الفائقة بالقرآن العظيم وكتابته و تدوينه، ممّا لم يسبق لكتاب سماويّ أنْ نال من الرّعاية والعناية والاهتمام كما ناله القرآن الكريم، كتاب الله المجيد، و معجزة محمّد الخالدة.

جمع القرآن في الصُّدُور

نزل القرآن الكريم على النّبيّ الأُمّيّ، فكانت همّته منصرفة إلى حفظه واستظهاره ليحفظه كما نزل عليه... **[ثمّ ذكر كلام الزُّرقانيّ بتصرّف يسير في العبارة كما تقدّم عنه، فقال:]**.

ومن هنا كان حُفّاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ لا يحصون، ويكفي أن نعلم أنّ عدد الّذين استشهدوا في (معركة اليَمامة) يزيد عددهم على سبعين من كبار الحُفّاظ، كما قُتل مثل هذا العدد في عهد الرّسول ببئر معونة؛ قال القُرطُبيّ: «قُتل يوم اليَمامة سبعون من القُرّاء، و قُتل في عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد» أي أنّ عدد الّذين استشهدوا من الحفظة(١٤٠). ولقد كانت أشرف خصوصيّة لهذه الأُمّة المحمّديّة أن يكون هذا

الكتاب المقدّس محفوظًا في صدورها، و أن تعتمد في نقله على حفظ القلوب و الصّدور، لا على كتابته في المصاحف والسُّطور فحسب، بخلاف أهل الكتاب الّذين لانجد منهم من يحفظ التّوراة أو الإنجيل، و إنّما يعتمدون في حفظهما على الكتب المُسطّرة، ولا يقرأونه إلّا نظرًا، لا عن ظهر قلب، و لهذا دخل إليهما التّحريف والتّبديل، أمّا القرآن الكريم فقد حفظه الله بعنايته الإلهيّة، فيسّره للحفظ ﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١] وصانه من التّحريف والتّبديل بطريق حفظه في السُّطور، وحفظه في الصّدور، و مصداقًا لقوله تعالى: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] وهذا ـ بلاشكّ ـ عناية من الله خاصّة بهذا القرآن المجيد، و شرف عظيم اختصّ الله به هذه الأُمّة المحمّديّة، حيث جعل أناجيلها في صُدورها، و أنزل عليها كتابًا لا يغسله الماء، ولله درّ القائل:

الله أكــبرُ إنّ ديــن مــحمّد وكــتابهُ أقـوى وأقـوم قـيلا

لا تُذكرَ الكُتُبُ السّوالف عنده طلع الصّباحُ فأطفئ القـنديلا

جمع القرآن في السُّطور

وأمّا المزيّة الثّانية لهذا القرآن العظيم فهو جمعه وكتابته في الصُّحُف، فقد كان لرسول الله ﷺ كُتّاب للوحي، كلّما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته... **[وذكر مع تفاوت يسير، كما تقدّم نحوه عن الزُّرقانيّ في جمع القرآن بمعنى كتابته، فقال:]**.

روى الشّيخان عن أنس رضي الله عنه أنّه قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، و مُعاذ بن جَبَل، و زيد بن ثابت، و أبو زيد» قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: «أحد عمومتي». وهؤلاء هم مشاهير كُتّاب الوحي، وإلّا فهناك من الصّحابة الجمع الكبير الّذين كانوا يكتبون القرآن، وكثير منهم كان له مُصْحَف خاصّ، كتب فيه ما سمعه أو حفظه من رسول الله ﷺ كمُصْحَف ابن مسعود، و مُصْحَف عليّ، و مُصْحَف عائشة و غيرهم.

---

١ - القمر /٢٢.

٢ ـ الحِجر /٩.

طريقة الكتابة

وأمّا طريقة الكتابة فقد كانوا يكتبون القرآن على العُسُب واللّخاف والرِّقاع وعظام الأكتاف وغيرها، ذلك لأنّه صنع الورق لم يكن مشتهرًا عند العرب، وقد كان عند بعض الأُمم الآخرين كالفُرس والرُّوم، و لكنّه كذلك كان نادرًا فلم يكن منتشرًا، فكان العرب يكتبون على ما يقع تحت أيديهم ممّا يصلح للكتابة، روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنّه قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع» أي نجمعه، وكان هذا التّأليف عبارة عن (ترتيب الآيات) حسب إرشاد النّبيّ ﷺ و بأمر من الله تبارك و تعالى، و لهذا اتّفق العلماء على أنّ جمع القرآن (توقيفيّ) يعني أنّ ترتيبه بهذه الطّريقة الّتي نراه عليها اليوم في المصاحف إنّما هو بأمر و وحي من الله، فقد ورد أنّ جبريل عليه السلام كان ينزل بالآية أو الآيات على النّبيّ فيقول له: يا محمّد! إنّ الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا، و كذلك كان الرّسول يقول للصّحابة: ضعوها في موضع كذا.

جمع القرآن في عهد أبي بكر

انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار الله، بعد أن أدّى الرِّسالة، وبلّغ الأمانة، و نصح الأُمّة، وهدى النّاس إلى دين الله القويم، و تولّى الخلافة بعده أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه و قد واجهته ـ في خلافته ـ خطوب جسيمة، و شدائد عظيمة، و مشاكل صعاب، منها حروب الرِّدّة الّتي وقعت بين المسلمين، و بين أتباع مُسَيلِمة الكذّاب... **[إلى أن قال:]**.

روى البخاريّ عن زيد بن ثابت أنّه قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة...
[وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢].

تساؤلات حول جمع القرآن

وهنا أسئلة ينبغي الإجابة عليها بشيء من التّفصيل، و نحن نوجزها فيما يلي:

أوّلاً ـ لماذا تردّد أبو بكر عن جمع القرآن مع أنّه شيء حسن وأمر يوجبه الإسلام؟

والجواب عن ذلك ـ أنّ أبابكرﷺ خشي أن يتساهل النّاس في استظهار القرآن و حفظه غيبًا، و يعتمدوا على وجوده في المصاحف، فتضعف نفوسهم عن الحفظ، و تصبح رغبتهم ضعيفة في حفظه واستظهاره، اعتمادًا على أنّه مسطّر و موجود في مصاحف مطبوعة، يمكنهم قراءة القرآن بها، أمّا قبل أن توجد المصاحف فقد كان الجميع يسعون جهدهم لحفظ القرآن، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإنّ أبا بكر الصّدّيق كان رجلاً وقّافًا عند حدود الشّرع، مقتفيًا لآثار الرّسولﷺ، فقد خشي أن يكون بعمله هذا مبتدعًا شيئًا لا يحبّه رسول الله، ولهذا قال لعمر: «كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله؟» ولعلّه كان يخاف أن يسوقه الإنساء والاختراع إلى الوقوع في المخالفة والابتداع، و لكنّه لمّا رأى الأمر خطيرًا والفكرة ـ في حدّ ذاتها ـ وسيلة من أعظم الوسائل لحفظ الكتاب الشّريف والمحافظة عليه من الضّياع والتّحريف، وأيقن أنّها ليست من الأُمور الخارجة ولا من البدع المستحدثة، عزم على جمع القرآن، و ظلّ يقنع زيدًا بذلك حتّى شرح الله صدره، فقام بتنفيذ ذلك الأمر الخطير، والله أعلم.

ثانيًا ـ لماذا اختار أبو بكر (زيد بن ثابت) من بين الصّحابة الكرام لهذا العمل الجليل؟

والجواب عن ذلك ـ أنّ زيدًا قد اجتمع فيه من المواهب العظيمة الّتي تؤهّله لجمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرّجال... **[وذكر كما تقدّم مثله عن الزُّرقانيّ]**.

ثالثًا ـ ما هو المقصود من قول زيد في رواية البُخاريّ: «حتّى وجدت آخر سورة التّوبة مع أبي خُزَيْمة لم أجدها عند غيره»؟

والجواب عن ذلك: أنّ زيدًاﷺ لم يجد هذه الآيات مكتوبة عند أحد من الصّحابة إلّا عند أبي خُزَيْمة الأنصاريّ، وليس المراد أنّها لم تكن محفوظة، إذ أنّ زيدًا نفسه كان يحفظها، وكان كثير من الصّحابة يحفظونها، ولكنّه أراد أن يجمع بين «الحفظ والكتابة».

الخطّة الرّشيدة في جمع القرآن

وقد انتهج (زيد بن ثابت) في جمع القرآن خطّةً رشيدة في غاية الدّقّة والإحكام،

فيها ضمان لحياطة هذا الكتاب المجيد، بما يليق به من تثبّت بالغ، وحذر دقيق، فلم يكتف بما حفظ في قلبه ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأُذنه، بل جعل يتتبّع و يستقصي آخذًا على نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين اثنين:

١ ـ ما كان محفوظًا في صُدور الرِّجال.

ب ـ ما كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ.

فلا بدّ أن يتضافر الأمران (الحفظ والكتابة) و بلغ من شدّة حِرصه واحتياطه أنّه كان لا يقبل شيئًا من المكتوب حتّى يشهد شاهدان عدلان أنّه كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ؛ يدلّ عليه الحديث الّذي رواه (أبو داود) في سُننه قال... **[ثمّ ذكر رواية يحيى بن عبدالرّحمان بن حاطب و رواية هِشام بن عُرْوَة كما تقدّم عنه الرّقم ١١ و٦، وقول ابن حَجَر والسَّخاويّ، كما تقدّم عن السّيوطيّ]**.

مزايا مُصْحَف أبي بكر الصّدّيق

[بعد ذكر المزايا، كما تقدّم نحوه عن الزُّرقانيّ، قال:] وهذه المزايا جعلت الصّحابة يلهجون بالثّناء العاطر على أبي بكر الصّدّيق، حيث حفظ القرآن الكريم من الضّياع، و ذلك بتوفيق من الله عَزَّ و جَلَّ، و مدد من عنده، وقد قال عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه): «أعظم النّاس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله». ولقد أصبح جمع القرآن منقبةً خالدة، لايزال التّاريخ يذكرها بالجميل والثّناء العاطر لأبي بكر في التّوجيه والإشراف، و لزيد بن ثابت في التّنفيذ والعمل (رضوان الله عليهم أجمعين) وجمع القرآن في مُصْحَف واحد في عهد أبي بكر لا يعني أنّ الصّحابة (رضوان الله عليهم) لم يكن لديهم مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، فإنّ ذلك لا ينافي أن يكون لبعض الصَّحابة مُصْحَف خاصّ، ولكنّ هذه المصاحف لم تظفر بما ظفر به مُصْحَف أبي بكر من دقّة البحث والتّحرّي، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، و من بلوغه حدّ التّواتُر، ومن إجماع الأُمّة عليه، و من شموله للأحرُف السّبعة (القراءات السّبع)

كما تقدّم، فهذا عليّ؏ كان له مُصْحَف خاصّ كتبه في بدء خلافة أبي بكر، و عـزم ألّا يخرج إلّا للصّلاة حتّى ينتهي من كتابته، روى السُّيوطيّ عن مـحمّد بـن سـيرين عـن عِكرمة... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

فقد كان له مُصْحَف و لكنّه ـ كما يروي عن ابن سيرين ـ كان فيه النّاسخ والمنسوخ، فلم يكن مثل مُصْحَف أبي بكر.

لماذا لم يجمع القرآن في مُصْحَف واحد؟

ونتساءل هنا: لماذا لم يجمع القرآن الكريم في مُصْحَف واحد في زمـن النّـبيّ ﷺ؟ والجواب عن ذلك:

أوّلاً ـ أنّ القرآن لم ينزل مرّةً واحدةً، وإنّما نَزَل مفرّقًا، ولا يـمكن جـمعه قـبل أن يتكامل النّزول.

ثانيًا ـ أنّ بعض الآيات كانت تنسخ، وإذا كان القرآن عُرْضةً للنّسخ، فكيف يمكن أن تجمع في مُصْحَف واحد؟

ثالثًا ـ أنّ ترتيب الآيات والسُّوَر لم يكن على حسب النّزول، فقد تنزل بعض الآيات في أواخر الوحي، بينما يكون ترتيبها في أوائل السُّوَر الكريمة، وهـذا يـقتضي تـغيير المكتوب.

رابعًا ـ كانت المدّة بين نزول آخر ما نزل و بين وفاته ﷺ قصيرة جدًّا، وقد تقدّم في الفصل الأوّل أنّ آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ اِلَى اللهِ...﴾ الآية. وقد انتقل رسول الله إلى جوار ربّه بعد نزولها بتسع ليال، فالمدّة إذاً قـصيرة، ولا يمكن جمعه قبل تكامل النّزول.

خامسًا ـ... [وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، الرّقم ١، إلى أن قال:]

جمع القرآن في عهد عُثمان

أمّا جمع القرآن في عهد عُثمان فقد كان له سبب آخر غير السّبب الّذي حدث في عهد أبي بكر، فقد اتّسعت الفتوحات الإسلاميّة في عهد عُثمان. و تفرّق المسلمون في الأقطار والأمصار، و اشتهر في كلّ بلد من البلاد الإسلاميّة قراءة الصَّحابيّ الّذي علّمهم القرآن، فأهل الشّام كانوا يقرأون... **[وذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود و ابن حَجَر و غيره، ثمّ قال:]**

لهذه الأسباب والأحداث رأى عُثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الخرق قبل أن يتّسع على الرّاقع... **[وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ، ثمّ نقل رواية البُخاريّ لسبب جمع عُثمان، كما تقدّم عنه]**.

الفرق بين جمع أبي بكر و جمع عُثمان

الفرق بين جمع أبي بكر و جمع عُثمان: و نستطيع ممّا سبق أن نعرف الفرق بين جمع أبي بكر و جمع عُثمان، و هو أنّ الجمع في عهد أبي بكر كان عبارة عن نقل القرآن و كتابته في مُصْحَف واحد مرتّب الآيات، جمعه من اللِّخاف والعُسُب والرِّقاع، و كان سبب الجمع (موت الحُفّاظ) و أمّا جمع عُثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدّة نسخ من المُصْحَف الّذي جمع في عهد أبي بكر، لترسل إلى الآفاق الإسلاميّة، و كان سبب الجمع إنّما هو (اختلاف القُرّاء) في قراءة القرآن، والله أعلم. (٥٤ـ٦٧)

الفصل السّابع والسّتّون

نصّ آل قيس (معاصرٌ) في «الإيرانيّون والأدب العربيّ...»

جمع القرآن

أُحيط القرآن الكريم بسياج متين من المحافظة على نصّه محافظةً بالغة، إذ كانت آياته تكتب فور نزولها، كما اهتمّ المسلمون به اهتمامًا بالغًا، حيث لايرى الباحث كتابًا على وجه البسيطة ـ لا من وضع البشرولا وحي السّماء ـ نال ما ناله القرآن المجيد من العناية والرّعاية، فقد كان المسلمون يحفظون آياته، و يتلونها في صلاتهم، ويرتّلونها آناء اللّيل و أطراف النّهار، بالإضافة إلى أنّ القرآن هو دستورُهم الّذي يرجعون إليه كلَّ ساعةٍ.

و نصوص القرآن صريحة في أنّ آياته و سُوَره جميعًا رُتِّبَتْ بوحي من الله إلى رسوله، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1] و ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[2].

فلم يُرفَع الرّسولﷺ إلى السّماء إلّا بعد ترتيب القرآن و آياته وسُوَره ترتيبًا كاملاً، و تلقّاه عنه الصَّحابة بهذا التّرتيب[3].

علمًا بأنّ أمر تدبُّر القرآن لم يقتصر على الصَّحابة و أهل العلم الّذين اتّخذوه دستورًا لكلِّ أعمالهم، بل ظهرت في المسلمين طوائف سُمّيت بـ«حُفّاظ القرآن» وكانوا يسمّون في عهد صدر الإسلام بـ«القُرّاء» حيث كان همّهم الأوحد حفظ القرآن و تلاوته صباحًا

---

١ ـ الفرقان /٣٢.

٢ ـ القيامة /١٧.

٣ ـ تاريخ شوقي ضيف ٢:٢٥.

و مساءًا. هذا بالإضافة إلى أنّ المسلمين كانوا منذُ أوّل عهد هم يعلّمون أبناءهم القرآن عن ظهر قلب، حتّى لترى الطّفل يتلُو عليك القرآن دون خطأ، كما لم يتمكّن أيّ مـؤرّخ إن يوجِّه أيّ تُهمةٍ إلى القرآن الكريم، كما فعلوا بالكُتُبِ السّماويّة الأُخرى، حيث إنّ النّصّ القرآنيّ نجدُه قد وعد سبحانه و تعالى بحفظه على ما نزل عليه إلى يوم القيامة، حيث قال عَزَّوجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

فالقرآن المُتداول اليوم بين أيدي سُكّان المعمورة هـو نـفس القـرآن الّـذي تـلاهُ الصَّحابة، وخَطَّه كُتّاب الوحي بأمر النّبيّ ﷺ والنُّسَخ المحفوظة للقرآن منذُ(١٤٠٠) سنة لا تختلف في حرف واحد عن نُسخ عصرنا الحاضر. و ممّا لا يَخفى عليك أخي القارئ أنّ الله جعل لكلِّ شيءٍ سَبَبًا، فمَن كان السّبب في جمع القرآن الكريم؟

السّبب في جمع القرآن

ذكر المرحوم آيةُ الله السّيد حسن الصّدر في الصّفحة: ٤٩ من كتابه «الشّيعة و فنون الإسلام» ما نصُّه: «أوّل مُصْحَفٍ جُمع فيه القرآن على ترتيب النّزول بعد موت النّبيّ ﷺ هومُصْحَف أميرالمومنين عليّ عليه السلام و الرّوايات في ذلك عن طريق أهل البيت متواترة و من طريق أهل السّنّة مستفيضة»، كماذكر المرحوم أيضًا في الصّفحة(٣١٦) من كتابه «تأسيسُ الشّيعة لعلوم الإسلام» نقلاً عن الفهرست لابن النّديم مانصُّه... [وذكر كما تقدّم عنه].

و قد ذكر بعض المؤرّخين أنّ القتل لمّا كثر في الصّحابة في زمن أبي بكر، حيث قاتل الصّحابة أهل الرِّدّة و أصحاب مُسْيلِمة الكذّاب[2] و قُتِل من الصّحابة نحو الخـمسمائة[3]، خَشِي عمر بن الخطّاب أن يستحرّ[4] بهم في مواطن أُخرى، فيذهب قرآنٌ كثير، فدخل على

---

١ ـ الحِجر/٩.

٢ ـ راجع فتنة مُسَيْلِمة الكذّاب في تاريخ الدُّوَل الإسلاميّة لمحمّد بن عليّ بن طباطبا المعروف بابن الطِّقطقيّ، طبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٨٠: ٧٤، و تاريخ الطَّبَريّ طبعة دار المعارف بمصر، ١٤٦:٣ كتاب مُسَيْلِمة إلى رسول الله ٢٨١:...خبر مُسَيْلِمة الكذّاب وقومه من أهل اليَمامة.

٣ ـ النّشر في القراءات العشر ٧:٢.

٤ ـ أي يشتدّ.

أبي بكر لسنتين من خلافته، فقال له: إنّ أصحاب رسول الله يتهافتون في المعارك، و إنّي أخشى أن تأتيَ عليهم وهم حَمَلَة القرآن، فيضيع و يُنسىٰ، و إنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن. فتوقّف في ذلك، حيثُ إنّ النّبيّ لم يأمر في ذلك بشيء، ثمّ اجتمعَ رأيُه و رأي الصَّحابة على ذلك الأمر، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت أحد كتبة الوحي الأبرار، بتتبّع القرآن و جمعه، فجمعه من الرِّقاع و العُسُب واللِّخاف وصدورِ الحَفَظَة المشهودِ لهم بالإتقان من مثل أُبيّ بن كعب، و عُثمان، والإمام عليّ بن أبي طالب، و عبد الله بن مسعود، وطلحة، و حُذَيفة، و أبي هُريرة، و أبي الدَّرداء، و أبي موسى الأشعريّ. و تحريرًا في الدّقّة، ومبالغةً في الحيطة، أمر أبو بكر أن لا يُقبل من حافظٍ شيء حتّى يشهد شاهدان عدلان بصحّته، و أنّه كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

فكانت الصُّحُف عند أبي بكر، ثمّ عند عمر، و لمّا توفّي عمر أخذتها حَفْصة فكانت عندها. (الكامل في التّاريخ لابن الأثير، ٣: ١١٢، و تاريخ الأدب العربيّ لشوقي ضَيْف، ٢: ٢٥، ٢٦، و النّشر في القراءات العشر لابن الجَزَريّ ٢: ٧).

وحدث في عهد عُثمان (في نحو ثلاثين من الهجرة) أنّ أخذ القُرّاء في الأمصار البعيدة يختلفون في بعض الأداء، ولم يكن بين أيديهم مُصْحَف أبي بكر ليرجعوا إليه، فأفزع ذلك حُذيفة بن اليَمان الّذي كان يغزو في فتح أرمينيّة و أذربيجان. و خصوصًا عندما رأى أُناسًا من أهل حِمْص... [وذكر كما تقدّم عن ابن الأثير، ثمّ قال:].

فهرع إلى عُثمان قائلاً: أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنّصارى، فهم عُثمان الأمر، و أجمع رأيه على أن يكتب للمسلمين إمامًا يرجعون إليه، و بعث إلى حَفْصة: أن أرسلي إلينا بالمُصْحَف ننسخ منه نُسَخًا، ثمّ نردّه إليك.

فأرسلت به إليه، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزُّبَير و سعد بن العاص و عبد الرّحمان بن الحارث بن هِشام، و قال للرّهط القُرشيّين وهم الثّلاثة الأخيرون: إذا اختلفتُم أنتم وزيدُ بن ثابت في كتابة شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانِهم، فصَدَعوا بأمره.

وردّ عثمانُ مُصْحَف أبي بكر إلى حَفْصَة، و طابت نفسه، و أمر أن تُكتب المصاحف

من مُصْحَفه، و أن يحملها القُرّاء إلى الأمصار، و يُقْرِئوا النّاس على حرفها، و أرسل بالمصاحف إلى مكّة والكوفة والبَصْرة و دمشق وغيرها من الأمصار الإسلاميّة، و قيل: «ووجّه بمُصْحَفٍ إلى مكّة، و بمُصْحَفٍ إلى اليَمن، و بمُصْحَفٍ إلى البَحرين، و ترك مُصْحَفًا بالمدينة، و أمسك لنفسه مُصْحَفًا يقال له: الإمام»[1]، ثمّ أمر بحرق ما سواها.

فأطاعته الأُمّة لِما تعلَم في صنيعه من الرُّشد والهداية، و جُرِّدت هذه المصاحف جميعها من النَّقط والشَّكل، ليحتملها ما صحَّ نقله، و ثبت تلاوته عن النّبيّ ﷺ إذ كان رالاعتماد على الحفظ لا على مجرّد الخطّ، و مضى القُرّاء في العالم الإسلاميّ يُقرِئون النّاس القرآن على حرف هذا المُصْحَف الإمام. غير أنّ فروقًا حَدثت بينهم في القراءة داخل ذلك الحرف، وهي المعروفة بالقراءات، و قد وقع إجماع المسلمين على سبعٍ منها[2]، وهي قراءات، ابن عامرالشّاميّ (عبد الله بن عامر بن يزيد الشّاميّ اليحصُبيّ)، و نافع المَدَنيّ (نافع بن عبد الرّحمان بن أبي نُعَيم اللَّيثيّ بالولاء المدنيّ)، و ابن كثير (عبد الله بن كثير المكّيّ الدّاريّ)، وأبي عمروالبَصْريّ (أبي عمروبن العلاء بن عَمّار بن عبد الله البَصْريّ المازِنيّ). و عاصم الكوفيّ(عاصم بن أبي النجود بَهْدَلَة الكوفيّ الأسَديّ بالولاء الخيّاط)، و حمزة الكوفيّ (حَمزة بن حَبيب بن عَمّارة بن إسماعيل الزّيّات)، و الكِسائيّ (عليّ بن حَمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسديّ بالولاء الكوفيّ).

(انظر: النّشر في القراءات العشر لابن الجَزَريّ، ١:٧، الكامل في التّاريخ لابن الأثير، ٣:١١١، و تاريخ الأدب العربيّ لشوقي ضيف ٢:٢٦، ٢٧، وتاريخ الأدب العربيّ لبروكلمن (التّرجمة العربيّة) ١: ١٤٠.

أمّا ابن النّديم فيعتقد أنّ القرآن جُمع في عهد رسول الله ﷺ حيث نراه قد ذكر في كتابه «الفهرست» فصلاً تحت عنوان «الجُمّاع للقرآن على عهد النّبيّ ﷺ ذكر فيه أسماء من قام بهذا العمل، و قال... [وذكر كما تقدّم عنه]. (١:١٠ـ١٤)

---

١ ـ النّشر في القراءات العشر لابن الجَزَريّ ١:٧.

٢ ـ نرجو من يرغب المزيد، مطالعة طبقات القُرّاء المعروف بغاية النّهاية لابن الجَزَريّ، عني بنشره «برجستراسر» وطبع بمصر ـ مكتبة الخانجيّ سنة ١٩٣٢م.

الفصل الثّامن والسّتّون

نصّ الهيدجيّ (معاصر) في «الحُجّة على فصل الخطاب . . .»

[في وجوب جمع القرآن و تعيّنه على النّبيّ ﷺ]

الباب الأوّل: في وجوب جمع القرآن وتعيّنه على النّبيّ ﷺ، وبيان جمعه وتأليفه ونشره بين المسلمين، وذكر أقوال الموافقين في ذلك وإبطال أدلّة المخالفين، وفيه فصول خمسة:

الفصل الأوّل: في وجوب جمع القرآن وإبقائه

فنقول: يجب أن يكون القرآن مجموعًا مؤلّفًا باقيًا في كلّ زمان، حتّى يظهر الإمام الغائب عن الأعيان بأمر الله الملك المنّان، وذلك بوجوه:

الأوّل ـ أنّ القرآن آية عظمى ومعجزة خالدة كُبرى لرسول الله ﷺ، وهو يدعو إلى رسالته ودعوته والإيمان بما جاء به في جميع أزمنة نبوّته في حضرته وغيبته، وحيث كانت نبوّته دائمة ومستمرّة إلى آخر الدَّهر، وشريعته ثابتة في تمام العصر، فلا بدّ له من معجزة باقية في كلّ زمان، فيكون شاهد صدقه، ودليل نبوّته، وحيث لم تكن معجزاته باقية مَدَى الزّمان سوى القرآن، بل لم يكن البقاء لغيره بمكان من الإمكان، فلا بدّ أن يكون هو القرآن باقيًا وثابتًا في الأعصار والأحيان، ولا يكون ذلك إلّا بكونه مجموعًا مؤلّفًا، وهو المطلوب.

الثّاني ـ أنّ القرآن أساس الدّين وأحكام وقوانين منزَّل من قبل ربّ العالمين، ليعمل بها عامّة المسلمين في كلّ زمان وحين، فلو لم يكن مجموعًا مؤلّفًا يذهب من

البين، و لا يبقى له أثر ولا عين، فينسى أحكامه، و يخفى حدوده، ولا يمكن العمل بها، فيعود الهرج و المرج، و هو خلاف المقصود من البعث و إنزال الكُتُب، بل البعث والتّنزيل، لأجل إجراء هذه الحدود والقوانين وإيجاد النّظم في أُمور النّاس و معايشهم ومعاملاتهم، ثمّ رفعة منزلتهم ودرجتهم بتقرّبهم وامتثالهم و تعبّدهم بأوامره ونواهيه، وذلك لا يكون إلّا بجمع القرآن وتأليفه وإبقائه بين أهله، وهوالمطلوب.

الثّالث ـ أنّ النّاس تابعوا نفوسهم بأمارتها و مقتفى شهواتهم بمشتهياتها، لا يميلون إلى ما هو الحقّ بمجرّد الدّعوة، ولا يرغبون إليه، وإن كانوا معترفين به و مقرّين بحقيقته، و ذلك لسلطة الهوى و خُطُوات الشّياطين عليهم، و انغمارهم في طلب الدّنيا ولذائذها، بل لا بدّ لهم من الوعظ والنّصيحة والتّحذير والإنذار من المخالفة، و ذكر أحوال العاصين من الماضين، و تذكرة مصابهم بأنواع البلاء وابتلائهم بأنحاء العذاب، و حيث كان القرآن مشتملاً بهذه المضامين، وكان أوقع في النّفُوس من كلام غيره، لأنّه كلام الله المجيد ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فلاجرم وجب أن يكون مجموعًا مؤلّفًا باقيًا إلى يوم القيامة.

الرّابع ـ أنّ جمع القرآن وإبقائه بين النّاس لُطف، واللُّطف كما عرّفوه (ما يكون المكلّف معه أقرب إلى فعل الطّاعة وأبعد من المعصية، ولم يكن له حظّ في التّمكين ولم يبلغ حدّ الإلجاء) وكلّ لطف واجب، فينتج أنّ جمع القرآن وإبقائه في النّاس واجب.

أمّا المقدّمة الأُولى: فإنّ القرآن لمّا يوجب توجّه كثير من النّاس إلى الإسلام، لكثرة المعهود منهم أنّهم إنّما أسلموا حين سمعوا آياته الباهرة وكلماته الزّاهرة، فكون القرآن مجموعًا مؤلّفًا و في مرأى النّاس و منظرهم يوجب جلب توجّههم وقوّة رغبتهم إلى الإسلام و اتّباعهم له، وهو معنى اللُّطف.

وأمّا المقدّمة الثّانية: أنّه يحصل به الغرض، فيكون واجبًا، وإلّا لزم نقضه، كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنّه لا يجيبه، إلّا أن يستعمل معه نوعًا من التّأدّب، فإذا لم يفعل الدّاعي ذلك النّوع من التّأدّب كان ناقضًا لغرضه، واللُّطف يستلزم غالبًا حصول الغرض

فيكون واجبًا.

الفصل الثّاني: في وجوب ذلك الجمع والتّأليف على شخص النّبيّ ﷺ

و ذلك لوجهين:

الأوّل ـ أنّ ذلك نوع إبلاغ من الدّين و نحو ترويج في الشّريعة، ولاريب أنّ ذلك فرض المرسلين و من وظائفهم، فإنّ البلاغ علّة لبعثهم وإرسالهم وغاية لإنزال كتبهم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] فيكون ذلك من وظائفه و رسالته، و هوالمطلوب.

الثّاني ـ كما أنّ جمع القرآن ونشره يكون لطفًا، وكونه على يد الرّسول ﷺ يكون لطفًا آخر في تلقّي النّاس إيّاه و قبولهم، وعدم اختلافهم كثيرًا ضرورة أنّه ﷺ لو جمعه و نشره بين المسلمين لا يقدمون ولا يجترئون على التّغيير والتّحريف بالزّيادة والإسقاط كجرأتهم في عكسه بل ربّما يهتمّون في حفظه، فلو حوّل ذلك الجمع إليهم، لايبالون في ذلك، و لايهتمّون بذاك الاهتمام كما لا يخفى.

فإن قيل: لا فرق بين جمع القرآن و بين إجراء سائر الأحكام على طبق ما أُنزل في عدم التّجرّي على تغييره و تبديله، و من المعلوم أنّ بعضًا من الأحكام كان معلومًا معمولاً بين المسلمين في زمن النّبيّ ﷺ، بتعليمه ﷺ و إتيانه كذلك أو تجويزه و تقريره، فبدّلوها بعد ما سمعوها إذ قبض ﷺ، كالتّأمين بعد الحمد، والتّكفير في الصّلاة وكيفيّة الوضوء و غيرها، فكما أنّ إجراء الأحكام على يديه لم يكن لطفًا، و لم يكن المكلّفون به أقرب إلى فعل المأمور به، فكذلك جمع القرآن، فلعلّ النّبيّ ﷺ كان عالمًا بتحريفهم و تغييرهم القرآن بعد قبضه ﷺ وفعله لا يفيد، فلا يكون لُطفًا ولا يصير واجبًا.

قلنا: اللُّطف لايكون علّة لما قصد، فيمتنع التّخلّف، بل لو بلغ ذلك خرج عن كونه لُطفًا، كما سبق من كونه لم يكن له حظّ في التّمكين، ولم يبلغ حدّ الإلجاء والتّخلّف، لا

---

۱ ـ آل عمران /١٦٤.

يخرج عن كونه لطفًا. و أمّا علم النّبيّ صلى الله عليه وآله بتطرّق التّحريف بعده فهو لا يوجب سقوط الواجب عنه، بل يؤكّد الوجوب، فإنّه يكون متمًّا للحجّة، ولاريب في وجوبه و تغيير الأحكام المعمولة بها في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله شاهد عليه، فيكون إجرائه في عصره أداء لوظيفته، وإن عُلِم بالمخالفة بعده.

كولاية عليّ عليه السلام مع أنّه صلى الله عليه وآله كان يعلم بأنّ النّاس سيغصبون حقّه ويظلمونه، بل كثيرًا ما يخبر عن ذلك، و مع ذلك كلّه جمع من النّاس نحو ثمانين ألف في يوم شديد الحرّ، و أخبرهم ذلك، و أشهدهم عليه، و من المعلوم أنّ ذلك لأجل الحجّة الّتي كانت واجبة عليه، فظهر أنّ جمع القرآن و نشره كان واجبًا عليه صلى الله عليه وآله بل مؤكّدًا كنصبه عليًّا عليه السلام بالخلافة.

الفصل الثّالث: في أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله جمع القرآن

بمعنى [أنّ النّبيّ] أمر بجمعه فجمعوه، و نشره بين المسلمين، و ذلك أيضًا بوجوه:

الأوّل ـ ذكرنا آنفًا أنّ ذلك كان واجبًا عليه إمّا فعله و أتى به، أوتركه على حاله، والثّاني باطل، لاستلزامه ترك الواجب عليه، وهو محال ولا يليق به، لكونه منافيًا للعصمة والرّسالة، مثل نصب عليّ عليه السلام للخلافة، كما أنّ تعيين الوصيّ و نصبه كان واجبًا عليه، و تركه منافيًا للرّسالة، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وكذلك جمع القرآن.

فإن قيل: سلّمنا وكان القرآن بتمامه عنده متفرّقًا، و إنّما فوّض أمرالجمع والتّأليف الّذي هو سبب البقاء إلى من فوّض جميع الأُمور إليه، و جميع أُمور أُمّته بعده واحتياج النّاس، بحيث يختلّ أمرهم عليهم لولاه، وليس في ذلك تنقيصًا في نبوّته أصلاً، بل في ذلك إعلاء لشأن من فوّض إليه الأمر و تثبيت إمامته و إعلام برفعته، وقد امتثل ما أمره به، فجمعه بعد قبضه.

قلنا: أوّلاً ـ تصدّي النّبيّ صلى الله عليه وآله شخصه لهذا الأمر أعلى رواجًا و بلاغًا من تصدّي وصيّه، فإنّ ذلك بين المسلمين أسهل قبولاً و أيسر إجابة، لإحاطته عليهم كلّهم و قدرته، و تمكّنه من كلّ ما أراد أن يفعله، لعدم الاختلاف بين من آمن به في حقّه ولا تمرّد لأحد

عن أحكامه، بخلاف وصيّه و خليفته، فـإنّ النّـاس سـيختلفون فـيه اخـتلافًا شـديدًا، والاختلاف ـ بل الإنكار في أمر الخلافة ـ يوجب أشدّ التّمرّد عن إجابة ما يريد أن يفعله و يجريه و يكلّفهم عليه، وكان النّبيّ ﷺ عالمًا بذلك، و أخبر عنه كثيرًا، فلا أقلّ احتمال ذلك، فيجب عليه ﷺ أن يقدّم نفسه بذلك، و يؤلّف القرآن و ينشره بين النّاس حذرًا عن مخالفتهم بعده.

و **ثانيًا** ـ لو كان المراد إعلام علوّ شأن من فوّض إليه الأمر، لعرّفهم و نبّههم على ذلك، كما أنّه كان كثيرًا يعرّف عترته، ويخبر عن علوّ شأنهم ودرجـاتهم عـندالله بأوصـافهم وخصائصهم المرضيّة وأفعالهم الرّضيّة، فيجب أن يعرف النّاس بأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام سيجمع القرآن بعده و يخبرهم، كيلا يخالفونه في ذلك، فلا أقلّ من ذكر ذلك من أوصاف وصيّه و علاماته، كما أنّ أداء ديونه والتّصدّي بتغسيله و تكفينه من أوصافه و علاماته، ولو عرّفهم ذلك لنقل إلينا ولم يخف علينا، وهو ظاهر.

الثّاني ـ وردت رواياتٌ [تبلغ] حدّ الاستفاضة إن لم يبلغ حدّ التّواتُر عن النّبيّ ﷺ في فضل قراءة القرآن و سُوَره وآياته، و ثواب ختمه و درسه وأخذه والعمل به، و سنذكر جملة منها عند أدلّة القول بعدم التّحريف إن شاء الله، و تقريب الاستدلال بها أنّه لولم يكن القرآن مجموعًا مؤلّفًا مضبوطًا في زمانه، لم يجز الأمر بتلاوته و قراءته وختمه وأخـذه والعمل به، لأنّه أمر بما هو بعيد عن مكنتنا وتكليف بما هو خارج عن طاقتنا، ولا تكليف إلّا بما دونها.

الثّالث ـ أنّه وردت روايات كثيرة متواترة عن النّبيّ ﷺ في الثَّقَلَين بـقوله: «إنّـي تارِكٌ فيكم الثَّقَلَين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» الحديث، و هي تدلّ على أنّ كتاب الله عَزَّ وجَلَّ، كان في عصره و زمنه مجموعًا مضبوطًا مؤلّفًا منتشرًا بين النّاس، بحيث يعرفه كلّ من آمن، ولا نعني من جمع القـرآن ونشره إلّا هذا، فإنّ المراد من جمعه ﷺ أن يجمع القرآن بإذنه و أمره وإجازته و رضاه لا مباشرته بنفسه، فثبت أنّ القرآن كان مجموعًا في عهده ﷺ، وهو المطلوب.

الرّابع ـ لمّا حان ارتحاله عن الدّنيا بلغه أنّ ابن قُحَافة يصلّي في محرابه، فأتى المسجد وأبعده، وصلّى هونفسه بالنّاس، ثمّ صعد المنبر، فحمدالله و أثنى عليه، ثمّ طلب القلم والمداد، و قال الرّجل كفانا كتاب الله، لمّا عرف أنّهﷺ يريد أن يكتب شيئًا في ملأ من النّاس، و يعيّن وصيّه وخليفته، كما عيّنه يوم الغدير، وهو ينافي بدسائسهم ومكائدهم، فأجاب بما أجاب، فقوله: كفانا كتاب الله، يدلّ على أنّ القرآن كان في عهدهﷺ في أيدي المسلمين مجموعًا مضبوطًا، وهو واضح.

الخامس ـ ما روي أنّ أمير المؤمنينعليه السلام لمّا جمعه و جاءهم به، و قال: هذا كتاب ربّكم، لم يزد فيه ولم ينقص منه حرف، فقالوا: لاحاجة لنا فيه، عندنا مثل الّذي عندك، فانصرف وهويقول: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية فقولهم: عندنا مثل الّذي عندك، يدلّ على أنّ القرآن كان مجموعًا عندهم، وليس المراد بقولهم: عندنا مثل الّذي عندك، ما جمعه الأوّلان بعد رسول اللهﷺ، لأنّه لو صحّ لكان بعد ذلك بزمان بعد يوم اليَمامة، فتلخّص من جميع ما ذكرنا أنّ القرآن كان في عهد رسول اللهﷺ مجموعًا مؤلّفًا مضبوطًا يقرأ و يدرس و يختم، و ذلك واضح.

الفصل الرّابع: في ذكر جملة من أقوال من وافقنا في ذلك

[۱] ـ فمنهم من العامّة البلخيّ، وقال في جملة كلامه على ما حكي عنه ما هذا لفظه: وإنّي لأعجب من أن يقبل المؤمنون قول من زعم أنّ رسول اللهﷺ ترك القرآن الّذي هو حجّة على أُمّته، و الّذي تقوم به دعوته والفرائض الّتي جاء بها من عند ربّه، و به يصحّ دينه الّذي بعثه الله تعالى داعيًا إليه، معرّقًا في قطع الحرف، ولم يجمعه ولم يضبطه ولم يحفظه، ولم يحكم الأمر في قراءته، و ما يجوز من الاختلاف، و ما لا يجوز و في إعرابه و مقداره و تأليف سُوَره و آيه، و هذا لا يتوهّم على رجل من عامّة المسلمين، فكيف برسول ربّ العالمين، انتهى. وقد اعترض عليه بما قد مرّ من تفويضه إلى من فوّض الأمر إليه، و مرّ جوابه أيضًا.

[۲] ـ و منهم من الخاصّة السّيّد المرتضى عَلَم الهُدىٰ (ره) على ما حكي عنه في

بعض كلماته ما هذا لفظه: أنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلّفًا على ما هو عليه الآن... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وهذان الكلامان منهما في غاية الحُسن والجودة، كما يظهر على من تأمّل و تحقّق، ولا يعترض عليهما أحد إلّا من أخذ سبيل الاعتساف، وترك طريق الإنصاف، و مع ذلك فقد اعترض عليه بوجوه:

فتارةً ـ بأنّ القرآن إنّما أُنزل نجومًا و تمّ بتمام عمره ﷺ، فإن صحّ ما نقله فالمراد درس ما عنده من السُّوَر و الآيات.

وأُخرى ـ بأنّ قُعود أميرالمؤمنين عليه السلام في بيته لجمع القرآن و تأليفه خوفًا من ضياعه، ممّا لا يقبل الإنكار بعد استفاضة الأخبار بذلك، وكيف يجمع هذا مع كونه مجموعًا مؤلّفًا مرتّبًا متداولاً بين الصّحابة في حياته.

وثالثة ـ بأنّ ما نقله أنّ ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهم ختموا القرآن على النّبيّ ﷺ عدّة ختمات، فإنّما هو من خبر ضعيف رواه المخالفون.

فالجواب عن الأوّل ـ نزول القرآن نجومًا لاينا في ما ذكرنا، فإنّه ليس المراد من كون القرآن مجموعًا مؤلّفًا أنّه بتمامه من سُوَره و آيه، كما هو الآن كان مجموعًا من أوّل نزول القرآن و بعثة الرّسول ﷺ، بل المراد أنّه كلّما نزل من القرآن شيء كانوا يكتبونه في دفاترهم وكتبهم، على نحو ما أمرهم الرّسول ﷺ، ويرضاه من التّرتيب وغيره، والعرض عليه والختم لديه إنّما كان لذلك، وإلّا فنفس القراءة لايحتاج إلى ذلك، فكما أنّ نزول القرآن تمّ بتمام عمره الشّريف، كذلك تأليف القرآن تمّ به، فالقرآن كان مجموعًا مضبوطًا بهذا المعنى، فلا يحتاج إلى جمع آخر صحيحًا أو مغيّرًا و محرّفًا.

وعن الثّاني ـ أنّ قعود عليّ عليه السلام في بيته لتأليف القرآن ممّا لم يثبت فقوله ممّا لا يقبل الإنكار ممنوع، و إن شاع و اشتهر في الألسن، إذ لم يوافقه الدّليل، بل الدّليل على خلافه، قال السّيّد(ره) في محكيّ بعض كلماته لا يجب أن يوحش من المذهب قلّة الذّاهب إليه والعاثر عليه، بل ينبغي أن لا يوحش إلّا ما لا دلالة له تعضده ولا حجّة تعمده. وقال

المفيد(ره) في موضع في محكيّ مقالاته: ولم يوحشني من خالف فيه، فإنّ بالحجّة لي أتمّ أُنس ولا وحشة من حقّ، فقعود أميرالمؤمنين لتأليفه قابل للإنكار، إذ لم تساعده الأدلّة، والأُستاذ البُروجرديّ (مدّ ظلّه) أصرّ على ذلك أشدّ إنكار، كما ستسمعه إن شاء الله.

وأمّا ما ادّعي من استفاضة الأخبار على ذلك فغريب جدًّا فإنّ الرّواية فـي ذلك لا تزيد على ثلاث أو أربع، وهي مع ذلك قابلة للتّأويل إذا عارضها دليل أقوى، مع أنّ بعضها كالصّريح في أنّ المراد منها ما يعمّ التّفسير و التّأويل والوحي الغير القرآنيّ، كما في رواية الاحتجاج أنّه قال طلحة لعليّ عليه السلام: يا أبا الحسن شيء أُريد ... [وذكر كما تقدّم عن سُلَيم بن قَيْس الرّقم ٣، فقال:]

ومن جميع ذلك يظهر أنّ جميع ما ألّفه عليّ عليه السلام ليس قرآنا، بل تـفسيرًا و تـاويلاً و أحكامًا، و ما يفتح من مفتاح ألف باب، و من المعلوم أنّ ذلك كلّه و إن كان وحيًا، و لكنّه ليس من القرآن من شيء، و يؤيّده أيضًا قوله في آخره: ثمّ قال طلحة: فأخبرني عمّا في يديك من القرآن و تأويله و علم الحلال والحرام، إلى من تدفعه و من صاحبه بعدك؟ و أيّ شيء أوضح من هذا؟

وعن الثّالث ـ من العجب أنّه ضعّف رواية عرض القرآن و ختمه على النّـبيّ صلى الله عليه وآله، ورضي بروايات تأليف عليّ عليه السلام القرآن، مع أنّها أيضًا مابين ضعيف ومجهول ومقطوع، و من المعلوم أنّ الصّحابة الّذين نسب إليهم العرض والختم كانوا ذوي قرآن مدوّن مرتّب، طالبهم الخُلفاء ذلك حين أرادوا جمع القرآن، وهو يلائم ما نسب إليـهم، وابـن مسـعود يباهي و يفتخر بقراءته على النّبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام على زيد، وهو صاحب قرآن و كاتب وحي.

[٣] ـ منهم الشّيخ الجليل الطّبرسيّ صاحب التّفسير، حيث حكى ذاك القـول عـن السّيّد المتقدّم، ولم يتعرّض بردّ ولا قبول و ظاهره، حيث ذكره تأييدًا لمذهبه في مسألة عدم تطرّق التّحريف بزيادة ولا نقيصة يشعر بميله إليه واختياره.

[٤] ـ ومنهم السّيّد شارح الوافية كما يظهر من سياق كلامه، حيث قال في جـملة

عباراته المحكيّة، و هو ﷺ إنّما يأتيهم بالوعد والوعيد والتّرغيب والتّهديد والتّكاليف الحادثة و أقاصيص الأُمم السّالفة والأحاديث العجيبة والأقاويل الغريبة، وهناك أُمم ممّن يتطلّعون لما برز منه رغبة أو رهبة، و قد كلّفهم تلقّيه وتلاوته وحفظه والنّظر في معانيه، و وعدهم مع ذلك الجنّات، و ذكر لهم أنحاء من الخصوصيّات، و جعل تلاوته ـ فضلاً عمّا هو أفضل مكانة منها ـ نوعًا من العبادات؛ يتكلّف بها ويظهر الرّغبة فيها المؤمن والمنافق، كالصّوم والصّلاة حتّى إنّ منهم من يقطع اللّيل بتلاوته. على أنّه ﷺ لم يقنع بهذا كلّه، حتّى وكّل لكتابته وحفظه و حراسته أربعة عشر؛ يعرضون عليه، و يدرسونه لديه، لأنّه معجز النّبوّة، و مأخذ الأحكام الشّرعيّة، و مرجع الأُمّة و شاهد الأئمّة، حتّى إنّ جماعة منهم كعبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب ختموه عليه عدّة ختمات، و ما زال يفشو أمره، و ينتشر ضياؤه، ويعلو سناؤه يومًا فيومًا عامًا فعامًا وقرنًا فقرنًا، حتّى صار من أعظم المتواترات ظهورًا، انتهى موضع الحاجة.

[٥] ـ ومنهم المولى فتح الله الكاشانيّ صاحب التّفسير «منهج الصّادقين» قال في مقدّمات ذلك التّفسير ما هذا معرّبه: الفصل الثّامن: في أنّ القرآن كان مجموعًا و مرتّبًا و مؤلّفًا على عهد رسول الله ﷺ على ما عليه علم الهدى...

[٦] ـ ومنهم الحاجّ الشّيخ محمّد النّهاونديّ على ما حكى عنه الشّيخ غلام حسين التّبريزيّ في كتابه الموسوم بـ«رهنماى حقيقت» حيث قال... [وذكر كما تقدّم عنه].

[٧] ـ ومنهم أُستاذنا الأعظم وعمادنا المحكم آية الله العظمى الحاج آقا حسين البروجرديّ (دامت افاضاته) حيث ادّعى في أثناء بحثه تأليف القرآن في عهد الرّسول ﷺ و استبعد ـ بل أنكر ـ تأخيره و أمره بالجمع وصيّه و وزيره وخليفته عليّ بن أبي طالب، وأنكر جمعه عليه السلام غاية الإنكار، و طعن أشدّ طعن على من زعم أنّ عليّ بن أبي طالب جمعه بعد قبض رسول الله ﷺ، و زعم أنّ الرّوايات في ذلك مجعولة من العامّة و الخاصّة، صدرت منهم للاعتذار عن قعود عليّ عليه السلام عن البيعة، و ذيّلها منّا للاحتجاج عليهم بأنّ عليًّا جمع القرآن، فأتاهم به فلم يقبلوا ذلك منه.

[٨] ـ ومنهم أبو الحسين شرف الدّين الموسويّ في رسالته «أجوبة مسائل جارالله»، حيث قال: وكان القرآن مجموعًا أيّام النّبيّ ﷺ على ما هو عليه الآن من التّرتيب والتّنسيق في آياته و سُوَره و سائر كلماته و حروفه، بلازيادة ولانقصان، ولا تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير، وصلاة الإماميّة بمجرّدها دليل على ذلك، لأنّهم يوجبون بعد فاتحة الكتاب في كلّ من الرّكعة الأُولى و الرّكعة الثّانية من الفرائض الخمس سورة واحدة تامّة غير الفاتحة من سائر السُّوَر، ولا يجوز عندهم التّبعيض فيها، ولا القرآن بين السُّورتين على الأحوط، وفقههم صريح بذلك، فلولا أنّ سُوَر القرآن بأجمعها كانت زمن النّبيّ ﷺ على ماهو الآن عليه من الكيفيّة والكمّيّة، ما تمشّى لهم هذا القول، ولا أمكن أن يقوم عليه دليل، انتهى.

على أنّه يظهر عن بعض أرباب التّصنيف أنّ هذا المذهب المحقّق عند الإماميّة كما عن رسالة (أجوبة مسائل جارالله) حيث نسب هذا المذهب إلينا، و قال: أجل إنّ القرآن عندنا كان مجموعًا على عهدالوحي والنّبوّة مؤلّفًا على ما هو عليه الآن، و قد عرضه الصّحابة على النّبيّ ﷺ، و تلوه عليه من أوّله إلى آخره، وكان جبرئيل يعارضه بالقرآن في كلّ عام مرّة، و قد عارضه به عام وفاته مرّتين، و هذا كلّه من الأُمور الضّروريّة لدى المُحقّقين من عُلماء الإماميّة، انتهى.

وأصرح منه ما نقله عن الشّيخ رحمة الله الهِنديّ في كتابه «إظهار الحقّ» وقال و ستَرَوْن هذا الشّيخ الجليل الهنديّ بعد نقله كلام عُلماء الشّيعة حول هذا الموضوع قد علّق عليه كلمة تبيّن كنه مذهبهم فيه، حيث قال ما هذا لفظه:

فظهر أنّ المذهب المحقّق عند عُلماء الفرقة الإماميّة الاثني عشريّة أنّ القرآن الّذي أنزله الله على نبيّه هو ما بين الدّفّتين، وهو ما في أيدي النّاس، ليس بأكثر من ذلك، و أنّه كان مجموعًا مُؤلّفًا في عهد رسول الله ﷺ و حفظه و نقله أُلوف من الصّحابة وجماعة من الصّحابة كعبد الله بن مسعود و أُبيّ بن كَعب و غيرهما، ختموا القرآن على النّبيّ ﷺ عدّة ختمات، انتهى. و إن كان فيما عن الرّسالة مواقع للنّظر، وهؤلاء من العلماء العظام الّذين

عثرت بهم وفاقًا في المرام، و لعلّ غيرهم ممّن لم نعثر عليهم أكثر.

. . . . . .

الفصل الخامس: جمع عليّ عليه السلام القرآن بأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله

ذهب الأخباريّون والمحدّثون وبعض الأُصوليّين و عامّة المخالفين إلى أنّ القرآن لم يكن في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله، و إنّما جمعه عليّ عليه السلام بعد قبضه صلى الله عليه وآله، و أتى به القوم فردّوه عليه، ثمّ أمر الأوّل و الثّاني زيد بن ثابت فجمعه، و ذكروا أيضًا جمعًا من الصّحابة أنّهم جامعوالقرآن، و نحن نشير إليها إجمالاً، ثمّ نذكر ما فيها و ما يستفاد منها، وأمّا روايات جمع عليّ عليه السلام القرآن بأمر الرّسول صلى الله عليه وآله عدّة روايات؛ ذكرها أصحابنا في كتبهم.

فمنها: ما عن تفسيرالقُمّيّ عن عليّ بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن عليّ بن الحَكَم عن سيف عن أبي بكر الحَضْرَميّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام... [وذكر كما تقدّم عن الطُّرَيحيّ، ثمّ ذكر رواية الاحتجاج عن أبي ذرّ كما تقدّم عن العلّامة المَجلِسيّ، و روايتين عن سُلَيم بن قَيْس، كما تقدّم عنه].

و منها: ما عن الكلينيّ عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن عبد الرّحمان ابن أبي نجران عن هاشم عن سالم بن أبي سَلمة عن الصّادق عليه السلام في خبر: فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عَزَّ وجَلَّ، على حدّه، و أخرج المُصْحَف الّذي كتبه عليّ عليه السلام إلى النّاس، و قال: أخرجه عليّ عليه السلام إلى النّاس حين فرغ منه و كتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمّد، قد جمعته بين اللَّوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مُصْحَف جامع فيه القرآن، لاحاجة لنا فيه، فقال: أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا، إنّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه. [إلى أن قال:]

و أمّا الرّوايات الواردة في جمع عليّ عليه السلام القرآن ـ مع قطع النّظر عن الإرسال والقطع و الضّعف والجهالة فيها ـ أنّها لا تقاوم الأدلّة الّتي دلّت على وجوب جمع القرآن و تعيّنه على شخص الرّسول صلى الله عليه وآله، فإنّه إذا كانت شريعته أكمل الشّرائع و ناسخها، و هو خاتم النّبيّين والمبعوث على كافّة النّاس إلى آخر الدّهر، ونزل القرآن مع ما فيه من العظمة والمجد و الكرامة و فصل الخطاب، و فيه تبيان كلّ شيء، ليكون مُعجزًا و مصدّقًا له صلى الله عليه وآله،

و مبيّنًا للحرام والحلال، و جامعًا لأقاصيص السّلف، فتكون عبرة للنّاظرين، والرّسول ﷺ حريص في رسالته، مع أنّه اكتفى بتلاوته و قراءته على النّاس، و ترك جمعه والأمر بجمعه، و هو في معرض النّسيان و الخطأ والفناء والدّسائس، وحوّل ذلك إلى من فوّض الأُمور إليه، مع أنّه يعلم ما تفعل الأُمّة بعده بوصيّه و شريعته، و ذلك ممّا لا يقبله ذو مسكة و يضحك الثّكلى، مع أنّ القرائن من تلك الرّوايات و غيرها كثيرة على أنّه ليس ذاك الكتاب المنزل إعجازًا و تحدّيًا بل تفسيرًا و تأويلاً و ما قارنهما.

ومنها: أنّ بعض الرّوايات تضمّنت أنّ القرآن كان في الصُّحُف والشِّظاظ والأسيار والرِّقاع والحَرير والقراطيس، متفرّقة خلف الفِراش والبُسُط، و من البعيد أن يجعل الرّسول ﷺ القرآن في محلّ كذا، مع أنّه يعظّم القرآن أجلّ تعظيم وتكريم.

ومنها: في بعضها في وصف ذاك القرآن و تأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد ﷺ، وكلّ حلال و حرام، أو حدّ أو حكم أو شيءٍ تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، مكتوب بإملاء رسول الله و خطّ يديه حتّى أرش الخدش. و من المعلوم أنّ القرآن حاوٍ لأُمّهات المسائل وكلّيّاتها، و بيانها وظيفة من خوطب بها، و ما ذكر ليس من شأن القرآن.

ومنها: سؤال طلحة كلّ شيءٍ من صغير أو كبير أوخاصّ أو عامّ كان أو يكون إلى يوم القيامة، فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم، و سوى ذلك أنّ رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم، يفتح كلّ باب ألف باب، و من المعلوم هذا كلّه ليس من القرآن قطعًا.

و منها: أنّ القرآن نزل لهداية النّاس، و قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ اَقْوَمُ﴾[1] ومن شأنه أن يعرض للنّاس ولا يمنع منهم، مع أنّهم منعوه عن النّاس، و أيّما وقع في يد أحد، أو وقع نظره عليه، منعوهم عن النّظر، بل إذا نظر أحد فاستفاد شيئًا سلبه الله عن قلبه، كما[2] عن الكَشّيّ عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن يزداد عن يحيى بن

---

١ ـ الإسراء /٩.

٢ ـ رجال الكشّيّ: ٤٩٢.

محمّد الرّازيّ عن محمّد بن الحسين عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: لمّا أُتي بأبي الحسن عليه السلام أُخذ به على القادسيّة، ولم يدخل الكوفة أُخذ به على برّانيّ البَصْرة، قال: فبعث إليّ مُصْحَفًا وأنا بالقادسيّة، ففتحته فوقعت بين يدي سورة لم يكن، فإذا أطول و أكثر ممّا يقرأها النّاس، قال: فحفظت منه أشياء، فأتى مسافر و معه منديل وطين وخاتم، فقال: هات، فدفعته إليه فجعله في المنديل و وضع عليه الطّين و ختمه، فذهب عنّي ما كنت حفظت منه، فجهدت أن أذكر منه حرفًا واحدًا فلم أذكره، فكلّ هذا يدلّ على أنّ ذاك الكتاب غيرالكتاب المنزل، و هو يختصّ بهم و من مصادر علومهم عليهم السلام.

و منها: من البعيد أن يكون لعبد الله بن مسعود و زيد بن ثابت وغيرهم قرآن مضبوط، كما أجاب عمر: لاحاجة لنا فيه، عندنا مثله، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام قرآن مضبوط حتّى أوصى النّبيّ صلى الله عليه و آله، فجمعه عليّ عليه السلام بعد قبضه.

و منها: أنّ أمر النّبيّ صلى الله عليه و آله بجمعه ليس في أكثر الرّوايات بل في بعضها، لمّا رأى غدر الصّحابة وقلّة وفائهم، لزم بيته و أقبل على القرآن يؤلّفه. و في آخرها: ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: لا تقولوا يوم القيامة: إنّي لم أدعكم إلى نُصرتي، ولم أُذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته. وهو يشعر أنّ جمع ذاك الكتاب كان لأجل الانتصار والاحتجاج و مطالبة حقّه، ولم يكن على أثر أمر النّبيّ صلى الله عليه و آله و وصيّته.

على أنّ أُستاذنا الأعظم البُروجرديّ(مدّ ظلّه العالي) أجاب عن تلك الرّوايات بما حاصله: أنّ الجمهور رووا روايات في مقامين:

الأوّل ـ في بيان فضائل أبي بكر: فرووا فيه الرّوايات الّتي دلّت على أنّ أبابكر جمع القرآن ولم يكن مجموعًا بعد، وهو من فضائله و مناقبه.

والثّاني ـ عند ذكر صحّة الإجماع على خلافة أبي بكر: فرووا فيه روايات جمع عليّ عليه السلام القرآن بأمر النّبيّ صلى الله عليه و آله، وقالوا: قعود عليّ عليه السلام في بيته وعدم حضوره ليس لأجل المخالفة، بل لأجل جمع القرآن بحسب أمر النّبيّ، وهو لا يضرّ في الإجماع و صحّته، فأخذ الإماميّة (رضوان الله عليهم) ذلك عنهم، و أضافوا إليه بأنّه جمع القرآن وختمه

وجاء به المسجد، فعرضه عليهم فردّوه، وقال الرّجل: كذا وكذا، وذلك لأجل الاحتجاج عليهم، وليس ذلك لأجل الرّواية والتّدوين في كتبهم، فزعم من تأخّر عنهم أنّهم نقلوا ذلك للرّواية والتّحديث، وعلى هذا لا حاجة إلى التّعمّق والنّظر في هذه الرّوايات، لأنّها مجعولات.

وأمّا ما نقل في جمع أبي بكر بعد يوم اليَمامَة، فكيف يكون ذلك و أنّ الرّسول ﷺ لمّا طالبهم بدواة وقِرطاس، قالوا كفانا كتاب الله؟ و لمّا أتى عليّ عليه السلام بالقرآن ودعاهم إليه قالوا: لاحاجة لنا فيه، هو ذا عندنا مُصْحَف جامع فيه القرآن. ثمّ يوم اليَمامة يقول: إنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقُرّاء في كلّ المواطن، فيذهب من القرآن كثيرًا.

فكلامهم في ذين الموقفين يدلّ على وجود كتاب و قرآن مجموع في اجتماعهم، و هو لا يلائم قولهم يوم اليَمامة، مع أنّهم رووا عدّة نفر من الصَّحابة قدجمعوا القرآن في عهد النّبيّ، فاللّازم يوم اليَمامة تكثيره واستنساخه، لا جمعه و تأليفه بشهادة واستشهاد، فمن أتى بسورة أو آية ولم يكن له شاهد فيردّ عليه كما في بعض الرّوايات، حتّى أنّ حَفْصَة قالت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلوٰةِ الْوُسْطىٰ﴾ و هي العصر، قال: هل لك شاهد؟ قالت: لا، قال: لا يكون القرآن بقول امرأة واحدة، مع أنّ القرآن ممّا دليله معه كلّما وجد، ولو في تضاعيف كتاب أو مقالة، عرف لايحتاج إلى الشّهادة.

مع أنّ في جامع الأُصول قال الزُّهريّ: فأخبرني عُبَيد الله بن عبد الله: أنّ عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، و قال: يا معشر المسلمين... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٣٢، ثمّ قال:]

وهذا يدلّ على أنّ المصاحف كان في ذلك الوقت كثيرًا، على أنّه لو كان فعل أبي بكر حقًّا خوفًا من ذهاب القرآن و ضياعه، يلزم و يجب عليه أن يكثّر نسخه وينشره، فيكون في أيدي المسلمين واجتماعهم، مع أنّه جمع نسخة واحدة واستأثر بها، فكانت في بيته وطاقه، ثمّ بعده في بيت عمر و طاقه ثمّ في بيت حَفْصَة وطاقها. (٥ ـ ٢٣)

الفصل التّاسع والسّتّون

نصّ الميلانيّ (معاصر) في «التّحقيق في نفي التّحريف»

[أحاديث كيفيّة جمع القرآن]

ثمّ إنّ ممّا يدلّ على النُّقصان أو يثير شُبهات في الأذهان، الأحاديث الّتي يروونها في كيفيّة جمع القرآن، وهي أيضًا كثيرة في العدد و معتبرة في السّند، وإليك شطرًا منها:

١ ـ السُّيوطيّ عن زيد بن ثابت: «قبض رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء».

٢ ـ البُخاريّ بسنده عن زيد بن ثابت، قال: «أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليَمامة... [و ذكر كما تقدّم عنه الرّقم ١ و٢].

٣ ـ وروى البُخاريّ بسنده عن أنس، قال: «إنّ حُذَيْفَة بن اليَمان قَدِم على عُثمان...

[وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤، ثمّ ذكر ثلاث روايات الرّابعة والخامسة والسّادسة عن ابن أبي داود، كما تقدّم عنه ثمّ قال :]

الشُّبهات النّاشئة عن هذه الأحاديث

هذه طائفة من الأحاديث في كيفيّة جمع القرآن، و من أراد المزيد فليراجع أبواب جمع القرآن وغيرها من المظانّ في الصّحاح وغيرها، كـ«كنز العُمّال» و«الإتقان». وفي هذه الأحاديث شُبهات حول القرآن :

الشّبهة الأُولى: جمع القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ

لقد دلّت هذه الأحاديث على أنّ رسول الله ﷺ **قد قبض ولمّا يجمع القرآن**، ففي واحد منها يقول زيد بن ثابت لأبي بكر بعد أن أمره بجمع القرآن: «**كيف تفعل** شيئًا لم يفعله رسول الله»؟ و في آخر يقول: «قبض رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء» و قد تقدّم عن عائشة أنّها قالت بالنّسبة إلى بعض الآيات: «كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها».

وإذا كان القرآن ـ كما تفيد هذه الأحاديث ـ **غير مجموع على عهده** ﷺ على ما هو عليه الآن، و أنّ الصّحابة هم الّذين تصدّوا لجمعه من بعده، **فإنّ من المحتمل** قريبًا ضياع بعضه هنا وهناك، بل صريح بعضها ذلك، و حينئذ يقع الشّكّ في أن يكون هذا القرآن الموجود جامعًا لجميع ما أنزله الله عزّ وجلّ على النّبيّ ﷺ.

الشّبهة الثّانية: جمع القرآن بعد مقتل القُرّاء

وتفيد طائفة أُخرى من أحاديثهم في باب جمع القرآن أنّ الجمع كان بعد أن قُتل عدد كبير من القُرّاء في حرب اليَمامة[1]، فعمدوا إلى جمعه و تدوينه مخافة أن يُفقد القرآن بفقد حُفّاظه وقُرّائه، كما ذهبت آية منه مع أحدهم كما في الخبر. وهذا بطبيعة الحال يورث الشّكّ و الشُّبهة في هذا القرآن.

الشّبهة الثّالثة: جمع القرآن من العُسُب و نحوها و من صُدور الرِّجال

و صريح بعض تلك الأحاديث أنّهم تصدّوا لجمع القرآن من العُسُب والرِّقاع واللِّخاف[2] و من صُدور الرِّجال الباقين بعد حرب اليَمامة، لكن بشرط أن يشهد شاهدان على أنّ ما يذكره قرآن، ففي الحديث عن زيد: «فتتبّعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف و صُدور الرِّجال» و فيه: «وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتّى يشهد شاهدان».

---

١ ـ راجع حول حرب اليَمامة: حوادث السّنة(١١) من تاريخ الطّبريّ ٣:٢٨١ـ٣٠١.

٢ ـ اللِّخاف: حِجارة بيض رِقاق، واحدتها لخفة. الصّحاح (لخف) ٤: ١٤٢٦.

و من المتسالم عليه بين المسلمين عدم عصمة الأصحاب، والعادة تقضي بعدم التّمكّن من الإحاطة بجميع ما هم بصدده في هذه الحالة، بل لا أقلّ من احتمال عدم إمكان إقامة الشّاهدين على بعض ما يدّعى سماعه من النّبيّ ﷺ، بل قد وقع ذلك بالنّسبة إلى بعضهم كعمر في آية الرّجم، حيث ذكروا: «أنّ عمر أتى بآية الرّجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده».

لكنّ العجيب من زيد ردّ عمر لكونه وحده و قبول ما جاء به أبو خُزَيْمة الأنصاريّ وحده، فلماذا ردّ عمر و قبل أبا خُزَيمة؟ وهل كان لأبي خُزَيمة شأن فوق شأن عمر؟ وهو من الخُلفاء الرّاشدين وأحد العشرة المبشّرة بالجنّة عندهم؟!

الشُّبهة الرّابعة: إحراق عُثمان المصاحف

وإعدام عُثمان المصاحف ممّا تواترت به الأخبار، بل من ضروريّات التّاريخ الإسلاميّ و هذه القضيّة ـ بغضّ النّظر عن جزئيّاتها ـ تفضي إلى الشّكّ في هذا القرآن، إذ الاختلاف بينه و بينها قطعيّ، فما الدّليل على صحّته دونها؟ و من أين الوثوق بحصول التّواتُر لجميع سُوَره و آياته؟ لاسيّما و أنّ أصحاب المصاحف تلك كانوا أفضل و أعلم من زيد بن ثابت في علم القرآن، لا سيّما عبد الله بن مسعود الّذي أخرج البُخاريّ عنه أنّه قال... [وذكر كما تقدّم عنه]. (١٨٥-١٩٠)

أحاديث جمع القرآن بين الرّدّ والتّأويل

و أمّا الأحاديث الّتي رووها حول جمع القرآن، المتضاربة فيما بينها، والّتي اعترف بعضهم كمُحمّد أبو زُهرة بوجود روايات مدسوسة مكذوبة فيها[1] فقد الجمع بينها، ثمّ رفع التّنافي بينها و بين أدلّة عدم التّحريف والبناء على أنّ القرآن مجموع في عصر النّبيّ ﷺ و بأمر منه، وإليك بيان ذلك بالتّفصيل:

---

١ ـ المعجزة الكُبرى: ٣٣.

مراحل الجمع

لقد تضاربت روايات أهل السُّنّة حول جمع القرآن، و على ضوئها اختلفت كلمات علمائهم، والمتحصّل من جميعها أنّ الجمع للقرآن كان على مراحل ثلاث؛ الأُولى ـ على عهد النّبيّ ﷺ، حيث كتب في الرّقاع والعُسُب. والثّانية ـ على عهد أبي بكر، و كان بانتساخه من العُسُب والرّقاع وغيرها و جعله في مكان واحد. والثّالثة ـ على عهد عُثمان، والّذي فعله ترتيبه و حمل النّاس على قراءة واحدة هذا ما كادت تجمع عليه كلماتهم.

والجمع في عهد النّبيّ ﷺ كان حفظًا و كتابةً معًا، أمّا «حفظًا» فإنّ الّذين جمعوا القرآن في عهد النّبيّ ﷺ كثيرون[1]. و أمّا «كتابةً» فإنّ القرآن لم يكن كاملاً في الكتابة على عهده عند الّذين حفظوه كاملاً، لكن كانت كتابته كاملة عند الجميع، فهو مكتوب كلّه عند جميعهم، و ما ينقص من عند واحد يكمّله ما عند الآخرين، إلّا أنّه كان متواترًا كلّه عن النّبيّ ﷺ في عصره حفظًا[2].

فعمد أبو بكر إلى جمعه، إذ أمر ـ بعد يوم اليَمامة ـ بجمع تلك الكتابات و جَمَع القرآن منها بتأليفه و تدوينه[3].

ثمّ لمّا كثرت فيه القراءات و وقعت في لفظه الاختلافات جمع عُثمان المصاحف من أصحابها، و حمل النّاس على قراءة واحدة من بينها، و أعدم سائر المصاحف المخالفة لها.

دفع الشُّبهات

لكنّ استخلاص هذه النّتائج من تلك الأحاديث، ودفع الشُّبهات الّتي تلحق بالقرآن، يتوقّف على النّظر في ما ورد في هذا الباب سندًا و متنًا و الجمع بينها بحمل بعضها على البعض بقدر الإمكان، وهذا أمر لا بُدّ منه، فنقول:

---

١ ـ مباحث في علوم القرآن: ٦٥.

٢ ـ المُعجزة الكُبرى: ٢٨.

٣ ـ الإتقان ١:٦٢؛ مناهل العِرفان ١:٢٤٢؛ إعجاز القرآن: ٢٣٦.

أوّلاً ـ لقد وردت عن بعض الصَّحابة أحاديث فيها حصر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ في عدد معيّن، اتّفق عبد الله بن عمرو وأنس بن مالك على أنّهم «أربعة» على اختلاف بينهما في بعض أشخاصهم... [ثمّ ذكر رواية مسروق عن عبد الله بن عمر و روايتين عن أنس، كما تقدّم عن البُخاريّ الرّقم ٧، ١١، ١٢، فقال:]

فأيّ توجيه صحيح لحصر جُمّاع القرآن في أربعة؟ وكيف الجمع بين ما روي عن الصَّحابيّين، ثمّ بين الحديثين عن أنس؟... [ثمّ ذكر قول السّيوطيّ و قول المازِريّ... كما تقدّم عنه و عن ابن حَجَر].

ثانيًا ـ قد اختلفت أحاديثهم في «أوّل من جمع القرآن» ففي بعضها أنّه «أبو بكر» و في آخر «عمر» و في ثالث «سالم مولى أبي حُذَيْفة» و في رابع «عُثمان».

وطريق الجمع بينها أن يقال: إنّ أبابكر أوّل من جمع القرآن، أي دَوَّنه تدوينًا، و أنّ المراد من «فكان [عمر] أوّل من جمعه في المُصْحَف» أي أشار على أبي بكر أن يجمعه، و أنّ المراد فيما ورد في«سالم»: أنّه من الجامعين للقرآن بأمر أبي بكر، و أمّا «عُثمان» فجمع النّاس على قراءة واحدة.

ثالثًا ـ في بيان الأحاديث الواردة في كيفيّة الجمع و خصوصيّاته في كلّ مرحلة. أمّا في المرحلة الأُولى، فقد رووا عن زيد قوله: «كُنّا على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء»[1] وأنّه قال لأبي بكر لمّا أمره بجمع القرآن: «كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله؟!».[2]

إلّا أنّه يمكن الجمع بين هذه الأخبار بحمل النّافية على عدم تأليف القرآن وجمعه بصورة كاملة في مكان واحد، بل كانت كتابته كاملة عند الجميع.

وهكذا تندفع الشّبهة الأُولى

وأمّا في المرحلة الثّانية فإنّه و إن كان أمر أبي بكر بجمع القرآن وتدوينه بعد حرب

---

١ ـ المستدرك: ٢: ٦٦٢.

٢ ـ الإتقان ١: ٢٠٢.

اليَمامة، لكنّ الواقع كثرة مَن بقي بعدها من حُفّاظ القرآن و قُرّائه، مضافًا إلى وجود القرآن مكتوبًا على عهد النّبيّ ﷺ فلا تطرق الشُّبهة من هذه النّاحية في تواتره. و أمّا الحديث: «إنّ عمر سأل عن آيةٍ من كتاب الله كانت مع فلان قتل يوم اليَمامة...» فإسناده منقطع[1].

فالشُّبهة الثّانية مندفعة كذلك

وأمّا جمع القرآن من العُسُب واللِّخاف و صُدورالرِّجال ـ كما عن زيد ـ فإنّه لم يكن، لأنّ القرآن كان معدومًا، و إنّما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النّبيّ ﷺ ولم يكتبوا من حِفظهم. و أمّا قوله: و صُدور الرِّجال: فإنّه كتب الوجوه السّبعة الّتي نزل بها القرآن، فكان يتتبّعها من صُدور الرِّجال ليحيط بها علمًا[2].

وأمّا قول أبي بكر لعمر وزيد: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» فقد قال الشّيخ أبوالحسن السّخاويّ في «جمال القُرّاء»...

[وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ قال:]

وأمّا معنى قوله في الآية الّتي وجدها عند خُزَيْمة فقال أبو شامَة: «و معنى قوله: فقدتُ آية كذا فوجدتها مع فلان... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وأمّا أنّ عمر أتى بآية الرّجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده، فهي رواية مخالفة للمعقول و المنقول[3]، و إن أمكن تأويلها ببعض الوجوه.

وهكذا تندفع الشُّبهة الثّالثة

وأمّا في المرحلة الثّالثة فإنّ عُثمان ـ عندما اختلف المسلمون في القراءة ـ أرسل إلى حَفْصَة يطلب منها ما جُمع بأمر أبي بكر قائلاً: «أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخها في المصاحف ثمّ نردّها عليك، فأرسلت بها حَفْصَة إلى عُثمان، فأمر زيد بن ثابت و...

---

١ ـ الإتقان ١:٥٩.

٢ ـ المرشد الوجيز: ٥٧.

٣ ـ الجواب المنيف في الرّدّ على مدّعي التّحريف: ١٢١.

فنسخوها في المصاحف...»[١].

هذا هو الواقع في هذه المرحلة، و ما خالفه يطرح أو يؤوّل كالحديث الّذي روي: أنّه كان لا يقبل من أحد شيئًا حتّى يشهد شاهدان، أوّله ابن حَجَر على أنّ المراد من «الشّاهدين» هو «الحفظ والكتابة»، و ناقش البَيْهَقيّ في سنده و تبعه أبو شامَة و صبحيّ الصّالح[٢]، قال أبو شامَة بعد أن رواه: «وأخرج هذا الحديث الحافظ البيهقيّ في كتاب «المدخل» بمخالفة لهذا في بعض الألفاظ و بزيادة و نقصان، فقال: جلس عُثمان على المنبر فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: إنّما عهدكم... **[وذكر كما تقدّم عن العاصميّ، ثمّ قال:]**

قال البَيْهَقيّ: فيه انقطاع بين مُصْعَب و عُثمان، و قد روينا عن زيد بن ثابت أنّ التّأليف... **[وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة، ثمّ قال:]**

قال أبو شامَة: «وأمّا ما روي من أنّ عُثمان جمع القرآن أيضًا من الرّقاع كما فعل أبو بكر... **[وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]**

و أمّا ما رووا عن ابن مسعود من الطّعن في زيد بن ثابت فكلّه موضوع[٣]، و أنّ عمل زيد لم يكن كتابة مبتدأة ولكنّه، إعادةً لمكتوب، فقد كتب في عصر النّبيّ ﷺ، أنّ عمله لم يكن عملاً آحاديًّا بل كان عملاً جماعيًّا[٤]. **(٢٤١ـ٢٤٨)**

[ثمّ ذكر قول العاصميّ في المصاحف المُحرقة، و رواية كَعْب القُرَظيّ، كما تقدّم عنه].

في أحاديث جمع القرآن

لقد وعد الله سبحانه نبيّه بحفظ القرآن و بيانه، و ضَمِن له عدم ضياعه ونسيانه.

وكان النّبيّ ﷺ كلّما نزل من القرآن شيء أمر بكتابته، و يقول في مفرّقات الآيات:

١ ـ صحيح البُخاريّ ٦: ٢٢٥ـ٢٢٦.
٢ ـ مباحث في علوم القرآن: ٧٦.
٣ ـ نفس المصدر: ٨٢.
٤ ـ المعجزة الكُبرى: ٣٣.

ضعوا هذه في سورة كذا...[١].

وكان ﷺ يعرضه على جبرئيل في شهر رمضان في كلّ عام مرّة، و عرضه عليه عام وفاته مرّتين[٢].

وحفظه في حياته جماعة من أصحابه، وكلّ قطعة كان يحفظها جماعة كبيرة أقلّهم بالغون حدّ التّواتُر، هذا هوالحقّ والأمر الواقع.

وقد أوردنا أحاديث القوم في قضيّة جمع القرآن، و وجدناها متناقضة، وعقّبناها بذكر ما قيل أو يمكن أن يقال في معناها و وجه الجمع فيما بينها، فهل ترتفع المشكلة بهذا الأُسلوب؟... [ثمّ أدام في بحثه بنقد جملة من هذه الرّوايات، و إن شئت فراجع].(٢٧٦ ـ ٢٩٢)

---

١ ـ مسند أحمد ١:٥٧؛ التِّرمذيّ ١١:٢٢٥؛ أبو داود ١:٢٩٠؛ المستدرك ٢:٢٣٠.

٢ ـ صحيح البُخاريّ ١:١٠١ وغيره.

الفصل السّبعون

نصّ الدّكتور الصّغير (معاصر) في «دراسات قرآنيّة»

جمع القرآن

لجمع القرآن في الرّوايات تاريخ متناقض عجيب، ألقى بتبعته على القرآن الكريم، والقرآن أسمىٰ من أن يقدح فيه تعارض الرّوايات وتداخل الأهواء،فهو محفوظ كما نزل و سالم كما أُوحي.

هذه الرّوايات بعد ضمّ بعضها إلى البعض الآخر تسفر عن هذه النّتائج المتضاربة:

أ ـ مات النّبيّ ﷺ والقرآن مكتوب كلّه على العُسُب واللِّخاف والرِّقاع والأكتاف، ولكنّه لم يجمع في مُصْحَف، وقد راع أبا بكر كثرة القتل في القُـرّاء بـعد وقـعة اليَـمامة فيالسَّنة الثّانية عشرة للهجرة، فاستشار عمر في الأمر، فأقرّا معًا جمع القرآن من الصُّحُف إلى المُصْحَف، أو من العُسُب واللِّخاف والأقتاب إلى الصُّحُف، وكلّفا بالمهمّة زيـد بـن ثابت.

ب ـ أنّ عمر بن الخطّاب كان أوّل من جمع القرآن بعد النّبيّ ﷺ بعد أن سأل عن آية فلم يجب إليها، ونهض بالمهمّة زيد بن ثابت.

ج ـ أنّ أبا بكر مات، و عمر قد قتل، و لم يجمع القرآن بعد، أي أنّ المسلمين في حالة فوضىٰ من شرائع دينهم وكتاب ربّهم.

د ـ أنّ عُثمان كان أوّل من جمع المُصْحَف تارةً، وأوّل من وحّـد المُـصْحَف تـارةً أُخرى.

هـ ـ أنّ القرآن كان مجموعًا في عهد النّبيّ ﷺ وأنّ جامعيه كانوا من الكثرة بحيث يعدّون تارةً، و يخصّصون تارةً أُخرى، ولا يحاط بهم سواهما.

ولقد وقفت من هذه الرّوايات موقف المندهش تارةً، و موقف المتحيّر تارةً أُخرى، و قرّرت في «النّهاية» دراستها في موضوعيّة خالصة، أخلص منها إلى نتائج سليمة، قد تقارب الواقع وتتّجه نحوالصّواب بإذن الله.

وهذه الدّراسة تعني بالاستنباط القائم على أساس الاجتهاد الفكريّ، والاجتهاد معرّض للخطأ والصّواب، وهي لا تمسّ القرآن ولا الحديث، وإنّما تسير بينهما هامشيًّا، فالقرآن هو القرآن أنّى كانت طرقه، وليس في جميع روايات الجمع ما هو مرفوع إلى رسول الله ﷺ. من خلال ما تقدّم نظفر بحصيلتين متعارضتين:

الأُولى ـ أنّ النّبيّ مات والقرآن بعد لم يجمع في مُصْحَف.

الثّانية ـ أنّ القرآن كان مجموعًا في عهد النّبيّ في مُصْحَف.

يدلّ على الحصيلة الأُولى طائفة الرّوايات المتناثرة لإثبات الفقرات أ، ب، ج، د.

و يدلّ على الحصيلة الثّانية طائفة الرّوايات والدّلائل والبَراهين لإثبات الفقرة هـ.

ولسنا نحاول تفنيد روايات الحصيلة الأُولى بقدر ما يهمّنا إثبات حقيقة الحصيلة الثّانية. لقد تتبّع السّيّد الخوئيّ ـ فكفانا مؤونة الخوض في ذلك ـ روايات الجمع بناءً على الحصيلة الأُولى في كلّ من «صحيح البُخاريّ»، و«مسند أحمد»، و«كنزالعُمّال»، و «منتخب كنزالعُمّال»، و «الإتقان للسُّيُوطيّ»، وكان أهمّ هذه الرّوايات من خلال تعقيبه عليها ـ غثّها و سمينها ـ اثنتين و عشرين... [ثمّ أشار إلى قول آية الله الخوئيّ في تناقض روايات الجمع، كما تقدّم عنه، فقال:]

والحقّ أنّ الخوئيّ قد تتبّع هذه القضيّة بكلّ جزئيّاتها و تفصيلاتها، و انقضّ عليها يفنّدها و يجرحها، مثبتًا أنّ القرآن قد دوّن في عهد رسول الله ﷺ وهذا ما نذهب إليه من خلال اضطلاعنا بأدلّة جمّة تستقطب جملة من الرّوايات، وطائفة من الأدلّة الخارجيّة والدّاخليّة حول الكتاب و ضمن الكتاب و على هامش الكتاب، تثبت دون ريب تكامل

الجمع التّدوينيّ للقرآن في عهد النّبيّ ﷺ . ولا نريد أن ندخل في متاهة من هذا الموضوع بقدر ما نريد إثبات الحقيقة والوصول إليها بكلّ الطّرق المختصرة.

ففي جملة من الرّوايات المعتبرة نجد جزءًا لا يستهان به من هذه الحقيقة:

١ ـ في البُخاريّ، أنّ من جمعوا القرآن على عهد النّبيّ ...[وذكر كما تقدّم عنه].

٢ ـ مات النّبيّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدَّرداء، ومُعاذ بن جَبَل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد... [ثمّ ذكر في الثّالثة رواية البَيهَقيّ عن ابن سيرين والرّابعة رواية الشَّعبيّ، كما تقدّم عن أبي شامَة].

٥ ـ وجمع على عهدالنّبيّ ﷺ بعض من الصّحابة القرآن كلّه، وبعض منهم جمع القرآن، ثمّ كمّله بعدالنّبيّ ﷺ، وذكر محمّد بن إسحاق فيالفهرست:«أنّ الجُمّاع للقرآن على عهد النّبيّ ﷺ ... [وذكر كما تقدّم عنه].

٦ ـ وذكر الحافظ شمس الدّين الذّهبيّ أنّ الأعداد المتقدّمة هم الّذين عرضوه على النّبيّ ﷺ واتّصلت بنا أسانيدهم، وأمّا من جمعه منهم، ولم يتّصل بنا فكثير. وأمّا الّذين عرضوا القرآن على النّبيّ فسبعة: عُثمان بن عَفّان، وعليّ بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعريّ، وأبوالدَّرداء...

وقد أكّد الحافظ الذّهبيّ نفسه الجمع في عهد النّبيّ ﷺ، فقال: وقد جمع القرآن غيرهم من الصَّحابة، كمُعاذ بن جَبَل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، وعبدالله بن عمر، وعُقْبَة بن عامِر.[1]

٧ ـ روى الخوارزميّ في مناقبه عن عليّ بن رياح، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأُبيّ بن كَعْب.[2]

٨ ـ أخرج ابن أبي داود عن محمّد بن كعب القُرَظيّ... [وذكر كما تقدّم عن ابن حَجَر].

٩ ـ قال الحارث المَحاسبيّ فيما أكّده الزّركشيّ... [وذكر كماتقدّم عنه].

---

١ ـ البرهان ١: ٢٤٢ و مابعدها.

٢ ـ تاريخ القرآن للزّنجانيّ: ٤٧.

١٠ ـ أخرج البَيْهَقيّ و أبو داود عن الشَّعبيّ...[وذكر كما تقدّم عن أبي شامَة].

١١ ـ ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن: قيس بن أبي صَعْصَعَة، و هو خزرجيّ يكنّى أبا زيد.[1]

١٢ ـ قال أبو أحمد العسكريّ: لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عُبَيْد، وقال ابن حبيب في المحبّر: سعد بن عُبَيد أحد من جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ.[2]

١٣ ـ قال السُّيوطيّ: ظفرت بامرأة من الصّحابيّات جمعت القرآن، ولم يعدّها أحد ممّن تكلّم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطّبقات: أنبأنا الفضل بن دُكَيْن، قال: حدّثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدّثتني جدّتي أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث ـ وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويسمّيها الشّهيدة ـ وكانت قد جمعت القرآن... ثمّ ساق الحديث.[3]

وهذه الجملة من الرّوايات بضمّ بعضها إلى البعض الآخر تبرز لنا طائفة كبيرة من أعلام المهاجرين والأنصار قد جمعت القرآن في عهد رسول الله ﷺ، وليس من المرجّح أن يكون هؤلاء الرُّواة جميعًا مع اختلاف عصورهم قد تواطؤوا على الكذب، فأوردوا ذكر هذه الجَمْهَرة من الصَّحابة ممّن جمعوا القرآن، ولا منازع لهم في ذلك، بل ولا مناقش من الأعلام.

وأنت ترى أنّ هذه الرّوايات تدلّ دلالة قاطعة على الجمع المتعارف، وهو التّدوين في مجموع ما، و قد يحلو للبعض أن يفسّر الجمع بالحفظ في الصُّدور، ولا دلالة لغويّة عليه، إذ إنّه انتقال باللّفظ عن الأصل إلى سواه دون قرينة تعرف عن المعنى الأوّل، ولأنّه معارض بجمهور الحفظة الّذين لا يعدّون في عهد النّبيّ ﷺ كثرة وتواتُرًا و شُيوعًا، من النّساء والرِّجال وفيهم الخُلفاء الأربعة وأُمّهات المؤمنين وذرّيّة رسول الله ﷺ عدا آلاف المسلمين في طول البلاد وعرضها.

---

١ ـ الإتقان ١: ٢٠٢.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

لقد عقّب الماوَرديّ على الرّواية القائلة بأنّه لم يجمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلّا أربعة، واستقلّ ذلك بل استنكره، فقال: «وكيف يمكن الإحاطة بأنّه لم يكمله سوى أربعة، والصَّحابة متفرّقون في البلاد؟ وإن لم يكمله سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون»[١].

فالماوَرْديّ هنا يفرّق بين الجمع والحفظ، وهو من عُلماء القرن الخامس الهجريّ، ممّن يعرف فحوى الخطاب، ومنطوق العبارة، ودلالة الألفاظ.

والفرق بين الجمع والقراءة والحفظ جليٌّ لا يحتاج معه إلى بيان... [ثمّ ذكر قول أبي عُبَيدة في عدد القُرّاء، كما تقدّم عن ابن حَجَر، فقال:]

وهذا العدد يقتضي أن يكون على سبيل النَّموذج والمثال، لا على سبيل الحصر والاستقصاء، أو أنّ هؤلاء ممّن اشتهر بالحفظ والقراءة أكثر من غيرهم.

و ممّا يؤيّد صدق الرّوايات المتقدّمة في إرادة الجمع المتعارف هو تداول جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ بما روي عن زيد بن ثابت، فإنّه يقول: «كنّا حول رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرِّقاع»[٢]. ودلالة التّأليف، تعني الجمع والتّدوين، وضمّ شيء إلى شيء، ليصحّ أن يطلق عليه اسم التّأليف.

ولا دليل على ادّعاء الزَّركَشيّ بأنّ بعض القرآن جمع بحضرة النّبيّ،[٣] فلم لا يكون كلّ القرآن جمع في حضرة النّبيّ ﷺ علمًا بأنّه قد سبقه من صرّح بجمع القرآن كلّه لا بعضه في عهد النّبيّ ﷺ بما نصّه: «أنّه لم يكن يجمع القرآن كلّه إلّا نفر يسير من أصحاب الرّسول ﷺ»[٤].

ولا ريب ـ بعد هذا كلّه ـ أنّ هناك بعض المصاحف المتداولة عند بعض الصَّحابة في عهد رسول الله ﷺ، والأخبار مجمعة على صحّة وجودها، و على تعدّد مصاحف الصَّحابة

---

١ ـ البرهان ١: ٢٤٢.

٢ ـ المُرشد الوجيز: ٤٤.

٣ ـ البُرهان ١: ٢٣٧.

٤ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٢٥.

أيضًا، إذ لو لم يكن هناك جمع بالمعنى المتبادر إليه، لما كانت تلك المصاحف أصلاً، إنّ وجودها نفسه هو دليل الجمع، إذ لم يصدر منع من النّبيّ عن جمعه، بل هناك رواية عنه ﷺ تقول: «لا تكتبوا عنّي شيئًا سوى القرآن، فمن كتب عنّي غير القرآن فليمحه»[١].

وجمع هؤلاء الصّحابة للقرآن هوالجمع الّذي نقول به، لا الحفظ، وإلّا فما معنى تسميتها بالمصاحف؟ و ما معنى اختلاف هذه المصاحف فيما تدّعي الرّوايات.

لقد أورد ابن أبي داود قائمة طويلة بأسماء مصاحف الصّحابة، و عقّب عليها بما فيها من الاختلاف، هذا الاختلاف الّذي قد يعود في نظرنا إلى التّأويل لا إلى التّنزيل، أو إلى عدم الضّبط في أسوأ الاحتمالات، وقد عقّد لذلك بابًا سمّاه «باب اختلاف مصاحف الصّحابة»[٢].

وقد عدّد ابن أبي داود منها: مُصْحَف عمر بن الخطّاب، مُصْحَف عليّ بن أبي طالب، مُصْحَف أُبيّ بن كعب، مُصْحَف عبد الله بن مسعود، مُصْحَف عبد الله بن عبّاس، مُصْحَف عبد الله بن الزُّبَير، مُصْحَف عبد الله بن عمرو بن العاص، مُصْحَف عائشة زوج النّبيّ ﷺ، مُصْحَف حَفْصَة زوج النّبيّ ﷺ مُصْحَف أُمّ سَلَمَة زوج النّبيّ ﷺ[٣].

قال الآمديّ (ت: ٦١٧هـ) في كتابه «الأفكار الأبكار»: «إنّ المصاحف المشهورة في زمن الصّحابة كانت مقروءة عليه ﷺ و معروضة»[٤].

فالآمدي يجيبنا على سؤال دقيق هو: متى كتبت هذه المصاحف؟ و متى جمعت؟ وكيف أقرّت؟ والجواب أنّها كتبت في عهد النّبيّ، و قرئت عليه، بل هي معروضة عليه للضّبط والدّقّة والإتقان.

وهناك دليل جوهريّ آخر، وهو أنّ الرّوايات في قراءة القرآن كلّه و ختمه في عهد رسول الله ﷺ تنطق بوجود جمعيّ له، إذ كيف يقرأ فيه من لم يحصل عليه؟

---

١ ـ الخطيب البغداديّ، تقييد العلم: ٢٩.

٢ ـ كتاب المصاحف: ٥٠ ـ ٨٨.

٣ ـ المصدر نفسه.

٤ ـ الزّنجانيّ، تاريخ القرآن: ٣٩.

١ ـ «عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال اختمه في شهر... [وذكر كماتقدّم عن العاصميّ].

وقد روي في غير هذا الحديث أنّ النّبيّ قال له أوّل مرّة اقرأ القرآن في أربعين.

٢ ـ وروي عنه ﷺ قوله: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث» فأيّ قرآن يشير إليه النّبيّ إن لم يكن مجموعًا و متداولاً بما تتيسّر قراءته عند المسلمين.

٣ ـ و من المشهور الّذي لا يجهل أنّ عمر بن الخطّاب... [وذكر كما تقدّم عن العاصميّ، ثمّ قال:]

وهذا تصريح بوجود المصاحف المغايرة لما استنسخه زيد، وأنّ سيرة المسلمين عليها، إذ لم يعمّم مُصْحَف زيد.

وصاحب الرّأي السّابق يذهب صراحة أنّ القرآن كان منظومًا و مجموعًا على عهد رسول الله.[1]

وقد يقال: بأنّ الكتابة كانت محدودة في عصر الرّسول الأعظم ﷺ، وقد يحول هذا دون تدوين القرآن، فيقال: إنّ عصرالنّبيّ و عصر أبي بكر واحد، فمايقال هناك يقال هنا. على أنّ موضوع الكتابة لا يخلو من مبالغة، فهي و إن كانت محدودة النّطاق، ومقتصرة على طبقة من النّاس، فإنّنا نشكّك كثيرًا في تحديد الأرقام الّتي أوردها المؤرّخون، ولنا عليها مؤاخذات ليس هذا موطن بحثها، ويزداد شكّنا حينما نلمح البلاذُريّ يقول: «دخل الإسلام و في قريش سبعة عشر رجلاً يكتب»[2].

أو ما أورده ابن عبد ربّه الأندلسيّ: «لم يكن أحد يكتب بالعربيّة حين جاء الإسلام، إلّا بضعة عشر رجلاً»[3].

لا ريب أنّ العرب كانت أُمّة أُمّيّة، إلّا أنّ هذه الأرقام لا تتناسب مع ذكر القرآن للكتابة و أدواتها و مشتقّاتها بهذه الكثرة. على أنّ للأُمّيّة دلالات أُخرى، لعلّ من أفضلها

---

١ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٣١.

٢ ـ فتوح البُلدان: ٤٧٧.

٣ ـ ابن عبد ربّه، العقد الفريد ٤:٢٤٢.

تعليلاً ما رواه ابن أبي عُمير عن معاوية بن عَمَّار عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادقعليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ...﴾[١] قال الصّادقعليه السلام: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بُعث إليهم رسول، فنسبهم الله إلى الأُمّيّين»[٢].

ومهما يكن من أمر فأُمّيّة من أسلم، و قلّة الكتبة، و تضاؤل وسائل الكتابة، لم تكن موانع تحول دون تدوين القرآن.

فلقد اتّخذ النّبيّ عددًا من الكُتّاب للقرآن الكريم في كلّ من مكّة والمدينة، في طليعتهم الخلفاء الأربعة و زيد و أُبيّ»[٣].

قال القاضي أبو بكر الباقِلّانيّ: «و ما على جديدالأرض أجهل ممّن يظنّ بالنّبيّصلى الله عليه وآله أنّه أهمل في القرآن أو ضيّعه، مع أنّ له كُتّابًا أفاضل معروفين بالانتصاب لذلك من المهاجرين والأنصار، فممّن كتب له من قُريش من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، وعُثمان، وعليّ، وزيد بن أرقم، وخالد بن سعيد، و ذكر أهل التّفسير أنّه كان يملي على خالد بن سعيد، ثمّ يأمره بطيّ ما كتب وختمه، ومنهم الزُّبَير بن العَوّام، وحنظلة، وخالد بن أسد، وجَهَم بن الصَّلت، وغير هؤلاء...»[٤].

ولا شكّ أنّ الكتابة كانت تخضع للإشراف المباشر من قبل رسول اللهصلى الله عليه وآله بالذّات، ليكون النّصّ مطابقًا للوحي، كما مرّ في حديث خالد بن سَعيد، وكما روى زيد بن ثابت: «كنت أكتب الوحي عند رسول الله وهو يملي عليّ، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثمّ أخرج به إلى النّاس»[٥].

ولقد كان العرب في جاهليّتهم يهتمّون اهتماماً كبيرًا في تقييد المأثور الدّينيّ، ففي

---

١ ـ الجمعة /٢.
٢ ـ الميزان: وانظر مصدره.
٣ ـ ظ: الوزراء والكُتّاب: ١٤.
٤ ـ نكت الانتصار: ١٠٠.
٥ ـ الصّوليّ، أدب الكُتّاب: ١٦٥.

حديث سُوَيد بن الصّامت: أنّه قال لرسول الله ﷺ لعلّ الّذي معك مثل الّذي معي، فقال: وما الّذي معك؟ قال سُوَيد: مجلّة لقمان، فقال رسول الله ﷺ أعرضها عليّ، فعرضها عليه، فقال له: إنّ هذا الكلام حسن، والّذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى، هو هدى ونور.[1]

وإذا كان اهتمام العرب في الجاهليّة بمثل هذا المستوى من الجمع والتّدوين للموروث الثّقافيّ أو الدّينيّ، فكيف يكون اهتمامها بالقرآن الكريم، والنّبيّ بين ظهرانيهم يدعوهم إلى حفظه ومدارسته والقيام به؟ لكأنّني بالآية حينما يتلوها الرّسول الأعظم ﷺ تتلاقفها الصّدور لتدوّنها في السّطور، ولقد كان من سيرته ﷺ متى ما أسلم أحد من العرب دفعه إلى الّذين معه، فعلّموه القرآن، و إذا هاجر له أحد من أصحابه أوكله إلى من يعلّمه القرآن... [ثمّ ذكر قول عُبَادة بن الصّامت، كما تقدّم عن الزُّرقانيّ].

يقول محمّد عبد الله دَرّاز:«إنّ النّصّ المنزل لم يقتصر على كونه (قرآنًا) أو مجموعة من الآيات تتلى أو تقرأ، و تحفظ في الصّدور، وإنّما كان أيضًا (كتابًا) مدوّنًا بإعداد، فهاتان الصّورتان تتضافران وتصحّح كلّ منهما الأُخرى، ولهذا كان الرّسول كلّما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين، أملاه من فوره على كتبة الوحي»[2].

و ممّا يدلّ على تدوينه وكتابته مجموعًا في عهد رسول الله مضافًا إلى ما سبق بيانه ما يلي:

١ ـ كان ﷺ إذا نزلت عليه الآية من السّورة دعا من يكتب له فيقول: ضعها في موضع كذا وكذا من السّورة. وهذا من أوضح الأدلّة على أنّ هذا التّرتيب الّذي رتّبه الله عليه، ولأجله كان ﷺ يدلّهم على موضع السُّوَر من القرآن، والآية من السّورة، ليكتب و يحفظ على نظمه و ترتيبه.[3]

٢ ـ لقد ورد لفظ الكتاب في القرآن والسُّنّة النّبويّة القطعيّة الصّدور، للدّلالة على ما له

---

١ ـ السّيرة النّبويّة ٢:٦٨، الزّمخشريّ: الفائق ١:٢٠٦.

٢ ـ محمّد عبد الله دَرّاز، مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٤.

٣ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٤١.

كيان جمعيّ محفوظ، والإشارة بل التّصريح في ذلك الكتاب إلى القرآن الكريم، فقد استعمل لفظ الكتاب في القرآن بهذا المَلْحظ في أكثر من مائة موضع، و نضرب لذلك بعض النّماذج... [ثمّ ذكر بعض النّماذج من الآيات الّتي استعملت فيها لفظة الكتاب، وإن شئت فراجع].

أفلا يدلّ هذا الحشد الهائل إلى أنّ القرآن كان كتابًا مجموعًا يشار إليه. و ممّا يعضده ما ورد في السُّنّة الشّريفة من التّصريح بالكتاب في عدّة مواضع أبرزها... [ثمّ ذكر حديث الثَّقَلَين كما تقدّم في مواضع متعدّدة].

فهل يعني استخلاف الكتاب أن يترك بين عُسُب ورِقاع وألواح تارةً، أو بين أقتاب وأكتاف ولِخاف تارةً أُخرى، أم أنّ استخلافه له ينبغي أن يكون مجموعًا منظّمًا صالحًا لمعنى الخلافة.

٣ ـ ممّا لا شكّ فيه أنّ الاسم البارز و الأمثل لسُورة الحمد هو (فاتحة الكتاب)، ولو لم يكن القرآن مدوّنًا من قبل رسول الله ﷺ بوحي من جبرئيل عليه السلام «لما كان لتسميته هذه السُّورة فاتحة الكتاب معنى، إذ قد ثبت بالإجماع أنّ هذه السُّورة ليست بفاتحة سُوَر القرآن نزولاً، فثبت أنّها فاتحته نظمًا و ترتيبًا و تكلّمًا».

٤ ـ قد يقال بأنّ جمع القرآن في عهد النّبيّ هو حفظه في الصُّدور، وهذا وإن كان دعوى لا دليل عليها، فإنّ من أبسط لوازمها أنّ الحفظ في الصُّدور ممّا يستدعي توافر النّصّ بين الأيدي و تداوله للمعارضة بين ما يحفظ و بين ما هو مثبت، ولا دليل أنّهم كانوا يحفظونه مباشرة عند تلاوة النّبيّ له، إذ هذه الميزة من مميّزات الرّسول الأعظم ﷺ، فبمعارضة جبرئيل له بحفظ النَّصّ القرآنيّ، و يستظهره، و بتعهّد من الله له كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ﴾...[1] [إلى أن قال:]

٥ ـ «ومن المعلوم الّذي لا خفاء به أنّ النّبيّ ﷺ قد كان يؤمّ أصحابه في الصّلوات الخمس؛ لا يخلّ بذلك في سفرٍ ولا حضرٍ، فقرأ في الرّكعتين من كلّ صلاة بسُورة مع فاتحة

١ ـ القيامة /١٦ـ١٧.

الكتاب، و يسمعهم ذلك في الغداة والعشيّ، فماذا كان يسمعهم ليت شعري؟ إن كانت آيات القرآن متفرّقة ولم تنظّم السُّوَر، حتّى أنّها نظّمت في أيّام أبي بكر و عُثمان، فبماذا كان يقرع العرب حيث يقول الله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[1]؟

ذلك ممّا نزل بمكّة، ثمّ قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[2]. و نزل ذلك بالمدينة، ولو كان على ما خيّلوا لم يكن العبّاس بن عبد المطّلب يهرب يوم حُنين، حيث انهزم القوم فيقول: يا أصحاب سُورة البقرة، و سورة آل عمران، هذا رسول الله، يستدعيهم بذلك إليه»[3].

٦ ـ أورد ابن حَجَر ما أخرجه أحمد و أبو داود عن أوس بن أبي أوس... [وذكر كما تقدّم عن ابن كثير ثمّ قال:]

قال ابن حَجَر: فهذا يدلّ على أنّ ترتيب السُّوَر على ما هو عليه في المُصْحَف الآن كان على عهد رسول الله.[4]

٧ ـ أورد السُّيوطيّ في مسألة القراءة في المُصْحَف أفضل من القراءة من حفظه، لأنّ النّظر في المُصْحَف عبادة مطلوبة، أورد عدّة روايات مرفوعة إلى النّبيّ ﷺ فيها ذكر المُصْحَف، ممّا يعني أنّ لفظ «المُصْحَف» المجموع فيه القرآن كان شائعًا و معروفًا، و ذا دلالة معيّنة منذ عهد النّبيّ، فما رفع إليه على سبيل المثال:

أ ـ ما أخرجه الطَّبَرانيّ والبَيْهَقيّ في الشُّعَب من حديث أوس الثّقفيّ مرفوعًا: «قراءة الرّجل في غير المُصْحَف ألف درجة، و قراءته في المُصْحَف تضاعف ألفي درجة».

ب ـ ما أخرجه البَيْهَقيّ عن ابن مسعود مرفوعًا: «من سرّه أن يحبّ الله و رسوله، فليقرأ في المُصْحَف».

---

١ ـ هود /١٣.
٢ ـ البقرة /٢٣.
٣ ـ مقدّمتان في علوم القرآن: ٢٧.
٤ ـ فتح الباري ٩: ٤٢.

ج ـ وأخرج بسند حسن موقوفًا: «أديموا النّظر في المُصْحَف[1]».

د ـ وأخرج غير السُّيوطيّ عن أبي هُرَيْرة: أنّ النّبيّ ﷺ قال: الغُرباء في الدّنيا أربعة، وعدّ منها مُصْحَفًا لا يقرأ فيه.[2]

هـ ـ وروى ابن ماجة وغيره عن أنس مرفوعًا: «سبع يجري للعبد أجرهنّ بعد موته وهو في قبره، وعدّ منهنّ: من ورّث مُصْحَفًا»[3].

و ـ وعن ابن عمر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدوّ، مخافة أن ينالوها، وفي لفظ آخر: نهى أن يسافر بالمُصْحَف إلى أرض العدوّ.[4]

فهذه الأحاديث وأمثالها ـ إن صحّت ـ دليل صريح على وجود جمعيّ وكيان تأليفيّ للقرآن في مُصْحَف، بل في المُصْحَف نفسه.

والزَّركَشيّ مع قوله: إنّ القرآن كان على هذا التّأليف... [وذكر كما تقدّم عنه ثمّ قال:]

فيردّه التّصريح بالجمع فيما تقدّم من روايات وأدلّة وأمارات يقطع العقل بصحّتها، والتّحقيق العلميّ يقتضي أن يكون القرآن كلّه قد كتب وجمع في عهد النّبيّ ﷺ كما يرى ذلك ابن حَجَر.[5]

أمّا تعليله عدم جمع القرآن في مُصْحَف بنسخ التّلاوة، فمعارض ومطروح بمناقشة المسألة أصلاً وموضوعًا، إذ لا نسخ تلاوة في الكتاب الكريم، والقول بنسخ التّلاوة هو عين القول بالتّحريف، ولا تحريف بالكتاب إجماعًا، فالآية حينما تنزل فهي قرآن سواء نسخت أو لم تنسخ، ورفعها من القرآن يعني رفع ما هو قرآن.

وعلى فرض وجود النّسخ المدّعى، فالإشكال نفسه يرد بالنّسبة للحفظ والاستظهار، فحُفّاظ القرآن أكثر من أن يحصوا، فإذا نزل النّاسخ للتّلاوة وقع ذات

١ ـ الأحاديث أ، ب، ج، في الإتقان للسُّيوطيّ، ١: ٣٤ وما بعدها.
٢ ـ فيض القدير، المناويّ.
٣ ـ الإتقان ٤: ١٦٦.
٤ ـ كتاب المصاحف: ١٨٠ـ١٨١.
٥ ـ فتح الباري: ٩: ١٢.

الإشكال، وصعب إزالة ما هو محفوظ في الصُّدُور، بينما لو ثبت كتابة، لكان الرّفع والإزالة أيسر، و ذلك بالإشارة إلى مواضعها، وهو أبرم للأمر كما هو ظاهر.

وفي ضوء ما تقدّم لا نميل إلى الرّأي القائل بأنّ القرآن لم يجمع في مُصْحَف واحد، لئلاّ يرد النّاسخ فيؤدّي إلى الاختلاف.

والّذي يلفت النّظر حقًّا من جرّاء الاعتقاد أو التّصوّر بأنّ أبابكر قد جمع القرآن في مُصْحَف، هو مصير هذا القرآن المجموع، فليس بين أيدينا رواية واحدة تتحدّث عن هذا القرآن بأنّه قد جمع للمسلمين، أو جعل قيد الاستعمال، أو استنسخ منه ولو نسخة واحدة إلى مكّة مثلاً، وهي حرم الله، وقد بقي هذا الحرم فيما يزعم دون قرآن يقرأ أو يتعلّم أو يستظهر فيه.

و أغلب الظّنّ إذا صحّت روايات الجمع المدّعي، فإنّ أبابكر قد جمع لنفسه قرآنًا في مُصْحَف كما جمع غيره من الصّحابة، وإلّا فلو جمعه للمسلمين، وليس للمسلمين قرآن مجموع، لكان من الضّرورة الملحّة بمكان أن لا يغيب عن ظنّه احتياج المسلمين لعدّة نسخ منه على الأقلّ، كما فعل عُثمان فيما بعد، أو لأوضح بأنّه القرآن الرّسميّ للدّولة الّتي يقوم على رأسها، ولو اعتذر بأنّ حياته لم تطل، لكان من الواجب على عمر تنفيذ ذلك.

والأغرب من هذا كلّه أنّه لم يحدّثنا التّاريخ أنّ أحدًا في عهد أبي بكر وعمر قد استنسخ من هذا القرآن شيئًا، ممّا اضطرّ فيه الدّكتور دَرّاز أن يعبّر عن رأيه فيه بقوله: «ولكن رغم قيمة هذا المُصْحَف العظيمة، ورغم مايستحقّه من العناية الّتي بذلت في جمعه، فإنّ مجرّد بقائه محفوظًا بعناية عند الخليفتين الأوّلين أسبغ عليه الطّابع الفرديّ أو الشّخصيّ بعض الشّيء، ولم يصبح وثيقة للبشر كافّة إلّا من يوم نشره، ولكنّ فرصة نشره لم تتح إلّا في خلافة عُثمان بعد معارك أرمينيّة وأذربيجان».[1]

على أنّ ما صرّح به الحاكم في المستدرك أنّ ذلك كان جمعًا في الصُّحُف لا في المُصْحَف، إذ قال: «فكانت الصُّحُف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله ثمّ عند عمر حياته، ثمّ

١ ـ مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٨.

عند حَفْصَة بنت عمر».[١]

وقد قطع ابن أبي داود بأنّها صُحُف في عدّة مواضع من كتابه.[٢] و درّاز و إن اعتبر ما جمعه أبو بكر بحسب الرّوايات الّتي ناقشناها، مُصْحَفًا إلّا أرجعه إلى عهد رسول الله بالطّريقة الّتي عبّر عنها بقوله: «ولا يفوتنا أن ننبّه هنا إلى أنّ آيات مُصْحَف حَفْصَة لا ترجع إلى الخليفة الأوّل، و إنّما ترجع بنصّها الكامل إلى رسول الله»[٣].

ومهما يكن من أمر، فقد أورد ابن حَجَر، بناء على صحّة بعض الرّوايات في شأن الكتابة قوله: «ولم يأمر أبو بكر إلّا بكتابة ما كان مكتوبًا»[٤].

وهذا هو الاستنساخ بعينه، ولا مانع أن يستنسخ أبو بكر لنفسه مُصْحَفًا شأن بقيّة الصَّحابة، و قد أيّد ذلك ابن شِهاب بقوله: «أنّ أبابكر الصّدّيق كان جمع القرآن في قراطيس، و قد سأل زيد بن ثابت النّظر في ذلك فأبىٰ، حتّى استعان عليه بعمر ففعل»[٥].

فهذه الرّواية تدلّ صراحة أنّ أبابكر قد جمعه في قراطيس، وقد طلب من زيد باعتباره من كُتّاب الوحي أن ينظر فيه لتقويمه، ولا دلالة فيه على جمع مُصْحَفيّ، وإلى تصدّيه لذلك.

ولا يفوتنا التّنبيه أنّ جملة من الرُّواة يعتبرون الجمع إنّما تمّ في عهد عمر لا أبي بكر، و منه ما أخرجه ابن أبي داود عن طريق الحُسين، «أنّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قُتل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله، ثمّ أمر بالقرآن فجمع، فكان أوّل من جمعه في المُصْحَف»[٦].

وفي رواية أُخرى، قال ابن إسحاق: لمّا جمع عمر بن الخطّاب المُصْحَف، وفي نصّ

١ ـ الإتقان ١:١٦٥.
٢ ـ المصاحف: ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥...
٣ ـ مدخل إلى القرآن الكريم: ٤٦.
٤ ـ فتح الباري، ٩:١٣.
٥ ـ البيان: ٢٤٢ وانظر مصدره.
٦ ـ المصاحف: ١٠؛ الإتقان ١:١٦٦.

آخر: لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام...[١]

ولم يكتف هؤلاء بترك القرآن متناثرًا في عهد رسول الله وأبي بكر، حتّى قالوا بجمعه في عهد عمر، ممّا فتح باب القول للمستشرقين في ذلك، فقد أيّد «شواللي» الشّكّ في صحّة الرّواية القائلة بأنّ أبا بكر هو الّذي أمر بجمع القرآن.[٢]

وقال بروكلمان: «وممّا يحتمل كثيرًا من الشّكّ ما ذكرته الرّواية من أنّ معركة اليَمامة الحاسمة مع مُسَيْلِمة سنة ١٢هـ / ٦٦٣م الّتي قُتل فيها عدد كبير من قُرّاء الصَّحابة، هي الّتي قدّمت الدّاعي إلى جمع القرآن، على أنّ الخليفة عمر هو الّذي أمر زيد بن ثابت ـ وكان شابًّا مدنيًّا كتب كثيرًا للنّبيّ ـ أن يقوم بجمع القرآن وكتابات الوحي، وبقي هذا المجموع في حوزة عمر، ثمّ ورثته حَفْصَة، ولعلّ هذا المجموع الأوّل كان صُحُفًا متناثرة»[٣].

وأغرب ممّا تقدّم ما أخرجه ابن أشتة، قال: «مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، و قتل عمر ولم يجمع القرآن»[٤].

وكلّ هذه الاعتبارات بما فيها ما أكّد المستشرقون تتضمّن تلويحًا خفيًّا بل تصريحًا جليًّا بأنّ القرآن قد مرّت عليه عهود و عصور وهو بعد لم يدوّن، وإنّما دوّن بعد ذلك اعتمادًا على نُصوص قد تكون ناقصة أو ممزّقة، وعلى روايات شفويّة قابلة للخطأ والسَّهو والنِّسيان، للقول من وراء هذا بالتّحريف، وهو ما نرفضه جملةً و تفصيلاً.

وإذا سلّمنا بأنّ جمع القرآن قد تمّ بعهد الصّحابة، و أنّهم قد استشهدوا على إثباته بشاهدين[٥]، و أنّ آيات لم يجدوها إلّا مع معيّنين بالذّات «فعن زيد قال: كتبت المصاحف، ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خُزَيْمة بن ثابت الأنصاريّ:

---

١ ـ البيان: ٢٤٤ وانظر مصدره.

٢ و ٣ ـ تاريخ الأدب العربيّ ١: ١٣٩ وما بعدها.

٤ ـ الإتقان ١: ٢٠٢.

٥ ـ نفس المصدر ١: ١٦٧.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ...﴾[١] وكذلك آية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾[٢] و غيرها و غيرها.[٣]

فلا يصحّ حينئذٍ عدّ آيات القرآن في أماكنها من السُّوَر، ولا السُّوَر من المُصْحَف توقيفيًّا، و إنّما هو باجتهاد من الصَّحابة، كما تدلّ عليه تضافر روايات الجمع في ذلك، و إذا قلنا بتوقيف الآيات في السُّوَر، و السُّوَر من المُصْحَف، فلا بدّ أن نقول: إنّ القرآن قد جمع على عهد رسول الله ﷺ، و هو ما نميل إليه و نرجّحه في ضوء ما تقدّم.

قال البَيْهَقيّ، وأحسن ما يحتجّ به أن يقال: إنّ هذا التّأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النّبيّ ﷺ وأخذه عن جبرئيل.[٤]

وهناك ثلاثة مواقف تجلب الانتباه عند جملة من أرباب علوم القرآن، فهي تقدّم رجلاً و تأخّر أُخرى، فلا تريد أن تقول: إنّ القرآن لم يجمع بعهد رسول الله، ولا تريد أن تقول: إنّ أبا بكر قد جمع القرآن سابقًا إلى الموضوع:

الأوّل ـ عمليّة الاستنساخ الّتي صرّح بها أبو عبد الله الحارث بن أسد المَحَاسِبيّ (ت ٢٤٣هـ) بقوله: «كتابة القرآن ليست بمحدثة... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ]

الثّاني ـ ما ورد في المقدّمة الأُولى في علوم القرآن بإجمال على شكل فتوى تارةً، و تحذير تارةً أُخرى... [ثمّ ذكر قول العاصميّ، كما تقدّم عنه].

الثّالث ـ موقف الزّركشيّ المتردّد بين السّلب والإيجاب فيما ردّ به توهّم بعض النّاس أنّ القرآن لم يجمع بعهد رسول الله ﷺ متبيّنًا رأي الحارث المَحَاسِبيّ بقوله: وفي قول زيد بن ثابت: فجمعته من الرّقاع والأكتاف وصُدور الرّجال...[وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

وفي ضوء ما تقدّم يجب أن ندع التّشريق والتّغريب جانبًا في قضيّة جمع القرآن،

---

١ ـ الأحزاب /٢٣.

٢ ـ التّوبة /١٢٨.

٣ ـ المصاحف: ٣١.

٤ ـ الإتقان ١: ٣٠٩.

و أن نخضع للواقع الموضوعيّ و الجرأة العلميّة، فنقول: إنّ القرآن جمع ودوّن كاملاً بكلّ حيثيّاته و جزئيّاته في عهد رسول الله، و بأمر من الوحي، و بإشارة من القرآن نفسه، مادام هناك أثر قطعيّ من كتاب أو سنّة أو عقل أو إجماع، فلا نركن إلى روايات آحاد لا تبلغ حدّ الشّهرة، فضلاً عن التّواتُر الّذي لا يثبت القرآن إلّا به بإجماع المسلمين، وأن نعتبر النّبيّ ﷺ مسؤولاً أمام الوحي عن جمع القرآن و تدوينه، كمسؤوليّته عن نشره وتبليغه، و فيما قدّمناه من دلائل و براهين و روايات إثبات لما تَبَنّاه.

نعم لا شكّ أنّ عُثمان قد جمع القرآن في زمانه... [وذكر كما تقدّم عن السّيّد الخوئيّ، ثمّ ذكر رواية ابن أشتة في اختلاف القراءة، كما تقدّم عن السّيوطيّ فقال:]

هذا فيما شاهد عُثمان في المدينة المنوّرة من الاختلاف في القراءات والوجوه واللُّغات، فاقتصر من سائرها على لُغة قُريش، لأنّ القرآن نزل بلُغتهم.

وقد يبدو من رواية أُخرى أكثر شيوعًا أنّ الاختلاف امتدّ إلى الثُّغور بين الأجناد، فطعن بعضهم بقراءة البعض الآخر، فهال هذا الأمر حُذَيْفة بن اليَمان، وكان يغازي أهل الشّام... [وذكر كما تقدّم نحوه عن البخاريّ الرّقم ٤، ثمّ ذكر جزء من رواية أبي إسحاق عن مُصْعَب، كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٤١، فقال:]

ويستدلّ في كثير من الرّوايات أنّ هذا التّرتيب والجمع على قراءة واحدة وفي مُصْحَف واحد، كان على ملأ من أصحاب رسول الله، و بمشاورة من أهل القرآن.[1]

وكان رسول الله ﷺ يلقّن أصحابه، و يعلّمهم ما ينزّل عليه من القرآن على التّرتيب الّذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إيّاه على ذلك، و إعلامه عند نزول كلّ آية أنّ هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السُّورة الّتي يذكر فيها كذا، و روي معنى هذا عن عُثمان بالذّات.[2]

قال الحارث بن أسد المَحاسبيّ(ت:٢٤٣): والمشهور عند النّاس أنّ جامع القرآن

---

١ ـ المصاحف: ١٢؛ المرشد الوجيز: ٦٤.

٢ ـ البرهان ٩:٢٣٩؛ الإتقان ١:١٧١.

عُثمان... [وذكر كما تقدّم عن السُّيوطيّ، ثمّ قال:]

يقول الدّكتور طه حسين: «وليس من شكّ في أنّ ما أقدم عليه عُثمان من توحيد المُصْحَف وحسم هذا الاختلاف، وحمل المسلمين على حرف واحد، أو لغة واحدة يقرأون بها القرآن، عملٌ فيه كثير من الجراءة، ولكن فيه من النّصح للمسلمين أكثر ممّا فيه من الجراءة، فلو قد ترك عُثمان النّاس يقرأون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها، لكان هذا مصدر فرقة لا شكّ فيها، ولكان من المحقّق أنّ هذه الفرقة حول الألفاظ ستؤدّي إلى فرقة شرّ منها حول المعاني بعد أن كان الفتح، و بعد أن استعرب الأعاجم، و بعد أن أخذ الأعراب يقرأون القرآن...»[١].

وحينما تمّ توحيد المُصْحَف على الشّكل المقرّر استنسخ عُثمان منه عدّة مصاحف، أرسل بها إلى الأمصار... [إلى أن قال:]

وهذا العدد أوعى في توحيد القراءة لاستيعابه كبريات الآفاق الإسلاميّة آنذاك، فما دامت المهمّة بهذا الاتّجاه، فالأنسب التّوسّع في استنساخ جملة من المصاحف تؤدّي الهدف بعناية شموليّة.

وأيًّا كان عدد هذه المصاحف، فقد كانت الأساس لاستنساخ آلاف المصاحف في الدّيار المترامية الأطراف، موحّدة منظّمةً مؤصّلة، اشتملت على القرآن بجزئيّاته وحيثيّاته كافّة، دون زيادة أو نُقصان، أو تغيير أو تحريف، بل هي من الوثوق بكونها عين القرآن الّذي أُنزل على الرّسول الأعظمﷺ بجميع خصوصيّاته في ا لتّنزيل والتّرتيب والتّوقيف.

وليس أدلّ على ذلك من شهادة أعلام المستشرقين في تأكيد هذه الحقيقة العلميّة، مع ابتعادهم عن كثير من ضروريّات الإسلام، ولكنّه الحقّ الّذي يفرض ذاتيّته وموضوعيّته في أغلب الأحيان.

قال السّير وِلْيَم مُوير: «إنّ المُصْحَف الّذي جمعه عُثمان قد تواتر انتقاله من يدٍ ليدٍ

---

١ ـ الفتنة الكُبرى ١:١٨٢ وما بعدها.

حتّى وصَل إلينا بدون أيّ تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أيّ تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول: إنّه لم يطرأ عليه أيّ تغيير على الإطلاق في النّسخ الّتي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلاميّة الواسعة».

ولم يكن اختلاف المسلمين في الفروع والجزئيّات مانعًا من إجماعهم المنقطع النّظير على توثيق كلّ تفاصيل القرآن من ألفه إلى يائه.

ولقد كان الأُستاذ لوبلوا موضوعيًّا حينما أكّد بقوله: «إنّ القرآن هو اليوم الكتاب الرّبّانيّ الوحيد الّذي ليس فيه أيّ تغيير يذكر»[1].

وحينما تمّ إقرار المُصْحَف الإمام، واستنسخت المصاحف في ضوئه، وسيّرت إلى الآفاق ـ وكان ذلك في سنة خمس وعشرين من الهجرة النّبويّة.[2] ـ أنس عُثمان بصنيعه هذا، وعمد إلى توثيقه وتفرّده بصيغتين:

الأُولى ـ إرساله من يثق المسلمون بحفظه وإقرائه مع مُصْحَف كلّ إقليم بما يوافق قراءته، وكان ذلك موضع اهتمام منه في أشهر الأقاليم، فكان زيد بن ثابت مقرىء المُصْحَف المدنيّ، وعبد الله بن السّائب مقرىء المُصْحَف المكّيّ، والمُغيرة بن شِهاب مقرىء المُصْحَف الشّاميّ، وأبو عبد الرّحمان السُّلَميّ مقرىء المُصْحَف الكوفيّ، وعامر ابن عبد القَيْس مقرىء المُصْحَف البَصْريّ.[3]

الثّانية ـ أمره بما سواه من القرآن في كلّ صَحيفة ومُصْحَف أن يحرق.[4]

وكان هذا العمل مَدْعاة للنّقد حينًا، ومجالاً للتّشهير به حينًا آخر، حتّى قال الخوئيّ: «ولكنّ الأمر الّذي انتقد عليه هو إحراقه لبقيّة المصاحف، وأمره أهالي الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عُثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتّى

---

١ ـ المدخل إلى القرآن الكريم: ٤٠ وانظر مصدره.

٢ ـ الإتقان، ١: ١٧٠.

٣ ـ مناهل العرفان ١: ٣٩٦ وما بعدها.

٤ ـ الإتقان، ١: ١٦٩.

سمّوه بحرّاق المصاحف»[١].

وقد عقّب على ذلك الدّكتور طه حسين بقوله: «وربّما تحرّج بعض المسلمين من تحريق ما حرّق عُثمان من المُصْحَف، ولم يقبلوا اعتذاره بحسم الفتنة وقطع الخلاف، ولو قد كانت الحِضارة تقدّمت بالمسلمين شيئًا لكان من الممكن أن يحتفظ عُثمان بهذه الصُّحُف الّتي حرّقها على أنّها نُصوص محفوظة لا تتاح للعامّة، بل لا تكاد تتاح للخاصّة، و إنّما هي صُحُف تحفظ ضنًّا بها على الضّياع، ولكنّ المسلمين لم يكونوا قد بلغوا في ذلك العصر من الحِضارة ما يتيح لهم تنظيم المكتبات وحفظ المحفوظات، وإذا لم يكن على عُثمان جناح فيما فعل ـ لا من جهة الدّين ولا من جهة السّياسة ـ فقد يكون لنا أن نأسىٰ لتحريق تلك الصُّحُف، لأنّه إن لم يكن قد أضاع على المسلمين شيئًا من دينهم، فقد أضاع على العُلماء والباحثين كثيرًا من العلم بلُغات العرب ولهجاتها، على أنّ الأمر أعظم خطرًا و أرفع شأنًا من علم العلماء، و بحث الباحثين عن اللُّغات واللّهجات»[٢].

ومهما يكن من رأي حول هذا الموضوع، فإنّ من المقطوع به أنّ المُصْحَف العُثمانيّ هو النّصّ القرآنيّ الوحيد الّذي عليه عمل المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها، وهو الكتاب المقدّس الوحيد الّذي أُحيط بعناية و رعاية خاصّة، حتّى نقل بالتّواتُر القطعيّ جيلاً بعد جيل.

و يبدو أنّ بعض نُسَخ المُصْحَف العُثمانيّ قد كانت معروفة في القرن الثّامن الهجريّ.

[ثمّ ذكر قول ابن كثير والزّنجانيّ في وصف المُصْحَف العُثمانيّ و رؤيته، كما تقدّم عنهما، فقال:]. وقد تتبّعت هذا الأمر في المتحف البريطانيّ، فلم أظفر بحصيلة يطمئنّ إليها بوجود هذا المُصْحَف.

نعم هناك عدّة مصاحف في دارالكتب المصريّة مكتوبة بالخطّ الكوفيّ، و لكنّ الزّخارف والنّقوش توحي بأنّها لا علاقة لها بأيّة نسخة من المصاحف العُثمانيّة. (٦٩ـ٩٥)

١ ـ البيان: ٢٥٨.

٢ ـ الفتنة الكُبرى، ١:١٨٣ وما بعدها.

الفصل الحادي والسّبعون

نصّ الدّكتور شَحاته (معاصر) في «تاريخ القرآن والتّفسير»

القرآن في عهد أبي بكر

١ ـ التّفكير في جمع القرآن

لم يجمع القرآن في كتاب واحد في حياة النّبيّ ﷺ بل كان مجزّءًا في العُسُب واللِّخاف والعِظام، و ما تيسّر من الرِّقاع و غيرها ممّا يكتب عليه.

وإنّما لم يجمع القرآن في حياة الرّسول لاستمرار نزول الوحي واحتمال نزول ناسخ لبعض الآيات، ولعدم الحاجة إلى جمع المُصْحَف طالما رسول الله بين المسلمين، وهو المرجع الأوفى للقرآن الكريم. فلمّا تولّى أبو بكر خلافة المسلمين، نشط لحرب المرتدّين عن الإسلام ، واستشهد جمع من المسلمين في هذه الحروب خصوصًا في معركة اليَمامة الّتي قتل فيها مُسَيْلِمة الكذّاب، واستشهد فيها من المسلمين مئتان و ألف، بينهم تسعة و ثلاثون من كبار الصَّحابة وسبعون من حُفّاظ القرآن[١]. **[إلى أن قال:]**

٢ ـ حديث البخاريّ... [ثمّ ذكر رواية زيد بن ثابت عن البُخاريّ، كما تقدّم عنه الرّقم ١و ٢].

٣ ـ توضيح و بيان: ذكرنا حديث زيد بن ثابت برواية البُخاريّ، و قد أجمعت الرّوايات على صحّته، بيد أنّه يحتاج إلى بيان و توضيح أُسجّله فيما يلي:

---

١ ـ الصّدّيق أبو بكر: ٣٠٩.

١ ـ أصل القرآن كان محفوظًا في الصّدور متلوًّا في المحاريب.

٢ ـ أصل القرآن كان مكتوبًا في جذاذات ورِقاع متفرّقة.

٣ ـ عمل زيد و من معه كان ترتيب هذه الجذاذات و الرِّقاع وجمعها و مقابلتها بالمحفوظ والمتواتر.

٤ ـ لم يعتمد زيد على حفظه و ذاكرته ولا على ما كتبه لرسول الله، و هو من أوثق كُتّاب الوحي، و إنّما جمع كلّ ما كتب من القرآن، وجلس هو وعمر بن الخطّاب على باب المسجد، وقالا: «من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئًا فليأتنا به»[١].

٥ ـ استوثق زيد و من معه في جمع القرآن زيادة في الحيطة والعناية والتّثبّت «كان لا يقبل من أحد شيئًا، حتّى يشهد شاهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ»[٢].

٦ ـ كان زيد قد سمع القرآن جميعه من رسول الله، و وعاه معه جموع المسلمين وكتبوه أيضًا. وكان الحفظ مستفيضًا و الكتابة معروفة لجميع نصوص القرآن، غير أنّ آيتين من آخر سورة «براءة» لم تكونا مكتوبتين إلّا عند أبي خُزَيمة الأنصاريّ، و هو الرّجل الّذي اختصّه النّبيّ بشهادة رجلين، فكتبهما زيد في مكانهما من المُصْحَف.

٧ ـ المُصْحَف المجموع احتفظ به كوثائق العقود الّتي تودع للحاجة والمستقبل، أمّا حقيقتها الخارجيّة فليست محلّ جدل، لأنّها أشبه بالمحسوسات المادّيّة الرّاسخة.

٨ ـ ثبت نصّ القرآن بالتّواتُر المستفيض، و روته جموع غفيرة يؤمن تواطؤها على الكذب، و تكفّل الله بحفظه، و تمّت كتابته على أوثق وجه بمشورة عمر و اقتناع أبي بكر و همّة زيد بن ثابت و صِدق عزيمته، فهو أصدق وثيقة عرفها التّاريخ؛ لم يدخله تبديلٌ ولا تغييرٌ: ﴿لاَتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾[٣].

٩ ـ شهد المنصفون بالدّقّة البالغة في جمع القرآن والصّدق والتّثبُّت في روايته؛ قال

---

١ ـ الإتقان ١: ١٠٠.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ - يونس / ٦٤.

المستشرق الإنجليزيّ «سيروِلْيَم مُويِر»: «إنّ القرآن بمحتوياته ونظامه ينطق في قوّة بدقّة جمعه، فقد ضَمّت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامّة، لا تعمُّلَ فيها ولا تكلّف، وهذا الجمع لا أثر فيه ليد تحاول المهارة أو التّنسيق، وهو يشهد بإيمان الجامع وإخلاصه لما يجمع، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدّسة و وضع بعضها إلى جانب بعض».

فعمل زيد كان مقتصرًا على جمع الرِّقاع من القرآن و ربطها بخيط و حفظها عند الخليفة، لتكون نصًّا خالدًا باقيًا على مدى الحياة.

ويقول «سيروِلْيَم مُويِر» أيضًا: «والأرجح أنّ العالم كلّه ليس فيه كتاب غيرالقرآن ظلّ اثني عشر قرنًا كاملاً بنصّ هذا مبلغ صفائه و دقّته».

روايات حول جمع القرآن

أ ـ تذهب رواية إلى أنّ عمر بن الخطّاب أوّل من جمع القرآن فيالمُصْحَف[١]، ذلك أنّه سأل يومًا عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، فقُتِل يوم اليَمامة، فقال: إنّا لله، وأمر بالقرآن فجمع، و يمكن أن نجمع بين هذه الرّواية و بين المتواتر بأنّ عمر كان أوّل من رأى جمع القرآن، وأشار على أبي بكر به، وظلّ يناقشه حتّى أقنعه. أمّا الجمع نفسه فقد تمّ في عهد أبي بكر، و يؤيّد ذلك ما روي عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: «رحمة الله على أبي بكر؛ كان أعظم النّاس أجرًا في جمع المصاحف، وهو أوّل من جمع ما بين اللّوحين». و قد تواترت بذلك شهادة عدد كبير من أصحاب رسول الله.

ب ـ ويذهب بعض الرُّواة إلى أنّ جمع القرآن بدأ في عهد أبي بكر، و تمّ في عهد عمر، و رواية البُخاريّ أوثق، فهي تفيد أنّ جمع الصُّحُف تمّ في عهد أبي بكر، و أودعت عنده الصُّحُف، ثمّ عند عمر بعد وفاة أبي بكر، ثمّ عند حَفْصَة بنت عمر، ثمّ انتقلت إلى عُثمان، ليعتمد عليها في جمع النّاس على مُصْحَف واحد.

---

١ ـ الإتقان ١: ٥٩؛ المصاحف لابن أبي داود: ٢٠.

ج ـ وتذهب بعض الرّوايات إلى أنّ عليّ بن أبي طالب أوّل من جمع القرآن بعد وفاة الرّسول.

ونرى أنّ عمل عليّ كان عملاً فرديًّا ليحتفظ لنفسه بمُصْحَف، وهو جهد خاصّ، شجّعه أبو بكر، كما شجّع غيره من الصَّحابة على جمع المُصْحَف، أمّا مُصْحَف أبي بكر فقد كان مُصْحَفًا توفّرت له جهود جمهور المسلمين و جموع الصَّحابة.

روى أشعث عن محمّد بن سيرين: «لمّا توفّي ﷺ أقسم عليّ... **[وذكر كما تقدّم عن ابن أبي داود، الرّقم ٩ ثمّ قال:]**

ونسبة جمع القرآن إلى عليّ ذكرت من عدّة روايات في الإتقان وغيره، كما نسب إلى سالم مولى أبي حُذَيْفة أنّه أوّل من جمع القرآن في مُصْحَف[1]، وهو محمول على أنّه كان من أوّل الجامعين بأمر أبي بكر.

ومن هذا نرى أنّ نسبة جمع القرآن إلى عمر أو عليّ أو أبي حُذَيْفة أو غيرهم روايات فرديّة لاتناهض الصّحيح المتواتر، وهي على فرض صحّتها مؤوّلة. وأرى أنّ أبا بكر لم يعارض في جمع عليّ أو سالم أو غيرهما مُصْحَفًا لنفسه على أنّه مُصْحَف خاصّ لقراءته، وأنّ جمع أبي بكر للمُصْحَف كان توثيقًا؛ تضافرت له أوثق صفات الجمع الصّحيح.

ولذلك قال عليّ ـ فيما حدّث به سُفيان عن السُّدّيّ عن عبد خير ـ «أعظم النّاس أجرًا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع ما بين اللَّوحين...»[2].

القرآن في عهد عُثمان

١ ـ امتداد الفتوحات

امتدّت الفتوحات في عهد عُثمان ﷺ، وسمح عُثمان للقرشيّين أن ينتشروا في

١ ـ الإتقان ١:٥٩.

٢ ـ المصاحف ١:٥؛ الإتقان: ١:٥٩ هو أوّل من جمع كتاب الله.

الأمصار، وكان عمر قد منعهم من ذلك وأبقاهم في المدينة، وأخذ أهل كلّ مصر عن رجل من القُرّاء... [ثمّ ذكر اختلاف القراءات في الأمصار... كما تقدّم عن الرّافعيّ وغيره، فقال:]

٢ ـ أسباب جمع عُثمان للمُصْحَف

وردت عدّة روايات ذكرت فيها الأسباب الّتي حملت عُثمان على جمع المُصْحَف:

١ـ فمنها: ما يفيد أنّ السّبب هو أنّ عُثمان رأى اختلاف معلّمي القرآن بعضهم مع بعض، وتعصّبهم لقراءة تعلّموها، وإنكارهم لما عداها؛ روى ابن أبي داود في المصاحف: أنّه لمّا كانت خلافة عُثمان جعل الرّجل يعلم قراءة الرّجل... [وذكر كما تقدّم عنه وعن الطّبريّ].

٢ ـ ومنها: ما يفيد أنّ القرآن جمع بمشورة حُذَيفة بن اليَمان، لمّا رأى اختلاف النّاس في العراق، وفي رواية: أنّ حُذَيْفَة رأى هذا التّعصُّب في مسجد الكوفة، والكوفة جزء من العراق؛ روى ابن أبي داود أنّ حُذَيْفة كان في مسجد من مساجد الكوفة زمن ولاية الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعيط، فسمع رجلاً يقول: قراءة ابن مسعود، وسمع آخر يقول: قراءة أبي موسى، فقام فخطب في النّاس فقال: هكذا اختلف من كان قبلكم، والله لأركبنّ إلى أميرالمؤمنين.

وذكر الحافظ رواية جاء فيها: أنّ عُثمان قال تمترون في القرآن؟! تقولون: قراءة أُبيّ، قراءة عبد الله، ويقول الآخر: والله ما تقيم قراءتك!

٣ـ ومنها: ما يفيد أنّ سبب الجمع هو التقاء جموع من الأمصار المختلفة في مواطن الغزو والجهاد، واستماعهم للقراءات المختلفة، وتعجّبهم، وإنكارهم لاختلاف طرق أداء القرآن، وانتقالهم من التّعجّب إلى الشّكّ والمداجاة، ثمّ إلى التّأثّم والملاحاة، وبلغ ذلك عُثمان فأمر بجمع القرآن.

وأنت ترى أنّ تعدّد الرّوايات في أسباب الجمع لاتضارب بينها، فكلّ الرّوايات تلتقي على أنّ هناك أسبابًا جَدّت في المجتمع الإسلاميّ، حَدَت بعُثمان إلى جمع القرآن.

ويمكن أن يكون هذا الخلاف حدث في المدينة أمام عُثمان، وحدث في العراق وفي

الكوفة أمام حُذَيْفة، و رأى حُذَيْفة اختلاف المجاهدين في القراءة حين كان يغازي أهل أرمينيّة، فرفع ذلك إلى عُثمان.

ولعلّ أسبابًا أُخرى للجمع لم تذكرها الرّوايات وإن عرفت من بين القرائن، هي جهل الجمهور الجديد بنزول القرآن على سبعة أحرف، وهم حتّى إن عرفوا الحديث الّذي ينصّ على نزول القرآن على هذه الأحرف، فإنّهم يجهلون القراءات الصَّحيحة الّتي يحتكمون إليها عند الاختلاف.

لذلك رأى عُثمان جمع النّاس على مُصْحَف واحدٍ بلُغة قُريش، و هي الّتي نزل بها القرآن، توحيدًا للكلمة، و درءًا للفتنة، و رعايةً للمصلحة العامّة، و جمعًا للنّاس على كتاب واحد، هو أساس دينهم و محور حياتهم، فالتقاؤهم عليه التقاء على حبل متين، وركن ركين.

وإذا علمنا أنّ جزءًا من هذا الاختلاف كان في أماكن الغزو ومواطن الجهاد، حيث السُّيوف مشرعة، والأسنّة مستعدّة، أدركنا ما يصيب الأُمّة من التّفرّق، و ما يفيدها من الاجتماع على مُصْحَف واحد.

٣ـ حديث البُخاريّ

روى البُخاريّ في صحيحه بسنده عن ابن شِهاب: أنّ أنس بن مالك حدّثه: أنّ حُذَيفة بن اليمان... [وذكر كما تقدّم عنه الرّقم ٤].

٤ـ تعليق على الحديث

والمتأمّل في هذا الحديث والنُّصوص الواردة في موضوعه يخرج بالنّتائج الآتية:

١ـ أنّ جمع عُثمان المُصْحَف كان بمشورة حُذَيْفة بن اليَمان، والرّوايات الأُخرى تفيد أنّ عُثمان جمعه لمّا رأى اختلاف القُرّاء بالمدينة، وكأنّ عُثمان توقّع أن يكون قُرّاء الأمصار أشدّ اختلافًا، فلمّا جاء حُذَيْفة تأكّد لديه ما توقّعه، فأمر بجمع القرآن.

٢ـ أنّ الجمع في عهد عُثمان اعتمد أساسًا على الجمع الّذي كتب في عهد أبي بكر، وقد حظي الجمع الأوّل بعناية الصَّحابة و موافقتهم، و تضافرت له جهود متعدّدة، و أشرف

عليه زيد بن ثابت كاتب الوحي، وقد تمّ الجمع الأوّل بعد وفاة الرّسولﷺ بمدّة وجيزة والقرآن غضّ طريّ، والوحي يتلى في كلّ مكان. وذكر القُرطُبيّ: أنّ زيدًا جمع القرآن في عهد أبي بكر غير مرتّب السُّوَر بعد تعب شديد، وأنّ الصُّحُف حفظت بعد جمعها عند أبي بكر، ثمّ عند عمر، ثمّ عند حَفْصَة.

٣ ـ أحرق عُثمان عددًا من المصاحف الفرديّة الّتي كتبها بعض الصّحابة لنفسه، وهي مصاحف خاصّة، اختلفت عن بعضها في ترتيب السُّوَر وفي بعض القراءات، وكان من أشهرها مُصْحَف عليّ ومُصْحَف أُبيّ بن كعب ومُصْحَف عبد الله بن مسعود، ومُصْحَف أبي موسى الأشعريّ، وقد أدّى انتشار هذه المصاحف الفرديّة إلى الفرقة والاختلاف.

٤ ـ حاول بعض المستشرقين أن ينفي الجدّيّة والتّواتُر عن مُصْحَف عُثمان، وذكر أنّ عُثمان جمعه بحافز شخصيّ، حتّى يكون لديه مُصْحَف خاصّ كغيره من أفراد الصّحابة[١]، وهي فرية تريد أن تجرّد المُصْحَف الإمام من كونه عملاً تضافرت عليه جهود، وتوفّرت له صفة التّواتُر وقطعيّة الثُّبوت.

٥ ـ كانت كتابة المُصْحَف في عهد عُثمان بلُغة قُريش، فهي اللُّغة الأُولى الّتي نزل بها القرآن، وهي لُغة جمهور المسلمين، ولُغة الشِّعر والأدب، ولسان الدّولة الرّسميّ، وقد أُبيحت قراءة القرآن باللّهجات المختلفة تيسيرًا على النّاس في صَدر الإسلام، «فلمّا تذلّلت ألسنتهم بالقراءة، وكان اقتصارهم على حرف واحِد يسيرًا عليهم وهو أوفق لهم، أجمعوا على الحرف الّذي كان في العَرْضَة الأخيرة»[٢].

٦ ـ تلقّى النّاس عمل عُثمان بالقبول، ووافقوا عليه مقتنعين بما بذل فيه من جهد، وبما يحقّق من وحدة الأُمّة وتماسكها... [ثمّ ذكر قول الإمام عليّ عليه السلام كما تقدّم عن السّجستانيّ، الرّقم ٣٦، ٣٧].

---

١ ـ دائرة المعارف الإسلاميّة، مادّة حَفْصَة، تاريخ القرآن: ١٠٨؛ مباحث في علوم القرآن: ٧٩.

٢ ـ النّشر: ٣١ ـ ٣٣.

لَجنة المُصْحَف

تختلف الرّوايات في عدد الحُفّاظ الّذين عهد إليهم عُثمان ﷺ بكتابة المُصْحَف، فمنها ما يفيد أنّه عهد إلى زيد بن ثابت بكتابته.

ورواية البُخاريّ تفيد أنّ اللَّجنة كانت مكوّنة من أربعة، وجاء في رواية ابن أبي داود أنّ اللَّجنة كانت مكوّنة من اثني عشر رجلاً.

ويتّضح من جملة الرّوايات أنّ زيد بن ثابت كان رئيس اللَّجنة، وأنّ عُثمان ندب معه أربعة من خيرة الصَّحابة و ثقات الحُفّاظ. ولعلّ عُثمان أمدّ اللَّجنة بعدد آخر من الصَّحابة، لمساعدتها في نسخ المصاحف الّتي أرسلها إلى الأمصار.

فمن نسب كتابة المُصْحَف إلى زيد بن ثابت راعى أنّه رئيس اللَّجنة، فينسب العمل إليه، و من جعل اللَّجنة رباعيّة راعى أنّها اللَّجنة الأصليّة المكلّفة بكتابة المُصْحَف الإمام، و من زاد في عددها إلى (١٢) ضمّ إليها أسماء من استعان بهم عُثمان للمساعدة في نسخ المصاحف الّتي أُرسلت إلى البُلدان الإسلاميّة... [ثمّ ذكر أسماء كتبة المُصْحَف العُثمانيّ كما تقدّم سابقًا في النّصوص المختلفة]. (٣٦ ـ ٥٤)

الفصل الثّاني والسّبعون

نصّ الشّيخ جعفريان(معاصر) في «أُكذوبة تحريف القرآن»

جمع القرآن في عهد النّبيّ ﷺ و عدم التّحريف

أدلّة جمع القرآن في عهد النّبيّ ﷺ

إنّنا لانشكّ في أنّ القرآن قد جمع كلّه في عهد النّبيّ ﷺ، وكتب بأمره في ظهر بعض الأشياء. وعلى هذا فلايمكن قبول القول بأنّ جمع القرآن قد كان بعده ﷺ إلّا إذا كان المراد استنساخ نسخة ممّا جمع في عهد النّبيّ ﷺ. و إليك بعض الأدلّة على ذلك:

أ ـ توجد هنا روايات نقلها أهل السّنّة حول جمع بعض الصّحابة للقرآن على عهد النّبيّ ﷺ:

عن قَتَادة قال سألت أنس بن مالك:«من جمع القرآن على عهد النّبيّ ﷺ قال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب و مُعاذبن جَبَل و زيد بن ثابت و أبوزيد، و نحن ورثناه». فإذا كان الجمع بمعنى الحفظ فإنّ انحصاره في أربعة في غير محلّه، لأنّهم رووا أيضًا أنّ مسلمين آخرين حفظوا القرآن كلّه... **[ثمّ ذكر رواية زيد بن ثابت وكعب القُرظيّ والشّعبيّ كما تقدّم عن الحاكم و ابن حَجَر و أبي شامَة، فقال:]**

وهذه الرّواية مشهورة عن الشّعبيّ، ولكن بعض الرّواة غيّروا عبارة الشّعبيّ بأنّ قُرّاء القرآن في عهدالنّبيّ ﷺ كانوا ستّة[1]. ولكن من الواضح أنّ أصحاب النّبيّ ﷺ كان الكثير، منهم قُرّاء للقرآن، و ذكر ستّة منهم يعني ظاهرًا أنّهم جمعوا القرآن.

---

١ ـ مصنّف ابن أبي شيبة: ١٠:٥٠٠.

ويدلّ على المطلوب ما قيل حول جمع عليّ عليه السلام للقرآن في ثلاثة أيّام بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله، و سنذكر مصادره، فهذا يدلّ على أنّ القرآن كان قد كتب في عهد النّبيّ تمامه و عليّ عليه السلام جَمعَه في مُصْحَف في ثلاثة أيّام، و إلّا فلا يمكن أن نقول: إنّه عليه السلام قد كتب القرآن في ثلاثة أيّام، أو حفظه كما قال البعض...[1] [ثمّ ذكر رواية عن عليّ بن إبراهيم و قول ابن النّديم كما تقدّم عنهما].

عن ابن سعد عن الكوفيّين في ترجمة مُجمِّع بن حارثة: أنّه جمع القرآن على عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا سورة أو سورتين، و قال ابن إسحاق: كان مُجمِّع غلامًا حدثًا، قد جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.[2]

عن ابن حَبان: أنّ أُبيًّا جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، و أمرالله صفيّه (صلوات الله عليه) أن يقرأ على أُبيّ القرآن.[3]

فنفهم من انحصار جمع القرآن في أربعة أو أكثر حتّى ستّة أنّه جمع القرآن في المُصْحَف، وإلّا فقد كان القرّاء والحُفّاظ للقرآن كثيرين، فثبت من ذلك أنّ القرآن جمع في عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله كما أنّ الزّركشيّ يصرّح بأسامي سبعة من الّذين عرضوا القرآن كلّه على رسول الله صلى الله عليه وآله.[4]

ب ـ وتدلّ أيضًا على جمع القرآن في عهد النّبيّ أقوال بعض العلماء في ذلك:

قال الحارث المَحاسِبيّ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول أبي شامَة و الزّركشيّ والدّكتور شاهين والغَزاليّ والباقِلّانيّ بحسب ما تقدّم عنهم، فقال:]

ونحن نقول: أيضًا ما قال الباقِلّانيّ، فهل على ظهر الأرض أجهل ممّن يقول بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يهتمّ بجمع القرآن، مع أنّ الرُّواة ذكروا أسامي أربعين من الصّحابة الّذين

---

١ ـ تاريخ القرآن لعبد الصّبور شاهين: ٧١.

٢ ـ التّراتيب الإداريّة ١:٤٦ عن الطّبقات ١:٣٤.

٣ ـ كتاب مشاهير عُلماء الأمصار: ١٢.

٤ ـ البُرهان في علوم القرآن ١:٢٤٣.

يكتبون القرآن، و جعل النّبيّ صلى الله عليه وآله بعضهم لذلك[١].

فمع أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله بكتابة الوحي و تأكيده على أن «قيّدوا العلم بالكتابة»[٢] و مع قوله لعبد الله بن عمروبن العاص بكتابة العلم،[٣]، و قوله لرجل آخر حول حفظ العلم بالاستعانة باليمين[٤]، هل يمكن إهمال كتابة القرآن بتمامه وعدم جمع القرآن؟

فمع الظّروف الّتي في الجزيرة والّتي تشير إلى إمكان ضياع القرآن، و مع تأكيد الكتاب على أنّ اليهود والنّصارى حرّفوا الكتاب ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾[٥] هل يمكن فرض إهمال النّبيّ صلى الله عليه وآله لكتابة القرآن حتّى يضطرّ زيد بن ثابت إلى جمعه من صُدُور الرّجال؟

ومع وجود روايات مثل: «إنّ الوحي إذا أُنزل على النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر أحد الكُتّاب كزيد أو غيره أن يكتب ذلك الوحي»...[٦] [ثمّ ذكر رواية عُثمان بن أبي العاص كما تقدّم عن النّهاونديّ، فقال:]

ومع رواية عن ابن عبّاس أنّه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من كتب، فقال: ضعوا هذه السُّورة في الموضع الّذي يذكر فيه كذا و كذا»[٧].

ومع رواية «عرض القرآن من قبل النّبيّ صلى الله عليه وآله على جبرئيل، سيّما في العام الأخير الّذي عرض على جبرئيل مرّتين»[٨].

مع كلّ هذه الرّوايات هل يمكن فرض إهمال النّبيّ لجمع القرآن؟ وهل هذا إلّا قدح في النّبيّ صلى الله عليه وآله وإظهار عدم اهتمامه بحفظ الكتاب؟ فبعد ثبوت أنّ القرآن جمع كلّه في عهد

---

١ ـ تاريخ القرآن للدّكتور راميار: ٩٦؛ مكاتيب الرّسول ج ١؛ و صبح الأعشى ١: ٩٢؛ و تاريخ القرآن للدّكتور شاهين: ٥٤.

٢ ـ التّراتيب الإداريّة ٢: ٢٤٤؛ و ٢٤٧ و ٢٤٨؛ وأخبار أصبهان ٢: ٢٢٨.

٣ ـ نفس المصدر: ٢٤٨.

٤ ـ تقييد العلم: ٣٣.

٥ ـ البقرة / ٧٩.

٦ ـ دلائل النّبوّة للبَيهَقيّ: ٢٤١.

٧ ـ مناهل العرفان ١: ٢٤٠.

٨ ـ إرشاد السّاري ٧: ٤٤٩؛ وتفسير ابن كثير قسم فضائل القرآن ٤: ٢٦.

النّبيّ ﷺ و ثبوت أنّ جمع أبي بكر وغيره للقرآن بمعنى استنساخ ماهو مكتوب من قبل، ينهدم أكثر ما أورده البعض في إثبات التّحريف، لأنّهم يقولون بتواتُر القرآن بعد جمعه، فإذا كان جمعه في عهدالنّبيّ ﷺ ثبت تواتُره منذ زمن حياة الرّسول ﷺ و تصوّر التّحريف بعد ذلك غير معقول.

الدّليل من التّاريخ

إنّ الشّواهد في التّاريخ تدلّ على عدم تحريف القرآن عمدًا من أحد الصّحابة، فمن ذلك ما قاله عمر: «لولا أن يقول النّاس: إنّ عمر زاد في كتاب الله، لكتبت آية الرّجم بيدي»[1]. إنّك ترى أنّ عمر لم يجرُؤْ أن يضيف إلى القرآن قصّة الرّجم لخوفه من النّاس، فكيف يمكن أن يجرُؤ على حذف آيات و سُوَر من القرآن؟!!

وأيضًا أنّ عُثمان أصرَّ على حذف الواو من آية الكنز، ولكنّ الصَّحابة اعترضوا عليه؛ عن عِلبَاء بن أحمد: أنّ عُثمان بن عَفَّان لمّا أراد أن يكتب المصاحف أراد أن يلقوا الواو الّتي في براءة/٣٤ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ...﴾ فقال أُبيّ: لتلحقنّها أو لأضعنَّ سيفي على عاتقي، فألحقوها[2].

واتّفق مثل هذا بالنّسبة للخليفة الثّاني في سورة التّوبة؛ أخرج أبو عُبَيْد و ابن جَرير وابن المُنذر و ابن مَرْدُوَيه عن حبيب الشّهيد عن عمروبن عامرالأنصاريّ: أنّ عمر بن الخطّاب قرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارُ (و)[3] الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ﴾ فرفع الأنصار، ولم يلحق الواو بالّذين، فقال له زيد بن ثابت: (والّذين) فقال عمر: (الّذين) فقال زيد: أميرالمؤمنين أعلم!! فقال عمر رضي الله عنه: ائتوني بأُبيّ بن كعب، فأتاه فسأله عن ذلك، فقال أُبيّ: والّذين...».

---

١ ـ سنذكر مصادر آية الرّجم في المباحث الآتية.

٢ ـ الدرّ المنثور ٣:٢٣٣ وقال أخرجه ابن الضُّرَيس؛ والميزان ٩:٢٥٦ عنه؛ ودراسات وبحوث في التّاريخ الإسلاميّ ١:٩٤ عنه.

٣ ـ لم يقرأ الواو.

وأخرج أبوالشّيخ عن أبي أُسامة و محمّد بن إبراهيم التّميميّ، قالا: «مرّ عمر بن الخطّاب برجل و هو يقرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ﴾[1] فوقف عمر، فلمّا انصرف الرّجل، قال: من أقرأك هذه؟ قال: أقرأنيها أُبيّ بن كعب، قال: فانطلق إليه، فانطلقا إليه، فقال: يا أبا المنذر، أخبرني هذا أنّك أقرأته هذه الآية؟ قال: صدق، تلقّيتها مِنْ في رسول الله ﷺ، قال عمر: أنت تلقّيتها مِن في رسول الله؟ قال: فقال في الثّالثة وهو غضبان نعم، والله لقد أنزلها الله على جبرئيل عليه السلام، ولم يستأمر فيه الخطّاب ولا ابنه!! فخرج عمر رافعًا يديه: الله أكبر الله أكبر»[2]. (١٥ـ٢١)

جمع القرآن والتّحريف

إنّ سيرة المسلمين في قبال القرآن في التّاريخ هي عدم الشّكّ في آية من آيات الله، و اعتقادهم بأنّه كلّه هوالمنزل من جانب الله من دون نقص أو زيادة فيه.

ومع ذلك فقد روى أهل السّنّة في صَحاحهم وغيرها من السُّنَن روايات حول جمع القرآن، يفهم منها عدم تواتُر الآيات القرآنيّة، بل ثبتت بالآحاد. وها نحن نذكر بعض هذه الرّوايات ثمّ نناقشها:

عن البُخاريّ: عن زيد بن ثابت، قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليَمامة، فإذا عمر ابن الخطّاب عنده، فقال أبو بكر... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر رواية ابن أبي داود من طريق الحسن و ابن أشتة عن ابن بُرَيدة بحسب ما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

وعن زيد بن ثابت: «كتبنا المصاحف، ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله، فوجدت عند خُزَيمة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾[3] وكان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتّى يشهد عليها شاهدان، فجاء رجل من الأنصار بآيتين، فقال عمر: لا أسألك عليها

---

١ ـ التّوبة /١٠٠.

٢ ـ الدّرّ المنثور ٣: ٢٦٩. و روايات هذا الباب كثيرة من طرق مختلفة.

٣ ـ الأحزاب /٢٣.

شاهدًا غيرك»[1]... [ثمّ ذكر رواية يحيى بن عبد الرّحمان بن حاطب و أبي داود بن الزُّبَير، كما تقدّم عن السِّجِستانيّ الرّقم ١١ و٦]. عن أنس بن مالك: «كنت فيمن أملي... [و ذكر كما تقدّم عن الطَّبَريّ].

عن ابن سيرين: «مات أبو بكر و عمر لم يجمع القرآن»[2].

وروى ابن سَعْد «أنّ أوّل من جمع القرآن عمر»[3].

فهذه الرّوايات و أمثالها كثيرة في كتب الصّحاح وغيرها، والقبول بها في شأن جمع القرآن إنّما يعني القبول بعدم تواتُر القرآن، و ثباته بأخبار آحاد كقول خُزَيمة، أو بشاهدين، أو بنقل أُبيّ بن كعب، أو بقول رجل كان في البوادي، فيرسل إليه حتّى يقرأها لهم، أو كانت الآية مع رجل قُتل في اليَمامة، أو غير ذلك من المسائل الّتي لا يمكن التّغاضي عنها، لو أُريد قبول مرويّات الصّحاح بهذا الشّأن.

وقد تنبّه الزَّركَشيّ لهذا الأمر، وذكر توجيهًا في المقام لا يمكن قبوله؛ يقول بالنّسبة لقول زيد بأخذ آيتين من خُزَيْمة. «ليس فيه إثبات القرآن بخبرالواحد، لأنّ زيدًا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النّبيّ، فكذلك غيره من الصَّحابة، ثمّ نسيها فلمّا سمع ذكره، و تتبّعه للرّجال كان للاستظهار لا استحداث العلم»[4].

ولكن لا دليل على مثل هذا التّوجيه، إذ لو قبلنا ذلك فهل ثبت التّواتُر بعلم زيد و خُزَيمة فقط؟ وهل نسي كلّ الصّحابة هذه الآية؟!! وإذن فلعلّهم جميعًا قد نسوا بعض الآيات حتّى خُزَيمة! ولم يوجد من يذكرهم ويستظهر لهم العلم!

وأقبح من هذا توجيهه حول آيات آخر سورة التّوبة الّتي قال زيد عنها: «وجدت آخر سورة براءة مع خُزَيمة بن ثابت، ولم أجدها مع غيره» إذ يقول الزّركشيّ: «يعني ممّن

---

١ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٥:١٣٦؛ والبُخاريّ، كتاب التّفسير؛ و راجع البرهان ١:٢٣٤عنه.
٢ ـ مصنّف ابن أبي شيبة ١٣: ٩٠؛ والطّبقات الكُبرى ٣:٢١١.
٣ ـ الطّبقات الكُبرى ٣:٢٨١.
٤ ـ البُرهان ١:٢٣٦.

كانوا في طبقة زيد ممّن لم يجمع القرآن»[١]، فهذا توجيه لا سند له.

وقد حاول آخرون تصحيح قصّة خُزَيمة بأنّ معناها: «إنّ الصَّحابة لم يجدوا تلك الآية مكتوبة إلّا عند خُزَيمة بخلاف غيرها من الآيات»[٢]، لأنّ هذا القيد ـ قيد الكتابة ـ لم يوجد في أيّ رواية تتعلّق بهذا الأمر، ولا يمكن قبوله بدون دليل، بالإضافة إلى أنّ قيد شهادة خُزَيمة بمنزلة الشّهادتين ينفي ذلك. كما أنّ توجيه البعض الآخر بالقول: «إنّ معنى ذلك هو أنّ زيدًا يطلب التّثبّت عمّن تلقّاها بغير واسطة»[٣] كذلك هذا التَّوجيه لا دليل عليه أيضًا. كما أنّ توجيه ابن حَجَر لقصّة قبول الآيات في معنى الشّاهدين غير صحيح، لأنّه بدون دليل، كما أنّ المعنى المتبادر من الشّاهدين ينفي هذا التّوجيه[٤]. أمّا نحن فنرفض هذه الرّوايات حول جمع القرآن و ذلك لما يلي:

أ ـ لوجود التّناقض في نقل هذه الرّوايات كثيرًا، ولا يمكن جمعها بوجه، فهل الجامع هو أبو بكر أم عمر أم حُذَيفة أم كما قال ابن سيرين: غيرهم؟

ب ـ قيل: إنّ علّة جمع القرآن هو قتل القُرّاء في اليَمامة، وهذا لا يمكن قبوله، لأنّ كُتّاب الوحي و الحافظين له كلّهم موجودون في المدينة كعليّ بن أبي طالب و أُبيّ بن كعب الّذي قال فيه النّبيّ ﷺ: «أقرؤهم أُبيّ بن كعب»[٥] وكذا عبد الله بن مسعود الّذي قال النّبيّ ﷺ فيه: «اقرأوا بقراءة ابن أُمّ عبد».[٦] فمع وجود هؤلاء الأفراد في المدينة لا يمكن تصوّر خوف أبي بكر و عمر من ذهاب القرآن!؟

ج ـ إنّنا أثبتنا في السّابق أنّ القرآن قد جمع في عهد النّبيّ ﷺ، وأنّ قصّة جمع القرآن في عهد الخُلفاء كذب محض، وقدح في النّبيّ ﷺ بعدم اهتمامه بجمع القرآن، (مع أنّه لم يكن له شغل أهمّ من جمع القرآن وحفظه للأجيال المسلمة اللّاحقة)، فإذا ثبت أنّ جمع

---

١ ـ البرهان ١: ٢٣٩.

٢ ـ مناهل العِرفان ١:٢٦٦.

٣ ـ إرشاد السّاري ٧:٤٤٨.

٤ ـ الإتقان، ١:٥٨.

٥ ـ مستدرك الصّحيحين، ٣:٥٣؛ و الطّبقات الكُبرى ٢:٣٤٠؛ وأخبار أصبهان ٢:١٣.

٦ ـ المصنّف لابن أبي شيبة ١٠:٥٢٠ ـ ٥٢١.

القرآن كان في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله فلا يمكن قبول هذه الرّوايات.

د ـ بعد قبول تواتُر القرآن كلّه وعدم وجود نقص أو زيادة فيه عند الجميع،وجب طرح هذه الرّوايات الّتي تثبت القرآن بالآحاد. **(٣٩ـ٤٣)**

عليّ عليه السلام وجمع القرآن

ورد في كتب التّاريخ والحديث: أنّ عليًّا عليه السلام جمع القرآن وحفظه كلّه، وثبت أنّه من كُتّاب الوحي ومن أجلّهم.

يقول ابن أبي‌الحديد: «اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله، ولم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه»[١].

وعن سُلَيْم بن قَيس: «أنّ عليًّا عليه السلام بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه»[٢].

وعن الكَلْبيّ قال: «لمّا تُوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله قعد عليّ بن أبي طالب في بيته فجمع القرآن»[٣].

وعن الكَتّانيّ: «أنّ عليًّا جمع القرآن على ترتيب النُّزول عقب موت النّبيّ صلى الله عليه وآله»[٤].

وعن ابن المُنادي: «حدّثني الحسن بن العَبّاس... **[وذكركما تقدّم عن ابن النّديم]**.

فمع قرابة عليّ عليه السلام من النّبيّ صلى الله عليه وآله وكونه مع النّبيّ دائمًا يقتضي ذلك طبعًا أن يكون جمعه للقرآن بأحسن وجه، فهو عليه السلام يقول: «ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علمًا...»[٥] **[إلى أن قال:]**

---

١ ـ شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٧.

٢ ـ كتاب سُلَيْم بن قَيْس: ٢٥.

٣ ـ التّسهيل لعلوم التّنزيل ١:٤.

٤ ـ التّراتيب الإداريّة ١:٤٦.

٥ ـ راجع نهج البلاغة، صبحيّ الصّالح: ٣٠٠ ـ ٣٠١، الخطبة القاصعة، وراجع حول ذلك شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣:١٩٨ ـ ٢١٢.

ونقل أيضًا عن سُليمان الأعمش، قال: قال عليّ عليه السلام: «ما نزلت آية إلّا و أنا علمت فيما أُنزلت، وأين نزلت، و على من نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا طَلِقاً».[١]

وعنه عليه السلام «سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل».[٢]

وكذا عن سُلَيم بن قَيْس عن عليّ عليه السلام: «ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عَلَيّ، فكتبتها بخطيّ، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها و منسوخها، و محكمها ومتشابهها، ودعا الله عَزّوَجَلَّ أن يعلّمني فَهْمها وحِفظها، فما نسيت آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا علمًا أملاه عليّ فكتبته»[٣].

ولمّا كان الإمام عالمًا بتمام الآيات علمًا وافيًا، وعالمًا بشأن نزولها، فقد كتب مُصْحَفه طِبقًا لما نزل: ولما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله حسب الرّواية السّابقة، وكتب أيضًا في مُصْحَفه تأويل الآيات طِبقًا لما علّمه إيّاه رسول الله، ولذا كان مُصْحَفه عليه السلام أتمّ المصاحف وأكملها، بلحاظ وجود التّأويلات وشأن نزول الآيات، كما كان تأليفه للمُصْحَف طِبقًا لما نزل في الأزمنة المختلفة... [ثمّ ذكر رواية ابن سيرين عن عِكرِمة وقول السُّيوطيّ في ترتيب السُّوَر كما تقدّم عنه، فقال:]

ويقول المفيد حول مُصْحَف الإمام عليه السلام:«فقدّم المكّيّ على المدنيّ، والمنسوخ على النّاسخ، و وضع كلّ شيء منه في حقّه»[٤].

وكذا يقول: «وممّا لا خلاف فيه بين المسلمين المفسّرين هو حذف ما كان مثبتًا في مُصْحَف أميرالمؤمنين من تأويل القرآن وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله»[٥].

وهذا صريح في أنّ من ادّعى أنّه قد كان في مُصْحَف الإمام بعض النّصوص المثبتة

---

١ ـ تفسير العيّاشيّ، ١:١٧؛ وبحار الأنوار ٨٩: ٩٧؛ والطّبقات الكُبرى ٢:٣٣٨.

٢ ـ الطّبقات الكُبرى ٢:٣٣٨.

٣ ـ إكمال الدّين ١:٤٠١؛ بحار الأنوار ٨٩: ٩٨ـ٩٩ و ٧٩ عنه؛ والبرهان ١:١٦؛ والاحتجاج: ١٣٩؛ وراجع نهج السّعادة ٢:٦١٨ و ٦٢٠ ـ ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٧٦ عن مصادر مختلفة.

٤ ـ بحار الأنوار ٨٩:٧٤.

٥ ـ أوائل المقالات: ٩٤.

لخلافته عليه السلام إنّما كان من قبيل تأويل القرآن و تنزيله.

وعن ابن جُزَيّ الكَلْبيّ: «لو وجد مُصْحَفه عليه السلام لكان فيه علمٌ كثير» [1].

وكذا عن ابن سيرين على ما حكى عنه ابن أشتة: «أنّ عليًّا كتب في مُصْحَفه النّاسخ والمنسوخ» وكذا عن ابن سيرين: «تطلّبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه» [2]. وكذا عن ابن سيرين: «ولو أُصيب ذلك الكتاب لكان فيه العلم» [3].

فهل كان ابن سيرين يعتقد بأنّ مُصْحَف عليّ عليه السلام فيه بعض الآيات الّتي ليست في المصاحف الأُخرى!!؟ لا، بل هذه الإضافات ما هي إلّا تأويلات وتنزيلات، وهذا عين ما صرّح به الإمام عليه السلام نفسه إذ قال: «ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التّنزيل والتّأويل» [4].

وتشير إلى ذلك روايات [5] تصرّح بوجود بعض أسماء المنافقين من قُريش في مُصْحَف الإمام عليه السلام، وهذه الأسماء من التّأويلات ولشرح شأن نزول الآيات.

ولمّا كان هذا النّحو من الجمع لايكون إلّا من أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّنا نجد الإمام أباجعفر عليه السلام يقول: «ما ادّعى أحد من النّاس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، و ما جمعه و حفظه كما أُنزل إلّا عليّ بن أبي طالب و الأئمّة بعده» [6].

أمّا حمل جمع عليّ عليه السلام للقرآن على جمعه في الصَّدر [7] فهو مخالف لما صرّحت به الرّوايات الواردة في تأليف القرآن في المُصْحَف، و ما ورد حول كيفيّة تأليفه. فتبيّن أنّه ليس في النُّصوص الّتي وردت حول مُصْحَف عليّ عليه السلام إشارة إلى وجود بعض الآيات، إضافة لما كان في مصاحف غيره، بل فيه التّأويلات و تبيين محلّ نزول بعض الآيات فقط.

---

١ ـ التّسهيل لعلوم التّنزيل، ١:٤.

٢ ـ الإتقان: ١:٥٧؛ والطّبقات الكُبرى: ٢ ق ١:١٠١.

٣ ـ تاريخ الخلفاء: ١٨٥؛ والطّبقات الكُبرى: ٢:٣٨٨.

٤ ـ آلاء الرّحمان: ٢٥٧ عن نهج البلاغة و غيره.

٥ ـ راجع بحار الأنوار ٩٢:٤٢، ط ايران؛ وراجع بصائر الدّرجات،: ١٩٣ والكافي كتاب فضل القرآن، فيه روايات متعدّدة.

٦ ـ الكافي، كتاب فضل القرآن.

٧ ـ روح المعاني ١:٢١.

مُصْحَف فاطمة عليها السلام

يمكن أن يتوهّم أنّ مُصْحَف فاطمة عليها السلام من قسم مُصْحَف عائشة أو حَفْصَة أو غيرهما من الصّحابة والتّابعين، فيه ذكرت الآيات على نحو يختلف عمّا ذكرت في القرآن المتواتر، ونحن نقول: ورد في روايات كثيرة ذكر مُصْحَف فاطمة عليها السلام وصرّح في بعضها أنّ في هذا المُصْحَف علم ما يكون، وليس فيه ذكر حلال ولا حرام، كما صرّحت بعض روايات أُخرى بأنّ فيه وصيّة فاطمة الزّهراء عليها السلام وعلى هذا يمكن أن تكون فيه بعض المعارف الّتي تعلّمتها فاطمة عليها السلام من أبيها في طيلة حياتها، و تصرّح بعض الرّوايات أيضًا بأنّ مُصْحَف فاطمة ليس فيه قرآن، ولم يكن مُصْحَفًا قرآنيًّا.

نحن لا نريد أن نعرف ماذا في مُصْحَف فاطمة، بل نريد أن نقول: إنّ مُصْحَفها ليس مُصْحَفًا قرآنيًّا، ولذا لم يقع ما توهّمه بعض المتوهّمين في المقام. (٦١ـ٦٥)

الأعلام والمصادر

التّعريف بمن أُضيف في هذا الجزء من الأعلام المؤلّفين

(آ)

آل عصفور (معاصر)	هوالميرزا محسن بن حسين العُصْفوريّ البَحرانيّ، حفيدالعلّامة الشّيخ حسين البَحْرانيّ، له كتب كثيرة، منها: «إتحاف الفقهاء في تحقيق مسألة اختلاف القراءات والقُرّاء» [ط: ٢ المطبعة العلميّة، قم ١٤١٠ ق].
آل قيس (معاصر)	هو قيس آل قيس، من المحقّقين المعاصرين، له كتاب: «الإيرانيّون والأدب العربيّ» (رجال علوم القرآن) [٣ج، ط: مؤسّسة البحوث والتّحقيقات الثّقافيّة، إيران ١٤٠٣ق].

(أ)

ابن الأثير (٥٥٥ـ٦٣٠)	هو أبوالحسن عليّ بن محمّد بن عبدالكريم الشّيبانيّ الجَزَريّ، المعروف بابن الأثير، المؤرّخ، من علماء النّسب والأدب، وُلِد ونشأ في جزيرة «ابن عمر» وتوفّي في الموصل، من كتبه: «الكامل في التّاريخ» [١٣ج، ط: دار صادر بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت ١٣٨٥ق].

ابن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠)	هو محمّد بن سعد بن منيع الزُّهريّ، مؤرّخ من حُفّاظ الحديث، وُلِد في البَصْرة وتوفّي ببغداد، له كتب أشهرها: «طبقات الصّحابة» المعروف بطبقات ابن سَعْد [٩ج، ط: دار صادر بيروت].
ابن شاذان (م: ٢٦٠)	هو أبو محمّد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزديّ النّيسابوريّ، من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكريّ عليهم السلام، و كان مقدّمًا في كلّ فنّ من علوم القرآن والحديث والفقه والكلام، وتوفّي في نيسابور ودُفِن فيها، صنّف ١٨٠ كتابًا، منها: «الإيضاح» [ط:جامعة طهران ١٤٠٥ق].
ابن عطيّة (٤٨٠ ـ ٥٤٦)	هوالقاضي أبو محمّد عبدالحقّ بن غالب بن عطيّة الأندَلُسيّ، كان إمامًا في الفقه والتّفسير والعربيّة، و عارفًا بالحديث، وله كتب: «المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». [٥ج، ط ١: دارالكتب العلميّة، بيروت ١٤١٣ق].
ابن الوَرْديّ (٦٩١ ـ ٧٤٩)	هو عمر بن المظفّر بن عمر بن أبي الفوارس، المعروف بابن الوَرْديّ. وُلد في معرّة النّعمان بـ(سورية) وتوفّي بحلب، من كتبه:«التّاريخ» المعروف بـ«تاريخ ابن الوَرْديّ». [ط:الحيدريّة في النّجف ١٣٨٩ ق].
أبو ريّة (١٣٢٥ ـ ١٣٩٠)	هو الأُستاذ الشّيخ محمود أبوريّة، من العلماء الكبار والمحقّقين العظام بمصر، وله كتب كثيرة، منها: «أضواء على السّنّة المحمّديّة» [ط ٣: دارالمعارف مصر].

الأحمديّ (م: ١٤٢٢ق)

هوالشّيخ آية الله حسين عليّ الأحمديّ الميانجيّ، أحد شخصيّات الحوزة العلميّة في قم المقدّسة و أساتذتها وكان زاهدًا، بارعًا و ثقةً عند العوامّ والخواصّ و توفّي في قم ودُفن فيها، وله كتب، منها: «مكاتيب الرّسول» [ط: ٣ ن: يسّ، قم ١٣٦٣ه ش].

الأمين العامليّ (١٢٨٢ ـ ١٣٧١)

هوالسّيّد محسن بن عبدالكريم، الحسينيّ، الأمين العامليّ، ولد في قرية شَقراء من أعمال مرجعيّون بجبل عامل، و نشأوتعلّم بها، ثمّ رحل إلى النّجف فعاد إلى سورية، فاستقرّ في دمشق وعمل في التّدريس والتّبليغ ثمّ الإفتاء، و توفّي فيها. وله كتب كثيرة، منها: «أعيان الشّيعة» [١٠ج، ط: دارالتّعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٣ق]. ومنها: «نقض الوشيعة» [ط: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت].

ب

الباقِلّانيّ (٣٣٨ ـ ٤٠٣)

هو أبو بكر محمّد بن الطّيّب القاضي الباقِلّانيّ، من كبار علماء الكلام في مذهب الأشاعرة، وُلد في البَصْرة و توفّي ببغداد، وله كتب كثيرة منها: «الانتصار لنقل القرآن» حقّقه: الدّكتور محمّد زغلول سَلّام ـ أُستاذ اللّغة العربيّة بجامعة الإسكندريّة ـ [ط ن: منشأ المعارف بالإسكندريّة ١٩٧١م].

البَلاذُريّ (م: ٢٧٩)

هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُريّ البغداديّ، أديب، مؤرّخ جغرافيّ، أُستاذ ابن النّديم صاحب «الفهرست»، مات في أيّام المعتمد، وله كتب منها: «فتوح البُلدان» [ط: دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٨ق].

البلاغيّ (١٢٨٠ ـ ١٣٥٢ق) هو العلّامة الشّيخ محمّد جواد بن الحسن البلاغيّ النّجفيّ، جامع المعقول والمنقول، وله مشاركة في حركة العراق الاستقلاليّة وثورة عام ١٩٢٠م، وله كتب كثيرة، منها: «آلاء الرّحمان في تفسير القرآن» [٢ج ط: مكتبة الوجدانيّ، قم].

ج، ح، خ

جعفريان (معاصرٌ) هو الشّيخ رسول جعفريان، من المحقّقين والكُتّاب المشهورين، و أُستاذ المعارف الإسلاميّة في جامعة طهران، وله كتب كثيرة، منها: «أُكذوبة تحريف القرآن بين الشّيعة والسّنّة» [ط: سبهر ، طهران ، ١٤٠٦ق].

الحسينيّ الميلانيّ (معاصرٌ) هو السّيّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ ابن السّيّد نور الدّين، حفيد مرجع الشّيعة الفقيد آية الله العظمى الميلانيّ، يعدّ أحد محقّقي الحوزة العلميّة في قم المقدّسة و فضلائها وله كتب و مقالات عديدة، منها: «التّحقيق في نفي التّحريف» [ط :٢ المطبعة: ياران، قم ١٤١٧ق].

الخوئيّ (١٣١٧ ـ ١٤١٣) هو العلّامة آية الله العظمى السّيّد أبو القاسم بن السّيّد عليّ أكبر الموسويّ الخوئيّ، وُلِد في «خوي» من إيران، وسكن في النّجف الأشرف عام ١٣٣٠ ق و توفّي فيها عام ١٤١٣ ق، وهو محقّق كبير و من أبرز فقهاء الشّيعة في عصرنا هذا، له تصانيف كثيرة، منها:«البيان في تفسير القرآن» [ط: مطبعة الآداب في النّجف الأشرف ١٣٨٥ق].

ر، س، ش

الرّافعيّ (١٢٩٨ ـ ١٣٥٦ق)	هو العالم المحقّق، مصطفى صادق الرّافعيّ و كاتبٌ معروف من أهل مصر، له كتب منها: «إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة» [ط:دار الكتاب العربيّ ـ بيروت ـ ١٤١٠ق].
راميار (١٣٦٠ ـ ١٤٠٥ق)	هوالدّكتور محمود راميار، تولّى عِمادة كلّيّة المعقول والمنقول بمشهد الرّضاعليه السلام في إيران عام ١٣٤٩ش، و كان من المحقّقين والمجدّين في علوم القرآن، له كتب منها: «تاريخ القرآن» بالفارسيّة [ط: سبهر، طهران ١٣٦٢هـ ش].
السّالميّ (م: ١٣٣٢)	هو عبد الله بن حميد بن سَلُّوم السّالميّ العُمَانيّ، مؤرّخ من أعلام الإباضيّة، مولده و وفاته في عُمَان، له شرح في «جامع الصّحيح» للفراهيديّ [ط: مكتبة الاستقامة في سلطنة عُمان].
سُلَيم بن قيس (م: ٩٠)	هو سُلَيم بن قيس أبي صادق العامريّ الهلاليّ الكوفيّ التّابعيّ، صاحب الإمام عليّعليه السلام وكان هاربًا من الحَجّاج، لأنّه كان يطلبه ليقتله، وله كتاب مسمّى باسمه ولكن يشكّ في نسبته إليه، لكثرة ما دسّ فيه أبان بن أبي عَيّاش [ط : مؤسّسة البعثة، بقم المقدّسة ١٤٠٧ق].
شاهين (معاصر)	هو الدّكتور عبد الصّبور شاهين، من المحقّقين الكبار و هو اليوم أُستاذ مساعد للدّراسات اللّغويّة بكلّيّة دار العلوم جامعة القاهرة، وله كتب منها: «تاريخ القرآن» [ط:دار الكاتب العربيّ، بالقاهرة ١٣٨٧ق].

شَحاته (معاصر)
هو الدّكتور عبدالله محمود شَحاته من المحقّقين والكُتّاب المصريّين، وله: «تاريخ القرآن و التّفسير» [ط: الهيئة المصريّة العامّة للكُتّاب ١٣٩٢ق].

ع، ف

العاصميّ (٣٧٨ـ؟)
هو العلّامة أبو محمّد أحمد بن عليّ العاصميّ، من أكابر العلماء بخراسان في القرن الخامس الهجريّ، وكان على مذهب الكراميّة، له كتب، منها: «المباني لنظم المعاني» حقّقه «آرثر جَفْريّ» مع مقدّمة تفسير ابن عطيّة، وسمّاهما «مقدّمتان في علوم القرآن» [ط: الخانجيّ ـ القاهرة ١٩٧٢م].

العامليّ (م ١١٤٠)
هو الشّيخ أبو الحسن بن الشّيخ محمّد طاهر العامليّ، وُلد بأصفهان، وهو ابن أُخت الأمير محمّد صالح الخاتون آباديّ، صهر العلّامة المَجلِسيّ، وهو من أجداد صاحب الجواهر لأُمّه، له كتب، منها: «مقدّمة مِرآة الأنوار و مشكاة الأسرار» [ط: الآفتاب، طهران ١٣٧٤ق].

العسكريّ (١٣٣٣ ـ...)
هو العلّامة السّيّد مرتضى العسكريّ ابن السّيّد محمّد إسماعيل، محدّث، مؤرّخ، قد تجوّل في التّاريخ والحديث، وكان له نظريّة جديدة فيهما، أصله من ساوة (في إيران) وُلِد ونشأ في سامرّاء ثمّ سافر إلى قم سنة ١٣٥٠ق، ثمّ رجع إلى سامرّاء و من ثمّ إلى قم مرّة أُخرى وهو الآن يواصل أبحاثه في قم، وله كتب كثيرة منها: «معالم المدرستين» [٣ج، ط: مؤسّسة البعثة ، طهران ١٤٠٨ ق] و «القرآن الكريم و روايات المدرستين» [ط: صدر، قم ١٤١٥ق].

الفاضل اللّنكرانيّ (معاصر)	هو آية الله الشّيخ محمّد الموحّديّ، المعروف بالفاضل اللّنكرانيّ، يعتبر أحد فقهاء و مراجع الشّيعة، و من الأساتذة في الحوزة العلميّة الدّينيّة بقم المقدّسة، وله كتب كثيرة، منها: «مدخل التّفسير» [ط: مطبعة الحيدريّ، طهران ١٣٩٦ق].
الفراهيديّ (ق: ٢)	هو الرّبيع بن حبيب بن عمرو الفراهيديّ البَصْريّ، عالم بالحديث، وكان إباضيًّا، له كتاب في الحديث: «الجامع الصّحيح» [ط: جاء ضمن «شرح السّالميّ» لهذا الكتاب].

ق، ك، ل

القَسْطلانيّ (٨٥١ ـ ٩٢٣)	هو أبو العبّاس شِهاب الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك المصريّ الشّافعيّ، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة. وله كتب منها: «إرشاد السّاري إلى شرح صحيح البخاريّ» و «لطائف الإشارات في القراءات الأربع عشرة» [ط: المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة ١٣٩٢ق].
القَيْسيّ (٣٥٥ ـ ٤٣٧)	هو أبو محمّد مكّيّ بن أبي طالب، حموش بن محمّد الأنْدَلُسيّ القَيسيّ، مقرئ، عالمٌ بالتّفسير والعربيّة من أهل القيروان، وُلِد فيها، ثمّ سكن قُرطُبة عام ٣٩٣ و تُوُفّي فيها، وله كتب كثيرة منها: «الإبانة عن معاني القراءات» [ط: مكتبة نهضة مصر بالفجالة].
الكُرديّ (معاصر)	هو الشّيخ المحقّق محمّد طاهر بن عبد القادر الكُرديّ، الخطّاط بمكّة المكرّمة، له «تاريخ القرآن و غرائب رسمه وحكمه» ألّفه عام: ١٣٦٥ق. [ط :٢ شركة مكّيّة و مطبعة مصطفى البابيّ، بمصر ١٣٧٢ق].

لبيب السّعيد (معاصر)
هوالمدير العامّ لشؤون القرآن والثّقافة الإسلاميّة بمصر، له: «المُصْحَف المرتّل» ـ الجمع الصّوتيّ الأوّل للقرآن الكريم ـ [ط: دارالكاتب العربيّ، القاهرة ألـّف عام ١٣٨٧ق].

م، ه

المتّقيّ (٨٨٨ ـ ٩٧٥)
هو عليّ بن حسام الدّين بن عبد الملك القرشيّ المعروف بالمتّقيّ، فاضل، متصوّف هنديّ، وُلِد في «برهان فور» بالهند، وانتقل إلى مكّة، فجاورها إلى أن مات، وله كتب كثيرة، منها: «كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال» [١٦ ج، ط: ٥ مؤسّسة الرّسالة، بيروت ١٤٠٥ق].

المحمّديّ (معاصر)
هو عبد الرّحمان المحمّديّ، أحد العلماء والفضلاء في الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، ومن تلامذة آية الله العظمى البروجرديّ، له كتاب مسمّى بـ «الحجّة على فصل الخطاب في إبطال القول بتحريف الكتاب» [ط: المطبعة العلميّة، قم ١٤٠٥ق].

مكارم الشّيرازيّ (١٣٠٥ ـ ...)
هو آية الله العلّامة المحقّق الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، أحد مراجع الشّيعة والكُتّاب العظام و أُستاذ في الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، له كتب عديدة ومقالات كثيرة ومن كتبه المعروفة «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» [٢٧ ج، ط: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ لجماعة المدرّسين، بقم المشرّفة ١٤٠٤ق].

هيكل (١٣٠٦ ـ ١٣٧٦)
هو الدّكتور محمّد حسين هيكل، سياسيّ، صحافيّ، وُلِد في كفر غنّام بمصر، وكان رئيس تحرير صحيفة «السّياسة» و رئيس حزب الأحرار الدّستوريّين عام ١٩٤٣م، ثمّ رئيس مجلس الشّيوخ، وله كتاب «حياة محمّد». [ط : مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٥٤ق].

فهرس الموضوعات

الباب الأوّل
كُتّاب الوحي و حُفّاظه والنّبيّ الأُمّيّ

الباب الثّاني
كيفيّة جمع القرآن و ترتيبه

ترتيب القرآن

زيد بن ثابت رأس جُمّاع القرآن في عهد أبي‌بكر و عمر

روايات الجمع ونقدها